غاية الأماني

في

تفسير الكلام الرباني

للإمام شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني

المتوفى سنة ٨٩٣ هـ

تحقيق

أ.د. محمد بن سريع بن عبد الله السريع

المجلد الثالث

من سورة الأنفال إلى آخر سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السريع، محمد بن سريع بن عبدالله

غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني للإمام شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (المتوفى سنة ٨٩٣هـ) من سورة الأنفال إلى آخر سورة إبراهيم./ محمد بن سريع بن عبدالله السريع- ط١- الرياض ١٤٣٨هـ

ص ؛ ٠٠×٠٠ سم

ردمك: ٣ -٤٤٥ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

١ -القرآن- تفسير أ -العنوان

ديوي ٢٢٧.٣ ١٤٣٨/٦١٨٧

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦١٨٧

ردمك: ٣ -٤٤٥ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩

فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

تفسير
سورة الأنفال

سورة الأنفال[1]

ست وسبعون آية[2]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ نزلت بعد وقعة بدر[3]، وهي أول سورة نزلت بعد الهجرة[4] ....

(١) في ق: سورة الأنفال مدنية وآياتها ست... إلخ.

(٢) كذا في الأصل، وباقي النسخ دون لفظ آية، وفي ص بياض إلى قوله: بسم الله.
والقول بأن آيات السورة ست وسبعون آية هو عدُّ أهل المدينة ومكة والبصرة، وفي العدِّ الكوفي خمس، وفي الشامي سبع.
انظر: الكشف لمكي بن أبي طالب (٤٨٩/١)، البيان في عدِّ آي القرآن (ص١٥٨)، بصائر ذوي التمييز (٢٢٢/١).

(٣) روى مسلم في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: آلتوبة. قال: بل هي الفاضحة... قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر. قال: قلت: فالحشر؟ قال: نزلت في بني النضير. كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر (٢٣٢٢/٤ رقم ٣١).

(٤) هذا قول غريب، ولم أقف على من قال به. والذي عليه أكثر أهل العلم أن أول سورة نزلت بالمدينة هي البقرة، وهو المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل =

.....وابتدأ[1] بوقعة بدر؛ فإنها البطشة الكبرى[2].

وجابر بن زيد وعكرمة وغيرهم؛ بل قد قال ابن حجر في فتح الباري (١٦٠/٨) عن سورة البقرة: "واتفقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة أنزلت بها". اهـ، ولكن يشكل على هذا الاتفاق ما رواه الواحدي في أسباب النـــزول (ص١٦) عن علي بن الحسين: أن أول سورة نزلت بالمدينة﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾.

ونزول البقرة قبل الأنفال مما لا شك فيه؛ إذ في البقرة فرض الصيام، وقد صام المسلمون رمضان في السنة الثانية للهجرة، فقد صام رسول الله ﷺ تسع رمضانات، والأنفال نزلت في بدر، وبدر في رمضان من السنة الثانية.

وقد يحمل كلام المؤلف -رحمه الله- على أن الأنفال أول سورة نزلت كاملة؛ إذ إن البقرة نزلت مفرقة على سنوات عدة، بل إن فيها آيات الربا والدين وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ البقرة (٢٨٢)، وهنَّ آخر ما نزل من القرآن، كما رُوي عن عمر وابن عباس وجماعة، ولكن إثبات مثل هذا الأمر يحتاج إلى دليل، وخصوصاً أنه معارض بما روي عن علي بن الحسين. والله أعلم.

انظر: زاد المسير (١٩/١)، الدر المنثور (٤٦/١)، الإتقان في علوم القرآن (١١/١، ٢٥).

(١) ص: وابتداء.

(٢) قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦ ﴾ الدخان (١٦).

وقد أخرج ابن جرير الطبري عن ابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ، ومسروق، ومجاهد، وأبي العالية، وإبراهيم النخعي، والضَّحاك، وابن زيد: أن المراد بالبطشة الكبرى في الآية يوم بدر.

انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧٠/٢٥)، وانظر: التعريف ببدر (ص٢٢).

وسبب نزول السورة أن المهاجرين والأنصار اختلفوا في الغنيمة يوم بدر كيف تقسم(١).

وقيل: شرط رسول الله ﷺ لمن يكون له زيادة غناء أن ينفله فتسارع الشبان، وقتلوا سبعين، وأسروا سبعين، وطلبوا النفل المشروط، وكان المال قليلاً، فقال الشيوخ: نحن كنا ردءًا لكم وفئة، كيف(٢) تستبدون بها؟ فنزلت: ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ فقسمها رسول الله ﷺ سواء(٣).

---

(١) عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: "فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بيننا عن سواء".

رواه الإمام أحمد (٣٢٢/٥ رقم ٢٢٧٩٩)، والطبري (٣٧٠/٣)، والبيهقي في السنن (٢٩٢/٦)، والحاكم في المستدرك (١٣٥/٢، ٣٢٦) وصححه.

وأخرج الطبري في تفسيره (٣٧٨/١٣) عن ابن جريج قال: "نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً. قال: واختلفوا، فكانوا أثلاثاً. قال: فنزلت ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ وملكه الله رسوله يقسمه كما أراه الله".

(٢) في ق: فكيف.

(٣) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب في النفل (٨٥/٢ رقم ٢٧٣٧)، والنسائي في الكبرى (٣٤٩/٦ رقم ١١١٩٧)، والحاكم في المستدرك (١٣١/٢)، وصححه ووافقه الذهبي وقال: على شرط البخاري، والطبري (٣٦٨/١٣)، والبيهقي في السنن كتاب الفيء، باب مصرف الغنيمة في ابتداء الإسلام (٢٩١/٦) كلهم بألفاظ متقاربة عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وليس في شيء =

الأَنْفَال: جمع نَفَل بفتحتين، وهي الغنيمة[1] من النَّفْل؛ وهو الزيادة[2]؛ ولذلك سمي ما عدا الفرائض نوافل، ثم تسمية الغنيمة نفلاً لأنها زيادة شرف لهذه الأمة فإنها لم تحلَّ في شريعة[3].

(١) وهذا القول مروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، وعطاء، وابن زيد، واختاره ابن قتيبة، والزجّاج، وأبو المظفر السمعاني، والزمخشري، والبيضاوي، وأبو حيان، وغيرهم.

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٧)، تفسير الطبري (٣٦٢/١٣)، معاني القرآن للزجاج (٣٩٩/٢)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢٤٦/٢)، الكشاف (٥٤٩/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٤/١)، البحر المحيط (٤٥٣/٤)، الدر المنثور (٨/٤).

وفي الآية أقوال أخرى منها:

١- أن الأنفال هي الخمس، وهو قول مجاهد.

٢- أنها ما يعطاه المقاتل زيادة على سهمه من الغنيمة كالسلب ونحوه.

٣- أنها ما شذَّ من أموال المشركين إلى المسلمين من عبد، أو دابة ونحو ذلك، وهو قول عطاء.

انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها)، زاد المسير (٣١٨/٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (نفل) (٣٣٥/١٥)، مفردات ألفاظ القرآن (نفل) (ص٨٢٠).

(٣) عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**». رواه البخاري، كتاب التيمم (٨٦/١)، ومسلم، كتاب المساجد (٣٧٠/١ رقم ٣).

وانظر: تهذيب اللغة (الموضع السابق)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢٤٦/٢).

واستدل به الشافعي على أن الإمام إذا نفّل لا يلزمه الوفاء [به](1)(2).

وعن سعد(3) بن أبي وقاص: قتل أخي عمير يوم بدر، وقتلت سعيد بن العاص(4)، وأخذت سيفه، فأتيت به رسول اللهَّ ﷺ واستوهبته منه فقال: «ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القَبَض»(5) فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا اللهَّ، فما جاوزت إلا قليلاً فناداني رسول اللهَّ وقال: «سألتني السيف ولم يكن لي والآن فقد صار لي

من ألفاظ الحديث أنهم قتلوا سبعين وأسروا سبعين. وانظر: تخريج الكشاف لابن حجر ص(٦٧).
وهذا العدد ثابت في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: "وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيراً وسبعين قتيلا... الحديث". كتاب المغازي (باب ١٠) (٥/١١).

(١) ساقطة من ق.

(٢) انظر: الكشاف (٢/٥٥٠)، تفسير البضاوي (١/٣٧٤).
و لم أقف على المسألة فيما بين يدي من مصادر الفقه الشافعي. والله أعلم.

(٣) في سائر النسخ: سعيد، وهو خطأ والصواب المثبت أعلاه.
وقد وقع مثل هذا الخطأ في فتوح الغيب للطيبي في هذا الموضع (لوحة ٩٣٥). فقد يكون حصل الخطأ هنا عن طريق النقل من فتوح الغيب.

(٤) قال ابن حجر في تخريج الكشاف (ص٦٧): "قال أبو عبيد: كذا يقول: سعيد بن العاص، والصواب العاص بن سعيد، وفي روايتهم: فقتلت سعيد بن العاص لم يقولوا به" اهـ.
وكذا ذكره ابن إسحاق: العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٢١) فيمن قتل من المشركين يوم بدر.

(٥) قال في النهاية (قبض) (٤/٦): "القَبَض بالتحريك بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم". اهـ.

فاذهب وخذه»[1].

وذكر اللهَّ في أمثاله للتعظيم[2].

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأحوال التي بينكم][3] من التخالف، والتخاصم في أمر الغنيمة، وأبدلوها بالتحابب والاتفاق والتآلف، والإضافة للملابسة[4] كقولـه:

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/١٨٠ رقم ١٥٥٦)، وأبو داود كتاب الجهاد، باب في النفل (٢/٨٦ رقم ٢٧٤٠)، والترمذي في التفسير، سورة الأنفال (٨/٢٣٦ رقم ٣٠٨٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٦/٣٤٨ رقم ١١١٩٦)، والطبري (١٣/٣٧٢)، والحاكم (٢/١٣٢)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن كتاب الفيء، باب مصرف الغنيمة في ابتداء الإسلام (٦/٢٩١)، والواحدي في أسباب النزول ص(٢٣٤).

وأصل الحديث في مسلم، كتاب الجهاد، باب الأنفال (٣/١٣٦٧ رقم ٣٣).

(٢) انظر: حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٤٠)، حاشية القزويني على الكشاف المسماة: الكشف عن مشكلات الكشاف (٣/ب).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ص .

وانظر: الكشاف (٢/٥٥٢)، تفسير البيضاوي (١/٣٧٤).

(٤) أي: إضافة ذات لبين.

قال الزمخشري (الموضع السابق): "لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: ذات البين كقولهم: أسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب". اهـ.

لِتُغْنِيَ عَنِّي ذا إِنَائِكَ أَجْمَعَا[1]

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١ ﴾؛ فإن الإيمان يقتضي التقوى وطاعة الله ورسوله وإصلاح[2] ذات البين، أو إن [كنتم][3] كاملي الإيمان[4]، وإنما أتى بإن [مع][5] كونهم[6] مؤمنين كُمَّلاً مقطوعٌ به؛ لأن ما بدا منهم في أمر الغنيمة لم يكن ملائماً لكمال الإيمان.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾: فَرَقاً من جلاله

---

(١) عجز بيت لحُريث الطائي المعروف بالأعور النبهاني، وصدره:

إذا قلتُ قَدْني قال بالله حِلْفَةً ....

انظر: البحر المحيط (٤/٢١١)، وذكره في كتاب شعر طيء وأخبارها (٢/٥٧٨) بلفظ:

إذا قال قطني قال آليت حلفة لتغننّ..........................

وراجع: خزانة الأدب (١١/٤٣٤)، شرح أبيات مغني اللبيب (٤/٢٨٦).

والشاهد من البيت: أنه أضاف ما في الإناء إليه لملابسته لـه كما أضيفت الأحوال إلى البين لملابستها لها.

(٢) في ص: وصلاح.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) انظر: الكشاف (٢/٥٥٢)، تفسير البيضاوي (١/٣٧٤).

(٥) ساقطة من ق.

(٦) في ق: وكونهم.

واستعظاماً لسطوته؛ ولا ينافيه قوله: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]؛ لأن ذلك باعتبار صفة جماله وسعة الرحمة؛ ولذلك كان العبد واقفاً[2] بين الخشية والرجاء[3].

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾؛ لأن تظاهر الأدلة يُوجب زيادة الانكشاف؛ ولذلك بثَّ اللهُ آيات التوحيد في الآفاق والأنفس.

والزيادة عند من يجعل[4] الأعمال داخلة في الإيمان ظاهرة، ومن لم يذهب إلى ذلك يجعل الزيادة في الإيمان الكامل[5]، والحق أن نفس التصديق أيضاً قابل

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) في ص و ق: واقعاً.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٣٥)، شرح العقيدة الطحاوية ص(٤٥٦).

(٤) في ق: جعل.

(٥) مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وقد خالف في ذلك طوائف:

فذهبت المرجئة إلى أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب.

وذهبت الكرامية إلى أنه الإقرار باللسان.

وذهبت الجهمية إلى أنه المعرفة بالقلب.

كما ذهبوا أيضاً إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وأقوالهم هذه مخالفة للكتاب والسنة ولما أجمع عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

قال الإمام البخاري: "كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة و لم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول =

للزيادة(1)، وأنَّ مراتب اليقين متفاوتة؛ ولذلك ترى القوم يقولون: علم اليقين

وعمل". اهـ. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي (٥/٨٨٩).

وقال أبو عثمان إسماعيل الصابوني: "ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية". اهـ. عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٢٦٤).

وقال ابن عبدالبر: "وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر، منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي وأبو جعفر الطبري، ومن سلك سبيلهم فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة. قالوا: وكل ما يطاع الله -عز وجل- به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي". اهـ. التمهيد (٩/٢٤٣).

وانظر: تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٢٤٨)، الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٥٠٥).

(١) فالإيمان -كما ذُكر سابقا- يزيد وينقص وهو: تصديق وقول وعمل.

فالتصديق -كما ذكر المؤلف- قابل للزيادة، وكذا القول والعمل يزيدان بزيادة ما يحبه الله ويرضاه من القول والعمل.

وزيادة التصديق ونقصه في القلب من أوجه عديدة منها:

١- كثرة الأدلة وقوتها فإنه يفيد زيادة الإيمان.

٢- زيادة أعمال القلوب؛ فإن الناس يتفاضلون في الحب والخشية والتوكل والإخلاص ونحو ذلك، ويتفاضلون في سلامة القلوب من الرياء والكبر والحسد ونحو ذلك.

٣- تفاضل التصديق في القلب باعتبار التفصيل والإجمال، فليس إيمان من صدَّق تصديقاً مجملاً بما أخبر به الرسول ﷺ كإيمان من عرف ذلك على التفصيل، وصدَّق به.

فهذه الأوجه وغيرها مما يوضح تفاضل الإيمان الذي في القلب، وأما التفاضل في الأقوال والأعمال =

وفوقه عين اليقين ثم حق اليقين الذي لا رتبة فوقه[1]، وإليه أشار باب العلم[2] -كرم اللهُ وجهه-[3] بقوله: "لو كُشف الغطاء ما ازددت

الظاهرة فهو بيّنٌ ظاهر.

قال ابن رجب -رحمه الله- في جامع العلوم والحكم (ص٢٨): "التصديق القائم بالقلوب يتفاضل، وهذا هو الصحيح، فإن إيمان الصديقين الذين يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتياب ليس كإيمان غيرهم ممن لا يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شُكك لدخله الشك". اهـ.

وانظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٦٢/٧، ٥٧٤)، فتوح الغيب (لوحة ٩٣٧).

(١) علم اليقين: إدراك الشيء إدراكاً جازماً لا يخالطه شك.

وعين اليقين: مشاهدة الشيء والنظر إليه بالعين.

وحق اليقين فوق ذلك وهو: مباشرة الشيء ومخالطته.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وقد مثلت المراتب الثلاثة بمن أخبرك أن عنده عسلاً، وأنت لا تشك في صدقه، ثم أراك إياه فازددت يقيناً، ثم ذقت منه، فالأول : علم اليقين، والثاني: عين اليقين، والثالث: حق اليقين، فعلمنا الآن بالجنة والنار علم يقين، فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين، وشاهدها الخلائق، وبرزت الجحيم للغاوين، وعاينها الخلائق، فذلك عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فذلك حينئذٍ حق اليقين". اهـ. مدارج السالكين (٤٠٣/٢).

وانظر أيضاً: الفتاوى لابن تيمية (٦٤٥/١٠)، مدارج السالكين (٣٨١/٣)، روح المعاني (٤٠٤/٣).

(٢) المراد بـ (باب العلم) علي بن أبي طالب -ﷺ- وقد سماه بعضهم بهذا الاسم لما رُوي في الحديث أنه ﷺ قال: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»، والحديث لا يصح بوجه من الوجوه، وعليه فالتسمية لا تصح.

وقد روى الحديث الترمذي، أبواب المناقب، باب: أنا دار الحكمة وعلي بابها (٣٠٦/٩ رقم٣٧٢٥) عن علي -ﷺ- بلفظ: «**أنا دار الحكمة وعلي بابها**»، وقال الترمذي: حديث غريب منكر. اهـ ورواه الحاكم، كتاب معرفة الصحابة (١٢٦/٣) عن ابن عباس وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وخالفه الذهبي فقال: بل موضوع. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣٤٩/١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا حديث ضعيف، بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث". اهـ. الفتاوى (٣٧٧/١٨).

(٣) في ق: بتكرار: "وجهه".

يقيناً"[1]؛ لبلوغه الغاية القصوى.

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ يفوضون الأمور لعلمهم بأن لا مؤثر إلا قدرته، ولا موجب إلا إرادته[2].

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ خصهما بالذكر

وتخصيص علي -ﷺ- بتكريم الوجه دون غيره من الصحابة -ﷺ- مما نهى عنه العلماء؛ وذلك لأن فيه إفراداً لــه بشيء دون غيره من الصحابة ممن هم مثله أو أفضل منه؛ ولأن مثل هــذا الدعاء أصبح شعاراً لأهل البدع من الرافضة ونحوهم. قال ابن كثير: "وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي -ﷺ- بأن يقال: -عليه السلام- من دون سائر الصحابة، أو "كرم الله وجهه"، وهذا وإن كان معناه صحيحاً؛ لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم. فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه -ﷺ- أجمعين". اهـ. تفسير ابن كثير (٤٦٨/٦)، وفي فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء: "تلقيب علي بن أبي طالب بتكريم الوجه وتخصيصه بذلك من غلو الشيعة فيه... إلخ". فتاوى اللجنة (٢٨٩/٣). وانظر: غذاء الألباب (٣٣/١)، معجم المناهي اللفظية (ص٤٥٤).

(١) ذكره التفتازاني في حاشيته على الكشاف (لوحة ٦٤٠). وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله-: أن هذا من كلام عامر بن عبدالقيس، وليس من قول علي -ﷺ-. مدارج السالكين (٤٠٠/٢).

(٢) وهذا لا ينفي أن يكون للعبد قدرة وإرادة، ولكنهما لا يخرجان عن إرادة الله وقدرته، خلافاً للجبرية الذين يسلبون عن العبد كل قدرة وإرادة، والتأثير إن أريد به تأثير الأسباب في الحوادث فهذا حق لا يجوز نفيه وهو بخلق الله وقدرته، وإن أريد الاستقلال بالأثر والخلق فليس شيء من المخلوقات مؤثراً بل الله خالق كل شيء لا شريك لــه ولا ند. انظر: الفتاوى لابن تيمية (١٣٤/٨).

لكونهما كالدليل على سائرهما[1].

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ الموصوفون بتلك الصفات، ﴿ حَقّٗاۚ ﴾ صفة مصدر أي: إيماناً حقاً، أو مؤكداً للجملة كقولك: زيد قائم حقاً[2]، وبهذا استدلَ من منع الاستثناء في الإيمان، والحق أنْ[3] لا نزاع بين الفريقين؛ [لأن][4] من جوَّز الاستثناء إنما جوزه نظراً[5] إلى الخاتمة، لا أنه ليس موقناً في الحال، ومن منعه إنما منعه بالنظر إليه[6]؛ إذ لا ريب أنه لا طريق لـه إلى العلم بالخاتمة[7].

---

(١) كذا في سائر النسخ بألف الاثنين.

والمقصود أن الله مدح المؤمنين بهذه الصفات الخمس: وجل القلوب عند ذكر الله، وزيادة الإيمان عند تلاوة آياته، والتوكل، والصلاة، والنفقة مما زرقهم الله، وهذه الصفات الخمس هي من الأعمال الباطنة والظاهرة، فالثلاث الأُول من أعمال القلوب الباطنة، والأخيرتان من الأعمال الظاهرة، والأعمال الظاهرة إما بدنية فرأسها الصلاة، وإما مالية وهي النفقة، فقد يكون مراد المؤلف -والله أعلم- أن الصلاة والنفقة كالدليل على سائر الأعمال البدنية والمالية.

وانظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٦/٧ وما بعدها)، البحر المحيط (٤٥٥/٤).

(٢) انظر: الكشاف (٥٥٣/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٥/١).

(٣) في الأصل: وأن.

(٤) ساقطة من ص.

(٥) كذا في سائر النسخ، وفي الأصل: إنما جوز الاستثناء نظراً... إلخ. ولعل المثبت أعلاه أولى.

(٦) أي: إلى الحال.

(٧) اختلف العلماء في حكم الاستثناء في الإيمان على ثلاثة أقوال:

=

أولئك ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ منازل عالية في جوار ربهم. ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ وتجاوز عما فرط منهم، وإنما قدم الدرجات على المغفرة؛ لأن الكلام في الكُمّل من المؤمنين، فالأهم معرفة الدرجات لأن المغفرة لهم كالمقطوع به ﴿ وَرِزْقٌ

الأول: أنه واجب، وهو قول بعض المنتسبين للحنابلة، قالوا: لأنه في تركه تزكية للنفس، ولأن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، ومن شهد لنفسه بالإيمان فقد ادعى قيامه بجميع ذلك، وبعض هؤلاء لهم مأخذ آخر في الإيجاب وهو: أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به قالوا: والإيمان الذي يعقبه الكفر ويموت صاحبه كافراً ليس بإيمان، وتعليلهم هذا ليس من قول السلف ولا كان يعلل به من يستثني من السلف.

الثاني: أنه محرم، وهو قول المرجئة والجهمية ونحوهم الذين يجعلون الإيمان شيئاً واحداً، ولا يُدخلون الأعمال في مسمى الإيمان، وحجتهم: أن من استثنى فقد شك، والشك لا يجوز.

الثالث: مذهب أهل السنة الجماعة، وهو قول عامة السلف: أنه يجوز باعتبار، ويحرم باعتبار؛ فيحرم إذا كان للشك، ويجوز باعتبارات ثلاثة هي:

١- أن الإيمان المطلق يتضمن فعل كل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى عنه، وهذا لا يجزم به العبد.

٢- كما يجوز الاستثناء إذا كان قصده عدم علمه بالعاقبة.

٣- ويجوز أيضاً إذا كان تعليقاً للأمر بمشيئة الله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ التكوير (٢٩).

انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢٩/٧ وما بعدها)، الاستقامة (١٤٩/١)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٩٤).

كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ شريف لا آفة فيه ولا انقطاع.

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ملتبساً به، مصاحباً لـه، خبر مبتدأ محذوف أي: كراهتهم تسويتك في الغنائم بين الشبان والشيوخ، أو التنفيل مثل كراهتهم خروجك للحرب[1]، أو صفة مصدر محذوف أي: الأنفال استقرت لله مثل استقرار إخراج[2] ربك من بيتك[3]، والوجه الأول أولى لعدم التقدير وطول الفصل[4].

﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ في موقع الحال، أي:

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٦٥/١)، الكشاف (٥٥٣/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٥/١).

(٢) في ق: مثل إخراج استقرار.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن (٣٩٩/٢-٤٠٠)، وجوزه الزمخشري (٥٥٤/٢)، والبيضاوي (الموضع السابق).

قال الزمخشري في بيان هذا الوجه: "أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله: ﴿ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ أي: الأنفال استقرت لله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون". اهـ.

وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٦٥/١)، مشكل إعراب القرآن (٣٤٠/١)، البسيط (١٢٧/١ وما بعدها)، البيان لابن الأنباري (٣٨٣/١)، التبيان للعكبري (٦١٦/٢).

(٤) انظر: البحر المحيط (٤٥٧/٤)، حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٤١).

أخرجك في حال كراهتهم[1]، وذلك أن أبا سفيان أقبل من الشام في عير فيه تجارة عظيمة لقريش[2]، وفي العير أربعون راكباً[3]/ منهم أبوسفيان بن حرب، وعمرو بن العاص، والقول بأن عمرو بن هشام[4] كان معهم سهوٌ[5]؛ لأن عمرو بن هشام اسم أبي جهل، وكان في النفير دون العير[6]، وقُتِلَ[7] في بدر[8]، فأخبر جبريل رسول

---

(١) انظر: الكشاف (٢/٥٥٤)، تفسير البيضاوي (١/٣٧٥).

(٢) قريش: قبيلة من أكبر قبائل العرب وأشرفهم، وهم جيران البيت الحرام، أبناء النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، قيل: سميت قريشاً من التقرش، وهو التجارة والاكتساب، وقيل: لتجمعها، يقال للتجمع: التقرش.

انظر: السيرة لابن هشام (١/١٢٨)، نهاية الأرب (ص٣٥٦).

(٣) ق: في أربعين راكباً.

(٤) أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي، رأس الكفر في مكة، وفرعون هذه الأمة، قاد المشركين في غزوة بدر وقُتِل فيها.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٤٥)، البداية والنهاية ٣/٢٨٧).

(٥) في حاشية جميع النسخ: قائله الكشاف والقاضي، والمراد بالقاضي: القاضي البيضاوي.

وانظر: الكشاف (٢/٥٥٤)، البيضاوي (١/٣٧٥).

(٦) العير والنفير يأتي معناهما .

(٧) في ق: قتل بحذف الواو.

(٨) انظر: المغازي للواقدي (١/٦٣، ١٤٩)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٤٥)، وقد أخرج البخاري خبر قتله في بدر كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل (٥/٦)، ومسلم كتاب الجهاد، باب قتل أبي جهل (٣/١٤٢٤ رقم ١١٨).

اللهَّ ﷺ بإقبال العير، فأخبر المسلمين، ففرحوا بذلك لعلمهم بكثرة المال وقلة الرجال، فلما خرج رسول اللهَّ ﷺ متوجهاً لأخذ الركب، وبلغ ذلك أهل مكة فصعد أبو جهل سطح الكعبة ونادى: يا أهل مكة عيركم وأموالكم، إن أصابها محمد لن تفلحوا أبداً، وأما أبوسفيان فإنه خاف من خروج رسول اللهَّ ﷺ لقصد العير فأبعد عن الطريق، وأخذ ساحل البحر، وأرسل يخبرهم بنجاة العير، ويأمر أهل مكة بالرجوع، فقال أبو جهل: كلا والله حتى نَرِدَ بدراً، فنشرب بها الخمور، وننحر الجزور، وترد علينا المعازف والقَيْنَات(١)، وتدور بيننا الكاسات، وتسمع العرب بأنَّا(٢) قد خرجنا وحضرنا بدراً ومحمدٌ عاد ولم يظفر بما أراده، فنزل جبريل

وبدر: اسم ماء مشهور بين مكة والمدينة، ينسب إلى رجل يقال لـه: بدر بن يَخْلُد، وقيل غير ذلك، وفي هذا الموضع كانت الوقعة الشهيرة التي أظهر الله فيها الإسلام وأهله بقيادة رسول الله ﷺ على صناديد كفار قريش، وكانت في رمضان من السنة الثانية للهجرة.

وبدر الآن بلدة نامية تابعة في شئونها الإدارية لإمارة المدينة المنورة، وهي تبعد عن المدينة مسافة (١٥٥) كيلاً إلى الجنوب الغربي، وتبعد عن مكة (٣١٠) كيلاً.

وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢١٨ وما بعدها)، معجم البلدان (١/٣٥٧)، معجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري (ص٦٨).

(١) القينات: جمع قَيْنَة وهي الأمة مُغَنِّيَةً كانت أو غيرها، وكثيراً ما تطلق على المغنية من الإماء، وتجمع أيضاً على قِيان.

انظر: معجم مقاييس اللغة (قين) (٥/٤٥)، النهاية (قين) (٤/١٣٥).

(٢) في ق: بأننا.

وأخبر رسول اللهَّ بأمر العير وخروج قريش وأن اللهَّ وعده إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريشاً فاختر أيهما شئت، فاستشار رسول اللهَّ ﷺ المهاجرين والأنصار؛ فقال: "إن اللهَّ وعدني إحدى الطائفتين[1]، فأيهما أحب إليكم العِيْر أو النَّفِيْر[2]؟" فقالوا: العير أحب إلينا؛ لأنا لم نخرج للقاء العدو، وليس معنا العَدَد والعُدد[3]. فقال رسول اللهَّ ﷺ: "قد أخذ العير ساحل البحر [وأبعد][4]، وهذا أبو جهل قد أقبل في كفار قريش". فقالوا: يا رسول اللهَّ عليك بالعير ودع العدو. فلما علم أبوبكر وعمر أن رسول اللهَّ ﷺ يريد لقاء العدو فقاما وتكلما وأحسنا في المقال، ثم قام سعد بن عبادة سيد الخزرج من الأنصار وقال: يا رسول اللهَّ امض لأمرك

---

(١) في ق تكرار ونصه: إحدى الطائفتين إما العير، وإما قريشاً فاختر أيهما شئت فأيهما أحب... إلخ.

(٢) العِيْرُ: الإبل بأحمالها.

انظر: النهاية (عير) (٣/٣٢٩).

والمقصود هنا القافلة التي فيها تجارة قريش، والتي كانت بصحبة أبي سفيان -رضي الله عنه-.

النَّفِيْر: القوم الذين يخرجون للنجدة والقتال.

انظر: النهاية (نفر) (٥/٩٢).

والمراد بهم هنا قريش الذين خرجوا بصناديدهم لقتال المسلمين.

(٣) في ص: العُدد والعَدد.

(٤) ساقطة من ق.

فوالله لو ذهبت إلى عَدَن لم يتخلف عنك رجل من الأنصار. ثم قال مقداد بن الأسود: امض يا رسول الله لما أمرك الله فإنا لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا [إنا ها هنا قاعدون بل نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا](1) إنا معكما مقاتلون، ثم قال رسول الله: "أشيروا عليَّ أيها الناس". وكان يريد بذلك الأنصار؛ لأنهم لما بايعوه ليلة العقبة(2) قالوا: إنا برءاء من ذِمَامِك(3) حتى تصل إلى ديارنا فكان رسول الله يتخوف(4) أن لا يرى الأنصار نصرته إلا إذا كان مقيماً بالمدينة، ففطن لذلك سعد بن معاذ سيد الأوس، فقام وقال: كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: "أجل"، قال: قد آمنا بك وصدقناك، وأيقنا أن ما جئت به هو الحق، امض يا رسول الله لما أردته، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه ولم يتخلف منا رجل،

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من ق.

(٢) هي الليلة التي بايع فيها الأنصار رسول الله ﷺ في ليلة الثالث من أيام التشريق، وتسمى بيعة العقبة الثانية، وذلك أنهم بايعوه عند العقبة من منى وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين.

انظر خبر البيعة في: سيرة ابن هشام (٢/٥٢)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٢٢١)، زاد المعاد (٣/٤٣).

(٣) الذمام: العهد والأمان والكفالة.

انظر: المعجم الوسيط (١/٣٢٧).

(٤) في الأصل وَ ص: يتخوق.

وما نكره أن تلقى بنا عدونا، إنا لَصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، ولعل[1] اللهَّ أن يُريك منا[2] ما تقرُّ به عينك، فَسِرْ بنا يا رسول اللهَّ على بركة اللهَّ. فاستنار وجه رسول اللهَّ، ونشَّطَه قول سعد، وقال: "سيروا على بركة اللهَّ وأبشروا والله لكأني أرى مصارع القوم"[3].

---

(١) في ص: لعل.

(٢) في ق: بنا.

(٣) أخرجه الطبري بنحوه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق ابن إسحاق (٣٩٩/١٣)، وذكره ابن هشام في السيرة (٢٢٧/٢).

وانظر: زاد المعاد (١٧٢/٣)، البداية والنهاية (٢٦٢/٣).

وقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود -ﷺ- قال: "شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إليَّ مما عُدِل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركيــن فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرَّه يعني قوله". كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ... ﴾ (٤/٥).

وأخرج مسلم عن أنس -ﷺ-: "أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبوبكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله ﷺ الناس..." وفيه: فقال رسول الله ﷺ : "هذا مصرع فلان" قال: ويضع يده على الأرض ههنا وههنا قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله

=

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ ﴾ لقاء العدو ﴿ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ لهم بإعلامك، وكان(1) الأَوْلى بهم الانقياد والتسليم.

﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾ أي: بلغ كراهتهم لقاء العدو هذا(2) المبلغ. ولم يكن كراهتهم ذلك لجبن بهم، بل لأنهم لم يخرجوا على أهبة القتال(3)، وكان الكلام من رسول الله ﷺ على سبيل المؤامرة، ولذلك لما علموا منه

ﷺ". كتاب الجهاد، باب غزوة بدر (٣/١٤٠٣ رقم ٨٣).

وظاهر هذا الحديث يخالف ما ذكره المؤلف من أن القائل سعد بن معاذ -رضي الله عنه-، قال الحافظ ابن حجر -بعد أن ذكر حديث مسلم-: "وفيه نظر؛ لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدراً، وإن كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب لـه بسهمه... ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان وذلك بيّن في رواية مسلم ولفظه: "أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، والثانية: كانت بعد أن خرج كما في حديث الباب (حديث المقداد السابق)... إلخ". فتح الباري (٨/١٤، ط دار الفكر).

(١) الواو ساقطة من الأصل.

(٢) ق: وهذا.

(٣) قال الواحدي في البسيط (١/١٣٦): "قال أهل المعاني: إنما كانت تلك المجادلة طلباً للرخصة؛ لأنهم لم يستعدوا للقتال، وقلّ عددهم وكانوا رجّالة، ولم يكن معهم إلا فارسان فخافوا... إلخ".

وانظر: تفسير الطبري (١٣/٣٩٦)، تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/٥)، تفسير البغوي (٣/٣٢٨).

العزم تكلموا، فأحسنوا في المقال، ولما لاقوا العدو فعلوا ما يفعله الأبطال.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ العير أو النفير، نصبٌ على إضمار اذكر[1] ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ بدل اشتمال[2] ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ أي: العير لقلة رجاله، والشوكة: شدة البأس وحدُّ السلاح مأخوذ من الشَّوْك[3]. ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ يثبته ويحكمه ﴿ بِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ بآيه[4] المنزلة بمحاربة[5] ذات الشوكة، وإمداد المؤمنين بالملائكة، وقتل[6] الكفار وأسرهم[7]. ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٧ ﴾ يستأصلهم، دابر القوم: آخرهم[8]. أي: تريدون

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠١/٢)، مشكل إعراب القرآن (٣٤١/١)، البيان لابن الأنباري (٣٨٣/١).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٦٦/١)، مشكل إعراب القرآن، البيان لابن الأنباري (الموضعين السابقين)، تفسير البيضاوي (٣٧٦/١).

(٣) انظر: الصحاح (شوك) (١٥٩٥/٤)، لسان العرب (شوك) (٤٥٤/١٠).

(٤) ق: بآيته.

(٥) ص: لمحاربة، وَ ق: المحاربة.

(٦) في ق: وقتال.

(٧) انظر: الكشاف (٥٥٦/٢).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٤٠٧/١٣)، المفردات (دبر) (ص٣٠٧).

أنتم المتاع الدني العاجل[1]، والله يريد معالي الأمور من هلاك العدو، ونصرة الدين[2]، وإعلاء الحق، والفوز في الدارين.

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ ﴾ فعل ما فعل، أي: لهذا الغرض -الذي هو سيد الأغراض- أراد لكم [لقاء][3] العدو، فلا تكرار إذ الأول لبيان [مراده و][4] مرادهم، وهذا لبيان تفاوت الغرض[5].

﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ ما فعل.

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ بدل من ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾[6]، أو يتعلق بقوله:

---

(١) في ق: هو العاجل.

(٢) في الأصل: الذين.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من ص.

(٥) بأن بيّن الحكمة فيما فعل تعالى. قال الزمخشري: "فإن قلت: أليس هذا تكريراً؟ قلت: لا؛ لأن المعنيين متباينان، وذلك لأن الأول تمييز بين الإرادتين، وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض". اهـ. الكشاف (٢/٥٥٧).

وانظر: حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٤٢).

(٦) هذا قول الزمخشري، وابن عطية، وابن الأنباري، وجوزه العكبري.

انظر: الكشاف (٢/٥٥٧)، المحرر الوجيز (٢/٥٠٤)، البيان لابن الأنباري (١/٣٨٤)، التبيان للعكبري (٢/٦١٧).

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾(١) وهذا أولى؛ لأن زمان الوعد غير زمان الاستغاثة(٢)، والمبدل والمبدل منه(٣) متحدان ذاتاً، أو منصوب باذكر(٤).

لما تحققوا أنْ لابد من القتال مع قلة العَدَد والعُدَد وكثرة العدو(٥) أخذوا في الاستغاثة وطلب النصر من اللهَّ تعالى، ولما صفَّ رسول اللهَّ المسلمين رجع إلى العريش ورفع يديه مستقبل القبلة، وقال: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إنْ تهلك هذه العصابة لا تُعبد في [الأرض](٦)"، وبالغ في رفع اليدين حتى سقط رداؤه، فقال أبو بكر: "كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك"، فخرج

(١) قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ حين تستغيثون ربكم، فإذ من صلة ﴿ يُبْطِلَ ﴾ " اهـ. (١٣/٤٠٨).

(٢) وذلك أن الله تعالى وعد نبيه ﷺ إحدى الطائفتين أولاً، وقد أخبر ﷺ أصحابه بذلك حين استشارهم بعد علمه بخروج قريش لحماية العير، وأما زمان الاستغاثة فكان بعد أن بلغ النبي ﷺ بدراً، وحضر المشركون كما يدل عليه الحديث الآتي.

وهذا خلاف ما ذكره ابن عطية -رحمه الله- حيث قال: "... فإن الوعد في وقت الاستغاثة". اهـ، المحرر الوجيز (٢/٥٠٤).

(٣) في الأصل وَ ق: والبدل والمبدل.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن (١/٦٦٦)، وجوزه العكبري في التبيان (٢/٦١٧).

وانظر الأوجه الثلاثة في: تفسير البيضاوي (٢/٦١٧).

(٥) في ص: مع قلة العَدَد وكثرة العدو.

(٦) ساقطة من ص.

يثب في درعه وهو يقرأ: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1][2]".

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم ﴾ أي: بالإمداد، وقرئ (إن) بالكسر[3]؛ لأن الاستجابة نوع من القول[4] ﴿ بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ مُتْبِعاً بعضهم بعضاً من أَرْدَفْتُهُ إذا جعلتُه تابعاً وهي لغة أكثر العرب، أو تابعاً بعضهم بعضاً من قولك: أردفتُه إذا اتَّبَعْتُه قاله[5] الزجّاج[6]

(١) سورة القمر، آية (٤٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (٦/٥٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وهو في مسلم بلفظ مقارب، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٣٨١/٣ رقم ٥٨) عن عمر -رضي الله عنه-.

(٣) قرأ بها عيسى بن عمر، ورواها عن أبي عمرو.

راجع: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص٤٨، ٤٩)، البحر المحيط (٤٦٠/٤).

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٦٧/١).

وقال أبو حيان في البحر المحيط (الموضع السابق): "بكسرها على إضمار القول على مذهب البصريين، أو على الحكاية بـــ (استجاب) لإجرائه مجرى القول". اهـــ.

والثاني هو مذهب الكوفيين، ذكره السمين الحلبي في الدر المصون (٥٦٦/٥).

(٥) في ق: قال.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجّاج (٤٠٢/٢).

=

والأخفش[1]، وعلى الوجهين معناه تلاحق الملائكة إلى أن بلغ خمسة آلاف، فيوافق ما في آل عمران[2]، فيكون ذلك تفصيلاً لهذا الإجمال؛ لأن تلك السورة متأخرة/ نزولاً[3].

والزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي، تتلمذ على المبرد، وانتهت إليه رئاسة النحو في البصرة، كان فاضلاً عالماً ديّناً، توفي عام (٣١١هـ) وقيل غير ذلك.

انظر: معجم الأدباء (٨٢/١)، سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤)، بغية الوعاة (٤١١/١).

(١) الأخفش هو: سعيد بن مسعدة أبو الحسن مولى بني مجاشع المعروف بالأخفش الأوسط، قرأ النحو على سيبويه، قال السيوطي: "كان معتزلياً". اهـ. لـه العديد من المصنفات منها: معاني القرآن وغيره، توفي عام (٢١٥هـ) وقيل غير ذلك.

انظر: معجم الأدباء (٣٨٢/٣)، بغية الوعاة (٥٩٠/١).

والنقل عنه لم أقف عليه في معاني القرآن. والله أعلم. وانظر: الوجهين في الكشاف (٥٥٨/٢-٥٥٩)، وقال أبو حيان في توضيحهما: "اتَّبع" مشدداً يتعدى إلى واحد، و "أتبع" مخففاً يتعدى إلى اثنين، و (أردف) أتى بمعناهما، والمفعول لـ "اتبع" محذوف، والمفعولان لـ "أتبع" محذوفان، فيقدر ما يصح به المعنى". البحر المحيط (٤٦٠/٤).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (١٢٣-١٢٥).

(٣) اختلف العلماء في الإمداد المذكور في سورة آل عمران على أقوال:

=

وقرأ نافع[1] ﴿مردَفين﴾ بفتح الدال[2] على أن الله تعالى أردف الملائكة بعضها بعضاً، أو أردفها[3] المؤمنين[4].

الأول: أن الله وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدهم بالملائكة إن أتاهم العدو من فورهم، فلم يأتوهم و لم يمدوا، وهو قول الشعبي.

الثاني: أن هذا الإمداد يوم بدر، فصبر المؤمنون واتقوا فأمدهم الله بالملائكة، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ورواية عن عكرمة. وحجة هؤلاء أن السياق في غزوة بدر لأنه تعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ... الآيات﴾.

الثالث: أن هذا الإمداد كان يوم أحد، وكان إمداداً معلقاً بشرط، وهو الصبر والتقوى، فلما فات الشرط فات الإمداد، وهو قول الضحاك ومقاتل، وإحدى الروايتين عن عكرمة.

واختاره سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- (من تعليقه على زاد المعاد في درسه مساء الأربعاء ١٧/١٠/١٤١٦هـ).

واحتج هؤلاء بأن القصة في سياق غزوة أحد، وإنما أدخل ذكر بدر اعتراضاً في أثنائها، والقصة في آل عمران هي قصة أحد، والقصة في سورة الأنفال هي قصة بدر.

انظر: الطبري (١٧٣/٧)، تفسير البغوي (٩٨/٢)، زاد المسير (٤٥٠/١)، زاد المعاد (١٧٧/٣)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥١٥/٥).

(١) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم وقيل: أبو نعيم الليثي مولاهم، أحد القراء السبعة، ثقة صالح عابد، أخذ القراءة عن الأعرج وأبي جعفر وغيرهما، واشتهر بالرواية عنه قالون وَورش، كان أسود اللون، حسن الخُلُق، يباسط أصحابه، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، توفي عام ١٦٩هـ.

انظر: معرفة القراء الكبار (١٠٧/١)، غاية النهاية (٣٣٠/٢).

(٢) انظر: السبعة (ص٣٠٤)، التيسير في القراءات السبع (ص٩٥)، النشر (٣٧٥/٢).

(٣) في ق: وأردفها.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٠٤/١)، تفسير الطبري (٤١٤/١٣)، الحجة لابن خالويه (ص١٦٩).

فإن قلت: من فسر المردفين بالملائكة المتبعين للمؤمنين أو المتبعين إياهم كيف يوفق [بين][1] ما في السورتين والقصة واحدة؟.

قلت: لـه أن يقول الألف كان مقدمة[2] المؤمنين، ولا يلزم منه انحصار الملائكة المنزلة للنصر فيهم. وقد صحت الأحاديث بقتال الملائكة يوم بدر[3].

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ الإمداد بالملائكة[4] ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ إلا بشارة، شبه

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) في ق: متقدمة.

(٣) قال الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً: حدثني إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرقي عن أبيه -وكان أبوه من أهل بدر- قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: "ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: **من أفضل المسلمين** -أو كلمة نحوها- قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة". (٨/٤٤ فتح الباري ط. دار الفكر).

وروى مسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حَيْزُوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه، وشُق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: "**صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة**" فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين". كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (٣/١٣٨٣ رقم ٥٨).

وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٤٤).

(٤) وهو قول الزمخشري، والبيضاوي، وأبي حيان وغيرهم. واختار الطبري أن الضمير عائد على =

الفعلَ السارَّ بالخبر فأطلق عليه البشارة استعارة[1] ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾[2]، إذا رأيتم مدد السماء[3] وكثرة العدد ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لا أثر للكثرة ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً [4] ﴾[5] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يغالب ﴿ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ ينصر من يشاء لسبق حكمته.

الإرداف، وأما ابن عطية فاختار أن الضمير عائد على الوعد.

انظر: الطبري (١٣/٤١٧)، الكشاف (٢/٥٥٩)، المحرر الوجيز (٢/٥٠٥)، تفسير البيضاوي (١/٣٧٧)، البحر المحيط (٤/٤٦١).

(١) قال السكاكي في تعريف الاستعارة: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به". اهـ. مفتاح العلوم (ص٣٦٩).

وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص٤٠٧)، معترك الأقران (١/٢٠٨).

(٢) به. ساقطة من الأصل وَ ص.

(٣) ق: مدد الملائكة.

(٤) في الأصل: كم من فئة كثيرة قليلة غلبت فئة كثيرة.

وفي ص: كم من فئة قليلة كثيرة إن الله...

(٥) سورة البقرة، آية (٢٤٩).

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ ﴾ منصوب باذكر، أو بـ﴿ مَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾[1]، وقيل[2]: متعلق بـ﴿ ٱلنَّصْرُ ﴾، أو بما في ﴿ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ من معنى الفعل.

وفيه: أن النصر يتقيد[3] بذلك الوقت، مع أن المراد عمومه في سائر الأزمان والمواطن[4]".

قرأ[5] نافع بضم الياء وتخفيف الشين، وابن كثير[6] وأبو عمرو[7] بفتح

---

(١) قال الزجاج: " ﴿ إِذْ ﴾ موضعها نصب على معنى وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت، ويجوز على أن يكون: اذكروا إذ يغشيكم النعاس". اهـ. معاني القرآن (٢/٤٠٣).

(٢) في حاشية الأصل وَ ق: قائله القاضي والكشاف.

وانظر: الكشاف (٢/٥٦٠)، البيضاوي (١/٣٧٧).

(٣) ق: بتقدير.

(٤) انظر: البحر المحيط (٤/٤٦١).

(٥) ق: وقرأ.

(٦) عبدالله بن كثير بن عبدالله المكي، ولد عام ٤٥هـ، أحد القراء السبعة الأعلام، أخذ القراءة عن عبدالله بن السائب المخزومي ومجاهد بن جبر وغيرهما، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بمكة، اشتهر بالرواية عنه البزيّ وقنبل، توفي عام ١٢٠هـ.

انظر: معرفة القراء الكبار (١/٨٨)، غاية النهاية (١/٤٤٣).

(٧) أبو عمرو بن العلاء: اختُلِفَ في اسمه فقيل: زبان، وقيل: يحيى، وقيل: اسمه كنيته، ابن العلاء بن عمار المازني التميمي البصري، أحد القراء السبعة، ولد بمكة عام ٦٨هـ، أخذ القراءة عن كثير من التابعين، اشتهر بالرواية عنه الدوري والسوسي، توفي عام ١٥٤هـ.

انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٠٠)، غاية النهاية (١/٢٩٠).

الياء وإسكان الغين من باب فَعَلَ يَفْعَلُ [ورفع النعاس](1)، والباقون بضم الياء وتشديد الشين(2)، والمختار قراءة ابن كثير وأبي عمرو لإسناد الفعل إلى النعاس؛ لكونه المباشر القريب، ولاتفاق السبعة عليه في ﴿ يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾(3)(4).

﴿ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ أمناً من الله، مفعول له(5).

فإن قلت: فعلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو كيف يكون مفعولاً له وشرط نصبه أن يكون فاعل الفعل(6) المعلَّل(7) والعلة واحداً؟.

---

(1) ساقطة من ق.

(2) انظر: السبعة (ص٣٠٤)، التيسير (ص٩٥)، النشر (٢/٢٧٦).

(3) آل عمران، آية (١٥٤).

(4) واختار ابن جرير -رحمه الله- قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ ﴾ قال -رحمه الله- مبيناً أسباب الترجيح: "لإجماع جميع القرأة على قراءة قوله: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ بتوجيه ذلك إلى أنه من فعل الله -ﷻ- فكذلك الواجب أن يكون كذلك ﴿ يُغَشِّيكُمُ ﴾ إذ كان قوله: ﴿ وَيُنَزِّلُ ﴾ عطفاً على ﴿ يُغَشِّيكُمُ ﴾ ليكون الكلام متسقاً على نحو واحد". اهـ. تفسير الطبري (١٣/٤٢١).
وانظر: الكشف لمكي بن أبي طالب (١/٤٨٩).

(5) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٦٦٨)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٤٣)، البيان لابن الأنباري (١/٣٨٥).

(6) في: ق: فعل فاعل الفعل.

(7) الفعل المعلل هنا هو: يغشى.

قلت: لما كان معنى ﴿ يَغْشَاكُم النُّعاسُ ﴾ تنعسون، انتصب على أن النعاس والأمنة لهم، والمعنى: إذ تنعسون لأمنكم، و ﴿ مِّنْهُ ﴾ صفة أي: أمنة حاصلة لكم من الله، ويجوز أن يكون الأمنة فعل النعاس مجازاً[1]، ولأصحابه حقيقة كما هو الشائع في نظائره، وقد سلك هذا المسلك من قال:

يَهابُ النومُ أنْ يَغْشَى عُيُوناً   تَهابُك[2] فهو نَفَّارٌ شَرُود[3][4]

﴿ وَيُنَزِّلُ[5] عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ

---

(١) المجاز لغة: من جزت الطريق وجاز الموضع سار فيه وسلكه، والمجاز والمجازة: الموضع.

انظر: لسان العرب (جوز) (٣٢٦/٥).

وفي الاصطلاح: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته.

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص٣٩٤)، معترك الأقران (١٨٧/١).

(٢) في ق: يهابك.

(٣) البيت للزمخشري يقول: إن النوم يخاف أن يغشى عيوناً تخافك فهو ينفر منها ويشرد.

انظر: الكشاف (٥٦١/٢)، الكشف للقزويني (٥/أ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤٤٣/٤)، روح المعاني (٢٥٤/٦).

(٤) راجع الأوجه السابقة في: الكشاف (٥٦٠/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٧/١).

(٥) الواو ساقطة من الأصل.

ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ وسوسته[1].

والرِجْز لغةً: القَذَر[2] فإنهم نزلوا على كَثِيْب أَعْفَر[3] تَسُوخ[4] فيه الأقدام، ونزل المشركون على الماء، وباتوا تلك الليلة فاحتلم أكثرهم فوسوس إليهم الشيطان فقال: أنتم أصحاب محمد، وتزعمون أنكم على الحق، وإنكم تصلون مع الجنابة، وقد عطشتم، وهؤلاء لا ينتظرون إلا أن يغلبكم العطش، فيقتلون منكم من شاؤوا، ويسوقون بقيتكم أُسَرَاء، فأنزل اللهُ المطر الغزير حتى سال الوادي فاغتسلوا، وسقوا الركاب وتلبَّد الرمل حتى تثبت عليه الأقدام[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٠٤/١)، تفسير الطبري (٤٢٥/١٣)، معاني القرآن للزجاج (٤٠٤/٢).

(٢) انظر: الصحاح (رجز) (٨٧٨/٣)، لسان العرب (رجز) (٣٥٢/٥).

(٣) الأعفر: الأبيض، قال الجوهري: "وليس بالشديد البياض". الصحاح (عفر) (٧٥٢/٢).
وقال التفتازاني في حاشيته على الكشاف (لوحة٦٤٣): "الأعفر: رمل أبيض تخالطه حمرة". اهـ.

(٤) تسوخ الأقدام وتسيخ: أي تدخل في الأرض وتغوص فيها.
انظر: لسان العرب (سوخ) (٢٧/٣).

(٥) أخرجه ابن جرير بمعناه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي، وغيرهم. (٤٢٣/١٣ وما بعدها).
وانظر: تفسير البغوي (٣٣٤/٣)، تفسير ابن كثير (٥٦٣/٣)، الدر المنثور (٣٢/٤).

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ بزوال الوسوسة والوثوق بلطفه[1] تعالى ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ بالمطر، أو بالربط وإزالة الخوف حتى تثبتوا في المعركة[2].

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ متعلق بـ ﴿يُثَبِّتَ﴾[3] ﴿أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ بالإعانة والنصر[4]، وقُرئ بالكسر؛ لأن الوحي فيه معنى القول[5].

---

(١) في ص: بلفظه.

(٢) انظر القولين في: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٠٤)، إعراب القرآن للنحاس (١/٦٦٩)، الكشاف (٢/٥٦٢)، المحرر الوجيز (٢/٥٠٧)، تفسير البيضاوي (١/٣٧٧)، البحر المحيط (٤/٤٦٣).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٦٦٩).

(٤) معية الله تعالى لخلقه نوعان:

الأول: معية عامة كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ الحديد، آية (٤).

ومن مقتضاها: العلم والإحاطة والاطلاع على جميع الخلق.

الثاني: معية خاصة كقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾، وكقوله: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة، آية (٤٠)، وقوله ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ طه، آية (٤٦).

ومن مقتضاها: الحفظ والإعانة والنصر والتأييد.

انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/١٠٣)، (١١/٢٤٨)، مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٠٧).

(٥) قرأ بالكسر عيسى بن عمر، قاله أبوحيان في البحر المحيط (٤/٤٦٣) قال -رحمه الله-: "بكسر =

﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ ﴾ بكثرة العدد، أو بالبشارة بأن النصر لهم[1] أو بالمحاربة[2][3].

﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ تفسير لقوله: ﴿ أَنِّى مَعَكُمْ

الهمزة على إضمار القول على مذهب البصريين، أو على إجراء ﴿ يُوحِى ﴾ مجرى "تقول" على مذهب الكوفيين". اهـ.

(١) قال مقاتل: "بشروهم بالنصر، فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل فيقول: أبشروا فإن الله ناصركم". رواه البغوي (٣/٣٣٤).

وانظر: البسيط (١/١٥٦)، الكشاف (٢/٥٦٢)، زاد المسير (٣/٣٢٩).

(٢) قاله الحسن.

انظر: الوسيط (٢/٤٤٨)، زاد المسير (الموضع السابق)، البحر المحيط (٤/٤٦٣).

(٣) ذكر الاحتمالات الثلاثة البيضاوي (١/٣٧٧)، وليس بينها تعارض، بل اللفظ يشملها جميعاً وما جاء في معناها كقول الزجاج في معاني القرآن (٢/٤٠٤):

"جائز أن يكون أنهم يثبتونهم بأشياء يلقونها في قلوبهم تقوى بها، وجائز أن يكونوا يرونهم مدداً فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا". اهـ.

وقول الطبري (١٣/٤٢٨): "قووا عزمهم، وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين". اهـ.

وقول الزمخشري (٢/٥٦٢): "ويجوز أن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال، وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة". اهـ.

وانظر أيضاً: تفسير الطبري (الموضع السابق)، معاني القرآن للنحاس (٣/١٣٧)، المحرر الوجيز (٢/٥٠٧-٥٠٨)، زاد المسير (٣/٣٢٩)، البحر المحيط (٤/٤٦٣).

فَثَبِّتُواْ ﴾ ولا إعانة أقوى من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة، ولا تثبيت أشد من ضرب الأعناق، واجتماعهما نهاية النصر(١).

ويحتمل أن يكون [قوله](٢): ﴿ سَأُلْقِى ... إلى قولـه: كُلَّ بَنَانٍ ﴾ تلقيناً للملائكة وتعليماً لهم ما يثبتون به المؤمنين؛ كأنه قال لهم: قولوا [لهم](٣): قولي هذا(٤).

ومَنْ جعل ﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ تفسيراً لقوله: ﴿ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ﴾ بعد تفسير التثبيت بالبشارة وتكثير العدد، ثم جعل التفسير دليلاً على أن الملائكة قاتلوا فقد التزم ما لا يلزم(٥)(٦).

---

(١) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٤) انظر: الكشاف (٢/٥٦٣)، تفسير البيضاوي (١/٣٧٧).

(٥) في ص: ما يلزم.

(٦) قال البيضاوي في تفسيره (١/٣٧٧): "﴿ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالبشارة، أو بتكثير سوادهم، أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله: ﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ كالتفسير لقوله: ﴿ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ﴾ وفيه دليل على أنهم قاتلوا". اهـ. وذهب جمع من المفسرين إلى أن قولـه: ﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ ليس تفسيراً لقوله: =

﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ أي: المفصل بين الرأس والعنق لكونه أمكن للحزّ(١)، وقيل: المراد به الرأس(٢)؛ لأنه المقتل يختل بأدنى ضرب.

﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ﴾البنان: الأصابع(٣)، جمع بنانة، وقيل:

﴿ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ولا تلقيناً للملائكة ما يقولونه للمؤمنين، وإنما هو خطاب للمؤمنين، كما ذكر ذلك ابن جرير الطبري (٤٢٩/١٣)، وابن عطية (٥٠٨/٢).

وانظر: تفسير السمرقندي (١١/٢)، الكشاف (٥٦٢/٢)، زاد المسير (٣٢٩/٣-٣٣٠)، البحر المحيط (٤٦٤/٤).

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥٠٨/٢):"ويحتمل عندي أن يريد بقوله: ﴿ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ وصف أبلغ ضربات العنق وأحكمها، وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الرأس في المفصل... إلخ". وبه قال الزمخشري والبيضاوي.

انظر: الكشاف (٥٦٢/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٧/١).

(٢) وهذا القول مروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وقال به عكرمة والفراء وغيرهم.

انظر: معاني القرآن للفراء (٤٠٥/١)، تفسير الطبري (٤٣٠/١٣)، البسيط، (١٥٨/١).

وذهب جمع من المفسرين إلى أن المعنى: اضربوا الأعناق، و ﴿ فَوۡقَ ﴾ صلة، وقد رواه ابن جرير عن عطية العوفي والضحاك، وبه قال الأخفش وغيره.

انظر: تفسير الطبري (٤٢٩/١٣)، معاني القرآن للأخفش (٥٤١/٢)، زاد المسير (٣٣٠/٣).

(٣) قاله الزمخشري وابن عطية والراغب الأصفهاني والبيضاوي واختاره أبو حيان.

انظر: الكشاف (٥٦٣/٢)، المحرر الوجيز (٥٠٨/٢)، المفردات (بن) (ص١٤٧)، تفسير البيضاوي (٣٧٧/١)، البحر المحيط (٤٦٥/٤).

أطرافها[1]. وفائدة الضرب عليها إبطال اليد فإنها الجزء الأعظم في الحرب.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الضرب، أو الأمر به. والخطاب لرسول الله ﷺ أو عام[2]، ﴿ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾خالفوهما، من الشقِّ وهو: الجانب، وإنما سميت المخالفة مشاقَّة؛ لأن كلاً من المتعادين[3] يأخذ في شِقٍّ خلاف شِقِّ الآخر[4]، وكذلك المعاداة والمخاصمة من العُدوة[5] والخُصْم[6]، وهو

(١) وهو قول ابن قتيبة وأبي بكر بن الأنباري وابن جرير الطبري وأبي الليث السمرقندي وغيرهم.
انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٧)، تفسير الطبري (٤٣١/١٣)، تفسير أبي الليث السمرقندي (١١/٢)، البسيط (١٥٩/١)، تفسير البغوي (٣٣٥/٣).

(٢) انظر: الكشاف (٥٦٣/٢)، البيضاوي (٣٧٧/١).

(٣) في الأصل: المعتادين.

(٤) قال الراغب في المفردات (شق) (ص٤٥٩): "والشِقاق: المخالفة، وكونك في شِقٍّ غير شِقِّ صاحبك".
وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٦٦/٤): "عبر المفسرون في قوله: ﴿ شَآقُّواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: صاروا في شق غير شقه". اهـ.

(٥) انظر ما يأتي ص(١١٣).

(٦) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (خصم) (١٨٧/٢): "الخاء والصاد والميم أصلان أحدهما: المنازعة، والثاني: جانبُ وعاء، فالأول: الخَصْم الذي يُخاصم...
والأصل الثاني: الخُصْم جانب العِدْل ... ويقال: إن جانب كل شيء خُصْم... ويمكن أن يجمع بين الأصلين فيرد إلى معنى واحد، وذلك أن جانب العدل مائل إلى أحد الشقين، والخصم المنازع في جانب فالأصل واحد". اهـ.
وانظر: لسان العرب (خصم) (١٨١/١٢).

الجانب"[1]. ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾.

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ الخطاب للكفار التفاتاً، ومحله الرفع على الابتداء أو الخبر، أي: ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم[2]، أو نصب بما فسره ﴿ فَذُوقُوهُ ﴾[3].

﴿ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ عطف على ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾[4]، والمعنى: ذلكم العقاب لكم، ولكم عذاب النار في الآخرة، أو مفعول معه أي: عذاب الدنيا مقروناً بعذاب الآخرة[5]، وإنما وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على العليّة والعموم[6]، واستعمل الذوق مع عذاب الدنيا لأنه كالمقدمة لعذاب الآخرة[7].

---

(١) انظر: الكشاف (٥٦٣/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٧/١).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٧٠/١).

(٣) والتقدير: ذوقوا ذلكم، أو نحو ذلك.

وانظر الأوجه الثلاثة في: الكشاف (٥٦٣/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٨/١).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٦٧٠/١)، مشكل إعراب القرآن (٣٤٣/١)، البيان لابن الأنباري (٣٨٥/١).

(٥) انظر الوجهين في: الكشاف (٥٦٣/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٨/١).

(٦) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

والمظهر هو: ﴿ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾، وأُتي به للدلالة على أن علة العذاب هو الكفر، وليعم كل من اتصف بها من هؤلاء وغيرهم.

(٧) وقال أبوحيان في البحر (٤٦٦/٤): "ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة يسيراً سمى =

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا ﴾ جيشاً يزحفون إليكم، والزحف هو: المشي، وقيل: من زحف الصبي إذا مشى على استه[1]، أريد به الجيش الكثيف كأنه لكثرته يدبُّ قليلاً قليلاً، والمعنى على هذا: ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ في هذه الحالة فضلاً عن حالة مساواتكم أو قلتهم، ونصبه على الحال[2]، إما من المفعول أو منهما أي: متزاحفين، أو الفاعل فيكون تقدمة[3] نهي عن الفرار يوم حنين لكونهم كانوا اثني عشر ألفاً وقوله: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ ﴾ إشارة إلى ذلك اليوم[4].

ما أصابهم منه ذوقاً؛ لأن الذوق يعرف به الطعم وهو يسير ليعرف به حال الطعم الكثير، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝ ﴾ الواقعة، آية (٥١-٥٣) فما حصل لهم من العذاب في الدنيا كالذوق القليل بالنسبة إلى ما أعد لهم في الآخرة من العذاب العظيم". اهـ.

(١) انظر: تهذيب اللغة (زحف) (٣٧٠/٤)، معجم مقاييس اللغة (زحف) (٤٩/٣).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٧٠/١)، مشكل إعراب القرآن (٣٤٤)، التبيان للعكبري (٦٢٠/٢).

(٣) ق: مقدمة.

(٤) انظر الأوجه الثلاثة في: الكشاف (٥٦٤/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٨/١).
ويَرِدُ على الوجه الثالث أن الآية في بدر -كما سيأتي بيانه- سواء قيل إنها في بدر خاصة، أو فيه وفي سائر الأيام عموماً.

﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾ يفر ليكر خداعاً مع العدو وكثيراً ما يتعاطاه الأبطال، وقد شاهدنا ذلك في وقعة من وقائع بني الأصفر -ولله الحمد-[1]، وقد انتصب على الحال و ﴿ إِلَّا ﴾ لغو لا دخل لـه في النصب[2]، أو مستثنى من المولِّين أي: إلا رجلاً متحرفاً[3].

(١) في حاشية الأصل: وهي غزوة (كلمة غير واضحة) مع السلطان المجاهد مراد بن عثمان -رحمه الله-.
وبنو الأصفر هم: الروم، يقال إن جدهم روم بن عيص تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد فقيل لـه: الأصفر، وقيل: لأن جدته سارة زوج إبراهيم حلته بالذهب.
انظر: فتح الباري (١/ ٤٠).

(٢) قال أبو حيان في البحر (٤/ ٤٧٠) -بعد أن نقل كلام الزمخشري- وهو قوله: "و ﴿ إِلَّا ﴾ لغو" الكشاف (٢/ ٥٦٥) قال أبو حيان: "ولا يريد الزمخشري بقوله: "و ﴿ إِلَّا ﴾ لغو" أنها زائدة، إنما يريد أن العامل الذي هو ﴿ يُوَلِّهِمْ ﴾ وصل إلى العمل فيما بعدها، كما قالوا في "لا" من قولهم (جئت بلا زاد): إنها لغو... إلخ".
وانظر: الدر المصون (٥/ ٥٨٥).

(٣) انظر الوجهين في: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٠٦)، الكشاف (٢/ ٥٦٥)، البيضاوي (١/ ٣٧٨). ولم يذكر النحاس في إعراب القرآن (١/ ٦٧٠)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٤٤) إلا الوجه الأول.

﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ أي: جماعة أخرى من المسلمين للاستعانة بهم[1]، وقد روى/ ابن عمر أنه كان في سَرِيَّة[2] وقد فروا حتى بلغوا المدينة فقالوا: يا رسول الله نحن الفرارون قال: «لا، بل أنتم العكَّارون وأنا فئتكم»[3]. أي: الكرارون العطَّافون إلى الحرب بعد التولي[4].

---

(١) قال الزمخشري: "﴿ إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها". الكشاف (الموضع السابق).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ أي فرَّ من ههنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فيجوز لـه ذلك". اهـ. تفسير ابن كثير (٥٦٧/٣).

(٢) السَّرِيَّة: "طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو، وجمعها السرايا، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السَّرِيِّ النَّفِيس". النهاية (سرى) (٣٦٣/٢).

(٣) في حاشية جميع النسخ: رواه أبوداود والترمذي.

والحديث رواه الإمام أحمد (٧٠/٢ رقم ٥٣٨٤ وَ ١١٠/٢ رقم ٥٨٩٥)، والحميدي في مسنده (٣٠٢/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٣٦/٢ رقم ٩٧٢)، وأبو داود كتاب الجهاد، باب في التولي يوم الزحف (٥٢/٢)، والترمذي كتاب الجهاد، باب ما جاء في الفرار من الزحف (٣٧/٦) وقال: "حسن غريب". اهـ.

وقال الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (٢٠٣/٧): "إسناده صحيح". اهـ.

(٤) انظر: غريب الحديث للخطابي (٣٣١/١)، النهاية (عكر) (٢٨٣/٣).

﴿ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ رجع به والتزمه، من البواء وهو: اللزوم[1]. ﴿ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ هذا إذا لم يزدادوا على الضِعْف كفرار واحد من الاثنين لقوله: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾[2]، والقول بأن الآية مخصوصة بأهل بيته ومن معه في الحرب[3] لا وجه له مخالف

---

(١) انظر: لسان العرب (بوأ) (١/٣٠٧).

(٢) الأنفال، آية (٦٦). وراجع ما يأتي ص(١٦٥).

(٣) قال البيضاوي: "وقيل: الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب". (١/٣٧٨)، ولم أقف على من ذكر أهل البيت هنا قبل البيضاوي، وإنما ذهب جمع من أهل العلم إلى أن الآية مخصوصة بيوم بدر، وهو قول أبي سعيد الخدري والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم، واستدلوا بأدلة منها:

١- أنه في بدر لم يكن لهم فئة ينحازون إليها إلا رسول الله ﷺ، ولو انحازوا لانحازوا للمشركين.

٢- أن المسلمين فروا يوم أحد وحنين، قال يزيد بن أبي حبيب: "أوجب الله لمن فرَّ يوم بدر النار قال: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ ﴾ آل عمران، الآية (١٥٥)، ثم كان حنين بعد ذلك بسبع سنين فقال: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ التوبة، آية (٢٥)، ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ التوبة، آية (٢٧)". رواه الطبري (١٣/٤٣٨).

وذهب بعض أهل العلم إلى أنها عامة في أهل بدر وغيرهم، إلا أنها منسوخة بقولـه تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ... ﴾ الأنفال، آية (٦٦)، وهو قول عطاء بن أبي رباح.

وذهب جماهير المفسرين إلى أن الآية عامة في أهل بدر ومن بعدهم، وأن حكمها باقٍ إلى يوم القيامة، وأجابوا عن أدلة القول الأول، فقالوا عن الدليل الأول:

بأنا كذلك نقول إن الوعيد على من فرَّ غير متحيز إلى فئة ولا متحرف لقتال كما نطقت الآية، وأما من كان فراره تحيزاً إلى فئة، أو تحرفاً لقتال، فلا يتناوله الوعيد.

وأما الدليل الثاني فقال ابن عطية: "وأما يوم أحد فإنما فرَّ الناس من أكثر من ضعفهم، ومع ذلك عنفوا؛ لكون رسول الله ﷺ فيهم وفرارهم عنه، وأما يوم حنين فكذلك من فرَّ إنما انكشف أمام الكثرة، ويحتمل أن عفو الله عمن فرَّ يوم أحد كان عفواً عن كبيرة". اهـ (٢/٥١٠).

وأما قول عطاء بأنها منسوخة فيحمل على أن المراد بالنسخ هنا التخصيص، لا النسخ الاصطلاحي؛ لأن السلف كان مرادهم بالنسخ أعم من مراد المتأخرين، فهو عندهم يشمل تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل ونحو ذلك، وخصه المتأخرون بأنه: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ عنه (روضة الناظر ٢٨٣/١).

وهذا البيان لاصطلاح السلف هو ما قرره جمع من المحققين، قال ابن القيم -رحمه الله- (إعلام الموقعين ٣٥/١): "مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد، وتفسيره وتبيينه حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد، فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه، ومن تأمل كلامهم =

للإجماع(١)، والفرار من الزحف إذا لم يبلغ العدد الرخصة من أكبر الكبائر(٢).

رأى من ذلك فيه ما لا يحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر". اهـ.

وانظر في بيان اصطلاح النسخ عند السلف والمتأخرين: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠١/١٤)، الموافقات (٨١/٣).

فيظهر بذلك رجحان ما ذهب إليه الجمهور من عموم الآية لكل أحد، عملاً بقاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، قال ابن جرير -رحمه الله-: "وأولى التأولين في هذه الآية بالصواب عندي قول من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين". اهـ. ويكون ذلك مشروطاً بأن لا يزيد عدد الكفار على ضعف عدد المسلمين -كما ذكر المؤلف- إعمالاً لجميع النصوص. والله أعلم.

انظر: المصنف لعبدالرزاق (٢٥١/٥)، تفسير الطبري (٤٣٦/١٣)، أحكام القرآن للجصاص (٦٢/٣)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢٥٣/٢)، زاد المسير (٣٣١/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٣٨١/٧).

(١) لم أقف على من حكى الإجماع على حرمة التولي عند الزحف فيما بين يدي من مراجع، سواء كتب الإجماع أو التفسير أو الفقه، ولعل المقصود إجماع الأكثر، كما قال ابن عطية: "فالفرار هناك كبيرة موبقة بظاهر القرآن والحديث وإجماع الأكثر من الأمة". اهـ. المحرر الوجيز (٥١٠/٢).

(٢) لقوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات... وذكر منهن: الفرار من الزحف » رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا... ﴾ (١٩٥/٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٩٢/١ رقم ١٤٥) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ روي: أنهم لما قتلوا من قتلوا وأسروا [من أسروا][1] طفقوا يفتخرون بما فعلوا فردَّ اللهُ ذلك[2]. والقتل صورةً وإن كان صادراً منهم، ولكن لما كان بنصر اللهِ وإمداد الملائكة وقتالهم نفى عنهم القتل[3]، وقرأ ابن[4] عامر، وحمزة[5]، والكسائي[6] ﴿ وَلَكِنْ ﴾ مخففاً والذي بعده مع

(١) ساقطة من ق.
(٢) أخرج الطبري (١٣/٤٤٢) عن مجاهد في قوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ قال: "لأصحاب محمد ﷺ حين قال هذا: قتلت، وهذا: قتلت ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ قال: محمد ﷺ حين حصب الكفار".
وذكره البغوي عن مجاهد أيضاً (٣/٣٣٩).
وانظر: الدر المنثور (٤/٣٩).
(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٠٦)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٢٥٤) الفتاوى لابن تيمية (٨/١٧-١٨).
وليس في هذه الآية حجة للجبرية الذين يقولون: إن العبد لا قدرة له، وينفون عنه الفعل -أو الأشاعرة الذين يُسمون فعله كسباً-؛ لأن الصحابة -ﷺ- حصل منهم فعل وقتل ونحو ذلك، وإنما المقصود: أنه لما كان هذا خارجاً عن العادة لنزول الملائكة وقتالهم، جاز نفيه؛ لأن هذا بنصر الله وحده، ولو كان في هذه الآية حجة للجبرية لجاز نفي سائر أفعال العباد مثل: الصلاة والصيام، بل حتى الطعام والشراب، بل حتى المعاصي كالزنا والسرقة، ونحو ذلك، وإثباتها لله -تعالى الله عن ذلك- وهذا لا يقوله مسلم.
وانظر: مدارج السالكين (٣/٤٢٦).
(٤) في الأصل: أبي.
(٥) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات أبو عمارة، أحد القراء السبعة، ولد عام ٨٠هـ، أخذ القراءة عن الأعمش وطلحة بن مصرف، واشتهر بالرواية عنه: خلف وخلاد، توفي عام ١٥٨هـ.
انظر: الطبقات لابن سعد (٦/٣٨٥)، غاية النهاية (١/٢٦١).
(٦) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله الكوفي مولى بني أسد، لقب بالكسائي لكساء أحرم به، وهو أحد القراء السبعة، قرأ على ابن أبي ليلى وحمزة، قال الشافعي: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي". اهـ. توفي عام ١٨٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٩/١٣١)، غاية النهاية (١/٥٣٥).

رفع ﴿ اللهُ ﴾[1].

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ قيل: نزل جبريل لما التقى الجمعان وقال: "خذ قبضة من الحصباء[2] وارم بها في وجوه المشركين"؛ فقال لعلي: "ناولني من حصباء الوادي قبضة" فناوله فرمى بها، وقال: "شاهت الوجوه" فلم يبق واحد منهم إلا دخل عينيه منه شيء، فشغلوا به، وطفق المسلمون يقتلون ويأسرون[3].

ومساق الآية ظاهر في أن ذلك كان يوم بدر، وأهل الحديث على أن ذلك

---

(١) السبعة (ص١٦٨)، التيسير (ص٦٥).

وقوله: والذي بعده، أي قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾.

(٢) كذا في ق، وسائر النسخ: حصاء، وقد أثبت ما في ق؛ لأنه الموافق لبقية السياق.

(٣) أخرجه دون قوله لعلي -رضي الله عنه- الطبري في التفسير (٤٤٥/١٣).

وأخرجه دون ذكر جبريل -عليه السلام- الطبراني في الكبير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (٢٨٥/١١ رقم ١١٧٥٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح (٨٤/٦).

وقد رواه بألفاظ مقاربة الطبري (٤٤٣/١٣-٤٤٥)، والطبراني في الكبير عن حكيم بن حزام -رضي الله عنه- (٢٢٧/٣ رقم ٣١٢٨) وقال الهيثمي: إسناده حسن (٨٤/٦)، وذكره ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة (٢٤٠/٢).

وانظر: تفسير البغوي (٣٣٩/٣)، الدر المنثور (٤٠/٤).

كان يوم حنين[1].

والمعنى: أن ذلك الرمي وإن صدر منك مباشرة بصرف[2] الآلة، ولكن

---

(١) ص وَ ق: يوم أحد.

وما ذهب إليه المؤلف هو ما ذكره الطيبي في فتوح الغيب (لوحة ٩٤٩)، وتبعه القزويني في الكشف (٥/أ).

وهذا القول عليه اعتراض، فقد روى الأئمة من طرق عدة أن هذه الرمية كانت في بدر، فقد أخرجه الطبري في تفسيره عن جمع من السلف (٤٤٣/١٣).

وكذا ذكره الواقدي في المغازي (٨١/١)، وقد أخرجه الطبراني في الكبير -كما ذُكر في الحاشية السابقة- من حديث حكيم بن حزام -ﷺ- (٢٢٧/٣ رقم ٣١٢٨).

وقد تعقب الحافظُ ابنُ حجر في تخريج الكشاف ص(٦٨) الطيبي فقال: "وهو تعقيب غير مرضي". اهـ.

وانظر الفتح السماوي (٦٥١/٢).

والخلاصة أن هذه الرمية كانت في بدر ويشهد لذلك أمور منها:

١- ما جاء من الأحاديث والآثار الدالة على ذلك.

٢- ما ذكره المؤلف بقوله: "ومساق الآية ظاهر في أن ذلك كان يوم بدر". فإن الحديث في الآيات، بل في السورة كلها كان عن غزوة بدر، قال القرطبي -رحمه الله-: "وهو أصح لأن السورة بدرية". اهـ.

وأما رميه ﷺ في وجوه الكفار يوم حنين فهو ثابت من حديث العباس -ﷺ- عند مسلم: كتاب الجهاد، باب غزوة حنين (١٣٩٨/٣ رقم ٧٦). وفيه: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: "انهزموا وربِّ محمدٍ" قال: فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبراً.

(٢) ق: في تصرف.

إيصال التراب إلى عيونهم كلهم مع كثرتهم وتفرقهم لم يكن إلا بصنعه تعالى[1].

وقيل: ما رميت خلقاً إذ رميت كسباً، وليس بشيء؛ لأن أفعال العباد كلها كذلك، فأي وجه لتخصيص ذلك بالرمي[2]؟.

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠٦/٢)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢٥٥/٢) الفتاوى لابن تيمية (١٨/٨) تفسير ابن كثير (٥٧٠/٣).

وليس في هذا حجة للجَبرية -كما ذُكر عند قوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾- لأن الله تعالى أثبت لنبيه ﷺ رمياً ونفى عنه آخر، ولا يصح أن يكون المثبت هو المنفي وإلا لكان هذا تناقضاً، فالمثبت لــه هو الفعل والمنفي هو الإيصال الذي كان بخرق العادة. وعليه فإنه لما كان خرقاً للعادة جاز نفيه؛ لأنه من فعل الله تعالى دون فعل العباد -الذي هو الإيصال- وسائر أفعال العباد لا يجوز فيها مثل ذلك، والله تبارك وتعالى -وإن كان خالقاً لأفعال العباد- لكنه لا يصف نفسه بصفة من قامت به تلك الأفعال، فلا يسمي مصلياً ولا آكلاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

انظر: الفتاوى لابن تيمية (٣٧٥/٢، ١٧/٨، ١٥/ ٣٩)، شفاء العليل لابن القيم (ص٥٩).

(٢) قال الرازي (١١٢/١٥): "... فوجب حمله على أنه رماه كسباً وما رماه خلقاً". اهـــ. وانظر: البسيط (١٧٢/١).

والكسب هو مذهب جمهور الأشاعرة في مسألة خلق أفعال العباد.

وللكسب عندهم تعريفات منها: ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به.

انظر: شرح جوهرة التوحيد (ص٢١٩)، الفتاوى لابن تيمية (٤٦٧/٨)، شفاء العليل (ص١٢١).

قال الشهرستاني في بيان هذا الأصل (الملل والنحل ص٩٧): "المكتسب هو المقدور بالقدرة الحاصلة، والحاصل تحت القدرة الحادثة، ثم على أصل أبي الحسن (وهو الأشعري، وفي الأصل: =

الحسين، وهو خطأ) لا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث... إلى أن قال: غير أن الله تعالى أجرى سننه بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد لــه، ويسمى هذا الفعل كسباً، فيكون خلقاً من الله تعالى إبداعاً وإحداثاً، وكسباً من العبد حصولاً تحت قدرته". اهـــ.

وقال الزنجاني في شرح المواقف (ص٢٣٧): "أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما، فيكون الفعل مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد، والمراد بكسبه إياه: مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير، أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً لــه". اهـــ.

ومما لا شك فيه أن نظرية الكسب هذه خلاف مذهب أهل السنة في هذا الباب، وأن مذهب السلف وأتباعهم وأئمة أهل السنة "أن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير سائر الأسباب في مسبَّباتها، والله تعالى خلق الأسباب والمسبَبات". الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٨٧).

وقد بيّن الأئمة فساد هذا القول -الكسب- وأنه لا حقيقة لــه؛ لأن العبد إما أن يكون فاعلاً على الحقيقة فينسب إليه الفعل، أو لا يكون فاعلاً فتسيمته كاسباً لا حقيقة لــه، فإنه لا فرق بين الكسب والفعل، ولهذا قيل: ثلاثة أشياء لا حقيقة لها: طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري. انظر: المرجع السابق (٨/١٢٨، ٤٦٧).

كما أن من المتفق عليه بين الناس "أن من فعل العدل فهو عادل، ومن فعل الظلم فهو ظالم، ومن فعل الكذب فهو كاذب، فإذا لم يكن العبد فاعلاً لكذبه وظلمه وعدله، بل الله فاعل ذلك، لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم" تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

و"القرآن مملوء بذكر إضافة هذه الأفعال إلى العباد كقوله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ فصلت، آية (٤٠)، وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ التوبة، آية (١٠٥)". المرجع السابق (٨/١٢٠).

﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ وليعطي المؤمنين عطاءً جميلاً جزيلاً فعل ما فعل ولا عطاء أجزل من قهر العدو ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ سمع استغاثتهم، وعلم نياتهم وقصدهم إعلاء كلمته.

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ عطف على ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ لأن الاسمية بعد أن في تأويل المصدر، أي: القصد من ذلك الفعل الخارق أمران، أحدهما بالذات وهو: إبلاء المسلمين، والآخر بالعرض وهو: توهين كيد الكافرين[1].

قرأ بتشديد[2] الهاء نافع وابن كثير وأبو عمرو، والباقون بإسكانها[3]، والأولى

وقال أبو المعالي الجويني -الذي كان يقول أول أمره بالكسب ثم قال بمذهب أهل السنة- قال رادًّا هذه النظرية: "من استراب أن أفعال العباد واقعة حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم، فهو مصاب في عقله، أو مستقر على تقليده، مصمم على جهله، ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون... إلخ". العقيدة النظامية (ص٤٣).

وانظر: الفتاوى لابن تيمية (٨/٣٦٧، ٣٧٨)، شفاء العليل (ص١٢٠).

(١) قال الرازي: "توهين الله كيدهم يكون بأشياء: بإطلاع المؤمنين على عوراتهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وتفريق كلمتهم، ونقض ما أبرموا بسبب اختلاف عزائمهم". اهـ التفسير الكبير (١٥/١١٤).

(٢) ق: بالتشديد.

(٣) كذا في النسخ والصواب: بتخفيفها، لأن الباقين لم يقرؤوا بسكون الهاء وإنما بتخفيفها. فقراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو بفتح الواو مع تشديد الهاء والتنوين، ونصب الدال في ﴿ كَيْدَ ﴾ على أنه مفعول به.

أبلغ[1]، وقرأ حفص ﴿ كَيْدِ ﴾ مخفوضاً بالإضافة[2].

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ خطاب لأهل مكة فإنهم لما أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: "اللهم انصر أعلى[3] الجندين، وأكرم الحزبين، وأقرانا للضيف[4]، وأوصلنا للرحم"[5]، ففيه تهكم بهم[6].

وقراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بسكون الواو وتخفيف الهاء والتنوين، ونصب الدال في ﴿ كَيْدَ ﴾.

وقراءة حفص عن عاصم بسكون الواو وتخفيف الهاء من غير تنوين، وكسر الدال في ﴿ كَيْدِ ﴾ على الإضافة، وسيشير إليها المؤلف قريباً.

انظر: السبعة (ص٤٠٣)، التيسير ص(٩٥)، الحجة لابن خالويه (ص١٠٧)، المُوْضحَ لابن أبي مريم (٥٧٦/٢).

(١) قال مكي بن أبي طالب في الكشف (٤٩١/١): "والاختيار أن يُقرأ بالتشديد؛ لما فيه من المبالغة وأن يُقرأ بالتنوين؛ لأن الأكثر عليه ولأنه الأصل". اهـ.

(٢) انظر المراجع في الحاشيتين السابقتين.

(٣) في ص: على.

(٤) في ص: للنصف.

ومعنى: أقرانا للضيف: أشدنا إحساناً للضيف وقياماً بحقه، يقال: قَرى الضيف قِرىً وقَراء: أضافه.

انظر: لسان العرب (قرو) (١٧٩/١٥).

(٥) رواه ابن جرير بلفظ مقارب عن السدي، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٨)، وزاد نسبته للكلبي، ومثله البغوي (٣٤٢/٣).

وعن عبدالله بن ثعلبة -ﷺ- قال: "كان المستفتح أبا جهل، وإنه قال حين التقى بالقوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم، وآتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة. وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

رواه الإمام أحمد (٤٣١/٥ رقم ٢٣٧١٠)، والنسائي في الكبرى (٣٥٠/٦ رقم ١١٢٠١)، وابن جرير (٤٥٤/١٣)، والحاكم في المستدرك (٣٢٨/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ومعنى "أحنه": أهلكه، والحين بالفتح: الهلاك. انظر: اللسان (حين) (١٣٦/١٣).

(٦) انظر: الكشاف (٥٦٧/٢)، تفسير البيضاوي (٣٧٩/١).

وقيل: الخطاب للمؤمنين(1)، واستفتاحهم(2) كان حين الاستغاثة والدعاء بالنصر.

ويؤيد الأول قوله ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ يا أهل مكة عن الكفر ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لتضمنه سلامة الدارين، واشتماله على سعادة المنزلين(3).

﴿ وَإِن تَعُودُواْ ﴾ إلى معاداته والإصرار على الكفر ﴿ نَعُدْ ﴾ بالنصر والإعانة. ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾ جمعكم ﴿ شَيْئًا ﴾ من الإغناء. بعد وقعة بدر أرادوا أن يجمعوا الجموع، كما فعل أبو سفيان يوم أحد(4)، ﴿ وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ وإن كثرت.

---

(1) قال به أبي بن كعب -رضي الله عنه- وعطاء الخراساني.

انظر: البسيط (١/١٨٢)، تفسير البغوي (٣/٣٤٢)، الكشاف (٢/٥٦٨)، المحرر الوجيز (٢/٥١٢)، زاد المسير (٣/٣٣٤).

(2) ص: واستفتتاحهم.

(3) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٧٩).

(4) وقبل ذلك في غزوة السويق، وكانت بعد بدر بشهرين؛ وذلك أن أبا سفيان بعد هزيمة قريش في بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء حتى يغزو رسول الله ﷺ فخرج في مائتي راكب حتى أتى أطراف المدينة، وحرقوا بعض النخل وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً لـه ثم كروا راجعين، ولما نذر بهم الناس خرجوا في طلبهم فألقى الكفار سويقاً كثيراً من أزوادهم يتخففون به، وفات أبو سفيان وأصحابه المسلمين.

انظر خبر الغزوة في: سيرة ابن هشام (٣/٥٠)، المغازي للواقدي (١/١٨١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣٠).

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٩ ﴾ قرأ نافع وابن عامر(1) وحفص(2) بالفتح أي: ولأن اللّـه مع المؤمنين بالنصر والمعونة لن تغني عنكم فئتكم، والباقون بالكسر(3)، وهذه أبلغ؛ لأن العليَّة تفهم منها مع الاستقلال(4).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ ولا تجادلوه كما جادلتم

---

(١) عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبي، إمام أهل الشام، ولد عام ٢١هـ ولقي بعض الصحابة، وأخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان -ﷺ-، اشتهر بالرواية عنه هشام وابن ذكوان، توفي عام ١١٨هـ بدمشق.
انظر: معرفة القراء الكبار (٨٢/١)، غاية النهاية (٤٢٣/١).

(٢) أبو عمر حفص بن أبي داود سليمان بن المغيرة الأسدي مولاهم الكوفي ولد عام ٩٠هـ، اشتهر بالرواية عن عاصم وكان ربيبه ابن زوجته توفي عام ١٨٠هـ وقيل غير ذلك.
انظر: معرفة القراء الكبار (١٤٠/١)، غاية النهاية (٢٥٤/١).

(٣) انظر: السبعة (ص٣٠٥)، الحجة لابن خالويه (ص١٧٠)، الكشف لمكي (٤٩١/١).

(٤) قال التفتازاني في حاشيته على الكشاف مبيناً سبب ترجيح قراءة الكسر: "... أما لفظاً فلاستغنائها عن الإضمار، وأما معنى فلأنها تدل على أن الله تعالى مع المؤمنين، أي: ناصرهم في جميع الأحوال". اهـ (لوحة ٦٤٤)، واختار بعضهم قراءة الكسر لما جاء في قراءة ابن مسعود -ﷺ- حيث كان يقرأ: ﴿ وإن الله لمع المؤمنين ﴾، كذا ذكرها الفراء والطبري، وذكرها غيرهما بلفظ: ﴿ والله مع المؤمنين ﴾ ولم أجدها فيما بين يدي من كتب الشواذ.
انظر: معاني القرآن للفراء (٤٠٧/١)، تفسير الطبري (٣٥٧/١٣)، الكشاف (٥٦٨/٢)، المحرر الوجيز (٥١٣/٢)، البحر المحيط (٤٧٣/٤).

في قضية بدر، ﴿ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾ ولا تعرضوا عنه في الحرب؛ تقدمة نهي عما فعلوه يوم أحد[1]، ﴿ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ القرآن الآمر بطاعته وتأييده، وذكر اللهَّ في أمثاله للتوطئة[2].

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ هم المنافقون[3] ﴿ وَهُمْ لَا

---

(١) والآية يدخل فيها هذا وغيره، فهي تشمل التولي عنه والانصراف بالبدن، وتشمل الإعراض عن أمره، ومخالفة قوله وعدم التزام طاعته، قال ابن كثير -رحمه الله-: "﴿ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾ أي: لا تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره". اهـ (٣/٥٧٤).

وانظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٢/٢٣٤).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٧٩).

(٣) قاله ابن إسحاق. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٨٠)، وقد رواه عنه ابن جرير في التفسير (١٣/٤٥٨).

وقال ابن عباس: المقصود المشركون، واختاره ابن جرير.

وقال في رواية أخرى: المراد اليهود، وهو قول الحسن وغيره.

والظاهر -والله أعلم- العموم في كل من كانت هذه صفته، قال البيضاوي (١/٣٧٩): "﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ كالكفرة، والمنافقين..." اهـ.

وقال ابن كثير (٣/٥٧٤) -بعد أن ذكر ما قيل إنها في المشركين أو المنافقين-: "قلت: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلاً منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح". اهـ

بل حتى المسلم الذي اتصف بهذه الصفات ففيه شعبة من الكفر، أو النفاق بقدر اتصافه بصفات

يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سماع تفهم وتدبر.

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ قدراً ﴿ ٱلصُّمُّ ﴾ عن استماع الحق ﴿ ٱلْبُكْمُ ﴾ عن النطق به ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ لم يذكر العمي؛ لأن الكلام في امتثال أوامره، والبصر لا مدخل لـه في ذلك. جعلهم شر الدواب؛ لأنها تسمع وتعقل مالها فيه النفع.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ بالإرعواء عن الضلالة ﴿ لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ سماع فهم وتدبر، وقد علم استحالة ذلك منهم ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ ذلك الإسماع ﴿ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وأعرضوا لسبق العلم بأنهم أهل الطبع،

الكفار أو المنافقين.

قال القرطبي -رحمه الله-: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا ﴾ أي كاليهود أو المنافقين أو المشركين... نهى المؤمنين أن يكونوا مثلهم، فدلت الآية على أن قول المؤمن: سمعت وأطعت لا فائدة فيه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال فعله، فإذا قصر في الأوامر فلم يأتها، واعتمد النواهي فاقتحمها فأي سمع عنده وأي طاعة!! اهـ. الجامع (٣٨٨/٧).

وقال سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- بعد ذكر كلام ابن كثير السابق: "والآية تعمهم جميعاً، ومن تشبه بهم من المؤمنين أخذ نصيبه منها". اهـ. (من تعليقه على تفسير ابن كثير في درسه مساء يوم الأربعاء ١٤١٧/٦/١٩هـ).

وانظر: زاد المسير (٣٣٧/٣).

وكلمة ﴿ لَوْ ﴾ هنا مثلها في: "لو لم يخف اللهَ لم يعصه"، وهو أن يكون نقيض الشرط [أولى][١] بترتب الجزاء، فالمعنى: أن التولي منهم حاصل على تقدير الإسماع، فعلى تقدير عدمه بطريق الأولى[٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الإجابة والاستجابة

---

(١) ساقط من ص.

(٢) قال الطبري (٤٦٣/١٣): "فتأويل الآية إذاً: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيراً لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره، حتى يعقلوا عن الله -عز وجل- حججه منه، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون، ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولوا عن الله وعن رسوله وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على صحته مواعظُ الله وعبرُهُ وحججُهُ معاندون للحق بعد العلم به". اهـ.

وقال ابن القيم: "أي: لو علم الله في هؤلاء الكفار قبولاً وانقياداً لأفهمهم، وإلا فَهُمْ قد سمعوا سمع الإدراك ﴿ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: ولو أفهمهم لما انقادوا، ولا انتفعوا بما فهموا؛ لأن في قلوبهم من داعي التولي والإعراض ما يمنعهم عن الانتفاع بما سمعوه". اهـ. مدارج السالكين (٤٨٣/١، ٤٨٤).

وقال ابن كثير في تفسيره (٥٧٤/٣): "ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح، ولا قصد لهم صحيح لو فرض أن لهم فهماً فقال: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾ أي: لأفهمهم، وتقدير الكلام: ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم؛ لأنه يعلم أنه ﴿ لَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ ﴾ أي: أفهمهم ﴿ لَتَوَلَّواْ ﴾ عن ذلك قصداً وعناداً بعد فهمهم ذلك ﴿ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ عنه". اهـ.

بمعنى الإطاعة ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ وقت دعائه، وتوحيد الضمير لأن ذكر الله للتوطئة.

روى البخاري أنه ﷺ نادى أبا سعيد بن المعلى[1] فأبطأ في الإجابة، فلما جاء قال له: «ما أَوْجب إبطاءك؟» قال: كنت أصلي، قال: «ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾؟»[2].

والقول بأن المصلي أُبيٌّ سهو[3]، [والقول][4] بأن إجابته لا تبطل الصلاة إذا

(١) أبوسعيد بن المعلى قيل: اسمه رافع، وقيل: الحارث، من الأنصار، ليس لـــه في البخاري إلا هذا الحديث، توفي سنة ثلاث أو أربع وسبعين وقيل غير ذلك.
انظر: أسد الغابة (١٤٢/٥)، الإصابة (٨٤/٧)، فتح الباري (١٥٧/٨).

(٢) رواه البخاري بلفظ مقارب مع زيادة في آخره، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب (١٤٦/٥) عن أبي سعيد بن المعلى -ﷺ-.

(٣) في حاشية الأصل وَ ص أمام هذا السطر: قائله الكشاف.
وقد ذكر الزمخشري الحديث من رواية أبي هريرة، وفيه: أن المصلي أُبيّ بن كعب. والحق ما ذكره الزمخشري -وقد ذكره غيره من المفسرين كالبغوي والبيضاوي وابن عطية وأبي حيان وغيرهم- فقد روى حديث أبي هريرة هذا الطبري في التفسير (٤٦٦/١٣)، والترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل الفاتحة (٩١/٨ رقم ٢٨٧٨)، وقال: "حسن صحيح" اهـ، والإمام أحمد (٤١٢/٢ رقم ٩٣٣٤)، والحاكم في المستدرك (٥٥٨/١)، والبغوي في التفسير (٥٦/١)، وشرح السنة (٤٤٦/٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (شرح المسند ٧٨/١٨).
انظر: الكشاف (٥٦٩/٢)، البغوي (٣٤٤/٣)، المحرر الوجيز (٥١٥/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٠/١)، البحر المحيط (٤٧٥/٤).

(٤) ساقطة من ق.

كان دعاؤه لأمر لا يحتمل التأخير ليس بشيء(1)؛ لأن الكلام في الصلاة والانصراف عنها قصداً مبطل إجماعاً(2)، وكون الأمر مما لا يحتمل التأخير ليس

---

(1) في حاشية ق: رد على القاضي.

وقد قال البيضاوي (١/٣٨٠) -بعد ذكر قصة أُبي -ﷺ- السابقة-: "واختلف فيه فقيل: هذا لأن إجابته لا تقطع الصلاة؛ فإن الصلاة أيضاً إجابة. وقيل: لأن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير، وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله، وظاهر الحديث يناسب الأول". اهـ.

وفي حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/٤٥٥): "ففي قول للشافعي: إن الكلام في الصلاة لإجابته ﷺ لا يقطع الصلاة ولا يبطلها... إلخ" اهـ. وعدم بطلان الصلاة بإجابته ﷺ مطلقاً -دون التقييد بكون الأمر لا يحتمل التأخير- هو مذهب جمع من أهل العلم منهم الشافعي، وهو ظاهر قول الإمام أحمد -رحمهم الله-..

قال النووي: "قال أصحابنا لو كلَّم النبي ﷺ في عصره إنساناً في صلاة، أو في غير صلاة وجب عليه إجابته، ولا تبطل صلاته بذلك على المذهب، وبه قطع الجمهور". المجموع (٤/٨١).

وقال ابن قدامة -بعد أن ذكر القول بعدم بطلان صلاة من تكلم بكلام واجب قال- رحمه الله-: "وهو ظاهر قول أحمد -رحمه الله- فإنه قال في قصة ذي اليدين: إنما كلَّم القوم النبي ﷺ حين كلمهم لأنه كان عليهم أن يجيبوه، فعلل صحة صلاتهم بوجوب الإجابة عليهم" . المغني (٢/٤٩).

(2) في هذا الإجماع نظر، وإنما أجمع العلماء على بطلان صلاة من كان عامداً، عالماً بأنه في الصلاة، عالماً بالتحريم، وكان ذلك لغير مصلحة الصلاة، ولا لأمر يوجب ذلك.

فأما من تكلم جاهلاً بتحريم الكلام في الصلاة، أو كان ناسياً أنه في صلاة، أو ظن أن صلاته قد تمت، و لم تكن كذلك، أو كان مغلوباً كالنائم والمُكره، أو تكلم بكلام واجب كإنقاذ معصوم من هلكة، أو كان لمصلحة الصلاة، فكل هذه الحالات قد وقع الخلاف بين أهل العلم في بطلان

=

مخصوصاً به؛ لأن من رأى أعمى يقع في بئر يجب عليه قطع صلاته إجماعاً[1]، والآية [مسوقة][2] لبيان شرفه، وأن شأنه يباين شأن سائر الناس.

﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ به من المعارف والحكم الإلهية التي بها حياة القلوب، أو الجهاد الذي هو مظنة الشهادة [التي هي سبب الحياة][3] لقوله -تعالى-: ﴿ بَلْ

الصلاة بها على تفصيل فيها.

انظر: الإجماع لابن المنذر (ص٨)، الكافي لابن عبدالبر (١/٢٤٣)، المحلى (٤/١٥٩)، المغني (٢/٤٥-٥١)، المجموع (٤/٧٧ وما بعدها)، الجامع لأحكام القرآن (٣/٢١٥)، الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٣٦٦)، نيل الأوطار (٢/٣٦٠ وما بعدها).

(١) أما وجوب إنقاذ الأعمى، ومن كان في حكمه فلا شك فيه، قال الشوكاني: "فمن ترك مسلماً يغرق وهو يقدر على إنقاذه واستمر في صلاته فقد ارتكب أعظم المنكرات وترك أهم المعروفات". السيل الجرار (١/٢٤٣).

ولكن هل تبطل صلاته بذلك أم لا؟

قولان لأهل العلم، والقول بعدم البطلان قول الأوزاعي، وظاهر مذهب الشافعي، اختاره كثير من أصحابه، وقال ابن قدامة: "ويحتمل أن لا تبطل الصلاة به، وهو ظاهر قول أحمد -رحمه الله-". اهـ. المغني (٢/٤٩).

وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/٢١٤)، المجموع (٤/٨٢).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1][2].

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فإن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن/ يقلبها كيف يشاء[3]، بيده الإسعاد والإشقاء،

---

(١) آل عمران، آية (١٦٩).

(٢) واللفظ عام فيشمل كل ما دعا إليه الرسول ﷺ من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، ففيها الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم -رحمه الله- بعد أن ذكر عبارات السلف في معنى قوله تعالى: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الحق، القرآن، الجهاد، الإسلام].

قال -رحمه الله-: "وهذه كلها عبارات عن حقيقة واحدة، وهي القيام بما جاء به الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً".

ثم قال -بعد أن ذكر من قال: هو الجهاد... أو الشهادة... أو الجنة- قال -رحمه الله-: "والآية تتناول هذا كله، فإن الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد يحيي القلوب الطيبة، وكمال الحياة في الجنة، والرسول داع إلى الإيمان وإلى الجنة، فهو داع إلى الحياة في الدنيا والآخرة". الفوائد (ص٨٨، ٨٩).

(٣) روى مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»**، ثم قال رسول الله ﷺ: **«اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»**، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٠٤٥/٤ رقم ١٧).

وانظر: التوحيد لابن خزيمة (١٨٧/١)، تفسير ابن كثير (٥٧٥/٣).

فعليكم المسارعة إلى إجابة رسوله لعله يلطف بكم"[1].

﴿ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ لا إلى غيره؛ فاسعوا[2] فيما يثمر لكم الأجر والثواب.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ أي: ذنباً لا

---

(١) وقد ذكر الطبري -رحمه الله- عدة أقوال في معنى هذه الآية، فقال قوم: يحول بين الكافر والإيمان، وبين المؤمن والكفر، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وأبي صالح.

وقال آخرون: يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه، وهو قول السدي.

وقال آخرون: إنه قريب من قلبه، لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسره، كقوله تعالى: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة ق، آية (١٦). وهو قول قتادة.

ثم قال الطبري -رحمه الله- مرجحاً عموم الآية وأنه قد "دخل في ذلك قول من قال: يحول بين المؤمن والكفر، والكافر والإيمان، وقول من قال: يحول بين المرء وعقله، وقول من قال: يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه؛ لأن الله -عز وجل- إذا حال بين عبد وقلبه لم يفهم العبد بقلبه الذي حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينتُ، غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عمم بقوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئاً دون شيء، والكلام محتمل كل هذه المعاني؛ فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم لـه". اهـ. تفسير الطبري (١٣/٤٦٧-٤٧٢).

وانظر: الفوائد لابن القيم (ص٩٠).

(٢) ق: فابتغوا.

يخص عقابه طائفة منكم، كتقرير المنكر بينكم والمداهنة، وسلوك طريق البدعة، وافتراق الكلمة، وعلى هذا قوله: ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ﴾ جواب للأمر(1)، أي: اتقوا فتنة لا تصبكم فإن أصابتكم لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعمكم، فأقيم جواب الشرط المقدر بعد جواب الأمر مقامه لتسببه عنه، وعلى هذا (من) للتبعيض ودخول النون المؤكدة لتضمن النفي معنى النهي، مثله قوله: ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ ﴾(2)، وهذا وجه وجيه لما روت [عائشة](3) [وأم سلمة](4) قلت: يا رسول الله(5) أنهلك وفينا الصالحون؟(6) قال: «نعم إذا كثر الخبث»(7).

---

(1) قال به الفراء (١/٤٠٧).

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤١٠)، البحر المحيط (٤/٤٧٨).

(2) سورة النمل، آية (١٨).

(3) ساقط من ق.

(4) ساقط من ص.

(5) لفظ الجلالة لم يكتب في الأصل وَ ص.

(6) الأصل: الصايحون، والمثبت من سائر النسخ.

(7) رواه الترمذي عن عائشة -رضي الله عنها-، أبواب الفتن، باب ما جاء في الخسف (٦/٣٤٧).

ورواه الإمام أحمد عن أم سلمة -رضي الله عنها- بلفظ: «إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم =

ويجوز أن يكون ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ﴾ صفة ﴿ فِتْنَةً ﴾ نهياً على التأويل، أي: مقولاً فيها[1]، وأن يكون كلاماً مستقلاً نهياً، وارداً بعد الأمر، لا محل لـه من الإعراب[2]، والنهي وإن كان للفتنة ظاهراً، ولكن المراد نهيهم عن التعرض لها على أبلغ وجه، نحو قوله: ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾[3]، وعلى الوجهين (من) بيانية[4] إذ المعنى: لا تتعرضوا للفتنة فيصيب[5] عقابها ووبالها الظالمين،

الله -ﷻ- بعذاب من عنده » فقلت: يا رسول الله أما فيهم يومئذٍ أناس صالحون قال: «بلى...» الحديث (٣٠٤/٦ رقم ٢٦٦٣٨).

والحديث أخرجه البخاري كتاب الفتن باب يأجوج ومأجوج (١٠٤/٨)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٢٠٧/٤ رقم ١-٢) عن زينب بنت جحش -رضي الله عنها-.

(١) ذكر هذا الوجه الزمخشري (٥٧١/٢)، والبيضاوي (٣٨٠/١) وغيرهما، وصدَّر به أبو حيان (٤٧٧/٤) الأوجه في الآية، غير أنه اختار أن قوله: ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ﴾ نفي وليس بنهي، وذكر اختلاف النحاة في دخول نون التوكيد على المنفي بلا، وبيَّن أن قول الجمهور هو: عدم الجواز، ثم قال: "والذي نختاره الجواز، وإليه ذهب بعض النحويين". اهـ.

(٢) انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها)، الدر المصون (٥٨٩/٥).

(٣) سورة الأعراف، آية (٢).

(٤) انظر: الكشاف (٥٧٢/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٠/١).

(٥) ق: فتصيب.

خاصة الذين هم أنتم -بناء على ظلمكم- دون سائر الناس.

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢٥ ﴾ من نمط ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[1].

﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: ذلك الوقت أو الحادث[2] لتعرفوا قدر نعمة الله. والمخاطبون هم المهاجرون[3]، والأرض أرض مكة[4]، أو جملة الصحابة[5]؛ لأن العرب لم يكن فيهم ملك يطاع ويجتمع إليه،

(١) سورة الأحزاب، آية (١).

ولعل مراده أنه كما أمر النبي ﷺ بتقوى الله، وهو قائم بها ممتثل لها، فكذلك أمروا أن يعلموا أن الله شديد العقاب، وهم عالمون بذلك. فالمراد الاستمرار على هذا العلم، والاستكثار من العمل الذي يقتضيه هذا العلم. والله أعلم.

(٢) ص وَ ق: الحادث فيه.

(٣) رواه الطبري عن عكرمة (٤٧٧/١٣)، وذكره الواحدي في البسيط (٢٠٩/١) عن الكلبي، وهو قول الفراء. معاني القرآن (٤٠٧/١).

(٤) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- والكلبي.

انظر: الوسيط للواحدي (٤٥٣/٢)، زاد المسير (٣٤٣/٣).

(٥) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٩/٤).

فأعزهم[1] برسوله.

لما آثر رسول اللهَّ بعض المؤلفة بالعطاء بعد حنين، ولم يعط الأنصار شيئاً قالوا: "العجب أن قريشاً تقطر سيوفنا من دمائهم، وترد غنائمنا إليهم". فبلغ ذلك رسول اللهَّ ﷺ فجمعهم في قُبة، وقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» قالوا: "هو الذي بلغك" قال: «ألم تكونوا فقراء فأغناكم اللهَّ بي؟ ألم تكونوا ضلالاً فهداكم اللهَّ بي؟» فكلما قال كلمة قالوا: "الله ورسوله أَمَنُّ"، ثم قال: «واللهَّ إني[2] لأعطي رجالاً أتألفهم على الإسلام، أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله، فيكم المحيا وفيكم المهات»[3].

﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ كفار قريش[4]، أو من عداهم من

(١) ص وَ ق: فأعزهم اللّه.

(٢) كذا في سائر النسخ، وفي الأصل: وإني.

ولفظ الحديث في الصحيحين: فإني أعطي رجالاً... الحديث. انظر تخريج الحديث فيما يأتي.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (١٠٣/٥)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام (٧٣٨/٢ رقم ١٣٩). بألفاظ مقاربة عن أنس بن مالك، وعبدالله بن زيد بن عاصم -رضي الله عنهما-.

(٤) هذا القول مروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣٤٣/٣)، وأخرجه الطبري عن عكرمة والكلبي وقتادة، (٤٧٧/١٣).

العرب[1]، فإنهم كانوا أعداء مضادين لقريش، أو فارس والروم[2].

والتخطف: الاختلاس والأخذ بالسرعة[3]. ﴿ فَـَٔاوَىٰكُمۡ ﴾ جعل لكم مأوى وهي المدينة[4] ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ ﴾ على الكفار يوم بدر[5]، أو بمظاهرة الأنصار[6]، وإمداد الملائكة[7] ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ بإحلال الغنائم[8].

---

(١) عزاه الواحدي في البسيط (٢١٠/١) إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- والكلبي، وعزاه البغوي (٣٤٧/٣) إلى عكرمة.

وانظر: الوسيط للواحدي (٤٥٣/٢).

(٢) رواه الطبري عن وهب بن منبه وقتادة. الطبري (٤٧٨/١٣).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (خطف) (١٩٦/٢) ، المفردات (خطف) (ص٢٨٦).

(٤) رواه ابن جرير الطبري عن السدي وعكرمة، وعزاه ابن الجوزي لابن عباس -رضي الله عنهما- والأكثرين.

انظر: الطبري (٤٧٩/١٣)، زاد المسير (٣٤٣/٣).

وذكر البيضاوي قولاً آخر فقال: "أو جعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعاديكم". اهـ. (٣٨١/١)

(٥) أخرجه ابن جرير عن السدي (٤٧٩/١٣)، وعزاه أبو حيان لابن عباس -رضي الله عنهما-. البحر المحيط (٤٧٩/٤).

(٦) عزاه في البسيط للسدي (٢١١/١)، وذكره البغوي (٣٤٧/٣).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤٥٣/٢)، والبغوي (الموضع السابق) عن الكلبي، وعزاه ابن الجوزي في زاد المسير إلى الجمهور (٣٤٣/٣).

وانظر: تفسير البيضاوي (٣٨١/١).

(٨) وهو قول جمهور المفسرين، وأكثرهم لم يذكر سواه.

انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها)، الكشاف (٥٧٣/٢).

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ لكي تشكروا هذه النعم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ بتعطيل فرائض الله وترك سنن رسوله[1]، وأصل الخَوْن: النقص[2]، ومنه: خائنة الأعين وهي مسارقة النظر[3]، وفي الحديث: "كان عبدالله بن عمر يتخوننا بالموعظة مخافة السآمة

وقال وهب وقتادة: نعم المآكل والمشارب والملابس.

ذكره عنهما أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٩/٤).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٢) ص: النقض.

قال ابن فارس: "الخاء والواو والنون: أصل واحد وهو التنقص، يقال: خانه يخونه خوناً، وذلك نقصان الوفاء، ويقال: تخونني فلان حقي أي: تنقصني". معجم مقاييس اللغة (خون) (٢٣١/٢).

ويأتي التخون بمعنى التعهد -كما سيأتي من كلام المؤلف- قال في اللسان (خون) (١٤٥/١٣): "والتخون لـه معنيان أحدهما: التنقص، والآخر: التعهد، ومن جعله تعهداً جعل النون مبدلة من اللام". اهـ.

وقد اختار ابن فارس وجماعة أن التخون بمعنى التعهد هو من قبيل الإبدال، وأن أصله التخول بمعنى التعهد. انظر: معجم مقاييس اللغة (الموضع السابق)، خول (٢٣٠/٢).

(٣) انظر: لسان العرب (الموضع السابق).

علينا"[1].

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (١٦٢/١ فتح الباري)، ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب الاقتصاد في الموعظة (٢١٧٢/٤ رقم ٨٢) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- بلفظ: "يتخولنا".

وأما اللفظ الذي ذكره المؤلف -رحمه الله- فرواه الحافظ أبو أحمد العسكري في تصحيفات المحدثين (١٥٢/١) بإسناده عن سفيان بن عيينة قال: كنا عند الأعمش، وعنده أبو عمرو بن العلاء فحدث عن أبي وائل عن عبدالله -رضي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة، ثم قال الأعمش: يتعاهدنا فقال لــه أبو عمرو: إن كان يتعهدنا فيتخوننا، وأما يتخولنا فيستصلحنا.

وذكر القصة السيوطي في كتاب التطريف في التصحيف (ص٤٠)، وأوردها أيضاً من رواية البخاري في تاريخه -ولم أقف عليها في الصغير ولا الكبير-.

قال ابن حجر في فتح الباري (١٦٢/١-١٦٣): "قوله: "كان يتخولنا" بالخاء المعجمة وتشديد الواو، قال الخطابي: الخائل -بالمعجمة- هو القائم المتعهد للمال، يقال: خال المال يخوله تخولاً إذا تعهده وأصلحه، والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل، والتخون بالنون أيضاً يقال: تخون الشيء إذا تعهده وحفظه أي: اجتنب الخيانة فيه... وكلا اللفظين جائز... قلت: الصواب من حيث الرواية الأولى، فقد رواه منصور عن أبي وائل كرواية الأعمش وهو في الباب الآتي، وإذا ثبتت الرواية وصح المعنى بطل الاعتراض". اهـــ.

ورواية منصور عن أبي وائل التي أشار إليها ابن حجر، أخرجها البخاري كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة (١٦٣/١ فتح الباري)، ومسلم، كتاب صفات النافقين، باب

=

وقد ألمَّ به كعب بن زهير(1) في قوله:

....لَمْ تَخَوَّنْهُ الأَحالِيْل(2)(3)

الاقتصاد في الموعظة (٢١٧٣/٤ رقم ٨٣).

وروى الحافظ أبو أحمد العسكري في تصحيفات المحدثين (١٥٤/١) عن الأصمعي قال: "يقال: يتخولنا ويتخوننا جميعاً فمن قال: يتخولنا يقول: يستصلحنا يقال: رجلٌ خائلُ مالٍ، ومن قال: يتخوننا قال: يتعهدنا". اهـ. وانظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٧٩/١).

تنبيه: لم أقف على الحديث عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- كما ذكره المؤلف، وإنما هو عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- والله أعلم.

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، من مزنية مضر، من فحول الشعراء، أهدر النبي ﷺ دمه فأرسل إليه أخوه بُجير -وكان قد أسلم قبله- يُخبره ويأمره بالإسلام، فقدم على النبي ﷺ مسلماً ومدحه بقصيدته التي مطلعها:

بانتْ سعادُ فَقَلْبي اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ

فكساه النبي ﷺ بردته.

انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٥٤/١)، أسد الغابة (١٧٥/٤).

(٢) ق: الأضالين، وفي الأصل و ص: الأضاليل.

(٣) قال كعب -رضي الله عنه-:

تُمرُّ مثل عَسيبِ النَخْلِ ذا خُصَلٍ ... في غارزٍ لم تخونه الأحاليلُ

الغارز: الضرع، لم تُخَوِّنْه: لم تُنَقِّصْه، الأحاليل: مجاري اللبن.

نزلت في أبي لبابة وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر بني قريظة(1) إحدى وعشرين ليلة، فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير(2) ويجليهم كما أجلى إخوانهم إلى أَذْرِعَات الشام(3) وأَرِيْحاء(4) فأبى، فقالوا: اجعل بيننا وبينك سعد بن

يقول -ﷺ- في وصف الناقة: إنها تمر بذنبها الذي كعسيب النخل على ضرعها الذي لم تخونه الأحاليل، يريد أنها لم تنتج فتحلب فيضر ذلك بقوتها.

انظر: السيرة لابن هشام (٤/١٦١)، شرح ديوان كعب (ص١٣)، لسان العرب (غرز) (٥/٣٨٧) (حلل) (١١/١٧٠).

(١) بنو قريظة: إحدى طوائف اليهود التي كانت تسكن حول المدينة، هادنهم الرسول ﷺ لما قدم المدينة، ونقضوا العهد في سنة خمس، وظاهروا الأحزاب على المؤمنين، فحاصرهم الرسول ﷺ بعد غزوة الأحزاب، ثم حكم فيهم سعد بن معاذ بأن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٢٨، ٣/٢٥٧) البداية والنهاية (٣/٢٢٤).

(٢) بنو النضير: من اليهود الذين هادنهم النبي ﷺ مقدمه المدينة، وكانوا حلفاء الخزرج، فنقضوا العهد، وخانوا رسول الله ﷺ وهموا بقتله وذلك بإلقاء صخرة عليه لما جاء يستعينهم في دية قتيلين، فأخبره الله تعالى بذلك فحاصرهم، ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح وذلك في سنة أربع.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢١٢) البداية والنهاية (الموضع السابق).

(٣) اختلف العلماء في تحديد موقع أذرعات بعد اتفاقهم على أنها بالشام، فقال بعضهم: إنها من البلقاء، وذهب آخرون إلى أنها من حوارن.
انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص٢٢).

(٤) مدينة من مدن فلسطين، مما يلي بيت المقدس.
انظر: معجم البلدان (١/١٦٥).

معاذ، ونحن نرضى بحكمه، وننزل[1] [فرضي][2] رسول الله ﷺ بذلك[3]، وأرسل إليهم أبا لبابة وكان مناصحاً لهم، فلما بلَّغ الرسالة أشار[4] بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: "فلم تزل قدماي مكانهما حتى علمت أني قد خنت اللهَّ ورسوله"، فندم على ذلك وربط نفسه بسارية من سواري المسجد وقال: "والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب اللهَّ عليَّ" فمكث على ذلك سبعة أيام فخر مغشياً عليه [ثم تاب الله عليه][5]، فقيل: له: "قد تِيْبَ عليك فَحُلَّ نفسك"، فقال: "لا والله، حتى يحلها[6] رسول الله"، فجاء وحلّه فقال: "إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي الذي أصبت بها الذنب[7]، وأن أَنْخَلِع من مالي" فقال رسول الله ﷺ: «يجزيك الثلث»[8].

---

(١) في الأصل: ونزل.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) ق: لذلك.

(٤) في الأصل: إشارة.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٦) في ص: تحلها.

(٧) في ق: الذنوب.

(٨) أخرجه الطبري (١٣/٤٨١) عن الزهري بلفظ مقارب.

﴿ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ فيما بينكم مجزوم داخل تحت النهي، أو منصوب بتقدير "أن" بعد الواو نحو قوله: ﴿ تَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾[1][2].

﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ قبح الخيانة، أو حال كونكم عالمين عامدين[3] ليس ذلك على سبيل السهو، أو أنتم علماء لا يخفى عليكم حسن الأشياء وقبحها[4].

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ تختبرون بها فلا يحملنكم حبهما

وذكر القصة الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٨)، والبغوي (٣/٣٤٧)، وفيها أن النبي ﷺ هو الذي أمرهم بالنزول على حكم سعد بن معاذ -رضي الله عنه- وقد جاءت القصة أيضاً عن جمع من التابعين منهم: عبدالله بن قتادة، والكلبي، والسدي، وعكرمة.

انظر: الطبري (١٣/٤٨٢)، الدر المنثور (٤٠/٤٨).

وراجع القصة في السيرة لابن هشام (٣/٢٥٧-٢٦٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٠٨)، معاني القرآن للأخفش (١/٧١)، إعراب القرآن للنحاس (١/٦٧٣)، الكشاف (٢/٥٧٤)، البيان لابن الأنباري (١/٣٨٦)، تفسير البيضاوي (١/٣٨١).

(٣) ص: عابدين.

(٤) انظر الأوجه في: الكشاف (٢/٥٧٣)، تفسير البيضاوي (١/٣٨١).

على الخيانة(١)، وتقديم الأموال لعمومها في الناس، أو لكونها شقيق الروح، وكان أبو لبابة إنما وقع [فيما وقع](٢)؛ لأن عياله وأمواله كانت في أيدي(٣) بني قريظة(٤).

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ لا يحاط بمقداره فلا تفوتوه بحب الأموال والأولاد الفانية.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [هو](٥) ما يُفرق به بين الحق والباطل، أيَّ شيء كان(٦) كالحلوان والعنوان(٧)، والمراد به في

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٢) ساقط من ق.

(٣) ق: يد.

(٤) انظر: الوسيط (٢/٤٥٤)، تفسير البغوي (٣/٣٤٨)، الكشاف (٢/٥٧٥).

(٥) ساقط من ق.

(٦) انظر: مادة (فرق) في معجم مقاييس اللغة (٤/٤٩٣)، المفردات (ص٦٣٢).

وانظر: تفسير الطبري (١٣/٤٩١).

(٧) الحُلْوَان: العطاء، وحلوان المرأة: مهرها، وحلوان الكاهن: أجرة كهانته، والحلوان: ما أعطيت من رشوة ونحوها، وحَلَوْتُ الرجل على كذا مالاً فأنا أحْلُوه حَلْواً وحُلْواناً إذا وهبت له شيئاً على شيء يفعله لك غير الأجرة، وحلوت الرجل حلواناً إذا أعطيته.

انظر: معجم مقاييس اللغة (حلو) (٢/٩٤)، لسان العرب (حلا) (١٤/١٩٣).

الآية إما النصر[1]؛ لأنه يفرق بين المحق والمبطل، ولذلك سمي [يوم][2] بدر: يوم الفرقان[3]، أو ما يُلقي اللهّ في قلوب المتقين لدى[4] الاشتباه[5] لقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

والمراد كما أن الحلوان والعنوان فُعلان بمعنى ما يُحلى به ويُعنون به، كذلك الفرقان فعلان بمعنى ما يفرق به.

(١) عزاه ابن الجوزي في زاد المسير لابن عباس -رضي الله عنهما- من رواية الضحاك (٣/٣٤٦)، وذكره الواحدي في البسيط (١/٢٢١) عن الكلبي، واختاره الفراء، معاني القرآن (١/٤٠٨)، وصدَّر به الزمخشري الأقوال في الآية (٢/٥٧٥).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) في قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ سورة الأنفال، آية (٤١).

(٤) في الأصل: لذى. والمثبت من سائر النسخ.

(٥) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق علي بن أبي طلحة بلفظ: "﴿فرقاناً﴾ يقول: مخرجاً". (١٣/٤٨٩)، وذكره الواحدي في البسيط عنه من طريق عطاء بلفظ مقارب (١/٢١٩).

وهو قول كثير من المفسرين بعبارات مختلفة متقاربة في المعنى.

انظر: الطبري (١٣/٤٨٨)، البغوي (٣/٣٤٩)، تفسير ابن كثير (٣/٥٨٣).

ولا يمنع أن تكون هذه المعاني للفرقان -وغيرها مما جاء عن السلف- كلها صحيحة؛ لأنه ليس بينها =

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1].

﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ لأن الحسنات يذهبن السيئات[2].

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ يتجاوز عن ذنوبكم؛ فالأَوْلى حمل أحدهما على الصغائر والآخر على الكبائر؛ لأن المتقي تائب والتوبة تجب ما قبلها من الكبائر.

وقيل: ما تقدم وما تأخر ويُخص بأهل بدر؛ لأن اللهَّ تعالى اطلع عليهم يوم بدر وقال: «افعلوا بعد اليوم ما شئتم ولا حرج»[3].

تعارض، وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري -رحمه الله- حيث يقول: "وكل هذه التأويلات في معنى (الفرقان) -على اختلاف ألفاظها- متقاربات المعاني... فجميع ما روينا -عمن روينا عنه- في معنى (الفرقان) قول صحيح المعاني، لاتفاق معاني ألفاظهم في ذلك". اهـ. (٩٨/١-٩٩)، وانظر أيضاً: الطبري (٤٨٨/١٣)، والقول بالعموم هو ما اختاره الحافظ ابن كثير وأبوحيان -رحمهما الله-، ورجحه الإمام عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- (من تعليقه على تفسير ابن كثير مساء يوم الأربعاء ١٤١٧/٧/٢هـ).

انظر: تفسير ابن كثير (٥٨٤/٣)، البحر المحيط (٤٨١/٤).

(١) سورة البقرة، آية (٢٨٢).

(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ سورة هود، آية (١١٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، (سورة الممتحنة) باب: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (٦٠/٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر (١٩٤١/٤) رقم (١٦١) عن علي -

﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩ ﴾ لا يحاط بفضله ولا يقتصر على المغفرة بل يبدل[1] سيئات التائب حسنات[2]، وفيه إيماء إلى أن جزيل نواله تفضل[3]؛ لأن/ العبد لا يستحق أجراً في مقابلة عمله[4].

ﷺ- في قصة كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بخروج الرسول ﷺ لفتح مكة بلفظ: « وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ».

والقول بأن هذا خاص في أهل بدر ليس بظاهر؛ لأن الآية عامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، مع أنه لم يرد دليل يجب المصير إليه يدل على أن الآية في أهل بدر.

وقريب من هذا القول بأنها في الكبائر والصغائر فإنه يحتاج إلى دليل، ولا دليل على ذلك، والأظهر ما قاله الرازي في التفسير الكبير (١٢٤/١٥): "واعلم أن المراد من تكفير السيئات سترها في الدنيا، ومن المغفرة إزالتها في القيامة".

وقال البيضاوي (٣٨١/١) "﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ ويسترها ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ بالتجاوز والعفو عنها". اهـ.

وقال ابن كثير (٥٨٤/٣): "وتكفير ذنوبه وهو محوها، وغفرها: سترها عن الناس".

(١) ق: يبدل الله.

(٢) قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ ﴾ سورة الفرقان، آية (٧٠).

(٣) ص: تفضل منه.

(٤) وفي هذا رد على المعتزلة الذين يقولون إن الجزاء مستحق عليه -تعالى- استحقاق الأجرة على المستأجر، وأن

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1] لما ذكر ما منَّ به عليه من قهر العدو بالقتل والأسر، وردَّ أمر الغنيمة إليه، وأمَرَ المؤمنين بطاعته واستجابة دعائه والمسارعة إلى امتثال أوامره، ذكَّره سوابق نعمه ليتوفر على القيام بشكرها، أيْ: اذكر ذلك الوقت [أو حادثة ذلك الوقت][2].

لما مات أبو طالب[3] وهاجر من أصحاب رسول الله ﷺ[4] من هاجر وبايعه[5]

هذا محض حق العباد الذي عاوضوه عليه، وهذا فرع عن قولهم بأن أفعال العباد ليست مقدورة لله، وإنما هم الذين جعلوا أنفسهم مريدين فاعلين. مدارج السالكين (١/٦٢، ٦٣).

وانظر مذهبهم في: الملل والنحل للشهرستاني (ص٤٥).

(١) قال أبو حيان: "وهذا المكر هنا هو بإجماع المفسرين ما احتمعت عليه قريش في دار الندوة". البحر المحيط (٤/٤٨١).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) أبوطالب هو عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، عم الرسول ﷺ ووالد علي ابن أبي طالب، كفل النبي ﷺ وعمره تسع سنين بعد موت جده عبدالمطلب وناصره بعد البعثة، كان ﷺ حريصاً على هدايته ولكن لم يشأ الله لـه الدخول في الإسلام مع علمه بصدق الرسول ﷺ وصحة ما يدعو إليه وفي ذلك يقول:

ودعوتني وعلمتُ أنكَ ناصحي ... فلقد صدقتَ وكنتَ قبل أميناً

وعرضتَ ديناً قد علمتُ بأنه ... من خيرِ أديانِ البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً

وكان مَنَعَه من الإسلام خشية أن يعيّره قومَه بترك دينه، وتزعم الرافضة أن أبا طالب كان قد أسلم، ولابن النعمان المفيد الرافضي رسالة سماها "إيمان أبي طالب". توفي قبل الهجرة بثلاث سنوات.

انظر: البداية والنهاية (٣/١٢٢)، الأعلام (٤/١٦٦).

(٤) ق بتكرار: صلى الله.

(٥) ص: من هاجروا بايعه.

الأنصار وأسلموا فشق ذلك عليهم وخافوا من تفاقم أمره، اجتمعوا[1] في دار الندوة للمؤامرة في شأنه، فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ؛ فقال: "أنا شيخ ذو رأي من نجد، وقد سمعت بأمركم فدخلت عليكم ولن تعدموا مني نصحاً"، فرضوا به وشرعوا في التشاور فقال أبو البَخْتَرِيّ[2]: "الرأي عندي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتلقوا إليه في كُوّةٍ طعامه وشرابه وتتربصوا[3] به ريب المنون" فقال إبليس: "هذا ليس برأي إذ لا تأمنوا أن يقاتلكم عليه قومُه ويخلِّصُوه"[4]، وقال بعضهم: "الرأي عندي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم وتستريحوا منه"، فقال إبليس: "ليس هذا برأي إذ لا تأمنوا أن يفسد قوماً

(١) في ق: واجتمعوا.

(٢) في ص: البخري، وفي ق: البحتري.

وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى، كان من النفر الذين نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم يوم بدر، قال ابن إسحاق: "لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش". اهـ.

لقيه المُجَذَّرُ بن زياد البلوي فأراد منه أن يستأسر فأبى إلا القتال فقتله.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٤١)، البداية والنهاية (٣/٢٨٥).

(٣) ق: ويتربص.

(٤) في ق: ويخلصونه.

ويقاتلكم بهم"، فقال أبو جهل: "إني أرى أن تأخذوا من كل بطن عبداً وتعطوه سيفاً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق(١) دمه في(٢) القبائل، فلا يقدر بنو هاشم على قتال قريش كلهم، فإذا طلبوا العَقْل عقلناه"(٣)، فقال إبليس: "الرأي ما يراه هذا الفتى فهو أجودكم رأياً". فتفرقوا على ذلك فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وأمره بالخروج، وأن لا يبيت تلك الليلة في مضجعه، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بالبيتوتة في مكانه، وقال لـه: "اتشِح ببردتي(٤) لا يخلص إليك شرٌّ"، وخرج مع الصديق مهاجراً والقوم باتوا مترصدين له، فلما(٥) أصبحوا لم يروا إلا علي بن أبي طالب وردَّ اللهُ مكرهم، ولما اقتفوا أثره فأعمى اللهُ

(١) في الأصل: فتفرق.

(٢) في ق: على.

(٣) قال في النهاية (عقل) (٣/٢٧٨): "أما العَقْل فهو الدية، وأصله: أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول أي: شدَّها في عُقُلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه، فسميت الدية عَقْلاً بالمصدر... إلخ".

(٤) ق: بردتي.

(٥) في الأصل زيادة وتكرار على النحو التالي: مهاجراً والقوم باتوا مترصدين مهاجراً والقوم فلما ... إلخ.

أبصارهم"[1]، وفي الحديث: أنهم لما لبثا[2] بعد الخروج ثلاثة أيام في الغار وجاء الطلب في أثرهم، وصعدوا فوق الغار، فقال أبوبكر: "لو نظروا يا رسول اللهَّ تحت أرجلهم لرأونا" فقال رسول اللهَّ ﷺ: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين اللهَّ ثالثهما»[3]، وقد روي أنه -عليه السلام- لما رأى بالصديق اضطراباً فقال لـه: "انظر إلى جانب الغار" فنظر فرأى بحراً وعلى ساحله سفينة[4].

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة قال: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر (وفي الأصل: جبير وهو تحريف) أبي الحجاج، وغيره ممن لا أتهم عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- ... الحديث. انظر: سيرة ابن هشام (٩٤/٢)

ورواه الطبري (٤٩٨/١٣) من طريق ابن إسحاق، ورواه الإمام أحمد مختصراً (٣٤٨/١ رقم ٣٢٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠/٧): فيه عثمان بن عمرو الجزري وثّقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ. وروى القصة عبدالرزاق في مصنفه من طرق بألفاظ مختلفة (٣٨٤/٥ رقم ٩٧٤٣)، والبيهقي في الدلائل (٤٦٥/٢).

(٢) أي: رسول الله ﷺ والصديق -رضي الله عنه-.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين (١٩٠/٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الصديق -رضي الله عنه- (١٨٥٤/٤ رقم ١) عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-.

(٤) لم أقف عليه مسنداً، وقد نقله ابن كثير في البداية والنهاية (١٨٣/٣) عن بعض أهل السير دون تصريح بمن

﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ بالحبس والوثاق(1)، أو(2) الإثخان بالجراح(3) ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ بالسيوف ﴿ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ من بلدك هائماً على وجهك، ﴿ وَيَمْكُرُونَ ﴾ ويخفون ذلك ماكرين بك ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ يعاملهم معاملة الماكر من حيث لا يشعرون(4)،

نقل عنه، ثم قال: "وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به". اهـ.

(١) رواه الطبري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وعطاء وعبدالله بن كثير (١٣/٤٩١، ٤٩٢) ذكره بعضهم بلفظ الحبس وبعضهم بلفظ الوثاق، واختاره الفراء (١/٤٠٩) ولفظه: ليحبسوك في البيت.

(٢) ق: و.

(٣) عزاه أبو حيان لعطاء والسدي (٤/٤٨١)، وعزاه القرطبي لأبان بن تغلب وأبي حاتم (٧/٣٩٧)، وذكره الزمخشري (٢/٥٧٦) والبيضاوي (١/٣٨١).

(٤) هذا من تأويل الصفات والعدول بالنصوص عن ظاهرها وهو خلاف ما كان عليه السلف، والصواب إثبات المكر لله تعالى كما ثبت في الآية دون حاجة إلى أن نقول: إنه يعاملهم معاملة الماكر... أو أن ذلك على سبيل الازدواج والمشاكلة، بل نثبت الآية على ظاهرها.

يقول الشيخ د. صالح الفوزان -بعد ذكر الآيات التي فيها إثبات المكر والكيد لله تعالى-: "في هذه الآيات وصف الله بالمكر والكيد، ونسبة ذلك إليه -سبحانه- حقيقة على بابه فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة.

=

كما فعل بهم يوم بدر بأن قَلَّل المسلمين في أعينهم حتى اجترؤا على القتال، ثم أمدهم بالملائكة[1].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ لا يؤْبَه[2] لمكرهم عند مكره، وإطلاق مثله عليه على سبيل المشاكلة والازدواج[3].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ

والمكر والكيد نوعان: قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى من يستحقه عقوبة لـــه. فالأول مذموم، والثاني ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب، لا كما يفعل الظلمة بعباد الله، والله أعلم.

والله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلم أن المجازاة حسنة من المخلوق، فكيف بالخالق -ﷻ-". اهـــ. شرح العقيدة الواسطية (ص٥٦).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٨٢).

(٢) قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (٤/٤٦٥): "يؤبه ويعبأ به بمعنى: يعتد به".

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٨٢)، وراجع ما تقدم قريباً عند قوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾، وانظر تعريف المشاكلة ص(٥١٩).

هَٰذَآ ﴾ هو[1] قول أبي جهل؛ كذا أسنده البخاري[2]، وقيل: نضر بن الحارث[3]، وكان قد جاء بأكاذيب العجم ....

---

(١) ق: هذا.

(٢) لم يرو البخاري ولا غيره أن هذه الآية نزلت في أبي جهل، وإنما ذلك في الآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الأنفال، آيـة (٣٢). فقـد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك -ﷺ- قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة الأنفال، آية (٣٣-٣٤).

البخاري، كتاب التفسير (سورة الأنفال) باب: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١٩٩/٥)، ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٢١٥٤/٤ رقم ٣٧).

(٣) النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبدمناف بن عبدالدار، كان ممن يؤذي رسول الله ﷺ -

من قصة رستم واسفنديار(١)، وكانت قريش(٢) تجتمع عليه عند الركن ويقرأ عليهم تلك الأكاذيب ويزعم أنه أحسن قصصاً من رسول الله ﷺ فأُسِرَ يوم بدر فأمر رسول الله ﷺ الزبير فضرب عنقه(٣).

بمكة، قتله علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- صبراً بين يدي رسول الله ﷺ بالصفراء بعد بدر.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٢٣)، البداية والنهاية (٣/٣٠٥).

والقول بأن الآية في النضر بن الحارث رواه ابن جرير عن ابن جريج والسدي وسعيد بن جبير (١٣/٥٠٣-٥٠٤) وهو قول سائر المفسرين.

انظر: الوسيط (٢/٤٥٥)، البغوي (٣/٣٥٠)، الكشاف (٢/٥٧٧)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٩٧)، تفسير ابن كثير (٣/٥٨٧).

(١) لم أقف على المقصود برستم هنا، وأما اسفنديار فلعله ابن بستاشب بن لهراسب من ملوك الفرس وأحد أجدادهم القدماء.

انظر: جمهرة أنساب العرب (ص٥١١).

(٢) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص: القريش.

(٣) رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير بمعناه دون ذكر الزبير -رضي الله عنه-، ورواه أيضاً بمعناه دون ذكر قتله عن السدي وابن جريج (١٣/٥٠٣-٥٠٤) وذكره كثير من المفسرين.

انظر: الوسيط (٢/٤٥٥)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٢٦٠)، تفسير البغوي (٣/٣٥١)، تفسير ابن كثير (٣/٥٨٧).

تنبيه: لم أقف على من ذكر أن الذي قتل النضر بن الحارث هو الزبير -رضي الله عنه- والذي وقفت عليه هو أن الذي =

وإنما لم يصف الآيات بالبينات إشارة إلى فرط عنادهم، وأنهم لم يقولوا تلك المقالة عن تدبر فيها ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ نقلت إليه.

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾[1] كما يزعمه محمد ﷺ ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ معدة للعذاب كما أنزلتها على قوم لوط وأصحاب الفيل[2] ﴿ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ نوع آخر مشابه له؛ يريدون أن ما يدعيه محمد ﷺ بأنه منزل من عندك افتراء عليك، ونحن قاطعون

قتله علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، ذكر ذلك الواقدي في المغازي (١٤٩/١)، وابن هشام في السيرة النبوية (٣٢٣/٢)، وابن الأثير في الكامل (٩١/٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣٠٥/٣).

(١) نزلت هذه الآية في أبي جهل كما رواه البخاري، ومسلم عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- كما سبق بيانه في الآية السابقة ص(٨٩).

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث. رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والسدي (٥٠٥/١٣-٥٠٦).

(٢) أصحاب الفيل: هم أبرهة ومن معه من الحبشة وأهل اليمن ممن أرادوا هدم الكعبة عام مولد الرسول ﷺ وذلك أن أبرهة بنى كنيسة عظيمة في اليمن، وأراد صرف العرب للحج إليها بدل الكعبة، فغضبت العرب لذلك فجاء بعضهم وأحدث فيها، فلما علم أبرهة غضب غضباً شديداً وأقسم ليهدمنَّ الكعبة، وخرج لذلك في جيش عرمرم عظيم ومعهم الفيلة، فلما بلغوا مكة وأرادوا دخولها أرسل الله عليهم طيراً تحمل حجارة من سجيل، فقتلت كثيراً منهم وهرب الباقون وكان ذلك آية من آيات الله.

انظر: سيرة ابن هشام (٧٦/١)، تفسير الطبري (١٩١/٣٠)، البداية والنهاية (١٧٠/٢).

بعدم حقيته[1]، فإن كان الأمر كما يزعمه فأنزل علينا الحجارة؛ لأنا مستحقون لذلك بإنكارنا الحق[2]، وهذا أسلوب بليغ في الإنكار يستعمل كثيراً، و مآله[3] إلى التعليق بالمحال[4]. وإنما عرَّفوا ﴿ ٱلْحَقَّ ﴾ إشارة إلى أن المنكر حقيته على الوجه الذي يدعيه محمد ﷺ من نزوله إليه من عند الله؛ لأنهم لا ينكرون صدقه مطلقاً لقولهم بأنه من أساطير الأولين[5].

روي أن معاوية قال لرجل من أهل اليمن: ما أقل عقلاً قوماً وَلَّوا عليهم امرأة يريد: بَلْقِيس[6]، فقال: أقل عقلاً منهم من قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة[7].

---

(١) ق: حقيقته.

(٢) كذا في الأصل، وسائر النسخ: بإنكار.

(٣) ق: ومثاله.

(٤) انظر: الكشاف (٢/٥٧٧).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٨٢).

(٦) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من حِمْيَرَ ملكة سبأ، ذكر الله -تعالى- قصتها في سورة النمل (٢٠-٤٤)، آمنت واتبعت سليمان -عليه السلام-.

انظر: البداية والنهاية (٢/٢١)، الأعلام (٢/٧٣).

(٧) رواه الواحدي في الوسيط (٢/٤٥٦) بنحوه وفي: إسناده محمد بن زكريا الغلابي، قال فيه =

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ يريد أن موجِب العذاب قد تكامل، ولكن سنة الله مع الأنبياء أن لا يعذب قومهم ما داموا بين أظهرهم لشرفهم عند الله ومكانتهم، ألا ترى أن الناس إذا أحسوا العذاب من غرق أو حرق يتوسلون إلى الله -تعالى- بالأولياء والصالحين[1] في دفعه[2]،

الدارقطني: "يضع الحديث". ميزان الاعتدال (٣/٥٥٠).

وفي إسناده أيضاً: العباس بن بكار الضبي، قال الدارقطني: "كذاب". ميزان الاعتدال (٢/٣٨٢).

وانظر القصة في: تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٢٦١)، البحر المحيط (٤/٤٨٣).

(١) في ص: بالأولياء الصالحين.

(٢) لفظ التوسل بالصالحين لفظ فيه اشتراك فهو يشتمل على معان عدة، منها ما هو جائز ومنها ما لا يجوز.

أما التوسل الجائز فهو: التوسل إلى الله تعالى بمحبة الأنبياء والصالحين ومتابعتهم على الطاعة، أو التوسل بدعائهم ما داموا أحياء، ومن أمثلة ذلك: قصة الأعرابي الذي دخل المسجد والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال، فادع الله أن يسقينا، فرفع ﷺ يديه يدعو، وقال: **اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**. فثار السحاب أمثال الجبال فمُطروا... الحديث. رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة (١/٢٢٤) عن أنس -رضي الله عنه-.

ومن أمثلته: قول عمر -رضي الله عنه- لما قحطوا وخرجوا يستسقون: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون". رواه البخاري، كتاب الاستسقاء،

=

والمعنى[1]: أنهم كانوا يستحقون العذاب لما تشاوروا في أمرك، وسبب التأخير إلى يوم بدر وجودك بين أظهرهم.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ بعد خروجك، والمستغفرون هم ضعفة المسلمين الذين لم يقدروا على الخروج والهجرة بعد رسول الله ﷺ[2]، وهم الذين قال فيهم ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ[3] مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾[4].

باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢/١٥) عن أنس -رضي الله عنه-.

أما النوع الثاني وهو الممنوع فهو: التوسل بذوات الأولياء والصالحين؛ لأن التوسل عبادة والعبادة مبناها على التوقيف، ولم يرد دليل يبيح هذا النوع من التوسل، ويشهد لذلك أن الصحابة عدلوا عن التوسل به ﷺ بعد موته إلى التوسل بعمه العباس -رضي الله عنه-، ولو كان التوسل بالذات جائزاً لكان التوسل به ﷺ أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس عُلم أن ما يُفعل في حياته -وهو الدعاء منه ﷺ- قد تعذر بموته.

انظر: الفتاوى (١/١٥٣، ١٩٩)، الاستغاثة (١/٢٦٧)، الدرر السنية (٩/٢٢).

(١) ق: المعنى. دون الواو.

(٢) رواه ابن جرير (١٣/٥٠٩-٥١١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وأبي مالك والضحاك وابن أبزى.

وانظر: الكشاف (٢/٥٧٨)، زاد المسير (٣/٣٥٠)، البحر المحيط (٤/٤٨٣)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٢).

(٣) في سائر النسخ: لولا بحذف الواو، وهي مثبتة في نسخة المدينة النبوية.

(٤) سورة الفتح، آية (٢٥).

والقول[1] بأن استغفار المستضعفين كان للمشركين بالتوفيق للإيمان بعيد، ولا يلائمه ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ[2] مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾[3].

أو هو أمر فرضي أي: لو استغفروا بعد خروجك لم يُعذبوا[4] ﴿ وَمَا كَانَ

(١) في حاشية الأصل: قائله القاضي، وفي حاشية ق: قائله التفتازاني.

وهذا القول غير موجود في تفسير البيضاوي.

انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٨٢)، (٢/٤١١).

وأما التفتازاني فقال في حاشيته على الكشاف: "... المستغفرون على هذا هم المسلمون، واستغفارهم طلب المغفرة للكفر، وتوفيق الإيمان". -هكذا كتبت- (لوحة ٦٤٧).

(٢) سقط من ق: لولا، كما سقطت الواو من جميع النسخ.

(٣) لأن الله -تعالى- بين أن سبب عدم تسليط المؤمنين على مشركي مكة وجود رجال مؤمنين ونساء مؤمنات، وأنهم ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾، فدل على أن السبب وجود هؤلاء المؤمنين والمؤمنات بمكة.

(٤) رواه ابن جرير عن مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد (١٣/٥١٤)، واختاره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص٧١)، وابن جرير (١٣/٥١٧) والزمخشري (٢/٥٧٨)، وفي الآية أقوال أخرى هي:

الأول: أي فيهم من سبق لــه من الله الدخول في الإيمان كأبي سفيان بن حرب وأبي سفيان بن الحارث وحكيم بن حزام، وهذا قول ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية علي بن أبي طلحة =

رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾[1].

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ رسول الله ﷺ والمؤمنين، وفيه إشارة إلى أنه من أعظم جناياتهم؛ لأنهم كانوا يعترفون بأنه لا يحل منع أحد من زيارة بيت الله ومع ذلك ارتكبوه.

﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ أي: أولياء المسجد[2]، ردٌّ لما كانوا يقولونه/

عند ابن جرير، واختاره الزجاج.

الثاني: ما كان الله ليعذبهم وفي أصلابهم من يستغفر، وهو قول مجاهد، ذكره البغوي (٣٥٤/٣).

والمعنى: أنه يكون لهم أولاد يستغفرون الله ويؤمنون به.

الثالث: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله، فإنهم كانوا يقولون في تلبيتهم: غفرانك. رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

انظر: الطبري (٥١١/١٣-٥١٧)، معاني القرآن للزجاج (٤١٢/٢) تفسير البغوي (٣٥٣/٣) زاد المسير (٣٥٠/٣-٣٥١)، البحر المحيط (٤٨٣/٤-٤٨٤)، تفسير ابن كثير (٥٨٧/٣-٥٨٨).

(١) سورة هود، آية: (١١٧).

(٢) نسب ابن الجوزي هذا القول للجمهور، وهو قول الحسن وابن إسحاق، واختاره البغوي والزمخشري والبيضاوي وأبو حيان وابن كثير وغيرهم.

انظر: السيرة لابن هشام (٢٨٢/٢)، البغوي (٣٥٤/٣)، الكشاف (٥٧٨/٢)، زاد المسير (٢٥٣/٣)، تفسير البيضاوي (٣٨٣/١)، البحر المحيط (٤٨٤/٤)، تفسير ابن كثير (٥٩٢/٣).

[من][1] أنَا ولاة البيت، نمكن من زيارته من شئنا ونمنع من شئنا، أو ما كانوا أولياء الله[2]؛ لأنهم كانوا يقولون: نحن نسقي الحجيج، ونفك العاني، ونطعم الجائع، نحن أولياء الله[3].

﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ من الشرك، فإن المشرك نجس لا يصلح لولاية بيت الله، أو المتقون هم أولياء الله[4] لا غيرهم، ولا اعتبار بتلك المكارم بدون الإيمان. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ فلذلك يتمسكون بما لا يصلح دليلاً، والقيد بالأكثر إما لأن بعضهم يعلم ولكن يعاند، أو أطلق الأكثر على الكل كما[5] يطلق القليل على المعدوم[6].

(١) ساقطة من ق.

(٢) اختاره ابن جرير (١٣/٥١٩)، وعزاه أبو حيان (٤/٤٨٤) للحسن و لم أقف عليه، بل الذي ذكر الواحدي في الوسيط (٢/٤٥٨)، والبغوي (٣/٣٥٤) خلافه، قال البغوي: "قال الحسن: كان المشركون يقولون: نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾". وجوَّد ابن عطية القولين (٢/٥٢٢).

والقولان متلازمان فمن كان من أولياء الله المتقين فهو وليٌّ للبيت الحرام. والله أعلم.

(٣) انظر: ما يأتي في تفسير سورة التوبة ص(٢٢٤).

(٤) القولان مرتبان على القولين في الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾.

(٥) ق: على.

(٦) انظر: الكشاف (٢/٥٧٨)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٣).

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ المَكَّاء -بفتح الميم وتشديد الكاف ممدوداً-: اسم طائر، والمَكَّاء صوته[1]، والتصدية: التصفيق من الصَّدى، أو هو الصوت الراجع إلى المصوت من الجبل[2]، بيّن عدم استحقاقهم لولاية البيت لأنه إنما بني لعبادة[3] [الله وذكره، وهم كانوا يطوفون

---

(١) قال في اللسان: "المُكاء مخفف: الصفير، مَكا الإنسانُ يَمْكُو مَكْواً ومُكَاءً: صَفَر بفيه... والمُكّاء بالضم والتشديد: طائر في ضرب القُنْبُرة إلا أن في جناحيه بَلَقاً، سمي بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً". (مكا) (١٥/٢٩٠).

وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٩)، معجم مقاييس اللغة (مكا) (٤/٣٤٤)، حياة الحيوان للدميري (٢/١٤٩).

وقد ذكره كما ضبطه المؤلف ابن عاشور في التحرير والتنوير (٩/٣٣٨).

وأما ابن سيده في المخصص فضبطه بالضم والتشديد (٢/٨/١٣٥).

(٢) قال في اللسان (صدي) (١٤/٤٥٤): "الصَّدَى: الصوت، والصَّدَى: ما يجيبك من صوت الجبل ونحوه بمثل صوتك". اهـ.

وقال في البحر المحيط (٤/٤٦٩): "التصدية: التصفيق. صدَّى يُصَدِّي تصدية: صفق، وهو فعل من الصدى وهو الصوت". اهـ.

(٣) ق: للعبادة.

مشبكين بين أصابعهم، الرجال مع النساء يصفرون ويصفقون[1]][2].

وإنما أطلق عليه الصلاة لوضعهم موضعها[3]، أو الصلاة بمعنى الدعاء، أو كان لهم صلاة يفعلون فيها ذلك[4].

﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ ما أصابهم يوم بدر[5] أو عذاب الآخرة[6] ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ بسبب استمراركم على الكفر.

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بمعناه (١٣/٥٢٤).
وانظر: البغوي (٣/٣٥٥)، تفسير ابن كثير (٣/٥٩٣).
وقد جاء عن بعض السلف أن صفيرهم وتصفيقهم إنما هو ليخلطوا على النبي ﷺ صلاته إذا قام عند البيت، رواه ابن جرير عن مجاهد (١٣/٥٢٥).
وانظر: الكشاف (٢/٥٧٩)، المحرر الوجيز (٢/٥٢٤).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من ق.

(٣) قال أبوبكر بن الأنباري: "جعلوا ذلك مكان الصلاة، ومشهور في كلام العرب أن يقول الرجل: زرت عبدالله، فجعل جفائي صلتي، أي: أقام الجفاء مقام الصلة". زاد المسير (٣/٣٥٤). وبه قال الزمخشري (٣/٥٧٩).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٨٣).

(٥) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق وابن جريج والضحاك، وعزاه أبو حيان للحسن، واختاره ابن جرير والزمخشري وابن الجوزي وغيرهم.
انظر: السيرة لابن هشام (٢/٢٨٣)، الطبري (١٣/٥٢٨)، الكشاف (٢/٥٧٩)، زاد المسير (٣/٣٥٤)، البحر المحيط (٤/٤٨٦).

(٦) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٨٣)، البحر المحيط (الموضع السابق).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طريقه الموصل إليه وهو شريعة رسوله. نزلت في المطعمين لما خرجوا لتلقي العير، وكانوا اثني عشر رجلاً[1] يطعمون كل يوم عشر جَزائِر[2].

وقيل: في أبي سفيان لما جمع الأحابيش[3] في وقعة أحد؛ فإنه استأجر ألفين

---

(١) وهم: أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري ابن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، والعباس بن عبدالمطلب، والحارث بن عامر بن نوفل، -وقيل غير ذلك- والله أعلم.

انظر: أسباب النزول للواحدي (ص٢٤٠)، البحر المحيط (٤، ٤٩٢).

وراجع أيضاً: السيرة النبوية (٢/٢٧٦)، الطبقات الكبرى (١/١٢٨).

(٢) عزاه ابن الجوزي (٣/٣٥٥) لابن عباس، وهو قول مقاتل والكلبي.

انظر: البغوي (٣/٣٥٦)، البحر المحيط (٤/٤٩٢).

والجزائر: جمع جزور وهو البعير ذكراً كان أو أنثى. انظر: النهاية (جزر) (١/٢٦٦).

(٣) الأحابيش: أحياء من العرب من بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة حالفوا قريشاً. وأما سبب تسميتهم الأحابيش فقيل: لأنهم اجتمعوا عند جبل بمكة يقال لـه حُبْشي، فتحالفوا بالله إنا ليدٌ على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار وما أرسى حُبْشيٌّ مكانه، وقيل: سموا بذلك لاجتماعهم والتحبيش: التجميع.

انظر: نسب قريش ص(٩)، العمدة لابن رشيق (٢/١٩٤)، لسان العرب (حبش) (٦/٢٧٨).

من العرب بأربعين أوقية [كل أوقية](1) وزنها اثنان(2) وأربعون مثقالاً(3).

وقيل: في قريش، فإنهم بعد بدر تشاوروا في أخذ الثأر من رسول الله ﷺ والتزم كل منهم مقداراً يصرفه في جمع الجيش وتهيئة العُدَد(4).

﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ فالأول اتفاقهم على

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من ق. والمثبت أعلاه هو الموافق لما في تفسير الطبري (١٣/٥٣١).

(2) في الأصل: اثنا. والمثبت من سائر النسخ.

(3) رواه ابن جرير عن ابن أبزى، والحكم بن عتبة، والسدي، ومجاهد، وسعيد بن جبير. (١٣/٥٣٠-٥٣١).

وانظر: البغوي (٣/٣٥٦)، الكشاف (٢/٥٧٩)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٣).

(4) وذلك أن الذين أصيبوا يوم بدر مشوا إلى أبي سفيان ومن كانت لـه في العير تجارة، فقالوا لهم: إن محمداً ﷺ قد وَتَرَكُم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا، ففعلوا.

وهذا القول رواه ابن جرير عن ابن إسحاق، وعزاه ابن إسحاق لابن عباس -رضي الله عنهما- (١٣/٥٣٢-٥٣٣).

وانظر: السيرة لابن هشام (٣/٦٨)، الكشاف (٢/٥٧٩)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٣).

وقال أبو حيان في البحر (٤/٤٨٧): "والظاهر الإخبار عن الكفار بأن إنفاقهم ليس في سبيل الله، بل سببه الصد عن سبيل الله، فيندرج هؤلاء الذين ذُكروا في هذا العموم، وقد يكون اللفظ عامًا والسبب خاصاً، والمعنى: أن الكفار يقصدون بنفقتهم الصد عن سبيل الله وغلبة المؤمنين فلا يقع إلا عكس ما قصدوا... إلخ".

الإنفاق ودعوة بعضهم بعضاً إلى ذلك، وهذا إخبار[1] بأنهم سينفقون المال مع عدم ترتب الفائدة، بل مع ما يترتب عليه من الأسف على فراقها، وزيادة العذاب يوم القيامة[2] ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾؛ لأن العاقبة للمتقين ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾[3] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ من مات منهم على الكفر.

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ الكافر من المؤمن[4] متعلق بـ ﴿ يُحْشَرُونَ ﴾[5]، نحو قوله: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[6]، أو ما

(١) في ق: إخبارهم.

(٢) وقال البيضاوي: "ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال وهو إنفاق بدر، والثاني إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاق أحد، ويحتمل أن يراد بهما واحد، على أن مساق الأول لبيان غرض الإنفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته، وإن لم يقع بعد". اهـ. (١/٣٨٣).

(٣) سورة المجادلة، الآية: (٢١).

(٤) قال ابن عباس -رضي الله عنهما- "فميَّز أهل السعادة من أهل الشقاوة". وقال السدي: "يميز المؤمن من الكافر". رواهما ابن جرير الطبري (١٣/٥٣٥).
وهو ظاهر اختيار ابن جرير (١٣/٥٣٤).

(٥) قال الحافظ ابن كثير -بعد أن ذكر قول ابن عباس -رضي الله عنهما- والسدي: "وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة... ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا". (٣/٥٩٥).
واختار سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- عمومه في الدنيا والآخرة. (من تعليقه على تفسير ابن كثير. مساء يوم الأحد ١٣/٧/١٤١٧هـ).

(٦) سورة يس، الآية: (٥٩).

أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ مما أنفقه المؤمنون في نصرته وإعلاء كلمة الله، فاللام متعلقة بـ ﴿ حَسْرَةً ﴾(١) ، قرأ حمزة والكسائي ﴿يُميِّز﴾ بضم الياء والتشديد(٢)، وهو المختار لكثرة استعماله والزيادة(٣) في المعنى(٤) ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ﴾ منضماً بعضه إلى بعض، من الرُكَام وهو: السحاب المتراكب بعضه فوق بعض(٥) ﴿ فَيَجْعَلَهُۥ ﴾ الخبيث ﴿ فِي جَهَنَّمَ ﴾ كله، وفائدة التأكيد

---

(١) قال ابن زيد: "يعني الإنفاق الطيب في سبيل الله من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان".

انظر: البسيط (٢٥١/١)، زاد المسير (٣٥٦/٣)، وهو قول الزجاج (٤١٢/٢).

ولا مانع من عموم الآية للقولين جميعاً، وقد حكى القول بالعموم القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٠١/٧).

(٢) وقرأ الباقون بفتح الياء الأولى وسكون الثانية.

انظر: السبعة (ص٣٠٦)، التيسير (ص٧٧)، تحبير التيسير (ص١٠٢)، النشر (٢٤٤/٢).

(٣) ق: وللزيادة.

(٤) أما مكي بن أبي طالب فمع قوله: "في التشديد معنى التكثير" إلا أنه قال: "التخفيف أحب إليّ لأن الجماعة عليه". اهـ. الكشف (٣٦٩/١).

(٥) قال ابن فارس: "الراء والكاف والميم: أصل واحد يدل على تجمع الشيء، تقول: ركمتُ الشيء: ألقيت =

دفع توهم فوت مُحَقَّر منه كما هو المتعارف من الملوك في الدنيا، فإنهم يسامحون في ذلك.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٣٧ ﴾ كل الخسْران؛ لأن ما جعلوه وسيلة للنفع في الدنيا لم ينتج، وصار زيادة في العذاب يوم القيامة.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ أي: في شأنهم وحقهم ﴿ إِن يَنتَهُواْ ﴾ عن الكفر ﴿ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ أيّ ذنبٍ كان؛ فإن الإسلام يجبُّ ما قبله(١)؛ على عمومه في الحربي؛ لأنه لم يلتزم شيئاً من الأحكام(٢)، وأما الذمي فيسقط عنه ما عدا

بعضه على بعض، وسحاب مُرْتكم ورُكام". معجم مقاييس اللغة (ركم) (٢/٤٣٠).

وانظر: تهذيب اللغة (ركم) (١٠/٢٤٢).

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٢٠٤ رقم ١٧٨٤٦) من حديث عمرو بن العاص -ﷺ- بلفظ: "إن الإسلام يجب ما كان قبله". ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله (١/١١٢ رقم ١٩٢) أيضاً بلفظ: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله".

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الحربي إذا أسلم لم يؤخذ بشيء مما عمله في الجاهلية لا من حقوق الله ولا من حقوق العباد من غير خلاف نعلمه، لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ... ﴾ ولهذا أسلم خلق كثير وقد قتلوا رجالاً يعرفون، فلم يُطْلَب أحد منهم بقود ولا دية ولا كفارة". الصارم المسلول (ص١٥٤).

وقد نقل الإجماع على ذلك القرطبي في الجامع (٧/٤٠٢)، والنووي في شرح صحيح مسلم (١/١٣٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٨٩)، وغيرهم.

حقوق العباد[1].

﴿ وَإِن يَعُودُوا ﴾ استمروا على الكفر[2]، أو يعودوا إلى القتال ومشاقة الرسول[3].

﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سنة الله في الكفار الدارجين وهي أنهم أهل النار، أو سنة الكفار المعاندين للرسل وهي الاسْتِئْصال[4]، أو

---

(١) قال أبو حيان (٤/٤٨٩): "إذا أسلم الذمي فيلزمه قضاء حقوق الآدميين لا حقوق الله تعالى". اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في البسيط عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (١/٢٥٥)، وهو قول ابن كثير (٣/٥٩٧) ولفظه: "أي يستمروا على ما هم فيه". اهـ.

وانظر: زاد المسير (٣/٣٥٧).

وقد اعترض ابن عطية على هذا القول فقال: "وقوله: ﴿ وَإِن يَعُودُوا ﴾ يريد إلى القتال؛ لأن لفظة "عاد يعود" إذا جاءت مطلقة فإنما تتضمن الرجوع إلى حالة قد كان الإنسان عليها ثم تنقل عنها... ولا يصح أن يتأول ﴿ وَإِن يَعُودُوا ﴾ إلى الكفر لأنهم لم ينفصلوا عنه... إلخ". المحرر الوجيز (٢/٥٢٧).

(٣) انظر: الطبري (١٣/٥٣٦)، الكشاف (٢/٥٨٠)، زاد المسير (٣/٣٥٧)، البيضاوي (١/٥٨٤).

(٤) استأصل الشيء: قطعه من أصله، واستأصل الله القوم: قطع أصلهم.

والمراد بالاستئصال: العذاب العام الذي يهلك القوم جميعاً.

انظر: لسان العرب (أصل) (١١/١٦)

الأولين منهم وهم قُتلاء بدر[1].

﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ ﴾ إن لم ينتهوا ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ شرك[2] وضلال ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ لا يكون لغيره فيه نصيب، لكونه المستحق دون غيره ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ يجازيهم على ما عملوا.

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ وأعرضوا عن هذا النصح والبشارة بمغفرة ما سلف منهم[3] ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ ﴾ أنتم أيها المؤمنون، والمراد الاستمرار ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ ناصركم، دائم النصر لكم ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ المالك المنعم ﴿ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ الناصر الذي لا يغلب[4].

---

(١) انظر: الطبري (١٣/٥٣٦)، الكشاف (٢/٥٨٠)، البحر المحيط (٤/٤٨٩).

(٢) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والحسن وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد (١٣/٥٣٨-٥٣٩).
وهو قول عامة المفسرين من السلف والخلف.
انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٩٦-٥٩٧).

(٣) في ص: عنهم.

(٤) قال أبو حيان في البحر (٤/٤٨٩): "والأعرق في الفصاحة أن يكون ﴿ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ خبر ﴿ أَنَّ ﴾، ويجوز أن يكون عطف بيان، والجملة بعده (أي الجملة المدحية) خبر ﴿ أَنَّ ﴾ أي: الله أو هو، والمعنى: فثقوا بموالاته ونصرته". اهـ.
انظر: الدر المصون (٥/٦٠٤).

﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ نزلت في غنائم بدر[1]، بعد ما ردَّ أمرها إلى رسوله فصَّل ذلك المجمل وَقنَّن قانوناً يمشون عليه مدى الدهر، والمعنى: اعلموا علماً مقروناً بالعمل أن كل شيء غنمتموه من الكفار مما يقع عليه اسم شيء جليلاً كان أو حقيراً[2] ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ فثابت لله خمسه، خبر للموصول في ﴿ أَنَّمَا ﴾ والجملة قامت مقام مفعولي العلم.

﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أيْ: تقسم[3] الغنيمة خمسة أخماس[4]، ثم يؤخذ الخمس الواحد ويصرف على هذه المصارف الخمسة، فإن ذكر اللهً في أمثاله للتوطئة، وكأنه قيل: حق الخمس أن

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/٤٩٢).

(٢) روى ابن جرير عن مجاهد: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ قال: المِخيَط من الشيء. (١٣/٥٤٨)، قال ابن جرير -رحمه الله-: "وأما قولــه ﴿ مِّن شَىْءٍ ﴾ فإنه مراد به كل ما وقع عليه اسم شيء مما خوَّله الله المؤمنين مِنْ أموال مَنْ غلبوا على ماله من المشركين مما وقع عليه القَسْم حتى الخيط والمِخيَط". (١٣/٥٤٧).

(٣) في ص وَ ق: تقسيم.

(٤) في ص: أخماص.

يكون متقرباً به إليه تعالى[1]، ثم خص الجهة المصروف إليها بهؤلاء الأخصين به.

وقيل: بل هناك سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب[2]، ولم يذهب إليه أحد من أئمة المذاهب، فإن أبا حنيفة -رحمه اللهً- حصره في اليتامى والمساكين وابن السبيل؛ لأن سهم رسول اللهً وذوي القربى ساقط عنده، وإنما يعطى ذوو قرابته إذا اتصفوا بإحدى الصفات الثلاثة[3].

وقال الشافعي -رحمه اللهً- بل الأخماس باقية كما كانت في عهده ﷺ فسهمه

---

(١) وهو قول جماهير أهل العلم، ورجحه ابن جرير "لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم". (١٣/٥٥٢).

وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/٢١٨): "وأجمعوا على أن اللام في قوله تعالى ﴿ لِلَّهِ ﴾ للتبرك إلا ما جاء عن أبي العالية".

(٢) قال به أبو العالية -فيما رواه ابن جرير- والربيع بن أنس -فيما ذكره الواحدي في البسيط- وقالوا: إن قوله: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ ليس لافتتاح الكلام بل الخمس يقسم ستة أقسام، منها سهم لله تعالى يجعل للكعبة.

وقيل: ما نسب لله يصرف في الطاعات كالصدقة على فقراء المسلمين ونحو ذلك.

انظر: الطبري (١٣/٥٥٠)، البسيط (١/٢٦٣)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٢٦٥)، الجامع لأحكام القرآن (٨/١٠)، البحر المحيط (٤/٤٩٢).

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٨١)، بدائع الصنائع (٧/١٢٥).

يصرف إلى ما كان يصرفه إليه[1] من الكُراع[2] والسلاح وما كان عدة للجهاد وسائر مصالح المسلمين، وسهم ذوي القربى يصرف إليهم، يستوي فيه الغني والفقير[3] للذكر مثل حظ الأنثيين[4].

وذوو قرابته: بنو هاشم وبنو المطلب دون بني نوفل وبني عبد شمس، وإن

(١) ق: أولاً.

(٢) الكُراع: الخيل، والكراع: السلاح. وقيل: هو اسم يجمع الخيل والسلاح.
انظر: معجم مقاييس اللغة (كرع) (١٧١/٥)، لسان العرب (كرع) (٣٠٧/٨).

(٣) وما ذهب إليه الشافعي هو قول الإمام أحمد، وقال مالك: "هو موكول إلى نظر الإمام واجتهاده". قال القرطبي: "وبه قال الخلفاء الأربعة وبه عملوا". واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: "وهذا قول مالك وأكثر السلف وأصح الأقوال". نقلاً عن تفسير ابن كثير (٦/٤).
انظر: كتاب الأم للشافعي (١٩٦/٤)، زاد المسير (٣٥٩/٣-٣٦٠)، الجامع لأحكام القرآن (١١/٨)، الفتاوى (١٨١/١١).
وأما سهم ذوي القربى فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه للفقير منهم دون الغني وهو ما رجحه القرطبي (١٢/٨).

(٤) وقيل: بل الذكر والأنثى فيه سواء اختاره القرطبي (١٢/٨)، والشنقيطي في أضواء البيان (٣٦٤/٢)، وقال في ترجيحه: "لأن تفضيل الذكر على الأنثى يحتاج إلى دليل، ولم يقم عليه في هذه المسألة دليل، ولم ينقل أحد عن النبي ﷺ أنه فضل ذكرهم على أنثاهم في خمس الخمس". اهـ.

كان هاشم والمطلب ونوفل وعبد(١)/ الشمس أولاد عبدمناف(٢)، وذلك لما أسنده البخاري أن رسول الله ﷺ لما أعطى بني هاشم وبني المطلب، قال له عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وكان عبشمياً(٣) وجبير بن مطعم وكان نوفلياً(٤): "يا رسول الله بنو(٥) هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك منهم و [لكن](٦) نحن وبنو المطلب بمنزلة فكيف

---

(١) في الأصل كلمة (عبد) مكررة.

(٢) هؤلاء الأربعة: أبناء عبدمناف بن قصي بن كلاب، واسمه المغيرة. فهاشم والمطلب وعبدشمس أمهم عاتكة بنت مرة بن هلال، ونوفل أمه واقدة بنت عمرو المازنية.

انظر: الطبقات الكبرى (٧٤/١)، السيرة النبوية لابن هشام (١٤٢/١، ١٦٧).

تنبيه: هكذا وقع في النسخ: عبدالشمس، والذي وقفت عليه في المراجع أعلاه وغيرها: عبدشمس.

(٣) فهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي.

انظر: الطبقات الكبرى (٥٣/٣)، أسد الغابة (٤٨٠/٣).

(٤) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف بن قصي.

انظر: التاريخ الكبير (٢٢٣/٢/١)، الإصابة (٢٣٥/١).

(٥) في الأصل: بني.

(٦) ساقط من ق.

أعطيتهم دوننا؟" فشبَّك رسول اللهَّ ﷺ بين أصابعه وقال: "نحن[1] وبنو المطلب هكذا، لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام"[2]. وأشار بذلك إلى قصة، وهي: أن سائر بطون قريش تعاضدوا على معاداة بني هاشم وبني المطلب، وحلفوا أن لا يناكحوهم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها على باب البيت، فوافقهم على ذلك بنو نوفل وبنو عبد الشمس[3].

---

(١) ق: ونحن.

(٢) رواه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما مَنَّ النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يُخمّس (٥٦/٤) بلفظ: «**إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد**» عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه-.

وفي تحديد ذوي القربى قولان آخران:

الأول: أنهم بنو هاشم فقط قال به مجاهد، وعلي بن الحسين، ومالك، والأوزاعي.

الثاني: أنهم سائر قريش قال به بعض السلف.

ولا يخفى رجحان القول الذي ذكره المؤلف -أنهم بنو هاشم وبنو المطلب- لدلالة النص عليه، والله أعلم.

(٣) وكانت هذه الصحيفة قد كتبت في العام السابع من البعثة، وكان من خبرها أن قريشاً لما أسلم حمزة وعمر -رضي الله عنهما- فكانا مع رسول الله ﷺ وفشا الإسلام في القبائل، ورأت قريش أنها لا تستطيع قتل رسول الله ﷺ لقيام بني هاشم وبني المطلب دونه، فاجتمعوا في خيف بني كنانة فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم، وكتبوا ذلك =

﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾حذف جزاؤه لدلالة ما تقدمه عليه، [أي][1] فاعلموا أن خمس ما غنمتم لكذا[2] ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ من الآيات والإمداد بالملائكة[3]، أو ما أنزلناه عليه ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ يوم بدر في أمر الغنيمة،

في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، وانحاز رسول الله ﷺ وأبو طالب ومعهم بنو هاشم وبنو المطلب فدخلوا في الشعب، واشتد الحصار عليهم ثلاث سنوات من سائر قريش- ومعهم بنو عبد شمس وبنو نوفل- حتى أكلوا الأوراق والجلود، ثم سعى في نقض الصحيفة نفر ممن كان كارهاً لها من قريش ومنهم: هشام بن عمرو بن ربيعة، والمطعم بن عدي، وغيرهما لما فيها من الجور والظلم والقطعية، وكان ذلك سنة عشر من البعثة.

وقيل: إن الرسول ﷺ أخبر عمه أبا طالب أن الأرضة أكلت الصحيفة إلا ذكر الله -ﷻ-، فأخبر أبوطالب قريشاً وقال: إن كان ما قال محمد حقاً انتهيتم عن قطيعتنا، وإن كان كاذباً أسلمناه لكم، فرضوا بذلك، فلما نظروا إليها وجدوها كما قال ﷺ فزادهم ذلك شراً.

انظر: السيرة لابن هشام (١/٣٨٨، ٤١٢)، الطبقات الكبرى (١/٢٠٨)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/٣١١)، زاد المعاد (٣/٢٩).

(١) ساقطة من الأصل و ص.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤١٦)، الكشاف (٢/٥٨٤)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٤).

(٣) وهو قول الزمخشري (٢/٥٨٤)، والبيضاوي (١/٣٨٥)، وأبي حيان (٤/٤٩٥)، وغيرهم.

وجعلنا أمر الغنيمة مفوضاً إليه[1]. وسُمِّي به لأنه فرق فيه بين الحق والباطل[2] ﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ بدل منه للتوضيح والبيان[3] ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ ولذلك نصر شرذمة المؤمنين وأمدهم بالملائكة.

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ القربى من المدينة، والعُدوة بالضم: شاطئ الوادي[4]، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر العين[5] والضم أفصح لأنه لغة

---

(١) والمقصود بما نزل في أمر الغنيمة يوم بدر هو قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ... ﴾ سورة الأنفال، آية: (١).

وهذا القول هو قول مقاتل بن حيان رواه ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٧١/٤)، واختاره البغوي (٣٦٢/٣) وغيره.

(٢) روى ابن جرير ذلك عن جمع من السلف منهم ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد وعروة بن الزبير، ومقسم، وابن إسحاق. (٥٦١/١٣-٥٦٢) وهو قول عامة المفسرين.

(٣) انظر: التبيان للعكبري (٦٢٤/٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (عدا) ١١١/٣، لسان العرب (عدا) (٤٠/١٥). وهي مثلثة العين، وقرئ بهن أما الضم والكسر ففي السبع -ويأتي بيانه- وأما الفتح فقرأ به قتادة والحسن وعمرو. قال ابن جني: "الذي في هذا أنها لغة ثالثة". المحتسب (٢٨٠/١).

وانظر: الشواذ لابن خالويه (ص٥٠)، الكشاف (٥٨٤/٢)، البحر المحيط (٤٩٥/٤)، تفسير البيضاوي (٣٨٥/١).

(٥) وقرأ الباقون بضم العين، وهما لغتان كما سبق بيانه.

انظر: السبعة (ص٣٠٦)، التيسير (ص٩٥)، الحجة لابن خالويه (ص١٧٠).

الحجاز(1). منصوب باذكر، أو بدل ثان ليوم الفرقان(2).

﴿ وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ ﴾ من المدينة، والقياس: القصيا كالعليا والدنيا تفرقة بين الاسم والصفة(3)، وقد جاء على الأصل كالقود واستحوذ(4).

---

(1) لم أقف على من ذكر أن الضم لغة الحجاز، وقد نقل أبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٩٥) عن اليزيدي: أن الكسر لغة الحجاز، وكذا نقل السيوطي في المزهر (٢/٢٧٧) عنه: أن الضم لغة تميم. وانظر: لغة تميم (ص١٨٠، ٢٣٥)، اللهجات العربية في التراث (ص١٨٣).

(2) انظر: التبيان للعكبري (٢/٦٢٤).

ولم يذكر الزمخشري (٢/٥٨٤)، والبيضاوي (١/٣٨٥) إلا الوجه الثاني.

(3) وزن فُعْلى الذي لامه واو حقه أن تقلب لامه ياء إذا كان وصفاً وأن تبقى واواً إذا كان اسماً، وكلمة "قصوى" شذت عن هذه القاعدة؛ لأن لامه أبقيت واواً مع كونه وصفاً وهذا على لغة أهل الحجاز، وأما بنو تميم فيقولون: "قصيا" موافقاً للقياس.

انظر: الكشاف (٢/٥٨٤)، الدر المصون (٥/٦١٠)، شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (٢/٥٦٤).

(4) القاعدة أن الواو أو الياء إذا كانت متحركة وكان ما قبلها مفتوحاً ينبغي أن تقلب ألفاً كما في قولنا: قال أصله: قول، وباع أصله: بيع، واستعاذ أصله: استعوذ، واستجاب أصله: استجوب، ثم نقلت فتحة الواو إلى ما قبلها في استعوذ واستجوب ونحوها لكون ما قبلها ساكناً صحيحاً ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها في الأصل وكون ما قبلها مفتوحاً الآن.

وأما القود واستحوذ فقد شذا عن هذه القاعدة وجاءا على الأصل أي بدون قلب الواو ألفاً.

انظر: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (٢/٥٦٦).

﴿ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ ﴾ على الساحل، وإنما يطلق على أصحاب الإبل في السفر إذا كانوا فوق العشرة[1].

﴿ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ ﴾ أنتم والمشركون الاجتماع على هذه الهيئة ﴿ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ ﴾ أنتم لقلة عددكم وهم لرعب رسول الله ﷺ في قلوبهم[2].

وإنما ذكر الواقعة مع ذكر الزمان والمكان مفصلاً بأنهم كانوا في العدوة الدنيا والعدو في العدوة القصوى والركب بأسفل[3] منهم -وهم عالمون بذلك[4]- تذكيراً لهم وتصويراً للواقعة المفضية إلى إعلاء كلمة الله، مع أن حالهم كانت منافية للانتصار وقهر العدو؛ لأن العدوة الدنيا كانت أرضاً[5] ذات رمل تسوخ

(١) قال في اللسان (ركب) (٤٢٩/١): "لا تقل: ركب إبل ولا ركبان إبل؛ لأن الركب والركبان لا يكون إلا لرُكّاب الإبل... والركب: أصحاب الإبل في السفر دون الدواب وقال الأخفش: هو جمع وهم العشرة فما فوقهم". اهـ. ثم نقل عن الأخفش قولاً آخر في أن الركب ليس مختصاً بالإبل فقال: "وقال الأخفش:... وأرى أن الركب قد يكون للخيل والإبل". اهـ.

(٢) انظر: الكشاف (٥٨٥/٢).

(٣) ق: أسفل.

(٤) انظر: الكشاف (٥٨٥/٢).

(٥) في الأصل: ارض.

الأقدام فيها، ولم يكن بها ماء، والقصوى كانت أرضاً طيبة بها ماء، وكون الركب أسفل منهم قريباً مما يثبت جأش[1] المشركين ويشجعهم على القتال، وإذا علم أن ذلك النصر لم يكن إلا من الله[2]، لا بأسباب منهم فتجب عليهم المبادرة إلى امتثال أوامره التي من جملتها أمره بإيصال الخمس إلى مصارفها، ليكون صلة إلى الانتصار في سائر الوقائع، ويكون لطفاً بالسامعين إذا تليت عليهم إلى آخر الدهر، وليتعلق به قوله: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ﴾ كان جديراً بأن يفعل من إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه؛ متعلق بمحذوف[3] أي: دبر [ما دبر][4] من خروج الطائفتين ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ بدل من الجار والمجرور[5]، أو متعلق بـ ﴿ مَفْعُولاً ﴾[6]، والمعنى: ليكون

(١) الجأش: النفس وقيل: القلب، وفلان قوي الجأش أي القلب.
انظر: لسان العرب (جأش) (٦/٢٦٩).

(٢) ق: النصر كان من الله... إلخ.
وانظر: الكشاف (٢/٥٨٥)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٥).

(٣) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٥) أي في قوله: ﴿ لِّيَقْضِيَ ﴾، وتأويله: لقضاء الله. انظر: المراجع في الحاشية التالية.

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٧٨)، التبيان للعكبري (٢/٦٢٥)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٥).

كفر من كفر صادراً عن حجة واضحة عليه دالة على مكابرته، وإسلام من أسلم عن يقين لا يشوبه شائبة وَهْم، إذ لا علم فوق عين اليقين[1]، فيكون الهلاك والحياة مستعارين[2]، أو ليموت من يموت بعد مشاهدة البينة، ويعيش من يعيش بعد معاينتها[3]. قرأ نافع وابن كثير في رواية البزيّ[4]، وأبو بكر[5] عن عاصم[6] بفك

---

(١) راجع (١٦).

(٢) وهو قول قتادة وابن إسحاق والزجاج والزمخشري وابن القيم، وجوَّده ابن كثير، ونسبه الواحدى لأكثر أهل العلم.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٨٤)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤١٨)، الوسيط (٢/٤٦٣)، تفسير البغوي (٣/٣٦٣)، الكشاف (٢/٥٨٥)، ، شفاء العليل (ص١٩٣).
قال ابن كثير بعد أن ذكر هذا القول: "وهذا تفسير جيد، وبسط ذلك أنه تعالى يقول: إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد، لينصركم عليهم ويرفع كلمة الحق على الباطل، ليصير الأمر ظاهرا والحجة قاطعة والبراهين ساطعة، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة فحينئذ ﴿ يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ ﴾ أي: يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره أنه مبطل لقيام الحجة عليه ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ ﴾ أي: يؤمن من آمن ﴿ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ أي: حجة وبصيرة، والإيمان هو حياة القلوب قال الله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ سورة الأنعام، الآية: (١٢٢)... إلخ" (٤/١٢).

(٣) وهو قول الطبري (١٣/٥٦٨)، والبغوي (٣/٣٦٣)، واستظهره أبو حيان (٤/٤٩٧).
وهذا القول لا يعارض القول الأول فإن الموت على الكفر هلاك عظيم -نسأل الله العافية-.

(٤) أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بَزّة -واسم أبي بزّة: بشار، وهو فارسي أسلم على يد السائب بن أبي السائب- أبو الحسن البَزّي مقرئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام. توفي عام ٢٥٠هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٧٣)، غاية النهاية (١/١١٩).

(٥) أبوبكر بن عياش بن سالم الحنَّاط الكوفي، قال ابن الجزري: "اختُلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً أصحها شعبة". كان إماماً عالما عاملا. توفي عام ١٩٣هـ وقيل غير ذلك.
انظر: الطبقات الكبرى (٦/٢٦٩)، معرفة القراء الكبار (١/١٣٤) غاية النهاية (١/٣٢٥).

(٦) أبوبكر عاصم بن أبي النجُود الأسدي، كان آية في إتقان القراءة وحسن الصوت بالقرآن، قرأ على زر بن حبيش وأبي عبدالرحمن السُلمي، توفي عام ١٢٧هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٦/٤٨٧) معرفة القراء الكبار (١/٨٨) غاية النهاية (١/٣٤٦).

الإدغام على الأصل، والباقون بالإدغام[1].

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ ﴾ أقوالكم[2] ﴿ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ بنياتكم، وإنما أردف الكفر والإيمان بهما لأن كلاً منهما يكون بالقول والاعتقاد[3].

﴿ إِذْ[4] يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ رآهم رسول الله ﷺ في رؤياه قبل الوقعة شرذمة، فأخبر بذلك أصحابه ليكون ذلك مشجعاً لهم ذاهباً برجز الشيطان[5]، وقيل: بل رآهم رؤية عين والمنام هو العين[6]. وليس فيه زيادة معنى

---

(١) من قرأ بفك الإدغام قرأ بيائين الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، ومن أدغم قرأ بياء واحدة مشددة.

انظر: السبعة (ص٣٠٦)، التيسير (ص٩٥)، الكشف المكي (١/٤٩٢).

(٢) ق: بأقوالكم.

(٣) ق: بالاعتقاد والقول.

وانظر: البيضاوي (١/٣٨٥).

وكما يكونان بالقول والاعتقاد يكونان بالعمل أيضاً.

(٤) في الأصل وَ ص: وإذ وهو خطأ.

(٥) وهو قول أكثر المفسرين.

انظر: المراجع في الحاشية الآتية.

(٦) أي أنه رآهم رؤية عين، والمنام هنا: العين، التي هي موضع النوم.

وبهذا قال الحسن كما رواه عنه ابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير ١٣/٤)، والبغوي (٣٦٣/٣)، وهو =

مع العدول عن الحقيقة[1]، و ﴿ إِذْ ﴾ مقدر باذكر، و﴿ قَلِيلاً ﴾ نصب على الحال من

قول المازني والنقاش. انظر: المحرر الوجيز (٢/٥٣٥)، وأما أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٤٧/١)، وابن قتيبة في غريب القرآن (ص١٧٩)، فمع قولهما بالأول إلا أنهما جوَّزا الثاني.

وقال الزجاج: "وكثير من أصحاب النحو يذهبون إلى هذا المذهب". (٤١٩/٢).

(١) هذا القول -كما ذهب المؤلف رحمه الله- ضعيف من وجوه:

الأول: أن الآية صرحت بذكر المنام فلا يجوز العدول عن ظاهرها إلا بدليل، قال ابن كثير (١٣/٤): "وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه". اهـ.

الثاني: أن الآية التي تليها واردة في رؤية العين قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً... الآية ﴾ سورة الأنفال، آية: (٤٤)، ولو قلنا إن الآية الأولى في رؤية العين لكان المعنى متكرراً في الآيتين.

قال ابن عطية: "ومما يضعف ما روي عن الحسن أن معنى هذه الآية يتكرر في التي بعدها". المحرر الوجيز (٥٣٥/٢).

وأما ما روي عن الحسن فإن في سند البغوي عمرو بن عبيد المعتزلي، كذَّبه جماعة وقال الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٤٢٤ رقم ٥٠٧١): "كان داعية إلى بدعته، اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً". اهـ.

وانظر: ميزان الاعتدال (٢٧٣/٣)، وأما سند ابن أبي حاتم ففيه سهل بن أبي الصلت السراج فهو وإن "كان القطان لا يرضاه" التقريب (ص٢٥٨ رقم ٢٦٦٣). فقد قال أحمد وابن معين: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال مسلم بن إبراهيم: ثقة، وقال الساجي: صدوق. ميزان الاعتدال (٢٣٩/٢)، فبالجملة حديثة -والله أعلم- لا يقل عن رتبة الاحتجاج.

المفعول. ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ ﴾ جبنتم[1] وخفقت قلوبكم ﴿ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ في أمر القتال بأن يقدم عليه[2] بعضكم ويحجم[3] البعض، وتفرقت كلمتكم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ عن الفشل والتنازع بإراءتكم[4] إياهم قليلاً[5] ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ بمضمراتها؛ كانت أو ستكون[6].

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ مطابقاً لما أخبر به رسول الله ﷺ ومصدقاً لرؤياه، الضميران مفعولا[7] الإراءة[8]؛ لأنها من رؤية

وأما قول الحسن في الآية فضعيف -كما قدمنا-، قال الزمخشري (٢/٥٨٦): "وهذا تفسير فيه تعسف، وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن، وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته". اهـ. وقال ابن كثير: "وهذا القول غريب". اهـ. (٤/١٣).

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤١٩).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/٥٦٩)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٥).

(٢) ق: عليكم عليه.

(٣) أحجم يحجم إحجاماً، الإحجام ضد الإقدام يقال: أحجم عن الأمر: كف أو نكص هيبة. انظر: لسان العرب (حجم) (١٢/١١٦).

(٤) ق: بإرايكم.

(٥) انظر: الطبري (١٣/٥٧١)، الكشاف (٢/٥٨٦)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٥).

(٦) ق: أو يكون.

(٧) في ق: مفعول.

(٨) انظر: الكشاف (٢/٥٨٦)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٥)، والمقصود بالضميرين الضميران في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾.

البصر فلا يقتضي ثالثاً[1]، و﴿ قَلِيلًا ﴾ نصب على الحال.

عن[2] ابن مسعود: "قُللوا في أعيننا حتى قلت لمن كان على جانبي: أتراهم [سبعين رجلاً قال: أراهم][3] مائة"[4] ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ حتى قال [قائل منهم][5]: "إن محمداً وأصحابه أَكَلَةُ جزور"[6]. ودأبهم أن الجزور طعمة مائة[7]، وهذه الإراءة كانت قبل التلاقي، فلما تلاقوا أكثرهم اللهُ في أعين المشركين حتى رأوهم مثلي عدد المشركين لقوله: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ﴾[8]، وذلك من آيات اللهِ

---

(١) انظر: أوضح المسالك لابن هشام (٤١/٢)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤١٧/١).

(٢) كذا في الأصل، وسائر النسخ: وعن.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٦٠/٧)، وابن جرير (٥٧٢/١٣) وتتمته: قال: فأسرنا رجلاً منهم فقلنا: كم هم؟ قال: ألفاً.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٦) القائل هو أبو جهل، وقد روى كلامه هذا ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٦/٧) عن عكرمة، وابن إسحاق عن أشياخ من الأنصار.

وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٣٤/٢).

(٧) قال محيي الدين شيخ زاده في حاشيته على البيضاوي (٣١٠/٢): "وقوله: "أكلة جزور" مثل يضرب به في القلة أي: قلتهم بحيث تشبعهم جزور واحدة، والأَكَلَة جمع آكل". اهـ.

(٨) سورة آل عمران، آية (١٣).

وإمداده كما أمدهم بالملائكة[1]، ولما كانت الرؤية وسائر الإدراكات بخلق الله من غير شرط، فله أن يخلق رؤية القليل في صورة الكثير وبالعكس[2].

﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلل[3].

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ فيصدرها كيف يشاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كفاراً كانوا أو بغاة[4] لقوله:

---

(١) انظر: الكشاف (٥٨٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٣/٨)، تفسير ابن كثير (١٤/٤)، البحر المحيط (٤٩٨/٤).

(٢) ق: ويعكس.

وليس معنى هذا الكلام نفي الأسباب التي خلق الله بها المخلوقات أو أن وجود هذه الأسباب كعدمها مطلقاً فإن هذا مكابرة للعقل والشرع، ولكن العادة قد تُخرق أحياناً بقدرة الله وإرادته.

وانظر: الفتاوى لابن تيمية (١٣٦/٨).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٣٨٦/١)، والفعل في الموضع الأول: هو جمعهم على تلك الحالة التي وصف الله.

وفي الموضع الثاني: تقليل كل واحد من الفريقين في أعين الفريق الثاني.

انظر: حاشية زاده على البيضاوي (٣٠٠/٢)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٤٨٣/٤).

(٤) البغاة: قوم من المسلمين لهم منعة يخرجون على الإمام، ويمتنعون من أداء ما عليهم من الحق، ولهم تأويل سائغ، فإن لم يكن لهم منعة أو كان خروجهم بلا تأويل سائغ فقطاع طريق.

وقد بين العلماء حكم البغاة وأن على الإمام مراسلتهم، فإن ادعوا مظلمة أزالها، وإن ذكروا شبهة كشفها، فإن رجعوا وإلا قاتلهم، وعلى الرعية معونته. وإذا قاتلهم فلا يجهز على الجريح ولا يتبع المدبر، ولا تسبى نساؤهم ولا ذراريهم.

=

﴿ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[1][2] أو قطاع الطريق لقوله: ﴿ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[3][4]. واللقاء: اشتهر في القتال[5] ﴿ فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ﴾[6] / ٱللَّهَ

انظر أقوال العلماء في بيان أحكامهم في: أحكام القرآن للجصاص (٣/٥٣١)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/١٧١٦)، المغني (٨/١٠٤)، الروض المربع (بحاشية ابن قاسم) (٧/٣٩٠)، القاموس الفقهي (ص٤٠).

(١) كلمة "أمر" ساقطة من ص.

(٢) سورة الحجرات، آية (٩).

(٣) سورة المائدة، آية (٣٣).

وقطاع الطريق: الذين يعرضون للناس بالسلاح في الصحراء، أو البنيان فيعتدون عليهم في أنفسهم وأموالهم. ويجب على الإمام أن يقاتلهم حتى يكف شرهم عن المسلمين، فإن جاؤوا تائبين قبل القدرة عليهم فيسقط ما عليهم من حقوق الله ويبقى عليهم حقوق الآدميين، وإن قدر عليهم قبل التوبة فيقام عليهم حد الحرابة.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نفوا من الأرض".

انظر تفاصيل أقوال أهل العلم في بيان أحكامهم في: أحكام القرآن للجصاص (٢/٥٠٨)، المغني (٨/٢٨٦)، الجامع لأحكام القرآن (٦/١٤٨)، تفسير ابن كثير (٣/٨٦)، كشاف القناع (٦/١٤٩).

(٤) قال كثير من المفسرين عند وصف ﴿ فِئَةً ﴾: بأنها كافرة، وسبب حذف الوصف؛ لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، والمؤلف -رحمه الله- هنا ذكر سبباً آخر وهو: إفادة العموم في قتال الكفار والبغاة وقطاع الطريق.

قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (٤/٤٨٣): "ولم يصف الفئة بأنها كافرة؛ لأنه معلوم غير محتاج إلى ذكره، وقيل: ليشمل قتال البغاة...".

انظر: تفسير الطبري (١٣/٥٧٤)، تفسير البغوي (٣/٣٦٤)، الكشاف (٢/٥٨٧)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٦)، البحر المحيط (٤/٤٩٨).

(٥) انظر: الكشاف، تفسير البيضاوي، البحر المحيط (المواضع السابقة).

(٦) واذكروا: مكررة في الأصل.

﴿ كَثِيرًا ﴾ ذكراً كثيراً ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ تظفرون بالنصر.

روى البخاري عنه ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لاقيتم[1] فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، وكان يقول عند لقاء العدو: «اللهم منـزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم»[2].

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ فيما أمركم[3] من الثبات في [مواطن][4] الحرب ﴿ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا ﴾ وفيكم رسول الله الذي يأتيه الخبر من السماء ساعة فساعة وقد قال: «لا ينبغي عندي التنازع»[5] ﴿ فَتَفْشَلُوا ﴾ من الفشل وهو: الجبن[6]، مجزوم داخل تحت

---

(١) ق: لقيتم.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تتمنوا لقاء العدو (٢٣/٤)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهية تمني لقاء العدو (١٣٦٢/٣ رقم ٢٠) عن عبدالله بن أبي أوفى -رضي الله عنه- بلفظ: « **يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » ثم قام النبي ﷺ وقال: « **اللهم منزل الكتاب...** ».

(٣) ص: فيما أمركم به.

(٤) ساقطة من ق.

(٥) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم (٣٧/١)، وهو بمعناه عند مسلم، كتاب الوصية، باب من ترك الوصية لمن ليس لـــه شيء يوصي فيه (١٢٥٧/٣ رقم ٢٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قصة وفاته ﷺ.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤١٩/٢)، القاموس المحيط (فشل) (ص١٣٤٦).

حكم الأمر، أو منصوب بإضمار أن[1] ﴿وَتَذْهَبَ[2] رِيحُكُمْ﴾ دولتكم ونصركم، مستعار لها؛ لأنها في التمشي والنفوذ كالريح في الهبوب، أو هو حقيقة؛ لأن عادة الله جرت بأن من يكون الريح من صَوْبه، وجاءه العدو له النصر[3]، ولذلك قال ﷺ: «نُصرتُ بالصَّبَا وأُهلِكتْ عادٌ بالدَّبُور»[4].

(١) انظر: الكشاف (٥٨٨/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٦/١)، البحر المحيط (٤٩٩/٤)، فعلى الوجه الأول معطوف على ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾، وعلى الثاني جواب النهي منصوب بأن المضمرة.

(٢) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٤٧/١): وتنقطع دولتكم".

وكذا قال الأخفش وغيره. انظر: تفسير البغوي (٣٦٤/٣).

وقال مجاهد: "نصركم". رواه ابن جرير (٥٧٦/١٣)، وكذا قال قتادة وغيره. انظر: زاد المسير (٣٦٥/٣).

وعبارات كثير من المفسرين في هذا الموضع متقاربة المعنى.

(٣) قاله ابن زيد، روى ابن جرير (٥٧٧/١٣) عنه قال: "الريح: النصر، لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو، فإذا كان ذلك لم يكن لهم قوام". اهـ.

ورواه أيضاً البغوي (٣٦٤/٣)، وروى عن مقاتل مثله.

وانظر الأقوال التي ذكرها المؤلف في: الكشاف (٥٨٨/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٦/١).

(٤) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا» (٢٢/٢)، ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور (٦١٧/٢ رقم ١٧) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْ ﴾ كرره ليفيده[1] بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦ ﴾ بالحفظ والنصر[2].

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم ﴾ يريد مشركي مكة ﴿ بَطَرًا ﴾ مصدر في موضع الحال[3] بالتأويل أو بتقدير[4] الفعل.

والصبا: الريح الشرقية، والدبور: الريح الغربية.

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٩٨).

وعاد الذين أهلكهم الله بالدَّبور هم قوم هود -عليه السلام- وقد قص الله -تعالى- خبر إهلاكهم في سورة الحاقة (٤-٨).

انظر: تفسير الطبري (٢٩/٣١)، تفسير ابن كثير (٨/٢٣٥)، فتح الباري (٢/٦٠٥) ط دار الريان، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ.

(١) ق: ليقيده.

(٢) انظر ما سبق بيانه في معنى المعية (ص٣٩).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٦٧٩)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٤٨)، البيان لابن الأنباري (١/٣٨٩).

(٤) انظر: التبيان للعكبري (٢/٦٢٦).

ومعنى أنه في موضع الحال بالتأويل أي بطراً بمعنى: باطرين، أو بتقدير: يبطرون بطراً.

والبَطَر: مقابلة النعمة بالكفران تكبراً[1] ﴿ وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ عطف على ﴿ بَطَرًا ﴾، وهو: إظهار الجميل خلاف ما في الباطن[2]. وذلك أن أبا سفيان أرسل إلى كفار قريش يخبرهم بنجاة العير ويأمرهم بالرجوع، فقال أبو جهل: "كلا والله حتى نرد بدراً فنشرب [بها][3] الخمور، وننحر الجزور، وتعزف علينا القينات"[4]، ولما وردوا بدراً شربوا ولكن كؤوس المنايا، وغنَّت لهم ولكن النوائح[5]، فقد أمروا بمقابلة النعمة بالشكر والإخلاص في الأعمال؛ لأن النهي عن الشيء أمرٌ بضده لاسيما عند القرينة[6].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/١٥٠)، تهذيب اللغة (بطر) (٣٣٦/١٣).

(٢) وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ص(٤٦٤): "هو أن يُري الناس أنه يعمل عملاً على صفة وهو يضمر في قلبه صفة أخرى". اهـ.

وانظر أيضاً: فتح الباري (٣٣٦/١١).

(٣) ساقطة من ق.

(٤) راجع ص(٢٢).

(٥) قال ابن جرير: فسقوا فكان الخمر كؤوس المنايا. (٥٧٨/١٣).

وانظر: تفسير البغوي (٣٦٦/٣)، الكشاف (٥٨٩/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٦/١).

(٦) هذا مذهب جمهور الأصوليين، وذهب المعتزلة إلى خلاف ذلك.

راجع المسألة في: الإحكام للآمدي (١٧٠/٢)، المسودة (ص٨١)، القواعد والفوائد الأصولية =

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ عطف على ﴿بَطَرًا﴾ وصريح الفعل لقصد الحدوث بخلاف البطر فإنه أمر مستمر[1].

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ التي كانوا يتقربون بها من النحر لآلهتهم وإطعام المحاويج وسقي[2] الحجيج[3]، وفائدة الأمر: تذكرة التحذير عن الاغترار بوساوس الشيطان، وأن أباطيله تَضْمَحِلُّ عند بُدُوِّ تباشير الحق.

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ لأن تلك الأعمال دافعة عنكم، ولأنكم على الحق وملة إبراهيم ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ مُجِيْرٌ لكم وأنتم في

(ص١٥٣)، شرح الكوكب المنير (٣/٥٤).

والنهي الوارد هو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ فنهاهم عن البطر والرياء فيكون أمراً بالشكر والإخلاص.

(١) وذلك أن الاسم يفيد الاستمرار، والفعل يفيد الحدوث والتجدد.

انظر: دلائل الإعجاز (ص١٧٤).

(٢) في ق: ولسقي.

(٣) قال أبو حيان (٤/٥٠٠): "﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ما كانوا فيه من الشرك وعبادة الأصنام، ومسيرهم إلى بدر وعزمهم على قتال رسول الله ﷺ". اهـ. ويؤيد هذا العموم ما يأتي في أثر ابن عباس -رضي الله عنهما- القادم.

أمان ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ ﴾ الحزبان ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ رجع القَهْقَرى[1] ﴿ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ عن ابن عباس: أن إبليس تَصوَّر لهم بصورة سُرَاقَة بن مالك الكناني، وذلك لأن قريشاً وكنانة[2] كان بينهم حرب، فلما أرادوا المسير إلى حماية العير، قالوا: كيف وبينكم وبين كنانة ما تعرفون؟ يخلفونكم[3] في أهليكم[4]. فقال: إني جار لكم من كنانة، وذهب معهم لـه راية في جند من الشياطين إلى أن رأى الملائكة نازلين، وكانت يده في يد الحارث بن هشام[5] -أخي أبي جهل- فضربها في صدر الحارث ثم ولى هارباً فقال لـه الحارث: ويلك يا سراقة أتخذلنا في

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٩)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٦).

والقَهْقَرَى: مصدر قَهْقَر إذا رجع على عقبيه.

انظر: تهذيب اللغة (قهقر) (٦/٥٠١)، لسان العرب (قهقر) (٥/١٢١).

(٢) كنانة: قبيلة عظيمة من العدنانية، كانت مساكنهم بجهات مكة.

انظر: نهاية الأرب (ص٤٠٨)، معجم قبائل العرب (٣/٩٩٦)، جامع أنساب قبائل العرب (٤٣).

(٣) في الأصل: تخلفونكم.

(٤) في الأصل: أهليكم ذلك.

(٥) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، أسلم عام الفتح، كان من المؤلفة قلوبهم، مات في طاعون عمواس.

انظر: أسد الغابة (١/٤٢٠)، الإصابة (١/٣٠٧).

هذه الساعة؟ فقال: إني أرى ما لا ترون[1]. فالناس على هذا كنانة.

ويحتمل أن يكون ذلك التزيين بالوسوسة وقوله: ﴿ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ إيهامه إياهم أن اتباع خطواته وطاعته مما يغني عنهم شيئاً، ولما لم ينفعهم ذلك الاتباع شُبِّه بالرجوع القهقرى، وهذا مروي عن الحسن[2].

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وابن إسحاق، وروى بعضه عن السدي وعروة بن الزبير وقتادة (١٤/٧-٩).

وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٢).

(٢) قال الزمخشري: "... وكذا عن الحسن -رحمه الله- كان ذلك على سبيل الوسوسة و لم يتمثل لهم". (٢/٥٨٩).

وقد روى ابن جرير عن الحسن قال: "سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده، وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لا يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم، ولن تغلبوا كثرة، فلما التقوا نكص على عقبيه يقول: رجع مدبراً وقال: ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ يعني الملائكة". (١٤/١٠).

وليس في كلام الحسن -رحمه الله- ما يشير إلى أن ذلك كله كان على سبيل التمثيل، بل التزيين ونحوه كان وسوسة وأما خروجه معهم ونكوصه على عقبيه فظاهر كلامه أنه على الحقيقة.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٣٨٦)، البحر المحيط (٤/٥٠٠).

والحسن: هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، ولد سنة ٢١هـ بالمدينة ونشأ بها، ولازم الجهاد =

وقولـه: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ ﴾ على الأول معناه أنه يخاف من الملائكة النازلين أن يصيبوه بمكروه(1)، أو لما رأى الملائكة مردفين ظن أنه يوم القيامة لما رأى من خرق العادة(2)، وعلى الثاني شبه تزلزل كيده وعدم ثباته وانهزام جنده من المشركين بمن ولى مدبراً من الخوف. والناس محمد ﷺ وحزبه، روى مالك(3) عن طلحة بن عبيدالله(4) أن رسول اللهَّ ﷺ قال: «ما رؤي إبليس أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة، إلا ما رؤي يوم بدر»(5).

والعلم والعمل، من أعلام التابعين وكبارهم، ثقة حجة عابد، له أقوال في العلم والعمل والسلوك مشهورة، توفي عام ١١٠هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ (٧١/١)، سير أعلام النبلاء (٥٦٤/٤).

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة (٩/١٤).

(٢) ذكر معنى هذا القول ابن الجوزي (٣٦٧/٣) عن ابن الأنباري.

(٣) في ق: ذلك.

(٤) طلحة بن عبيدالله بن كَرِيْز الخزاعي، أبو المطرف، ثقة روى عن أم الدرداء وغيرها، وعنه: مالك وحماد بن سلمة وجماعة.

انظر: الكاشف (٣٩/٢)، تقريب التهذيب (ص٢٨٣ رقم ٣٠٢٨).

(٥) رواه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج (٤٢٢/١ رقم ٢٤٥) ومن طريق مالك رواه عبدالرزاق في مصنفه (٣٧٨/٤) والطبري (١٠/٤).

﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ من كلامه تعالى، أي: يحق لإبليس أن يفر من خوف عقابه، ويجوز أن يكون عن تتمة كلام إبليس إظهاراً للمعذرة[1].

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ واذكر وقت قول المنافقين والذين[2] لم يرسخ الإيمان في قلوبهم بعد[3]، أو المشركين[4]، أو هم المنافقون[5]

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف (ص٧٠): "أخرجه مالك في الموطأ من رواية طلحة بن عبيدالله بن كريز مرسلاً".

(١) انظر: البغوي (٣/٣٦٧)، زاد المسير (٣/٣٦٧)، البيضاوي (١/٣٨٧).

(٢) الواو ساقطة من ق.

(٣) قال ابن جرير (١٤/١٢): ﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ يعني: شك في الإسلام لم يصح يقينهم، ولم تُشرح بالإيمان صدورهم... وذُكر أن الذين قالوا هذا القول كانوا نفراً ممن تكلم بالإسلام من مشركي قريش ولم يستحكم الإسلام في قلوبهم... ثم رواه عن الشعبي ومجاهد وغيرهما.

(٤) عزاه ابن الجوزي (٣/٣٦٨) لابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة، وعزاه هو أبو حيان (٤/٥٠١) للحسن.

(٥) روى ابن جرير (١٤/١٤) عن ابن جريج في قوله: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قال: ناس كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر".

ورجح هذا القول النحاس في إعراب القرآن (١/٦٨٠).

وانظر: البحر المحيط (٤/٥٠١).

والعطف لتغاير الوصفين[1] ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ مقول قولهم، أي: اغتروا واثقين بدينهم، ولذلك خرج ثلاثمائة رجل إلى قتال ألف، ذكره في معرض الامتنان وأجاب عن شبههم بقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ يثق به ويفوض أمره إليه ويقطع النظر عن الأسباب ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ غالب لا يُغالب، ما يفعله إنما يفعله بحكمة، ينصر أولياءه ويقهر أعداءه وإن كان ذلك مستبعداً في بادي الرأي[2].

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي: لو رأيت ذلك لرأيت أمراً عظيماً[3]، هم الذين قتلوا يوم بدر[4]، وقيل: هم الذين يموتون حتف أنفسهم[5]، والمراد: أن موتهم ليس أخف من موت من قتل.

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في: الكشاف (٢/٥٩٠)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٧).

(٢) في ص: في مستبعد بادي الرأي، وفي ق: مستبعداً بادي الرأي.

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٤٨)، إعراب القرآن للنحاس (١/٦٨٠)، الكشاف (٢/٥٩٠)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٧).

(٤) رواه ابن جرير (١٤/١٦) عن مجاهد، ورواه ابن أبي حاتم عن الضحاك.

انظر: الدر المنثور (٤/٨٠). وهو قول كثير من المفسرين. انظر: المراجع الآتية.

(٥) قال البغوي (٣/٣٦٧): "قيل: هذا عند الموت، تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار، وقيل: الذي قتلوا من المشركين ببدر".

قرأ ابن عامر بالتاء[1]؛ لأن الملائكة جمع[2]، وعلى قراءة الياء يجوز أن يكون الفاعل هو اللهَّ و ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ مبتدأ خبره[3] ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾ والجملة حالية استغنى بالضمير عن الواو[4]، وعلى الأول[5] المضارعية[6] حالة[7] من

وقال القرطبي (٢٨/٨): "قيل: أراد من بقي و لم يقتل يوم بدر، وقيل: هي فيمن قتل ببدر".
وقال ابن كثير (٢٠/٤): "وهذا السياق -وإن كان سببه وقعة بدر- ولكنه عام في حق كل كافر ولهذا لم يخصصه تعالى بأهل بدر... إلخ".

(١) انظر: السبعة (ص٣٠٧)، التيسير (ص٥٩).

(٢) قال مكي في الكشف (٣٤٢/١) -في توجيه قراءة نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير وأبي عمرو ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ سورة آل عمران، آية (٣٩) بالتاء-: "وحجة من قرأ أنه أنث لتأنيث الجماعة التي بعدها في قوله ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾، والجماعة ممن يعقل في التكسير يجري في التأنيث مجرى ما لا يعقل تقول: هي الرجال وهي الجذوع وهي الجمال وقالت الأعراب ويقوي ذلك قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ سورة آل عمران، آية (٤٥)، وقد ذكر في موضع آخر فقال: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ سورة الأنعام، آية (٩٣)، وهذا إجماع، وقال: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم ﴾ سورة الرعد، آية (٢٣) فتأنيث هذا الجمع وتذكيره جائزان حسنان". اهـ.

(٣) ق: لخبره.

(٤) قال ابن عطية: "ويضعف هذا التأويل سقوط واو الحال فإنها في الأغلب تلزم مثل هذا". (٥٤٠/٢).
قال أبو حيان (٥٠٢/٤): "ولا يضعفه إذ قد جاء بغير واو في كتاب الله، وفي كثير من كلام العرب".
وقد ذكر هذا الوجه في الآية النحاس في إعراب القرآن (٦٨٠/١)، وابن الأنباري في البيان (٣٨٩/١).

(٥) أي الوجه الأول وهو: كون الفاعل الملائكة.
وقد ذكر الوجهين الزمخشري (٥٩٠/٢)، والبيضاوي (٣٨٧/١)، وأبو حيان (راجع الحاشية السابقة).

(٦) أي الجملة وهي: ﴿ يَضْرِبُونَ ﴾.

(٧) ق: حال.

الملائكة، أو من المفعول(١) أو منهما لاشتماله على الضميرين(٢).

﴿ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ أستاههم(٣)، والمعنى: يضربون أشرف أعضائهم وأخسها لعدم المبالاة بهم(٤).

وقيل: يعمونهم ضرباً ما أقبل منهم وما أدبر(٥) ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ﴾ عطف على ﴿ يَضْرِبُونَ ﴾ بتقدير القول أي: قائلين لهم هذا القول مبشرين لهم بعذاب الآخرة بعد هذا الضرب(٦).

---

(١) وهو: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

انظر الوجهين في: مشكل إعراب القرآن (١/٣٤٨)، البيان لابن الأنباري (١/٣٨٩).

(٢) ضمير الفاعل في ﴿ يَضْرِبُونَ ﴾ والمفعول في ﴿ وُجُوهَهُمْ ﴾، والجملة الحالية إذا كانت مضارعية يكتفى فيها بالضمير.

انظر هذه الأوجه في: تفسير البيضاوي (١/٣٨٧).

(٣) في الأصل وَ ق: استاهم.

(٤) رواه ابن جرير (١٤/١٦) عن مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما، وهو قول ابن جرير (١٤/١٥) ونسبه ابن عطية (٢/٥٤٠) إلى جمهور المفسرين.

(٥) عزاه ابن عطية لابن عباس -رضي الله عنهما- (٢/٥٤٠)، ورواه البغوي (٣/٣٦٨) عن ابن جريج، ورجحه البيضاوي (١/٣٨٧).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤١٣)، مجاز القرآن (١/٢٤٧)، إعراب القرآن للنحاس =

وقيل: بل بأيديهم مقامع من حديد كلما ضربوا/ بها التهبت النار منها[1].

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ مبتدأ وخبر[2]، يحتمل أن يكون من كلام الملائكة [لهم][3] وأن يكون من كلام الله[4].

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ عطف على الخبر أي: ذلك العذاب بسبب أمرين: بكفركم وبأن الله لا يعذب أحداً بغير ذنب[5]، وإنما أتي

(٦٨٠/١)، البيان لابن الأنباري (٣٨٩/١).

وقيل: إن هذا تقوله الملائكة لهم يوم القيامة، ذكره القرطبي (٢٨/٨)، والبغوي (٣٦٨/٣) عن الحسن، واختاره الواحدي في البسيط (٣٠١/١).

(١) ذكر هذا القول دون نسبة البغوي (٣٦٨/٣)، والزمخشري (٥٩١/٢)، والقرطبي (٢٨/٨)، والبيضاوي (٣٨٧/١)، ونسبه الواحدي في الوسيط (٤٦٦/٢) للحسن، ولا يخفى أن مثل هذا القول يحتاج إلى نص عن المعصوم ﷺ.

(٢) ص: وخبره.

(٣) ساقط من ص وَ ق.

(٤) ذكر الاحتمالين الزمخشري (٥٩١/٢).

(٥) قاله الزمخشري (الموضع السابق)، والبيضاوي (٣٨٧/١).

وقال الواحدي في البسيط (٣٠٣/١): "والصحيح أن قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ ابتداء كلام لا يعود معناه إلى ما قبله من قوله: ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ ﴾ لأن قوله: =

بصيغة المبالغة للتكثير المستفاد من الاستغراق[1]، فلو وقع الظلم على تلك الأفراد لكان ظلماً كثيراً، أو للإشارة إلى شدة العذاب [والمعنى: أن ذلك العذاب][2] العظيم الذي

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ ليس بتعليل للعذاب، ولا موجب له؛ لأن معناه: نفي الظلم وإيجاب الحكم بالعدل، لا أنه سبب تعذيبهم فقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ سبب أوجب الحكم بالتعذيب وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ نعت لهذا الحكم أنه عدل وأنه ليس بجور". اهـ.

وما قاله المؤلف -رحمه الله- أظهر، ويوضحه كلام البيضاوي (الموضع السابق) حيث يقول: "﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الضرب والعذاب ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ بسبب ما كسبت من الكفر والمعاصي، وهو خبر لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾. ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ عطف على (ما) للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه، إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم، فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب". اهـ.

والبيضاوي في كلامه الأخير يرد على الزمخشري حيث يقول: "أي: ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن ﴿ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين". اهـ. الكشاف (الموضع السابق).

(١) في قوله تعالى: ﴿ لِّلۡعَبِيدِ ﴾.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

يحق بهم لو[1] عذب به من لا يستحقه لكان ظلماً عظيماً لا ظلماً في الجملة[2].

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ الدأب: مصدر دَأَب إذا داوم على الشيء وتمرن عليه[3]، وفي الحديث: أن بعيراً شكى إلى رسول الله ﷺ من مالكه فقال له: «شكى إليَّ أنك تدئبه»[4] أي: تديم العمل عليه ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل آل فرعون ﴿ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ والشبه[5]: أن شأن هؤلاء وأولئك سواء في الكفر ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أحلَّ بأولئك جزاء ذنوبهم كما أحل بقومك يوم بدر

---

(١) في الأصل: ولو.

(٢) في ص: الحكمة.

وانظر: الكشاف (٥٩١/٢).

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "الدال والهمزة والباء أصل واحد يدل على ملازمة ودوام، فالدأب العادة والشأن". (دأب) (٣٢١/٢).

وانظر: تهذيب اللغة (دأب) (٢٠٢/١٤)، الصحاح (دأب) (١٢٣/١).

(٤) رواه الإمام أحمد (٢٠٤/١ رقم ١٧٤٥)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (٢٧/٢ رقم ٢٥٤٩) عن عبدالله بن جعفر -رضي الله عنهما- بلفظ: **«فإنه شكى إليّ أنك تجيعه وتدئبه»**.

وقال الشيخ أحمد شاكر في شرحه على المسند (١٨٨/٣): "إسناده صحيح". اهـ.

(٥) في ص وَ ق: بدون واو.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ ﴾ شديد القوة لا يقاومه أحد ﴿ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ وفي الحديث: «إن اللهَّ يمهل الكافر حتى إذا أخذه لم يفلته»[1]، والملك من ملوك الدنيا إذا عاقب نهاية عقابه القتل، وعقاب اللهَّ تعالى العذاب السَرْمَد[2].

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما حلَّ بالمشبَّه والمشبَّه به ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ لم يزلها عنهم ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ حتى يتركوا شكرها ويجعلوا مكانه الكفر ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾[3]،

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ (٢١٤/٥)، ومسلم ، كتاب البر، باب تحريم الظلم (١٩٩٧/٤ رقم ٦١) عن أبي موسى -ﷺ- بلفظ: «إن الله ليملي (وعند مسلم: يملي) للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته».

(٢) السرمد: الدائم.

انظر: تهذيب اللغة (سرمد) (١٥٢/١٣)، الصحاح (سرمد) (٤٨٧/٢).

(٣) سورة إبراهيم، آية (٢٨).

و﴿ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ في الآية المراد بها محمد ﷺ.

انظر: الطبري (١٤٥/١٣)، البغوي (٣٥٢/٤)، المحرر الوجيز (٣٣٧/٣).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن: "قد أجمع العلماء على أن نعمة اللهَّ المقصودة هنا هي: بعثة محمد ﷺ بالهدى ودين الحق".

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٧٩/٣).

والنعمة التي غيرها[1] قريش هو: رسول الله ﷺ[2]، فإن الله أنعم عليهم به فلم يشكروا تلك النعمة ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً ﴾[3]، أو جعل الله لهم حرماً آمناً وجعل لهم رحلتي الشتاء والصيف[4] فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فلما أخرجوا رسول الله ﷺ من الحرم أحل الله القتال في الحرم، ولم يحلَّ لأحد قبله[5] حتى قال يوم الفتح[6] للأنصار: «احصدوا أوْبَاش[7] قريش»

---

(١) ق: غيروها.

(٢) رواه ابن جرير (٢٠/١٤)، والبغوي (٣٦٩/٣) عن السدي وقال ابن جرير: "بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم بإخراجهم إياه من بينهم وتكذيبهم لـــه وحربهم إياه". (١٩/١٤)، وهو قول ابن عطية (٥٤١/٢)، والزمخشري (٥٩١/٢) وغيرهما.

(٣) سورة آل عمران، آية (١٦٤).

(٤) وكانت رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام قال تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ سورة قريش.
وانظر: تفسير الطبري (١٩٩/٣٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حدثني محمد بن بشار... (٩٤/٥)، ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها (٩٨٧/٢ رقم ٤٤٦) عن أبي شريح العدوي -رضي الله عنه- بلفظ: **«إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس».**
وهذا القول عزاه ابن الجوزي (٣٧٠/٣) لمقاتل، وذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره (٢٧/٢).

(٦) يوم فتح مكة وكان في السنة الثامنة للهجرة.

(٧) الأوباش: الأخلاط والسفلة.
انظر: الصحاح (وبش) (١٠٢٤/٣)، القاموس المحيط (وبش) (ص٧٨٥).

فلم يلقوا أحداً إلا أَنَامُوه[1]، فقال أبو سفيان: "يا رسول اللهَّ أُبِيْحَت خَضْرَاءُ قريش[2]، لا قريشَ بعد اليوم"، فقال رسول اللهَّ ﷺ: «من ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»[3].

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالهم ﴿ عَلِيمٌ ۝٥٣ ﴾ بعقائدهم، تعليل لما أحل بهم من العذاب.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ ﴾ كرر التشبيه للتأكيد، وبدل لفظ الجلالة بالرب إيماء إلى أن الكفر بآيات اللهَّ كفر بنعمة المنعم[4]، وبيَّن أن الأخذ

---

(١) أناموه: أي قتلوه.

انظر: النهاية (نوم) (٥/١٣١).

(٢) خضراء قريش: أي دهماؤهم وسوادهم.

انظر: النهاية (خضر) (٢/٤٢).

(٣) في الأصل زيادة هنا: ومن أغلق والقول بأنهم غيروا الحال السيء، وهي زيادة لا محل لها هنا.

والحديث رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة (٣/١٤٠٥ رقم ١٧٨٠) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٤) انظر: الكشاف (٢/٥٩٢)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٨).

والمعنى: أن الرب هو المربي بالنعم، المتفضل بالكرم، الذي أوجدهم من العدم، ورباهم بآلائه. قال

السابق كان بإهلاك طائفة وإغراق أخرى ﴿ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ وكل من هؤلاء وأولئك كانوا ظالمين [أنفسهم](1) بالكفر والتكذيب.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ شر كل [فرد](2) مما(3) يدب على الأرض ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الصم البكم الذين لا يعقلون. فسَّرهم في تلك الآية(4) ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لعدم القابلية بانتفاء آلة الإدراك والقوة الدراكة [التي هي العقل](5)، الفاء لسببية ما قبلها.

﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ﴾

الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (٤/٤٩٣): "... كفروا نعمه وهو مربيهم المنعم عليهم بجميع النعم كما يدل عليه لفظ الرب".

(١) ساقط من ص وَ ق.

(٢) ساقط من ص وَ ق.

(٣) في ق: ما.

(٤) قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ سورة الأنفال، آية (٢٢).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ص وَ ق.

بدل بعض من ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1] هم[2] بنو قريظة من اليهود[3] فإنهم كانوا معاهدين [رسول اللهَّ هم وبنو النضير ، فنقضوا العهد، وأعانوا المشركين على رسول الله، وأرسلوا كعب بن الأشرف[4]][5] إلى مكة ليعقد الحلف معهم فعلم رسول اللهَّ ﷺ بذلك فأرسل إليه محمد بن مسلمة ومعه ثلاثة نفر فقتلوه[6]، ثم جاء

---

(١) انظر: الكشاف (٥٩٢/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٨/١).

(٢) ق: وهم.

(٣) قاله كثير من المفسرين منهم ابن عباس -رضي الله عنهما- ذكره عنه أبو الليث السمرقندي (٢٧/٢) والواحدي في البسيط (٣١٠/١). ورواه ابن جرير (٢٢/١٤) عن مجاهد، وبه قال مقاتل والكلبي كما في الوسيط (٤٦٧/٢) والبسيط (الموضع السابق).

وانظر: الكشاف (٥٩٢/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٨/١)، البحر المحيط (٥٠٣/٤)، الدر المنثور (٨١/٤).

(٤) كعب بن الأشرف الطائي اليهودي، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية، كان سيداً في بني النضير ولـــه حصن قريب من المدينة، أكثر من إيذاء المسلمين وهجاء الرسول ﷺ والتشبيب بالمسلمات، خرج بعد بدر إلى مكة فندب قتلى قريش وحرض المشركين على قتال المسلمين، قتله محمد بن مسلمة وجماعة -ﷺ- في السنة الثالثة من الهجرة.

انظر: السيرة لابن هشام (٥٧/٣)، تاريخ الطبري (٤٨٧/٢)، الكامل لابن الأثير (٣٨/٢).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٦) روى قصة قتله البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف (٢٥/٥)، ومسلم كتاب =

رسول اللهَّ ﷺ إلى اليهود وقال: "يا معشر اليهود أسلموا تسلموا" قالوا: "لقد بلغت يا أبا القاسم"، قال: "ذلك أردت، اعلموا يا معشر اليهود أن الأرض لله ورسوله[1] وإني أريد أن أُجْلِيَكم من هذه الأرض"[2]. فأجلى بني النضير[3] ومنَّ

الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود (١٤٢٥/٣ رقم ١١٩). عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما-.

والنفر الثلاثة الذين مع محمد بن مسلمة -ﷺ- -كما في رواية البخاري ومسلم السابقة- هم: أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر -ﷺ-.

(١) كذا في ق، وهو الموافق لما في صحيح مسلم (انظر الحاشية القادمة) وفي الأصل وَ ص: ولرسوله.

(٢) خبر ذهاب النبي ﷺ لليهود رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب إجلاء اليهود من الحجاز (١٣٨٧/٣ رقم ٦١) عن أبي هريرة -ﷺ-.

(٣) وكان إجلاؤهم بعد غزوة أحد في السنة الرابعة من الهجرة، وكان سبب إجلائهم: أن النبي ﷺ خرج إليهم يستعينهم في دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمري فقالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، فلما خلا بعضم ببعض سول لهم الشيطان أن يلقوا على رسول الله ﷺ صخرة من أعلى البيت، فجاء الوحي وأخبر الرسول ﷺ بذلك فقام وخرج راجعاً إلى المدينة وأخبر أصحابه بما أرادت يهود من الغدر، وأمرهم بالتهيؤ لقتالهم، فخرجوا وحاصروهم وقطع نخيلهم، ثم سألوه الصلح فصالحهم على أن يخرجوا بنفوسهم وذراريهم ولهم ما حملت الإبل إلا السلاح، وفيهم نزلت سورة الحشر.

على قريظة، حتى كان يوم الخندق -غزوة الأحزاب- نقضوا العهد وحاربوا رسول اللهّ وأعانوا المشركين عليه(١)، فلما رجع رسول اللهّ ﷺ وضع السلاح واغتسل، جاء جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: "وضعت السلاح، فوالله ما وضعناه، اخرج إليهم" وأشار إلى بني قريظة فحاصرهم رسول اللهّ ﷺ ونزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن تقتل مقاتلتهم(٢) وتسبى ذراريهم(٣).

انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحشر (٥٨/٦)، السيرة النبوية لابن هشام (٢١٠/٣)، الطبقات الكبرى (٥٧/٢)، المغازي للواقدي (٣٦٣/١)، زاد المعاد (١٢٧/٣، ٢٤٨).

(١) عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: "أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير وأقرَّ قريظة ومنَّ عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين... الحديث".

رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب إجلاء اليهود من الحجاز (١٣٨٧/٣ رقم ٦٢).

(٢) ق: بأن يقتل مقاتلهم.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة (٥١/٥)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد (١٣٨٨/٣ رقم ٦٥) عن عائشة -رضي الله عنها-.

وكانت غزوة قريظة في السنة الخامسة من الهجرة.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٥٧/٣)، الطبقات الكبرى (٧٤/٠٢)، المغازي للواقدي (٤٩٦/٢).

﴿ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ ﴾ شناعة الغدر، أو هم لا يتقون عذاب الله بنصر المؤمنين عليهم وقتلهم وسبي أولادهم[1] وهتك حريمهم[2].

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ ﴾ تصادفنهم[3]، وأصله: الحذق والسرعة يقال: غلامٌ ثَقِفٌ، أي: عاقلٌ حَذِق[4].

﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ نكِّل بهم نكالاً يكون سبباً لتفرق الآخرين الذي لم يحضروا معهم، حتى لا يُناصبك بعد ذلك أحدٌ.

والتشريد هو: التفريق، من شَرَدَ الجملُ إذا ذهب وعصى[5] ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ ﴾ لعل من شرَّدتَ يتعظُ ويرعوي. العاقلُ مَنْ اتعظ بغيره.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ ولم يَبْدُ منهم ما يوجب نقض العهد ﴿ فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾ عهدهم وأخبرهم بأن لا عهد بينك وبينهم ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ كائنين

---

(١) ق: أموالهم.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٨٨).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٢٠)، الكشاف (٢/٥٩٢)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٤) انظر: مادة (ثقف) الصحاح (٤/١٣٣٤)، لسان العرب (٩/١٩).

(٥) انظر: مادة (شرد) تهذيب اللغة (١١/٣٢٠)، لسان العرب (٣/٢٣٧).

أنت وهم على صفة الاستواء في العلم والعداوة، حال من النابذ والمنبوذ إليه[1].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ تعليل للأمر بالنبذ[2] أو[3] النهي عن الغدر الذي دل عليه الأمر بالنبذ، وفي الحديث عنه ﷺ: « لكل غادر لواء يوم القيامة ينصب عند استه، وينادى عليه هذه غدرة فلان »[4].

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ﴾ الجملة سدت مسد المفعولين، أي: لا تحسبن الكافرين الذين[5] فروا يوم بدر[6]

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص٢١)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٢٠)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢).

(٢) وهو قول الطبري (١٤/ ٢٥)، والزمخشري (٢/ ٥٩٣)، والبيضاوي (١/ ٣٨٨).
وقيل: هو طعن على الخائنين الذين عاهدهم الرسول ﷺ.
انظر: البحر المحيط (٤/ ٥٠٥).

(٣) ق: و.

(٤) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر والفاجر (٤/ ٧١) عن أنس -رضي الله عنه-، ومسلم كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر (٣/ ١٣٥٩ رقم ٩-١٦) عن ابن عمر وابن مسعود وأنس وأبي سعيد -رضي الله عنهم- جميعهم بألفاظ متقاربة، في بعضها: «عند استه»، وفي بعضها: «يقال: هذه غدرة فلان».

(٥) في الأصل: الذين عليه هذه غدرة فلان فروا يوم... إلخ.
وهو خطأ سببه انتقال النظر مع السطر الذي قبله، والمثبت أعلاه من باقي النسخ.
وما ذكره المؤلف هو على القراءة بالتاء كما سيتضح بعد قليل.

(٦) قال الزهري: نزلت فيمن أفلت من الكفار يوم بدر. البحر المحيط (٤/ ٥٠٥)، وبنحوه قال ابن الأنباري، الوسيط (٢/ ٤٦٨).
وقيل: هي في جميع الكفار، وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهما-. زاد المسير (٣/ ٣٧٤).

فائتين[1]، وقرأ حمزة وابن عامر وحفص بالياء[2] على أن ﴿ سَبَقُوٓاْ ﴾ ثاني المفعولين والأول محذوف، أي: أنهم سبقوا[3]، أو الضمير للنبي على طريقة الالتفات أو لكل حاسب[4]، ولا تمحل في هذه القراءة، ودعوى تفرد حمزة باطلة[5] لموافقة ابن عامر وحفص في السبعة، وأبي جعفر[6] في العشرة[7]، وابن محيصن[8] والحسن[9]

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٦٨٢)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٠)، البيان لابن الأنباري (١/٣٩٠).

(٢) قرأ حمزة وابن عامر وحفص بالياء وفتح السين، وقرأ الباقون بالتاء وكسر السين غير عاصم فإنه قرأ بفتح السين.
انظر: السبعة (ص٣٠٧)، التيسير (ص٩٦).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٠٢/٤٢١)، تفسير الطبري (١٤/٢٩)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٠).

(٤) انظر: الكشف لمكي (١/٤٩٣)، المُوْضح لابن أبي مريم (٢/٥٨١)، البحر المحيط (٤/٥٠٥)، الدر المصون (٥/٦٢٣).

(٥) في حاشية الأصل وَ ق: قائله الكشاف.
وقد قال في الكشاف عند هذه القراءة (٢/٥٩٣): "وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة". اهـ.
وقبله قال الطبري (١٤/٢٨): "وهي قراءة غير حميدة... إلخ". ومثل هذه الأقوال في حق قراءة ثبتت أسانيدها إلى النبي ﷺ أقوال غير نيرة ولا حميدة وهي مردودة على قائليها.
وانظر: فتوح الغيب (لوحة٩٧٣).

(٦) يزيد بن القعقاع المخزومي أبو جعفر المدني، أخذ القراءة عن عبدالله بن عياش وابن عباس وأبي هريرة -ﷺ-، وتتلمذ على يديه نافع وأبو عمرو وغيرهما، قال ابن الجزري: "أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر". اهـ. توفي عام ١٢٨هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٨/٣٥٣)، معرفة القراء الكبار (١/٧٢)، غاية النهاية (٢/٣٨٢).

(٧) انظر: النشر (٢/٢٧٧).

(٨) محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، عرض القراءة على مجاهد وسعيد بن جبير، وعليه شبل بن عباد وأبو عمرو بن العلاء، توفي عام ١٢٣هـ بمكة.
انظر: معرفة القراء الكبار (١/٩٨)، غاية النهاية (٢/١٦٧)، وقد وقع في نسخة ق: أبي محيصن.

(٩) هو الحسن البصري، سبقت ترجمته.

وطلحة[1] في الشاذة[2]، والمختار الخطاب لجَرْيه على السَنَن السابق[3]، ولعدم الحذف ولكونه أبلغ تسلية؛ لأنها نزلت في مَنْ أَفْلَتَ يوم بدر[4]، ومَنْ جعل ضمير الغيبة لـ ﴿ مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ أبعد عن المقام[5].

﴿ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ استئناف يؤكد عدم السَبْق المفهوم من ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾، وقرأ ابن عامر (أن) بالفتح[6] إما لكونه مفعول الحسبان و ﴿ سَبَقُوٓاْ ﴾

(١) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد الكوفي، من التابعين الأجلاء والقراء الكبار، كانوا يسمونه سيد القراء، توفي عام ١١٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٩١/٥)، غاية النهاية (٣٤٣/١).

(٢) انظر: البحر المحيط (٥٠٦/٤)، الدر المصون (٦٢٤/٥).

وهناك أوجه أخرى في تخريج قراءة الياء راجعها في: الحجة لأبي علي الفارسي (١٥٥/٤)، التبيان للعكبري (٦٢٩/٢)، البحر المحيط (٥٠٥/٤).

(٣) وذلك أن الآيات السابقة لهذه الآية كان الخطاب فيها موجهاً إلى النبي ﷺ كقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ ... فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ... فَشَرِّدْ بِهِم... وَإِمَّا تَخَافَنَّ ... فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ... الآيات ﴾.

وانظر: الكشف لمكي (٤٩٤/١).

(٤) راجع (ص١٤٧).

(٥) اختار أبو جعفر النحاس أن الفاعل ضمير يعود على ﴿ مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾، والتقدير: ولا يحسبن من خلفهم الذين كفروا سبقوا. إعراب القرآن للنحاس (٦٨٣/١).

(٦) انظر: السبعة (ص٣٠٧)، التيسير (ص٩٦).

حال و ﴿ لَا ﴾ صلة(١)، أو بتقدير اللام تعليلاً(٢).

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [لما](٣) ذكر أن الفارِّين من بدر ليسوا بفائتين(٤)، وكان مظنة أن يتكاسل المؤمنون في أمر الجهاد متكلين على ذلك حثهم على إعداد آله الحرب لقهر(٥) أعداء اللهِّ وأعدائهم(٦)، والقوة: خلاف الضعف، والمراد به: الرمي بالسهم لما روى مسلم والبخاري عن عقبة بن عامر: "أنه ﷺ قرأ الآية على المنبر وفسَّر القوة بالرمي وكررَّه ثلاثاً"(٧)، لعل ذلك [لأنه

(١) ذكره البيضاوي (١/٣٨٩)، واستبعده النحاس في إعراب القرآن (١/٦٨٣) والعكبري في التبيان (٢/٦٣٠).

(٢) قال به النحاس في إعراب القرآن (١/٦٨٤)، وابن الأنباري في البيان (١/٣٩١)، واستظهره البيضاوي (الموضع السابق)، وذكره مكي في الكشف (١/٤٩٤)، وابن أبي مريم في الموضح (٢/٥٨٢)، وأبو حيان في البحر (٤/٥٠٦).

(٣) ساقطة من ص وَ ق.

(٤) في ص زيادة: بفائتين لأنهم وكان... إلخ. وهي زيادة لا محل لها.

(٥) في ص زيادة: لقهر الله أعداء... إلخ. وهي زيادة لا يحتاج إليها.

(٦) وقال البقاعي في نظم الدرر (٨/٣١٤): "ولما كان هذا -الإخبار بأن الكفار لا يفوتون- ربما أدى إلى ترك المناصبة والمحاربة والمغالبة اعتماداً على الوعد الصادق المؤيد بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر، مع نقص العِدة والعُدة أتبعه ما يبين أن اللازم ربط الأسباب بمسبباتها وليتبين الصادق في دعوى الإيمان من غيره فقال: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم ﴾ ... إلخ".

(٧) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي (٣/١٥٢٢ رقم ١٦٧).
وأما البخاري فلم يروه، فعزوه للبخاري وهمٌ، والله أعلم.

أقوى في التأثير][1]؛ لأنه يدفع العدو من بعيد، ولا يمكنه الاحتراز منه لعدم الإحساس به، ولأن حرب العرب أكثر ما يكون بالحراب والسيوف، فحثهم على تعاطي الرمي[2]، وفي الحديث: «من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا»[3].

﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[4]، وإنما خصه بالذكر لشدة الأمر في ذلك وصرف المال إليه.

وقيل: القوة كل ما يتقوى به من آلة الحرب[5]، وإفراد الرباط لفضيلته نحو

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٢) عقد الإمام ابن القيم -رحمه الله- فصولاً في كتابه النافع الفروسية في بيان فوائد الرمي وتفضيله على غيره من ضروب القتال.

انظر: الفروسية (ص١١٦، ١٢٤، ١٣٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي (١٥٢٣/٣ رقم ١٦٩) عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- بلفظ: «من عَلِمَ».

(٤) كذا في الأصل، وسائر النسخ بدون الواو.

قال ابن الجوزي: "﴿ مِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ يعني ربطها واقتناؤها للغزو. زاد المسير (٣٧٥/٣).

(٥) والقول بالعموم هنا هو ظاهر اختيار ابن جرير (٣١/١٤)، والزمخشري (٥٩٤/٢)، والبيضاوي (٣٨٩/١)، وصوَّبه ابن عطية (٥٤٥/٢)، واستظهره أبو حيان (٥٠٧/٤).

عطف جبريل على الملائكة[1].

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[2] استئناف تعليلاً للأمر أو جملة حالية[3]، وهم كفار مكة[4] ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ فارس والروم[5]، وقيل: المنافقون[6] أو

(١) في مثل قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ سورة البقرة، آية (٩٨).

انظر: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي (المواضع السابقة).

(٢) في حاشية الأصل وَ ص: وقرأ يعقوب في رواية ﴿ تُرهِّبُون ﴾ بالتشديد. منه.

وهذه القراءة في رواية رويس عن يعقوب. انظر: النشر (٢/٢٧٧).

وانظر: البحر المحيط (٤/٥٠٨)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٩)، ويعقوب هو: أبومحمد يعقوب ابن إسحاق البصري أحد القراء العشرة، توفي عام ٢٠٥هـ.

انظر: التاريخ الكبير (٨/٣٩٩)، معرفة القراء الكبار (١/١٥٧).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (٢/٦٣٠)، البحر المحيط (٤/٥٠٨)، الدر المصون (٥/٦٢٨).

(٤) ذكره الواحدي في البسيط (١/٣٢٣) عن مقاتل ومجاهد.

وانظر: الكشاف (٢/٥٩٥)، تفسير البيضاوي (١/٣٨٩).

وقيل: جميع الكفار.

انظر: البحر المحيط (٤/٥٠٨)، تفسير ابن كثير (٤/٢٦)، وعلى القول الأول فمما هو معلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٥) رواه ابن جرير (١٤/٣٦)، والبغوي (٣/٣٧٣) عن السدي دون ذكر الروم، ولم أجد من ذكر الروم في هذا الموضع إلا القرطبي (٨/٣٨)، نقله عن السدي، والذي رواه الأئمة عن السدي دون ذكر الروم.

(٦) رواه ابن جرير، والبغوي (الموضعين السابقين) عن ابن زيد، ورواه البغوي عن الحسن، ورواه ابن أبي =

اليهود[1] كانوا أيضاً أعداء لكن لم تكن عداوتهم كعداوة مشركي مكة.

﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ بأعيانهم، صفة: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ تنبيه على أن علمه كافٍ في ذلك فلا يتهاونوا في عداوتهم وإعداد آلة الجهاد.

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ أجره ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ لا تنقصون من أجره شيئاً.

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ ﴾ مالوا[2] إلى الصلح[3]، ومنه: الجناح للطائر

حاتم وأبو الشيخ عن مقاتل، ورجحه أبو حيان (٤٠٨/٤)، وابن كثير (٢٦/٤).

انظر: الدر المنثور (٩٧/٤).

(١) ذكره بهذا اللفظ أبو الليث السمرقندي (٢٩/٢)، وابن الجوزي (٣٧٥/٣) عن مقاتل، ورواه ابن جرير (٣٦/١٤) عن مجاهد بلفظ: بنو قريظة، وكذا رواه البغوي (٣٧٣/٣) عنه وعن مقاتل وقتادة.

وفي الآية قولان آخران:

الأول: أنهم الجن، ورجحه الطبري (٣٧/١٤)، ورووا فيه حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ : «**إنهم الجن**».

قال عنه ابن كثير: "وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه". اهـ (٢٦/٤).

الثاني: أنهم كل عدو لا يعرفون عداوته، ورجحه القرطبي وقال: "ولا ينبغي أن يقال فيهم شيء؛ لأن الله -ﷻ- قال: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ فكيف يدعي أحد علماً بهم... إلخ" (٣٨/٨).

(٢) في الأصل وَ ص: بتكرار مالو.

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٨٠).

والجُنَاح: الإثم(١)، وللسلم(٢): الاستسلام(٣).

(١) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (جنح)(١/٤٨٤): "الجيم والنون والحاء أصل واحد يدل على الميل والعدوان، ويقال: جنح إلى كذا أي: مال إليه، وسمي الجناحان جناحين لميلهما في الشقين، والجُناح: الإثم، سمي بذلك لميله عن طريق الحق". اهـ.

(٢) ق: والسلم.

(٣) لم أقف على من فسَّرها بالاستسلام فيما بين يدي من مراجع إلا البيضاوي (١/٣٨٩) فإنه قال: "﴿ لِلسَّلْمِ ﴾ للصلح أو الاستسلام". اهـ.

وأكثر المفسرين على أن المعنى: مالوا إلى الصلح.

وقال ابن جرير (١٤/٤٠): "وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح، فاجنح لها... إلخ".

والذي يظهر هو أن المراد هنا: الصلح، وذلك أن بعض المفسرين قالوا بأن الآية منسوخة وقال آخرون: بل هي محكمة، وهو موكول إلى نظر الإمام واجتهاده. فعلى القول الأول كيف ينسخ قبول الاستسلام منهم؟ وعلى الثاني كيف يكون قبول الاستسلام موكولاً إلى نظر الإمام؟ والواجب قبوله.

انظر: تفسير القرطبي (٨/٣٩)، البحر المحيط (٤/٥٠٩).

ومن المحتمل أن يكون مراد المؤلف بيان معنى السلم لغة، ويعضد ذلك أنه فسَّرها أولاً بالصلح، ويكون الأولى إثبات ما في نسخة "ق"، وهو: والسلم... والله أعلم.

وانظر: معجم مقاييس اللغة (سلم) (٣/٩٠)، لسان العرب (سلم) (١٢/٢٩٠).

وقرأ أبو بكر بكسر السين[1]، وهما لغتان[2] كالكَتف والكِتف[3].

﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ واقبل منهم ذلك، إذ ربما يكون في ذلك زيادة شوكة للإسلام بأن يختلط المشركون، ويسمعوا القرآن، ويشاهدوا محاسن الإسلام، فيكون سبباً داعياً لهم إلى الإيمان[4].

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ فوض أمرك إليه. دفعٌ لما عسى يتوهم أن يكون الصلح منهم خديعة وطلباً لغرة[5] المؤمنين[6].

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ بأفعالهم وضمائرهم، فإن

(١) هي قراءة أبي بكر عن عاصم، وباقي السبعة وحفص عن عاصم بفتح السين.

انظر: السبعة (ص٣٠٨)، التيسير (ص٩٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٢٢/٢)، الكشف لمكي (٤٩٤/١)، النهاية (سلم) (٣٩٤/٢)، لسان العرب (سلم) (٢٩٣/١٢).

(٣) انظر: القاموس المحيط (كتف) (ص١٠٩٥).

(٤) كما وقع ذلك زمن صلح الحديبية حيث اتصل الناس ببعض لما أُمِنوا فسمعوا القرآن وأزيلت كثير من الشبه فدخل خلق كثير من المشركين في الإسلام.

(٥) ص: لغزة.

(٦) انظر: الكشاف (٥٩٥/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٩/١)، البحر المحيط (٥١٠/٤).

يكن قصدهم المكر فإن مكر الله فوق مكرهم، والآية محكمة(١)؛ لأنها نزلت في الحديبية لما صدَّ المشركون رسول اللهِّ عن البيت(٢)، وآية السيف لا تدل على

---

(١) روى ابن جرير (٤١/١٤) عن قتادة وعكرمة والحسن وابن زيد أن الآية منسوخة بآية السيف، وكذا رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (ص١٩٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وذهب كثير من المفسرين إلى أن الآية محكمة، ومنهم الطبري وأبو الليث والزمخشري وابن العربي، وأبو حيان وابن كثير وقال -بعد أن ذكر القول بالنسخ-: "فيه نظر لأن آية براءة ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ سورة التوبة، آية (٢٩)، فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفاً فإنه تجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم". اهـ.

ومما يحسن التذكير به هنا أن مفهوم السلف للنسخ أوسع من اصطلاح المتأخرين فالاستثناء والتخصيص والتقييد والتبيين ورفع الحكم بالكلية كل هذا مما يسمى عندهم نسخاً. راجع (ص٤٩).

وانظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢٩/٢)، الكشاف (٥٩٥/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٨٧٦/٢)، البحر المحيط (٥٠٩/٤)، تفسير ابن كثير (٢٧/٤).

(٢) لم أقف على من ذكر أن الآية نزلت في الحديبية فيما بين يدي من مراجع، وإنما عبارات المفسرين أنها نزلت في بني قريظة، أو أهل الكتاب، أو مشركي قريش والعرب، و لم أجد من ذكر الحديبية. انظر: تفسير الطبري (٤١/١٤)، زاد المسير (٣٧٦/٣)، البحر المحيط (٥٠٩/٤)، تفسير ابن كثير (٢٧/٤).

الوجوب بل الإذن في القتال بعد حُرمته[1]، وليست مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم -كما ظَن-[2] لما تقدم من أن قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ﴾ نزل فيمن أفلت يوم بدر[3].

---

(١) بل الصواب أن آية السيف وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ... الآية﴾ سورة براءة، آية (٥). تدل على وجوب القتال للكفار حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية -على الخلاف في أخذها من غير أهل الكتاب والمجوس- سواء كان وجوباً عينياً أو كفائياً، أما الإذن بالقتال بعد النهي عنه فهي مرحلة سابقة لنزول آية السيف وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة الحج، آية (٣٩) فقد كان القتال مأذوناً به من غير إيجاب في أول الأمر ثم جاء إيجابه بعد ذلك.

انظر: المغني (٣٤٥/٨)، زاد المعاد (٣/ ٧٠-٧١).

(٢) في حاشية النسخ جميعاً: القائل البيضاوي.

وانظر: قول البيضاوي (٣٨٩/١)، وقد اختار أنها في أهل الكتاب الطبري في تفسيره (٤٢/١٤).

(٣) قال ابن كثير (٢٧/٤) -بعد أن ذكر قول مجاهد أنها نزلت في بني قريظة- قال -رحمه الله-: "وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر،وذكرها مكتنف لهذا كله". اهـ.

وعلى كل الأقوال في سبب نزولها فإن المقطوع به هو عموم حكمها وأن للمسلمين أن يهادنوا الكفار وثنيين كانوا أو أهل كتاب، إذا كانت المصلحة تستدعي ذلك سواء كانت هذه الهدنة =

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ ﴾ تصريح بما أشير إليه بقوله[1]: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾. ﴿ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ كافيك لا يُحتاج معه إلى آخر، يستوي فيه الجمع والمفرد ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ بإحداث التحاب والتوادد[2] بعد التباغض والتماقت، إشارة إلى ما كان بين الأنصار قبل الإسلام من الحروب المتكاثرة في الأزمنة المتطاولة، وهم الأوس والخزرج ولما بعث رسول الله ﷺ أبدل الله ذلك بالإلف والأخوة بحيث لم يبق لذلك أثر[3]، وفي الحديث: أنهم تذاكروا يوم بُعَاث -وهو يوم مشهور وكانت[4]

بجزية يدفعونها أو بدون جزية، حسب قوة المسلمين وضعفهم، والأمر في ذلك موكول إلى نظر الإمام واجتهاده وتقديره للمصلحة.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٩٠)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٨٧٦)، الجامع للقرطبي (٨/٤٠)، زاد المعاد (٣/١٢٤)، تفسير ابن كثير (٤/٢٨).

(١) في ق: من قوله.

(٢) في ق: التواد.

(٣) قال أبو حيان (٤/٥١٠): "وكونها في الأوس والخزرج تظاهر به أقوال المفسرين". اهـ.

(٤) ق: بدون الواو.

الغلبة فيه للأوس-[1] حتى تداعى القبيلتان للحرب فجاءهم رسول الله ﷺ فقال: «أتدعون بدعاية الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» فعلموا أنها كانت نزغة من الشيطان فندموا وتعانقوا[2].

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ لتمكن العداوة فيهم دهراً طويلاً، وكثرة الدماء والثارات[3].

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ ﴾ لأنه قادر على كل شيء، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء[4]، غالب لا يغلبه على مراده

---

(١) يوم بعاث: يوم كانت فيه الحرب بين الأوس والخزرج، وكانت الغلبة للأوس وكان على الأوس يومئذ حُضَير بن سِمَاك الأشهلي -أبو أسيد بن حضير- وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البَياضي، فقتلا جميعاً.

انظر: السيرة لابن هشام (١٦٩/٢)، نهاية الأرب (ص٤٠٩)، أيام العرب في الجاهلية (ص٧٣).

(٢) رواه ابن جرير (٥٥/٧) من طريق ابن إسحاق عن زيد بن أسلم، وذكره ابن هشام في السيرة (١٦٨/٢) عن ابن إسحاق.

وانظر: الدر المنثور (٢٧٨/٢).

(٣) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص: التارات.

(٤) راجع الحديث الدال على ذلك (ص٦٦).

شيء ﴿ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ متقن في صنعه، جعلهم بعد ذلك التفرق يداً واحدة على نصرة دين الله وإعلاء كلمته.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ حصر أولاً كفايته في نفسه؛ لأنه المؤثر ابتداء، وأضاف إليه المؤمنين ثانياً جرياً على الظاهر في اعتبار الوسائط، والموصول إما في محل الرفع عطفاً على المرفوع[1]، أو في محل النصب؛ لأنه مفعول معه[2]

.... فحسبكَ وضحاكَ سيفٌ مهندُ[3]

---

(١) أي: لفظ الجلالة في قوله: ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾.

انظر: معاني القرآن للفراء (٤١٧/١)، معاني القرآن للزجاج (٤٢٣/٢)، إعراب القرآن للنحاس (٦٨٥/١)، البيان لابن الأنباري (٣٩١/١)، واستظهر هذا الوجه أبو حيان (٥١٠/٤).

(٢) قاله النحاس (الموضع السابق)، وصدَّر به الزمخشري الأوجه في الآية (٥٩٦/٢)، وصححه ابن القيم في زاد المعاد (٣٥/١).

وانظر: المراجع في الهامش السابق.

(٣) عجز بيت وصدره:

إذا كانت الهيجاءُ وانشقتِ العصا ....

وقد نسبه في ذيل الأمالي ص(١٤٠) لجرير، و لم أقف عليه في ديوانه.

وانظر: خزانة الأدب (٥٨١/٧)، واللسان (حسب) (٣١٢/١)، الكشاف (٥٩٦/٢)، البحر المحيط (٥١١/٤)، الدر المصون (٦٣٢/٥).

أو مجرور [عطفاً على المجرور][1] المحل بدون إعادة الجار على مذهب الكوفيين[2].

(١) ساقط من ص

(٢) فتكون ﴿ مَنِ ﴾ معطوفة على الكاف المجرورة في قوله: ﴿ حَسْبُكَ ﴾.

انظر: التبيان للعكبري (٢/٦٣١)، البحر المحيط (٤/٥١٠)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٠)، الدر المصون (٥/٦٣٢).

هذا فيما يتعلق بالإعراب، وأما المعنى -والإعراب والمعنى متلازمان- فإن فيها قولين:

الأول: حسبك اللـــه وحسبك المؤمنون -وهو ما أشار إليه المؤلف -رحمه الله- في الوجه الأول من الإعراب- وهو قول الشعبي، وجوَّزه الفراء والزجاج، وهو ظاهر اختيار أبي حيان.

الثاني: حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين، وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهما- وابن زيد ومقاتل والشعبي في قوله الآخر، ونسبه ابن الجوزي للأكثرين، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا هو القول الصواب الذي قاله جمهور السلف والخلف". اهـ الفتاوى (١/٢٩٣) وهذا القول هو الذي يتعين المصير إليه لعدة أوجه منها:

١- أن الحسب هو الكافي، والله وحده هو كافي عباده المؤمنين.

٢- "أن الله أثنى على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ سورة آل عمران آية (١٧٣)، ولم يقولوا: =

حسبنا الله ورسوله، فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حسبك؟". زاد المعاد (٣٦/١).

٣- أن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن، وقد دلت نظائر هذه الآية على وجوب إفراد الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ ﴾ سورة الأنفال، آية (٦٢)، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ سورة الزمر، آية (٣٨)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ سورة الطلاق، آية(٣)، وقال تعالى:﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾ سورة الزمر، آية (٣٦).

٤- قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة التوبة، آية (٥٩) فذكر الرضا بما آتاه الله ورسوله؛ لأن الرسول هو الواسطة بيننا وبين الله في تبليغ أمره ونهيه وتحليله وتحريمه، ووعده ووعيده... ثم قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ﴾ ولم يقل "ورسوله" فإن الحسب هو الكافي، والله وحده كاف عبادَه المؤمنين". الفتاوى لابن تيمية (٢٩٣/١).

وما أجمل قول القاسمي في تفسيره (٩٢/٨) -بعد أن ذكر ردَّ الخفاجي على ابن القيم محتجاً بأن الفراء والكسائي رجحا وجه الرفع- حيث يقول: "ولو أمعن النظر فيما برهن عليه ابن القيم وأيّده بما لا يبقى معه وقفة لَمَا ضعَّفه، والفراء والكسائي من علماء العربية ولأئمة التأويل فقهٌ آخر، فتبصر ولا تكن أسير التقليد" اهـ.

انظر: معاني القرآن للفراء (٤١٧/١)، الطبري (٤٨/١٤)، ، معاني القرآن للزجاج (٤٢٣/٢)، زاد المسير (٣٧٧/٣)، الفتاوى لابن تيمية (٣٠٦/١)، الاستغاثة لابن تيمية (٥٣٥/٢)، تفسير ابن كثير (٣٠/٤)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٥٠١/٤).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾ بعد علمه أنه كافيه أمره أن يحثهم على القتال الذي هو سبب إعلاء كلمته، والحَرَضُ: شدة المرض[1]، أراد به المبالغة في الحث[2]، ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ ﴾ صابرة ﴿ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ شرط في الغلبة الصبر، وعلل ﴿ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ قلوبهم خاوية عن المعرفة، لا يرجون من اللهَّ ثواباً ليكون باعثاً لهم على المصابرة، بخلاف المؤمنين فإنهم موقنون بما أعد اللهَّ لمن يموت في سبيله من علو الدرجات[3].

روي أن خالد بن الوليد في بعض الحروب مع الروم بارز يوماً من الأيام بنفسه -وكان أمير الجيش- فقتل ألف بطل من أبطال الروم، ثم تقدم إليه بطريق[4] منهم وقال لـه: يا أمير هل أخبرك نبيكم أنك لا تموت؟ قال خالد: لم ذلك؟ قال: لأن ما تفعله من الإقدام إنما يفعله من أخبره صادق القول بأن لا

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (حرض) (٤/٢٣٠)، لسان العرب (حرض) (٧/١٣٤).

(٢) قال الزجاج (٢/٤٢٣): "تأويله: حثهم على القتال، وتأويل التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حثاً يعلم معه أنه حارض إن تخلف عنه، والحارض: الذي قد قارب الهلاك". اهـ.

(٣) انظر: الطبري (١٤/٥١)، الكشاف (٢/٥٩٧)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٠).

(٤) البطريق لفظ من العهد الروماني يقصد به القائد الحاذق بالحرب، أصبح عندهم فيما بعد لقباً عسكرياً أُطلق على كبار القادة من الأمراء، وجمعه: بطارقة.
انظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص (٨١).

سبيل للموت إليه. فقال[1] خالد: أخبرني صادق القول بأن كل نفس ذائقة الموت، وأخبرني أيضاً بما أعد الله لمن يُقتل في سبيله من النعيم، وكان غدائي اليوم خبز الشعير مبتلاً بالماء، فأنا أستعجل الموت للفوز بذلك النعيم. فأسلم البطريق مكانه[2].

قرأ أبو عمرو والكوفيون ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ ﴾[3] في هذه الآية، والكوفيون في الثانية ﴿ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ ﴾ بالتذكير والباقون بالتأنيث[4]، والتذكير هو المختار لاعتبار المعنى ومناسبة ﴿ يَغْلِبُوا ﴾[5].

---

(١) ق: قال.

(٢) لم أقف على القصة، وفي قوله: "إنه قتل ألف بطل" مبالغة لا تخفى.

(٣) (مائة) ساقطة من ق.

(٤) فقوله تعالى: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ ﴾ قرأه عاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو بالياء، ونافع وابن كثير وابن عامر بالتاء، وقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ ﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر: السبعة ص(٣٠٨)، النشر (٢/٢٧٧)، والكوفيون من السبعة هم: عاصم وحمزة والكسائي.

(٥) من قرأ بالتذكير فحجته ما ذكره المؤلف، ومن قرأ بالتأنيث فحجته أنه حمله على تأنيث لفظ (المائة).

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ كان الأمر بمقاومة الواحد العشرة لقلة المسلم، ولما كثروا وكان ذلك شاقاً عليهم خفف عنهم بمقاومة المائة للمائتين والألف للألفين.

وإنما كرَّر مقاومة القليل للكثير بمعان[1] مختلفة وأعداد متباينة إشارة إلى أن الحكم واحد لا يتغير باختلاف الأعداد [إذ][2] ربما لا يقاوم العشرون المائتين ويقاوم المائة الألف، وكذلك ربما يقاوم العشرة العشرين ولا يقاوم الألف الألفين[3][4].

قرأ ﴿ ضَعْفًا ﴾ بفتح الضاد حمزة وعاصم، والباقون بالضم[5]، وهما لغتان[6].

انظر: الحجة لابن خالويه ص(١٧٢)، الكشف لمكي (٤٩٤/١)، الموضح لابن أبي مريم (٥٨٤/٢).

(١) في ص وَ ق: لمعان.

(٢) ساقط من ص.

(٣) ص: وكذلك ربما لا يقاوم العشرة العشرين ويقاوم الألف الألفين.

(٤) انظر: الكشاف (٥٩٨/٢)، تفسير البيضاوي (٣٩٠/١).

(٥) انظر: السبعة ص(٣٠٨) التيسير ص(٩٦).

(٦) ذكره سيبويه في الكتاب (٣١/٤-٣٣)، ونقل النحاس في إعراب القرآن (٦٨٧/١)، وأبوحيان (٥١٤/٤) عن أبي عمرو أن الضم لغة الحجاز والفتح لغة تميم.

﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ بالنصر والإعانة، حث على المصابرة المشروط بها النصر.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ ما صح وما كان ينبغي له، وقرأ أبو عمرو ﴿أن تكون﴾ بالتأنيث(1) نظراً إلى لفظ الأسرى(2).

﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يُكثر القتل، من الثَّخانة وهي: الغلظة والكثافة المناسبة للكثرة(3). وفائدة(4) ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ والقتل لا يكون إلا فيها الإشارة إلى أنه لا ينبغي لـه أن يقصد إلى أنه يأتيه العدو، بل يمشي في مناكب

وانظر: الحجة لابن خالويه ص(١٧٢)، الكشف لمكي (٤٩٥/١)، الكشاف (٥٩٨/٢)، تفسير البيضاوي (٣٩٠/١)، لغة تميم ص(٢٤٧).

(١) انظر: السبعة ص(٣٠٨)، التيسير ص(٩٦).

(٢) انظر: الحجة لابن خالويه ص(١٧٣)، الكشف لمكي (٤٩٥/١)، البحر المحيط (٥١٤/٤).

ولفظ ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ من الجموع المختومة بألف التأنيث المقصورة، وهي على وزن فَعْلَى ولذلك جاز فيها التأنيث نظراً إلى لفظها أو التذكير نظراً إلى معناها.

انظر: أوضح المسالك (٢٨٩/٤).

(٣) انظر: البسيط (٣٥٩/١).

(٤) في الأصل: والفائدة، والمثبت من ص ولعله الأقرب، وفي ق الكلمة غير واضحة.

الأرض ويسعى لإعلاء كلمة اللهَّ كما فعل رسول اللهَّ ﷺ غزا في عشر سنين سبعاً وعشرين غزوة، وله نيف وخمسون سرية[1]، وقال: «لولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية»[2].

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ متاع الدنيا ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ يريد لكم ما يوصل إلى ثواب الآخرة من الجهاد والقتل لإعزاز دينه[3].

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ لا يحتاج إلى معاون، وإنما يأمركم بالمحاربة مع أعدائه لطفاً بكم، لتنالوا ثوابه وجزيل نواله.

﴿ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ في كل ما يأمر به، دفعٌ لما يُتوهم من قوله: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا

(١) ذكر الواقدي في أول كتابه المغازي (١/٧)، وابن سعد في الطبقات (٢/٥) أن الغزوات سبع وعشرون وأن السرايا سبع وأربعون، وذكر ابن هشام في السيرة (٤/٢٦٤) أن الغزوات سبع وعشرون والسرايا ثمان وثلاثون.

وانظر: زاد المعاد، فصل في غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ (١/١٢٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان (١/١٤)، ومسلم كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد (٣/١٤٩٦ رقم ١٠٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٣) انظر: الكشاف (٢/٦٠٠)، تفسير البيضاوي (١/٣٩١).

بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[1] فإنه جوَّز الفداء والمنَّ وذلك لما كان بالمؤمنين من الشوكة والكثرة، وهذا[2] كان أول قتال وقع فكان الأَوْلى الإكثار في القتل ليقع الرعب في قلوب المشركين.

لما أسر سبعين من المشركين شاور أبابكر [فقال: "ما ترى في هؤلاء؟"][3] فقال: "يا رسول اللهَّ قومك وعشيرتك، وعسى اللهَّ أن يرزق بعضهم الإسلام ويخرج من ظهورهم من يشهد أن لا إله إلا اللهَّ، خذ الفداء منهم يتقوى به المهاجرون والأنصار"، ثم التفت إلى عمر بن الخطاب وقال له: "ما ترى أنت يا ابن الخطاب؟" قال: "لا أرى ذلك الرأي يا رسول اللهَّ، هؤلاء رؤوس الكفار وصناديدهم، مُرْ علياً ليضرب عنق[4] عقيل، وَمُرْني أضرب عنق فلان -نسيب[5] لـه-، وإنه تعالى أغناك عن فداهم"، فاختار رسول اللهَّ ﷺ ما أشار به الصديق وأخذ الفداء، وقال: "إن مثل أبي بكر مثل إبراهيم حيث قال: ﴿ فَمَن تَبِعَنِى

---

(١) سورة محمد، آية (٤).

(٢) في ص وَ ق زيادة: وهذا كان عند قلة المؤمنين و... إلخ، وفي ق: دون كلمة "كان".

(٣) ساقط من ص.

(٤) في الأصل: عنقاً والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في ق: لنسيب.

فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾[1] ومثل عمر مثل نوح إذ قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝﴾[2]" فنزلت. قال عمر: "فدخلت على رسول الله ﷺ وأبو بكر عنده وهما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت، فقال: عُرض عليَّ عذاب أصحابك في أخذهم الفداء أدنى من هذه الشجرة -لشجرة قريبة منه-"[3].

وفي الآية: دليل على أنه كان يجتهد في الوقائع لاسيما في أمر الحرب، ويخطئ تارة ولكن ينبه على أخطائه[4].

(١) سورة إبراهيم، آية (٣٦).

(٢) سورة نوح، آية (٢٦).

(٣) القصة التي ذكرها المؤلف ورد بعضها في حديث ابن عباس عن عمر -رضي الله عنه- الذي رواه مسلم كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٣٨٥/٣ رقم ٥٨) وبعضها في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- الذي رواه الإمام أحمد (٣٨٣/١ رقم ٣٦٣٢)، والطبري (٦١/١٤)، والحاكم في المستدرك (٢١/٣) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً الواحدي في الوسيط (٤٧١/٢) وأسباب النزول ص (٢٤٣).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف: إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً". الفتاوى (٢٩٣/١٠).

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ لولا سبق في علمه أو لولا كتب في اللوح [أن](١) المجتهد إذا أخطأ لا يؤاخذ(٢)، أو أهل بدر لا يعذبون(٣)، أو(٤) أن الفدية التي أخذوها كانت مباحة لهم في علم الله(٥)، ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ

---

(١) ساقط من ق.

(٢) رواه ابن جرير عن مجاهد (٧٠/١٤) قال: "كتاب سبق لقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ سورة التوبة، آية (١١٥) سبق ذلك، وسبق أن لا يؤاخذ قوماً فعلوا شيئاً بجهالة".

ورواه أيضاً عن ابن إسحاق، وحكاه الواحدي في الوسيط (٤٧٢/٢) عن ابن مسعود -ﷺ-، وابن الجوزي (٣٨٢/٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من رواية عطاء.

وانظر: السيرة لابن هشام (٢٨٨/٢)، الكشاف (٦٠١/٢).

(٣) رواه ابن جرير عن الحسن، وسعيد بن جبير (٦٩/١٤).

(٤) كذا في سائر النسخ، وفي الأصل بالواو.

(٥) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والحسن والأعمش وأبي هريرة -ﷺ- (٦٥/١٤-٦٦)، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٨٠) واختاره أبو الليث السمرقندي (٣٢/٢).

وقد مال ابن جرير -رحمه الله- إلى عموم الآية لهذه الأقوال جميعاً فقال: "لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ بأن الله مُحلّ لكم الغنيمة، وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لا يعذب أحداً شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول =

عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ لعظم ما جئتم به، وهو الميل إلى الدنيا وترك جانب الآخرة، قال ﷺ: «لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر»[1]. ويدل ذلك على أنَّ غيره كان يرى رأي أبي بكر، وقيل: إلا عمر وسعد بن معاذ[2].

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾ ومن جملته الفداء، والفاء داخلة في المسبَّب أي:

الله ناصراً دين الله، لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم". اهـ (٦٤/١٤)، وقد صوَّب هذا القول الإمام ابن القيم -رحمه الله- في شفاء العليل ص(٢٨).

(١) رواه الطبري (٧١/١٤) عن ابن زيد مرفوعاً بلفظ: **«لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك»** وهو ضعيف لانقطاعه، وضعف ابن زيد.

انظر: تهذيب التهذيب (١٧٧/٦).

وقال السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٤): "وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: اختلف الناس... الحديث وفيه: **«لو نزل العذاب ما أفلت إلا عمر»** اهـ.

وأخرج الحاكم في المستدرك (٣٢٩/٢) عن مجاهد عن ابن عمر -رضي الله عنهما- بلفظ: **«كاد يصيبنا في خلافك بلاء»** وصححه ووافقه الذهبي وقال: قلت على شرط مسلم. اهـ.

(٢) روى ابن جرير (٧١/١٤) عن ابن إسحاق قال: "لما نزلت ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ.. ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: **«لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ لقوله: يا نبي الله كان الإثخان في القتل أحب إليّ من استبقاء الرجال»**.

أبحت[1] لكم الفداء فكلوا[2]. ﴿ حَلَٰلًا ﴾ حال من المجرور أو صفة مصدر[3] ﴿ طَيِّبًا ﴾ لا عقاب معه كما لا عقاب مع الحلال.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في مخالفته والإقدام على ما لم يأذن فيه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ غفر لكم ما فرط منكم من[4] أخذ الفداء﴿ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ بكم؛ ولذلك أحل لكم الغنيمة. قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد[5] قبلي: كان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الأحمر والأسود، ونصرت/ بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً، وأحلت لي الغنائم[6]، وأوتيت الشفاعة»[7].

---

(١) في ص: أبحب.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٦٨٨)، الكشاف (٢/٦٠١)، تفسير البيضاوي (١/٣٩١).

(٣) قال الزمخشري: "أي: أكلاً حلالاً" اهـ.

والوجهان ذكرهما الزمخشري والبيضاوي (الموضعين السابقين). وانظر: الوجه الأول في إعراب القرآن للنحاس (الموضع السابق)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٣)، البيان لابن الأنباري (١/٣٩٢).

(٤) كذا في الأصل، وسائر النسخ: في.

(٥) ق: الله أحدا.

(٦) كذا في ص: لي الغنائم، وفي الأصل وَ ق بدون: لي، والمثبت هو الموافق لنص الحديث.

(٧) سبق تخريج الحديث.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾ قرأ أبو عمرو ﴿الأسارى﴾[1]، وكل منهما جمع أسير[2]، أو الثاني جمع الجمع[3].

﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ نزلت في عباس بن عبدالمطلب أُسِرَ يوم بدر وادعى الإسلام وأنه خرج معهم مكرهاً، فقال رسول الله ﷺ : "لا نعلم ذلك منك" قال: "ماذا تأخذ مني؟ وقد علمت ما أنا فيه من كثرة العيال" فقال: "وأين المال الذي قلت لأم الفضل: إني ذاهب في وجهي هذا ولا أدري ماذا يصيبني فإن أصابني شيء فقد وضعت في موضع كذا مالاً فأنفقيه على الصبية؟" فقال: "خبر السماء، والله لقد قلت لها ما [قلت][4] في سواد الليـل". ففادى نفسه وعقيل بن أبي طالب[5]. وفي الحديث أن

---

(١) انظر: السبعة ص(٣٠٩)، التيسير ص(٩٦)، الإقناع (٢/٦٥٥).

(٢) انظر: الكشف لمكي (١/٢٥١)، الموضح (١/٢٨٩).

(٣) قاله ابن خالويه في الحجة ص(١٧٣).

(٤) ساقط من ق.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك، معرفة الصحابة (٣/٣٢٤)، وصححه ووافقه الذهبي عـن عائشـة -رضي الله عنها-، ورواه ابن سعد (٤/١٥) عن أبي صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، والبيهقي في الدلائل (٣/١٤٣) من طرق عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره.

والحديث رواه الإمام أحمد (١/٣٥٣ رقم ٣٣١٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق

=

أبا عبيدة بن[1] الجراح لما جاء بمال البحرين -وكان أكثر مال جيء به رسول الله ﷺ- فلما انصرف من صلاة الصبح تعرَّض لـه الأنصار، فلما رآهم تبسَّم وقال: "أظنكم سمعتم بمجيء أبي عبيدة" قالوا: "أجل يا رسـول الله"، فقـال: «أبشروا والله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوا فيها». ثم جاء وجلس فلم يقم وهناك منه درهم، وجاءه العباس فقال: "يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وعقيلاً"، فقال: "خذ منه"، فحشا في ذيله وقام ليحمله فلم يقدر فقال: "يا رسول الله مُرْ أحداً يحمله معي" فقال[2]: "لا". فقال[3]: "فاحمله أنت". قال "لا". [فنثر منه شيئاً، ثم قام ليحمله فلم يقدر قال: "يا رسول الله مُرْ أحداً يحمله معي". قال: "لا". قال: "فاحمله أنت". قال:

عكرمة وفي إسناده راو لم يسمَّ، وأخرجه ابن جرير مختصراً (١٤/٧٣)، وذكره الواحدي في أسباب النـــزول عن الكلبي ص(٢٤٥).

وقد جاء في بعض الروايات: أنه فادى عقيلاً ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وفي بعضها -كما عند أحمد والبيهقي وغيرهما- أنه فاداهما وحليفه: عتبة بن عمرو. والله أعلم.

(١) ابن: زيادة من ص، ساقطة من جميع النسخ.

(٢) ص وَ ق: قال.

(٣) ق: قال.

"لا". فنثر منه][1] ثم ذهب يحتمله[2] فأتبعه رسول الله ﷺ بصره تعجباً من حرصه[3]. روي أنه قال: "إن الله قد أعطاني خيراً منه، إنَّ لي عشرين عبداً وأدناهم

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٢) ق: يحمله.

(٣) روى صدر الحديث -مجيء أبي عبيدة بمال من البحرين- البخاري في الصحيح كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا (١٧٢/٧) عن عمرو بن عوف -رضي الله عنه-.

والحديث بتمامه رواه ابن سعد في الطبقات (١٥/٤)، وفيه أن المال إنما بعثه العلاء بن الحضرمي -رضي الله عنه- من البحرين.

وقد أخرج الحديث البخاري معلقاً بصيغة الجزم في مواضع من صحيحه منها كتاب الصلاة، باب القسمة وتعليق القنو في المسجد (٥١٦/١) (فتح)، وكتاب الجزية، باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين (٢٨٦/٦) (فتح).

تنبيهان:

الأول: قال ابن حجر -رحمه الله-: "قد وصله -الحديث- أبونعيم في مستخرجه والحاكم في مستدركه من طريق أحمد بن حفص بن عبدالله النيسابوري عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان، وقد أخرج البخاري بهذا الإسناد إلى إبراهيم بن طهمان عدة أحاديث". اهـ. فتح الباري (٥١٦/١). وإبراهيم بن طهمان هو الذي علق البخاريُ الحديث عنه.

الثاني: قال ابن حجر -رحمه الله- أيضاً: "وعند المصنف في المغازي من حديث عمرو بن عوف: أن =

ليضرب في عشرين ألفاً(1).

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ما سلف ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾ وليس إسلامهم إلا خداعاً ﴿ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ بالكفر والخروج إلى قتالك ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ فأمكنك منهم حتى قتلت وأسرت ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بالضمائر ﴿ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ يجازي كلاً على قدر نيته.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ عن أوطانهم ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ صرفوها في السلاح والكراع ﴿ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ قدّم الأموال على الأنفس؛ لأن صرفها

النبي ﷺ صالح أهل البحرين، وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي وبعث أبا عبيدة بن الجراح إليهم فقدم أبو عبيدة بمال فسمعت الأنصار بقدومه... الحديث فيستفاد منه تعيين الآتي بالمال". اهـ. فتح الباري (٦/٥٢٧).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/٤٧٣)، والبغوي (٣/٣٧٩)، وبنحوه البيهقي في دلائل النبوة (٣/١٤٣)، وقد رواه بمعناه جمع من أهل العلم.

انظر: الحاشية رقم (٥) ص(١٧٣).

وأما قوله: "ليضرب في عشرين ألفاً" فقال التفتازاني في بيان معناه: "أي: يذهب في الأرض ويتجر في عشرين ألفاً من الدنانير". اهـ حاشيته على الكشاف (لوحة ٦٥١).

بعد الهجرة من الوطن غاية السماحة ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في الجهاد ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ جعلوا ديارهم مأوى المهاجرين، ونصروا رسول الله ﷺ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ يتولى بعضهم بعضاً في الميراث(1).

لما قَدِمَ المدينة آخى بين أصحابه(2) وكان الأنصار أصحاب نخيل، فكانوا يجعلون شطر أموالهم للمهاجرين حتى قال سعد بن الربيع لعبدالرحمن بن عوف: "خذ شطر مالي، ولي زوجتان، أيتهما أحب إليك أطلقها فتزوجها". فقال له: "بارك

---

(1) رواه ابن جرير (١٤/٧٨-٨١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد وابن كثير وعكرمة والحسن وقتادة والسدي.

وانظر: تفسير عبدالرزاق (١/٢/٢٦٢)، البغوي (٣/٣٧٩)، الدر المنثور (٤/١١٣-١١٦).

وأصل التوارث بين المهاجرين والأنصار دون الأرحام رواه البخاري عن ابن عباس كتاب الفرائض، باب ذوي الأرحام (٨/٨)، وقد ذكر ابن الجوزي (٣/٣٨٥) قولاً آخر في معنى الولاية في الآية وهو: النصرة، وهو ظاهر اختيار ابن جرير حيث يقول: "بعضهم أنصار بعض وأعوان على من سواهم من المشركين، وأيديهم واحدة على من كفر بالله، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم من الكفار.

وقد قيل: إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض... إلخ" (١٤/٧٧-٧٨)، وانظر: (١٤/٨٨). وصدَّر أبو حيان (٤/٥١٧) الأقوال في الآية بهذا القول.

(2) ص: الصحابة.

اللهَّ لك في مالك وأهلك"[1]. وكانوا يتوارثون إلى أن نُسخ بقوله: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾[2][3].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ أي: لا توارث بينكم.

وقرأ حمزة ﴿وِلايتهم﴾ بكسر الواو[4]، عن الفراء[5]: أنهما لغتان كالوكالة[6]،

---

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ... الآية ﴾ (٣/٣) عن عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه-.

(٢) سورة الأنفال، آية (٧٥).

(٣) انظر: الحاشية رقم (١) ص(١٧٧).

(٤) انظر: السبعة ص(٣٠٩)، التيسير ص(٩٦)، الإقناع (٢/٥٦٥).

(٥) يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، ولد عام ١٤٤هـ بالكوفة، وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، اشتهر بالفراء ولم يعمل في صناعة الفراء، قيل: لأنه كان يفري الكلام. من مؤلفاته: معاني القرآن، الجمع والتثنية، مشكل اللغة... وغيرها، توفي في طريق مكة عام ٢٠٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١١٨)، بغية الوعاة (٢/٣٣٣).

(٦) قال الفراء: "قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ يريد: من مواريثهم، وكسر الواو في الولاية أعجب إليّ من فتحها؛ لأنها إنما تفتح أكثر من ذلك إذا كانت =

وعن الزجاج: بالفتح: النصرة وبالكسر: الإمارة، وإنما جاز الكسر على التشبيه بالصناعة كالخِياطة والحِياكة؛ لأن تولي بعضهم بعضاً صناعة ما"[1].

﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ فواجب عليكم نصرهم. هؤلاء[2] الذين لم يهاجروا كانوا مستضعفين غير قادرين على اللحوق برسول الله ﷺ[3]، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: "أنا

في معنى النصرة، وكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النصرة ولا أراه علم التفسير، ويختارون في: "وليته ولاية" الكسر، وقد سمعناها بالفتح والكسر في معناهما جميعاً". اهـ. معاني القرآن (٤١٩/١).

وانظر: معاني القرآن للأخفش (٥٤٨/٢).

(١) لم أجده في معاني القرآن.

وانظر قولـه في: تهذيب اللغة (ولي) (٤٤٩/١٥)، البحر المحيط (٥١٨/٤).

وقد جاء النص هكذا في سائر النسخ، وفي الأصل بحذف "ما".

والحياكة: مصدر حَاك الثوبَ حِياكَة: نَسَجَهُ.

انظر: القاموس المحيط (حاك) ص(١٢١١).

(٢) ص: وهؤلاء.

(٣) القول بأن الذين آمنوا و لم يهاجروا كانوا مستضعفين غير قادرين على اللحوق برسول الله ﷺ غير ظاهر، بل الآية يدخل فيها أعراب المسلمين الذين لم يهاجروا ومن كان فـي حكمهم، قال ابن كثير (٣٩/٤): "هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا و لم يهاجروا، بل أقاموا في =

وأمي[1] منهم"[2]. وعن حذيفة بن اليمان: "خرجت أنا وأبي، والمشركون متوجهون إلى بدر فقالوا: تريدون محمداً؟ قلنا: ما نريد إلا المدينة. فأخذوا علينا أن لا نذهب إليه، فلما جئنا رسول الله ﷺ ذكرنا لـه فقال لنا: «اذهبوا إلى المدينة نفي بعهدهم»[3].

﴿ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ فلا يجوز نصرهم عليهم؛ لأنه غدر وخيانة ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ لا يخفى عليه خافية.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ يتوارثون، ولا توارث بين مسلم وكافر.

بواديهم، فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب ولا في خمسها، إلا ما حضروا فيه القتال... إلخ". بل إنه لو قيل إن الآية لا تتناول من كان مستضعفاً من المؤمنين لكان لــه وجه وجيه، لأنه معذور في ترك الهجرة فكيف يُحرم من ولاية المؤمنين بسبب أمر خارج عن قدرته؟.

انظر: تفسير الطبري (١٤/٨١).

(١) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص: أنا منهم. والمثبت أعلاه هو الموافق لنص الحديث.

(٢) رواه البخاري كتاب التفسير (سورة النساء) باب ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ... الآية ﴾ (٥/١٨١).

(٣) رواه مسلم كتاب الجهاد، باب الوفاء بالعهد (٣/١٤١٤ رقم ٩٨)، وتتمته: «نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم».

لما حج رسول اللهَ ﷺ قيل لـه: "أين تنزل غداً بمكة؟" قال: "وهل ترك لنا عقيل من دار؟"[1] وذلك أن عقيلاً كان كافراً لما مات أبو طالب، ورثه ولم يرثه جعفر ولا علي[2].

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح (٩٢/٥)، ومسلم ، كتاب الحج، باب الترول بمكة للحاج (٩٨٤/٢ رقم ٤٤٠) عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-.

وعند البخاري: ثم قال: «**لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن**»، وقد وقع في رواية محمد بن أبي حفصة عند البخاري، أن أسامة قال زمن الفتح... إلخ.

(٢) في البخاري (الموضع السابق): "قيل للزهري: ومن ورث أبا طالب؟ قال: ورثه عقيل وطالب".

ثم إن طالباً مات قبل بدر، وبقي عقيل. انظر: المراجع الآتية.

وقضية عدم إرث الكافر من المسلم والعكس دل عليها قوله في الحديث: «**لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن**» نصاً، أما قصة نزوله ﷺ بمكة فإن جمعاً من أهل العلم يرون أنه غير دال على عدم توريث المؤمن من الكافر والعكس، وذلك لأن عقيلاً انتقلت إليه دور النبي ﷺ وغيره من بني عبدالمطلب عن طريق الاستيلاء لا الإرث، وقد جاء في رواية البخاري في كتاب الحج، باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها (٤٥٠/٣ فتح الباري) عن أسامة -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله أين تترل، في دارك بمكة؟ فقال: وهل ترك عقيل من رباع أو دور؟... الحديث" قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما دار النبي ﷺ التي ورثها من أبيه، وداره التي هي له ولولده من زوجته المؤمنة خديجة فلا حق لعقيل فيها، فعلم أنه استولى عليها، وأما دور أبي طالب فإن أبا طالب توفي قبل الهجرة =

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ ما أمرتم[1] ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بذهاب المؤمنين إلى الكفار لأخذ ميراثهم وبالعكس ويقع بينهم التقاول[2] والتقاتل؛ لأن عداوة الدين لا يمكن زوالها[3] ﴿ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ في الدين؛ لأن الولاية بينهم توجب

بسنين، والمواريث لم تفرض ولم يكن نزل بعد منع المسلم من ميراث الكافر، بل كان من مات بمكة من المشركين أُعطي أولاده المسلمون نصيبهم من الإرث كغيرهم، بل كان المشركون ينكحون المسلمات الذي هو أعظم من الإرث، وإنما قطع الله الموالاة بين المسلمين والكافرين بمنع النكاح والإرث وغير ذلك بالمدينة، وشرع الجهاد القاطع للعصمة". اهـ. الصارم المسلول ص(١٦٠).

وانظر: تاريخ مكة للأزرقي (٥٩٨/٢، ٥٩٩)، فتح الباري (٤٥٢/٣)، (٣٢٧/٨ ط دار الفكر).

(١) ق: ما أمرتم به.

(٢) ق: التفاول.

(٣) المراد بالفتنة في الآية -كما تدل عليه عبارات المفسرين- الفتنة في الدين وضعف الإيمان وغياب البراء من الكفار، قال الواحدي في البسيط (٣٧٢/١): "ومعنى الفتنة في الآية الشرك في قول ابن عباس... إلخ"، قال الزمخشري (٦٠٤/٢): "إلا تفعلوا ما أمرتكم به... تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة؛ لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً". اهـ. وقال البيضاوي (٣٩٢/١): "﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر ﴿ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ في الدين". اهـ.

مودة الكفار و"الحب في اللهِّ والبغض في اللهِّ من أوثق عرى الإيمان"[1] ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾ [لما][3] قَسَّم المؤمنين ثلاثة أقسام، ميَّز القسمين منهم بما حظوا به من الزيادة بالسبق في الهجرة، وتبوء الدار، وصرف الأموال والأنفس في نصرة الدين وإعلاء كلمة اللهِّ ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ شريف، لا تبعة فيه ولا انقطاع.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ ﴾ [أي بعد][4] إيمانكم أو بعد هجرتكم ﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ ﴾ معدودون منكم يشملهم اسم المهاجر، وإن [كان][5] لكم مزية. تسلية للمتخلف وترغيب للسابق في رعاية جانبه.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٨٦/٤ رقم ١٨٥٤٧) عن البراء -ﷺ-، ورواه الطبراني في الكبير (٢٧٢/١٠) عن ابن مسعود -ﷺ- وحسَّن الشيخ الألباني -رحمه الله- حديث البراء -ﷺ-.

انظر: صحيح الجامع الصغير (١٨١/٢).

(٢) سورة آل عمران، آية (٢٨).

(٣) ساقطة من ص.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

﴿ وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ في التوارث، استدل به أبو حنيفة على توريث ذوي الأرحام[1]، وهو نص فيه واستدلال قوي[2].

---

(١) ذوو الأرحام في اصطلاح علماء الفرائض: القرابة الذين لا فرض لهم ولا تعصيب بل يُدلون بوارث وهم:

١- أولاد البنات. ٢- أولاد الأخوات. ٣- بنات الإخوة.

٤- أولاد الإخوة لأم. ٥- العمات من جميع الجهات. ٦- العم من الأم.

٧- الأخوال. ٨- الخالات. ٩- بنات الأعمام.

١٠- الجد أبو الأم. ١١- كل جدة أدلت بأب بين أمين، أو بأب أعلى من الجد.

انظر: المغني (٦/٢٢٩)، العذب الفائض (٢/١٥).

(٢) ليس المراد بذوي الأرحام في الآية ذوي الأرحام في اصطلاح الفرضيين؛ لأن هذا حمل لنصوص القرآن على الاصطلاح الحادث، بل المراد بهم: جميع القرابات، فهي تشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص وغيرهم من القرابات.

فإن كان مراد المؤلف -رحمه الله- أن الآية نص في توريث ذوي الأرحام بالمعنى الخاص عند الفرضيين فهو قول بعيد عن الصواب، وإن كان مراده أنها تدل بعمومها على أنهم أولى من غيرهم بالإرث عند عدم أصحاب الفروض والعصبات؛ لأنهم من جملة القرابات فهو استدلال وجيه.

انظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٣).

وقد اختلف العلماء في توريث ذوي الأرحام على قولين:

الأول: أنهم يرثون، وهو مروي عن عمر وعلي وابن مسعود ومعاذ وأبي الدرداء -رضي الله عنهم- وهو مذهب الحنفية والحنابلة.

الثاني: أنهم لا يرثون، وقال به زيد بن ثابت -رضي الله عنه- وهو مذهب المالكية والشافعية، ويُجعل المال لبيت مال المسلمين.

وقد استدل أصحاب القول الأول بأدلة منها:

١- عموم قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾.

٢- عموم قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ سورة النساء، آية (٧).

٣- قوله ﷺ: «الخال وارث من لا وارث له».

وهو مروي من حديث عمر وعائشة -رضي الله عنهما- عند الترمذي كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث

=

الخال (٢٨٢/٦ رقم ٢١٠٤)، وقال عن حديث عمر:حسن صحيح، وعن حديث عائشة: حسن غريب.
ورواه أبوداود كتاب الفرائض، باب ميراث ذوي الأرحام (١٠٥/٨) (بشرحه عون المعبود) عن المقدام بن معدي كرب -ﷺ-.

واستدل أصحاب القول الثاني بأدلة منها:

١- قولــه ﷺ: «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**» رواه أبو داود كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث (٧٢/٨) (عون المعبود) والترمذي كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث (٣٠٩/٦) (تحفة الأحوذي)، وقال: حديث حسن. وهو في صحيح ابن ماجه (١١٢/٢).

قالوا: فلم يبق في التركة حق لغير من ذكرهم الله في آيات المواريث.

٢- عن عطاء بن يسار: "أن النبي ﷺ ركب إلى قباء يستخير في ميراث العمة والخالة فأنــزل الله أن لا ميراث لهما". رواه الدارقطني (٩٨/٤).

٣- عن أبي هريرة -ﷺ-: سئل رسول الله ﷺ عن ميراث العمة والخالة... فقال: «**سارّني جبريل أنه لا شيء لهما**» رواه الدارقطني (٩٩/٤).

وقد أجاب أصحاب هذا القول عن الحديث الذي استدل به أصحاب القول الأول بأنه ضعيف.

ولعل الراجح -والله أعلم- هو القول الأول.

وأما تضعيف أصحاب القول الثاني للحديث الذي استدل به أصحاب القول الأول فليس بمسلّم إذ قد روي من طرق متعددة ووجوه مختلفة؛ ولذا قال كثير من الحفاظ بتحسين الحديث.

انظر: تهذيب السنن لابن القيم (١٠٩/٨) (مع عون المعبود).

وأما ما استدل به أصحاب القول الثاني فيجاب عنه كما يلي:

١- قوله ﷺ: «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه...**» فهو في سياق إبطال الوصية للوارث، ولا ينافي توريث ذوي الأرحام الذين ثبت إرثهم بأدلة أخرى.

٢- وأما حديث عطاء بن يسار فهو مرسل، وقد روي من طرق لا تقوم بها حجة.

انظر: التلخيص الحبير (٩٤/٣).

٣- وأما حديث أبي هريرة فهو ضعيف أيضاً، ضعّفه الدارقطني وغيره.

انظر: سنن الدارقطني (٩٩/٤) والتعليق المغني على الدارقطني (الموضع السابق، بذيله).

وعليه فإنه إذا "بقي الأمر دائراً بين أن يكون المال الذي خلّفه الميتُ لبيت المال لمنافع الأجانب عن ذلك

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ۝٧٥ ﴾ كامل العلم، فجعل التوارث عند قلة المسلمين للأجانب ليكون موجباً للتناصر والتظاهر، ولما قوي الإسلام وكثر أهله جعله للقرابة.

الميت، وبين كونه يرجع إلى الأقارب المُدلين إلى الميت بالورثة المجمع عليهم، تعين الثاني". (تفسير السعدي ٢/٣٣-٣٤)، وذلك لأن ذوي الأرحام شاركوا المسلمين في الإسلام وزادوا عليهم بالقرابة فيكونون أحق بمال قريبهم. والله أعلم.

انظر المسألة في: أحكام القرآن للجصاص (٣/٩٩)، الجامع للقرطبي (٨/٥٩)، المغني (٦/٢٢٩)، نيل الأوطار (٦/١٧٩)، العذب الفائض (٢/١٥)، أضواء البيان (٢/٤١٨).

تفسير
سورة التوبة

سورة براءة

مدنية[1]

وقيل: إلا قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ... إلى آخر السورة﴾[2].

وهي آخر سورة نزلت[3]/ آيها تسع وعشرون ومائة عند الكوفيين، وثلاثون

(١) إلى هنا غير واضح في ص.

والقول بمدنية السورة كلها هو قول جمهور المفسرين، وهو المروي عن ابن عباس وابن الزبير -رضي الله عنهما- وقتادة.

انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص(٢٢١)، البيان في عدِّ آي القرآن ص(١٣٣)، الدر المنثور (١١٩/٤)، روح المعاني (٥٩/١٠).

(٢) سورة التوبة، آية (١٢٨، ١٢٩).

وقد روى هذا القول البغوي عن مقاتل (٧/٤).

(٣) وقد روى البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ (٢٠٢/٥) عن البراء -رضي الله عنه- يقول: "آخر آية نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾، وآخر سورة نزلت براءة".

وروى الإمام مسلم في صحيحه كتاب التفسير (٢٣١٨/٤ رقم ٢١) عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس -رضي الله عنهما-: تعلمُ آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ =

ومائة عند غيرهم[1].

قلت: نعم ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾. قال: صدقت.

والأقرب للصواب ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- فسورة النصر آخر سورة أنزلت بتمامها، ويدل على تأخرها ما رواه البخاري في التفسير (سورة إذا جاء نصر الله) (٧٣٥/٨، فتح) عن ابن عباس حين سأله عمر عنها فقال: "هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه إياه"، ويقال: إنما نزلت يوم النحر، ومن المعلوم أن براءة نزلت في تبوك عام تسع قبل حجة أبي بكر -رضي الله عنه-.

وقال الحافظ ابن حجر: إن الجمع بينهما أن آخرية سورة النصر نزولها كاملة بخلاف براءة فالمراد بعضها. اهـ بتصرف من فتح الباري (٣١٦/٨، ٧٣٤).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن كلاً منهما -البراء وابن عباس رضي الله عنهم- أخبر بما عنده وبحسب اجتهاده.

انظر: البرهان في علوم القرآن (٢١٠/١).

(١) انظر: الكشف لمكي (٤٩٨/١)، البيان في عدِّ آي القرآن ص(١٦٠)، بصائر ذوي التمييز (٢٢٧/١).

وقد أوضح أبوعمرو الداني عمن أخذ عنه عدّ أهل الكوفة من الأئمة فقال: "أخبرنا فارس بن أحمد قال: أنا أحمد بن إسماعيل قال: أنا أبوبكر الرازي قال: أنا أبوالعباس المقرئ عن محمد بن عيسى قال: حُكي عدد أهل الكوفة عن علي فيما ذكره سُلَيم عن سفيان عن عبدالأعلى عن أبي عبدالرحمن عن علي، وسُلَيم عن حمزة عن ابن أبي ليلى عن أبي عبدالرحمن عن علي. قال: عدد أهل الكوفة عنه". البيان في عدِّ آي القرآن ص(٦٩).

ومن أسمائها: الفاضحة[1]؛ لأنها فضحت طوائف المنافقين وهو ظاهر، وكذا الكافرين وأهل الكتاب بقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ثم قال: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2]، والمؤمنين بقوله: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ ﴾[3]، وبقوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[4].

وإنما لم يكتب البسملة [فيها][5] لأنها نزلت بالسيف ونبذ العهد فلم يلائم ذكرها[6]، قال الله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ

(١) روى مسلم في كتاب التفسير، باب سورة براءة والأنفال والحشر (٢٣٢٢/٤ رقم ٣١) عن سعيد بن جبير قال: "قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال آلتوبة؟ قال: بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحدٌ إلا ذكر فيها... الحديث".

كما روي تسميتها بهذا الاسم عن عمر -ﷺ- عند أبي الشيخ.

انظر: الدر المنثور (١٢١/٤).

(٢) سورة التوبة، آية (٣٠).

(٣) سورة التوبة، آية (٣٥).

(٤) سورة التوبة، آية (٢٣).

(٥) ساقط من ق.

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٣٣٠/٢) عن علي -ﷺ-، وعزاه ابن الجوزي (٣٩٠/٣) أيضاً لسفيان بن عيينة، ونقله الزجاج (٤٢٧/٢) عن المبرد.

مُؤْمِنًا ﴾[1]؛ لأنه لا يلائم السلام الذي يدل على الأَمْن فكيف يُذكر اسم الجلالة مع الرحمة العامة لكافة الخلق الشاملة للدارين في نبذ العهد والإعلام بالقتل[2] وسفك الدماء؟.

وأما تصدير كتبه -ﷺ- [بها إلى أهل الحرب[3] فكان لدعائهم إلى الإسلام[4].

وقيل: كان رسول اللهّ][5] يبين[6] موضع الآيات والسور واتصل بجوار اللهّ ولم يُبيّن موضع هذه السورة وكانت مشابهة بالأنفال فلم يُعلم هل هي منها كسائر الآيات أو هي سورة مستقلة فعمل بالأمرين؛ لم توصل كسائر الآيات ولم تفصل بالبسملة[7].

---

(١) سورة النساء، آية (٩٤).

(٢) ق: بالقتال.

(٣) كما في كتابه -ﷺ- إلى هرقل والذي بعث به دحية -رضي الله عنه- وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم... إلخ" رواه البخاري كتاب بدء الوحي (٦/١)، ومسلم كتاب الجهاد، باب كتاب النبي -ﷺ- إلى هرقل (١٣٩٣/٣ رقم ٧٤) عن ابن عباس.
وانظر كتبه -ﷺ- إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام في: زاد المعاد (١١٩/١).

(٤) ص: السلام.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٦) كذا في ص وهو الأقرب، وسائر النسخ: بين.

(٧) وذلك لما روى ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: "قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما =

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ خبر مبتدأ، أي: هذه براءة، و ﴿ مِّنَ ﴾ ابتدائية أي:

سطر: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموهما في السبع الطوال؟ ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: "إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان يُنزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذه في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، ويُنزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن فكانت قصتها شبيهاً بقصتها فقبض رسول الله ﷺ و لم يُبيِّن لنا أنها منها وظننت أنها منها فمن ثم قرنت بينهما و لم أكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال".

رواه الإمام أحمد (١/٥٧ رقم ٣٩٩) "وهذا لفظه".

ورواه أبوداود كتاب الصلاة، باب من جهر بها (بسم الله الرحمن الرحيم) (١/٢٦٨)، والترمذي، تفسير سورة التوبة (٨/٢٤٠)، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- اهـ، وابن أبي داود في المصاحف ص(٣٩)، والطبري (١/١٠٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٢٢١) وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. اهـ. والبغوي في التفسير (٤/٧).

وقد مال العلامة أحمد شاكر في شرحه على المسند إلى تضعيف الحديث لحال يزيد الفارسي. راجع كلامه (١/٣٢٩).

وانظر ترجمة يزيد الفارسي في: التاريخ الكبير (٨/٣٦٧)، تهذيب التهذيب (١١/٣٧٤).

واصلة من اللهِ، أو مبتدأ خبره: ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم ﴾ والجار والمجرور صفة[1]، ومعناه: الانفصال والانقطاع ومنه: بريء المريض[2]، والمعنى: انقطاع الموالاة ونبذ العهد[3].

﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾ وإنما عُلِّقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؛ لأن المعاهدة كانت بإذن اللهِ فإذا بريء اللهُ من المشركين ومعاهدتهم وجب على المسلمين نبذ عهودهم[4].

وسبب نزولها: أن رسول اللهِ ﷺ كان عاهد المشركين، وكان في [تلك][5] الهدنة شرط أن لا يتعرضوا لخزاعة[6] فإنهم كانوا حلفاء رسول اللهِ ﷺ وفي الجاهلية

---

(١) ذكر الوجه الأول الفراء في معاني القرآن (١/٤٢٠)، وذكر الثاني مكي في مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٤).

وانظر الوجهين في: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٢٨)، إعراب القرآن للنحاس (٢/٣)، البيان لابن الأنباري (١/٣٩٣٩)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٤).

(٢) كذا في الأصل، وفي سائر النسخ: المرض.

(٣) انظر: زاد المسير (٣/٣٩٢)، البحر المحيط (٥/٦).

(٤) انظر: الكشاف (٣/٧)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٤).

(٥) ساقطة من ق.

(٦) خزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية، ومن النسابين من يجعلهم من العدنانيين، والأكثر على الأول، وكانت منازلهم بالأبواء وعُسْفان، وكانت ولاية البيت فيهم ٣٠٠ سنة، وكانوا حلفاء =

كانوا حلفاء عبدالمطلب[1]، فَعَدَتْ بنو بكر[2] على خزاعة وعاونتهم قريش ثم وفد عمرو بن سالم الخزاعي[3] على رسول الله ﷺ وأنشده:

لا هـمَّ إنّـي ناشـدٌ محمداً   حِلْـفَ أبِينَـا وأبِيْـك[4] الأتْلَـدَا

لرسول الله -ﷺ- وكانوا عيبة نصح لـه مؤمنهم وكافرهم.

انظر: نماية الأرب ص(٢٤٤)، معجم قبائل العرب (٢٣٨/١)، جامع أنساب قبائل العرب ص(٦٣).

(١) عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، أبوالحارث زعيم قريش في الجاهلية وأحد سادات العرب، نشأ في المدينة عند أخواله، ثم قدم مع عمه المطلب فدخل مكة فرآه أهل مكة فظنوه عبداً للمطلب فقالوا: عبدالمطلب فسمي بذلك واسمه: شيبة، حفر بئر زمزم وكانت لـه السقاية والرفادة، نشأ النبي ﷺ في حجره، وتوفي والنبي ﷺ عمره تسع سنين وقيل غير ذلك.

انظر: تاريخ الطبري (٢٤٦/٢-٢٥١)، السيرة النبوية لابن هشام (١٧٤/١)

(٢) بنو بكر بن عبدمناف بن كنانة بن خزيمة، كانت منازلهم بالحجاز، وكانوا حلفاء لقريش زمن صلح الحديبية.

انظر: نماية الأرب ص(١٧٠)، معجم قبائل العرب (٩٢/١).

(٣) عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي صحابي ترجم لـه في الاستيعاب (١١٧٥/٣)، وأسد الغابة (٧٢١/٣)، وذكرا قصة استنجاده بالنبي ﷺ والأبيات التي قالها.

(٤) كذا في سائر النسخ وهو الموافق لما في مغازي الواقدي (٧٨٩/٢) والكشاف (١٢/٣)، وفي نسخة المدينة المنورة: أبيه. وهو الموافق لأكثر الأصول.

والأتلد: هو القديم.

انظر: القاموس المحيط (تلد) ص(٣٣٤).

إنَّ قريشاً أَخلَفُوك[1] المَوْعِدَا ونَقَضُوا ذِمَامَك[2] المؤكَّدا
هُمْ بَيَّتُونَا بالحطيمِ[3] هُجَّداً وقَتَلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا

فلما سمعه رسول الله ﷺ فقال: «لا نصرتُ إنْ لم أنصركم»[4]، فنزلت[5].

---

(١) ق: أخلفوا.

(٢) كذا في الكشاف (١٢/٣): ذمامك.

وفي الأصول التي وقفت عليها: ميثاقك.

انظر: المراجع الآتية في التخريج.

(٣) ق: في الحطيم.

وهو في البحر المحيط (٧/٥)، كما ذكر المؤلف -رحمه الله- أعلاه، وفي أكثر الأصول: بالوتير.

والوتير: اسم ماء لخزاعة.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤٣/٤)، الدلائل للبيهقي (٧/٥).

(٤) هكذا في جميع النسخ: فلما سمعه... فقال. وقد يحمل على أن قوله: "فقال" معطوف على جواب الشرط المحذوف.

والأثر أخرجه الواقدي في المغازي (٧٨٩/٢)، والبيهقي في الدلائل (٧/٥)، وابن الأثير في الاستيعاب (٧٢١/٣)، وذكره ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق بدون إسناده (٤٢/٤).

(٥) ذكره البغوي (٩/٤) عن ابن إسحاق ومجاهد، وذكره أبو حيان (٧/٥).

وانظر: السيرة النبوية (١٩٧/٤).

ولا أدري كيف يُجمع بين قول المؤلف -رحمه الله- أنه نزلت لهذا السبب -أي قبل فتح مكة- وبين قوله بعد ذلك: إنها نزلت سنة تسع، والفتح عام ثمان، إلا أن يكون مراده توهين القول بأنها نزلت قبل فتح مكة، وسيأتي التصريح من كلام المؤلف أنها نزلت بعد الفتح.

وهذا هو الأقرب الذي عليه كثير من المفسرين -أنها نزلت بعد تبوك عام تسع- قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره (٤٥/٤): "وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله ﷺ لما رجع من

=

وأُعْلِم المسلمون بأن اللهّ ورسوله قد برءا مما عاهدتم به المشركين، وكان نزولها سنة تسع من الهجرة والفتح سنة ثمان[1] وحج بالناس تلك السنة[2] أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- فأتبعه علياً بسورة براءة ليقرأها[3] في الموسم فقيل لـه: لو بعثت أحداً بها إلى أبي بكر، فقال: «لا يؤدي عني إلا رجل مني». وكانت عادة العرب في نقض العهود أن لا يباشره إلا رجل عاهد، أو يكون نسيباً لـه قريباً منه، فلحق عليٌ أبا بكر بمنى[4] [وكان][5] على العضباء ناقة رسول اللهّ [صلى اللهّ عليه وسلم فلما سمع [أبوبكر][6] رغاء الناقة قال: هذا رغاء ناقة][7] رسول اللهّ ﷺ فلما التقيا قال له: أميرٌ أو مأمورٌ؟ قال علي: مأمورٌ. قال أبوهريرة: فجاء علي معنا ينادي أن لا يحج بعد

غزوة تبوك وهم بالحج". اهـ.

(١) أي فتح مكة.

(٢) السنة التاسعة للهجرة.

(٣) كذا في سائر النسخ، وفي الأصل: لقرأها.

(٤) لم أقف على من ذكر أن علياً -رضي الله عنه- لحق بأبي بكر -رضي الله عنه- بمنى، والذي رواه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده على المسند من حديث علي -رضي الله عنه- أنه قال: "فلحقته بالجحفة" المسند (١٥١/١ رقم ١٢٩٦)، وروى الطبري (١٠٧/١٤-١٠٨) عن محمد بن علي بن الحسين بن علي أن علياً -رضي الله عنه- أدرك أبا بكر -رضي الله عنه- بالطريق.

(٥) ساقطة من ص.

(٦) ساقطة من ص.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، وقرأ عليهم السورة على جمرة العقبة قدر ثلاثين أو أربعين آية[1].

﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ عن الزهري[2]: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم[3]، وقيل: عشرون من ذي الحجة ومحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر[4]، وحرم قتلهم فيها وقتالهم، [وذا هو الوجه لأن

(١) رواه الطبري (١٠٨/١٤) بلفظ مقارب، وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مختصراً.

البخاري كتاب التفسير، سورة براءة، باب ٤ (٢٠٣/٥)، ومسلم كتاب الحج، باب لا يحج بعد العام مشرك (٩٨٢/٢ رقم ٤٣٥).

وكان فيما نادوا فيه: أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة، وأن من كان له عهد مع رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته.

(٢) محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري، روى عن ابن عمر وأنس وغيرهما، وعنه: يحيى بن سعيد الأنصاري وقتادة وأيوب وغيرهم، من كبار التابعين وأعلم أهل زمانه، كان عالماً عابداً حافظاً حجة. توفي عام ١٢٤هـ وقيل غير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٦/٥)، تهذيب التهذيب (٤٤٥/٩).

(٣) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢٦٥/٢/١)، وابن جرير (١٠١/١٤).

(٤) رواه ابن جرير عن السدي ومحمد بن كعب ومجاهد وقتادة (٩٩/١٤-١٠١).

علياً لقي أبا بكر بمنى][1]، وإنما أُمهل الناكثون[2] أربعة أشهر ليرجع كل منهم إلى مأمنه ويقطع علائقه من الديون والمعاملات[3] التي كانت بينهم وبين المسلمين.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ﴾ لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾ مذلهم بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب السرمد[4] في الآخرة.

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ إعلام منهما[5]، فَعَال من الإذن

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

وهذا القول هو الأقرب؛ لأن الحكم معلق بالعلم، والمشركون إنما بلغهم العلم في العاشر من ذي الحجة.

قال الحافظ ابن كثير -بعد أن ذكر قول الزهري-: "وهذا القول غريب، وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها؟ وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادى أصحاب رسول الله ﷺ بذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ... الآية﴾". تفسير ابن كثير (٤/٤٦).

(٢) ق: الناكبون.

(٣) ق: المعاطات.

(٤) ق: السرمدي.

(٥) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٨٢)، تفسير الطبري (١٤/١١٢)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٢٨٧).

كالأمان[1] من الأَمن، خبر مبتدأ، أو مبتدأ موصوف و[2] ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ خبره[3].

﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ سمي أكبراً؛ لأنه في مقابلة العمرة التي تسمى: الحج[4] الأصغر[5].

قيل: هو يوم العيد[6]؛ لأنه يتم فيه [أكثر][7] أعمال الحج، ولما روينا أن

---

(١) انظر: الكشاف (٩/٣)، تفسير البيضاوي (٣٩٥/١).
وانظر أيضاً: تهذيب اللغة (أذن) (١٧/١٥)، لسان العرب (أذن) (٩/١٣).

(٢) ق: بحذف الواو.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (٣٤٥/١)، الكشاف (٩/٣)، البيان لابن الأنباري (٣٩٣/١)، التبيان للعكبري (٦٣٤/٢)، تفسير البيضاوي (٣٩٥/١).

(٤) ق: حج.

(٥) رواه ابن جرير (١٢٢/١٤، ١٢٩) عن عبدالله بن شداد وعطاء والشعبي وغيرهم، ورجحه (١٣٠/١٤).
وانظر: زاد المسير (٣٩٦/٣).

(٦) رواه ابن جرير عن علي وابن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وابن عباس وسعيد بن جبير وأبي جحيفة وعلي ابن عبدالله بن عباس وقيس بن عبادة وعبدالله بن شداد وإبراهيم النخعي والشعبي ومجاهد وغيرهم (١١٦/١٤-١٢٦)، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٨٢)، ورجحه ابن جرير (١٢٧/١٤).
ومما يقوي هذا القول ما رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج بها وقال: «هذا يوم الحج الأكبر». كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (٥٧٤/٣ "فتح الباري")، ورواه الحاكم موصولاً (١٩٥/٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٧) ساقطة من ق.

الإعلام فيه وقع[1].

وقيل: يوم عرفة[2]؛ لأنه الركن الأعظم، ولذلك يقال: «الحج عرفة»[3].

وقيل: وَصْفُه بالأكبر مخصوص بتلك السنة؛ لأنه كان فيه المسلمون والمشركون، ووافق عيد أهل الكتاب[4]، وأمر بتطهيره عن المشركين.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير (سورة براءة) باب قوله ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ.. الآية﴾ (٢٠٢/٥) من حديث أبي هريرة -ﷺ- وفيه: "فأذّن معنا عليٌّ يوم النحر في أهل منى ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان".

(٢) رواه ابن جرير عن عمر -ﷺ- وعلي -ﷺ- -من طريق أبي الصهباء- وعطاء وابن الزبير ومجاهد وغيرهم (١٤/١١٣-١١٦).

(٣) كما جاء ذلك عنه ﷺ في حديث عبدالرحمن بن يعمر -ﷺ- الذي رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٠٩/٤ رقم ١٨٧٩٦)، وأبوداود، كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة (٥٩٩/١ رقم ١٩٤٩)، والترمذي، كتاب الحج، باب فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (٢٤٩/٣ رقم ٨٨٩)، والدارمي في سننه، كتاب المناسك (٥/٢) والحاكم في المستدرك، كتاب الحج، وقال الذهبي: صحيح (٤٦٤/١).

(٤) رواه الطبري (١٢٨/١٤) عن الحسن رحمه الله، وعزاه الزمخشري (١٠/٣) وابن الجوزي (٣٩٦/٣) إليه.

وذكره البغوي (١٢/٤) والبيضاوي (٣٩٥/١).

وهذا القول خطأ؛ لأنه لا يمكن أن يعظّم هذا اليوم في الشرع لموافقة شعائر المشركين وأصحاب =

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ من عهودهم ﴿ وَرَسُولُهُۥ ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي: ورسوله كذلك(١)، أو [عطف](٢) على محل اسم ﴿ أَنَّ ﴾ لأنها في حكم المكسورة بعد العلم المقتضي لوقوع المبتدأ والخبر بعده، ولهذا كسرت في: "علمت إن زيداً لقائم"، وإنما فتحت لما يقتضيه معنى المفعولية(٣).

وقرئ بالجر، والوجه فيه القسم من الله(٤) مثل قوله(٥): ﴿ لَعَمۡرُكَ ﴾(٦).

الشرائع المنسوخة المحرَّفة، والتي يعتبر القيام بها محادة لله ولرسوله ﷺ.

قال الزجاج -بعد ذكر هذا القول-: "وهذا لا يسمى به يوم الحج الأكبر؛ لأن أعياد غير المسلمين إنما فيها تعظيم كفر بالله فليست من الحج الأكبر في شيء". اهـ (٢/٤٣٠).

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٥)، البيان لابن الأنباري (١/٣٩٤).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٥)، وقوله: "بعد العلم" أي: الأذان؛ لأن الأذان إعلام.

(٤) قال أبوحيان في البحر المحيط (٥/٨): "وقرئ بالجر شاذاً، ورويت عن الحسن، وخرجت على العطف على الجوار، وقيل: هي واو القسم". اهـ.

وانظر: الكشاف (٣/١١).

(٥) ق: قولك.

(٦) في مثل قوله تعالى: ﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ سورة الحِجر، آية (٧٢).

ولا تكرير؛ لأن الأول إنشاء براءة من اللهِ، والثاني إعلام بذلك الناس كافة[1].

﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من التولي والإعراض، والمراد الخيرية مطلقاً[2] أو هو من قبيل: الصيف أحر من الشتاء[3].

﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ﴾ لأنه محيط بكل شيء علماً وقدرة. وإنما كرره زيادة في الإيقاظ والنصح، وأردفه بقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ على سبيل التهكم مبالغة في التحذير بخلاف الأول فإنه اكتفى فيه بخزي الكافرين.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ عام في الناكثين وغيرهم[4]، والمراد مَنْ أجل عهده فوق أربعة أشهر؛ لأن الناكث[5] لـه الإمهال أربعة أشهر،

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٩)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٥).

(٢) فيكون التفضيل ليس على بابه، وإنما المراد إثبات مطلق الخيرية.

(٣) أي: كما أن معنى قولنا: "الصيف أحر من الشتاء" أن حرارة الصيف أشد من برودة الشتاء، كذلك معنى الآية أن خيرية التوبة أشد من شرية التولي.

(٤) لا يظهر هذا العموم بل هم معاهدون مخصوصون وهم الذين ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ ﴾.

(٥) في الأصل: الناكت.

ويجوز أن يكون استثناء من قوله: ﴿ فَسِيحُواْ ﴾ إذ التقدير فقولوا لهم: [سيحوا أربعة أشهر إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئاً فأتموا إليهم عهدهم [1]، أو منقطع أي: لكن الذين عاهدتم منهم[2]، ولا يلزم الفصل بالأجنبي؛ لأن الأذان بمعنى الإعلام كأنه قيل لهم: سيحوا واعلموا][3]/ .

﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا ﴾ من مواجب العهد بالخيانة ﴿ وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ من أعدائكم ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ ﴾ أوفوا لهم عهدهم[4] ﴿ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ إلى آخر الزمان الذي وقع عليه العهد، والمُدَّةُ: بُرْهَةٌ من الزمان[5] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ عن نكث العهد والغدر[6]، وفيه إيماء إلى أن إتمام عهدهم من باب التقوى[7].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/١٢).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٩٥)، البحر المحيط (٥/١٠).

(٣) قاله القزويني في الكشف (٨/أ).

وما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٤) ص وَ ق: بالعهد.

(٥) انظر: لسان العرب (مدد) (٣/٤٠٠).

(٦) انظر: تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٢٨٨).

(٧) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٩٥).

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ انقضت، الانسِلاَخُ: الخروج والانتزاع ومنه: سلخ الشاة[1]. والأشهر الحرم هي: التي أبيح لهم أن يسيحوا فيها[2]، وحملها على الأشهر الحرم التي ورد بها الحديث وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب مضـر[3] خطـأ؛ لأن قتـل المشركين ليس بمحرم فيها، وكونها حرماً لزيادة شرفها[4] ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ في الحل والحرم[5]، وفي الأشهر الحرم وغيرها[6].

(١) انظر: تهذيب اللغة (سلخ) (١٧٠/٧)، تفسير البيضاوي (٣٩٥/١).
(٢) والتي تسمى أشهر التسيير، وقد قال بهذا القول ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية العوفي، وقال به مجاهد وعمرو بن شعيب وابن إسحاق وقتادة والسدي والزمخشري، ورجحه ابن كثير وابن القيم والبيضاوي وأبوحيان وغيرهم.
انظر: تفسير الطبري (١٣٤/١٤)، الكشاف (١٣/٣)، زاد المسير (٣٩٨/٣)، تفسير البيضاوي (٣٩٥/١)، زاد المعاد (٣٩١/٣)، تفسير ابن كثير (٥٣/٤)، البحر المحيط (١١/٥).
(٣) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والضحاك وقتادة (٩٨/١٤-٩٩)، وبه قال أبوجعفر الباقر وابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٨٣)، ورجحه ابن جرير (١٣٤/١٤)، واختاره الواحدي في الوسيط (٥٣/٢).
وانظر: تفسير ابن كثير (٥٣/٤).
والحديث الذي فيه ذكر هذه الأشهر يأتي في ص (٢٧٦).
(٤) ق: تشرفها.
ومسألة قتل المشركين في الأشهر الحرم مبنية على الخلاف في بقاء حكم هذه الأشهر أو نسخه، والقتال نوعان: دفع وابتداء، أما الدفع فمأمور به على القولين، وأما الابتداء فالقول به فرع على القول في حكم هذه الأشهر. وسيأتي لهذه المسألة مزيد بيان ص (٢٧٢).
(٥) ص: وحرم.
(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٢١/١)، تفسير الطبري (١٣٤/١٤).

﴿ وَخُذُوهُمْ ﴾ الأَخِيذُ لغة: الأسير[1]، ﴿ وَٱحْصُرُوهُمْ ﴾ وقيدوهم[2]، وعن ابن عباس -رضي الله عنه-: "حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام"[3]، ﴿ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ كل موضع يرصدون فيه، الرَّاصِدُ الراقب، والترصُّدُ: الترقب[4] ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ آمنوا ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أقروا بوجوبها[5]؛ لأن تارك الصلاة وإن كان عند الشافعي يُقتل[6]، وعند أحمد يكفر[7]، ولكن تارك الزكاة

---

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٨٣)، لسان العرب (أخذ) (٤٧٣/٣).

(٢) انظر: الكشاف (١٣/٣).

(٣) انظر: الكشاف (١٣/٣)، البحر المحيط (١٢/٥).

وقال الفراء: "وحصرهم: أن يُمنعوا من البيت الحرام". اهـ. (٤٢١/١).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (رصد) (٤٠٠/٢)، لسان العرب (رصد) (١٧٧/٣).

(٥) قال الواحدي في البسيط (٣٩٧/٢): "﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ هذا اللفظ للفعل لا للاعتقاد، ولأن الاعتقاد مندرج تحت التوبة، فإذا لم يقم الصلاة بقي دمه على الإباحة، وإن تاب من الشرك بحكم ظاهر الآية". اهـ.

وقال ابن القيم في كتاب الصلاة ص(١٨): "ومن قال: لا يقتل تارك الصلاة يقول: متى تاب من شركه سقط عنه القتل وإن لم يقم الصلاة ولا آتى الزكاة، وهذا خلاف ظاهر القرآن". اهـ.

(٦) انظر: الأم (٤٢٤/١).

(٧) انظر: الشرح الكبير (١٨٩/١)، كشاف القناع (٢٢٨/١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٦١١/٧): "وهي -كفر تارك الصلاة- رواية عن أحمد وقول كثير من السلف وطائفة من أصحاب مالك والشافعي وطائفة من أصحاب أحمد". اهـ

ليس بكافر ولا يقتل إذا لم ينكر وجوبها[1] ﴿ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ يتصرفون كيف شاؤوا لاستواء المسلمين في الأحكام.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ ستار بالتوبة ما تقدمها ﴿ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ بجعله إياهم بعد الإيمان كسائر المسلمين ووعد لهم الثواب على التوبة.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين لا عهد لهم عندك ﴿ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ استأمنك، مُفَسَّر للفعل الرافع لـ ﴿ أَحَدٌ ﴾؛ لأن (إن) الشرطية من لوازم الفعل لفظاً أو تقديراً[2] ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ فأمّنه ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ويتأمله ليكون باعثاً لـه على الإسلام، وفيه دليل على أن كلامه يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى[3]

بتصرف يسير.

وانظر: كتاب الصلاة لابن القيم ص(٣٣).

(١) وفي حكم تاركها مع إقراره بوجوبها قولان آخران:

الأول: أنه كافر بمجرد منعها.

الثاني: أنه كافر إذا منعها وقاتل الإمام على ذلك.

انظر: المغني (٢/٥٧٣)، الفتاوى لابن تيمية (٧/٦١٠-٦١١).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٥)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٦)، الكشاف (٣/١٤)، البيان لابن الأنباري (١/٣٩٤)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٦).

(٣) وفي هذا رد على طوائف من الكلابية والأشعرية الذي يقولون إن الكلام هو معنى قائم بالنفس، والقرآن إنما =

﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ مكاناً يأمن فيه إن لم يسلم وفاء بالعهد.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الأمر بإيجارهم[1] ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ جهلة لا يعلمون ما حقيقة الإسلام فإذا تأملوا كلامه تعالى المشتمل على تلك المحاسن والمواعظ دعاهم إلى الإيمان.

هو عبارة أو حكاية عن كلام الله تعالى مستدلين بالبيت المنسوب للأخطل النصراني:

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنما جُعلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً

والذي عليه سلف الأمة أن مسمى الكلام يتناول اللفظ والمعنى جميعاً كما يتناول لفظ الإنسان الروح والبدن معاً.

قال ابن أبي العز -رحمه الله-: "فلا يجوز أن يُقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ وهو لا يسمع كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلغه عن الله، والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله فإنه تعالى قال: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل الحقيقة. ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله: فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالاً". اهـ شرح الطحاوية ص(١٩٤).

وانظر: الفتاوى لابن تيمية (١٦٢/١٢ وما بعدها)، مختصر الصواعق المرسلة ص(٤٢٦)، شرح الطحاوية ص(١٩٨).

(١) ق: باستجارهم.

﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ استبعاد لأن يكون لهم عهد مع الغدر[1] الذي صدر منهم يريد أن حالهم ينافي ذلك العهد الذي يزعمونه. ﴿ عَهۡدٌ ﴾ مرفوع على أنه اسم ﴿ يَكُونُ ﴾ وخبره: ﴿ كَيۡفَ ﴾ وإنما قدم لمعنى الاستفهام[2]، وفيه وجوه أخر متعسفة[3].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾ هم الذين تقدم استثناؤهم[4] وهم بنوكنانة وبنو ضمرة[5].

وفائدة تقييد العهد بكونه[6] ﴿ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾ زيادة الحث على

---

(١) في سائر النسخ: العذر، ولعله تصحيف والصواب المثبت أعلاه.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٦)، التبيان للعكبري (٢/٦٣٦)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٦).

(٣) في حاشية الأصل وَ ص: ذكرها أبوالبقاء منها: أن الخبر ﴿ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ و﴿ عِندَ ﴾ ظرف "العهد"، أو الخبر ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾و ﴿ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ تبيين أو متعلق بـــ ﴿ يَكُونُ ﴾، و ﴿ كَيۡفَ ﴾ حال من "العهد". منه. وانظر: التبيان للعكبري (٢/٦٣٦).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٩٦).

(٥) انظر: الطبري (١٤/١٤٤)، السيرة لابن هشام (٤/١٩٨)، الكشاف (٣/١٥).
وبنو كنانة سبق التعريف بهم ص (١٢٩). وبنو ضمرة هم بنو بكر بن عبدمناة.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص(١٨٥)، نهاية الأرب ص(٢٩٣).

(٦) في سائر النسخ: لكونه، والمثبت أعلاه من نسخة المدينة المنورة، وهو الصواب.

الوفاء به لكونه واقعاً في أشرف البقاع. ومحله النصب على الاستثناء[1]، أو الرفع على أن الاستثناء منقطع أي: لكن الذين عاهدتم[2].

﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ ﴾ على العهد ﴿ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ ﴾ كرره للتأكيد على حفظ العهد.

﴿ كَيْفَ ﴾ كرره لزيادة الاستبعاد مع التنبيه على العلة[3] بقوله: ﴿ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ يظفروا بكم ويكون لهم الغلبة عليكم ﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ لا يلاحظوا ولا يراعوا قرابة بينكم[4]، قال حسان بن ثابت مخاطباً أبا

---

(١) وهو قول الزجاج (٢/٤٣٢).

(٢) وهو قول الزمخشري (٣/١٥).

وانظر: الوجهين في تفسير البيضاوي (١/٣٩٦)، والبحر المحيط (٥/١٤).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٩٦)، والمراد نفي العهد، والعلة أنهم إن كانت لهم الغلبة والنصر لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة.

انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٤/٥٢٧).

(٤) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والضحاك (١٤/١٤٧).

وعزاه ابن الجوزي (٣/٤٠٢) للسدي ومقاتل والفراء، و لم أقف عليه في معاني القرآن.

وهو قول الواحدي في الوسيط (٢/٤٧٩)، والسمرقندي في تفسيره (٢/٤١)، واختاره أبوالمظفر السمعاني (٢/٢٩٠) وابن كثير (٤/٥٨) وغيرهم.

سفيان[1]:

لعمرك إنَّ إِلَّكَ[2] من قريشٍ كـإلِّ[3] السَّقْب[4] مـن رَألِ[5] النَّعـام[6]

وقيل: الإل الحِلْف[7]، وقيل: الإل من أسمائه تعالى[8] بالسِّرْيانية[9] يرادف

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب -رضي الله عنه-.

(٢) ق: لعمرك إنك... إلخ.

(٣) ق: كإن.

(٤) غير واضحة في ق.
والسَّقْبُ: ولد الناقة، وقيل: الذكر من ولد الناقة.
انظر: الصحاح (سقب) (١٤٨/١)، لسان العرب (سقب) (٤٦٨/١).

(٥) الرَّأل: ولد النعام.
انظر: المرجعين السابقين، مادة (رأل) (١٧٠٣/٤)، (٢٦١/١١).

(٦) ديوان حسان -رضي الله عنه- ص(١٠٥).

والبيت في تفسير الطبري (١٤٩/١٤)، والكشاف (١٦/٣)، والبيضاوي (٣٩٦/١).

وفي معجم مقاييس اللغة دون نسبة (٢١/١).

(٧) رواه ابن جرير (١٤٧/١٤) عن قتادة.

واختاره الزمخشري (١٦/٣)، والبيضاوي (٣٩٦/١).

(٨) رواه ابن جرير (١٤٦/١٤) عن مجاهد وأبي مجلز، ونقله ابن الجوزي (٤٠٢/٣) عن عكرمة، وقد أنكر هذا القول الزجاج (٤٣١/٢).

(٩) السريانية من لغات الأمم السابقة انتشرت في العراق وكانت هي اللغة الشائعة أيام بعث المسيح -عليه السلام- وبها تكلم، وتعد اليوم هذه اللغة من اللغات المندثرة.

انظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص(٢٤٤).

لفظ الجلالة. والمعنى: لا يراقبون اللهَّ فيكم ولا يخافونه. وقيل: الإل الذمة والعهد(١)، وعطف الذمة عليه كعطف النجوى على السر في قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾(٢).

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ استئناف يبين حالهم المنافية لدعوى الثبات على العهد وهو النفاق الذي هو شر الخصال، ولا يجوز أن يكون حالاً من فاعل ﴿ لَا يَرْقُبُواْ ﴾؛ لأن إرضاءهم بأفواههم قبل الظهور(٣).

﴿ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ عن موافقة ما يتفوهون به ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ خارجون عن طريق ذوي المروءات الخائفين من وصمة الغدر(٤)، والتقييد بالأكثر؛ لأن قليلاً منهم يتحاشى عن شناعة

---

(١) رواه ابن جرير (١٤/١٤٨) عن مجاهد وابن زيد، وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/٢٥٣)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٨٣).

(٢) سورة التوبة، آية (٧٨).

(٣) انظر: الكشاف (٣/١٦)، التبيان للعكبري (٢/٦٣٧)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٧).

قال العكبري (الموضع السابق): "حال من الفاعل في ﴿ لَا يَرْقُبُواْ ﴾ عند قوم، وليس بشيء لأنهم بعد ظهورهم لا يُرضون المؤمنين، وإنما هو مستأنف". اهـ.

(٤) وخارجون عن طاعة الله تعالى كافرون به.

انظر: تفسير الطبري (١٤/١٥٠).

والفسق في اللغة: الخروج، يقال: فسقت التمرة إذا خرجت من قشرها.

الغدر[1]، أو أريد بالأكثر الكل[2].

﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ استبدلوا بالقرآن وسائر الأحكام ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ نزراً لا اعتداد به ﴿ فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ﴾ شريعته الموصلة إليه، أو بيته الذي جعله مثابة للناس ومهبط رحمته[3] ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ ﴾ ساء شيئاً الذي كانوا يعملونه.

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ ﴾

وفي الاصطلاح الشرعي: الخروج من طاعة الله تعالى.

والفسق ينقسم إلى قسمين.

الأول: الأكبر: وهو الخروج عن الإسلام بالكلية والانسلاخ من الدين كقوله تعالى عن إبليس: ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ سورة الكهف، آية (٥٠)، وكقوله تعالى عن المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ سورة التوبة، آية (٦٧).

الثاني: الأصغر: وهو الوقوع في بعض كبائر الذنوب التي لا تُخرِج من الملة كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ سورة الحجرات، آية (١١).

انظر: المفردات ص(٦٣٦)، مدارج السالكين (١/٣٥٩).

(١) انظر: الكشاف (٣/١٧)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٧).

واختار هذا القول البغوي (٤/١٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/١٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/٤٠٣)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٧).

المتجاوزون الحد، تفسيرٌ لقوله: ﴿ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ فلا تكرير. وقيل: الأول في المنافقين[1] وهذا في اليهود خاصة[2]، أو في الأعراب، أو[3] الذين جمعهم أبوسفيان وأطعمهم[4].

﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ فهم إخوانكم على حذف المبتدأ[5]، والمراد الأخوة في الدين والتساوي في الأحكام ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الكلام حثٌّ على التأمل فيما فصَّل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها، وكأنه قيل: من تأمل تفصيلها فهو الخليق بأن يسمى عالماً[6].

---

(١) في تفسير البيضاوي: الناقضين (٣٩٧/١).

(٢) وقد رد ابن عطية (١١/٣) القول بأنها في اليهود لمخالفته لسياق الآيات.

(٣) كذا أثبت في النسخ ولعل الأقرب بحذف أو. انظر: الحاشية القادمة.

(٤) راجع ما تقدم ص(١٠٠). وانظر: الأقوال في تفسير البيضاوي (٣٩٧/١) وفيه: أو الأعراب الذي جمعهم... إلخ.

وقال أبوحيان: "﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ... الآية﴾ هذا تنبيه على الوصف الموجب للعداوة وهو الإيمان، ولما كان قولــه: ﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ ﴾ يتوهم أن ذلك مخصوص بالمخاطبين نبه على علة ذلك، وأن سبب المنافاة هو الإيمان". اهـــ. البحر المحيط (١٦/٥).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٢٥/١)، الكشاف (١٧/٣).

(٦) انظر: المرجع السابق. (الموضع نفسه).

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾ نقضوا عهودهم، أو ارتدوا بعد الإسلام[1] لقراءة ابن عامر: ﴿ لاَ إِيمَانَ لَهُمْ ﴾[2] بكسر الهمزة[3]، والوجه هو الأول؛ لأن الآية في ناقضي العهد لا المرتدين، وأما قراءة ابن عامر بكسر الهمزة فلا دليل فيه؛ لأنه مصدر آمنه إذا أعطاه الأمان[4].

﴿ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ ﴾ عابوه فإنهم كانوا يقولون: دين محمد ﷺ ليس بشيء ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ رؤساءهم[5] وصناديدهم؛ لأن الأرذال أتباع،

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٩٧).

(٢) انظر: السبعة ص (٣١٢)، التيسير ص (٩٦)، الإقناع (٢/٦٥٧).

(٣) في حاشية الأصل: قائله الكشاف.

قال في الكشاف (٣/١٧-١٨): "﴿ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ﴾ جمع يمين، وقرئ: ﴿ لاَ إِيمَانَ لَهُمْ ﴾ أي: لا إسلام لهم أو لا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه". اهـ.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (أمن) (١/١٣٣)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٣٦)، الحجة لأبي علي الفارسي (٤/١٧٨)، وقد رجحه أبوعلي بأنه وصفهم بأنهم أئمة الكفر، فلو كان المعنى نفي الإيمان الذي ضده الكفر لكان تكراراً.

وانظر: الكشف لمكي (١/٥٠٠)، الموضح (٢/٥٨٨).

(٥) ق: رؤساء.

فإذا قُتلت[1] يرتدع الأَوْباش والأتباع، وكذلك الدخول في الدين، ولذلك قال رسول اللهّ ﷺ/ لِهِرَقْل[2] عظيم الروم: «فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[3]، وإن أسلمت يؤتك[4] اللهّ أجرك مرتين»[5].

وقيل: وضع المظهر [موضع المضمر][6]؛ لأنهم بالنقض ونكث العهود صاروا[7] متمكنين في الكفر راسخي القدم[8]، وقرأه الكوفيون بتحقيق[9] الهمزتين

---

(١) كذا في ص، وسائر النسخ: قلت.

(٢) هرقل: هو ملك الروم، وهرقل اسمه، ولقبه قيصر كما يلقب ملك الفرس كسرى ونحوه.
انظر: فتح الباري (١/٣٣).

(٣) في الأصل: الارسين، وفي ص: الارسين، وفي ق: الاريسين، والمثبت أعلاه هو الموافق لما في الصحيح.
والأريسيون هم: الفلاحون. انظر: فتح الباري (١/٣٩).

(٤) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص: يؤتيك.

(٥) سبق تخريج الحديث.
ونصه في الصحيح: «أسلم تسلم يؤتك اللّه أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين».
وانظر هذا القول في: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٣٤)، المحرر الوجيز (٣/١٢).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٧) ق: وصاروا.

(٨) قاله الزمخشري (٣/١٧).
وانظر القولين في: تفسير البيضاوي (١/٣٩٧).

(٩) ق: بتخفيف.

على الأصل، والباقون بالتسهيل على أصولهم المعلومة(1).

﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ﴾ جمع يمين، أي: لا أيمان لهم بارَّة، بل حانثة وإليه ذهب الشافعي -رحمه الله-، وقال بانعقاد يمين الكافر(2)، أو لا أيمان لهم حقيقة وإن وجدت صورةً، وإليه ذهب أبوحنيفة -رحمه الله- ولم يصحح يمين الكافر(3). ومن تشبث به في عدم قبول توبة المرتد لا يجديه(4)؛ لأن الآية في ناقضي العهد، ولو سُلِّم كونها في المرتدين لا

(1) قرأ عاصم وحمزة والكسائي، وابن عامر بتحقيق الهمزتين.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع بتسهيل الثانية، قال ابن الجزري في النشر (١/٣٧٨-٣٧٩): "واختلف عنهم في كيفية تسهيلها فذهب الجمهور من أهل الأداء إلى أنها تجعل بين بين كما هي في سائر باب الهمزتين من كلمة.... وذهب آخرون منهم إلى أنها تجعل ياء خالصة".

وانظر: التيسير ص (٩٦)، الإقناع (١/٣٧٠).

(2) انظر: روضة الطالبين (١١/٨١)، مغني المحتاج (٤/١١٨).

(3) انظر: المبسوط (٨/١٤٧).

(4) قال البيضاوي (١/٣٩٧): "وقرأ ابن عامر ﴿ لا إيمان ﴾ بمعنى لا أمان أو لا إسلام، وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد، وهو ضعيف...".

قال الشهاب الخفاجي: "ووجه التمسك أنه نفى إيمان من نكث، والمرتد ناكث، ونفيه مع أنه يقع منه نفي للاعتداد به وصحته..." (٤/٥٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول ص (٣١٣): "الذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين أنه تقبل توبة المرتد في الجملة، وروي عن الحسن البصري أنه يقتل وإن أسلم، جَعَلَه كالزاني والسارق، وذُكر عن أهل الظاهر نحو ذلك أن توبته تنفعه عند الله، ولكن لا يدرأ =

دلالة فيها على ذلك، بل ربما يستدل بقولـه: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝ ﴾ على قبوله إذ المعنى التنبيه على أن غرض المقاتل يجب أن يكون انتهاؤهم عما هم عليه لا مجرد الإيذاء والتعذيب[1]، وقرأ ابن عامر ﴿إِيمَانَ﴾ بكسر الهمز[2].

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾ التي حلفوها مع رسول الله ﷺ والمؤمنين فعاونوا بني بكر على خزاعة ونقضوا العهد، وكان هو المانع[3] من [القتال، وهذا أبلغ من][4] الأمر بالقتال؛ لأنه إنكار لعدم القتال مع التحريض عليه ﴿ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ حين شاوروا على ذلك في دار الندوة[5].

القتل عنه". اهـ.

وانظر: المحلى (١١/١٨٨).

ولم أقف -فيما بين يدي من مراجع- على أحد بعينه استشهد بهذه الآية على عدم قبول توبة المرتد. والله أعلم.

(١) انظر: الكشاف (٣/١٨)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٧).

(٢) كذا في الأصل، وسائر النسخ: الهمزة.

وانظر: ما سبق ص (٢١٥).

(٣) ص: الجامع.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٥) انظر: ما تقدم في سورة الأنفال ص (٨٣-٨٦).

فإن قلت: قد تقدم أن الذي استقر عليه أمرهم في التشاور كان قتله فلم لم يذكره مع أنه أعظم من هممهم بإخراجه؟.

قلت: أراد التنبيه بالأدنى وأن ذلك كافٍ في المسارعة على قتالهم ليعلم منه أنهم إذا كانوا بذلك الهمِّ مستوجبين للقتال فكيف بما هو أعظم[1]؟.

﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ من غير أن يسبق منكم ما يوجب العداوة ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ﴾[2] والبادي أظلم ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ تقرير للخشية مع الإنكار عليها، وأنها لا ينبغي لمثلهم[3]. ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾؛ لأن عقابه لا يشابهه عقاب، وكونهم مؤمنين وإن كان مقطوعاً به أورده في صورة المحتمل؛ لأن تكاسلهم عن القتال بعد تحقق موجبه يوهم ذلك.

﴿ قَٰتِلُوهُمْ ﴾ أعاد الأمر بعد بيان المُوجِب[4] زيادة في الترغيب وزاد ما يوجب التشجيع بقوله: ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ قتلاً ﴿ وَيُخْزِهِمْ ﴾ أسراً ﴿ وَيَنصُرْكُمْ

(١) في حاشية الأصل وَ ص: هذا الوجه لم يذكره أحد غير المؤلف عفا الله عنه. منه.

(٢) سورة الشورى، آية: (٤٠).

(٣) انظر: الكشاف (١٩/٣).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (٣٩٨/١).

عَلَيْهِمْ﴾ بالغلبة[1] والقهر.

فإن قلت: أليس القتل والأسر يغنيان عن ذكر النصر، وما فائدة[2] ذكره بعدهما؟.

قلت: فائدته الوعد بأن العاقبة لهم مع ذلك القتل والأسر، وأن لا سبيل للعدو عليهم.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ وضع المظهر موضع المضمر إشارة إلى أن وصف الإيمان هو المُوْجِب لذلك الشفاء، هم خزاعة الذين انتقض العهد لأجلهم[3].

---

(١) انظر: الكشاف (١٩/٣).

(٢) ص: فائدته.

(٣) روى ابن جرير هذا القول عن مجاهد والسدي (١٦٠/١٤).

وقد جاء في حاشية الأصل وَ ص: حمل المؤمنين على خزاعة فيه أن خزاعة حين نقض العهد لم يكونوا مؤمنين. منه.

وقد أجاب على هذا الإشكال أبوحيان (١٩/٥) فقال: "وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير، ألا ترى إلى قول الخزاعي المستنصر بالنبي ﷺ:

.... ثُمَّتَ أسلمنا فلم نَنْزِع يداً

وفي آخر الرجز:

.... وقتلونا ركعاً وسجداً" اهـ.

وانظر: المحرر الوجيز (١٣/٣).

وقيل: قوم من اليمن(1) قدموا مكة مسلمين فلقوا من المشركين أذى كثيراً فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «أبشروا فإن الفرج قريب»(2).

﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ الغيظ: غضب العاجز عن الانتقام(3).

فإن قلت: أليس شفاء الصدر مترتباً(4) على زوال الغيظ فما الوجه في تقديمه؟.

قلت: النص على المقصود بتعجيل(5) المسرة وقرع سماع المكروب من ألم الغيظ بلفظ الشفاء المضاف إلى الصدر الذي هو محل الآلام النفسانية.

﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ ابتداء كلام وإعلام بأن بعض كفار [مكة](6) يتوب عن الكفر، وكان كذلك، وفَّى اللهُ بما وعد فكان ذلك معجزة. وقرئ بالنصب(7) بتقدير "أن" على أنه جواب الأمر معطوفاً على الأجوبة السابقة

---

(1) ص: اليمين.

(2) ذكره في الكشاف (١٩/٣)، والبحر المحيط (١٨/٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.
وانظر القولين في: تفسير البيضاوي (٣٩٨/١).

(3) قال في اللسان (غيظ) (٤٥٠/٧): "الغيظ: الغضب، وقيل: الغيظ غضب كامن للعاجز، وقيل: هو أشد الغضب، وقيل: هو سورته وأوله". اهـ.

(4) ق: مرتباً.

(5) ق: وتعجيل.

(6) ساقطة من ق.

(7) وهي قراءة زيد بن علي، وابن أبي إسحاق، والأعرج، ومقاتل بن سليمان، ورواية روح بن قرة، =

المجزومة على توهم النصب[1]، عكس قولـه: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾[2].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يتوب [ومن لا يتوب][3] ﴿حَكِيمٌ﴾ متقن فيما يفعله.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟﴾ الخطاب للمؤمنين و ﴿أَمْ﴾ متصلة[4]، ومعنى الهمزة التوبيخ على الحسبان[5]، والإنكار ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟

وَفهد بن الصقر عن يعقوب، ورواية يونس عن أبي عمرو.

انظر: شواذ القرآن لابن خالويه ص (٥١)، المحتسب (٢٨٤/١)، البحر المحيط (١٩/٥)، النشر (٢٧٨/٢).

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٧/٢)، المحتسب (٢٨٥/١)، الكشاف (١٩/٣)، التبيان للعكبري (٦٣٨/٢)، تفسير البيضاوي (٣٩٨/١).

(٢) سورة المنافقون، آية: (١٠).

وذلك أن قولـه: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ منصوب لأنه جواب التمني، وقوله: ﴿وَأَكُن﴾ مجزوم بالعطف على محل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ والتقدير: إن أخرتني أصدقْ وأكنْ.

انظر: البحر المحيط (٢٧٠/٨-٢٧١).

(٣) ساقطة من ص.

(٤) لم يتضح لي وجه كون ﴿أَمْ﴾متصلة، وما ذهب إليه الزمخشري (٢٠/٣)، والبيضاوي (٣٩٨/١) هو أنها منقطعة، وهو الظاهر.

(٥) انظر: الكشاف وتفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

مِنكُمْ ﴾ [ولم يتميز الخُلَّص منكم](1) عن غيرهم. نفى العلم وأراد لازمه، والقول بأنه نفى المعلوم [بنفي العلم](2) إنما يستقيم على الوجه الذي ذكر(3) وإلا فالذوات [التي تعلق بها العلم](4) لا يمكن نفيها ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ معطوف على الصلة داخل تحت حكمها، وليجة الشخص: بطانته وخاصته(5) من الولوج وهو الدخول كأنها لقوة

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

قال في الكشاف: "والمراد بنفي العلم: نفي المعلوم". (٢٠/٣). ونحوه عند البيضاوي (٣٩٨/١).

(٣) وهو: تميز الخلص عن غيرهم.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

ومراد المؤلف -رحمه الله- أن نفي علم الله بالشيء مستلزم لعدمه، إذ لو كان موجوداً لعلمه تعالى. والله أعلم.

قال ابن القيم في زاد المعاد (٢٢٣/٣-٢٢٤): "أي: ولما يقع ذلك منكم فيعلمه فإنه لو وقع لعلمه فجازاكم عليه بالجنة، فيكون الجزاء على الواقع المعلوم لا على مجرد العلم فإن الله لا يجزي العبد على مجرد علمه فيه دون أن يقع معلومُه". اهـــ.

(٥) كذا في ق. وهو الأقرب، وفي الأصل وَ ص: وخاصة.

اختصاصها داخلة في قلبه[1] ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ ببواطن أعمالكم، مُزيح لما يُتوهم من كون نفي العلم محمولاً على ظاهره[2].

﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ ﴾ عن ابن عباس: أنها نزلت في أبيه، لما أسر يوم بدر[3] أقبل عليه المسلمون يلومونه على خروجه إلى قتال رسول الله ﷺ وقطعه الرحم، وأغلظ له القول علي بن أبي طالب، فقال: ما لكم تذكرون قبائحنا ولم تذكروا محاسننا؟ فقال عليٌّ: وأي محاسن لكم؟ قال: إنَّا عُمَّار المسجد الحرام، وسقاة الحاج، وحجبة بيت الله[4].

والمعنى: ما استقام لهم أن يجمعوا بين هذين الأمرين المتنافيين وهما[5] عمارة المساجد والإقرار بالكفر؛ لأن عمارة المساجد إنما تكون[6] لعبادة الله وهم يعبدون

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٢٦)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٤٥٢)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٣٧)، لسان العرب (ولج) (٢/٤٠٠).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٣٩٨).

(٣) ق: يوم بدر لما أسر.

(٤) رواه البغوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (٤/١٩)، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٤٦) بدون سند. ورواه بنحوه الطبري (١٤/١٧٠).
وانظر: الدر المنثور (٤/١٤٥).

(٥) ق: هو.

(٦) ق: يكون.

فيها غيره ويدعون لـه الألوهية. كان لهم حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً[1]، قرأ ابن كثير وأبوعمرو (مسجد الله) بالإفراد[2] وهو المختار الموافق للرسم[3] ولقوله: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[4] ومن قرأه[5] بالجمع أراد به العموم ويندرج فيه المسجد الحرام[6]؛ لأنهم إذا لم يصلحوا لعمارة شيء من المساجد فأفضل

---

(١) رواه البخاري من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-.

كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝﴾ (٦/٢٢٨).

وانظر: المغازي للواقدي (٢/٨٣٢).

(٢) وقرأ باقي السبعة بالجمع.

انظر: السبعة ص (٣١٣)، التيسير ص (٩٦)، الإقناع (٢/٦٥٧).

(٣) انظر: المقنع للداني، باب ذكر ما حذفت منه الألف اختصاراً ص (١١).

(٤) سورة التوبة، آية: (١٩).

(٥) كذا في الأصل، وباقي النسخ: قرأ.

(٦) انظر: الكشف لمكي (١/٥٠٠)، وذهب الفراء إلى أن المراد في قراءة الجمع المسجد الحرام وحده مستدلاً بقراءة الإفراد ومؤكداً ذلك بقوله: "وربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع، وبالجمع إلى الواحد ألا ترى الرجل على البرذون فتقول: قد أخذت في ركوب البراذين، وترى الرجل كثير الدراهم فتقول: إنه لكثير الدرهم.." (١/٤٢٦).

وانظر: معاني القراءات للأزهري ص (٤٤٨).

المساجد من باب الأولى[1].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون بالإشراك وشهادة الكفر ﴿ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ بطل ثوابها ﴿ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٧ ﴾[2] مقيمون أبداً فأين الثواب الذي يرجونه[3]؟.

﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ / وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ يوم الجزاء على الأعمال.

﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ نفى صلوح العمارة عن أولئك الموصوفين بما ينافي عمارة المسجد وأثبته على وجه الحصر لمن اتصف بالكمالات العلمية والعملية[4]، واقتصر[5] منها على الصلاة والزكاة؛ لأن معظم القصد من بناء المسجد هو الصلاة ومواساة الفقراء المترددين إليها المواظبين على العبادة فيها.

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٢٠).

(٢) وقعت الآية في الأصل بزيادة "فيها" بعد قوله: (هم). وهو خطأ.

(٣) في حاشية الأصل: يحتمل أن تكون جملتان أي: في النار هم لا في غيرها فيها خالدون لا في غيرها. وأن تكون جملة، وزيادة هم وإعادة الظرف (كلمة غير واضحة) مؤكد. منه.

(٤) والعملية: زيادة من سائر النسخ ليست موجود في الأصل وهي موافقة لما في تفسير البيضاوي (١/ ٣٩٩).

(٥) ق: فاقتصر.

وعمارة المسجد يشمل بناءه وإقامة الصلاة فيه وتلاوة القرآن وتعليمه، وتعليم سائر العلوم الشرعية والأذكار وفرشه وتنويره بالمصابيح والسرج[1].

وفي الحديث: «**الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[2]، وعنه ﷺ سمع رجلاً يقول: من يدل على الجمل[3] الأحمر؟ فقال: «**لا ردَّ الله عليك، إنما بنيت المساجد لما بنيت**»[4]، وفي الحديث القدسي: قال الله تعالى: «**إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره**»[5].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٢١)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٩)، البحر المحيط (٥/٢١).

(٢) في حاشية ص: حديث مشهور.

والحديث لم أجده، وقد قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: لم أقف لـه على أصل. اهـ. (١/١٣٧)، وانظر: كشف الخفاء (١/٤٢٣).

(٣) ق: الحمل.

(٤) رواه مسلم كتاب المساجد، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد (١/٣٩٧ رقم ٨٠) عن بريدة -رضي الله عنه- بلفظ: "من دعا إلى الجمل الأحمر؟" فقال النبي ﷺ: « **لا وجدت إنما.... الحديث** »

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢/٦١)، ومن طريقه الطبري (١٨/١١٢) عن عمرو بن ميمون قال: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ وهم يقولون: "المساجد بيوت الله وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها"، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/١٤١) للبيهقي في الشعب، وصحح الحافظ العراقي إسناده في تخريج الإحياء (١/١٣٧).

﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ لكمال تقواه ولا يختار على مرضاة الله شيئاً. وقيل: كان المشركون يخشون الأصنام(1)، فالمنفي هي تلك الخشية، وأما الخوف الجِبِلِّي من سائر الآلام فلا يدخل تحت القدرة ولا يتعلق به غرض ديني(2).

ورواه الطبراني في الكبير (٦/٢٥٣، ٢٥٥) عن سلمان -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره»، وقال الهيثمي في المجمع (٢/٣١): رواه الطبراني في الكبير، وأحد إسناديه رجاله رجال الصحيح. اهـ.

(١) انظر: الكشاف (٣/٢٤).

(٢) انظر: الكشاف (الموضع السابق)، المحرر الوجيز (٣/١٦)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٩).

وأقسام الخوف -كما ذكر العلماء- أربعة:

الأول: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه بقدرته ومشيئته فهذا شرك أكبر.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس فهذا محرم.

الثالث: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ سورة إبراهيم، الآية: ١٤، فهذا من أعلى مقامات الإيمان.

الرابع: الخوف الطبيعي كالخوف من عدو وسبع وهدم ونحو ذلك، فهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله عن موسى -عليه السلام- في قوله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ سورة القصص، الآية: ٢١.

﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ لفظ التوقع كعسى ولعل وإن كان من اللهّ كالواجب[1] إلا أن في ذكره تبعيداً للمشركين عن مقام الاهتداء والانتفاع بتلك الأعمال التي كانوا يفتخرون بها، فإن هؤلاء الموصوفين بتلك الكمالات إذا[2] لم يكونوا جازمين فما ظنك بغيرهم[3]؟.

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[4] كإيمان من آمن، أو أجعلتم أهل السقاية كمن آمن[5]، والأول أوجه؛ لأن المقايسة[6] وقعت في الأفعال لا

انظر: تيسير العزيز الحميد ص (٤٢٦-٤٢٨).

(١) روى ابن جرير (١٦٨/١٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "وكل عسى في القرآن فهي واجبة".

وانظر: تفسير البغوي (٢٠/٤)، الجامع للقرطبي (٩١/٨).

(٢) ق: إن.

(٣) انظر: الكشاف (٢٤/٣)، تفسير البيضاوي (٣٩٩/١).

(٤) في حاشية الأصل وَ ص: قرأ أبوجعفر في رواية ابن وردان: (سُقَاة الحاجِ وَعَمَرَةَ المسجدِ) منه.
وانظر: النشر (٢٧٨/٢)، تحبير التيسير ص (١١٩).

(٥) ذكر هذا الوجه الزجاج في معاني القرآن (٤٣٨/٢)، وبه قال النحاس في إعراب القرآن (٩/٢).
وانظر الوجهين في: مشكل إعراب القرآن (٣٥٩/١)، البيان لابن الأنباري (٣٩٦/١).

(٦) ق: القايسة.

الأشخاص[1].

أشار إلى بطلان[2] دعواهم؛ بأن هذه الصفات السنية وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، والجهاد في سبيل تلك؛ الأعمال لو لم تكن مُحْبَطَة[3] لم تذكر في مقابلتها ولم تعادلها فكيف وهي مقرونة بالكفر الذي لا اعتبار لعمل معه؟

﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أهل السقاية والمؤمنون وإن استووا في زعم المشركين وهذا ربما رجح الوجه الثاني[4].

﴿ وَٱللَّهُ[5] لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الذين ظلموا المسلمين بالتسوية [والمراد عدم الهداية][6] إلى الحجة والاستدلال لا إلى الإسلام؛ لأن منهم من أسلم

---

(١) رجح الزمخشري (٣/٢٤)، والبيضاوي (١/٣٩٩) الوجه الثاني بالقراءة التي أشار إليها المؤلف - رحمه الله- قبل قليل في الحاشية (سقاة الحاج وعمرة المسجد).

وزاد الشهاب الخفاجي ترجيح هذا الوجه بقوله: "ويؤيده أيضاً ضمير ﴿ يَسْتَوُۥنَ ﴾ إذ على غيره يحتاج إلى تقدير لا يستوون في أعمالهم فيرجع إلى نفي المساواة بين الأعمال نفسها". اهـ حاشيته على تفسير البيضاوي (٤/٥٤١).

(٢) ص: البطلان.

(٣) كما في ق، وفي الأصل وَ ص: محيطة.

(٤) وهو تقدير الآية بقولنا: أجعلتم أهل السقاية كمن آمن.

(٥) لفظ الجلالة لم يكتب في ص.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

كعباس بن عبدالمطلب -ﷺ-، والحمل على الكفرة الذين يموتون على الشرك بعيد عن المقام[1].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ردَّ المساواة التي ادعوها واستأنف الكلام في شأن المؤمنين المجاهدين وما أعد لهم من عظيم الدرجات أبداً سرمداً تنبيهاً على خطئهم وإزاحةً لما كان يُتوهم من لفظ ﴿ عَسَىٰ ﴾ من معنى الاحتمال ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الظافرون بالبغية لا غيرهم.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ ﴾ استئناف لبيان الفوز، والبشارة بشارة الملائكة عند الموت لقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾[2] أو عند دخـــول [الجنة][3] لقولـه: ﴿ سَلَٰمٌ

(١) والذي يظهر أن الآية على عمومها في معنى الظلم، وفي معنى الهداية؛ لأن اللفظ عام فالواجب إجراؤه على عمومه، فالظلم بكل أنواعه وصوره سبب لحرمان الهداية من الله تعالى وبحسب ما يجترحه المرء من الظلم يكون نصيبه من حرمان الهداية جزاءً وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد.

(٢) سورة النحل، آية: (٣٢).

(٣) ساقط من الأصل.

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾[1] [2] ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [وإنما][3] قدم الرضوان على الخلود في النعيم المقيم؛ لأنه المطلب الأعلى[4] لقولــه: ﴿ رِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[5]، وفي الحديث: «إذا استقر أهل الجنة في منازلهم يقول اللهُ لهم: هل تطلبون مني شيئاً؟ يقولون: وأيُّ شيء نطلب منك، وقد بيضت وجوهنا وأدخلتنا الجنة. يقول الله: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً، فيفرحون لذلك فرحاً لم يفرحوا بشيء قبله ويخرون لـه سـجداً»[6] ونكَّـر المبشـر به لوقوعـه وراء وَصْف الواصـف[7]، وأردف

---

(١) في ص زيادة: فادخلوها خالدين.

(٢) سورة الزمر، آية: (٧٣).

(٣) ساقط من ق.

(٤) وقال أبوحيان في البحر (٥/٢٣): "وقُدم -الرضوان- على الجنان؛ لأن رضا الله عن العبد أفضل من إسكانهم الجنة". اهـ.

(٥) سورة التوبة، آية: (٧٢).

(٦) رواه البخاري كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٧/٢٠٠)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (٤/٢١٧٦ رقم٩) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- بنحوه.

(٧) انظر: الكشاف (٣/٢٥)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٩).

الخلود بالأبد؛ لأنه يستعمل في المكث الطويل[1].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يحاط به ولم يخطر على قلب بشر.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ عن ابن عباس: "نزلت في المهاجرين قبل فتح مكة"[2]. وكان إتمام الإيمان موقوفاً على الهجرة ومصارمة[3] الأقارب، وفيه: أن سورة براءة نزلت بعد الفتح بلا ريب في ذلك[4]، فالأولى: أن الله لما أنزل

(١) انظر: التفسير الكبير (١٦/١٥)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٢) انظر: البسيط (٢/٤٣٩)، الوسيط (٢/٤٨٧)، البغوي (٤/٢٤)، ابن الجوزي (٣/٤١١)، وذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي ص (٢٤٨).

وانظر: الكشاف (٣/٢٥)، تفسير البيضاوي (١/٣٩٩).

(٣) ص: ومفارقة.

والمصارمة: المقاطعة، والمفارقة.

انظر: القاموس المحيط (صرم) ص (١٤٥٧).

(٤) في حاشية جميع النسخ: سورة براءة نزلت بعد تبوك وغزوة تبوك بعد الفتح بلا خلاف. (منه).

وقد ذكر هذا الإشكال الذي ساقه المؤلف -رحمه الله- الرازي في التفسير الكبير (١٦/١٥) ثم ساق المعنى الذي رجحه للآية بنحو قريب مما سيذكره المؤلف.

براءته[1] من المشركين عامة وكان بين المؤمنين والمشركين شجنة القرابة التي هي مظنة الموالاة والود نهاهم عن ذلك ونبَّه على الموجب لذلك، وهو إيثار الكفر على الإيمان.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها[2]، وإنما نص عليه لأن النهي ظاهر في التحريم.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ هي: القبيلة، من العِشْرَة وهي المخالطة، ومن ثمة سُمّي الزوج: عشيراً[3] [قال][4] في ذم النساء: "يكفرن" قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «لا. يكفرن العشير»[5]. وقرأ أبوبكر ﴿ وَعَشِيرَاتُكُمْ ﴾ بالجمع[6].

---

(١) كذا في الأصل، وسائر النسخ: براءة.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٠).

(٣) ق: العشير.

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (عشر) (٣٢٦): "وإنما سميت عشيرة الرجل لمعاشرة بعضهم بعضاً حتى الزوج عشير امرأته". اهـ.

(٤) ساقط من ص.

(٥) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر (١/٨٣ فتح الباري)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ، في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٢/٦٢٦ رقم ١٧) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٦) ق: بالجمع (عشيراتكم).

﴿ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ الاقتراف: الاكتساب ﴿ وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ عدم رواجها لفوات الموسم ﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ قيل: هو فتح مكة[1]، وقيل: عقوبة عاجلة وآجلة[2]، وعلى الوجهين فيه وعيد شديد. والمراد بالحب هو الإيثار اختياراً لا الميل الطبيعي لعدم دخوله تحت القدرة[3]، وقد روى البيهقي عنه ﷺ: «[الحب و][4] البغض في الله من أوثق عرى

وهذه قراءة أبي بكر عن عاصم، وباقي السبعة وحفص عن عاصم ﴿ عَشِيرَتُكُمْ ﴾.

انظر: السبعة ص (٣١٣)، التيسير ص (٩٦).

(١) رواه ابن جرير (١٤/١٧٨) عن مجاهد، ونسبه الواحدي في الوسيط (٢/٤٨٧)، وأبو المظفر السمعاني (٢/٢٩٨)، وابن الجوزي (٣/٤١٣) للأكثرين.

ويشكل على هذا القول ما ذكره المؤلف سابقاً من أن السورة نزلت بعد فتح مكة -والله أعلم-.

(٢) ذكره الزمخشري (٣/٢٦) عن الحسن. وصدَّر به البيضاوي (١/٤٠٠) الأقوال في الآية.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٠).

"المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها، وهذه وإن كانت مباحة فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات، وإن صدَّت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإلا بقيت من أقسام المباحات". قاله الشيخ السعدي في القول السديد (ص٩٧).

(٤) ساقط من ق.

الإيمان»[1]. وعنه «من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان»[2].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ الخارجين عن طاعته وهم الذين طبع الله على قلوبهم.

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ / فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ في مقامات الحرب ومواقعها. بعد النهي عن موالاة[3] الآباء والأبناء والعشيرة[4] أشار إلى أن الغرض

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه الإمام أحمد (٤٣٨/٣ رقم ١٥٦٥٥) من حديث ابن لهيعة عن زبّان عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس الجهني -رضي الله عنه- بسياق أطول، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٨٨/٢٠ رقم ٤١٢) من طريق ابن لهيعة أيضاً.

ورواه الإمام أحمد (٤٤٠/٣ رقم ١٥٦٧٦)، والترمذي، أبواب صفة القيامة، باب اعقلها وتوكل (٢٠٧/٧ رقم ٢٥٢٣)، وأبو يعلى في مسنده (٦٠/٣ رقم ١٤٨٥، ٦٨/٣ رقم ١٥٠٠)، والحاكم في المستدرك (١٦٤/٢). من طريق سعيد بن أبي أيوب عن أبي مرحوم عبدالرحيم بن ميمون عن سهل عن أبيه.

كما أخرج الحديث أبوداود في سننه عن أبي أمامة -رضي الله عنه-، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٦٣٢/٢ رقم ٤٦٨١).

والحديث بمجموع هذه الطرق صحيح إن شاء الله تعالى.

(٣) ص: الموالاة.

(٤) كذا في الأصل، وسائر النسخ: العشائر.

من وجودهم هو التناصر والتقوي بهم على الأعداء، وقد علموا أن النصر من اللهّ وحده شاهدوا ذلك في حروب كثيرة كيوم بدر والأحزاب وقريظة وخيبر وغيرها من الغزوات والسرايا ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ ونصركم يوم حنين[1]، والتقدير: وموطن يوم حنين ليكون من عطف المكان [على المكان][2]، أو الزمان [على الزمان][3] بأن يراد بالموطن الزمان كمقتل الحسين ومبعث الرسول[4]، فعلى الأول ﴿ إِذْ ﴾ منصوب باذكر وعلى الثاني بدل[5].

﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ ﴾ تلك الكثرة ﴿ شَيْئًا ﴾ من الغناء؛ مصدر، أو من أمر العدو؛ مفعول[6] به[7].

﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ برحبها، في موضع

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١١)، البيان لابن الأنباري (١/٣٩٦).
(٢) ساقط من ق.
(٣) ساقط من الأصل.
(٤) قاله الزمخشري (٣/٢٨)، والبيضاوي (١/٤٠٠)، وانظر: حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٥٦)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/٥٤٤).
(٥) إنما كانت بدلاً لأن "إذ" اسم زمان، فإذا كان المراد بيوم حنين زمان فيكون بدلاً، وإن كان المراد به المكان فلا يجوز أن يكون بدلاً؛ لأن البدل والمبدل منه متحدان، فيقال حينئذ: إنه منصوب باذكر.
(٦) ق: مفعولاً.
(٧) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٠)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/٥٤٦).

الحال[1] ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ الكفار ظهوركم[2].

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ الوقار وقوة القلب ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين ثبتوا معه، أو من تولى منهم؛ فإنهم كروا بعد الفرار[3] وفي الحديث: سئل براء بن العازب: "أفررتم يوم حنين؟" قال: "لكن رسول الله لم يفر"[4].

وقصة هذه الغزوة[5]: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وكان معه عشرة آلاف وانضم إليهم من الطلقاء ألفان فتوجه إلى هوازن[6] وثقيف[7] فتلاقوا[8] بحنين[9] وهو وادٍ

(١) قال الزمخشري (٣/٢٩): "﴿ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ ما مصدرية، والباء بمعنى "مع" أي: مع رحبها، وحقيقته ملتبسة برحبها، على أن الجار والمجرور في موضع الحال، كقولك: دخلت عليه بثياب السفر، أي: ملتبسا بها لم أحلها تعني: مع ثياب السفر... إلخ".
وانظر: البحر المحيط (٥/٢٥).

(٢) تفسير البيضاوي (١/٤٠٠).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٢٩)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٤) رواه البخاري كتاب الجهاد، باب من قاد دابة غيره في الحرب (٣/٢١٨)، ومسلم كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين (٣/١٤٠٠ رقم ٧٨).

(٥) انظر الغزوة في: صحيح البخاري كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ حُنَيْنٍ... ﴾ (٥/٩٨)، وما بعده، وصحيح مسلم كتاب الجهاد، باب غزوة حنين (٣/١٣٩٨)، وما بعده، المغازي للواقدي (٣/٨٨٥)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/٨٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١٤٩)، دلائل النبوة للبيهقي (٥/١١٩).

(٦) بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهم أفخاذ كثيرة، ومنازلهم في نجد مما يلي الحجاز، ومن أوديتهم حنين الذي وقعت فيه غزوة حنين.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص (٢٦٤)، نهاية الأرب ص (٣٩١)، معجم قبائل العرب (٣/١٢٣١).

(٧) ثقيف: بطن من هوازن من عدنان نزل أكثرها الطائف، وقد زعم بعض النسابين أنهم من بقايا ثمود، وكان الحجاج إذا سمع ذلك يقول: كذبوا قال تعالى: ﴿ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ سورة النجم، آية: ٥١. أي: أهلكهم ولم يبق أحداً.
انظر: الأنساب (٢/٨٥)، نهاية الأرب ص (١٩٨)، معجم قبائل العرب (١/١٤٧).

(٨) ق: فتلاحقوا.

(٩) حنين: وادٍ بين مكة والطائف، بينه وبين مكة حوالي (٢٦) كيلاً من جهة الشرق.

بين مكة طائف، وكانوا أربعة آلاف مع ما انضم إليهم من سائر العرب فصاروا أيضاً عسكراً كثيفاً، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: "لن نغلب[1] اليوم من القلة"[2] قيل: هو الصديق[3] وهو بعيد، وقيل: رسول الله ﷺ وهذا[4] أبعد[5]، فانهزموا بشؤم تلك

انظر: معجم البلدان (٣١٣/٢). معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري ص (٢٠٠).

(١) ص: تغلب، و ق: لم تغلب.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٢٣/٥) عن الربيع بن أنس من رواية أبي جعفر الرازي وهو ضعيف. انظر: تقريب التهذيب ص (٦٢٩).
ورواه الواقدي في المغازي (٨٨٩/٣) عن الزهري وغيره، ورواه ابن جرير عن قتادة والسدي (١٨٠/١٤-١٨٢).
وأخرج ابن المنذر -كما في المنثور (١٥٨/٤)- عن الحسن نحوه، وفيه، "فكره رسول الله ﷺ ما قالوا، وأعجبتهم كثرتهم".
وروى الحاكم في المستدرك (٤٨/٣) من حديث أنس قال: "لما اجتمع يوم حنين أهل مكة والمدينة أعجبتهم كثرتهم فقال القوم: اليوم والله نقاتل فلما اشتد القتال ولو مدبرين... الحديث" وصححه الحاكم والذهبي.
وقد ذكر الواحدي في الوسيط (٤٨٧/٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، والبغوي (٢٦/٤) عن الكلبي أن القائل رجل من الأنصار يقال له: سلمة بن سلامة بن وقش.
انظر ترجمته في: أسد الغابة (٢٧٦/٢).

(٣) رواه الواقدي في المغازي (٨٩٠/٣) عن سعيد بن المسيب.
والأثر مرسل. والواقدي متروك.
انظر: التقريب ص (٤٩٨).
وقد ذكر هذا القول الزمخشري (٢٨/٣)، والبيضاوي (٤٠٠/١).

(٤) ق: وهو.

(٥) ذكر هذا القول ابن جرير (١٧٩/١٤)، والزمخشري (٢٨/٣)، والبيضاوي (٤٠٠/١)، و لم أجد ما يدل لهذا القول، بل ماسبق عن الحسن وفيه: "فكره رسول الله ﷺ ما قالوا". يدل على رد هذا القول. راجع الحاشية رقم (٢).

الكلمة وتوقع النصر بالكثرة[1] فبقي رسول الله ﷺ ومعه العباس عمه وهو آخذ بلجام بغلته، وأبوسفيان بن الحارث ابن عمه آخذ بركابه فالتفت رسول الله ﷺ إلى يمينه فقال: «يا للأنصار» فقالوا: "يا لبيك [أبشر يا رسول الله نحن معك]"[2]، ثم التفت إلى يساره وقال: «يا للأنصار» فقالوا: "يا لبيك أبشر يا رسول الله نحن معك". لم يناد غيرهم، ولم يخلط بين الندائين شيئاً فرجعوا إليه وعطفوا كما تعطف بقرة الوحش إلى ولدها، ثم قال: «يا عم ناد أصحاب سورة البقرة»، وأراد من صدر الله السورة بهم وهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة، ثم قال: «ناد أصحاب الشجرة»، وأراد بها الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية على أن لا يفروا فناداهم العباس وكان صيتاً فلما سمعوا نداء العباس عطفوا على رسول الله، ونزل رسول الله ﷺ عن بغلته وقال: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب» وقال: «هذا حين حمي الوَطِيسْ»[3]، وأخذ كفاً من الحصباء ورمى به وجوه الكفار، وقال:

---

(١) ق: بالكفرة.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة في ق.

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٦/١٢): "قال الأكثرون: هو شبه التنور يسجر فيه ويضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حره، وقد قال آخرون: الوطيس هو التنور نفسه، وقال الأصمعي: هي حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطأ عليها فيقال: الآن حمي الوطيس، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس أي يدقهم. قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ". اهـ.

وانظر: لسان العرب (وطس) (٢٥٥/٦).

«شاهت الوجوه » فهزمهم فقتل وسبى خلقاً كثيراً[1] حتى بلغ عدد السبي ستة آلاف، ومن الإبل والغنم ما لا يحصى[2]، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: بالقتل والأسر.

توقف[3] نيفاً وعشرين يوماً لم يقسم الغنائم وكان يؤمل دخول هوازن في الإسلام، فلما أبطأوا قسم تلك الغنائم، ثم جاؤوا تائبين مسلمين فقال رسول الله ﷺ «إن أحب الحديث إليّ أصدقه، وقد كنت استنظرتكم والآن اختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال» فقالوا: "لا نعدل بالسبي شيئاً"، فقام رسول الله ﷺ على المنبر خطيباً وقال:«هؤلاء إخوانكم جاؤوا تائبين وإني قد خيرتهم بين السبي والمال فاختاروا السبي فمن طابت نفسه منكم[4] فذاك، ومن لم يطب فليكن على حظه حتى نعطيه من أول ما يفيء الله علينا» فقالوا: "قد رضينا يا رسول الله"، فقال:

---

(١) رواه مسلم كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين (٣/١٣٩٨ رقم ٧٦). عن العباس بن عبدالمطلب -رضي الله عنه- وليس فيه نداء أصحاب سورة البقرة ولا تكرار النداء للأنصار يمنة ويسرة.

وقد روى نداءه أصحاب سورة البقرة ابن جرير (١٤/١٨٠) عن قتادة.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/١٤١).

(٣) ق: وتوقف.

(٤) ص: فيكم.

«[إنا][1] لا نعرف من رضي منكم ممن[2] لم يرض، ارجعوا إلى رحالكم حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»، فلما رفع عرفاؤهم أنهم قد رضوا رد إليهم السبي[3].

﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ أي: الملائكة[4] ولم تصح كميتهم، قيل: كانوا خمسة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفاً[5] والله أعلم بذلك[6]. قيل: كانوا في ثياب بيض[7] ﴿ وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بالقتل والأسر ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ما فعل بهم.

(١) ساقط من ق.

(٢) في الأصل: فمن. ولعل الأقرب المثبت.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا... الآية ﴾ (٩٩/٥) من حديث مروان والمسور بن مخرمة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨٩/١٤)، دلائل النبوة للبيهقي (١٣٧/٥).

(٥) في الأصل: ستة ألفاً، وفي ق: ستة عشر والله... إلخ.

(٦) انظر هذه الأقوال في: الكشاف (٢٨/٣)، تفسير البيضاوي (٤٠٠/١)، وقد عزا ابن الجوزي (٤١٦/٣) الأول لسعيد بن جبير، والثاني لمجاهد، والثالث للحسن.

وقال: "وهل قاتلت الملائكة يومئذ أم لا؟ فيه قولان". اهـ.

(٧) روى الطبري (١٨٦/١٤) عن عبدالرحمن مولى أم برثن قال: حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال: ... وفيه: فتلقانا رجال بيض حسان الوجوه... إلخ.

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ وهم الذين جاؤوا تائبين ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ ﴾ للتائبين ما قد سلف ﴿ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ برد ذراريهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ لخبث باطنهم كالشيء النجس [يجتنب][1] منهم كما يجتنب منه[2]. والنَجَس بالفتح مصدر: نَجِس[3] فأطلق عليهم مبالغة، وعن ابن عباس: أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير[4]، وعن الحسن: "أن من صافح مشركاً فعليه الوضوء"[5] مستدلاً بما رواه البخاري عن أبي هريرة قال[6] رسول الله ﷺ: «أين كنت يا أبا هر؟[7]» قلت: "كنت جُنُباً فكرهت أن أماشيك". قال: «سبحان الله إن المسلم لا ينجس»[8]، فلو

---

(١) ساقطة من ص.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠١)، وعزاه ابن الجوزي للأكثرين وصححه (٣/٤١٧).

(٣) قال في اللسان (نجس) (٦/٢٢٦): "نَجِس الشيء بالكسر يَنْجَس نَجَساً فهو: نَجِسٌ ونَجَسٌ" وانظر: الكشاف (٣/٣٠)، البحر المحيط (٥/٢٨).

(٤) قال ابن جرير (١٤/١٩١): "وقال آخرون: معنى ذلك: ما المشركون إلا رجس خنزير أو كلب، وهذا قول روي عن ابن عباس على وجه غير حميد فكرهنا ذكره". اهـ.

(٥) رواه ابن جرير (٤/١٩٢).

(٦) ص: قال لي... إلخ.

(٧) ق: يا أبا هريرة.

(٨) رواه البخاري كتاب الغسل، باب عرق الجُنُب (١/٧٤)، ومسلم كتاب الحيض، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس (١/٢٨٢) كلاهما عن أبي هريرة -ﷺ- بلفظ: «إن المؤمن لا ينجس».

لم يكن المشرك نجساً لم يكن لقيد المسلم فائدة، ولم يذهب إليه أهل المذاهب(١)؛ لأن الصحابة ومن بعدهم كانوا يؤاكلونهم ويشربون من أوانيهم، وفي البخاري: "أن عمر بن الخطاب توضأ من جرة في بيت نصراني"(٢).

﴿ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ ﴾ فضلاً عن

ورواه مسلم (الموضع السابق) عن حذيفة بلفظ: إن المسلم لا ينجس. دون قوله: سبحان الله.

(١) انظر: الكشاف (٣/٣١).

وذهب ابن حزم -كما هو ظاهر قول الحسن- إلى نجاسة أعيانهم وعرقهم ولعابهم ونحو ذلك، والجمهور على خلاف هذا القول ومما يدل على ذلك أن الله تعالى أباح لنا طعامهم ونساءهم، فلو كانت أعيانهم نجسة لأمر تعالى بالتطهر منها.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/١١٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٩١٣)، المحلى (١/١٢٩)، تفسير ابن كثير (٤/٧٤).

(٢) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم في كتاب الوضوء، باب وضوء الرجل مع امرأته وفضل وضوء المرأة، وتوضأ عمر بالحميم ومن بيت نصرانية (١/٥٦).

الحميم: الماء المسخن.

انظر: فتح الباري (١/٢٩٩).

قال ابن حجر -رحمه الله-: "قوله: "من بيت نصرانية" هو معطوف على قوله "بالحميم" أي وتوضأ عمر من بيت نصرانية، وهذا الأثر وصله الشافعي، وعبدالرزاق وغيرهما عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم عن أبيه به، ولفظ الشافعي: "توضأ من ماء في جرة نصرانية"..

وفيه دليل على جواز استعمال مياه أهل الكتاب من غير استفصال". اهـ. فتح الباري (الموضع السابق).

الدخول، استدل به الشافعي على منع الكافر من دخول المسجد الحرام[1]، وحمل أبو حنيفة على الحج والعمرة[2] لما تقدم أن[3] علي بن أبي طالب -ﷺ- نادى في الموسم: أن لا يحج بعد هذا العام مشرك[4]، وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام[5] ﴿ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ ﴾ وهي سنة تسع من الهجرة، وكان الأمير الصديق والقول بأنه حجة الوداع مردود لا سند له[6] ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ

---

(١) انظر: الأم للشافعي (٤/٢٥٢).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/١١٤).

(٣) ق: عن.

(٤) راجع ص (١٩٧).

(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٩١٣)، الجامع للقرطبي (٨/١٠٤).

وأما الإمام أحمد فعنه روايتان الأولى: كمذهب الشافعي، والثاني: كمذهب مالك.

انظر: زاد المسير (٣/٤١٧)، المغني (٨/٥٣١).

(٦) في حاشية الأصل وَ ق: قائله القاضي.

ونص القاضي البيضاوي كما يلي (١/٤٠١): "﴿ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ يعني سنة براءة وهي التاسعة، وقيل: سنة حجة الوداع". اهـ.

وقد نسب هذا القول أبوحيان (٥/٢٩) لقتادة.

وقد روى ابن جرير (١٤/١٩٢) عن قتادة أنه العام الذي حج فيه أبوبكر -ﷺ-.

عَيۡلَةً ﴾ فقراً وفاقة، يقال: عال افتقر(١). قال أُحَيْحَة(٢):

وما يدري الفقيرُ متى غِناه/ وما يدري الغنيُّ متى يَعيلُ(٣)

كانوا يرتفقون بقدومهم بالتجارة وأنواع المكاسب.

﴿ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ الواسع بأن يسبب لكم أسباباً أُخر لم يخطر بخاطركم وكان كذلك فأسلم [أهل](٤) تَبالة(٥) وجُرَش(٦) من اليمن وهما

---

(١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٥٥)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤١).

(٢) أحَيْحة بن الجُلَاح بن الحريش أبوعمرو، شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم، وكان سيد الأوس في الجاهلية.

انظر: الكامل لابن الأثير (١/٤٠٤)، الأعلام (١/٢٧٧).

(٣) انظر البيت في:

اللسان (عيل) (١١/٤٨٨)، جمهرة أشعار العرب ص (١٢٥)، الكامل لابن الأثير (١/٤٠٥)، وهو دون نسبة في مجاز القرآن (١/٢٥٥)، معاني القرآن للفراء (١/٢٥٥)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤١)، تفسير الطبري (١٤/١٩٢).

(٤) ساقطة من ق.

(٥) ص: يتاله، ق: بناله.

وتبالة: بلد في اليمن يضرب المثل بخصبها.

انظر: معجم البلدان (٢/٩).

(٦) جُرَش: ضبطها ياقوت في المعجم بالضم، ثم الفتح وذكر أقوالاً في سبب تسميتها (٢/١٢٦).

بلدتان شهيرتان بالخصب فامتاروا لهم من كل نوع[1] ثم تواترت الفتوح والغنائم، وتوجه إلى مكة الناس من كل فج عميق[2].

﴿ إِن شَآءَ ﴾ قيده [به][3] ليدل على أن ذلك ليس لسابقة وجوب واستحقاق منهم، بل متفضل في ذلك.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ كامل العلم ﴿ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ في الإعطاء والمنع[4] ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا ﴾[5].

﴿ قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ لما بيّن حال

---

(١) ذكره الفراء (٤٣١/١)، والزمخشري (٣١/٣)، والبيضاوي (٤٠١/١)، وقد رواه البغوي (٣٣/٤) عن مقاتل دون ذكر تبالة وفيه: "أسلم أهل جدة وصنعاء وجريش من اليمن..."

وانظر: الوسيط (٤٨٨/٢)، زاد المسير (٤١٨/٣).

(٢) وقال بعض المفسرين: أغناهم بالجزية، وقيل: بإنزال المطر.

انظر: المراجع السابقة.

ولا مانع من انتظام الآية للأقوال كلها لأنه لا تعارض بينها.

(٣) ساقط من: ص.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (٤٠١/١).

(٥) سورة الشورى، آية: (٢٧).

المشركين وما يعاملون به من القتال والأحكام أردفه قضية أهل الكتاب وما يتعلق بهم من الأحكام[1].

والمعنى: قاتلوا الذي لا يؤمنون بالمبدأ والمعاد فإن النصارى يقولون: إن اللهَّ ثالث ثلاثة، واليهود يقولون: عزير ابن الله، وإيمانهم باليوم الآخر ليس بإيمان لأنهم يعتقدونه[2] على خلاف ما هو عليه[3] ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ[4] وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: دين[5] اللهَّ الذي شرعه لعباده[6]، أو دين النبي الثابت[7] الذي لا يرد بعده ناسخ، أو الدين الذي هو الحق وهو الإسلام

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١٦/٢٣).

(٢) ص: يعتقدون.

(٣) قال الرازي في التفسير الكبير (١٦/٢٤): "واعلم أن المنقول عن اليهود والنصارى إنكار البعث الجسماني، فكأنهم يميلون للبعث الروحاني". اهـ.

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤١)، تفسير السمرقندي (٢/٥٢).

(٤) ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ هذا الجزء من الآية ساقط من الأصل.

(٥) ص: دين الحق.

(٦) رواه البغوي (٤/٣٣) عن قتادة قال: الحق هو الله.

(٧) وهو قول البيضاوي (١/٤٠١).

من إضافة الموصوف إلى الصفة[1] ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بيان ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ ﴾ غاية القتال المأمور به. والجزية: اسم للمال المأخوذ منهم في كل عام[2]، فِعلة من: جَزى الدَّيْن قضاه[3].

﴿ عَن يَدٍ ﴾ متعلق بـ ﴿ يُعْطُواْ ﴾أي: يعطونها منقادين[4] من قولهم: فلان أعطى بيده إذا انقاد واستسلم من غير حرب، أو حتى يعطوا يداً بيد أي: نقداً لا نسيئة[5]، أو يعطوا بيدهم[6]، ولهذا لا يجوز التوكيل بأدائها، أو يراد يد الآخذ

(١) هذا القول هو الذي صدَّر به البغوي (٣٣/٤)، والزمخشري (٣٢/٣)، وأبو حيان (٣٠/٥) الأقوال في الآية.

(٢) انظر: المغني (٤٩٥/٨)، القاموس الفقهي ص (٦٢).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (جزى) (٤٥٥/١)، الطبري (١٩٩/١٤).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٤٢/٢)، ونسبه النحاس في معاني القرآن (١٩٩/٣) لأكثر أهل اللغة. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٥٦/١): "كل من انطاع لقاهر بشيء أعطاه من غير طيب نفس به وقهر لــه من يد في يد فقد أعطاه عن يد". اهــ. وبنحوه قال الطبري (١٩٩/١٤).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٣٣/٤)، زاد المسير (٤٢٠/٣)، البحر المحيط (٣١/٥).

(٦) رواه البغوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (٣٣/٤)، وصححه النحاس في معاني القرآن (١٩٩/٣).

وانظر: الطبري (٢٠١/١٤).

أي[1]: يعطوها بسبب يد قاهرة مستولية عليهم[2]، أو اليد مجاز عن الإنعام أي: يعطوها لما مُنَّ عليهم بإبقاء[3] مهجهم[4] بين أظهر المسلمين آمنين[5].

﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أذلاء من الصَغَار أي[6]: يؤدونها على حالة الذل والحقار[7] [بأن يأتي بها ماشياً و][8] يأخذ المسلم بلحيته ويهزها ويقول: أدِّ الجزية يا ذمي[9]، والآية وإن وردت في أهل الكتاب، لكن أبو حنيفة -رحمه الله-

---

(١) ص: أو.

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٤٤٢/٢).

(٣) ق: بإيفاء.

(٤) ص: مهجتهم.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٢٢/٢)، معاني القرآن للنحاس (١٩٨/٣)، تفسير البغوي (٣٣/٤)، وقد ذكر هذه الأقوال في الآية جميعها الزمخشري (٣٢/٣)، والبيضاوي (٤٠١/١-٤٠٢).

(٦) ص: أو.

(٧) ق: الحقارة.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٩) قاله الزمخشري بنحوه (٣٢/٣)، ونقل البغوي (٣٣/٤) عن الكلبي قال: "إذا أعطى الجزية صفع على قفاه". وإلى نحو من هذا ذهب أبو الخطاب كما في المغني (٥٣٧/٨). وقد ذكر هذا القول جمع من المفسرين.

انظر: المراجع الآتية.

ألحق بهم سائر الكفار سوى مشركي العرب(١) لما روى الزهري أن رسول الله ﷺ صالح على الجزية عبدة الأوثان إلا من كان من العرب(٢).

وعند مالك: [يؤخذ](٣) من كل كافر سوى المرتد(٤)، وعند الشافعي -رحمه الله-: من المجوس فقط(٥) لقوله ﷺ: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير

وذهب كثير من المفسرين إلى أن الصغار هو الذلة، وأن دفعهم الجزية وجريان أحكام الإسلام عليهم هو الصغار دون هذه الصور التي لم يقم عليها دليل، قال ابن القيم بعد أن نقل بعض الصفات التي ذكرها العلماء في صغار أهل الذمة عند بذل الجزية من الجر والامتهان ونحو ذلك، قال -رحمه الله-:

"وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هو مقتضى الآية ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك. والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم، وإعطاء الجزية فإن التزام ذلك هو الصغار". اهـ. أحكام أهل الذمة ص (٢٤).

وما اختاره ابن القيم هو قول الإمام الشافعي -رحمه الله-.

قال البغوي: "قال الشافعي -رحمه الله-: الصغار هو جريان أحكام الإسلام عليهم". اهـ. (٣٤/٤).

وانظر: تفسير الطبري (٢٠٠/١٤)، معاني القرآن للنحاس (٢٠٠/٣)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٣٠٢/٢)، البسيط (٤٦٢/٢)، المغني (٥٣٧/٨)، تفسير ابن كثير (٧٥/٤).

(١) قال الجصاص في أحكام القرآن: "قال أصحابنا: لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف، وتقبل من أهل الكتاب من العرب ومن سائر كفار العجم الجزية". (١١٩/٣).

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف (٨٦/٦ رقم ١٠٠٩١).

(٣) ساقط من ق.

(٤) انظر: الكافي لابن عبدالبر (٤٧٩/١)، أحكام القرآن لابن العربي (٩١٩/٢).

(٥) أي: مع أهل الكتاب، وهو مذهب الإمام أحمد -رحمه الله-.

ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم»[1]. وأقلها دينار في كل سنة[2] سواء فيها الغني

وحجتهم أن الله تعالى أمر بقتال المشركين مطلقاً فقال: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٥.

ثم خص أهل الكتاب بأخذ الجزية، وألحق بهم الرسول ﷺ المجوس فبقي من عداهم على مقتضى العموم.

انظر: الأم (٢٤١/٤)، زاد المسير (٤٢١/٣)، الكافي لابن قدامة (٣٤٦/٤)، المجموع (٣٨٧/١٩).

(١) رواه مالك في الموطأ كتاب الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس (٢٧٨/١) من حديث عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه- مختصراً، وله قصة، ورواه أيضاً عبدالرزاق في المصنف (٦٨/٦ رقم ١٠٠٢٥)، وأبويعلى في مسند عبدالرحمن بن عوف (١٦٨/٢ رقم ٨٦٢)، والبيقهي في السنن الكبرى، كتاب الجزية، باب المجوس أهل كتاب والجزية تؤخذ منهم (١٨٩/٩). كلهم من حديث عبدالرحمن بن عوف، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٦١/٦)، وقال: "هذا منقطع مع ثقة رجاله... وله شاهد من حديث مسلم بن العلاء الحضرمي أخرجه الطبراني في آخر حديث بلفظ: «سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب».

ويدل لذلك أيضاً ما رواه البخاري في كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب (٦٢/٤): "أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر".

(٢) لما جاء في الحديث: أن النبي ﷺ أمر معاذاً حين بعثه إلى اليمن أن يأخذ من كل حالم ديناراً.

رواه الترمذي، كتاب الزكاة، باب زكاة البقر (٢٠٤/٢)، والبغوي في التفسير (٣٥/٤)، وشرح السنة (١٧٢/١١)، والحاكم في المستدرك (٣٩٨/١)، وصححه ووافقه الذهبي.

والفقير، وعند أبي حنيفة -رحمه الله-: ثمانية وأربعون درهماً على الغني، ونصفها على المتوسط، وربعها على الفقير الكسوب[1].

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ شروع في بيان عدم ديانتهم، والقائل طائفة منهم، عن ابن عباس -ﷺ-: "جاء[2] إلى رسول الله ﷺ سَلاَّم بن مشْكَم[3]

وهذا القول هو قول الإمام الشافعي ورواية عن أحمد.

انظر: الأم (٤/٢٥٣)، المغني (٨/٥٠٢).

(١) وهذا القول رواية عن الإمام أحمد.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/١٢٥)، الكافي لابن قدامة (٤/٣٤٨).

وذهب بعض أهل العلم إلى عدم تحديد مقدار الجزية، وأن ذلك راجع إلى اجتهاد الإمام بحسب ما يراه من المصلحة دون أن يكلفهم فوق طاقتهم. وهو قول عطاء بن أبي رباح ورواية عن الإمام أحمد.

انظر: المغني (٨/٥٠٢)، الجامع للقرطبي (٨/١١١).

(٢) في الأصل وَ ص: "رضي الله عنه منهم جاء" وهي زيادة لا وجه لها.

(٣) في الأصل وَ ص: مشلم، وفي ق: مسلم، والمثبت أعلاه هو الموافق لما في الأصول.

انظر: المراجع الآتية.

وسلاّم بن مشكم: سيد بني النضير في زمانه وصاحب كنزهم، وهو الذي نهى قومه عن إلقاء الحجر على رسول الله ﷺ وقال: هو يعلم. وهو زوج زينب بنت الحارث التي أطعمت النبي ﷺ =

ونعمان بن أبي أوفى(١) وشاس(٢) بن قيس(٣)، ومالك بن الصيف(٤) فذكروا ذلك فنزلت"(٥) وشبهتهم أنه لما أحياه الله تعالى وكان يحفظ التوراة قالوا: ما جمع الله

الشاة المسمومة في خيبر.

انظر: السيرة النبوية (٢/١٢٧، ١٦١) الكامل لابن الأثير (٢/٦٥، ١٠٢).

(١) نعمان بن أبي أوفى: أبوأنس حبر من أحبار بني قينقاع الذين ناصبوا رسول الله ﷺ العداء.

وقد وقع في السيرة (٢/١٨٢)، وتفسير الطبري (١٤/٢٠٢) بحذف: أبي، وفي موضع آخر من السيرة (٢/١٢٨) بإثباتها.

(٢) ص: شاش.

(٣) حبر من أحبار بني قينقاع، شديد الحسد لرسول الله ﷺ عظيم الكراهية للمسلمين، سعى في الوقيعة بين الأوس والخزرج بتذكيرهم ما جرى بينهم في الجاهلية يوم بعاث.

انظر: السيرة النبوية (٢/١٢٨، ١٦٩، ١٧٩).

(٤) من أحبار بني قينقاع المعادين لرسول الله ﷺ.

انظر: السيرة النبوية (٢/١٢٨، ١٦١، ١٨٠).

(٥) رواه ابن جرير (١٤/٢٠٢)، وذكره ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق بدون سند (٢/١٨٢)، وفيه أنهم قالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ... الآية ﴾.

التوراة في صدره إلا لكونه ابنه[1]، وقرأ عاصم والكسائي ﴿ عُزَيْرٌ ﴾ بالتنوين على أنه اسم عربي ﴿ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ خبره[2]، والباقون غير منون[3]؛ لأنه عجمي مثل: سليمان وهارون[4]، أو عربي و ﴿ ٱبْنُ ﴾ صفة والعلم الموصوف[5] بابن مضافاً[6] إلى علم يحذف تنوينه والخبر محذوف أي: عزيرُ ابنُ اللهِ إلهُنا أو نبيُّنا[7].

---

(١) رواه ابن جرير (١٤/٢٠٢-٢٠٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق العوفي، ورواه عن السدي أيضاً كلاهما في قصة طويلة من أخبار بني إسرائيل.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٣١)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤٢)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٦٠).

(٣) انظر: السبعة ص (٣١٣)، التيسير ص (٩٦)، الإقناع (٢/٦٩).

(٤) قال به أبو حاتم والزمخشري (٣/٣٣)، وأبو حيان (٥/٣٢).

وضعف هذا الوجه النحاس في إعراب القرآن (٢/١٣)، والعكبري في التبيان (٢/٦٤٠)؛ لأن الاسم عربي.

(٥) ق: موصوف.

(٦) في الأصل: مضاف.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤٢)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٦٠)، البيان لابن الأنباري (١/٣٩٧)، التبيان للعكبري (٢/٦٤٠)، وقد ضعّف هذا القول الزمخشري (٣/٣٣)، والبيضاوي (١/٤٠٢)، وأبوحيان (٥/٣٢) وغيرهم.

وهذا الوجه ليس بوجيه؛ لأن الإنكار يرجع إلى الخبر لا البنوة[1].

والجواب بأن الوصف هذا للمدح فإنكار الخبر يتضمن إنكاره تمحل لا يليق ببلاغة القرآن[2].

أو ﴿ ٱبْنُ ﴾ خبر؛ حمل على الصفة أو حذف للساكنين حملاً للمنون على حرف

---

(١) كذا في الأصل، وفي سائر النسخ: النبوة.

قال عبدالقاهر الجرجاني -بعد أن ساق هذا الوجه-: "وفي هذا أمر عظيم، وذلك أنك إذا حكيت عن قائل كلاماً أنت تريد أن تكذبه فيه فإن التكذيب ينصرف إلى ما كان خبراً دون ما كان صفة.

تفسير هذا: أنك إذا حكيت عن إنسان أنه قال: "زيد بن عمرو سيد" ثم كذبته فيه لم تكن قد أنكرت بذلك أن يكون زيدٌ ابنَ عمرٍو، ولكن أن يكون سيداً... إلخ" دلائل الإعجاز ص (٣٧٦).

وانظر: تفسير البيضاوي، البحر المحيط (الموضعين السابقين)، حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٥٧).

(٢) قال التفتازاني -بعد أن رد توجيه هذه القراءة بنحو ما ذكر المؤلف- قال -رحمه الله-: "وقد يُتمحل فيجاب أن الصفة ههنا للعلية أو للمدح فإنكار المعبودية يتضمن إنكارها". حاشيته على الكشاف (الموضع السابق).

و لم أقف على قائل معين.

وانظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/٥٥٦)، روح المعاني (١٠/١١٩).

المد بجامع مد الصوت كما في رواية هارون[1] عن أبي عمرو [في][2]: ﴿ أَحَدُ ۝ ٱللَّهُ ﴾[3][4]. وسواء جعل ﴿ ٱبْنُ ﴾ وصفاً أو خبراً فالألف ثابت في الرسم[5].

---

(١) هارون بن موسى أبو عبدالله الأعور العتكي البصري الأزدي مولاهم، صدوق عالم بوجوه القراءات، توفي قبل المائتين.

انظر: غاية النهاية (٢/٣٤٨).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) سورة الصمد، آية ١-٢. قال ابن مجاهد في السبعة ص (٧٠١): "وقرأ أبو عمرو: ﴿ أَحَدُ ۝ ٱللَّهُ ﴾ بغير تنوين فيما حدثني به الخزاز عن محمد بن يحيى عن عبيد عن هارون عنه: ﴿ أَحَدُ ۝ ٱللَّهُ ﴾ يقف على (أحد) ولا يصل فإن وصل قال: ﴿ أَحَدُ ۝ ٱللَّهُ ﴾ بالتنوين... وعن هارون عن أبي عمرو ﴿ أَحَد ۝ ٱللَّهُ ﴾ لا ينون وإن وصل". اهـ.

وانظر: الموضح (٣/١٤١١).

(٤) وهذا القول هو قول الطبري (١٤/٢٠٤)، وذكره الفراء (١/٤٣١)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/١٢) وعبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ص (٣٧٦)، وابن الأنباري في البيان (١/٣٩٧). وضعَّفه الزمخشري (٣/٣٣)، وأبو حيان (٥/٣٢).

وراجع توجيه القراءة في: الحجة لابن خالويه ص (١٧٤)، الكشف لمكي (١/٥٠١)، الموضح (٢/٥٠٩).

(٥) قال أبو عمرو الداني في المقنع ص (٣٠): "وأجمع كتاب المصاحف على إثبات ألف الوصل في =

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ قول طائفة منهم[1]،

قوله: ﴿ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ و ﴿ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ حيث وقعا وهو نعت، كما أثبتوها في الخبر في نحو قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾". اهـ.

ولعل مراد المؤلف -رحمه الله- من ذكر ذلك الجواب على قول مكي في الكشف (٥٠١/١): "إذا جعلت "ابنا" خبراً أثبت ألف الوصل في الخط في "ابن"، فإذا جعلته صفة لم تثبت الألف في الخط في "ابن"" اهـ. وبنحوه قال ابن أبي مريم في الموضح (٥٩٢/٢).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٠٢/١).

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إلى أن هذا قول طوائف النصارى المشهورة كلها مدعماً ما ذهب إليه بالنقول عنهم فيقول -رحمه الله- في الجواب الصحيح (١٠/٢-١٢): "قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ سورة المائدة، آية: ١٧، ٧٢ في الموضعين، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ سورة المائدة، آية: ٧٣، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡ ﴾ سورة النساء، آية: ١٧١، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣٠، والنصارى قالت الأقوال الثلاثة فذكر الله عنهم هذه الأقوال، لكن من الناس من يظن أن هذا قول طائفة منهم، وهذا قول طائفة منهم كما ذكره طائفة من المفسرين..." إلى أن قال:

"والصواب أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة: الملكية واليعقوبية والنسطورية..." ثم ساق ما يدل على ذلك.

وشبهتهم: أنه ولد من غير أب ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ليس له معنى في الأعيان[1] مثل أصوات البهائم، تكذيبٌ لهم على أقبح الوجوه.

﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ المضاهاة: المشابهة[2]. والمعنى يشابهون قدماءهم في هذا الكفر[3]، أو المشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله[4] أو اليهود في قولهم: عزير ابن الله؛ لأن اليهودية أقدم[5].

قرأ عاصم بكسر الهاء، وهمزة مضمومة بعدها من ضاهأ وهي لغة، والفصحى قراءة الجمهور[6].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤٣)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٣٠٢)، الكشاف (٣/٣٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٢).

(٢) انظر: الصحاح (ضهى) (٦/٢٤١٠).

(٣) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص (٤٢٥)، والزجاج في معاني القرآن (٢/٤٤٣).

وانظر: زاد المسير (٣/٤٢٥).

(٤) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (١٤/٢٠٦).

ورواه البغوي (٤/٣٨) عن مجاهد والحسن.

(٥) رواه ابن جرير (١٤/٢٠٦) عن قتادة والسدي وابن جريج.

وانظر الأقوال الثلاثة في: الكشاف (٣/٣٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٢).

(٦) قرأ السبعة -غير عاصم-: (يُضَاهُون) بدون الهمزة.

﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ دعاء عليهم بالهلاك، والمراد التعجيب مما[1] صدر منهم حتى استحقوا أن يدعو عليهم أرحم الراحمين بالهلاك ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ﴾ كيف يصرفون[2] عن الحق الأبلج، من أفَكَه: صَرفَه[3].

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ استئناف لبيان أفكهم عن الحق. والأحبار: جمع حبْر -بالكسر والفتح-، ومعناه العالم مشتق من الحُبُور: وهو الجمال والزينة ولا جمال فوق العلم، والمراد علماء اليهود[4]،

انظر: السبعة ص (٣١٤)، التيسير ص (٩٧).

وقال الطبري (٢٠٧/١٤) عن قراءة عاصم: "وهي لغة ثقيف". اهـ.

وصوَّب قراءة الجمهور: "لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار، واللغة الفصحى".

انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (١٨٧/٤)، الكشف لمكي (٥٠٢/١)، الموضح (٥٩٢/٢)، تفسير البيضاوي (٤٠٢/١).

(١) ق: التعجب بما.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن ص (٥٢٥).

(٣) انظر: لسان العرب (أفك) (٣٩١/١٠).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (حبر) (٣٤/٥)، أساس البلاغة (حبر) ص (٧١).

والرهبان: جمع رَاهِب من الرهبة وهي الخوف أو التَّرَهُّب وهو التعبد[1].

عن عدي بن حاتم أنه قال: "انتهيت إلى رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي[2]: «اطرحه وقرأ[3]: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فقلت: يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم، فقال: «أليسوا[4] يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرمه؟» قلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»[5]. وعن فضيل ابن عياض: "ما أبالي أطعت مخلوقاً في معصية أو صليت لغير القبلة"[6].

﴿ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ ادعوا فيه الألوهية/ كما هو مذهب بعضهم،

---

(١) انظر: أساس البلاغة (رهب) ص (١٨١)، لسان العرب (رهب) (٤٣٦/١).

(٢) ق: وقال: اطرحه.

(٣) ق: وقال.

(٤) ق: أليس.

(٥) حاشية في الأصل غير واضحة وفي حاشية ص: حديث عدي رواه الطبري والطبراني، والبيهقي وغيرهم (منه).

والحديث رواه الترمذي، تفسير القرآن، سورة براءة (٢٤٨/٨)، وابن جرير (٢٠٩/١٤-٢١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٦/١٠)، وابن عبدالبر معلقاً في جامع بيان العلم وفضله (١٠٩/٢).

وقد حسَّن الحديث الشيخ الألباني -رحمه الله- في غاية المرام ص (١٩ رقم ٦).

(٦) انظر: الكشاف (٣٥/٣).

أو حين أثبتوا لـه البنوة فقد أهلوه للألوهية، ألا يرى إلى قوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ ﴾ أي: اليهود والنصارى[2] أو ما اتخذوه معبوداً من الأحبار والرهبان والمسيح[3] ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ هو المستحق للعبادة، وطاعة الرسل والعلماء لا تسمى عبادة؛ لأنهم وسائط في تبليغ الأحكام[4].

---

(١) سورة الزخرف، آية: (٨١).

وهذا القول للزمخشري في الكشاف (٣/٣٥) وغيره.

وذلك أن معنى آية الزخرف -كما فسرها الزمخشري (٥/٤٥٨)- "﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾، وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ ﴾ من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له... إلخ".

وانظر: البحر المحيط (٨/٢٨).

(٢) هذا القول قول أكثر المفسرين كالطبري (١٤/٢١٣)، وأبي حيان (٥/٣٣) وغيرهم.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٢) البحر المحيط (٥/٣٣).

(٤) قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ سورة النساء، آية: ٦٤.

وقال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل، آية: ٤٣.

فطاعة الرسل والعلماء في عبادة الله واتباع أوامره ليست من عبادتهم في شيء؛ لأنهم يبلغون أمر الله ويدعون الناس إلى عبادته لا إلى عبادة أنفسهم.

انظر: رسالة الواسطة بين الخلق والحق لشيخ الإسلام ابن تيمية. مجموع الفتاوى (١/١٢١).

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ صفة ثانية مفيدة للتوحيد لكون المحصور فيه لا يحتمل الشركة[1] ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ أنزهه عن أن يكون لـه شريك.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ آياته الدالة على تفرده بالألوهية في الآفاق والأنفس، أو المعجزة الباهرة[2] التي هي في الجلاء والظهور كالنور، وقد عبر عن القرآن بالنور في مواضع شتى[3]، أو المراد بالإطفاء تحريف نعته وأنه ليس

---

(١) فإن الله إله واحد -ﷻ-، والشرك في الألوهية مما لا يستقيم عقلاً وشرعاً وفطرة.

ومعنى كلام المؤلف أن قوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ صفة ثانية لـ ﴿ إِلَٰهًا ﴾ وهذه الصفة تفيد التوحيد من جهة أن المحصور فيه وهو قوله: ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ ضمير راجع إلى الإله، وهو لا يحتمل غيره تعالى.

(٢) لم يذكر الزمخشري إلا القول الثاني (٣/٣٥)، وأشار البيضاوي (١/٤٠٣) إلى القولين.

وقال كثير من المفسرين: نوره: دين الإسلام.

انظر: تفسير الطبري (١٤/٢١٤)، تفسير البغوي (٤/٣٩)، البسيط (٢/٤٨٦)، تفسير ابن كثير (٤/٧٨).

(٣) كقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة المائدة، آية: (١٥).

وقوله: ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ سورة الشورى، آية: (٥٢).

بالموعود[1].

﴿ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بأكاذيبهم من غير أن يكون لها أصل ترجع إليه[2] ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ لا يرضى[3] إلا بإعلاء توحيده وإعزاز الإسلام[4]، الاستثناء مفرغ[5] في محل النصب مفعول ﴿ يَأْبَى ﴾؛ لأنه منفي في المعنى[6] ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه[7].

---

(١) ق: بالمنعوت.

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/٣٤).

(٣) ص: ولا يرضى.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٣).

(٥) الاستثناء المفرغ: هو الاستثناء بإلا في كلام غير تام (وهو الذي لم يذكر فيه المستثنى منه).

وشرطه: كون الكلام غير إيجاب وهو: النفي والنهي والاستفهام الإنكاري.

انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٢/٢٥٣).

(٦) وهذا هو قول الفراء (١/٤٣٣)، والزمخشري (٣/٣٦)، والبيضاوي (١/٤٠٣).

وذهب الزجاج إلى أن المستثنى منه محذوف تقديره: ويأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره. (٢/٤٤٤).

(٧) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٣).

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ سيق لإقناطهم عما هم بصدده من إطفاء نور الله؛ لأن الذي تفرد بالتأثير في الكائنات يريد إظهار دينه على سائر الأديان أو إظهار رسوله على سائر أهل الأديان(١)، وإذا [أراد](٢) شيئاً كان لا محالة ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ذلك.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ تصدير الآية بنداء المؤمنين في أثناء عد(٣) قبائح أهل الكتاب(٤) للتحذير عن سلوك طريقهم، وخص(٥) الأكل لأنه الغرض الأعظم من المال(٦)، والأموال المأخوذة بالباطل: هي تلك الرشى التي كانوا يأخذونها على

(١) انظر القولين في: زاد المسير (٣/٤٢٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٣)، وهما قولان متلازمان لا تعارض بينهما.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) ق: وعد.

(٤) ق: قبائح اليهود.

(٥) كذا في الأصل، وسائر النسخ بدون الواو.

(٦) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٣).

الأحكام[1] ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بالتحريف، وقولهم: ليس هو الموعود ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، عطف على ﴿ كَثِيرًا ﴾ إذ[2] المراد أن الأحبار والرهبان جامعون لهاتين الرذيلتين: أخذ[3] الرشى، وكنز الأموال والضِّنة بها عن الإنفاق في سبيل الله، أو استئناف في محل الرفع والمراد: المسلمون الكانزون، قرن بينهم وبين من ارتشى من الأحبار تغليظاً وزجراً عن ارتكابه[4]، وعن زيد بن وَهْب[5]: مررت على أبي ذر بالرَّبَذَة[6] فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنت بالشام قرأت:

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٦)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٣).

(٢) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص: أو، ولعل المثبت أعلاه أقرب للصواب.

(٣) ق: أكثر.

(٤) انظر: الكشاف (٣/٣٦)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٣).

(٥) زيد بن وهب الجهني، تابعي كبير، رحل إلى النبي ﷺ فقبض ﷺ وهو في الطريق، روى عن عمر وعثمان وأبي ذر -رضي الله عنه- وغيرهم. وعنه: أبوإسحاق والأعمش وغيرهما. ثقة مات سنة ست وتسعين.

انظر: الكاشف (١/٢٦٩)، تهذيب التهذيب (٣/٤٢٧).

(٦) الربذة: تقع إلى الجنوب الشرقي من المدينة المنورة بحوالي ٢٠٠ كيلاً، سكنها أبوذر -رضي الله عنه- وتوفي =

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ قال معاوية: "إنما هي في أهل الكتاب"، قلت: "فينا وفيهم"[1]، وعن عبدالله بن عمر: "أن هذا كان قبل أن ينزل الزكاة فلما نزل جعلها الله طهرة للأموال"[2].

وعنه ﷺ: «ما أُدِّيَ زكاته فليس بكنـز»[3] وما ورد من الأحاديث الدالة على

بها عام ٣٢هـ.

انظر: معجم البلدان (٣/٢٤)، كتاب الربذة صورة للحضارة الإسلامية.

(١) رواه البخاري كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ... الآية ﴾ (٥/٢٠٣).

(٢) رواه البخاري كتاب التفسير (سورة براءة) باب: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ... الآية ﴾ (٥/٢٠٤).

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/١٢٦٢)، والبيهقي في السنن (٤/٨٢-٨٣) كلهم من طريق سويد بن عبدالعزيز عن ابن عمر مرفوعاً.

قال الهيثمي في المجمع: "فيه سويد بن عبدالعزيز وهو ضعيف". (٣/٦٤).

وقال ابن عدي (الموضع السابق): "رفعه سويد، وغيره رواه موقوفاً". اهـ.

وقد رواه البيهقي (٤/٨٣) من طريق نافع وعبدالله بن دينار عنه موقوفاً وقال: وهذا هو الصحيح اهـ.

إثم كنز الأموال إنما ورد قبل وجوب الزكاة[1].

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ إنما لم يقل تحمى من قولهم: حمي الميْسَم[2] وأحميته لقصد المبالغة؛ لأن معناه أن النار تحمى وتوقد[3] ذات حر شديد على تلك الأموال، فإذا كان الإحماء للنار أفاد مبالغة، وإنما قال: ﴿ عَلَيْهَا ﴾ والمذكور شيئان[4] نظراً إلى الكثرة في المعنى[5] على ما روي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال: "أربعة آلاف نفقة وما فوقها كنز"[6]، أو الضمير للكنوز والأموال فإن الحكم عام[7].

---

(١) وبعد وجوب الزكاة فيمن لم يؤدها أو كانت هذه الأموال مشغلة لـه عما أمر به من طاعة الله ومرضاته.

وانظر هذه الأحاديث في: الطبري (١٤/٢٢٠-٢٢٢)، البغوي (٤/٤٢-٤٣).

(٢) قال في القاموس (وسم) ص (١٥٠٦): الميسم بكسر الميم: المكواة.

(٣) في الأصل: "يحمى ويوقد"، غير منقوطة، وفي ص: بالياء، والمثبت أعلاه من ق وهو الموافق لما في الكشاف (٣/٤٠)، والبيضاوي (١/٤٠٣).

(٤) في الأصل: شيئاً، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) انظر: الكشاف (٣/٤٠).

وانظر: القول مع قول علي -رضي الله عنه- الآتي في تفسير البيضاوي (١/٤٠٣).

(٦) رواه عبدالرزاق في المصنف (٤/١٠٩ رقم ٧١٥٠)، وابن جرير (١٤/٢١٩).

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٣٤)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤٥)، تفسير الطبري (١٤/٢٢٨)، الكشاف (٣/٤٠)، البيضاوي (١/٤٠٣).

وتخصيص الحجرين[1] بالذكر لكونهما أشرف الأموال[2] وأكثر ما يكنز.

وخص الأعضاء الثلاثة بالذكر: لأن شأن الشحيح أنه إذا وقع بصره على الفقير[3] يقطب وجهه، ثم إذا علم أنه متوجه إليه أعرض عنه وأعطاه جانبه فإذا لم يرجع الفقير عنه ولاه ظهره فاختصت بالعذاب؛ لأنها الأعضاء الخاطئة كقوله: ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾[4]، أو لأن إمساكهم لتلك الأموال كان لحب[5] الوجاهة[6] بها والتنعم بالملابس التي تتحلى بها الجنوب والظهور، أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن ومآخره[7] وجنباه، أو لأنها أشرف الأعضاء[8].

﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ على إرادة القول[9]، لما أحميت عليها في النار

---

(١) أي: الذهب والفضة.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٤٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٣).

(٣) ق: بالفقير.

(٤) سورة النساء، آية: (١٠).

(٥) ق: يحب.

(٦) في الأصل: الوهاجة، وهو تحريف، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) ق: مؤخرة.

(٨) انظر هذه الأوجه في: تفسير البغوي (٤/٤٤)، الكشاف (٣/٤٢)، زاد المسير (٣/٤٣١)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٤).

(٩) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٥)، الكشاف (٣/٤١)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٤).

لم يعلموا أنها هي تلك الأموال فإذا علموا زاد عذابهم؛ لأن وجدان الشر من حيث يحتسب الخير أشد.

﴿ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ وبال كنزكم، أو ما كنتم تكنزونه[1]، والمراد مقاساة ذلك العذاب الأشد عبر عنه بالذوق تهكماً.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ إشارة إلى نوع آخر من قبائح المشركين، والمعنى: أن السنة التي عليها مدار ضبط الوقائع عدد شهورها التي مدارها على القمر [في قطع منازله اثنا عشر شهراً مفصلة على الفصول الأربعة، ومعنى كونها ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾: أنه الذي قدَّر ذلك في الأزل وعلى ذلك الوجه أبرزها][2] في اللوح المحفوظ[3] وقت خلق السماوات والأرض وهو[4] الوقت الذي ابتدأ منه سير القمر.

---

(١) انظر: الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وما أثبته من سائر النسخ.

(٣) قال الواحدي بعد أن ذكر أن المراد بقوله: ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ اللوح المحفوظ قال: "وهو قول عامة أهل التأويل". اهـ. البسيط (٢/٥٠٥).

(٤) ص: بحذف الواو.

﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ جمع حرام: رجب مضر، ويقال له: الأَصَبّ[1]؛ لأنه يصب[2] فيه البركات، والأصم؛ لأنه تصم الآذان فيه عن سماع قعقعة السلاح[3] نطق بها الحديث[4]، وذو القعدة وذو الحجة ومحرم.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ الذي لا اعوجاج فيه، إشارة إلى أن ما كانوا فيه من النسيء الآتي ذكره لم يكن من الدين في شيء ﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ فإن حرمة المعاصي فيها أشد[5] سوى رمضان فإنه سيد الشهور والظلم فيه في نهاية القبح.

والأئمة [الأربعة][6] على أن حرمة القتال مع المشركين منسوخة بقوله: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[7] أي: في الحل والحرم، وإذا جاز قتالهم في

(١) ق: الأصيب.

(٢) ق: يصيب.

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٨٥)، الكشاف (٣/٤٢)، النهاية (صمم) (٣/٥٤).

(٤) لم أقف على من خرج الحديث، وقد ذكره ابن الأثير في النهاية (الموضع السابق) ولفظه: "شهرُ اللّه الأصمُّ رجب" واللّه أعلم.

(٥) رواه ابن جرير عن قتادة (١٤/٢٣٨)، ونسبه ابن الجوزي (٣/٤٣٤) للأكثرين.

(٦) ساقط من ق.

(٧) سورة النساء، آية: (٨٩)، ولعل المؤلف أراد آية التوبة وهي قوله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ سورة التوبة، آية: (٥).

الحرم ففي الأشهر من باب الأولى، وقيل: نسخه[1] بقوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾[2].

---

(١) ق: نسخت.

(٢) سورة براءة، آية: (١).

نسخ تحريم القتال في الأشهر الحرم هو مذهب جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة.

وذهب عطاء وغيره إلى بقاء تحريمها وعدم نسخها، وكان عطاء يحلف بالله ما يحل القتال في الشهر الحرام. رواه عنه الطبري (٣١٤/٤)، وأبوعبيد في الناسخ والمنسوخ ص (٢٠٧)، وقد استدل الجمهور بأدلة كثيرة منها: بيعة الرضوان على القتال، وكانت في ذي القعدة، وقد ضعَّف القرطبي هذا الاستدلال؛ لأن النبي ﷺ إنما بايعهم لما بلغه مقتل عثمان وأن الكفار عازمون على قتاله، فهو قتال دفع حينئذ لا ابتداء.

واستدل الجمهور بحصاره ﷺ للطائف بعد غزوة هوازن وبعضها وقع في ذي القعدة بلا شك.

واستدلوا أيضاً ببعثه أبي عامر -رضي الله عنه- في سرية إلى أوطاس وكان ذلك في ذي القعدة.

وقد أجاب ابن القيم وغيره عن هذين الاستدلالين بأن حصار الطائف وسرية أبي عامر كانا من تمام غزوة حنين التي بدأ فيها المشركون القتال.

وقد ذكر سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- في تعليقه على زاد المعاد (مساء الأحد ١٤١٧/٧/٢٧هـ) دليلاً آخر على النسخ وهو استمرار الصحابة -رضي الله عنهم- في القتال في عهد الصديق والفاروق -رضي الله عنهما- و لم ينقل عنهم أنهم توقفوا في الأشهر الحرم مع أن غالب قتالهم كان قتال طلب لا دفع. والله أعلم.

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [لا تميزوا بين طائفة وطائفة؛ لأن اسم الإشراك شامل لهم وإن امتازوا في التهود والتنصر وعبادة الأوثان(١)، وكافةُ الشيء جميعه، من كفَّ البعير: مَنَعه لأنه يكف الأفراد عن الخروج(٢) ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ وعدٌ لهم بالنصر يفيد تسكين القلب والجُرْأة(٣) على الإقدام.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ /(٤)] زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ النسيء فعيل بمعنى المفعول(٥) من نَسَأت الشيء:........................

انظر: تفسير القرطبي (٣/٤٣)، زاد المعاد (٣/٣٣٩)، كشاف القناع (٣/٣٧)، حاشية رد المحتار (٤/١٢٣).

(١) وقيل: ﴿ كَآفَّةً ﴾ حال من الفاعل، أي: قاتلوهم حال كونكم جميعاً. قال به الطبري (١٤/٢٤١) وجوَّزه الزمخشري (٣/٤٣).

(٢) انظر: لسان العرب (كفف) (٩/٣٠٦).

(٣) ص: الجرَاءة.

وفي لسان العرب (جرأ) (١/٤٤): "جَرُؤَ يجرُؤُ جُرْأةً وجرَاءة بالمد". اهـ.

(٤) ما بين المعقوفتين مكرر في الأصل.

(٥) وهو قول الجوهري.

انظر: الصحاح (نسأ) (١/٧٦).

وذهب الأزهري وأبو علي الفارسي، قال أبو حيان: "وهو ظاهر قول الزمخشري" اهـ. إلى أن =

.......أخرته[1]"، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وغارات وكان رزقهم في رؤوس أسنتهم والأشهر الثلاثة المتواليات كان يطول عليهم انقضاؤها "فكانوا يُؤخرون المحرم إلى موضع صفر ويُقدمون صفر مكانه ويقولون: إذا بَرَأَ الدَّبَر وانسلخ صفر حَلَّت العمرة لمن اعتمر"[2]، وكان جنادة بن عوف

النسيء مصدر من أنسأ.

قالوا: لأن المفعول هو الشهر المؤخر والشهر ليس زيادة في الكفر في ذاته، وإنما الزيادة في الكفر هو تأخير حرمة الأشهر من شهر إلى آخر.

انظر: تهذيب اللغة (نسأ) (٨٣/١٣)، الحجة لأبي علي الفارسي (١٩٣/٤)، الكشاف (٤٣/٣)، البحر المحيط (٤٢/٥).

(١) انظر: تهذيب اللغة، الصحاح (الموضعين السابقين).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في كتاب الحج، باب التمتع والإقران والإفراد بالحج وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي (١٥٢/٢).

ومسلم كتاب الحج، باب جواز العمرة في أشهر الحج (٩٠٩/٢ رقم ١٩٨) كلاهما بلفظ: إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر... إلخ. ومعنى "برأ الدبر" أي ما كان يحصل بظهور الإبل من الحمل عليها ومشقة السفر فإنه يبرأ بعد انصرافهم من الحج. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٥/٨).

والمقصود أنهم كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور -كما ذكر ابن عباس في أول حديثه هذا- وألحقوا بها المحرم على طريق التبعية، وعلقوا جواز العمرة بانسلاخ صفر الذي =

الكناني[1] [يأتي][2] في الموسم وهو على جمل فينادي بأعلى صوته: "يا قوم إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوا"، وفي القابل يقف على الجمل وينادي بأعلى صوته: "يا قوم إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه"[3].

وعن ابن عباس -رضي الله عنه-: أن النسيء كان في كندة[4] -وهي قبيلة

هو في الأصل محرم؛ لأنهم قد أخروا محرم إلى صفر.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٢٦/٣): "ووجه تعلق جواز الاعتمار بانسلاخ صفر -مع كونه ليس من أشهر الحج وكذلك المحرم- أنهم لما جعلوا المحرم صفراً ولا يستقرون ببلادهم في الغالب ويبرأ دبر إبلهم إلا عند انسلاخه ألحقوه بأشهر الحج على طريق التبعية وجعلوا أول أشهر الاعتمار شهر المحرم الذي هو في الأصل صفر، والعمرة عندهم في غير أشهر الحج". اهـ.

(١) جنادة بن عوف بن أمية بن قلع أبوثمامة الكناني، كان آخر النسأة، وعليه قام الإسلام، وقد نسأ الشهور أربعين سنة، اختلف أهل السير في إسلامه، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ما يدل على إسلامه.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٧٧/١)، الإصابة (٢٥٨/١).

(٢) ساقطة من ص.

(٣) رواه ابن جرير (٢٤٥/١٤-٢٤٧) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، ومجاهد وقتادة بألفاظ مقاربة، وتسمية عوف إنما وقعت في أثر ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٤) كندة قبيلة عظيمة مشهورة مكانها بأرض اليمن، وكندة أبوهم، واسمه: ثور، قيل: إنه سمي كندة لأنه كند أباه أي: كفر نعمته، قدم وفد كندة على النبي ﷺ سنة تسع وعليهم الأشعث بن قيس -رضي الله عنه-.

انظر: الأنساب (٤٨٧/١٠)، نهاية الأرب ص (٣٦٦).

باليمن-[1] واتفق أن رسول الله ﷺ سنة حج فيها حجة الوداع كان المحرم في موضعه لم يؤخروه فوقف رسول الله ﷺ على ناقته في المسجد الحرام وقال: «إن الزمان قد استدار كيوم خلق الله[2] السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم»[3]، ومعنى كونه: ﴿ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ أنه نوع منه ينضم إلى كفرهم

---

(١) ق: من اليمن. وهذا الأثر عن ابن عباس لم أقف عليه.

(٢) لفظ الجلالة غير مكتوب في ق.

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير (سورة التوبة) باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ... الآية ﴾ (٥/٢٠٤)، ومسلم كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٣/١٣٠٥ رقم ٢٩) عن أبي بكرة -رضي الله عنه- وتتمته: «**منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان...**» الحديث.

تنبيه: ذكر المؤلف -رحمه الله- أن الخطبة كانت في المسجد الحرام، والصواب أنها كانت بمنى يوم النحر، إلا إن كان مراده بالمسجد الحرام الحرم كله. والله أعلم.

وقد ورد في بيان النسيء عند العرب صفات عدة منها:

الأولى: نقل تحريم شهر محرم وتأخيره إلى صفر فيكون شهر محرم حلالاً وشهر صفر حراماً في عام، وفي العام القادم يبقون المحرم على حرمته وصفر على حله.

الثانية: إحلال المحرم وصفر في عام لحاجتهم إلى الغزو، وتحريمهما جميعاً من العام القادم، المحرم لأصل حرمته وصفر بدلاً عن المحرم في العام الماضي.

وقد روى هذه الصفة ابن جرير (١٤/٢٤٩) عن ابن زيد، واستغربها ابن كثير (٤/٩٢)، وقال: "لأنهم في عام إنما يحرمون على هذا ثلاثة أشهر فقط، وفي العام الذي يليه يحرمون خمسة أشهر فأين هذا من

السابق، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ يُضَلُّ ﴾ بضم الياء وفتح الضاد، والباقون بكسره[1] والفتح هو المختار لكونه أبلغ ذماً.

﴿ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا ﴾[2] الضمير للنسيء وقد سبق تفسيره ﴿ لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ ليوافقوا العدد الذي قدره الله، وهذا يرد ما قيل إنهم كانوا يزيدون في الأشهر[3] ﴿ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ أي: لذلك المواطأة في العدد يحلون ما حرمه[4] الله تقبيحٌ لذلك الصنيع منهم.

قوله تعالى: ﴿ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾".

انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٤٥)، تفسير السمرقندي (٢/٥٦)، زاد المسير (٣/٤٣٥)، تفسير ابن كثير (٤/٩١).

(١) عبارة المؤلف -رحمه الله- توهم أن باقي السبعة قرؤوا بضم الياء مع كسر الضاد وليس الأمر كذلك، وإنما هذه قراءة يعقوب فقط من العشرة، وأما باقي العشرة خلا من ذكر المؤلف ويعقوب فقرؤوا بفتح الياء كسر الضاد.

انظر: السبعة ص (٣١٤)، النشر (٢/٢٧٩).

(٢) ص: ما يحلونه عاماً ويحرموا عاماً.

(٣) ذكر هذا القول الزمخشري (٣/٤٣) قائلاً: "وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر".

(٤) ق: ما حرم.

﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ ﴾ أي: أضلهم الله حتى رأوا القبيح حسناً ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وإن دعاهم إلى الإسلام ونصب لهم الأدلة[1]، هم الذين ختم على قلوبهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ لامهم على ما يبدو منهم من نوع تثاقل وتكاسل، وعن ابن عباس -ﷺ- أنها نزلت في غزوة تبوك[2]، فإن رسول الله ﷺ لما عاد من غزوة

---

(١) إذ الهداية نوعان:

١- هداية الدلالة والإرشاد، وهي عامة لجميع الخلق كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ سورة الرعد، آية: (٧).

٢- هداية التوفيق والإلهام وجعل الإيمان في القلب، وهذه يمنحها الله تعالى من أراد هدايته بفضله، ويحرمها من كتب عليه الشقاء بعدله وما ربك بظلام للعبيد قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ سورة القصص، آية: (٥٦).

انظر: مدارج السالكين (٩/١).

(٢) ذكره الرازي في التفسير الكبير (٤٨/١٦).

وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية نزلت في حث من تثاقل في غزوة تبوك عن الجهاد.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٤٧/٢)، تفسير الطبري (٢٥١/١٤)، البسيط (٥٢٧/٢)، تفسير البغوي (٤٨/٤)، الجامع للقرطبي (١٤٠/٨).

حنين تجهز لغزو بني الأصفر وكان رسول الله ﷺ يوري في غزواته ولا يظهر أمره، إلا في تلك الغزوة، فإنه صرح بقصده وجلَّى للناس أمره ليتأهبوا فإنه توجه إلى عدو كثير مع بُعْد الشقة[1] وشدة الحر فتخلف عنه المنافقون وبعض المؤمنين على ما يأتي تفصيله[2]، وإنما عدى ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ ﴾ بـ ﴿ إِلَى ﴾؛ لأنه ضمن معنى الميل[3]، وأصله: تثاقلتم فأدغمت التاء في الثاء واجتلبت[4] الهمزة[5].

﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ إنكار؛ لأن يرضوا[6] بالدنيا بدل الآخرة، ثم بيَّن المانع من ذلك بقوله: ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ نزر لا يعتد به فكيف يختاره العاقل. روى مسلم عن

---

(١) ق: المشقة.

(٢) انظر: ص (٣٥٥ وما بعدها، ٤٤٢).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٤٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٤).

(٤) ق: واختلبت.

(٥) قال الزجاج (٢/٤٤٧): "المعنى تثاقلتم، إلا أن التاء أدغمت في الثاء (في الأصل التاء) فصارت ثاء ساكنة فابتدئت بألف الوصل -الابتداء-".

وانظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٣٧)، معاني القرآن للأخفش (٢/٥٥٤)، غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٨٦).

(٦) ق: يرجعوا.

المستورد(١) أن رسول الله ﷺ قال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع(٢)»(٣).

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أي: [إن](٤) لم تنفروا إذا استنفرتم وآثرتم ذلك المتاع القليل فلا يسلم لكم ذلك أيضاً، فإن اللهَّ معذبكم عذاباً أليماً يسلط عليكم العدو أو نوعاً آخر.

﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ يسارعون إلى أوامره، وفي الحديث: "أنهم

(١) ق: عن المستور.
وهو: المستورد بن شداد صحابي جليل.
انظر ترجمته في: الإصابة (٦/٨٧).

(٢) كذا في الأصل، وسائر النسخ: ترجع. قال النووي في شرح مسلم (١٧/١٩٢): "ضبطوا "ترجع" بالمثناة فوق والمثناة تحت، والأول أشهر، ومن رواه بالمثناة تحت أعاد الضمير إلى أحدكم، والمثناة فوق أعاده على الأصبع وهو الأظهر، ومعناه: لا يعلق به كثير شيء من الماء". اهـ.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا (٤/٢١٩٣ رقم ٥٥)، ولفظه: "بم يرجع"

(٤) ساقطة من ص.

أبناء فارس"[1]، وقيل: أهل اليمن[2].

﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ﴾ من الضرر أو من الأشياء فإن اللهَّ غني عن كل

(١) رواه الترمذي في التفسير (سورة محمد) (٩/١٤ رقم ٣٢٥٧). وقال: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال. اهـ.

ورواه ابن جرير (٤٢/٢٦)، وأبونعيم في تاريخ أصبهان (١/٢-٣)، وقال الذهبي في السير (٥٤٢/١): "إسناده وسط". اهـ.

وأخرج البخاري في التفسير (سورة الجمعة)، باب قوله: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ... الآية ﴾. عن أبي هريرة قال: "كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت سورة الجمعة: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي وَضَعَ رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: **«لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»** " (٦٣/٦).

والقول بأنهم أهل فارس رواه البغوي (٤٨/٤) عن سعيد بن جبير.

(٢) عزاه الواحدي في البسيط (٥٣٢/٢) لأبي روق.

وانظر: البغوي (٤٨/٤).

وقد ذهب جماعة من المفسرين منهم الزمخشري (٤٥/٣)، والبيضاوي (٤٠٥/١)، وأبو حيان (٤٤/٥)، والشوكاني في فتح القدير (٣٦٢/٢) إلى عموم الآية في هؤلاء وغيرهم -والله أعلم-.

شيء[1]، وقيل: الضمير للرسول[2] فإن الله وعده النصر ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدر على نصره بغيركم وبغير مدد.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ فسينصره من نصره[3] ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾ لم يكن معه من البشر إلا رجل واحد[4]، وإذا لاحظه بلطفه ونصره في ذلك الوقت فما ظنكم به في سائر الأوقات؟ ﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ بدل من ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ﴾ بدل البعض[5]، والغار هو[6]: الكهف في أعلى جبل ثور فإنه مكث [فيه][7] ثلاثة أيام[8] لينقطع عنه الطلب. طلبوه في ذلك الجبل وصعدوا فوق الغار فقال الصديق: "لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا فقال ﷺ: «ما

(١) نسبه ابن الجوزي (٣/٤٣٨) للحسن، وهو قول ابن جرير (١٤/٢٥٤)، وظاهر اختيار الزمخشري (٣/٤٥)، والبيضاوي (١/٤٠٥)، وأبي حيان (٥/٤٤).

(٢) وهو ظاهر قول الزجاج (٢/٤٤٨).

(٣) ص: ينصره.

(٤) انظر: الكشاف (٣/٤٥).

(٥) انظر: المرجع السابق (الموضع نفسه)، البيان لابن الأنباري (١/٤٠٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٥).

(٦) في الأصل: وهو.

(٧) ساقطة من ق.

(٨) انظر: الكشاف (٣/٤٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٥).

ظنك باثنين اللهُ ثالثهما»[1].

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ بدل ثان[2] ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ ما سكن به القلب من الأمن وقوة الجأش، والضمير لرسول الله ﷺ كسائر الضمائر[3]، ولقوله: ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ وهم الملائكة يوم بدر والأحزاب ويوم حنين[4]، وجعل الضمير لصاحبه[5] وعطف

---

(١) رواه البخاري كتاب التفسير (سورة براءة) باب قوله: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ... الآية ﴾ (٥/٢٠٤)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة -ﷺ-، باب من فضائل أبي بكر الصديق -ﷺ- (٤/١٨٥٤ رقم ١) عن أبي بكر -ﷺ-.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٤٥)، التبيان للعكبري (٢/٦٤٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٥).

(٣) وهو قول مقاتل كما في زاد المسير (٣/٤٤٠). واختيار ابن جرير (١٤/٢٦١)، ونسبه أبو حيان (٥/٤٥) للجمهور.

(٤) وفي الغار أيضاً كما يدل عليه السياق.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٤٩)، تفسير البغوي (٤/٥٣).

(٥) وهو قول علي وابن عباس -ﷺ- كما في زاد المسير (٣/٤٤٠)، واختيار الواحدي في البسيط (٢/٥٣٩)، والعكبري (٢/٦٤٥)، والبيضاوي (١/٤٠٥)، وأبو حيان (٥/٤٦)، ونسبه أبوالمظفر السمعاني للأكثرين (٢/٣٣١).

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير راجع إليهما جميعاً، وهو رواية عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ذكرها في البسيط (٢/٥٣٩)، وقول ابن الأنباري كما زاد المسير (٣/٤٤١).

وحجة أصحاب القول الثاني -الذين أعادوا الضمير إلى أبي بكر- أن النبي ﷺ كانت السكينة عليه

=

﴿ وَأَيَّدَهُۥ ﴾(1) على(2) ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ تكلف وتشويش للنظم، هذا وقد صرح به في قوله: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾(3).

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾ وهي دعوتهم إلى الشرك ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ وهي الدعوة إلى التوحيد(4) أو كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله(5) ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ لا يغلبه شيء ﴿ حَكِيمٌ ۝ ﴾ فيما دبر وشرع.

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ خفافاً في النفور لنشاطكم لـه وثقالاً عنه لمشقته عليكم، أو خفافاً لقلة عيالكم وثقالاً لكثرتها، أو خفافاً من السلاح وثقالاً منه، أو

من قبل.

انظر: زاد المسير (٣/٤٤٠).

(١) ق: أيده. بدون الواو.

(٢) في الأصل وَ ص: إلى.

(٣) سورة الفتح، آية: (٢٦).

ولعل مراد المؤلف هنا أن يبين أنه لا يلزم من إعادة الضمير إليه ﷺ أن يكون لسابق انزعاج وقلق، بل يكون لزيادة ثبات ورفعة -والله أعلم-.

(٤) ق زيادة كالتالي: وهي الدعوة إلى التوحيد أو التوحيد أو كلمة... إلخ.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٦١)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٥).

ركباناً ومشاة، أو شباباً وشيوخاً، أو صحاحاً ومراضاً[1]، وما قيل أن ابن أم مكتوم قال لرسول الله ﷺ: "أعليَّ أن أنفر؟"[2] فقال: "نعم"، حتى نزل قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾[3] ليس بشيء[4]؛ لأن هذه السورة نزلت بعد رجوعه من غزوة تبوك وهي آخر غزواته وتلك الآية نزلت في الحديبية[5]، وإنما

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٤٦-٤٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٦).

وراجع عبارات السلف في معنى ﴿ خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ في تفسير الطبري (١٤/٢٦٢)، وما بعدها، وتفسير البغوي (٤/٥٣)، وزاد المسير (٣/٤٤٢)، وتفسير ابن كثير (٤/٩٧).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، فهذه العبارات سيقت مساق الأمثلة على المعنى العام للآية.

انظر: الوسيط (٢/٤٩٩)، البحر المحيط (٥/٤٦).

(٢) ص: أنفروا.

(٣) سورة الفتح، آية: (١٧).

(٤) في حاشية جميع النسخ: رد على الكشاف والقاضي.

قال الزمخشري في الكشاف (٣/٤٧): "وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله ﷺ: أعليَّ أن أنفر؟ قال: نعم، حتى نزل قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾". اهـ.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٦).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٧/٢٩٥)، البحر المحيط (٨/٨٩).

الذي نزل في [ابن][1] أم مكتوم قوله تعالى/ : ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾[2][3].

﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ اصرفوهما منفردَين أو مجتمعَين، وفي الحديث: «من جهز غازياً فكأنما غزا بنفسه»[4].

﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ توبيخ لهم على التكاسل وإلا كونهم عالمين بخيريته لا ريب فيه.

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ أي: متاعاً من الدنيا سهل المتناول ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ متوسطاً بين القرب والبعد[5].

---

(١) ساقطة من ص.

(٢) سورة النساء، آية: (٩٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨٦/٩ وما بعدها)، أسباب النزول للواحدي ص (١٧٨).

(٤) رواه البخاري كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير (٢١٤/٣)، ومسلم كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله (١٥٠٦/٣ رقم ١٣٥) عن زيد بن خالد بلفظ: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا...» الحديث.

(٥) عبارة الزمخشري (٤٧/٣): "وسطاً مقارباً"، وقال البيضاوي (٤٠٦/١): "وسطا".

وقال ابن جرير والزجاج: سهلاً قريباً.

وعبارة كثير من المفسرين قريبة من هذا.

﴿ لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ﴾ المسافة البعيدة، سمي بها السفر البعيد لكونه شاقاً[1] ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ المنافقون المعتذرون في التخلف ﴿ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ لكن لم[2] نستطع لعدم العُدَّة أو لسقم البدن، وقوله: ﴿ لَخَرَجْنَا ﴾ ساد مسدَّ جوابي ﴿ لَوِ ﴾ والقسم[3]. ﴿ يُهْلِكُونَ

انظر: تفسير الطبري (٢٧١/١٤)، معاني القرآن للزجاج (٤٤٩/٢)، تفسير البغوي (٥٤/٤)، زاد المسير (٤٤٤/٣).

(١) انظر: مجاز القرآن (٢٦٠/١)، معجم مقاييس اللغة (شق) (١٧١/٣).

(٢) ص: لن.

(٣) قاله الزمخشري (٤٨/٣)، والبيضاوي (٤٠٦/١).

وقد اعترض أبوحيان على هذا قائلاً:

"وما ذهب إليه -الزمخشري- من أن قوله ﴿ لَخَرَجْنَا ﴾ سد مسد جواب القسم و ﴿ لَوِ ﴾ جميعاً ليس بجيد، بل للنحويين في هذا مذهبان:

أحدهما: أن ﴿ لَخَرَجْنَا ﴾ هو جواب القسم، وجواب ﴿ لَوِ ﴾ محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط إذا تقدم القسم على الشرط، وهذا اختيار أبي الحسن بن عصفور.

والآخر: أن ﴿ لَخَرَجْنَا ﴾ هو جواب ﴿ لَوِ ﴾، وجواب القسم هو ﴿ لَوِ ﴾ وجوابها، وهذا اختيار ابن مالك. أما أن ﴿ لَخَرَجْنَا ﴾ يسد مسدهما فلا أعلم أحداً ذهب إلى ذلك، ويحتمل أن يُتأول كلامه على أنه لما حُذف جواب ﴿ لَوِ ﴾ ودل عليه جواب القسم، جعل كأنه سد مسد جواب =

أَنفُسَهُمْ ﴾ بإيقاعها[1] في العذاب، أو بارتكاب ما يوجب الهلاك وهي الأيمان الكاذبة وهو بدل من ﴿ سَيَحْلِفُونَ ﴾ أو حال من فاعله[2] ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ في تلك الأيمان لأنهم كانوا مستطيعين.

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ كلام يقال في مقام التبجيل والتعظيم كما تقول لصاحبك: عفا اللهُ عنك ماذا صنعت في شأني[3]؟ وقيل: عتاب له[4] على ترك الأولى[5]. وإنما قدم العفو، وذكر الإذن الدال على علو رتبته، وأورد الإنكار

القسم وجواب ﴿ لَوِ ﴾ جميعاً". اهـ. (٥/٤٧).

(١) في ق زيادة لا محل لها، سببها انتقال نظر من الناسخ وهي: بإيقاعها كمال غباوتهم وجعلهم ساقطين.. إلخ. وستأتي هذه العبارة ص (٢٩٦-٢٩٧).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٤٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي عن ابن الأنباري (٣/٤٤٥).

(٤) ق: لك.

(٥) هذان الوجهان ذكرهما الرازي في تفسيره (١٦/٥٩-٦٠) جواباً على من احتج بالآية على صدور الذنب من الرسول ﷺ.

وانظر: الجامع للقرطبي (٨/١٥٤-١٥٥).

في صورة الاستفهام إجلالاً لـه ﷺ[1]. وكان مجتهداً في أمر الحروب يشاور أصحابه، وإذا صدر منه خلاف الأَوْلى يُنبه عليه كما في أخذ الفداء.

والقول: بأنه فعل شيئين لم يؤمر بهما: الإذن، وأخذ الفداء فعاتبه اللهُ عليهما[2]. يرد عليه قوله تعالى: ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾[3][4].

---

(١) قاله التفتازاني في حاشيته على الكشاف (لوحة ٦٦٠، ٦٦١).

وانظر: التحرير والتنوير (١٠/٢١٠).

(٢) رواه ابن جرير (٢٧٣/١٤) عن عمرو بن ميمون، وعزاه القرطبي لـه ولقتادة (١٥٤/٨)، وقد ذكر القول الزمخشري (٤٨/٣)، والبيضاوي (٤٠٦/١) مبهماً.

(٣) سورة التحريم، آية: (١).

(٤) معنى الجواب أن الحصر غير صحيح فإن لهما ثالثاً هو ما ذكر في سورة التحريم، وزاد بعض العلماء ما ذكر في صدر سورة عبس ونحوه.

وقد نقل الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (٥٧٤/٤) أن شمس الدين أحمد بن كمال باشا ذكر هذا الجواب في يوم الاثنين ثاني عشر من محرم الحرام لسنة ثمان وثلاثين وتسعمائة.

فقد يكون أحمد بن كمال باشا نقل هذا الجواب عن المؤلف -رحمه الله- أو يكونا جميعاً نقلا عن غيرهما. والله أعلم.

وقد يحمل هذا الحصر على ما يتعلق بأمر الجهاد كما نقله الخفاجي في الموضع السابق والألوسي في روح المعاني (١٥٨/١٠).

﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: يمتاز الفريقان عندك بالصدق والكذب، وإنما استعمل التبين في الصدق والعلم في الكذب؛ لأن الصدق واضح أبلج.

﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ أي: ليس من دأب المؤمنين الاستئذان في الجهاد بل يبادرون إليه فكيف بالاستئذان في التقاعد عنه(١).

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي: بهم، وضع المظهر مكان المضمر

---

(١) هذا قول الزجاج (٢/٤٥٠)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٣٦٤)، والزمخشري (٣/٤٨)، والبيضاوي (١/٤٠٦)، واستظهره أبو حيان (٥/٤٩).

وذهب ابن جرير (١٤/٢٧٤-٢٧٥)، والبغوي (٤/٥٥)، وابن كثير (٤/١٠٠)، وغيرهم أن المعنى أنهم لا يستأذنونك في ترك الغزو والقعود عنه، والتقدير: لا يستأذنك هؤلاء في أن لا يجاهدوا. وحذف حرف النفي كما في قوله تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ سورة النساء، آية: ١٧٦.

قالوا: ومما يدل على هذا القول أن ما قبل الآية وما بعدها يدل على أن حصول الذم إنما كان على الاستئذان في القعود.

انظر: التفسير الكبير (١٦/٦٢)، البسيط (٢/٥٥٥).

"شهادة لهم بالتقوى"[1].

﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ تصريح بما علم، وَذِكْرُ الله واليومِ الآخر في الموضعين إشارة إلى المبدأ والمعاد، ولأن[2] الباعث على الجهاد هو[3] العلم بأن اللهَّ يجازي عليه يوم القيامة ﴿ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يتحيرون[4] مذبذبين بين ذلك.

﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ تكذيبٌ لهم في دعوى عدم الاستطاعة، أي: لهم مُكْنَةُ الخروج وأسباب الجهاد وليس المانع إلا عدم إرادة الخروج ﴿ وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ استدراك من مفهوم الكلام تقديره: لكن تثبطوا؛ لأن اللهَّ كره انبعاثهم[5] ﴿ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ ثقلهم وحبسهم[6]، أصله الشغل،

---

(١) تفسير البيضاوي (١/٤٠٦)، وبمعناه في الكشاف (٣/٤٩).

(٢) ق: بدون الواو.

(٣) ص: وهو.

(٤) انظر: الطبري (١٤/٢٧٥)، الكشاف (٣/٤٩)، البيضاوي (١/٤٠٦).

(٥) قاله البيضاوي (١/٤٠٧) مع اختلاف يسير، وانظر: الكشاف (٣/٤٩)، وقد عدل المؤلف - رحمه الله- عن لفظ الآية ﴿ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ والصواب إبقاء اللفظ على ظاهره وهو فعل من أفعال الله تعالى.

(٦) في ق الكلمة غير واضحة.

من قولهم: ثبَّطه عن الأمر شغله[1] ﴿ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ المعذورين من الصبيان والزمنى والنساء، تقبيح لحالهم، والقائل: الرسول ﷺ لما استأذنوه[2]، أو بعضهم لبعض[3]، أو تمثيل لإلقاء اللهّ تعالى في قلوبهم من كراهة الخروج[4] أو وسوسة الشيطان[5] بقول القائل.

﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً ﴾ تسلية لهم وأن اللهّ إنما كره انبعاثهم لحكمة وهي: الفساد الذي يحصل منهم لو خرجوا. والخبال: هو الفساد[6].

وعن ابن مسعود: أن قوماً بنوا مسجداً بظاهر الكوفة فأتاهم وقال: "إنما

---

(١) انظر: لسان العرب (ثبط) (٢٦٧/٧).

(٢) ذكر هذا القول القرطبي (١٥٦/٨)، وأبوحيان (٥٠/٥).

(٣) وهو قول البغوي (٥٥/٤)، وذكره ابن الجوزي (٤٤٦/٣)، والقرطبي وأبوحيان في الموضعين السابقين.

(٤) وهو قول مقاتل كما في زاد المسير (٤٤٦/٣)، والزمخشري (٥٠/٣)، وذكره القرطبي وأبوحيان في الموضعين السابقين.

(٥) ذكر الأقوال كلها الزمخشري (الموضع السابق)، والبيضاوي (٤٠٧/١).

وقال الحافظ ابن كثير (١٠٠/٤): "﴿ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ أي: قدرًا". اهـ.

(٦) قاله أبوعبيدة في مجاز القرآن (٢٦١/١)، والزجاج (٤٥١/٢)، وكثير من المفسرين.

جئت لأكسر مسجد الخبال"[1]. أي: الفساد، والاستثناء باعتبار الأعم أي: [لا][2] يزيدونكم شيئاً إلا خبالاً، فلا يلزم وجود خبال منهم[3].

﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾ أسرعوا بينكم[4] بالنمائم وأنواع المكر، شبهها بالركائب وأوقع عليها الإيضاع تخييلاً، يقال: وَضَع البعير: أسرع وأَوْضَعْتُه: أسرعته[5] ﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ من بغيته الشيء: طلبته له، يريدون بذلك الإسراع وقوعكم في الفتنة والضلال ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ من ضعفاء المسلمين[6]، أو

(١) لم أقف عليه فيما بين يدي من مراجع. والله تعالى أعلم.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) وهذا القول هو اختيار الزمخشري (٣/٥٠-٥١)، والبيضاوي (١/٤٠٧).

وقيل: الاستثناء منقطع، والتقدير: ما زادوكم قوة ولا شدة إلا خبالاً، وذلك أنه لم يكن فيهم خبال من قبل.

واختار أبوحيان أن الاستثناء متصل وهو مفرغ؛ لأن المفعول الثاني لزاد لم يذكر وقد كان في هذه الغزوة منافقون كثير ولهم خبال فلو خرج أولئك الذين قعدوا لتألبوا فزاد الخبال.

انظر: البحر المحيط (٥/٥٠)، الدر المصون (٦/٥٩).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/٢٦١)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٥١).

(٥) الكشاف (٣/٥١)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٧).

(٦) وهو قول قتادة وابن إسحاق، رواه عنهما ابن جرير (١٤/٢٨١)، ورجحه ابن كثير (٤/١٠٠).

من ينم حديثكم إليهم[1] فيحصل به الفساد.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي: بهم، وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أنه بذلك الفعل مندرجون في سلك الظالمين.

﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ ﴾ أي: قبل غزوة تبوك كما فعلوا يوم أحد فإن ابن أُبيّ[2] رجع معه[3] ثلاثمائة منافق وقالوا: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم[4]، أو ليلة

(١) رواه ابن جرير (بمعناه) عن مجاهد وابن زيد (الموضع السابق)، واختار هو هذا القول (١٤/٢٨٢).

وانظر القولين في: تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٣١٤)، الكشاف (٣/٥١)، زاد المسير (٣/٤٤٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٧).

(٢) عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث الخزرجي أبوالحباب، المعروف بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، كان سيد الخزرج في الجاهلية، فلما جاء الإسلام شرق به وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر نفاقاً، وكان يسعى بالشر والفساد بين المسلمين حتى هلك في العام التاسع من الهجرة.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٤٠)، الأعلام (٤/٦٥).

(٣) ق: ومعه.

(٤) قال ابن جرير (١٤/٢٨٣): "التمسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردهم إلى الكفر بالتخذيل عنه كفعل عبدالله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه..."

ونحوه قال البغوي (٤/٥٦).

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٧).

العقبة حين أرادوا الفتك برسول الله ﷺ"(1) لقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾(2). تنبيه على قِدَم عدواتهم ورسوخها ﴿ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾ مكائد

ورجوع ابن أبي يوم أحد بالمنافقين رواه ابن جرير (٣٧٩/٧) عن السدي.

وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٧٢/٣)، الدر المنثور (٣٦٩/٢).

(١) حاشية في الأصل وَ ص: ليلة العقبة لما عاد من تبوك قعد طائفة منهم في طريقه، ثم فروا ألقى الله في قلوبهم الرعب.

(٢) سورة الفتح، آية: (٢٤).

ولم يتضح لي وجه استشهاد المؤلف -رحمه الله- بهذه الآية في هذا الموضع إذ هي في كف أيدي كفار مكة عن النبي ﷺ وأصحابه يوم الحديبية، أو يوم الفتح، ولم أجد أحداً من المفسرين ذكر هذه الآية في هذا الموضع.

انظر: زاد المسير (٤٣٧/٧)، البحر المحيط (٩٧/٨).

والآية التي ذكر المفسرون أنها نزلت في همّ المنافقين ليلة العقبة هي قوله تعالى: ﴿ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ﴾ سورة التوبة، آية: ٧٤.

وسيأتي الحديث عن القصة في تفسير الآية ص (٣٤٢).

والقول بأن معنى قوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ ﴾ هو فعلهم ليلة العقبة عزاه الزمخشري (٥١/٣)، والقرطبي (١٥٧/٨)، وأبو حيان (٥١/٥) لابن جريج.

وحيلاً(١) يطول شرحها ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ النصر والتأييد الإلهي(٢) ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ علا دينه(٣) ﴿ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ذلك لما في قلبهم من المرض.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾ شَرَع في تفصيل قبائحهم، والقائل: جد بن قيس(٤) قال: "قد علمت الأنصار أني مشتهر(٥) بالنساء، ونساء بني الأصفر حسان فأخاف الفتنة على نفسي فأعينك بالمال"(٦) وهذا كان منه استهزاءً -

---

(١) ق: وحيل.

(٢) وقال البيضاوي (١/٤٠٧): "بالنصر والتأييد الإلهي".

(٣) انظر: المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٤) جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن سلمة الأنصاري يكنى: أبا عبدالله، وكان متهماً بالنفاق، كان سيد بني سلِمَة في الجاهلية، حضر الحديبية فبايع الناسُ رسول الله ﷺ تحت الشجرة إلا الجد بن قيس، وقيل: إنه تاب وحسنت توبته، وتوفي في خلافة عثمان -رضي الله عنه-.

انظر: أسد الغابة (١/٣٢٧)، الإصابة (١/٢٣٨).

(٥) كذا في ص، وباقي النسخ: مستهز.

(٦) رواه الطبراني في الكبير (١٢/١٢٢ رقم ١٢٦٥٤) عن الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بنحوه، وضعَّفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٠).

ورواه ابن جرير (١٤/٢٨٧) مختصراً عن ابن جريج عن ابن عباس -رضي الله عنهما، وابن جريج لم يسمع من ابن عباس -رضي الله عنهما-.

لعن الله تربته-، وقيل: كانوا يقولون: أتئذن لنا فإنا إن تخلفنا عنك من غير إذن وقعنا في الفتنة أي الهلاك، وإن لم تأذن في التخلف هلك أموالنا وعيالنا"[1].

﴿ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾ فإنهم وسموا بسمة النفاق إلى آخر الدهر، وعذاب الآخرة أشق وأشدُّ، صدَّر الجملة بحرف التنبيه إشارة إلى كمال غباوتهم وجعلهم ساقطين في الفتنة كالجماد الساقط بلا اختيار.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ إحاطة جهنم كناية عن إحاطة أسبابها، أو اسم الفاعل أريد به الاستقبال مجازاً[2].

﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ لفرط عداوتهم وغاية حسدهم ليسوا مكتفين بالتخلف عنك، بل يسوؤهم ما يسرك ويسرهم ما يضرك.

انظر: تهذيب التهذيب (٤٠٢/٦).

ورواه أيضاً ابن جرير عن مجاهد.

وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٢)، والبغوي (٥٦/٤) وغيرهما.

(١) اختار هذا القول الزجاج (٤٥١/٢)، وصدر به الزمخشري (٥١/٣)، والبيضاوي (٤٠٧/١) الأقوال في الآية.

(٢) انظر: الكشاف (٥٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٠٧/١).

﴿ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾ شدة كما في يوم أحد[1] ﴿ يَقُولُوا / قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ يحمدون رأيهم في عدم الحضور معك ﴿ وَيَتَوَلَّوا ﴾ عن ناديهم إلى منازلهم ﴿ وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝ ﴾ بتخلفهم أو بما أصابك[2].

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ في اللوح المحفوظ فلا راد لقضائه، أو أوجبه في علمه الأزلي[3] ﴿ هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ متولي أمورنا أو سيدنا يفعل في عبيده ما يشاء أو ناصرنا وإن أصابنا مكروه فلنا العاقبة ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾[4]. ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ لا على غيره لعلمهم بأن لا مؤثر سواه[5].

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ أي: لا تنتظرون

(١) انظر: المرجعين السابقين (المواضع نفسها).

(٢) ص: أصابهم.

(٣) ذكر البيضاوي القولين (١/٤٠٨)، و لم يذكر الزمخشري (٣/٥٢) إلا الثاني بمعناه، والأول هو ما ذكره أئمة المفسرين كابن جرير (١٤/٢٩٠)، والبغوي (٤/٥٧).

(٤) سورة المجادلة، آية: (٢١).

(٥) سبق ذكره.

[بنا](1) إلا إحدى الخصلتين اللتين كل منهما أحسن الخصال إما نصرنا أو الشهادة في سبيله.

فإن قلت: لو كانت كل منهما أحسن الخصال لكانت أحسن من الأخرى وفساده بيّن. قلت: جاز ذلك باعتبار الجهات(2).

﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾ إحدى المصيبتين اللتين(3) كل منهما أعظم المصائب ﴿ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ كما فعل بعاد وثمود ﴿ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ أي: بنصرنا عليكم ونقتلكم على الكفر(4) ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝ ﴾ أي: انتظروا عاقبة أمرنا فإنا منتظرون عاقبة أمركم، وهذا النوع من الكلام يقوله الواثق بحاله الجازم بأمره في معرض التهديد.

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ إنشاء(5) ومعناه خبر(6). ردٌّ لما كانوا يزعمون بأن

---

(١) ساقطة من ص.

(٢) قاله التفتازاني في حاشيته على الكشاف (لوحة ٦٦١).

(٣) ق: اللتي.

(٤) انظر: الكشاف (٣/٥٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٨).

(٥) الإنشاء عند البلاغيين: كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته كالأمر والنهي والاستفهام ونحو ذلك، وضده: الخبر.
انظر: التعريفات ص (٣٨)، الإيضاح ص (٨٥)، الطراز (١/٦١).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٤١)، معاني القرآن للزجاج (٢/٥٥٣)، الكشاف (٣/٥٣)، تفسير

لهم أعمالاً تدفع عنهم العذاب وأن لهم قرباتٍ عند الله كما للمؤمنين.

قرأ حمزة والكسائي ﴿ كُرها ﴾ بضم الكاف[1]، وقيل: هما لغتان[2]، وقيل: بالضم: المشقة وبالفتح: الإكراه[3] ﴿ لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ البتة، وإنما نفى بـ ﴿ لَّن ﴾ لكونهم منكرين غاية الإنكار ولذلك علل الحكم بقوله: ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4] خارجين عن طاعة الله.

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ بيان لذلك الفسق الذي علل به، وإنما بينه لأن مجرد الفسق لا يوجب

البيضاوي (٤٠٨/١).

وكلهم بلفظ: أمر بدل إنشاء.

(١) انظر: السبعة ص (٢٢٩)، التيسير ص (٧٩).

(٢) وهو قول الزجاج (٢٨٨/١)، وكثير من أهل اللغة.

انظر: لسان العرب (كره) (٥٣٤/١٣).

(٣) انظر الأقوال في: الحجة لابن خالويه ص (١٢٢)، الكشف لمكي (٣٨٢/١) معجم مقاييس اللغة (كره) (١٧٢/٥)، الكشاف (٤٢٣/١)، البحر المحيط (١٥٢/٢)، الدر المصون (٣٨٦/٢).

(٤) انظر: الكشاف (٥٧/٣)، تفسير البيضاوي (٤٠٨/١).

ذلك الحرمان[1]، وقرأ حمزة والكسائي ﴿يقبل﴾ بالتذكير[2].

﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ جمع كسلان[3]، أي: متثاقلين[4] ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ والمعنى لا يأتون بالأعمال البدنية والمالية على سبيل النشاط والأريحية لعدم اعتقادهم بترتب الثواب عليها، وفي الحديث: «لا يقل أحدكم: كسلت، وليقل: لغبت[5]»[6]، وإنما كره لفظ الكسل

(١) الفسق ضربان: أكبر وأصغر، فالأكبر: خروج عن الملة بالكلية إلى الكفر، وهو يوجب حبوط الأعمال السابقة وعدم قبول الأعمال مادام المرء لم يتب منه، وقد قال الله تعالى عن إبليس: ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ سورة الكهف، آية: (٥٠).

انظر: ما سبق ص (٢١٢).

(٢) انظر: السبعة ص (٣١٥)، التيسير ص (٩٧).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٥٣)، الكشاف (٣/٥٧).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٨).

(٥) ق: تعبت.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٧٦): "تقدم في أواخر البقرة". اهـ وفي البقرة ص (٢٣) قال: "يأتي في براءة". اهـ وقال المناوي في الفتح السماوي (١/٣٣١): "لم أقف عليه" اهـ.

وهو عند البخاري كتاب الأدب، باب لا يقل: خبثت نفسي (٧/١١٥). ومسلم في الألفاظ، باب كراهية قول الإنسان: خبثت نفسي. من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وفي الباب عن سهل بن حنيف -ﷺ- (٤/١٧٦٥ رقم ١٦) بلفظ: «**لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي**».

لوروده في شأن المنافق[1].

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ﴾ أي: لا تستحسن منهم الأموال والأولاد، فإنما هي زينة الحياة الدنيا وأنت بمعزل منها. والإعجاب بالشيء: السرور به مع نوع افتخار[2]، وإنما أسند الفعل إلى الأموال والأولاد مبالغة في نهيه عنها فكأنها كلفَتْ كفَّ إعجابها عنه ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: لم يخولهم بها إلا ليعذبهم في الدنيا بأن يبذلوا أرواحهم في جمعها، ويكابدوا المشاق في حفظها وتنميتها وكلفهم الإنفاق منها وهم كارهون[3].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٥٧).

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٦/٧٤).

(٣) القول بأن التعذيب واقع في الحياة الدنيا هو قول كثير من المفسرين وهو ما رواه ابن جرير عن الحسن، وابن زيد، ورجحه (١٤/٢٩٦).

وهو قول الزمخشري (٣/٥٧)، والبيضاوي (١/٤٠٨)، وقواه ابن كثير (٤/١٠٣).

وذهب بعض المفسرين إلى أن الآية فيها تقديم وتأخير، والتقدير: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، وهذا القول رواه ابن جرير (١٤/٢٩٥) عن قتادة، ورواه البغوي عن مجاهد (٤/٥٩) وهو قول الفراء (١/٤٤٢)، والزجاج (٢/٤٥٤) وجوَّزا القول الأول.

وقد اختلفت عبارات أصحاب القول الأول في المراد بهذا التعذيب، والأَوْلى أن يقال: إن الآية تعم كل ما يصلح أن يكون عذاباً لهم. قال الزمخشري (٣/٥٧): "فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم =

﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ شغلهم بحبها فأعرضوا[1] عن العاقبة حتى ماتوا على الكفر فكان ذلك استدراجاً[2].

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ بعض منكم وأن الإيمان يشملكم وإياهم ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ في الواقع فهم كاذبون ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ بيان للباعث على ذلك اليمين الحانث، والفَرَق: هو الخوف ويتعدى بمن[3]، أي: يخافون منكم كسائر الكفرة.

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ مكاناً يلجؤون إليه من قلعة أو رأس جبل ﴿ أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾ أو كهوفاً جمع مغارة[4] وهي الكهف ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ نفقاً في الأرض

للعذاب، بأن عرّضه للتغنم والسبي، وبلاهم فيه بالآفات والمصائب، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون لـه على رغم أنوفهم، وأذاقهم أنواع الكلف والمحاشم في جمعه واكتسابه، وفي تربية أولادهم". اهـ.

وانظر: التحرير والتنوير (١٠/٢٢٨).

(١) ق: فأعربوا.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٠٨).

(٣) انظر: لسان العرب (فرق) (١٠/٣٠٤).

(٤) كذا في سائر النسخ، وفي الأصل: مغازة.

يندسون[1] فيه ﴿ لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ لانقلبوا إليه وهم يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء كالفرس الجموح لا يرده اللجام[2] لشدة عداوتهم ونهاية خوفهم.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي: بعض منهم يعيبك في قسم الصدقات وينسبك إلى الجور، وهو ذو الخويصرة[3] الذي كان رأس الخوارج، وقصته على ما رواها البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ أتي بشيء من الذهب فقسمه بين أربعة نفر من المؤلفة يتألفهم على الإسلام فجاءه ذو الخويصرة وقال[4]: اعدل يا رسول الله، فقال: «**ويلك من يعدل إذا لم أعدل، لقد خبت [وخسرت][5] إن[6] لم أعدل**» فقال عمر بن الخطاب، وفي رواية خالد بن

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٥٥)، الكشاف (٣/٥٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٨).

(٣) في حاشية الأصل: اسم ذي الخويصرة: حرقوص (منه).

وذو الخويصرة هو حرقوص بن زهير السعدي التميمي، وبه جزم كثير من أهل السير، وقيل غير ذلك، كان مع علي -رضي الله عنه- يوم صفين، ثم خرج مع الخوارج وقتل يوم النهروان، وفي سيرته اضطراب.

انظر: تاريخ الطبري (٤/٧٦)، فتح الباري (١٢/٢٩٢)، الإصابة (١/٣٣٥).

(٤) ق: فقال، ص: قال.

(٥) ساقطة من ق.

(٦) في الأصل: وإن. والمثبت أعلاه من سائر النسخ وهو الموافق لنص الحديث.

الوليد: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه منافق، فقال: «دعه فإن لـه أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم»[1]، وقيل: القائل أبو الجواظ[2].

﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يريد أن ذلك القول منهم ليس للاهتمام بالدين ولا لشبهة في طريقه، بل رضاهم وسخطهم لحظوظ أنفسهم.

---

(١) رواه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة (١٧٨/٤)، ومسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج (٧٤٤/٢ رقم ١٤٨)، وفيه أن الذي استأذن في قتله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وليس في هذا الحديث ذكر القسم بين الأربعة، بل هو في حديث آخر بإبهام المعترض، رواه البخاري كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (١٠٨/٤)، ومسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج (٧٤١/٢ رقم ١٤٣) عن أبي سعيد -رضي الله عنه- أيضاً وفيه أن الذي استأذن في قتله خالد بن الوليد -رضي الله عنه-.

وقولُه في الحديث: "خبت وخسرت" قال النووي: "روي بفتح التاء في: "خبت وخسرت" وبضمها فيهما، ومعنى الضم ظاهر، وتقدير الفتح: خبت أنت أيها التابع إذا كنت لا أعدل لكونك تابعاً ومقتديا بمن لا يعدل، والفتح أشهر. والله أعلم". شرح صحيح مسلم (١٥٩/٧).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٣) عن الكلبي بغير إسناد، ورواه البغوي عنه (٦٠/٤).

وأبو الجواظ هذا لم أجد له ترجمة.

وفي ﴿ إِذَا ﴾ الفجائية إشارة إلى غاية شرهم وأنهم بمجرد عدم الإعطاء يفاجئهم السخط من غير تأمل في أن عدم إعطائهم هل يتضمن مصلحة دينية أم لا؟.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي: لو ثبت رضاهم بما قسم اللهَّ لهم من الغنيمة وأعطاهم رسوله وإن كان قليلاً ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ "كفانا رضاه"[1] ﴿ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ رزقه الواسع من سائر الصدقات والغنائم ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ فيوفر لنا ما فاتنا ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ إلى رضاه وإلى ثوابه لا إلى الغنائم والأموال، وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف أي: لكان خيراً لهم[2].

﴿ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ بيان لمصارف الصدقات على وجه يزول شبهة المنافقين وأن ما فعله رسول اللهَّ ﷺ هو الصواب[3]؛ لأن المؤلفة قلوبهم من تلك المصارف، والمعنى جنس الصدقات مقصور على هؤلاء المذكورين لا يتجاوزهم إلى غيرهم فيحتمل أن يصرف إلى كلهم وإلى بعضهم، كما إذا قلت: إنما/ الخلافة في بني عباس يراد عدم تجاوزها عنهم لا اتصاف كل واحد

(١) تفسير البيضاوي (١/٤٠٩).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٥٩)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

منهم بها[1]، وإليه ذهب أبوحنيفة -رحمه الله-[2]، وهو المنقول عن عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير[3] وعطاء[4].

(١) انظر: الكشاف (٣/٦٠).

(٢) انظر: بدائع الصنائع (٢/٤٣ وما بعدها).

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ أبومحمد الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي، روى عن ابن عباس -ﷺ- فأكثر وجوَّد، قتله الحجاج -وقصته مشهورة- سنة ٩٥هـ، قال الحسن: قُتل سعيد وما على وجه الأرض أحدٌ إلا وهو محتاج إلى علمه. اهـ.

انظر: الطبقات الكبرى (٦/٢٥٦)، سير أعلام النبلاء (٤/٣٢١).

(٤) عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي، روى عن ابن عباس وابن عمر -ﷺ- وغيرهما، وعنه: مجاهد والزهري وخلق، كان ثقة عالماً فقيهاً من كبار التابعين، انتهت إليه الفتوى بمكة، كان من أعلم أهل زمانه بالمناسك، أخرج لــه الستة، وتوفي عام ١١٤هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: الكاشف (٢/٢٣١)، تهذيب التهذيب (٧/١٩٩).

وقد روى الآثار عن هؤلاء جميعاً الطبري (١٤/٣٢٢-٣٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٧-٨) باب من جعل الصدقة في صنف واحد من هذه الأصناف.

وهذا القول هو مذهب الأئمة الثلاثة وجمهور أهل العلم واختاره بعض الشافعية.

انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٢٢)، الأموال لأبي عبيد، باب تفريق الصدقة في الأصناف الثمانية، وإعطائها بعضهم دون بعض ص (٥١٢)، الكافي لابن عبدالبر (١/٣٢٧)، المغني (٢/٦٦٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/١٦٧)، تفسير البيضاوي (١/٤١٠).

وذهب الشافعي -رحمه الله- إلى وجوب استيفاء الأصناف الثمانية إن وجدوا وإلا فالموجودون منهم يعطى[1] من كل صنف ثلاثة فما فوقها نظراً إلى اعتبار الجمع، واستدل على ذلك بان اللام للملك؛ لأنه كمال الاختصاص وهو معنى اللام كقولك: هذا الدرهم لهؤلاء فإنهم يشتركون فيه[2].

فإن قلت: فعلى هذا يجب أن يكون صرفه إلى جميع أفراد كل صنف ولم يقل به الشافعي -رحمه الله-.

قلت: لم يذهب إلى ذلك لتعذره، ولما روى البخاري أنه ﷺ لما بعث معاذاً إلى

ولعل هذا القول هو الراجح لحديث معاذ -رضي الله عنه- الذي سيذكره المؤلف -رحمه الله- ولأمر النبي ﷺ بني زُرَيْق أن يدفعوا صدقتهم لسلمة بن صخر -رضي الله عنه-، ولم يأمرهم أن يقسموها بين الأصناف الثمانية.

والحديث رواه الإمام أحمد (٣٧/٤ رقم ١٦٤٦٨)، والترمذي أبواب التفسير، سورة المجادلة (٣٨/٩)، وأبوداود كتاب الطلاق، باب في الظهار (٦١٣/١ رقم ٢٢١٣)، وابن ماجه، كتاب الطلاق، باب في الظهار (٦٦٥/١ رقم ٦٠٦٢)، والدارمي باب في الظهار (٢٢٧٨/٢)، وابن خزيمة، باب في الرخصة في إعطاء الإمام المظاهر من الصدقة (٧٣/٤ رقم ٢٣٧٨)، والحاكم (٢٠٣/٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(١) ق: ويعطى.

(٢) انظر: الأم للشافعي (١٠٦/٢)، المجموع شرح المهذب (١٨٥/٦ وما بعدها).

اليمن فقال له: «مرهم بالصلاة فإن هم قبلوا ذلك فأعلمهم بأن اللهَّ قد فرض عليهم زكاة أموالهم بأن يؤخذ من أغنيائهم فيرد إلى فقرائهم»(١)، فخص زكاتهم بفقرائهم، ولذلك لم يجوز الشافعي -رحمه الله- نقل الزكاة من ذلك البلد إلى بلد آخر(٢).

الفقير أسوأ حالاً من المسكين وهو من لا مال لـه ولا يقدر على كسبه فكأنه أصيب فقار ظهره فهو [مقعد](٣)، والمسكين من لـه مال أو كسب لا يكفيه لقوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾(٤) ويدل عليه أيضاً تقديم الفقير وإلى هذا ذهب الشافعي -رحمه الله-(٥) وإلى العكس ذهب أبوحنيفة -رحمه الله-(٦) لقوله: ﴿أَوۡ

(١) رواه البخاري كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (١٠٨/٢)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥٠/١ رقم ٢٩)، وقد أورد المؤلف -رحمه الله- الحديث بالمعنى.

(٢) قال في الأم (١١٠/٢): "ولا تخرج صدقة قوم منهم عن بلدهم وفي بلدهم من يستحقها".

وهذا هو قول الحنابلة، قال ابن قدامة في المغني (٦٧١/٢): "المذهب على أنه لا يجوز نقل الصدقة من بلدها مسافة القصر.. واستحب أكثر أهل العلم أن لا تنقل من بلدها". اهـ.

(٣) ساقطة من ق.

وانظر: تهذيب اللغة (فقر) (١١٤/٩)، معجم مقاييس اللغة (فقر) (٤٤٣/٤).

(٤) سورة الكهف، آية: (٧٩).

(٥) انظر: الأم (١١٠/٢).

(٦) انظر أحكام القرآن للجصاص (١٥٧/٣).

مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾[1] ومنهم من لم يفرق[2].

﴿ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا ﴾ وهم السُعاة الذين يجمعونها ويسعون في تحصيلها ﴿ وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ ﴾ قوم أسلموا ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم يُعطون من الصدقات ليألفوا الإسلام، ولذلك يعطون من الغنائم نفلاً كما فعله رسول الله ﷺ في غنائم حنين آثر فيها بعض مسلمة الفتح[3] أو أشراف يتوقع بإعطائهم إسلام نظرائهم كما أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان والأقرع بن حابس[4] وعيينة بن

(١) سورة البلد، آية (١٦).

(٢) عزاه القرطبي في الجامع (٨/١٦٩-١٧٠) قولاً للشافعي، وقال: "وإلى هذا ذهب ابن القاسم وسائر أصحاب مالك، وبه قال أبويوسف". اهـ.

وقد روى الطبري عن أهل العلم أقوالاً أخرى في التفريق بين الفقير والمسكين، منها: أن الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة، والمسكين المحتاج السائل، ومنها: أن الفقير ذو الزمانة من أهل الحاجة، والمسكين صحيح الجسم، ومنها: أن الفقير فقراء المهاجرين، والمسكين من لم يهاجر من المسلمين، ومنها: أن الفقير من المسلمين، والمسكين من أهل الكتاب.

انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٠٥-٣٠٨)، الجامع للقرطبي (٨/١٦٨).

(٣) راجع الحديث ص (٧١).

(٤) الأقرع بن حابس التميمي سيد بني تميم.

انظر ترجمته في: الإصابة (١/٥٨)، أسد الغابة (١/١٢٨).

حصن[1] وعباس بن مرداس[2][3].

---

(١) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، أبومالك الفزاري سيد فزارة وغطفان، ارتد في عهد أبي بكر -رضي الله عنه-، ثم عاد إلى الإسلام، توفي في خلافة عثمان -رضي الله عنه- .

انظر: الإصابة (٥/٥٥)، أسد الغابة (٤/٣١).

(٢) عباس بن مرداس السلمي، سيد بني سليم.

انظر ترجمته في: أسد الغابة (٣/٦٤)، تهذيب التهذيب (٥/١١٦).

(٣) وقد اختلف أهل العلم في سهم المؤلفة قلوبهم على أقوال:

الأول: جواز صرف الزكاة لهم سواء كانوا مسلمين يتألفون أو كفاراً ليسلموا أو نحو ذلك، وهذا هو المعتمد من مذهب الإمام أحمد وقولٌ للإمام مالك والشافعي، وهو مذهب أبي عبيد القاسم بن سلام، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "يجوز بل يجب الإعطاء لتأليف من يحتاج إلى تأليف قلبه... كما أباح الله في القرآن العطاء للمؤلفة قلوبهم من الصدقات". الفتاوى (٢٨/٢٨٨).

وقال -رحمه الله-: "والمؤلفة قلوبهم نوعان: كافر ومسلم، فالكافر: إما أن يرجى بعطيته منفعة كإسلامه، أو دفع مضرته إذا لم يندفع إلا بذلك، والمسلم المطاع يرجى بعطيته المنفعة أيضاً كحسن إسلامه أو إسلام نظيره أو جباية المال ممن لا يعطيه إلا لخوف أو النكاية في العدو أو كف ضرره عن المسلمين إذا لم ينكف إلا بذلك". المرجع السابق (٢٨/٢٩٠).

الثاني: أن سهمهم قد انقطع ولا يعطون شيئاً إما لأن حكمهم منسوخ، أو لأن حكمهم قد انقطع بزوال العلة بعد أن أعز الله الإسلام فلا يعطون شيئاً، والذين قالوا بالنسخ اختلفوا في الناسخ =

فقيل: الإجماع، وقيل: قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ سورة الكهف، آية: ٢٩.

وقيل: قوله ﷺ في حديث معاذ: «**تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**».

وهذا القول -الثاني- هو مذهب أبي حنيفة ومشهور مذهب مالك.

الثالث: أنه يعطى منها من كان مسلماً، أما الكفار فلا نصيب لـــهم من الزكاة، وهو قول الشافعية، قال الشافعي -رحمه الله-: "والمؤلفة قلوبهم من دخل في الإسلام، ولا يعطى من الصدقة مشرك يتألف على الإسلام". كتاب الأم (٢/٦١).

ولعل **القول الراجح** -والله أعلم- القول الأول لورودهم في آية الزكاة، وبراءة من آخر ما نزل، ولفعله ﷺ مع المؤلفة قلوبهم.

وأما القول: بأن حكمهم انقطع بعد عز الإسلام وانتشاره فيرده إعطاؤه ﷺ للمؤلفة قلوبهم وقد كان بعد فتح مكة وهزيمة هوازن... والإسلام يومئذ أعز ما كان، والتأليف هدفه أكبر من ذلك فهو للترغيب في الإسلام والإنقاذ من النار قال ﷺ: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يُكب في النار على وجهه**» رواه مسلم، الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه (٢/٧٣٢ رقم ١٣١).

وأما القول بالنسخ فغير مسلم لأمور منها:

١- أن الإجماع لا ينسخ النص. انظر: الفتاوى لابن تيمية (٣٣/٩٤).

٢- أنه لابد من توافر شروط النسخ، وهي هنا غير موجودة فالنصوص لا تعارض بينها، كما أنه لابد من معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، وهذا كله متعذر في هذه المسألة، والنسخ لا يصار إليه =

﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ في[1] فكها من الرِّق، هم المكاتبون[2] أو[3] يشترى بها الرقاب

بمجرد الرأي، فآية الكهف مكية فكيف تنسخ آية مدنية.

وحديث معاذ -ﷺ- فيه أن الزكاة تصرف في مصالح الأمة وترجع إليها وليس فيه قصرها على هذا الصنف، وإلا للزم منه نسخ كل الأصناف السبعة الباقية وهذا لا يقول به أحد.

وأما القول: بقصرها على المؤلفة من المسلمين فيرده إعطاؤه ﷺ لصفوان بن أمية حتى قال -ﷺ-: "والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ".

رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا (١٨٠٥/٤ رقم ٥٩).

انظر: تفسير الطبري (٣١٢/١٤-٣١٦)، أحكام القرآن للحصاص (١٥٩/٣-١٦١)، الأموال لأبي عبيد ص (٧٩٧)، الجامع للقرطبي (١٨١/٨)، الكافي لابن عبدالبر (٣٢٥/١)، المغني (٦٥٥/٢، ٦٦٦)، زاد المعاد (١٩٢/٢).

(١) ق: وفي.

(٢) رواه ابن جرير عن أبي موسى -ﷺ- والزهري وابن زيد والحسن، واختاره "لإجماع الحجة على ذلك". (٣١٧/١٤).

والكتابة: عتق على مال مؤجل من العبد، موقوف على أدائه. انظر: الجامع للقرطبي (٢٤٤/١٢)، القاموس الفقهي ص (٣١٦).

(٣) كذا في الأصل، وسائر النسخ: و.

فتعتق، وإليه ذهب مالك[1] وأحمد[2]، أو يفدى بها الأسرى، وإطلاق الرقاب شامل الكل[3] ﴿ وَٱلۡغَٰرِمِينَ ﴾ من استدان لغير معصية[4] وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين وإن كانوا أغنياء[5] ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بالإنفاق على فقراء الغزاة[6]

---

(١) انظر: الكافي لابن عبدالبر (١/٣٢٦).

(٢) انظر: الكافي لابن قدامة (١/٣٣٤).

(٣) اختلف الأئمة في المراد بقوله: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ على أقوال:

الأول: ما ذهب إليه المؤلف -رحمه الله- من أنها شاملة للمكاتبين ولعتق الرقاب ولفك الأسارى المسلمين وهو مذهب الإمام أحمد.

الثاني: أنها في المكاتبين، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي.

الثالث: أنها في عتق الرقاب، ولا يعان منها المكاتب، وهو مذهب الإمام مالك.

وعن مالك رواية أخرى أنه يجوز أن يعان منها المكاتب.

انظر: الأم للشافعي (٢/١١٣)، أحكام القرآن للجصاص (٣/١٦١)، الكافي لابن عبدالبر (١/٣٢٦)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٩٦٧)، الروض المربع بحاشية ابن قاسم (٣/٣١٥)، نيل الأوطار (٤/٢٣٤).

(٤) ق: لا لمعصية.

(٥) انظر: الجامع للقرطبي (٨/١٨٤)، الكافي لابن قدامة (١/٣٣٥).

(٦) تخصيص الزكاة في الفقراء من الغزاة هو مذهب أبي حنيفة.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/١٦٤)، بدائع الصنائع (٢/٤٣، ٤٦).

والحجيج[1]. وقيل: بناء القَنْطَرَة والمصانع وابتياع الآت الحرب والكراع[2] ﴿ وَٱبْنِ

وذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد إلى أنهم يعطون حتى مع الغنى ما يحتاجون إليه في غزوهم.
انظر: الأم للشافعي (٩٨/٢)، الكافي لابن عبدالبر (٣٢٧/١)، أحكام القرآن لابن العربي (٩٦٩/٢)، الكافي لابن قدامة (٣٣٥/١).
واستدلوا بما جاء في حديث أبي سعيد الخدري -ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لعامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غاز في سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى منها لغني»**.
رواه الإمام أحمد (٥٦/٣ رقم ١١٥٥٥)، وابن ماجه كتاب الزكاة، باب من تحل لـه الزكاة (٥٨٩/١ رقم ١٨٤١)، والحاكم في المستدرك كتاب الزكاة (٤٠٨/١)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه (٣٠٩/١).

(١) دخول الحج في قوله: ﴿ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ هو قول ابن عباس، وابن عمر -ﷺ- والحسن وإسحاق ورواية عن أحمد اختارها جمع من أصحابه وهو قول بعض المالكية والحنفية.
واستدلوا بقوله ﷺ في حديث أم معقل -رضي الله عنها- لما أرادت الحج وكان لأبي معقل -ﷺ- بكر قد جعله في سبيل الله فقال ﷺ: **«أعطها فلتحج عليه فإنه في سبيل الله»**.
رواه الإمام أحمد (٣٧٥/٦ رقم ٢٧١٥١)، وأبوداود كتاب المناسك، باب العمرة (٦٠٨/١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣٧٣/٣).
انظر: المغني (٤٣٧/٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٨٥/٨)، بدائع الصنائع (٤٦/٢)، كشاف القناع (٢٨٤/٢)، نيل الأوطار (٢٣٨/٤).

(٢) أما دخول آلات الحرب كالفرس والسيف والدرع وسائر ما يحتاجه المجاهد في قوله: ﴿ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فهو قول أكثر أهل العلم، وإليه ذهب المالكية والشافعية والحنابلة.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (١٦٥/٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٩٦٩/٢)، المغني =

﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع عن ماله.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد؛ لأن معنى قوله: إنما الصدقات

(٦/٤٣٦)، المجموع (٦/٢١٣).

والقنطرة: الجسر، وما بني على الماء للعبور عليه.

انظر: القاموس المحيط (قنطر) ص (٥٩٩).

والمصانع: جمع مَصنَع، وهي الأحواض التي يجمع فيها الماء، والمباني، والحصون.

انظر: لسان العرب (صنع) (٨/٢١١).

فإن كان مراد المؤلف أنها مما يدخل في آلات الحرب والجهاد، فقد سبق أن صرف الزكاة في آلات الحرب هو قول أكثر أهل العلم، وإن كان مراده أنها من وجوه البر العامة فهو قول أنس -ﷺ- والحسن-نقله عنهما في المغني- وبه قال بعض الفقهاء.

ومستند هؤلاء فيما ذهبوا إليه أن مدلول ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الأصل شامل لجميع القرب وأعمال الخير، قال الرازي في تفسيره (١٦/٩٠): "واعلم أن ظاهر اللفظ في قوله: ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا يوجب القصر على كل الغزاة، فلهذا المعنى نقل القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد؛ لأن قوله: ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عام في الكل". اهـ.

انظر: المغني (٢/٦٦٧)، بدائع الصنائع (٢/٤٥)، الروضة الندية (١/٢٠٦).

للمذكورين أن اللهَّ فرضها(١)، والعدول عن اللام في الأربعة الأخيرة إشارة إلى أنها أرسخ قدماً في الاستحقاق وذلك لما في فك الرقاب من الإنقاذ مما هو كالموت ولما في تخليص الغارم من الكرب، كان رسول اللهَّ ﷺ في دعائه يستعيذ من المَغْرَم [فقيل له: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟](٢) قال: «إن الرجل إذا غَرِم حدَّث فكذب وَوعد فأخلف»(٣)، ولما كان في الغازي الفقير وابن السبيل المنقطع فَضْلُ ترجيحٍ لكون الغازي الفقير جامعاً/ بين الفقر والعبادة وابن السبيل بين الفقر والغربة أعاد حرف الجر إيماء إليه(٤) ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ يعلم موضع الاستحقاق،

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٥٧)، الكشاف (٣/٦٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٠٩).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) رواه البخاري، كتاب الاستقراض، باب من استعاذ من الدين (٣/٨٥) عن عائشة -رضي الله عنها-.

(٤) ذكره الزمخشري بمعناه (٣/٦١).

وقد نقل الواحدي في البسيط (٢/٦١١) وجهاً آخر وهو أن الأصناف الأربعة الأول تدفع إليهم الصدقات ليعملوا فيها ما شاؤوا من نفقاتهم أو غيرها ثم قال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ إلى آخر الآية ففيه إشارة إلى أن هذه الأصناف يوضع ما يقدر لهم في المواضع التي بها استحقوا الصدقة دون أن يدفع إليهم فيجب أن يوضع في الرقاب بأن يؤدى عنهم، والغارمون يصرف المال في قضاء ديونهم وكذا في سبيل الله وابن السبيل.

فلذلك حصر الصدقات في هؤلاء المذكورين.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ نوع آخر من قبائحهم، عن ابن عباس –رضي الله عنهما- أن جماعة منهم ذكروا رسول الله ﷺ بما لا ينبغي فقال بعضهم: لا تفعلوا فإنه يبلغه(1)، قال جُلاَس بن سويد(2): نقول ما شئنا فإذا بلغه جئنا فاعتذرنا إليه يقبله منا فإن محمداً أذن(3). جعلوه نفس الجارحة

وقد ذكر هذا الكلام الرازي في التفسير الكبير (١٦/٩٠)، ثم قال: "والحاصل أن في الأصناف الأربعة الأول يصرف المال إليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤوا، وفي الأربعة الأخيرة لا يصرف المال إليهم، بل يصرف إلى جهات الحاجات المعتبرة في الصفات التي لأجلها استحقوا أسهم الزكاة". اهـ.

وانظر: الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين –رحمه الله- (٦/٢٢٩).

(١) ق: ينلغه.

(٢) جلاس بن سويد بن الصامت الأوسي الأنصاري، كان من المنافقين فتاب وحسنت توبته، وسيأتي ذكر شيء من خبره عند قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ... ﴾ سورة التوبة، الآية (٧٤)، ص(٣٧٩-٣٨٤).

انظر: أسد الغابة (١/٣٤٧)، الإصابة (١/٢٥٢).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب الترول ص(٢٥٤)، والبغوي (٤/٦٧)، دون عزوه لابن عباس –رضي الله عنهما-.

ورواه ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم –كما في الدر المنثور (٤/٢٢٧)- عنه –ﷺ- وفيه =

كما يقال للرَّبِيئَة[1]: عين[2] ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ أي: هو كما تقولون أذن سريع الانقياد لكن ليس كما تعتقدونه بل ذلك مدح فيه. والخير هو: الصلاح والجودة، مثله: فلانٌ رجلُ صدقٍ[3]، لا اسم تفضيل[4]، ثم بيَّن وجه كونه خيراً [لهم بأنه][5] ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ يقر بوحدانيته وما يليق به ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يذعن لقولهم ويُسلِّم لهم ما يقولون لما علم من خلوص طويتهم ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ عطف على ﴿ أُذُنُ خَيْرٍ ﴾[6]، والمعنى: كونه أذناً رحمة[7] في حق من أظهر الإيمان منكم فإنه

تسمية القائل: نبتل بن الحارث.

وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٠٤)، تفسير ابن كثير (٤/١١٠).

(١) الربيئة: الطليعة.

انظر: لسان العرب (ربأ) (١/٨٢).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٦١).

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) قال الفراء في معاني القرآن (١/٤٤٤): "و ﴿ خَيْرٍ ﴾ إذا خفض فليس على معنى أفضل، إذا خفضت ﴿ خَيْرٍ ﴾ فكأنك قلت: أذن صلاح لكم". اهـ.

(٥) ساقط من ق.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٤٤)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٦٥)، البيان لابن الأنباري (١/٤٠١)، التبيان للعكبري (٢/٦٤٨).

(٧) ق: ورحمة.

أظهر الإيمان منكم فإنه يقبل ولا يشتغل بالكشف عن سره، وإنما[1] يفعل[2] ذلك تكرماً وتخلقاً لا لأنه يخفى عليه شأنكم في النفاق.

.... إنَّ الكريمَ إذا خَادعتَه[3] انْخَدَعَا[4]

وقرأ حمزة ﴿ رَحْمَةٍ ﴾ بالجر[5] عطفاً على ﴿ خَيْرٍ ﴾[6]. ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ ردع للمنافقين عن مثل تلك المقالة.

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾ إذا لاقوا رسول الله ﷺ والمؤمنين حلفوا لهم معتذرين ليرضوا عنهم ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ تخطئة لهم

---

(١) الواو ساقطة من ص.

(٢) ق: يفعله.

(٣) ق: عادعته.

(٤) عجز بيت لابن نباته المصري، وصدره:

يُخادعُ الشوقُ طَرْفي عنْ مَدَامِعِه ....

انظر: ديوان ابن نباتة ص(٣١٤). وقد نسبه ابن عاشور (٢٧٥/١) للفرزدق، وأوله: استمطروا من قريش كل منخدع. و لم أقف عليه في ديوانه.

(٥) انظر: السبعة ص(٣٥١)، التيسير ص(٩٧).

(٦) معاني القرآن للفراء (٤٤٤/١)، الحجة لابن خالويه ص(١٧٦)، الكشف لمكي (٥٠٤/١)، البيان لابن الأنباري (٤٠١/١).

فيما يأتونه[1] وتكذيب لهم في إيمانهم، والمعنى: أن الله ورسوله أولى وأجدر بالإرضاء بالطاعة والانقياد، وإنما وحَّد الضمير إشارة إلى أن إرضاء رسوله إرضاء له؛ لأنه مبلغ أوامره وواسطته إلى عباده[2]، أو المذكور خبر الأول ويقدر للثاني خبر[3]، أو بالعكس وهذا مختار سيبويه[4] لكونه أقرب ولسلامته من الفصل بين المبتدأ والخبر[5]،

---

(١) كذا في ص وَ ق، وفي الأصل: يأتوا به.

(٢) انظر: الكشاف (٦٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤١٠/١).

(٣) وهو قول المبرد.

انظر: المحرر الوجيز (٥٣/٣)، البيان لابن الأنباري (٤٠١/١)، الدر المصون (٧٥/٦).

(٤) سيبويه: أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، إمام النحو، طلب الحديث والفقه مدة ثم أقبل على العربية، أخذ النحو عن الخليل وغيره، له "الكتاب" في النحو لم يصنف مثله، توفي عام ١٨٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٥١/٨)، بغية الوعاة (٢٢٩/٢).

وانظر رأيه في هذه المسألة في: الكتاب (٧٤/١)، وانظر رأيه في هذه الآية في إعراب القرآن للنحاس (٢٨/٢)، المشكل لمكي (٣٦٥/١)، أمالي ابن الشجري (٤٥/٢)، الدر المصون (٧٥/٦)، حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٦٣).

(٥) انظر: الدر المصون، حاشية التفتازاني (الموضعين السابقين).

والوجه هو الأول لفظاً ومعنى[1]. ﴿ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ حقاً.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ينازعهما ويعاديهما من الحدِّ؛ لأن كلاً من المتعاديين في حدٍّ دون حدِّ الآخر، إنكار لعدم علمهم فيفيد الإثبات والتقرير[2] ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ﴾ أي: فحق أن له نار جهنم، فحذف الخبر للعلم به[3] من الصلة، وقيل: ﴿ أَنَّ ﴾ تأكيد وتكرير للأول و﴿ لَهُ ﴾ هو الخبر، وإنما أعيد ﴿ أَنَّ ﴾ لبعد العهد[4] كقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾[5][6]، ويجوز أن يكون عطفاً على جواب ﴿ مَن ﴾

---

(١) في حاشية جميع النسخ: أما لفظاً فلعدم التقدير، وأما معنى فلما فيه من إجلال رسول الله ﷺ. منه.

(٢) ص: التنوير.

(٣) وهو قول الزمخشري (٣/٦٣)، وصدر به البيضاوي الأقوال (١/٤١٠).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٥٩)، ونسبه النحاس في إعراب القرآن (٢/٢٨)، وابن الأنباري في البيان (١/٤٠٢) لأبي عمر الجرمي، وأبي العباس المبرد.

(٥) سورة النحل، آية (١١٩).

(٦) انظر: حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٦٣).

محذوفاً تقديره: ألم يعلموا أنه من يحادد الله يهلك فأن له نار جهنم(1).

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ وأيُّ خزي فوق الخلود في نار جهنم.

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾/ الضمائر للمؤمنين والمنافقين، وإنما صح ذلك لعدم اللبس، ويجوز أن يكون الضمائر كلها للمنافقين؛ لأن النازل فيهم وبيان حالهم كأنه نازل عليهم(2)، وعن الزجاج: أن الخبر في معنى الأمر أي: ليحذر المنافقون(3)، وعلى التقادير الإسناد

(1) قال الزمخشري (٣/٦٣): "يجوز أن يكون ﴿ فَأَنَّ لَهُۥ ﴾ معطوفاً على ﴿ أَنَّهُۥ ﴾ على أن جواب ﴿ مَن ﴾ محذوف تقديره: ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن لـه نار جهنم". اهـ.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤١٠)، البحر المحيط (٥/٦٦)، الدر المصون (٦/٧٧).

(2) قال الزمخشري (٣/٦٣): "الضمير في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ تُنَبِّئُهُم ﴾ للمؤمنين و ﴿ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ للمنافقين، وصح ذلك؛ لأن المعنى يقود إليه، ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين؛ لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم". اهـ.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤١٠).

(3) معاني القرآن (٢/٤٥٩).

وقد رجح النحاس والتفتازاني الوجه الأول واستبعدا أن يكون الخبر في معنى الأمر لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٢٩)، حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٦٣).

إلى السورة مجاز.

﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ ﴾ تهديد[1] لا طلب الفعل، مثله: ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا [2] شِئْتُمْ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤ ﴾ تحذرونه من نزول القرآن فيكم [أو من ظهور نفاقكم][3].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ كان ذات يوم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يسيرون فشرعوا يستهزئون به ويقولون: "انظروا إلى هذا يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه"، فأطلع الله رسوله على ذلك فأتاهم فقال لهم: «قلتم كذا وكذا». فقالوا: "ما كنا في شيء من ذلك، كنا نخوض في أحاديث نقصر بها المسافة كما هو شأن الرفقة في المسايرة[4]".

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٣١/١٤)، التفسير الكبير (٩٧/١٦)، البحر المحيط (٦٧/٥).

(٢) سورة فصلت، آية (٤٠).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

وانظر الوجهين في: الكشاف (٦٣/٣)، تفسير البيضاوي (٤١٠/١).

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة (٣٣٤/١٤)، وذكره الواحدي في أسباب النزول عنه ص(٢٥٥)، وقد ذكره الزمخشري (٦٣/٣)، والبيضاوي (٤١١/١).

وقد روى ابن جرير بسند صحيح عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، فقال =

﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ تكذيب لهم فيما اعتذروا[1]، واستهزاؤهم برسول الله[2] لما كان مستلزماً الاستهزاء بالله؛ لأنه رسوله، وآياته؛ لأنهم لم يعتدوا بها فكان ذلك استهزاء بهما أيضاً ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم ﴾ أظهرتم الكفر بالاستهزاء والطعن في الرسول ﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ بعد إظهاركم الإيمان[3] ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ لأنهم تابوا وأقلعوا عن النفاق

رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبدالله بن عمر: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾

(١) كذا في الأصل، وفي ص وَ ق: اعتذروا به.

(٢) لفظ الجلالة غير مكتوب في الأصل وَ ص.

(٣) وهو قول بعض المفسرين منهم: الزجاج (٢/٤٥٩)، وأبوالمظر السمعاني (٢/٣٢٤)، والبغوي (٤/٧٠)، والزمخشري (٣/٦٤)، والبيضاوي (١/٤١١).

وذهب بعض المفسرين إلى أنه كان معهم شيء من الإيمان انسلخوا منه بالاستهزاء وهو قول ابن جرير (١٤/٣٣٦) وغيره، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مرجحاً هذا القول: "وقول من يقول عن مثل هذه الآيات: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالـــوا ....

وأخلصوا دينهم لله[1]، أو نعف عن طائفة لم يؤذوا رسول الله، وإن كانوا منافقين[2] ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝٦٦﴾ مصرين على النفاق أو مقدمين على إيذائه[3]. وقد جرت سنة الله في خلقه بأن من يطعن في رسول الله، أو في شريعته وسنته يعجل له العذاب في الدنيا تصديقاً لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[4][5].

كافرين في نفس الأمر، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم مازالوا هكذا، بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد إيمانهم، ولا يدل اللفظ على أنهم مازالوا منافقين". الفتاوى (٧/٢٧٢).

(١) روى ابن جرير (١٤/٣٣٦) عن ابن إسحاق أن اسمه: مَخْشِي بن حُمَيِّر الأشجعي، وروى أيضاً عن عكرمة (١٤/٣٣٤) أنه قال: "فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول: اللهم إني أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود وتَجِب منها القلوب، اللهم فاجعل وفاتي قتلاً في سبيلك لا يقول أحدٌ: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت. قال: فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا وُجد غيره".

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤١١)، ولم يذكر الزمخشري (٣/٦٤) إلا الاحتمال الأول.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٤) سورة المائدة، آية (٦٧).

(٥) راجع: الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ لابن تيمية فقد ذكر أشياء مفيدة في هذا الباب وفيه: "...الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ومظهرٌ لدينه ولكذب الكاذب... ونظير هذا ما حدثناه أعداد

قرأ عاصم ﴿ إِن نَّعْفُ ﴾ بنون مفتوحة وضم الفاء و﴿ نُعَذِّبْ ﴾ بنون مضمومة وكسر الذال و﴿ طَآئِفَةً ﴾ بالنصب، والباقون ﴿يُعفَ﴾ بياء التذكير وضمها وفتح الفاء و ﴿ تُعَذَّب ﴾ بتاء التأنيث وضمها وفتح الذال[1]، والمختار قراءة عاصم؛ لأنها أبلغ في الإنذار.

﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ تكذيب لهم في قولهم: ﴿ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾[2]؛ لأنهم متواصلون متحدون في وصف النفاق ذكورهم وإناثهم،

من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس إذ تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه فعجلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إنْ كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيه.

وهكذ حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين".اهـ ص(١١٧).

(١) انظر: السبعة ص(٣١٦)، التيسير ص(٩٧).

(٢) سورة التوبة، آية (٥٦).

وقوله: ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾(١) وإن كان رداً لتلك الدعوى إلا أنه لم يكن مشتملاً على ما يضاد دعواهم من قوله: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾(٢) ما أنكره الشرع ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ما عُرف حسنه من الشرع كالتوحيد وما يتفرع عليه ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ عن الإنفاق في سبيل الخير ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ استئناف يجري مجرى العلة ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ أي: أغفلوا ذكره فتركهم وعاملهم معاملة من نسي الشيء(٣) ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الكاملون في الفسق(٤).

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾

لما بيَّن جرائمهم التي هي أسباب العذاب أشار إلى ما أعد لهم في مقابلة ما اجترحوه، ولئلا(٥) يُظن أنهم كالشيء المنسي لا ثواب ولا عذاب فأزال ذلك ﴿ هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ عقاباً ﴿ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ زيادة على ذلك، وكما أن رضى الله للمؤمنين

---

(١) سورة التوبة، آية (٥٦).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٦٤)، الكشف للقزويني (١١/ب).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/١١٣).

(٤) انظر: الكشاف (٣/٦٥)، تفسير البيضاوي (١/٤١١).

(٥) ق: لئلا.

أَجَلُّ النعم كذلك لعنه المنافقين أشد النقم.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ دائم لا ينقطع، توكيد للخلود لئلا يظن به المكث الطويل، وردٌّ لما يزعمه الملاحدة بأن الخلود في النار لا يستلزم العذاب؛ لأنه يصير معتاداً به[1].

﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ خطاب للمنافقين على سبيل الالتفات[2] توبيخاً لهم بعد علمهم بما حلَّ بهم ﴿ كَانُوٓا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾ بيان[3] لوجه الشبه من تشبيه الحال بالحال؛ إذا[4] كانوا أكثر قوة وأموالاً وأولاداً ولم تجدهم شيئاً فأنتم من باب الأولى ﴿ فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ ذم للأولين بقصر

---

(١) ذهب أبوالهذيل العلاف من المعتزلة إلى أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع وأنهم يصيرون إلى سكون دائم ويبقون خامدين لا يقدرون على شيء، ومذهبه هذا مما خالف فيه أهل الإسلام، وقد رد عليه العلماء هذا القول وبيّنوا فساده، بل حتى أصحابه من المعتزلة شنعوا عليه وضللوه بسببه.
انظر: الفرق بين الفرق ص(١٠٢)، الملل والنحل ص(٥١).
كما ذهب بعض الاتحادية ومنهم ابن عربي الطائي إلى أن أهل النار يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعةً نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم.
انظر: الفصوص لابن عربي ص(٩٣).
وراجع هذه الأقوال وغيرها في دوام النار وأبديتها في شرح العقيدة الطحاوية ص(٦٢٤).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦٩/٥).

(٣) ق: إتيان.

(٤) ق: وإذا.

نظرهم على الفاني وذهولهم عن الباقي ويلزم منه ذم من يسلك مسلكهم، والخلاق: [ما خلق][1] للإنسان من حظه، "من الخلق بمعنى: التقدير"[2].

﴿ فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ ﴾[3]

وغفلتم عن أمر الآخرة كما غفلوا ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ الخوض: المشي في الماء، استعير للحديث الباطل المختلق؛ لأنه يهون على الكاذب اختراعه[4]، والمعنى: كالخوض الذي خاضوا[5] أو كالفوج[6]، ولذلك أفرد الموصول[7].

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: المتقدمون أما في

---

(١) ساقط من ص.

(٢) تفسير البيضاوي (٤١١/١).
قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي (٥٩٨/٤): "وهو أصل معناه لغة".
قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٢١٣/٢-٢١٤): "الخاء واللام والقاف أصلان، أحدهما: تقدير الشيء... والخلاق: النصيب؛ لأنه قد قُدِّر لكل أحد نصيبه". اهـ.

(٣) قوله تعالى: ﴿ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ ﴾ غير موجود في ص.

(٤) انظر: البحر المحيط (٦٩/٥).

(٥) قال الفراء (٤٤٦/١): "يريد: كخوضهم الذي خاضوا". اهـ.

(٦) انظر التقديرين في: الكشاف (٦٦/٣)، تفسير البيضاوي (٤١١/١).

(٧) يريد بالموصول: ﴿الذي﴾، ومراده -رحمه الله- أنه أفرد الموصول؛ لأنه يراد به المصدر الذي هو الخوض، أو يراد به الفوج الذي هو مفرد اللفظ مجموع المعنى.
انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٥٩٨/٤).

الدنيا فلأنهم مرضوا وماتوا وافتقروا وذلوا بعد العزّ[1]، وأما في الآخرة فالخلود الدائم في النار؛ فالمخاطبون السالكون مسالكهم أولى بذلك لكونهم أقبح حالاً، وأقل أولاداً وأموالاً ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الكاملون في الخسران؛ إذ لا خسران[2] فوق خسارة الدارين.

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ لما شبه حالهم بحال من تقدمهم ذكر طوائف لم يشك أحدٌ فيما حلَّ بهم إذ قد تواترت أخبارهم بحيث لم يبق للريب فيها مجال ﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أهلكوا بالطوفان ﴿ وَعَادٍ ﴾ أُهلكوا بريح

---

(١) بلفظ مقارب في التفسير الكبير للرازي (١٦/١٠٣).

قال الواحدي في الوسيط (٢/٥٠٩): " ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ لأنها لم تقبل منهم وفي ﴿ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ لأنهم لا يثابون عليها". اهـ.

وقال البيضاوي -رحمه الله- (١/٤١١-٤١٢): "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ لم يستحقوا عليها ثواباً في الدارين". اهـ.

وقال ابن كثير -رحمه الله- (٤/١١٣): "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ أي بطلت مساعيهم لا ثواب لهم عليها؛ لأنها فاسدة ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب". اهـ.

(٢) إذ لا خسران: مكرر في ص.

صرصر ﴿ وَثَمُودَ ﴾ أهلكوا بالرجفة ﴿ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أهلك نمرود[1] بالبعوضة، وأهلك أتباعه ﴿ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ ﴾ قوم شعيب أرسل عليهم سحابة مثل الظُّلة أحرقتهم[2] ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ﴾ مدائن قوم لوط، من الأَفْك -بفتح الهمزة- وهو: القلب[3]، سميت بها لأنه تعالى جعل عاليها سافلها[4].

﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات الواضحة ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ يفعل بهم ما يشبه [الظلم أو ما][5] هو ظلم في زعمهم يقولون: ﴿ لَوْلَآ

---

(١) نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل غير ذلك، أحد الجبابرة الذين ملكوا الدنيا، وكان كافراً ادعى لنفسه الربوبية، قيل: إن هلاكه ببعوضة أرسلها الله تعالى عليه فدخلت في منخره. والله أعلم.

انظر: الكامل (١/٥٣)، البداية والنهاية (١/١٤٧).

(٢) ق: أحرقهم.

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (أفك) (١/١١٨): "الهمزة والفاء والكاف أصل واحد يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته". اهـ.

وانظر: لسان العرب (أفك) (١٠/٣٩١).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤١٢) من قوله: ﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وفي موضعه علامة لكني لم أجده في الحاشية، وهو مثبت في سائر النسخ.

أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾(١)(٢) ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٧٠ ﴾ بتكذيب

(١) سورة طه، آية (١٣٤).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٤١٢/١).

وليس هناك ما يدعو إلى القول بأن الذي نفاه الله عن نفسه هو ما يشبه الظلم، أو ما هو ظلم في زعمهم، بل ما نفاه الله تعالى عن نفسه هو الظلم المعروف في لغة العرب وهو وضع الشيء في غير موضعه.

وكلام المؤلف -رحمه الله- هنا جارٍ على منهب الأشاعرة في معنى الظلم فإنهم عرَّفوه بأنه: التصرف في ملك الغير، وهم يقولون بأن الظلم بالنسبة لله تعالى غير ممكن الوجود، بل كل ممكن قُدّر وجوده فإنه عدل، والظلم منه ممتنع غير مقدور، وهو محال لذاته كالجمع بين الضدين ونحو ذلك.

وهذا هو قول جمهور الأشاعرة، وهو قول كثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد. ومذهب الأشاعرة في تفسير الظلم فرع عن قولهم في القدر فهم لميلهم إلى القول بالجبر إذا قيل لهم: كيف يُعذب عبادَه على ما جبرهم عليه، هذا من الظلم، قالوا: الظلم هو التصرف في ملك الغير، وهذا منتفٍ عن الله تعالى.

وهذا ما جعل المؤلف يفسر مانفاه الله تعالى عن نفسه في الآية بما ذَكَر؛ لأن الظلم منه تعالى غير ممكن بل محال لذاته، وقد قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي في هذا الموضع (٥٩٩/٤): "وتسميته ظلماً لمشابهته لـه لو كان، أو لأنه يسمى ظلماً بالنسبة إلى العباد الفاعلين لـه فلو وقع منه لم يكن ظلماً على مذهبنا". اهـ.

=

الأنبياء بعد وضوح الآيات.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ ﴾ عطف قصة على قصة(١) ومقابلة بين الأضداد في الجزاء إذ بضدها تتبين الأشياء جمعاً بين الترغيب والترهيب على ما هو سنته في كتابه(٢) ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ / وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ في كل ما أمروا به من سائر الأعمال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون ﴿ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ لا محالة(٣)؛

انظر: تأويل مشكل القرآن ص(٤٦٧)، معجم مقاييس اللغة (ظلم) (٤٦٨/٣)، الفتاوى لابن تيمية (١٣٧/١٨)، منهاج السنة (١٣٤/١ وما بعدها)، وراجع ما يأتي ص (٨٧٩).

(١) ق: قصة على أخرى.

(٢) في ق: تأخر قوله: "ومقابلة بين الأضداد في الجزاء إذ بضدها تتبين الأشياء" بعد قوله: "...على ما هو سنته في كتابه".

وفي حاشية الأصل: لم يذكر الولاية في قصة المنافقين، بل كون بعضهم من بعض؛ لأن ما بهم من الاتصال عن قريب ينقطع فينقلب عداوة. منه.

(٣) انظر: الكشاف (٦٧/٣)، تفسير البيضاوي (٤١٢/١)، وقال: "فإن السين مؤكدة للوقوع".

ولم يرتض أبوحيان (٧١/٥) والسمين الحلبي في الدر المصون (٨٥/٦) هذا القول وقالا: إنما هي للاستقبال.

قال أبو حيان: "وليس مدلول السين توكيد ما دخلت عليه إنما تدل على تخليص المضارع =

لأن السين في الإثبات مثل لن في النفي"[1].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب يفعل ما يشاء ﴿ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ لا يفعل شيئاً إلا وفيه حكمة، ولذلك رتب الثواب على الحسنات والعقاب على السيئات.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾ تفصيل لما أجمله في قوله: ﴿ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]، وقد روى البخاري مرفوعاً: «إن للمؤمن في الجنة قبة من ياقوتة حمراء طولها ستون ميلاً، وله في كل زاوية منها أهلون»[3]

للاستقبال فقط، ولما كانت الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب والعقاب (كذا في النص ولعلها: ودرأ العقاب) في الآخرة، أتى بالسين التي تدل على استقبال الفعل". اهـ. وما ذكره في معنى الرحمة إنما هو أثرها، وهي صفة من صفات الله.

(١) انظر: حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة٦٦٤).

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٦/١٠٥)، البحر المحيط (٥/٧١).

(٣) في ص حاشية غير واضحة يظهر منها: رواه الطبري.

وهذا الحديث لم أقف عليه في الطبري، وفي الأصل حاشية مشابهة لها جداً لكنها مؤخرة عند حديث أبي سعيد الذي سيرد قريباً ص(٣٣٧).

والحديث رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ سورة الرحمن، آية: (٧٢) (٦/٥٦)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة خيام الجنة (٤/٢١٨٢، رقم ٢٣) عن عبدالله بن قيس -رضي الله عنه-.

﴿ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ﴾ أي: إقامة، من قولهم: عَدَن بالمكان إذا أقام به[1]، وقد صار علماً بالغلبة لقوله ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ ﴾[2]، والحديث الذي يروونه: «إن عدناً دار الله التي لا يسكنها إلا النبيون والصديقون والشهداء»[3] ليس لـه أصل[4]، ويرده هذا النص؛ لأنه أثبته لكافة المؤمنين والمؤمنات[5].

﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ أي: شيء قليل منه أكبر من جنات عدن

---

(١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٦٣)، تهذيب اللغة (عدن) (٢/٢١٨).

(٢) سورة غافر، آية (٨).

(٣) رواه ابن جرير (١٤/٣٥١) والبزار (كشف الأستار) (٤/١٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف" (١٠،٤١٢).

وانظر ترجمة زيادة في: التاريخ الكبير (٢/١/٤٠٧)، وميزان الاعتدال (١/٣٦١)، وقد قال عنه الحافظ في التقريب ص(٢٢١): "منكر الحديث".

(٤) في حاشية جميع النسخ: ذكره الكشاف والقاضي.

وانظر: الكشاف (٣/٦٧)، تفسير البيضاوي (١/٤١٢).

(٥) في حاشية الأصل: وأصرح منه قوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ ﴾ سورة غافر آية: (٨)، فإن الضمير لكافة المؤمنين (منه).

وفي حاشية ص: وأصرح منه قول الملائكة في عامة المؤمنين ﴿ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ ﴾ سورة غافر، آية: (٨). (منه).

وما فيها[1]؛ لأنه مبدأ كل سعادة[2]، وعن بعض العارفين[3]: ليت[4] لي عند الله ركعتين متقبلتين؛ لأن القبول علامة الرضى قل العمل أو كثر.

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله[5] ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»[6].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٦٧).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤١٢).

(٣) روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: "لأن أستيقن أن الله تقبل مني صلاة واحدة أحب إليّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة المائدة، آية (٢٧).

انظر: الدر المنثور (٣/٥٦).

(٤) ق: ليست، والصواب المثبت أعلاه.

(٥) لفظ الجلالة لم يكتب في ص.

(٦) سبق تخريجه ، وفي الأصل حاشية: الحديث رواه الطبري وغيره (كلمة غير واضحة) سنده. (منه).

وانظر: الحديث في الطبري (١٤/٣٥٦)، وهذه الحاشية قد تقدم الإشارة إلى ما يشبهها في نسخة ص. راجع (٣٣٥).

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ أي: رضوان الله، أو ما ذكر سابقاً[1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ ﴾ الكفار بالسيف، والمنافقين بالحجة والبرهان[2]؛ لأنهم يظهرون الإيمان فلا مجال للسيف قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٦٧)، تفسير البيضاوي (١/٤١٢).

والثاني هو ما ذكره ابن جرير (١٤/٣٥٧)، واستظهره أبوحيان (٥/٧٢).

(٢) اختلف المفسرون في جهاد المنافقين المذكور في الآية بم يكون؟

فذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- والضحاك -كما رواه عنهما ابن جرير (١٤/٣٥٩)- والزمخشري والبيضاوي وغيرهم إلى أنه باللسان والحجة.

وذهب الحسن وقتادة -كما رواه عنهما ابن جرير (الموضع السابق)- إلى أنهم يجاهدون بإقامة الحدود.

وذهب ابن مسعود -رضي الله عنه- -كما رواه ابن جرير (١٤/٣٥٨)- وهو اختيار ابن جرير أنهم يجاهدون باليد.

ولعل الراجح ما ذكره ابن كثير بقوله: "وقد يقال: لا منافاة بين هذه الأقوال؛ لأنه تارة يؤاخذهم بهذا، وتارة بهذا بحسب الأحوال والله أعلم". اهـ (٤/١١٩).

قال الإمام عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-: "وهذا هو الصواب؛ لأن المنافقين أنواع، فإن أظهروا النفاق فيجاهدون بالسيف؛ لأنهم معلنون بالكفر، وإن لم يظهروا فيجاهدون بالحجة ونحو ذلك". (من درسه مساء الأحد ١١/١٠/١٤١٨هـ).

وانظر: الكشاف (٣/٦٨)، تفسير البيضاوي (١/٤١٣).

إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[1].

﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ بالسيف والقول المُرِّ ولا تحابِ أحداً منهم ﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ قتلوا على الكفر أو ماتوا حتف أنفهم.

﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾ أقام رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ينزل عليه القرآن في شأن المنافقين فقال الجلاس بن سويد: "والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين تخلفوا وهم سادتنا لنحن شر من الحمير". فقال عامر بن قيس الأنصاري[2]: "والله إن محمداً لصادق وأنت شر من الحمار". وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه وقال: "اللهم أنزل تصديق الصادق وتكذيب الكاذب" فنزل[3]. وإنما ذكره بلفظ الجمع؛

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ﴾ (١١/١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله... إلخ (٥٢/١).

(٢) راجع الحاشية التالية.

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٢٨١/٥) عن موسى بن عقبة، ورواه البغوي عن الكلبي (٧٤/٤).

وقد أخرج القصة ابن سعد في الطبقات (٣٧٥/٤)، وعبدالرزاق في المصنف (٤٦/١٠)، وابن جرير (٣٦٢/١٤) وفيه أن الذي رفع كلام الجلاس إلى النبي ﷺ عمير بن سعيد.

قال الحافظ في الإصابة: "عامر بن قيس الأنصاري ابن عم الجلاس بن سويد، ذكره موسى ابن

لأن الفعل واقع بينهم كما يقال: بنو فلان قتلوا زيداً، أو القائل هو وصدقه الآخرون[1]".

﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ هو قول الجلاس: لئن كان ما يقول محمد

عقبة في المغازي... (وذكر قصته مع الجلاس) وكذلك ذكره أبو الأسود عن عروة، ونقله الثعلبي عن قتادة والسدي، والقصة مشهورة لعمير بن سعد" (١٥/٤).

وقال في ترجمة عمير بن سعد: عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف الأنصاري، كان يقال له: نسيج وحده، وهو الذي رفع إلى النبي ﷺ كلام الجلاس بن سويد وكان يتيماً في حجره. اهـ باختصار وتصرف (٣٢/٥).

وكذا ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٧٨٩/٣) عمير بن سعد، وغلّط من قال: إنه عمير بن سعيد (٧٩١/٣).

وقد أشار إلى القصة قبلهم ابن إسحاق وسماه: عمير بن سعد أيضاً.

انظر: سيرة ابن هشام (٢٠٥/٤).

وفي الأصل حاشية عند هذا الموضع: وقد تقدم أن حلاساً تاب بعد نزول القرآن فيه. منه.

وفي حاشية ص: نقل ابن عبدالبر أن حلاساً تاب وحسنت توبته وعده من الأنصار. منه.

وانظر: الاستيعاب (٢٦٥/١، ١٢١٥/٣-١٢١٦).

وقد ذكر توبة الجلاس ابن إسحاق في السيرة.

انظر: سيرة ابن هشام (٢٠٥/٤). وسيأتي لذلك مزيد بيان ص(٣٤٥).

(١) ص: الآخرولها.

وانظر: حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة٦٦٤).

حقاً"[1]. وقيل: قول عبدالله بن أبي في غزوة تبوك حين تقاتل مهاجري مع أنصاري فنادى المهاجري: يا للمهاجرين ونادى الأنصاري: يا للأنصار، فقال ابن أبي: "فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"[2]، ﴿وَكَفَرُواْ

(١) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- وعروة بن الزبير والحسن ومجاهد وابن سيرين والكلبي.

انظر: تفسير الطبري (٣٦١/١٤)، تفسير البغوي (٧٤/٤)، زاد المسير (٤٧٠/٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ (٦٣/٦، ٦٤، ٦٥)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين (٢١٤٠/٤ رقم ١) عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم -ﷺ- من غير ذكر القتال بين المهاجري والأنصاري، ولم يصرح باسم الغزوة، والرواية التي ذكر فيها القتال بين المهاجري والأنصاري رواها البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (٦٥/٦، ٦٦)، عن جابر -ﷺ- ولم يصرح باسم الغزوة أيضاً.

وقد وقع في رواية محمد بن كعب عن زيد بن أرقم عند النسائي في الكبرى في تفسير سورة المنافقون (٤٩٢/٦ رقم ١١٥٩٧) أنها غزوة تبوك، ورواية محمد بن كعب عن زيد بن أرقم هذه أخرجها البخاري أيضاً من غير تصريح باسم الغزوة في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ... ﴾ (٦٤/٦).

والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق، قال ابن حجر: "وسمى ابن إسحاق هذه الغزوة غزوة بني المصطلق، وكذا وقع عند الإسماعيلي من طريق ابن أبي عمر عن سفيان قال: يرون أن =

بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام إذ لم يسلموا طرفة عين.

﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ وذلك أن خمسة عشر منهم توافقوا على الفتك برسول الله ﷺ مَقْفلة من تبوك إذا تسنَّم العقبة بالليل فأخذ(1) عمار بخطام ناقته يقودها وحذيفة وراءها يسوقها فسمع حذيفة وقع أخفاف الإبل وقعقعة

هذه الغزوة غزوة بني المصطلق، وكذا في مرسل عروة الذي أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزهري عن عروة بن الزبير وعمر بن ثابت أنهما أخبراه أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيع... ثم ذكر تمام القصة" (٨/٦٤٩) بتصرف يسر.

ومما يؤيد هذا ما جاء في رواية جابر -رضي الله عنه- السابقة حيث قال: "وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد". قال ابن حجر: "هذا مما يؤيد تقدم القصة، ويوضح وَهْم من قال إنما بتبوك؛ لأن المهاجرين حينئذٍ كانوا كثيراً جداً، وقد انضافت إليهم مسلمة الفتح في غزوة تبوك فكانوا حينئذٍ أكثر من الأنصار. والله أعلم". فتح الباري (٨/٦٥٠).

كما يؤيده أيضاً أن عبدالله بن أُبي قد تخلف عن تبوك كما ذكر ابن إسحاق وغيره.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/١٧٣)، زاد المعاد (٣/٥٢٩).

والقول بأن الآية نزلت بهذا السبب رواه ابن جرير عن قتادة (١٤/٣٦٤).

وانظر: البسيط (٢/٦٥٢)، زاد المسير (٤/٤٧١).

(١) ص: وأخذ.

السلاح[1] فقال: "إليكم إليكم أعداء الله" فهربوا[2].

﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ ﴾ ما عابوا وما كرهوا شيئاً من أمر محمد ﴿ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ إلا هذا الأمر الجميل الحسن، مثل قول النابغة[3]:

(١) قعقعة السلاح: صوته وحركته.

انظر: لسان العرب (قعقع) (٢٨٦/٨).

(٢) رواه الإمام أحمد (٤٥٣/٥ رقم ٢٣٨٤٣) والبيهقي في الدلائل باب رجوع النبي ﷺ من تبوك (٢٥٦/٥) عن أبي الطفيل -ﷺ- قال ابن كثير -رحمه الله-: "ويشهد لهذه القصة بالصحة مارواه مسلم: حدثنا زهير بن حرب حدثنا أبوأحمد الكوفي حدثنا الوليد بن جميع حدثنا أبوالطفيل قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال لـه القوم: أخبره إذ سألك، قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم، وقد كان في حرة فمشى فقال: **إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد**، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذٍ..." إلخ، تفسير ابن كثير (١٢٢/٤).

والحديث رواه مسلم كتاب صفات المنافقين (٢١٤٤/٤ رقم ١١).

والقول بأن الآية نزلت بهذا السبب هو قول مقاتل والكلبي والزجاج والزمخشري وجماعة.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٦١/٢)، البسيط (٦٥٤/٢)، الكشاف (٦٩/٣)، زاد المسير (٤٧١/٤).

(٣) زياد بن معاوية بن ضِباب بن ذبيان بن غطفان، أبوأمامة ويقال: أبوثمامة، كان أوّل عمره لا يقول =

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم　بِهِنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكَتائبِ[1]

وذلك أن أهل المدينة كانوا أهل زرع وعمل وأكثرهم كانوا محاويج فلما قدم عليهم رسول الله ﷺ دعا لهم بالبركة وقال: «اللهم بارك لهم في صاعهم ومدهم»[2] «اللهم اجعل البركة بها ضعفي ما بمكة»[3] «وصحح هواءها وانقل حماها إلى الجُحْفَة[4]»[5]، وحصل لهم الفتوح والغنائم، وقُتل للجلاس عبدٌ فأمر رسول الله

الشعر، ثم أصبح من فحول الشعراء، كان من أصحاب النعمان بن المنذر وقد مدحه كثيراً.

انظر: الشعر والشعراء (١/١٥٧).

(١) البيت في ديوان النابغة ص(٤٤)، ومعجم مقاييس اللغة (فل) (٤/٤٣٤)، البحر المحيط (٥/٧٤).

والمعنى: أنه لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم فيها انثلام من الضرب في الحرب، وهذا ليس عيباً فمراده: أنه ليس لهم عيب.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الحيس (٦/٢٠٦)، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة (٢/٩٩٣ رقم ٤٦٢) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة باب (١٠)، ومسلم كتاب الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة (٢/٩٩٤ رقم ٤٦٦) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-.

(٤) الجحفة: بين مكة والمدينة، سميت بذلك لأن السيل احتحفها، وهي ميقات أهل الشام ومصر وقد خربت وأصبح الناس يحرمون من رابغ، والجحفة الآن تابعة لإمارة رابغ وبينهما ما يقارب (٢٢) كيلاً.

انظر: معجم البلدان (٢/١١١)، معجم معالم الحجاز (٢/١٢٢)، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري ص(١٤٠).

(٥) رواه البخاري كتاب فضائل المدينة، باب (١٢) (٢/٢٢٤) عن عائشة -رضي الله عنها- بلفظ: وصححها لنا... الحديث.

ﷺ بقيمته اثني عشر ألفاً فاستغنى[1].

﴿ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ بالقتل والأسر ﴿ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ﴾ بالنار ﴿ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ ﴾ يتولى أمرهم ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ يدفع عنهم العذاب[2] بالقهر، وإنما قيد بالأرض[3] لأن لهم فيها[4] أعواناً وأنصاراً، وفي الآخرة لا أنساب ولا أسباب، لما سمع الجلاسُ هذا فقال: "يا رسول الله لقد عرض اللهُ عليَّ التوبة والله لقد قلته، ولقد صدق عامر"، فتاب وحسنت توبته[5].

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف (١٠/٤٦ رقم ١٨٣٠٣)، وابن جرير (١٤/٣٦٦) عن عروة ابن الزبير دون ذكر "اثني عشر ألفاً".

ورواه ابن جرير أيضاً (١٤/٣٦٧) عن عكرمة دون تسمية الجلاس.

وانظر: تفسير البغوي (٤/٧٥)، الكشاف (٣/٧٠)، تفسير البيضاوي (١/٤١٣).

(٢) ص: بالعذاب.

(٣) ص: بالآخرة.

(٤) ق: منها.

(٥) في ق: تقديم وتأخير والعبارة فيهما ﴿ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ ﴾ لما سمع الجلاس... إلى قوله: وحسنت توبته ﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ بالقتل... إلى قوله: ولا أسباب ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ... ﴾ إلخ.

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ نزلت في ثعلبة بن حاطب[1]، وكان من الفقراء كان إذا صلى خرج مسرعاً فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: "لي ولامرأتي ثوب واحد فإذا صليت فيه نزعتُه لها فسل اللهَ يا رسول الله أن يرزقني مالاً"، فقال: «يا ثعلبة قليلٌ تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه»، فراجعه وقال[2]: "والذي بعثك بالحق لئن أعطاني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه"، فدعا لـه فاتخذ غنماً فَنَمَت كما تَنْمي الدود، فضاقت بها المدينة فنزل وادياً وترك الجماعة والجمعة، فافتقده رسول الله ﷺ فقيل: "إنه اتخذ غنماً ونـزل واديـاً". فقـال: «ويح[3] ثعلبة»، فلما نزل

والحديث قطعة من الأثر الذي رواه البغوي عن الكلبي (٤/٧٥)، وقد سبق ص(٣٧٩)، وقد روى توبة الجلاس الطبري عن عروة (١٤/٣٦٨) وذكرها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٤/٢٠٥).

(١) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد الأوسي الأنصاري، شهد بدراً وأحداً، قتل يوم أحد وقيل: في خيبر وقيل: بعد ذلك.

وقد اختلف العلماء هنا فقال بعضهم هذا البدري غير صاحب القصة -وسيأتي الحديث عن صحتها- وقيل هو شخص واحد والقصة لا تثبت.

انظر: أسد الغابة (١/٢٨٣)، الإصابة (١/٢٠٦).

(٢) ق: فقال.

(٣) ق: ذبح.

قولـه تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم[1] بِهَا ﴾[2] فأرسل مُصَدِّقَين[3] لأخذ الصدقات، فاستقبلهما[4] الناس بصدقاتهم، فلما أتيا ثعلبة وأقرأاه كتاب رسول الله ﷺ في الصدقات وفرائضها فقال: "ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فارجعا حتى أرى رأيي". فنزلت الآية، فسمع بها بعض أقارب ثعلبة فأتاه فقال: "ويلك قد نزل فيك القرآن"، فأتى ثعلبة رسول الله ﷺ بصدقته فقال: «إن الله منعني أن/ أقبل صدقتك»، فشرع يحثو التراب على رأسه. فإن قلت: باب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها فَلِمَ لم تقبل توبته وقد جاء تائباً؟[5]. قلت: توبته [وقد جاء تائباً][6] لم تكن عن إخلاص[7] دل عليه قوله:

---

(١) وتزكيهم: ساقطة من الأصل وَ ص.

(٢) سورة التوبة، آية (١٠٣).

(٣) المُصَدِّق: عامل الزكاة الذي يستوفيها من أربابها.

انظر: النهاية (صدق) (١٨/٣).

(٤) ص: فاستقبلها.

(٥) هذا السؤال فرع عن ثبوت القصة، وسيأتي أنها لا تثبت.

(٦) ساقط من ص وَ ق.

(٧) ذكر هذا الوجه مع أوجه أخرى الرازي في التفسير الكبير (١١١/١٦).

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا [فِي قُلُوبِهِمْ][1] إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ جاء بصدقته إلى أبي بكر فلم يقبلها، فلما قبض أبو بكر -رضي الله عنه- جاء بها عمر[2] -رضي الله عنه- في خلافته فأبى أن يقبلها فلما[3] وَلِيَ عثمان -رضي الله عنه- أتاه بها فأبى أن يقبلها وهلك في خلافته[4].

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ ﴾ لم يؤدوا زكاته، وفيه دليل على أن

---

(١) ساقط من ص وَ ق.

(٢) ق: إلى عمر.

(٣) ق: ولما.

(٤) رواه ابن جرير (٣٧٠/١٤) والواحدي في أسباب النزول ص(٢٥٧)، والبغوي (٧٥/٤)، والطبراني في الكبير (٢٦٠/٨ رقم ٧٨٧٣)، والبيهقي في الدلائل (٢٨٩/٥) وغيرهم.
انظر: الدر المنثور (٢٤٦/٤).
وهو حديث لا يصح، فيه علي بن يزيد الألهاني قال عنه البخاري: "منكر الحديث"، وَضعَّفه الإمام أحمد وابن أبي حاتم والنسائي والترمذي والدارقطني وغيرهم.
انظر: التاريخ الكبير (٣٠١/٣/٢)، تهذيب التهذيب (٣٩٦/٧).
وقال الحافظ العراقي عن هذا الحديث: "رواه الطبراني بإسناد ضعيف"اهـ، تخريج الإحياء (٢٦٦/٣)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص(٧٧): "إسناده ضعيف جداً". اهـ، وضعفه الهيثمي والمناوي والألباني وغيرهم.
انظر: مجمع الزوائد (٣٢/٧)، فيض القدير (٥٢٧/٤)، ضعيف الجامع الصغير (١٢٥/٤).
وقد ذكر القصة الزمخشري (٧٠/٣)، والبيضاوي (٤١٣/١).

من أدى زكاة ماله[1] انسلخ عنه [اسم][2] البخل ﴿ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: دأبهم الإعراض عن امتثال أوامر الله.

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: جعلَ عاقبةَ ذلك البخلِ النفاق في قلوبهم، وإنما ذكرها لأنها[3] مصدر السماح والبخل وسائر الأخلاق، وعن الحسن وقتادة[4]: أن الفعل مسند إلى البخل[5]، ولا يلائمه الضمائر السابقة واللاحقة[6] ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ

(١) في الأصل: مال. والمثبت أعلاه من باقي النسخ.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) ق: لأنه.

(٤) قتادة بن دعامة السلوسي البصري الضرير حافظ عصره وإمام المفسرين ولد سنة ٦٠هـ. قال الذهبي: "كان يرى القدر، نسأل العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه". اهـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٩)، وفيات الأعيان (٤/٨٥).

(٥) ذكره عن الحسن ابن الجوزي (٣/٤٧٥)، والزمخشري (٣/٧١)، وأبو حيان (٥/٧٥) وغيرهم.
وعزاه لقتادة الزمخشري وأبو حيان في الموضعين السابقين.

(٦) قال التفتازاني في حاشيته على الكشاف (لوحة ٦٦٤) -تعقيباً على قول الزمخشري: والظاهر أن الضمير لله- قال: "لأنه الملائم سوق النظم سابقاً ولاحقاً أعني: ﴿ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ ﴾ و ﴿ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ ... إلخ".
وانظر: المحرر الوجيز (٣/٦٢).

﴿يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي: الله، أو جزاء نفاقهم[1] ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ أي: بسبب إخلافهم وعد الله ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ في مقالهم، وفي الحديث: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر»[2].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ أي: قد علموا ذلك، تعجيب[3] من جهلهم وتوبيخ على فعلهم بعد علمهم، والسرُّ هو: الكتمان مطلقاً،

وهذا القول هو المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد. البسيط (٢/٦٦٢)، زاد المسير (٣/٤٧٥)، وبه قال الطبري (١٤/٣٦٩)، ورجحه الزمخشري (٣/٧١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (الموضع السابق)، والرازي في التفسير الكبير (١٦/١١٣).

(١) انظر: الجامع للقرطبي (٨/٢١٢)، تفسير البيضاوي (١/٤١٤)، البحر المحيط (٥/٧٥)، وقد رجح أبوحيان القول الأول.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق (١/١٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (١/٧٨ رقم ١٠٧) عن أبي هريرة -ﷺ- بلفظ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»، وأما لفظ: «**إذا خاصم فجر**» فقد جاء في حديث عبدالله بن عمرو -ﷺ- عند البخاري ومسلم (الموضعين السابقين) بلفظ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً... الحديث**»، مع اختلاف يسير بين ألفاظ الشيخين.

(٣) ق: تعجب.

والنجوى: ما تسارَّ به اثنان أو أكثر[1] ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ كلها.

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾ رفع أو نصب على الذم[2] ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي: يعيبونهم في شأنها، وقد أسند البخاري عن ابن مسعود -ﷺ- أنه قال: "أمرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء أبوعقيل[3] بنصف صاع وجاء إنسان آخر بأكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صاع هذا وما فعل هذا الآخر إلا رياءً، فنزلت"[4]. وروي أن عبدالرحمن بن عوف أتى بأربعة آلاف

(١) وهو قول البغوي (٧٨/٤)، والزمخشري (٧٢/٣)، والرازي (١١٥/١٦)، والبيضاوي (٤١٤/١)، وذكره أبوحيان (٧٦/٥)، وقال بعده: "وقيل: ﴿ سِرَّهُمْ ﴾ ما يسار به بعضهم بعضاً، ﴿ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ ما تحدثوا به جهراً بينهم، وهذه أقوال متقاربة متفقة في المعنى". اهـ.

(٢) انظر: الكشاف (٧٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤١٤/١).

وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته (٦٠٧/٤): "أي خبر مبتدأ: هم الذين، أو مفعول أعني أو أذم الذين".

وقد رجح أبوحيان (٧٦/٥) أن ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾.

(٣) أبو عقيل الأنصاري اختلف العلماء في اسمه فقيل: حثحاث، وقيل: سهل بن رافع، وقيل: عبدالله، وقيل: عبدالرحمن، وقيل غير ذلك.

انظر: الإصابة (١٣٣/٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠٥/٥)، ومسلم كتاب الزكاة، باب الحمل أجرة يتصدق بها... (٧٠٦/٣ رقم ٧٢).

وقال: "كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة" فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت»[1] فاستجاب الله دعاءه حتى أنه لما توفي صُولحت إحدى زوجاته الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً[2]. ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ "إلا طاقتهم"[3] ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ "يستهزؤن بهم"[4] ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ بأن كشف عن نفاقهم وفضحهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ في الآخرة.

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (١٤/٣٨٣، ٣٩١)، وعن يحيى بن أبي كثير (١٤/٣٩١).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٥٠) إلى ابن مردويه وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) كذا في الأصل، وسائر النسخ: ألف دينار.

وقد ذكر خبر مصالحة امرأته ابن عبدالبر في الاستيعاب (٢/٨٤٧).

وانظر: سير أعلام النبلاء (١/٩٠-٩١).

وذكره البغوي (٤/٧٩)، والزمخشري (٣/٧٢)، والبيضاوي (١/٤١٤).

ولكن عند البغوي: "أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم" اهـ.

(٣) الكشاف (٣/٧٣)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٤) تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

قلت: قوله ذلك عن علمه ذلك بأنه لا يغفر له ولو زاد وأن ذلك العدد لم يرد منه الحصر، ولا مفهوم له[1]، وقوله هذا تطييب لقلب ابنه فإنه[2] من خيار الصحابة -رضي الله عنه-[3].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ذلك الغضب الشديد لعظم

---

(١) في حاشية الأصل وَ ص: والذي يقطع الشبهة قوله في سورة المنافقين: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ سورة المنافقون، آية (٦).

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن السبعين للحصر مستدلين بهذه الرواية التي أوردها المؤلف -رحمه الله-.

وقد اختار هذا القول الواحدي في الوسيط (٢/٥١٥)، وإليه يميل ابن العربي في أحكام القرآن (٢/٩٩١).

وانظر: البحر المحيط (٥/٨١).

(٢) ق: فإنه كان.

(٣) وهو عبدالله بن عبدالله بن أبي -رضي الله عنه- قال عنه الحافظ الذهبي في السير (١/٣٢٢): "وقد كان عبدالله بن عبدالله من سادة الصحابة وأخيارهم... وقد مات أبوه سنة تسع فألبسه النبي ﷺ قميصه وصلى عليه واستغفرله إكراماً لولده حتى نزلت ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ...الآية ﴾".

وانظر: ما يأتي ص(٣٦١).

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ لن يغفر الله لهم لأنهم أصحاب الدرك الأسفل ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ أريد به الكثرة لا الحصر فإنه يستعمل كثيراً في العرف لمعنى الكثرة[1]، وقد أسند البخاري عن عمر ابن الخطاب قال: "لما مات عبدالله بن أُبي دُعي رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وَثَبْتُ إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟ فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «أَخِّر عنِّي» فلما أكثرت عليه قال: «إني خيرتُ فاخترتُ، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين يُغفرلـه لزدت عليه»، قال: فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزل: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ... وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾"[2].

فإن قلت: قد جاء في رواية أنه قال: "قيل لي[3]: ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ وسأزيد"[4].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٧٤)، زاد المسير (٣/٤٧٨)، تفسير البيضاوي (١/٤١٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين (٢/١٠٠)، والآية من سورة التوبة (٨٤).

(٣) ق: له.

(٤) رواه البخاري كتاب التفسير، باب قوله ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...الآية ﴾ (٥/٢٠٦) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

جنايتهم[1] وهو الكفر بالمنعم الحقيقي والمجازي[2].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ المراد عدم خلق الاهتداء فإن الدعوة والإرشاد عامان. وفيه إيماء إلى أنهم من أهل الطبع[3]، لا أنه غير مقبول الشفاعة، كيف وقد قُبلت شفاعته في سائر الأمم[4] فضلاً عن مذنبي أمته.

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بقعودهم بعد خروجه، يقال: أقام خلاف الحي، أي: بعدهم، وعليه قراءة من قرأ: ﴿ لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5]، أو هو بمعنى المخالفة نصب على

---

(١) ق: خيانتهم.

(٢) مراده بالمنعم الحقيقي: الله تبارك وتعالى.

والمنعم المجازي: الرسول ﷺ؛ لأنه هو الذي دعاهم إلى الإسلام وعلمهم الحكمة والقرآن وقسم بينهم الأموال من الغنائم والصدقات ونحوها.

(٣) أي: أنهم كفار، والكفار لا تنفعهم الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ سورة المدثر، آية (٤٨).

(٤) كشفاعته ﷺ عند ربه أن يأتي لفصل القضاء بين الخلائق بعد ما يشتد عليهم الكرب في الموقف، وشفاعته ﷺ لفتح أبواب الجنة.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٨٢).

(٥) سورة الإسراء، آية (٧٦).

العلة(١) أو الحال(٢)، لم يقل: المتخلفون إشارة إلى أنهم جعلوا كالمعاذير الذين خلفوا لعدم الانتفاع بهم ﴿ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في إعلاء كلمته إيثاراً للدعة(٣) على الطاعة، وفيه تعريض بالمؤمنين بأن داعي

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿ خِلَٰفَكَ ﴾، وقرأ باقي السبعة: (خَلْفَك) قال أبوحيان: "والمعنى واحد... وهذا كقوله: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ أي: خلف رسول الله في أحد التأويلات". اهـ. البحر المحيط (٦/٦٣).

وانظر: السبعة ص(٣٨٣-٣٨٤)، التيسير ص(١١٤).

وقد أيد بعض العلماء هذا القول -في آية التوبة- بقراءة: "خَلْف رسول الله" وهي قراءة ابن عباس وأبي حيوة وعمرو بن ميمون.

انظر: شواذ القرآن لابن خالويه ص(٥٤)، الكشاف (٣/٧٥)، البحر المحيط (٥/٨٠).

وهذا القول في الآية هو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/٢٦٤)، والزمخشري (الموضع السابق)، والعكبري في إعراب القرآن (٢/٦٥٣) وغيرهم.

(١) وهو قول الأخفش كما في معاني القرآن (٢/٥٥٨)، والزجاج في معاني القرآن (٢/٤٦٣)، والمعنى: مخالفةً لرسول الله.

(٢) أي: مخالفين لرسول الله.

وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٣٣)، البيان لابن الأنباري (١/٤٠٤)، تفسير البيضاوي (١/٤١٤).

(٣) ق: للرغبة.

الإيمان وباعث الإيقان أنساهم كل لذة سوى لذة مرضاة[1] الله حتى إن بذل الأموال والمهج عندهم ألذ من كل شهي[2] بهي[3]، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قال بعضهم لبعض[4]، أو قالوه [للمؤمنين][5] تثبيطاً لهم[6]، وهذا شأن صاحب السوء ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ تجهيل لهم وتخطئة لآرائهم؛ لأن من ترك مشقة ساعة وكان موقناً بأنه يقع بذلك في مشقة الأبد لم يكن أحد أجهل منه[7]، قال:

مَسَرَّةُ أَحقابٍ تلقَّيت بعدَها مَساءَةَ يومٍ أَرْيُها[8] شبهُ الصَّابِ

---

(١) ص: في مرضاة.

(٢) كذا في الأصل وسائر النسخ: شيء.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤١٥).

(٤) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق (١٤/٤٠٠)، وذكره ابن الجوزي عن مقاتل (٣/٤٧٨)، واختاره ابن جرير (١٤/٣٩٩).

وانظر: السيرة لابن هشام (٤/٢٠٥).

(٥) ساقط من ق.

(٦) وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهما- كما رواه ابن جرير (١٤/٤٠٠)، وقد ذكر القولين البيضاوي (١/٤١٥).

(٧) انظر: الكشاف (٣/٧٥).

(٨) في سائر النسخ: أريه، وفي سائر المراجع التي وقفت عليها: أريها.

فكيف بأنْ تَلْقى[1] مسرَّةَ ساعةٍ وراءَ تَقَضِّيها مساءَةُ أحقابِ[2]

﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ لما اختاروه.

﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

أي: فسيضحكون قليلاً وسيبكون كثيراً، وإنما أخرج في صورة الأمر للدلالة على أن ذلك حتم واجب لا محالة[3]؛ لأن الأمر [للإيجاب و][4] لا يحتمل الصدق

---

(١) ق: يلقى.

(٢) للزمخشري كما في مشاهد الإنصاف ص(١٢)، ونسبها الألوسي (٢٢٠/١٠) لابن أخت خالة الزمخشري.

وانظر: الكشاف (٧٦/٣)، البحر المحيط (٨١/٥)، الدر المصون (٩٢/٦).

و"الأحقاب": الأزمان الطويلة، "الأري": العسل. لسان العرب (أري) (٢٨/١٤)، "شبه": مثل، "الصاب": نوع من الشجر مر الطعم. لسان العرب (صوب) (٥٣٧/١).

والمعنى: أن سرور أزمان طويلة يعقبها مساءة يوم فإن حلاوتها شديدة المرارة، فكيف إذا كان السرور ساعة والشدة أزماناً متطاولة.

(٣) انظر: الكشاف (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (٤١٥/١).

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من سائر النسخ ليست في الأصل.

والقول بأن الأمر إذا جاء متجرداً عن القرائن فإن مقتضاه الوجوب هو قول جمهور العلماء.

انظر: التمهيد لأبي الخطاب (١٤٥/١)، الإحكام لابن حزم (٢٦٩/٣)، الإحكام للآمدي (١٤٤/٢)، روضة الناظر (٦٠٤/٢)، المسودة ص(١٥).

والكذب[1].

يروى: "أن أهل النار يبكون مدة بقاء الدنيا لا يرقأ لهم دمع"[2].

وقيل الضحك والبكاء كنايتان عن السرور والغم[3].

وعلى الوجهين: أريد بالقلة العدم إذ لا ضحك لهم رأساً[4].

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ وإنما قُيد بطائفة؛ لأن المُخَلَّفِين كانوا طائفتين منهم المؤمنون الخلص[5]، مثل كعب بن مالك وصاحبيه[6] على ما يأتي في

(١) انظر: حاشية الشهاب (٤/٦١٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/٥١٦)، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وقد ذكره مبهماً الزمخشري (٣/٧٦).

(٣) جوَّزه البيضاوي (١/٤١٥).

(٤) قال البيضاوي (١/٤١٥): "والمراد من القلة العدم". اهـ.

والظاهر -والله أعلم- أنها باقية على أصل معناها فإن لهم ضحكاً قليلاً إلا إذا أريد أن ذلك في الآخرة فإنه لا سرور لهم فيها ولا ضحك مطلقاً، وعبارات المفسرين تشير إلى أن هذا الضحك إنما هو في الدنيا. والله أعلم.

انظر: الطبري (١٤/٤٠١)، المحرر الوجيز (٣/٦٦)، التفسير الكبير (١٦/١١٩).

(٥) أي لم يقل: فإن رجعك الله إليهم؛ لأن المتخلفين لم يكونوا جميعاً منافقين.

وقد قال بهذا القول الواحدي في البسيط (٢/٦٧٧)، والبغوي (٤/٨١)، وابن الجوزي (٣/٤٧٩).

وقيل: الضمير ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾ يعود على المنافقين وإنما قال تعالى: ﴿ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾؛ لأن منهم من تاب ومنهم من مات ومنهم من اعتذر بعذر صحيح.

وإلى هذا القول ذهب الزمخشري (٣/٧٦)، وأبوحيان (٥/٨٢).

(٦) صاحباه: هلال بن أمية، وَ مرارة بن الربيع.

قولـه: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾(١) وإنما قال: ﴿ رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾ دون رجعت إيماء إلى أنه لم يفعل ما يفعله إلا بإذن الله وأنه ملاحظ(٢) بعناية الله في حركاته وسكناته(٣) ﴿ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ إلى غزوة أخرى ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ "إخبار في معنى النهي للمبالغة"(٤). وسَمَهَم بِسِمَة النفاق بين الناس مُخْرَجين عن ديوان الغُزاة(٥) آيسين من الغنائم والصدقات.

﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي في غزوة تبوك، وكانت لبعد الشقة فيها وكثرة المشقة وشدة الحر وطيب الثمار محك الرجال ومِسْبَار(٦) الإخلاص والنفاق،

---

(١) سورة التوبة، آية (١١٨). انظر ص(٤٤٢).

(٢) ق: يلاحظ.

(٣) انظر: حاشية الشهاب (٤/٦١٣).

(٤) تفسير البيضاوي (١/٤١٥).

(٥) انظر: الكشاف (٣/٧٦)، تفسير البيضاوي (١/٤١٥).

(٦) ق: وميشار.

والمسبار ما يعرف ويقدر به الشيء من السَّبْر وهو: التجربة، وسَبَرَ الشي سَبْراً: عَرَفه وخَبَره، ومنه: المِسْبَار: ما سُبِر به وقُدِّر به غَوْر الجراحات.

انظر: لسان العرب (سبر) (٤/٣٤٠).

والأولية إضافية[1]، وأريد بمرة العموم كأنه قيل: أول المرّات مثل قولـه: هند أكبـر النساء ﴿ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ۝٨٣ ﴾ أمر إهانة، أي: مع الزَّمنَىٰ والنساء.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ أسند البخاري عن ابن عمر: "أنه لما مات ابن أُبي جاء ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ وسأله أن يكفنه في قميصه ويصلي عليه فكفنه في قميصه وَصلَّى عليه ونَزلَ قبرَهُ ووَضَعَه على ركبته وتَفَل من ريقِهِ في فيه"[2] كل ذلك رأفة وتطييباً[3] لقلب ابنه واستجلاباً لخواطر الناس، ولعل أن يكون ذلك باعثاً لبعض المنافقين على الإخلاص مع أنه لم يكن نُهي عن الصلاة

---

(١) لأنها -غزوة تبوك- لم تكن أول مرة يخرج فيها رسول الله ﷺ للغزو فلا بد من تقييدها بالإضافة إلى شيء معين كأن يقال: أول مرة دعيتم لها أو نحو ذلك.

وانظر: البحر المحيط (٨٢/٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة التوبة، باب قوله: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٢٠٦/٥)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين (٢١٤٠/٤ رقم ٣) مطولاً إلى قوله: "وصلى عليه". وآخره رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف (٧٦/٢)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين (٢١٤٠/٤ رقم ٢) عن جابر -رضي الله عنه- بنحوه.

(٣) ص: وتطيبباً.

عليهم[1]، وما قيل: إنه لما أراد الصلاة عليه جذبه جبريل ليس له أصل[2]، وإنما عبر عن

---

(١) ذكر هذه الأوجه الزمخشري في الكشاف (٣/٧٨-٧٩).

(٢) حاشية في جميع النسخ: يرد على القاضي والكشاف لما روى البخاري أنه صلى عليه. منه.

وقد ذكر الزمخشري (٣/٧٧) القول بأنه لما أراد ﷺ أن يصلي عليه جذبه جبريل. وأما البيضاوي فلم يورد قصة جذب جبريل، ولكن قال: "روي أنه... فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت. وقيل: صلى عليه ثم نزلت" (١/٤١٦).

ولا شك أن الصواب أنه ﷺ صلّى عليه وأن نزول الآية بعد الصلاة كما دلت على ذلك الروايات التي في الصحيحين ومنها ما ذكره المؤلف قبل قليل.

وأما قصة جذب جبريل فقد رواها أبويعلى الموصلي في مسنده (٧/١٤٤ رقم ١٣٥٧)، والطبري (١٤/٤٠٧) عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلي على عبدالله بن أبي ابن سلول فأخذ جبريل -عليه السلام- بثوبه فقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾".

والحديث ضعيف لا يحتج به؛ لأن في إسناده: يزيد بن أبان الرقاشي ضعفه شعبة وابن معين والنسائي وغيرهم.

انظر: الكاشف (٣/٢٤٠)، تهذيب التهذيب (١١/٣٠٩)، وقد ضعف الحديث الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص(٧٩).

وانظر: تفسير ابن كثير (٤/١٣٤).

الموت في المستقبل بالماضي لكونه كائناً لا محالة[1]، والقول بأن ﴿ أَبَدًا ﴾ قيد للموت فإن الكافر لما كان إحياؤه للتعذيب فكأنه لم يحيى[2] تكلف لظهور أن المراد نهي رسول الله ﷺ في المستقبل عن مثل ما ارتكبه من الصلاة على ابن أُبي.

﴿ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ كناية عن ترك الدعاء له، كان يقوم على القبور ويدعو للموتى وإنه[3] قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة وإنَّ الله يُنورها بدعائي»[4][5].

---

(١) انظر: الكشاف (٧٩/٣).

(٢) قال البيضاوي (٤١٦/١): ﴿ مَّاتَ أَبَدًا ﴾ يعني الموت على الكفر فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى". اهـ.

قال الشهاب في حاشيته (٦١٥/٤): "جعل ﴿ أَبَدًا ﴾ ظرفاً متعلقاً بقوله: ﴿ مَّاتَ ﴾، والذي ذكره غيره أنه متعلق بالنهي وهو الظاهر...".

(٣) سقطت الواو من ص.

(٤) رواه مسلم ، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر (٦٥٨/٢ رقم٧١) عن أبي هريرة -ﷺ- بلفظ: «... وإن الله -ﷻ- ينورها لهم بصلاتي عليهم».

(٥) قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: "ولما نهى الله -ﷻ- عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار لهم كان هذا الصنيع من أكبر القربات في حق المؤمنين فشرع ذلك، وفي فعله الأجر الجزيل...، وأما القيام عند قبر المؤمن إذا مات فقد قال أبو داود: حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي، أخبرنا هشام عن عبدالله بن بَحِير عن هانئ -وهو أبو سعيد البربري- مولى عثمان بن عفان عن عثمان -ﷺ- قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له

=

﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ علة للنهي[1].

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ أعاده لوقوع التراخي بين النزولين، ولكونه من الأمور المهمة التي يجب أن يكون[2] نصب العين فإن النفوس حريصة على جمع[3] الأموال مجبولة على حب الأولاد ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[4]، وإنما ذكر أولاً بالفاء وهنا بالواو؛ لأنه في الأولى[5] رتَّبه

التثبيت فإنه الآن يسأل»". اهـ (١٣٥/٤).

والحديث أخرجه أبو داود ، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت (٢٣٤/٢ رقم ٣٢٢١)، وهو حديث جيد، والله أعلم.

(١) انظر: الكشاف (٧٩/٣)، البيضاوي (٤١٦/١).

(٢) ص: تكون، والمؤلف -رحمه الله- يشير إلى الآية (٥٥) من سورة التوبة وهو قوله -تعالى-: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... الآية﴾.

(٣) ص: جميع.

(٤) سورة الكهف، آية (٤٦).

(٥) ق: الأول.

على قولـه: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾(١)، وكونهم كارهين للإنفاق إنما هو لإعجابهم بها، وهنا لم يقصد سوى الإعادة فلا وجه للفاء(٢).

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ أي: كاملة، أو بعضها مجازاً(٣)، وليس كإطلاق القرآن على الكل والبعض(٤). دل على أنهم كانوا يتخلفون في سائر الغزوات وقد(٥) صرح به في قولـه: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا ﴾(٦).

﴿ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي: دوموا على ذلك ﴿ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ أولوا المال والسعة، وأصله: النفع والغناء(٧)، ومنه(٨) حديث ابن مسعود في قتل أبي جهل: "ضربتُه بسيفٍ غيرِ طائل"(٩)،

---

(١) سورة التوبة، آية (٥٤).

(٢) ذكر هذا الوجه الرازي في التفسير الكبير بمعناه (١٢٣/١٦).

(٣) لأن السورة في الأصل تطلق على الكاملة، فإذا أطلقت على البعض كان هذا تجوّزاً.

(٤) فالقرآن يطلق على المجموع ويطلق على بعضه حقيقة فيقال عن بعض الآيات: إنما قرآن، كما يقال عن جميع المترل إنه قرآن.

(٥) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص بحذف الواو، ولعل المثبت أعلاه أولى.

(٦) سورة الفتح، آية (١١).

(٧) انظر: تهذيب اللغة (طال) (١٧/١٤)، لسان العرب (طول) (٤١٤/١١).

(٨) ق: منه. بحذف الواو.

(٩) رواه الإمام أحمد (٤٤٤/١ رقم ٤٢٤٦)، وأبوداود، كتاب الجهاد، باب في الرخصة في

=

﴿ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الذين لهم علة وعذر في القعود.

﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ "مع النساء جمع خالفة"[1]. والخالفة لغة: من لا نفع فيه[2]، وفي الحديث: "أن أعرابياً جاء أبا بكر وقال: أنت الخليفة؟ فقال: لا أنا الخالفة"[3]، وقد اشتهر في النساء لقلة نفعهن [قال][4]:

السلاح يقاتل به في المعركة (٧٥/٢ رقم ٢٧٠٩) من حديث أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه -رضي الله عنه-.

والحديث ضعيف؛ لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

انظر: جامع التحصيل ص(٢٠٤)، تهذيب التهذيب (٧٥/٥)، وراجع تعليق الشيخ أحمد شاكر على الحديث في شرح المسند (١٢٤/٦).

ومعنى "غير طائل" "أي: غير ماضٍ ولا قاطع كأنه كان سيفاً دوناً بين السيوف". قاله في النهاية (١٤٦/٣).

(١) تفسير البيضاوي (٤١٦/١).

وانظر: معاني القرآن للفراء (٤٤٧/١)، تفسير الطبري (٤١٣/١٤).

(٢) انظر: الصحاح (خلف) (١٣٥٥/٤)، لسان العرب (خلف) (٨٩/٩).

(٣) لم أقف عليه، وهو في كتب الغريب.

ومراد أبي بكر -رضي الله عنه- بقوله: الخالفة، أي: القاعدة بعده.

انظر: غريب الحديث للخطابي (٢٣٠/٢).

وقال في النهاية (خلف) (٦٩/٢): "وإنما قال ذلك تواضعاً وهضماً من نفسه حين قال له أنت خليفة رسول الله". اهـ.

(٤) ساقطة من ق.

.... وليس بِوَلاَّجِ[1] الخَوَالِفِ أَعْقَلاَ[2]

﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ما فيه الخير.

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ ﴾ لكن قد فقه من هو أعلى شأناً، وأخلص طوية، وأزكى معتقداً، كقوله: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا

---

(١) في الأصل: لولاج، وفي ص: بولاح.

(٢) عجز بيت للقُلاخ بن حَزْن التميمي وصدره:

أخَا الحربِ لبَّاساً إليها جلالَهَا ....

انظر: الكتاب (١/١١١)، المقتضب (٢/١١٣).

أخو الحرب: الملازم لها المستعد، جلالها: جمع جل، ما يلبسه المحارب من الدروع ونحوها، الولاج: كثير الولوج، الخوالف: جمع خالفة، وهي عمود في مؤخرة البيت، الأعقل الذي تصطك قدماه في المشي ضعفاً أو خلقة، يقول: إنه ليس جباناً يكثر الدخول على النساء، ولكنه ثابت القدم متهيء للحرب.

انظر: شرح أبيات سيبويه للنحاس ص(٧٣)، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (١/٣٣٦)، تحصيل عين الذهب ص(١٠٧).

بِكَٰفِرِينَ ﴾[1].

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ﴾ في الدارين[2]، أو الحور لقوله: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ ﴾[3]، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨ ﴾ الفائزون.

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٨٩ ﴾ تفسير للفلاح.

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ ذكر رؤوساء المنافقين وما كانوا عليه، وما آل أمرهم إليه من الموت على الكفر، ثم أردفه بذكر رسول الله ﷺ وخُلَّص المؤمنين وما يؤول إليه أمرهم من النعيم المقيم، ثم ذكر الأعراب وهم سكان البوادي الذين لا معرفة لهم في أمر الآخرة ولا رشد في أمر الدنيا، ولهذا سماهم معذرين، والمعذّر بتشديد الذال: هو المقصر في العذر بأن يُوهم أنَّ له عذراً ولا عذرَ له[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية (٨٩).

(٢) وهو اختيار الزمخشري (٣/٨٠)، والبيضاوي (١/٤١٦)، وأبي حيان (٥/٨٦).

(٣) سورة الرحمن، آية (٧٠).

وهو قول الحسن، كما في الجامع للقرطبي (٨/٢٢٤)، والمبرد كما في زاد المسير (٣/٤٨٢).

والقولان في الكشاف وتفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٤) انظر: الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين)، والعبارة للبيضاوي. فهو من عذّر بتشديد الذال.

وروي عن ابن عباس وابن مسعود -رضي الله عنهما- بتخفيف الذال(1) من الإعذار، وهو المبالغة في إظهار العذر، وكأنهم من جهلهم بالغوا فيه حتى صارت تلك المبالغة مظنة للكذب(2)، وهم ....

وذهب الفراء والأخفش والزجاج إلى أن ﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ بمعنى المعتذرون.

فهو من: اعتذر والتاء أدغمت في الذال فصارت ذالاً مشددة، وإذا كان كذلك فقد يكون عذره صحيحاً، وقد يكون كاذباً، وسيشير المؤلف إلى هذا القول بعد قليل.

انظر: معاني القرآن للفراء (٤٤٧/١)، معاني القرآن للأخفش (٥٥٨/٢)، معاني القرآن للزجاج (٤٦٤/٢).

(١) رواه ابن جرير (٤١٦/١٤)، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وهي قراءة زيد بن علي والضحاك والأعرج وأبي صالح وعيسى بن هلال، وقرأ بها من العشرة يعقوب والكسائي في رواية.

ولم أقف على من نسب القراءة لابن مسعود -ﷺ-.

وفي زاد المسير (٤٨٢/٣) قال ابن الجوزي: "وقرأ ابن مسعود ﴿ المعتذرون ﴾". اهـ.

انظر: البحر المحيط (٨٦/٥)، النشر (٢٨٠/٢).

(٢) في الأصل وَ ص حاشية: تبع في هذا ما في الكشاف، والصواب أن المعذر بالتخفيف هو الصادق في العذر كذا في الجوهري، ونقله (كلمة غير واضحة) عن ابن عباس وهي قراءة يعقوب. منه.

وقد قال الزمخشري في الكشاف (٨٠/٣): "وقرئ ﴿ المعذرون ﴾ بالتخفيف، وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه، قيل: هم أسد... إلخ".

وقال الجوهري: "وكان ابن عباس -رضي الله عنهما- يُقرأ عنده: ﴿ وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ ﴾ مخففة من أعذر، وكان يقول: والله لهكذا أنزلت. وكان يقول: لعن الله المعذِّرين، وكأن الأمر عنده أنّ =

أسد[1]، وغطفان[2]، وقيل: رهط عامر[3] بن الطفيل[4] قالوا: إن غزونا معك أغارت طيء[5] على أهلينا ومواشينا[6].

المعذِّر -بالتشديد- هو المظهر للعذر اعتلالاً من غير حقيقة له في العذر وهذا لا عذر لـه، والمعْذِر: الذي له عذر". الصحاح (عذر) (٧٤١/٢).

وأظن الكلمة التي ليست واضحة في الحاشية هي: "الفراء" فإنه روى عن ابن عباس قراءة التخفيف، فقد روى بإسنادين أحدهما: من طريق الكلبي عن أبي صالح، والثاني: من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قرأ ﴿ المعْذِرون ﴾، وقال: لعن الله المعذِّرين.

(١) أسد قبيلة عظيمة من العدنانية، وهي بطون كثيرة، ومنازلهم بأطراف نجد، قدم وفدهم على النبي ﷺ سنة تسع للهجرة.

انظر: نهاية الأرب ص(٤٧)، معجم قبائل العرب (٢١/١).

(٢) قبيلة ينسبون إلى غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، وهي قبيلة كثيرة الشعوب والأفخاذ، كانت منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طي أجا وسلمى، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية.

انظر: جمهرة أنساب العرب ص(٢٤٩)، قلائد الجمان ص(١١٢).

(٣) ق: ابن عامر.

(٤) انظر ترجمته ص(١١٣٨).

(٥) بنو طيء بن أُدَدَ بن زيد من بني كهلان، كانت منازلهم باليمن ثم انتقلوا إلى أعالي نجد عند جبلي أجا وسلمى، منهم عدي بن حاتم وزيد الخير وعدد من خيار الصحابة -ﷺ-، ولما ارتدت بعض قبائل العرب عن الإسلام كانت طيء ممن ثبت عليه وقاتل المرتدين.

انظر: الأنساب (١٨٧/٨)، قلائد الجمان ص(٧٢).

(٦) رواه البغوي عن الضحاك (٨٣/٤).

وقيل: المعذِّر أصله: المعتذر فأُدغم كما في المُذَّكِّر وهو الصادق في عذره[1].

﴿ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ طائفة من الأعراب منافقون تخلفوا[2] لم يعتذروا فظهر بذلك [كذبهم][3] مع الله ورسوله. وقيل: هم الأولون وصرح بأنهم كاذبون في ذلك الاعتذار[4].

---

(١) ممن ذهب إلى أن أصل المعذر: المعتذر الفراء والأخفش والزجاج. راجع الحاشية (٤) ص(٣٦٨).

وقد اختلف المفسرون في هؤلاء ﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ هل كانوا صادقين أو كاذبين على قولين.

انظر: التفسير الكبير (١٦/١٢٦)، البحر المحيط (٥/٨٦)، ص (٣٦٩) حاشية (٢).

(٢) ص: تخلقوا.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) ذهب بعض المفسرين إلى أنه إن كان ﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ صادقين فهؤلاء ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ غيرهم، وإن كان ﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ كاذبين فهم المقصودون بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ ، وأتى بالمظهر هنا بياناً لذمهم.

وقد استدل بعض من يرى صدق المعذرين بأن الله ميزهم عن الذين كذبوا، قالوا: فيدل على أنهم ليسوا كاذبين.

ولكن أجاب أبوعمرو بن العلاء عن هذا قائلاً: "إن أقواماً تكلفوا عذراً بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ وتخلف الآخرون لا لعذر جراءة على الله تعالى فهم المرادون بقوله: ﴿ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾". تهذيب اللغة (عذر) =

﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٩٠ ﴾ أي: بعضهم؛ لأن من المذكورين من له عذر صحيح، أو تقاعد لكسل لا لكفر(1). والعذاب الأليم: الخزي في الدنيا والاشتهار بسمة النفاق، وفي الآخرة: عذاب النار. وقيل: في الدنيا بالقتل(2)، وفيه: أن رسول الله ﷺ لم يقتل المنافقين واعتذر بأنه يقال: «إن محمداً يقتل أصحابه»(3).

(٢/٣٠٧)، التفسير الكبير (١٦/١٢٦).

وانظر: الوسيط (٢/٥١٧)، البحر المحيط (٥/٨٧)، تفسير ابن كثير (٤/١٣٧)، روح المعاني (١٠/٢٢٩).

(١) ص: للكفر.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤١٧).

(٢) ذكره ابن عطية احتمالاً (٣/٧٠)، وهو قول الزمخشري (٣/٨١)، والبيضاوي (١/٤١٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير (سورة المنافقون) باب قوله ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ... الآية ﴾ (٦/٦٥)، ومسلم كتاب البر، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (٤/١٩٩٨ رقم ٦٣) عن جابر -رضي الله عنه- .

وقد يقال بأن العذاب يشمل ذلك كله فيدخل فيه الخزي والهوان وكراهية المؤمنين له وما يصيبه من القلق والخوف بسبب النفاق، ويدخل فيه القتل إذا ظهر كفره ونفاقه فلا يكون معارضاً للحديث. والله أعلم.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ كالشيخ الهرم ومن خلق كفيفاً[1] ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ الذين بهم مرض لا يستطيعون معه الجهاد ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ ﴾ قيل: هم مُزَيْنَة[2] وجُهَيْنَة[3] وبنو عُذْرَة[4] ﴿ حَرَجٌ ﴾ في التأخر ﴿ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ بأن أطاعوا الله ورسوله سراً وعلانية ﴿ مَا عَلَى

---

(١) كذا في الأصل. وسائر النسخ: نحيفاً.

روى البغوي (٨٤/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "يعني الزَّمْنى والمشايخ والعجزة".

(٢) هم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، وأم عثمان وأوس: مزينة بنت كلب بن وبرة فنسبوا إليها، كانت منازلهم بين المدينة ووادي القرى.

انظر: جمهرة أنساب العرب ص(٢٠١، ٤٨٠)، نهاية الأرب ص(٣٧٥).

(٣) جهينة: قبيلة من قُضاعة من القحطانية، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث، بطون كثيرة، ومنازلهم إلى الشمال من المدينة.

انظر: جمهرة أنساب العرب ص(٤٤٤)، اللباب في تهذيب الأنساب (٣١٧/١)، معجم قبائل العرب (٢١٦/١).

(٤) بنو عذرة بطن من بطون قضاعة، منازلهم بأرض اليمن، قدم وفدهم إلى النبي ﷺ سنة تسع.

انظر: الأنساب (٤١٨/٨)، نهاية الأرب ص(٣٢٦)، معجم قبائل العرب (٧٦٨/٢).

والقول بأنها في هؤلاء ذكره الزمخشري قولاً في الآية (٨١/٣)، والبيضاوي (٤١٧/١) تمثيلاً، وأبو حيان (٨٧/٥).

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ طريق للعقاب أو العتاب، وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أنهم بذلك النصح منخرطون(١) في سلك المحسنين/(٢) ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمسيء فضلاً عن المحسنين(٣) ﴿رَّحِيمٌ ۝٩١﴾ لم يشق على المعذورين.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ أي: ولا جناح على هؤلاء الأصحاء الذين جاؤوك سائلين حملانهم(٤) لكونهم فقراء غير قادرين ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال من المفعول بتقدير قد(٥)، أو استئناف بتقديم العلة على الحكم اهتماماً كأنه قيل: ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم لقولك لا أجد ما أحملكم عليه يتولون باكين(٦).

---

(١) ق: منخرطين، وهو خطأ.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٤١٧/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٤) ص: حملا بهم.

(٥) وهو قول الزمخشري (٨١/٣)، والبيضاوي (٤١٧/١) وغيرهما، قال الزمخشري: "﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾ حال من الكاف في ﴿أَتَوْكَ﴾، وقد قبله مضمرة، كما قيل في قوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي: إذا ما أتوك قائلاً لا أجد...".

(٦) جوّز هذا الوجه واستحسنه الزمخشري (٨٢/٣).
وانظر: الدر المصون (١٠٠/٦).

﴿ تَوَلَّواْ ﴾ جواب: ﴿ إِذَا مَآ ﴾[1]، ﴿ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ ﴾ تسيل بكثرة ﴿ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾، ﴿ مِن ﴾ بيانية، كأنه قيل: أعينهم يسيل[2] دمعها.

آثر هذا الأسلوب مبالغة في سيلانها كقولك: تفيض دمعاً، فالجار والمجرور في محل النصب على التمييز[3].

﴿ حَزَنًا ﴾ مفعول لـه، أو حال، أو مصدر لفعل دل عليه ما قبله[4] ﴿ أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ أي: لأن لا[5] يجدوا، علة للعلة[6].

أسند البخاري عن أبي موسى الأشعري قال: "جئنا نفراً من الأشعريين

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (٦٥٤/٢)، تفسير البيضاوي (٤١٧/١).

(٢) ق: تسيل.

(٣) انظر: الكشاف (٨٣/٣)، تفسير البيضاوي (٤١٧/١).

(٤) أي: يحزنون حزناً.

وانظر الأوجه الثلاثة في: التبيان للعكبري (٦٥٥/٢)، تفسير البيضاوي (٤١٧/١)، الدر المصون (١٠١/٦).

(٥) كذا في الأصل، وفي سائر النسخ: أي لئلا.

(٦) إذا أعرب ﴿ حَزَنًا ﴾ مفعولاً لأجله وكان قوله: ﴿ أَلَّا يَجِدُواْ ﴾ مفعولاً لأجله أيضاً، وذلك أنه عُلل فيض الدمع بالحزن وعلل الحزن بعدم وجدان النفقة.

انظر: الكشاف (٨١/٣)، الدر المصون (١٠٢/٦)

نستحمل رسول الله ﷺ فجئته وهو غضبان فحلف أنه لا يحملنا ولا عنده شيء يحملنا عليه، فجئت وأخبرت أصحابي، فلما تولينا إذا أنا ببلال ينادي: يا عبدالله بن قيس أجب رسول الله ﷺ، قال: فجئته فأعطانا ست ذَوْدٍ(١) غُرّ(٢) الذُّرَى(٣)، فلما رجعت إلى أصحابي قلت لهم ما كان من الأمر وحلفتُ أن لا أمكنهم من الذَوْد حتى آتي بهم إلى من سمع قول رسول الله ﷺ أولاً ومنعه ثم إعطاءه ثانياً لئلا يظنوا أني قلت على رسول الله ﷺ ما لم يكن، قالوا: والله إنك عندنا لصدوقٌ ولنفعلن(٤) ما تحب، فلما جئنا رسول الله ﷺ قلنا: والله لا يُبَارَك لنا، قد أغفلنا رسول الله يمينه فقلنا: يا رسول الله قد حلفتَ أن لا تحملنا [وقد حملتنا](٥) فقال: «ما(٦) أنا حملتكم إنما حملكم الله، ووالله إني لا أحلف(٧) على شيء

---

(١) الذَوْد من الإبل ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل غير ذلك.
انظر: النهاية (ذود) (٢/١٧١).

(٢) ق: غري.

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١١/١٠٩): "أما الذرى فبضم الذال وكسرها وفتح الراء المخففة جمع ذروة بكسر الذال وضمها، وذروة كل شيء أعلاه، والمراد هنا: الأسنمة، وأما الغُرُّ فهي البيض... ومعناه: أمر لنا بإبل بيض الأسنمة". اهـ.

(٤) ق: ولتفعلن.

(٥) ساقط من ص.

(٦) ما: ساقطة من ص.

(٧) ق: لأحلف.

وأرى غيره خيراً إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني»[1].

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ ﴾

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك (١٢٨/٥)، ومسلم كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه (١٢٦٨/٣ رقم ٧، ٨، ٩) بعدة ألفاظ جمع المؤلف بينها في هذه القصة، وليس في ألفاظ القصة التي وقفت عليها ذكر بكائهم ولا أن الآية نزلت فيهم.

والقول بأن الآية في أبي موسى وأصحابه -ﷺ- ذكره الزمخشري (٨١/٣)، والبيضاوي (٤١٧/١)، وأبوحيان (٨٨/٥) مبهماً، وعزاه الواحدي في البسيط (٦٩٣/٢)، والرازي في تفسيره (١٢٩/١٦)، والقرطبي في الجامع (٢٢٨/٨) للحسن -رحمه الله-.

وقد أخرج أبوالشيخ وابن مردويه عن الحسن أيضاً قال: كان معقل بن يسار من البكائين الذين قال الله: ﴿ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ... الآية﴾.

وأخرج أبوالشيخ عنه أيضاً أنها نزلت في عبدالله بن معقل من مزينة.

انظر: الدر المنثور (٢٦٤/٤-٢٦٥).

وقد ذكر العلماء أقوالاً أخرى فيمن نزلت الآية فيه:

فروى الطبري عن مجاهد أنه نزلت في بني مقرن، وعزاه القرطبي وأبوحيان للجمهور.

وروى الطبري -أيضاً- عن محمد بن كعب وابن إسحاق أنها نزلت في البكائين السبعة وكانوا من قبائل شتى.

انظر: تفسير الطبري (٤٢٢/١٤-٤٢٣)، السيرة لابن هشام (٢٠٧/٤)، أسباب النزول للواحدي ص(٢٦٢)، الجامع للقرطبي (٢٢٨/٨)، البحر المحيط (٨٨/٥)، تفسير ابن كثير (١٣٨/٤-١٣٩).

واجدون[1] أهبة السفر وعدة الحرب ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ استئناف يجري مجرى التعليل كأنه قيل: إنما ارتكبوا ذلك رضى بالدناءة[2] والانتظام في سلك النساء[3] ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ قبح ذلك.

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ من غزوة تبوك ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ ﴾ بالأكاذيب ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ لن نصدقكم، "علة النهي عن الاعتذار؛ لأن غرض[4] المعتذر أن يُصدّق فيما يعتذر به"[5]. ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ ﴾ بعض أخباركم، وهو ما يكتمونه من الشر والفساد[6]، علة[7]

(١) ص: واجدن.

(٢) ق: بالدناء.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٨٢)، التفسير الكبير (١٦/١٢٩)، تفسير البيضاوي (١/٤١٧).

(٤) ق: فرض.

(٥) الكشاف (٣/٨٢).

(٦) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤١٧).

ونقل أبو حيان (٥/٩٣)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/١٠٣) عن الأخفش أن ﴿ مِن ﴾ في الآية زائدة.

(٧) كذا في الأصل، وفي سائر النسخ بالواو: وعلة.

لانتفاء التصديق[1]؛ لأن الله تعالى إذا أخبر بشيء لزم كذب ما ينافيه ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي: دعواكم أنكم تحبون الله ورسوله، سيعلم الله ذلك منكم ورسوله إن كان ما تقولون[2] حقاً، حث على الإخلاص والتوبة النصوح.

﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ في وضع المظهر موضع المضمر مع ذكر الغيب والشهادة وعيد شديد وردع لهم عن مخالفة الباطن الظاهر ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ إخبار عنهم بما سيفعلونه في المستقبل ﴿ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾ ولا توبخوهم ﴿ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾ إجابة لهم إلى بغيتهم[3] ﴿ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ علة للإعراض[4]؛ لأن مقاولتهم[5] كمخالطة

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٨٢)، التفسير الكبير (١٦/١٣٠)، تفسير البيضاوي (١/٤١٧)، البحر المحيط (٥/٩٣).

(٢) ق: يقولون.

(٣) وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى ﴿ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾ اتركوا مجالستهم والكلام معهم والسلام عليهم، ونحو ذلك كما رواه البغوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ورواه ابن أبي حاتم وأبوالشيخ عن السدي.

ويؤيد ما ذهب إليه المؤلف -رحمه الله- من أن الإعراض هو ترك توبيخهم ومعاتبتهم ما جاء في حديث الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك أنه ﷺ لما عاد إلى المدينة جاؤوا يعتذرون ويحلفون فقبل علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، وفيه أيضاً قال كعب -ﷺ-: "و لم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا" (انظر تخريج الحديث ص٤٤٤).

انظر: تفسير البغوي (٤/٨٥)، البحر المحيط (٥/٩٤)، الدر المنثور (٤/٢٦٦).

(٤) انظر: الكشاف (٣/٨٢)، تفسير البيضاوي (١/٤١٨).

(٥) ق: مقاولتهم يكون.

النجس فيتلوث المخالط، ولا سبيل إلى تطهره ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ مخلوقون[1] لها فأيُّ فائدة في معاتبتهم إذ لا يرجى منهم ارعواء ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٥ ﴾ علة لكونهم من أهل جهنم[2].

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ﴾ وتدوموا معهم على الود الذي كان بينكم ﴿ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦ ﴾ أي: عنهم، والإتيان بالاسم الظاهر لتعليل عدم الرضا، والمعنى: أن رضاكم لا يجديهم نفعاً إذا كان الله ساخطاً عليهم؛ لأن الأمر كله بيده عاجلاً وآجلاً، وفيه إيماء إلى أن المؤمن[3] لا يليق به أن يرضى ممن كان في سخط من الله.

لما أمروا بالإعراض عنهم فأعرضوا ولم يعاتبوهم[4] شرع المنافقون في استجلاب الرضا بالأيمان الكاذبة. والقول بأن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة جاء عبدالله بن أُبي فحلف أنه لا يتخلف عنه أبداً سهو[5]؛ لأن عبدالله كان معه في غزوة

(١) كذا في الأصل، وباقي النسخ: مخلقون.

(٢) قال البيضاوي (٤١٨/١): "يجوز أن يكون مصدراً وأن يكون علة". اهـ.

(٣) ق: المؤمنين.

(٤) ص: يعاقبوهم.

(٥) في حاشية جميع النسخ: رد على الكشاف، (والحاشية في ص غير واضحة).

تبوك، صح ذلك في البخاري وغيره[1].

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ من أهل الحضر لبعدهم عن استماع

قال الزمخشري (٨٣/٣): "وقيل: جاء عبدالله بن أُبيّ يحلف أن لا يتخلف أبداً". اهـ.

وقول ابن أُبيّ هذا رواه البغوي عن مقاتل (٨٥/٤)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٨٧/٣)، وأبوحيان في البحر المحيط (٩٥/٥) وغيرهما.

(١) لم أقف عليه في مظانه من الصحيح بعد طول بحث، وأظنه وَهْماً من المؤلف -رحمه الله- فقد ذكر الحفاظ وأهل السير أن عبدالله بن أُبيّ كان ممن تخلف عن غزوة تبوك.

انظر: المغازي للواقدي (٩٩٥/٣)، السيرة لابن هشام (١٧٣/٤، ٢٠٦)، زاد المعاد (٥٢٩/٣)، فتح الباري (١١٩/٨).

ولعل مما دعى المؤلف -رحمه الله- إلى القول بأن عبدالله بن أُبيّ كان مع المسلمين في غزوة تبوك ماذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ من أنها نزلت في قول عبدالله بن أبي حين تقاتل مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، فقال عبدالله: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

وقد ذُكر هناك أنه لم يرد في روايات الصحيحين أن هذه القصة وقعت في تبوك وإنما جاء هذا في رواية النسائي في الكبرى، وأن الذي عليه أهل المغازي أن هذه القصة وقعت في غزوة بني المصطلق. والله أعلم.

راجع ص (٣٤١).

العلم والأحكام، وفي الحديث: «الجفاء في الفَدَّادِين[1] أهل الوَبَر عند أصول أذناب الإبل، والسكينة في أهل الغنم»[2] ﴿ وَأَجْدَرُ ﴾ وأولى وأخلق ﴿ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ أحكام المنزل من الأصول والفروع.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ كامل العلم بحال كل شخص ﴿ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ فيما يصنع ولذلك أطلعكم على مراتب المنافقين وأسرارهم لتعاملوا [كل واحد][3] على حسب حاله.

﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ حكم على الجنس أولاً،

(١) الفَدَّادون: جمع فَدَّاد وهم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم، وقيل: هم المكثرون من الإبل، وقيل غير ذلك.

انظر: النهاية (فدد) (٣/٤١٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٥/١٢٢) من حديث أبي هريرة -ﷺ- بلفظ : «الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه عن أبي هريرة -ﷺ- بلفظ: «الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم» (١/٧٢ رقم ٨٧).

(٣) ساقط من ق، وهي في ص في الحاشية غير واضحة.

والحكم عليه لا يستلزم الحكم على جميع الأفراد، ولذلك[1] فصل[2] أفراده [على][3] قسمين فالأول: هم المنافقون الذين يعدون ما ينفقونه في سبيل الله خسراناً، والغرامة: ما يصرفه الرجل فيما لا يلزمه كرهاً، إما لتقية أو لأنفة وفتوة، وهم كانوا يصرفونه رياء وتقية[4].

﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ﴾ ويترقب بكم ريب الزمان، جمع دائرة وهي ما يحيط بالإنسان من كل جهة ويدور عليه، واستعماله في الشر.

﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ اعتراض بالدعاء عليهم[5]، وفيه من الدلالة على شدة غضب الله عليهم ما لا يكتنه؛ لأن مَنْ أمره بين الكاف والنون يطلب من

(١) الواو ساقطة من ق.

(٢) ص: وفصل.

(٣) ساقطة من ص وَ ق.

(٤) انظر: الكشاف (٣/٨٣)، تفسير البيضاوي (١/٤١٨).

(٥) انظر: الكشاف (٣/٨٤)، المحرر الوجيز (٣/٧٣)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

قال ابن عطية في المحرر الوجيز (الموضع السابق): "وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله -عز وجل- فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء؛ لأن الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته... إلخ".

وقيل: إن الآية إخبار بوقوع ذلك عليهم وليس دعاء، وإليه تشير عبارة بعض المفسرين كابن الجوزي (٣/٤٨٩)، وابن كثير (٤/١٤١) وغيرهما.

وانظر: البحر المحيط (٥/٩٥).

نفسه إصابتهم بالسوء. قرأ ابن كثير وأبوعمرو بضم السين[1] على أنه اسم للعذاب والبلاء، والباقون بالفتح على أنه مصدر[2]، والأول أبلغ لدلالته على الاستمرار وصراحته ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لما يقولون بأفواههم نفاقاً ﴿ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ بضمائرهم وما يبطنون من الكفر.

﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ[3] مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هم القسم الثاني وهم المؤمنون الخُلَّص، والمعنى: يتخذون[4] ما ينفقونه[5] سبب/ قربات وحصولها عند الله[6].

﴿ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ وسبب صلواته؛ لأنه كان يدعو للمتصدقين

(١) انظر: السبعة ص(٣١٦)، الإقناع (٦٥٨/٢)، التيسير ص(٩٧).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٥٠/١)، تفسير الطبري (٤٣١/١٤)، الكشاف (٨٤/٣).

ومعنى كونه مصدراً كما قال الطبري أي: "عليهم الدائرة التي تسوؤهم سوءاً". اهـ.

(٣) الآية في الأصل وَ ص: ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق... وهو خطأ، والصواب المثبت أعلاه.

(٤) ق: تتخذون.

(٥) ص: ما ينفقون.

(٦) انظر: الكشاف (٨٤/٣)، التبيان للعكبري (٦٥٦/٢).

لقوله: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[1].

﴿ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾ بشارة منه تعالى بأن ذلك بموقع عنده، صدَّر الاستئناف بحرف التنبيه وآثر صيغة القربة[2] مفردة إشارة إلى أن تلك القربات بمثابة القربة الواحدة التي لا تقبل التجزي رداً وقبولاً[3] بل كلها مقبولة.

﴿ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ دليل على القبول والرضا. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لما فرط منهم ﴿ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ حيث قبل منهم وأجزل في الثواب متفضلاً، وقرأ ورش ﴿ قُرُبة ﴾ بضم الراء[4]، وهما لغتان[5] [والسكون أكثر][6]. قيل: هم عبدالله ذو

---

(١) سورة التوبة، آية (١٠٣).

(٢) ص: بصيغة القرية.

(٣) ص: ردوا وقبولاً.

(٤) ضم الراء في ﴿ قُرُبَةٌ ﴾ هي قراءة نافع في رواية ورش وابن حَمَّاز وإسماعيل بن جعفر والأصمعي ويعقوب بن جعفر، وقرأ باقي السبعة ونافع في رواية قالون وأبي بكر بن أبي أُوَيس والمسيَّبي بسكون الراء.

انظر: السبعة ص(٣١٧)، التيسير ص(٩٧).

(٥) انظر: الحجة لابن خالويه ص(١٧٧)، البحر المحيط (٩٦/٥)، الدر المصون (١٠٩/٦).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

البِجَادَين[1] ورهطه[2]، والآية الأولى في أسد وغطفان[3].

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ مبتدأ خبره: ﴿ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾، أو ﴿ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾

---

(١) في الأصل: النجادين، والمثبت من باقي النسخ وهو الصواب.

وهو عبدالله بن عبدنُهْم بن عفيف بن سحيم بن عدي المزني، وسُمي بذي البجادين؛ لأنه لما أسلم جرده قومه من كل شيء فأخذ بجاداً -وهو الكساء الغليظ- فشقه نصفين فاتزر بأحدهما وارتدى الآخر، وكان أوّاهاً كثير العبادة وتلاوة القرآن، مات في حياة النبي ﷺ، وقال ﷺ لما دفنه: اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه.

انظر: أسد الغابة (٣/١٢٣)، الإصابة (٤/٩٨).

(٢) قاله الضحاك كما في البحر المحيط (٥/٩٥).

وروى ابن جرير (١٤/٤٣٣)، والبغوي (٤/٨٦) عن مجاهد أنها في بني مقرن من مزينة.

وروى البغوي (في الموضع السابق) عن الكلبي أنها في أسلم وغفار وجهينة، وذكره ابن الجوزي (٣/٤٨٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/٥١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٨٨) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وانظر القول الذي ذكره المؤلف -رحمه الله- في الكشاف (٣/٨٤)، وتفسير البيضاوي (١/٤١٩) دون نسبة.

أو ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾[1] وهو من عطف قصة على أخرى.

لما[2] بيَّن جزاء الخُلَّص من مؤمني الأعراب الذين لا سابقة لهم في الإسلام ولا كمال في العرفان أشار إلى أكمل الفرق الذين حازوا[3] قصب السبق في مضمار السعادة وبيَّن منزلتهم عنده وما أعد لهم[4]، والسابقون من الطائفتين من صلى إلى القبلتين وشهد بدراً[5]، وقيل: الذين أسلموا قبل الهجرة[6]، وقيل: من سبق إلى

(١) اختار الوجه الثالث الزمخشري وأبو حيان والسمين الحلبي وقالا -أبو حيان والسمين- عن الوجهين الأولين إنهما متكلفان.

انظر: الكشاف (٣/٨٥)، التبيان (٢/٦٥٧)، البحر المحيط (٥/٩٦)، الدر المصون (٦/١٠٩-١١٠).

(٢) كذا في الأصل، وفي باقي النسخ سقطت: لما.

(٣) ص: حاذوا.

(٤) ذكره بنحوه الرازي في التفسير الكبير (١٦/١٣٤).

(٥) روى ابن جرير والبغوي عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- وسعيد بن المسيب وقتادة ومحمد ابن سيرين أنهم الذين صلوا إلى القبلتين.

وروى البغوي عن عطاء أنهم أهل بدر.

و لم أقف على من قال من المفسرين إنهم من صلى إلى القبلتين وشهد بدراً.

انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٣٦-٤٣٧)، تفسير البغوي (٤/٨٧).

(٦) انظر: زاد المسير (٣/٤٩١)، تفسير البيضاوي (١/٤١٩).

الهجرة والنصرة مطلقاً لإطلاق اللفظ[1].

﴿ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ من غير الطائفتين لقوله في سورة الحشر: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾[2]، وعن عمر

---

(١) اختاره الرازي في تفسيره (١٦/١٣٤).

وروى ابن جرير (١٤/٤٣٥)، والبغوي (٤/٨٧) عن الشعبي أنهم الذين شهدوا بيعة الرضوان في الحديبية.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والسابقون الأولون الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح صلح الحديبية فإنه كان أول فتح مكة وفيه أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ سورة الفتح، آية (١-٢)". مجموع الفتاوى (١١/٢٢٢).

وروى البغوي (٤/٨٨) عن محمد بن كعب القرظي أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ.

وانظر: زاد المسير (٣/٤٩٠).

(٢) سورة الحشر، آية (١٠).

قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٩١): "قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ من قال: إن السابقين جميع الصحابة جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله ﷺ، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: "والذي اتبعوهم بإحسان إلى أن تقوم الساعة". ومن قال: هم المتقدمون من الصحابة قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم واقتدوا بهم في أفعالهم ففضل أولئك بالسبق وإن كانت الصحبة حاصلة للكل". اهـ.

بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قرأ ﴿ والأنصارُ ﴾ بالرفع عطفاً على السابقين، وكان يرى أن قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ ﴾ بغير واو ليكون صفة الأنصار فيكون وصف السبق[1] مختصاً بالمهاجرين والاتّباع بالأنصار حتى قال له زيد بن ثابت: "إنه بالواو"، فسأل أبيَّ بن كعب فصدّق زيد بن ثابت، فقال عمر: "من أقرأك هذه القراءة؟" قال أُبي: "أقرأني رسول الله ﷺ وأنت تبيع القَرَضَ"[2] قال عمر: "صدقت وإن شئت قلت: شهدنا[3] وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم"[4].

---

(١) ص: الشيق.

(٢) كذا في سائر النسخ بالضاد، والذي في الكشاف (٨٥/٣)، والتفسير الكبير (١٣٦/١٦)، والدر المصون (١١١/٦): "القرظ" بالظاء.

وفي حاشية الأصل وَ ص: القرض بفتح القاف والراء وضاد معجمة شيء يدبغ به (كلمة غير واضحة). منه.

وهذا موافق لتعريف القرظ كما في لسان العرب أنه: "شجر يُدبغ به، وقيل: هو ورق السَّلَم يُدبغ به الأَدَم" (قرظ) (٤٥٤/٧).

(٣) ص: شهد شهدنا.

(٤) ذكره بهذا السياق الزمخشري (٨٥/٣)، والرازي في تفسيره (١٣٦/١٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (١١١/٦)، وقال الحافظ ابن حجر: "لم أره هكذا". تخريج الكشاف ص(٨٠).

وقد أخرج الطبري من طريقين قريباً منه (٤٣٧-٤٣٨).

وقد ذكر قراءة عمر -رضي الله عنه- -أيضاً- ابن خالويه في شواذ القرآن ص(٥٤)، وأبو حيان في البحر =

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ "بقبول طاعتهم"(١) ﴿ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ بما نالوا من الكرامة في الدارين ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ قرأ ابن كثير بزيادة (من)(٢) كما في سائر المواضع على أنها ابتدائية، ومن حذفها جعل ﴿ تَحْتَهَا ﴾ ظرفاً وهو المختار؛ لأن أنهار(٣) الجنة جريانها مظلل بالأشجار(٤)، والرسم في الحذف والإثبات مختلف(٥)، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الذي لا يُحاط به.

المحيط (٥/٩٦).

وأما القراءة بضم الراء فقط فقرأ بها الحسن وقتادة ويعقوب وعيسى الكوفي وسعيد بن أسعد.

انظر: شواذ القرآن لابن خالويه (الموضع السابق)، المحتسب (١/٣٠٠)، النشر (٢/٢٨٠).

(١) تفسير البيضاوي (١/٤١٩).

وقبول الأعمال ثمرة من ثمار رضاه تعالى عن عباده المؤمنين، وأما صفة الرضا فهي صفة حقيقية نثبتها لله تبارك وتعالى -كما جاء في النصوص- على ما يليق بعظمته وجلاله مع اعتقادنا أنها لا تشبه صفات المخلوقين، والقول فيها كالقول في سائر صفات الرب تبارك وتعالى مثل السمع والبصر وغيرها. والله أعلم.

(٢) انظر: السبعة ص(٣١٧)، التيسير ص(٩٧).

(٣) ق: النهار.

(٤) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، باب ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه. ص(١٢٨).

(٥) في حاشية الأصل وَ ص: (من) في مصحف مكة دون غيره. منه.

وانظر: السبعة ص(٣١٧)، المصاحف لابن أبي داود ص(٥٧)، البحر المحيط (٥/٩٦).

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾ هم عُصَيَّة[1] وغطفان، والقول بأن منهم أسلم[2] وغفار[3] سهو ظاهر[4] لما روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «أسلم

---

(١) عصية بطن من سُليم من العدنانية، وهم بنو عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثه.

انظر: نهاية الأرب ص(٣٢٩)، معجم قبائل العرب (٧٨٦/٢)، وراجع نسبة القول في الحاشية رقم (١) في الصفحة التالية.

(٢) أسلم بطن من خزاعة منهم كثير من الصحابة -ﷺ-، وسيذكر المؤلف -رحمه الله- ما يدل على فضلهم.

انظر: نهاية الأرب ص(٤٩)، اللباب في تهذيب الأنساب (٥٨/١)، معجم قبائل العرب (٢٦/١).

(٣) ص: عفار.

وغفار هم بنو مُلَيْل بن ضمرة بن بكر، بطن من كنانة، كانت منازلهم حول مكة، منهم أبوذر الغفاري وغيره من الصحابة -ﷺ-.

انظر: جمهرة أنساب العرب ص(١٨٦، ٤٦٥)، الأنساب (١٦٤/٩).

(٤) في حاشية ق: رد على الكشاف.

والقول بأنها في قبائل منها أسلم وغفار ذكره الزمخشري (٨٦/٣)، والبيضاوي (٤١٩/١)، وعزاه ابن الجوزي في زاد المسير (٤٩١/٣) لابن عباس -رضي الله عنهما- قال -رحمه الله-: "قال ابن عباس: مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع كان فيهم بعد إسلامهم منافقون، قال مقاتل: وكانت منازلهم حول المدينة". اهـ.

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله كما في الدر المنثور (٢٧٣/٤).

وذكره -دون نسبة- البغوي (٨٩/٤)، والقرطبي (٢٤٠/٨)، وأبوحيان (٩٧/٥) وغيرهم.

سالمها الله، وغفار غفر الله لها» ودعا على عُصَيَّة؛ لأنها عصت الله ورسوله[1].

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ تمرنوا عليه وتمهروا فيه ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ "مع كمال فطنتك وصدق فراستك"[2] ﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ لاطلاعنا على السرائر وذوات الصدور ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ الأولى بالملائكة حين الموت يضربون وجوههم وأدبارهم[3]، أو اطلاعك على نفاقهم وإخراجك إياهم عن

---

(١) رواه البخاري كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع (١٥٧/٤)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم (١٩٥٣/٤ رقم ١٨٧)

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- بلفظ: «**أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، وعصية عصت الله ورسوله**».

واستشكال المؤلف -رحمه الله- ليس بظاهر؛ لأن دعاءه ﷺ باعتبار الأغلب وذلك لا يمنع أن يكون في بعضهم نفاق، وانظر إلى الأوس والخزرج وهم خير منهم وفيهم منافقون.

ومما يقوي القول بأن المراد تلك القبائل أن مساكنهم كانت حول المدينة كما ذكر مقاتل، وأما القول بأنهم غطفان فلم أقف على من ذكره من أهل العلم، وأما عصية فذكره أبو حيان (٩٧/٥) والله أعلم.

(٢) تفسير البيضاوي (٤١٩/١).

وانظر: الكشاف (٨٦/٣-٨٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي (٤٩٣/٣) عن مقاتل بن سليمان.

وذكره البغوي (٨٩/٤)، وأبو حيان (٩٨/٥) وغيرهما بغير نسبة.

زمرة المسلمين على ما روى ابن عباس -ﷺ-: "أن رسول الله ﷺ قام على المنبر يوم الجمعة خطيباً فقال: اخرج يا فلان فإنك منافق، اخرج يا فلان فإنك منافق[١]، فأخرج أناساً وفضحهم[٢]". والآخر عذاب القبر[٣]، وعن الحسن: أخذ الزكاة من أموالهم[٤] فإن الأموال شقيقة الروح ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ عذاب النار نعوذ بالله منه.

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾

---

(١) هكذا في سائر النسخ، وفي الأصل دون تكرار، والمثبت هو الموافق لما في تفسير الطبري.
انظر: الحاشية التالية.

(٢) رواه الطبري (٤٤١/١٤)، والطبراني في الأوسط (٤٤١/١ رقم ٧٩٦) من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وفي سنده الحسين بن عمرو العَنْقَزِي وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد (٣٤/٧).
وانظر: ميزان الاعتدال (٥٤٥/١).
ورواه أحمد بلفظ مقارب عن أبي مسعود -ﷺ- (٢٧٣/٥ رقم ٢٢٤٠٢، ٢٢٤٠٣).
وانظر: الدلائل للبيهقي (٢٨٣/٤).

(٣) قال أبوحيان (٩٨/٥): "أكثر الناس على أن العذاب الثاني هو عذاب القبر". اهـ.

(٤) ذكر الطبري (٤٤٤/١٤) عن الحسن: أن الأولى أخذ الزكاة من أموالهم، والأخرى عذاب القبر.
وذكر ابن الجوزي (٤٩٣/٣)، وأبو حيان (٩٨/٥) عنه: أن الأولى الزكاة التي تؤخذ منهم، والأخرى الجهاد الذي يؤمرون به.

عطف على ﴿ مُنَـٰفِقُونَ ﴾ [أي][1]: ومنهم طائفة عملوا صالحاً وآخر سيئاً، أو عطف على قصة أخرى[2]، وهذا أولى لما روى البخاري عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني[3] فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجالٌ شطرٌ منهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة فقالا لي: هؤلاء قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم»[4]. وقيل: كانوا ثلاثة أبو لبابة مروان[5] بن عبدالمنذر وأوس بن ثعلبة[6] ووديعة بن حزام[7]. وقيل: "كانوا عشرة؛ سبعة منهم

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) انظر: التبيان للعكبري (٦٥٨/٢)، الدر المصون (١١٤/٦، ١١٥).

(٣) ق: فاتبعاني.

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ...إلخ ﴾ (٢٠٨/٥).

(٥) ق: ومروان. والصواب المثبت أعلاه؛ لأن أبا لبابة اسمه مروان، وقيل غير ذلك.
انظر: الإصابة (١٦٥/٧).

(٦) أوس بن ثعلبة الأنصاري قال ابن حجر: "ذكره يحيى بن سعيد الأموي في المغازي عن ابن عباس أنه كان أحد من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وأنه أحد من ربط نفسه في السارية حتى نزلت ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية". الإصابة (٨٢/١).

(٧) ص: حرام.

أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد، فلما قدم رسول الله ﷺ دخل المسجد فصلى ركعتين فسأل عنهم فأخبر أنهم حلفوا أن[1] لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلهم، فقال: «وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أُومر» فنزلت فأطلقهم"[2].

وهذا القول ذكره ابن الجوزي (٤٩٤/٣) عن ابن عباس -ﷺ- من رواية أبي صالح، وذكره الزمخشري (٨٧/٣)، وأبوحيان (٩٨/٥) بلا نسبة.

ووديعة لم أقف له على ترجمة وقد ذكره ابن الجوزي وأبوحيان باسم: وديعة بن خدام، وقد ترجم الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣١٥/٦) لوديعة بن خدام (بالدال المهملة) وأحال على خدام بن وديعة، ولا يوجد في الإصابة ترجمة بهذا الاسم وإنما فيه: خذام بن وديعة (بالذال المعجمة) (١٠٦/٢) فلعل تسمية وديعة بن خدام قد وقع فيها شيء من التصحيف.

وفي أسد الغابة (٦٦٧/٤) تردد المحقق في الاسم واعتمد: وديعة بن خذام.

ولم يرد في المواضع السابقة كلها ذكر لتخلفه عن الرسول ﷺ.

وقد ترجم ابن الأثير في أسد الغابة (١٧٠/١) لأوس بن خذام وذكر أنه ممن تخلف عن الرسول ﷺ في غزوة تبوك، وكذا ترجمه الحافظ ابن حجر في الإصابة ولكن سماه: أوس بن حدام (بالحاء والدال المهملتين).

(١) أن: مكررة في ص.

(٢) ق: وأطلقهم.

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ "يقبل توبتهم"[1] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ يتجاوز عن الذنب إذا تيب منه ﴿ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يتفضل][2] بعد التوبة يجعل[3] سيئاته حسنات.

﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ ﴾ من أموال المعترفين، روي أنهم لما أُطلقوا خرجو عن أموالهم وقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي تخلفنا لأجلها فاجعلها فيما أراك الله تعالى فقال: «لم أُومر بذلك» فنزلت[4]. ﴿ تُطَهِّرُهُمۡ ﴾ عن الذنوب أو

والحديث أخرجه الطبري (١٤/٤٤٧)، والبيهقي في الدلائل (٥/٢٧١-٢٧٢) عن ابن عباس - رضي الله عنهما- من طريق علي بن أبي طلحة.

وانظر: أسباب النزول للواحدي ص(٢٦٣)، الدر المنثور (٤/٢٧٥).

(١) تفسير البيضاوي (١/٤١٩).

(٢) زيادة من سائر النسخ غير موجودة في الأصل.

(٣) ق: بجعل.

(٤) رواه الطبري (١٤/٤٥٤)، والبيهقي في الدلائل (٥/٢٧٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في تتمة الأثر السابق، ص (٣٩٥) حاشية رقم (٢)

وانظر: أسباب النـــزول للواحدي ص(٢٦٣)، وتفسير البغوي (٤/٩٠).

عن حب المال[1] الذي هو رأس كل خطيئة ﴿ وَتُزَكِّيهِم ﴾ التزكية مبالغة في التطهير أو بمعنى الإنماء والبركة في المال[2] ﴿ بِهَا ﴾ بأخذها، تنازع فيه[3] الفعلان[4].

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ وادع لهم ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ تسكن إليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم[5]

---

(١) ذكر القولين البيضاوي (١/٤٢٠).

والأول هو قول ابن عباس -رضي الله عنهما- حيث قال: "﴿ تُطَهِّرُهُمْ ﴾ من الذنوب".

انظر: زاد المسير (٣/٤٩٦).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٨٩).

(٣) ق: فيها.

(٤) مراده بالفعلين: ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾ وهذا على القول بأنهما جميعاً خطاب للنبي ﷺ، وهذا ما جوّده الزجاج وغيره.

وأما على القول بأن ﴿ تُطَهِّرُهُمْ ﴾ صفة للصدقة، وقوله: ﴿ بِهَا تُزَكِّيهِم ﴾ مستأنف خطاب للنبي ﷺ فلا تنازع حينئذٍ. والله أعلم.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٦٧)، البحر المحيط (٥/٩٩).

والتنازع في اصطلاح النحاة: هو توجه عاملين إلى معمول واحد.

انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/٥٤٥).

(٥) وقع في سائر النسخ: "عامر" مكان "عاصم" والصواب المثبت أعلاه؛ لأن حفصاً إنما يروي عن عاصم لا عامر.

بالتوحيد، والباقون بالجمع(١) وهو المختار لاشتماله على أنواع الدعاء(٢)، وإن استحب(٣) أن يقول: " آجرك الله فيما أعطيت، وجعله طهوراً وبارك لك فيما أبقيت "(٤)، وأما قولُه لأبي أَوْفَى لما جاء بصدقته: "اللهم صلِّ على آل أبي

---

(١) وكسر التاء.

انظر: السبعة ص(٣١٧)، الإقناع (٢/٦٥٨).

(٢) وذهب أبو عبيد إلى خلاف ذلك فقال: "الصلاة عندي أكثر من الصلوات؛ لأن الصلوات للجمع القليل كقولك: ثلاث صلوات وأربع وخمس". البسيط (٢/٧٢١).

ومع تصحيح ابن جرير -رحمه الله- لهذا المذهب إلا أنه رجح قراءة التوحيد بعلة أخرى حيث قال: "ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي ﷺ وصلواته أنه سكن لهؤلاء القوم لا الخبر عن العدد، وإذا كان ذلك كذلك كان التوحيد في الصلاة أولى". اهـ (١٤/٤٥٨).

وما ذهب إليه أبو عبيد خالفه فيه أبو حاتم وغيره؛ فقالوا: إن الجمع بالتاء قد يأتي مراداً به الكثير كما في قوله تعالى: ﴿ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ﴾ سورة لقمان، آية (٢٧).

انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٢١٧)، الكشف لمكي (١/٥٠٥)، البسيط (٢/٧٢٢).

(٣) كذا في جميع النسخ، وفي نسخة الحميدية (١٩٩/أ): واستحب أن يقول... إلخ.

(٤) دعاء الإمام لمن أتى بصدقته مستحب عند جمهور العلماء، وذهب أهل الظاهر وبعض الشافعية إلى وجوبه استناداً إلى الأمر في الآية، والراجح قول الجمهور؛ لأن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن وأمره بأخذ الصدقة و لم يأمره بالدعاء لهم.

والصيغة التي ذكرها المؤلف -رحمه الله- في الدعاء هي الصيغة التي استحبها الإمام الشافعي -رحمه-

أَوْفَى"[1] من خواصه[2]؛ لأن الصلاة حقه[3].

الله-.

انظر: الأذكار ص(٢٤٢)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٥/٧)، المغني (٦٤٥/٢)، الجامع للقرطبي (٢٤٩/٨).

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة (١٣٦/٢)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته (٧٥٦/٢ رقم ١٧٦) عن عبدالله بن أبي أوفى -رضي الله عنهما-.

(٢) كذا في النسخ، والأصل أن تقترن الجملة بالفاء فتكون: وأما قوله... فمن خواصه...إلخ.

(٣) اختلف العلماء في الصلاة على غير الأنبياء والمرسلين وعلى غير آل النبي ﷺ مجتمعين على أقوال:

القول الأول:

ذهب جمع من أهل العلم إلى منع ذلك، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: "لا تصلح الصلاة على أحد إلا النبي ﷺ، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار".

وكره ذلك مالك، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وابن عيينة، وبه قال طاووس وعمر بن عبدالعزيز، وحكى النووي في الأذكار ص(٢٤٣) عن أصحاب الشافعي ثلاثة أوجه، قال -رحمه الله-: "فالصحيح الذي عليه جمهور أصحابنا أنه مكروه كراهة تنزيه، وقال بعضهم: هو خلاف الأولى ولا يقال: مكروه، وقال بعضهم: لا يجوز وظاهره التحريم". اهـ.

واستدل هؤلاء بأدلة منها:

١- قول ابن عباس -رضي الله عنهما- المتقدم.

=

٢- قال مالك -رحمه الله- لم يكن هذا من عمل من مضى، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

٣- أن الصلاة على غير النبي ﷺ وآله صارت شعاراً لأهل البدع، وقد أمرنا بمخالفتهم في شعارهم.

٤- أن الصلاة قد صارت مخصوصة بالنبي ﷺ، كما أن قولنا "عز وجل" مختص بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزاً جليلاً، فكذلك لا يعطى غير النبي ﷺ مرتبته.

٥- قال تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ سورة النور، آية (٦٣) ، فإذا كان لا يدعى باسمه كما يدعى غيره باسمه فكذلك لا يصلى على غيره كما يصلى عليه.

٦- أن الصلاة حق من حقوقه ﷺ مختص به له أن يخاطب به من يشاء بخلافنا نحن.

القول الثاني:

جواز الصلاة على غير النبي ﷺ وآله، وبه قال الحسن ومجاهد ومقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان، وهو قول الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وأبي ثور، واختاره جماعة من العلماء كالقرطبي، واستدلوا بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ والأئمة يقتدون بالنبي ﷺ في ذلك.

٢- حديث ابن أبي أوفى -رضي الله عنه- الذي ذكره المؤلف -رحمه الله-.

٣- عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه- أن امرأة قالت للنبي ﷺ : صلِّ عليَّ وعلى زوجي فقال النبي ﷺ: «**صلى الله عليك وعلى زوجك**» رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب الصلاة على غير النبي ﷺ (١/٤٨٠ رقم ١٥٣٣).

٤- سئل الإمام أحمد: أينبغي أن يصلى على أحد إلا النبي ﷺ ؟ قال : أليس قال علي لعمر -رضي الله -

عنهما-: صلى الله عليك.

والأثر رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٣٦٩).

٥- ما جاء في كثير من النصوص من صلاة الملائكة على أصناف من الصالحين كالروح الطيبة ومعلم الخير ونحو ذلك.

ولعل الراجح -والله أعلم- هو جواز ذلك ما لم يواظب عليه في حق شخص معين أو طائفة معينة؛ لأنه حينئذٍ شبهه بالرسول ﷺ.

وسبب هذا الترجيح ما سبق من الأدلة التي فيها الصلاة على أشخاص غير الأنبياء والمرسلين، ولم يقم دليل على أن صدور ذلك من النبي ﷺ خاص به، بل الأصل أن ما فعله فهو شرع عام لأمته حتى يقوم دليل على أن ذلك خاص به لا تشركه فيه أمته، ويعضد هذا ما جاء من صلاة الملائكة وما نقل عن بعض الصحابة -رضي الله عنهم- من صلاتهم على بعض الأشخاص.

قال ابن القيم -رحمه الله- : "وإن كان شخصاً معيناً -المصلّى عليه- أو طائفة معينة كره أن يتخذ الصلاة عليه شعاراً لا يخل به، ولو قيل بتحريمه لكان لـــه وجه ولا سيما إذا جعلها شعاراً له، ومنع منها نظيره أو من هو خير منه، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي -رضي الله عنه- فإنه حيث ذكروه قالوا: عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه، فهذا ممنوع لاسيما إذا اتخذ شعاراً لا يخل به فتركه حينئذٍ متعين، وأما إن صلى عليه أحياناً بحيث لا يجعل ذلك شعاراً كما يصلى على دافع الزكاة، وكما قال ابن عمر للميت: "صلى الله عليه"، وكما صلى النبي ﷺ على المرأة وزوجها، وكما روي عن علي من صلاته على عمر فهذا لا بأس به وبهذا التفصيل تتفق الأدلة".

اهـــ. جلاء الأفهام ص(٣٩٠)، وانظر: ص(٢٧٧ وما بعدها)، معالم السنن (٢/٣٩)، الجامع للقرطبي (٨/٢٤٩) تفسير ابن كثير (٦/٤٦٧)، فتح الباري (٣/٣٦٢)، غذاء الألباب (١/٣٢)، نيل الأوطار (٤/٢١٧).

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ سميع أقوالهم عليم نياتهم[1].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ أي: قد علموا ذلك، والضمير للمتوب عليهم، والمراد تقرير قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم؛ لأن لفظ ﴿ عَسَى ﴾[2] وإن كان معناها من الله التحقق[3] والوجوب[4] إلا أنها في الأصل للرجاء[5]، أو لغيرهم[6] ترغيباً وحثاً عليها.

﴿ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ كما يأخذ أحدكم من يد صاحبه[7]، وفي الحديث: «إن

---

(١) ص: بنياتهم.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾.

(٣) ق: التحقيق.

(٤) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والضحاك (١٤/٤٤٨، ٤٥١)، وهو قول مجاهد وأبي مالك وسعيد بن جبير والحسن وغيرهم.
انظر: أقوالهم في الدر المنثور (١/٥٨٧)، (٤/٢٧٩).
وانظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٥١)، الوسيط (٢/٥٢٢)، المحرر الوجيز (٣/٧٧).

(٥) راجع التفسير الكبير (١٦/١٤٠).

(٦) أي عَوْد الضمير في قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ إما للمتوب عليهم أو لغيرهم.
وانظر القولين في: تفسير البيضاوي (١/٤٢٠).

(٧) هذه العبارة فيها تجوز، ولا ينبغي أن تطلق؛ لأن فيها نوع تشبيه بل يبقى النص على ظاهره مفسراً بالحديث الذي ساقه المؤلف دون تشبيه أخْذِه تعالى بأخذ البشر. والله أعلم.

الصدقة تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد السائل»[1] ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ "من شأنه قبول/ توبة التائبين"[2]، فائدته: التحضيض على الإخلاص فيها؛ لأنه لا يخفى عليه خافية.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ ﴾ أيها التائبون[3] ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ لا يخفى عليه منه شيء ﴿ وَرَسُولُهُۥ ﴾ يعلم بذلك أيضاً ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ بالأمارات[4] أو بإخبار

---

(١) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٧/٢/١)، والطبري (٤٥٩/١٤، ٤٦٠)، والطبراني في الكبير (١١٤/٩ رقم ٨٥٧١) عن عبدالله بن مسعود -ﷺ- موقوفاً، ويشهد له ما رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب (١١٢/٢)، ومسلم كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب (٧٠٢/٢ رقم ٦٣-٦٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً وفيه: «... إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل» واللفظ لمسلم.

(٢) الكشاف (٨٩/٣)، تفسير البيضاوي (٤٢٠/١).

(٣) القول بأن الآية خطاب للتائبين هو قول ابن زيد كما ذكر ذلك ابن الجوزي (٤٩٧/٣).
وانظر: الكشاف (٩٠/٣).
وقيل: الخطاب عام للمؤمنين والمنافقين.
انظر: الجامع للقرطبي (٢٥٢/٨)، البحر المحيط (١٠٠/٥).

(٤) كذا في الأصل، وسائر النسخ: بأمارات.

الرسول أنكم مخلصون، أو المصرون على النفاق ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ بالموت أو بالحشر إليه يوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ فيجازيكم عليه.

فإن قلت: لَمَّا ذكرَ المنافقين أردفه بقوله: ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[1] وزاد هنا بعد ذكر المخلصين وقبول صدقتهم المؤمنين، ما الحكمة في ذلك؟.

قلت: الحكمة أن الاطلاع على حال المنافقين وخبث باطنهم مخصوص بالله ويعلم بذلك رسوله بالوحي، والمؤمنون لا اطلاع لهم على شيء من ذلك، وأما إخوانهم فحالهم معلوم عندهم فلذلك ذكرهم مع الله ورسوله[2].

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ قرأ ابن كثير وأبوعمرو وشعبة عن عاصم ﴿ مرجؤن ﴾ بالهمزة[3] وهي لغة تميم[4]،

(١) سورة التوبة، آية (٩٤).

(٢) ذكر هذا الوجه بمعناه ابن الزبير الغرناطي في ملاك التأويل (١/٥٩٩، ٦٠٢) والبقاعي في نظم الدرر (٩/١٤).

(٣) ق: بالهمز.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص(٨٢)، لغة تميم ص(٣٠١).

والباقون بحذفه وهي الشائعة[1]، أي[2]: وطائفة من المتخلفين[3] مؤخر أمرهم لا يعلم حالهم هل تقبل[4] توبتهم أم لا؟ وهم كعب بن مالك الأنصاري من بني سَلِمَة ومرارة بن الربيع الزبيدي وهلال[5] بن أمية الواقفي[6]، وهم الثلاثة الذين خُلِّفُوا[7] وستأتي[8] قصتهم[9].

فإن قلت: قد تواترت النصوص على قبول الله التوبة عن التائب إذا[10] كان

---

(١) وكذا قرأ ابن عامر بالهمزة خلافاً لما يوهمه ظاهر كلام المؤلف -رحمه الله-.

انظر: التيسير ص(٩٦)، البحر المحيط (١٠١/٥).

(٢) أي: زيادة من ق والسياق يقتضيها.

(٣) ق: المخلفين.

(٤) ق: يقبل.

(٥) ص: وصلا.

(٦) ق: الواقعي.

(٧) وهو قول ابن عباس -ﷺ- وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن إسحاق وعامة المفسرين.

انظر: تفسير الطبري (٤٦٤/١٤-٤٦٧)، تفسير البغوي (٩٢/٤)، تفسير ابن كثير (١٤٨/٤).

(٨) ص وَ ق: سيأتي.

(٩) انظر: ص (٤٤٢).

(١٠) ق: إن.

مخلصاً في توبته فما الحكمة في تأخير قبولها من هؤلاء وإرجاء أمرهم مبهماً(1)؟.

قلت: الحكمة في ذلك الإشارة على(2) عظم جنايتهم وأن التخلف عن رسول الله في مثل ذلك السفر كسلاً وركوناً إلى اللذة أمر عظيم، ألا ترى إلى بكاء آدم على تلك الصغيرة أربعين عاماً(3) وكذلك داود -عليه السلام- وقصة حزنه وشدة بكائه مشهورة(4).

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال الخلق ﴿ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ فيما يصنع من قبول التوبة تارة وتأخيرها أخرى.

﴿ وَٱلَّذِينَ(5) ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ أي: من المنافقين، وهم بنو تميم

---

(1) ص: منها.

(2) ق: إلى.

(3) راجع الآثار في ندم آدم -عليه السلام- وحزنه وبكائه في الزهد للإمام أحمد ص(61)، والدر المنثور (1/130-151) ولكني لم أقف على شيء من الآثار فيه ذكر أربعين عاماً.

(4) انظر: الزهد للإمام أحمد ص(88)، تفسير الطبري (23/93)، الدر المنثور(7/163).

(5) في ق (الذين) بدون الواو.

وهذه القراءة -بحذف الواو- هي قراءة ابن عامر ونافع وأبي جعفر من العشرة، قال ابن مجاهد في السبعة ص(318): "وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام". اهـ. وسيذكر المؤلف هذه القراءة بعد قليل.

وانظر: المقنع للداني ص(104)، النشر (2/281).

ابن عوف[1] فإنهم لما رأوا إخوتهم وهم بنو عمرو بن عوف بنوا مسجد قباء[2][3] وصلى فيه رسول الله ﷺ وكان يزوره في كل سبت يأتيه راكباً وماشياً[4] [حسدوهم][5] وقالوا: "نبني مسجداً بقباء ويصلي فيه رسول الله وأبوعامر الراهب"[6] وهو الذي حزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ وهرب يوم حنين إلى الشام وأرسل يخبر المنافقين

---

(١) كذا ورد في النسخ، والذي وقفت عليه أنهم بنو غنم بن عوف كما رواه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٧/٢/١)، وابن جرير (٤٧٢/١٤) عن سعيد بن جبير، وبهذا اللفظ أورده الزمخشري (٩١/٣)، وأبو حيان (١٠١/٥)، وهم بطن من الخزرج.
انظر: نهاية الإرب ص(٣٤٢).

(٢) وكان ذلك أول مقدمه ﷺ عليهم بعد الهجرة.
انظر خبر بنائه في: السيرة لابن هشام (١٠٨/٢)، البداية والنهاية (١٩٨/٣).

(٣) روى عبدالرزاق في التفسير (٢٨٧/٢/١)، وابن جرير (٤٧٩/٤) عن عروة بن الزبير قال: "الذين بُني فيهم المسجد الذي أسس على التقوى بنو عمرو بن عوف". اهـ.
وهم بطن من الخزرج منهم الكثير من الصحابة -رضي الله عنهم-.
انظر: نهاية الأرب ص(٣٣٥).

(٤) رواه البخاري كتاب فضل الصلاة، باب من أتى مسجد قباء كل سبت (٦٩/٣)، ومسلم كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء (١٠١٧/٢ رقم ٥٢١) عن ابن عمر -رضي الله عنهما-.

(٥) ساقطة من ق.

(٦) عمرو ويقال: عبدعمرو بن صيفي بن مالك الأوسي، كان في الجاهلية يذكر البعث ودين الحنيفية وكان يسمى: الراهب، ولما بعث الرسول ﷺ عانده وحسده فسماه الرسول ﷺ: الفاسق، خرج من المدينة إلى مكة وشهد أحداً مع قريش، وكان ولده حنظلة من خيار الصحابة، استشهد في أحد وغسلته الملائكة -رضي الله عنه-.
انظر: البداية والنهاية (٢١/٥)، الإصابة (٤٥/٢).

بأنه يقدم إليهم بجيش بني الأصفر ويحارب محمداً ويخرجه فمات بقِنَّسْرين[1] وحيداً طريداً لعنه الله[2].

قرأ[3] نافع وابن عامر ﴿الذين اتخذوا﴾ بحذف الواو على أنه استئناف قصة للمنافقين[4]، وعليه رسم المدني والشامي[5]. والقول بأنه بحذف[6] الواو بدل من ﴿مُرْجَوْنَ﴾ غلط[7]؛ لأنهم مخلصون أخر توبتهم.

---

(١) قِنَّسْرين: مدينة بالشام إلى جهة حمص، كان فتحها على يد أبي عبيدة -رضي الله عنه- سنة ١٧هـ.
انظر: معجم البلدان (٤/٤٠٣).

(٢) رواه ابن جرير (١٤/٤٧٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق علي بن أبي طلحة وغيره بلفظ مقارب.
ورواه أيضاً -خبر بناء المسجد من أجل أبي عامر- عن مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد (١٤/٤٧٢-٤٧٤).
كما رواه أيضاً (١٤/٤٧٢) من طريق عبدالرزاق عن عائشة -رضي الله عنها- ورواه عبدالرزاق في التفسير (١/٢/٢٨٧) عن عروة.

(٣) ق: وقرأ.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٠).

(٥) انظر ما سبق ص(٤٠٦) حاشية رقم (٥).

(٦) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص: يحذف، ولعل المثبت أعلاه هو المناسب للسياق.

(٧) في الأصل حاشية: "يرد على الإمام"، وفي ق: "قائله الإمام، يريد أن هؤلاء منافقون والمرجون =

﴿ وَكُفْرًا ﴾ لتقوية الكفر ﴿ وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنهم كانوا يصلون في مسجد قباء مجتمعين ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ وهو[1] أبو[2] عامر[3] ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ متعلق بـ ﴿ حَارَبَ ﴾، وقيل: بـ ﴿ ٱتَّخَذُواْ ﴾ [أي: اتخذوا][4] مسجداً من قبل أن ينافقوا بالتخلف، وفيه: أن نفاقهم كان موجوداً قبل[5].

مخلصون فكيف يصح البدل".

ومراده بالإمام: الفخر الرازي فقد قال في التفسير الكبير (١٦/١٥٣) في إعراب قراءة ابن عامر ونافع: "بدل من قوله ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ ﴾". اهـ.

وقد ذكر هذ الوجه أبوحيان احتمالاً (٥/١٠١) والسمين في الدر المصون (٦/١١٩)، وقال: "وفيه نظر لأن هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً لا يقال في حقهم إنهم مرجون لأمر الله؛ لأنه يروى في التفسير أنهم من كبار المنافقين كأبي عامر الراهب". اهـ.

(١) كذا في الأصل، وباقي النسخ بدون الواو.

(٢) ق: ابن ، وهو خطأ.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٧٢)، تفسير ابن كثير (٤/١٤٨)، البحر المحيط (٥/١٠٢).

(٤) ساقط من ص.

(٥) لم يذكر الزمخشري (٣/٩٣) إلا القول الثاني، وذكر البيضاوي (١/٤٢١) الوجهين، واستظهر أبو حيان (٥/١٠٢) الوجه الأول، وقال عن الثاني: "ليس بظاهر". اهـ.
ورجحه أيضاً القزويني في الكشف (١٣/أ، ب).

﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: بعد اطلاعك على حالهم يعتذرون بالأيمان وأنهم مخلصون ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ وأن أيمانهم غموسة[1].

بنوه قبل غزوة تبوك وقالوا: "بنينا مسجداً لذي علة وليلة مطيرة ونحب يا رسول الله أن تأتي فتصلي لنا فيه" فقال: «إني على جناح سفر فإذا قدمنا جئنا إن شاء الله تعالى»، فلما قدم من غزوته سألوه إتيانه فنزلت فأرسل جماعة من الصحابة[2]

---

(١) الغموسة: الكاذبة، سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم أو في العذاب، والعياذ بالله. انظر: القاموس الفقهي ص(٣٩٥).

(٢) في حاشية الأصل وَ ص: الذين أحرقوا مسجد الضرار مالك بن الدخشم وعامر بن السكن ومعن بن عدي، وقيل: كان معهم الوحشي قاتل حمزة. منه.

قال ابن إسحاق في خبر هدم مسجد الضرار: "فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان فقال: انطلقا... إلخ" السيرة لابن هشام (١٨٤/٤).

وقال ابن حجر في الإصابة (٢٧٩/٥) (طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ط الأولى ١٣٩٦هـ): "عامر بن السكن الأنصاري، ذكر الثعلبي في تفسيره أنه أحد من وجه النبي ﷺ لهدم مسجد الضرار". اهـ.

وأما وحشي بن حرب فلم أقف في تراجمه على أنه ممن هدم مسجد الضرار .

انظر: أسد الغابة (٦٦٢/٤)، الإصابة (٣١٥/٦).

وقد ذكره البغوي (٩٤/٤)، والزمخشري (٩١/٣) والبيضاوي (٤٢٠/١) فيمن وجهه النبي ﷺ

=

وقال[1] لهم: «اذهبوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه» فذهبوا فهدموه وأحرقوه[2]، واتخذوا[3] مكانه كناسة[4].

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ أي: لمحة طرف فضلاً عن العبادة فيه ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ مسجدك الذي بنيته وأسسته لله وهو مسجد المدينة، كذا رواه البخاري عنه حين سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فأشار إليه

لهدم المسجد. والله أعلم.

تنبيه: وقع اسمه في الحاشية (الوحشي) وكذلك عند البيضاوي (الموضع السابق)، والذي وقفت عليه في كتب التراجم بدون أل، قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي: "والصواب وحشي بدون أل" اهـ (٦٣٦/٤).

(١) ق: فقال.

(٢) ق: وأحرقوا.

(٣) ص: واتخذ.

(٤) ذكره ابن إسحاق دون سند كما في السيرة لابن هشام (١٨٣/٤)، وأخرجه من طريق ابن إسحاق الطبري (٤٦٨/١٤) عن الزهري ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة، وكذا أخرجه من طريق ابن إسحاق البيهقي في الدلائل (٢٥٩/٥).
وقد رويت أجزاء منه عن بعض الصحابة والتابعين.
انظر: تفسير الطبري (٤٧٠/١٤-٤٧٣)، الدر المنثور (٢٨٤/٤-٢٨٦).

وقال: «هو مسجدكم هذا»[1]. وقيل: هو مسجد قباء[2]؛ لأن الكلام فيه وفي مسجد الضرار[3]، ولا دلالة في اللفظ على الوحدة بل كل منهما أسس على التقوى[4] وإشارته إلى

---

(١) لم أجده في مظانه من صحيح البخاري، وأظن أن المؤلف -رحمه الله- وهم في نسبته إليه.
وقد رواه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ (١٠١٥/٢ رقم ٥١٤) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-.
والقول بأن المراد في الآية مسجد الرسول ﷺ هو قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وسعيد بن المسيب وغيرهم، واختاره ابن جرير وأبوالمظفر السمعاني وجماعة.
انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٤٨/٢)، تفسير الطبري (٤٧٦/١٤-٤٧٩)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٣٤٩/٢)، تفسير ابن كثير (١٥٢/٤).

(٢) قال به ابن عباس -رضي الله عنهما- وعروة والشعبي والحسن وابن زيد والضحاك وسعيد ابن جبير وقتادة وغيرهم.
انظر: تفسير الطبري (٤٧٨/١٤-٤٧٩)، تفسير البغوي (٩٦/٤)، تفسير ابن كثير (١٥٢/٤)، الدر المنثور (٢٨٧/٤-٢٨٨).

(٣) قال الزمخشري (٩٣/٣): "وهو أولى لأن الموازنة بين مسجدي قباء أولى". اهـ. وبنحوه قال البيضاوي (٤٢١/١).
وما قالاه ليس بظاهر ولا حسن مع قول النبي ﷺ « هو مسجدي هذا ».
قال أبوحيان (١٠٢/٥): "وإذا صح هذا النقل لم يمكن خلافه". اهـ.
وقال الطيبي في حاشيته على الكشاف (لوحة ١٠٣١) معقباً على كلام الزمخشري السابق: "قلت: بل الأنسب ما نص عليه ﷺ"، وقال التفتازاني في حاشيته على الكشاف (لوحة٦٦٩) -بعد ذكر كلام الزمخشري السابق- قال رحمه الله: "ولكن المناسبة أو قول أبي هريرة -رضي الله عنه- أن الآية نزلت في أهل قباء لا يعارض تنصيص النبي ﷺ على أنه مسجد المدينة". اهـ.
والأقرب -ما سيذكره المؤلف رحمه الله- أن اللفظ يشمل مسجد المدينة ومسجد قباء. والله أعلم.
انظر: الحاشية التالية.

(٤) وقد اختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية كما في منهاج السنة (٢٤/٤)، والحافظ ابن كثير في تفسيره (١٥٢/٤)، والشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في الدرر السنية (١٦٢/١٠) وغيرهم، وهو الراجح إن شاء الله تعالى، فكلا المسجدين مؤسس على التقوى وفيهما رجال =

مسجد المدينة حين سئل لاشتهار مسجد قباء بذلك[1] ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾[2] تأسيسه لم يشبه[3] رياء ﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾.

فإن قلت: أحقية هذا تدل على حقية ذلك في الجملة، ومعلوم أن لا شائبة للحق في ذلك.

قلت: أريد المبالغة أي: لو كان ذلك بُني لله كان هذا أحرى بالقيام فيه فكيف وقد بُني لأنواع من الكفر؟[4].

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ ﴾ قيل: لما نزلت مشى رسول الله ﷺ والمهاجرون معه حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال:

يحبون أن يتطهروا، ومسجد رسول الله ﷺ داخل بتنصيصه ﷺ ومسجد قباء داخل بدلالة السياق وأسباب النـــزول. والله أعلم.

(١) ق: بذكره.

(٢) في حاشية الأصل: والأولية أمر نسبي. منه.

(٣) ق: يشيبه.

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٦/١٥٥).

وقال أبو حيان (٥/١٠٣): "و ﴿ أَحَقُّ ﴾ بمعنى حقيق وليست أفعل تفضيل، إذ لا اشتراك بين المسجدين في الحق". اهـ.

«أمؤمنون[1] أنتم؟» فسكت القوم، فقال عمر: "مؤمنون يا رسول الله، وأنا معهم" ثم قال: «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في الطهور فما طهوركم؟» قالوا: "نتبع الماء الأحجار في الاستنجاء"[2].

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يرضى عنهم ويفعل معهم ما يفعل المحب مع محبوبه[3].

---

(١) ق: المؤمنون.

(٢) ذكره الزمخشري (٣/٩٣-٩٤)، والبيضاوي (١/٤٢١) مطولاً.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف ص(٨١): "لم أجده هكذا، وكأنه ملفق من حديثين" وذكر أن أولــه أخرجه الطبراني في الأوسط (١٠/١٩٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بسياق مختلف، وأما آخره وهو السؤال عن الطهور فروى ابن مردويه عن ابن عباس -ﷺ- نحوه.

وقد روى الحافظ أبوبكر البزار آخره -كما في تفسير ابن كثير (٤/١٥٤)- بسند فيه عبدالله ابن شبيب أبوسعيد الربَعي، قال عنه ابن حبان: "يقلب الأخبار ويسرقها"، وقال أبوأحمد الحاكم: "ذاهب الحديث"، وقال الذهبي: "واه".

انظر: ميزان الاعتدال (٢/٤٣٨).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٩٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٢١).

ومحبة الله تعالى صفة من صفاته الحقيقية على ما يليق بعظمته وجلاله لا تشبه صفات المخلوقين ولا يجوز تأويلها، وما ذكره المؤلف -رحمه الله- هو أثر من آثار هذه الصفة، وأما المحبة فتثبت =

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ ﴾ على قاعدة محكمة هي تقوى الله ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ شفا كل شيء: طرفه[1]، والجُرُف: ما جرفه السيل وذهب بأصله وهو مشرف على السقوط ساعة فساعة[2]، والهار: ما انصدع وانشق وهو ثابت بعد لكن بصدد السقوط، اسم فاعـــل وزنه فَعِل قلبت واوه ألفاً[3]، وقد يقال: إنه محمول على القلب

على حقيقتها، فهنا أمور يجب التنبيه عليها:

١- وجوب إثبات هذه الصفات على حقيقتها دون التعرض لها بتأويل أو تعطيل؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلسان عربي مبين.

٢- اعتقاد عدم مشابهتها لصفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ سورة الشورى، آية (١١)، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن له تعالى ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين فإن له صفات لا تشبه صفاتهم.

٣- قطع الطمع من معرفة كيفية تلك الصفات؛ لأنه تعالى أخبرنا عن الصفة و لم يخبرنا عن كيفيتها فوجب الوقوف مع النص. والله أعلم.

انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٧-٢٨).

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٢٩)، لسان العرب (شفي) (١٤/٤٣٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (الموضع السابق)، تهذيب اللغة (جرف) (١١/٤٢)، الكشاف (٣/٩٥).

(٣) فأصله: هَوِر ثم قلبت ألفاً فصار: هار.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٧٠)، الكشاف (٣/٩٥).

مكاناً[1] فوزنه فاع، ويظهر ذلك في حالة النصب[2].

﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ فأدى به قلة استمساكه وتخوره إلى السقوط[3]، تقوى الله وابتغاء مرضاته أساسٌ قويٌ لا يزعزعه شيء، والباطلُ لا ثبات لـه لقوله[4] تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾[5]، ولذلك مثَّله بشفا[6] جرف هار إذ لا أضعف منه ولا أقل بقاء، ولما جعله مجازاً عن الباطل/ رشحه[7]

---

(١) ق: مكانه.

(٢) فيقال عند النصب: هارياً مثل: غازياً.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٢)، الدر المصون (٦/١٢٥).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢١).

(٤) ص: لقول.

(٥) سورة الرعد، آية (١٧).

وقد كتبت الآية في النسخ: "وأما الباطل فيذهب جفاء" وهو خطأ، والصواب المثبت أعلاه.

(٦) ق: بجفا.

(٧) الاستعارة -وهي من المجاز اللغوي- تنقسم باعتبار ما يقترن بها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الاستعارة الترشيحية وهي: التي تقترن بما يلائم المستعار منه كقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ سورة البقرة، آية(١٦) حيث استعير الاشتراء للاستبدال ثم قرن بما يلائمه وهو الربح والتجارة.

بالإنهيار الذي هو للجرف لتصور أن المبطل بصدد السقوط في نار جهنم[1]، وقرأ[2] نافع وابن عامر ﴿ أُسِّسَ ﴾ على البناء للمفعول والباقون على الفاعل[3]، وهو

الثاني: الاستعارة التجريدية وهي التي تقترن بما يلائم المستعار لــه مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾ سورة النحل، آية (١١٢) حيث استعير اللباس للجوع ثم قُرن بما يلائم المستعار له من الإذاقة.

الثالث: الاستعارة المطلقة وهي ألا تقترن بواحد منهما.

انظر: الإيضاح ص(٤٣٢ وما بعدها)، معترك الأقران (٢١٢/١).

(١) قال الزمخشري (٩٥/٣): "لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل: فانهار به في نار جهنم على معنى: فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ "الانهيار" الذي هو للجرف...".

(٢) ص: قرأ. بحذف الواو.

(٣) انظر: السبعة ص(٣١٨)، الإقناع (٦٥٩/٢).

وقرأ نافع وابن عامر في الموضعين من الآية ﴿ أفمن أُسِّسَ...خير أم من أُسِّسَ... الآية ﴾ وكذا قراءة الجمهور.

وقرأ نافع وابن عامر تبعاً لذلك: ﴿بنيانُه﴾ على أنه نائب فاعل، بينما قرأ الجمهور ﴿ بُنۡيَٰنَهُۥ ﴾ على أن مفعول به.

انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها).

المختار لإسناده إلى المباشر ولقولـه: ﴿ بَنَوْا ﴾[1]، وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة ﴿ جُرْف ﴾ بسكون الراء[2]، وهما لغتان: الضم لغة الحجاز والسكون لغة تميم[3].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ هم الذين خلقوا للنار.

﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي سبباً لتزايد الشك والنفاق، وذلك أن رسول الله ﷺ لما أمر بهدمه ثقل[4] عليهم وزاد[5] بغضهم لرسول الله ﷺ واشتد عداوتهم وبقوا مرتابين في أمرهم هل يُبْقون بين المسلمين كما كانوا أم يقتلون؟[6]، ﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ قطعاً لا يبقي فيها ما يصلح

---

(١) وقال ابن جرير (٤٩١/١٤): "وهما قراءتان متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى (مَنْ) إذ كان هو المؤسس أعجب إليّ". اهـ.

(٢) انظر: السبعة ص(٣١٨)، الإقناع (٦٥٩/٢).

(٣) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص(١٨٤-١٨٦)، لغة تميم ص(٢٩٥).

(٤) كذا في الأصل، وسائر النسخ: ثقل ذلك.

(٥) كذا في الأصل، وسائر النسخ: وازداد.

(٦) الوجه الأول -وهو أن المقصود تزايد نفاقهم- هو ما ذكره الزمخشري والبيضاوي ورجحه أبو عبدالله الرازي، وأما الثاني -وهو ريبتهم هل يُقتلون أم لا؟- فقواه الطيبي في فتوح الغيب (لوحة ١٠٣٣).

انظر: الكشاف (٩٥/٣)، التفسير الكبير للرازي (١٥٥/١٦)، تفسير البيضاوي (٤٢٢/١).

للإدراك والاستثناء من أعم الأزمنة[1]، وقيل: تقطيع القلوب كناية عن التوبة ندماً وأسفاً[2]، قرأ ابن عامر وحفص وحمزة بفتح التاء مضارع ﴿ تَقَطَّعَ ﴾ بحذف إحدى التائين مبنياً للفاعل، والباقون بضم التاء على بناء المفعول من التقطيع[3]، والأول أوفق لشيوع: تَقَطَّع قلبُه في الموت.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم وأغراضهم ﴿ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ في أفعاله، ولذلك خيب مساعيهم وأظهر نفاقهم لئلا يُقدم أحدٌ على مثل فعلهم.

* ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ لما بيَّن حال المنافقين[4] المتخلفين عن غزوة تبوك أشار إلى أن المؤمنين بالمبادرة إلى الجهاد بالأموال والأنفس رابحون أيَّة ربح، ومثَّل إثابةَ اللهِ إياهم بالجنة

---

(١) أي: لا يزال بنيانهم ريبة في كل زمان إلا زمن تقطع قلوبهم.
وانظر: تفسير البيضاوي (٤٢٢/١).

(٢) عزاه في البحر المحيط (١٠٥/٥) لسفيان، وذكره الزجاج (٤٧١/٢)، والزمخشري (٩٦/٣)، والبيضاوي (٤٢٢/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٩٧/١٤)، السبعة ص(٣١٩)، الحجة لابن خالويه ص(١٧٧)، التيسير ص(٩٨).

(٤) ق: فرق المنافقين.

على ذلك البذل بالشراء الذي هو عقد لازم [من][1] الطرفين[2]، وقدَّم الأنفس على الأموال إشارة إلى أنهم ببذل أرواحهم أسمح منهم ببذل الأموال.

﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ ﴾ خبر في معنى الأمر[3]، أي: ليقاتلوا في سبيل الله تسليماً للثمن ليتعين، فإن المبيع قد تعين، أو لما كان هذا البيع في المعنى سَلَماً[4] يجب تسليم رأس المال فيه، أو استئناف لبيان ماله الشراء[5]، قرأ حمزة والكسائي مبنياً للمفعول في الأول والفاعل في الثاني على

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٩٦)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٢).

(٣) قال في الكشاف (٣/٩٦-٩٧): "فيه معنى الأمر كقوله: ﴿ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ سورة الصف، آية (١١)". اهـ.

(٤) السَلَم ويقال: السَلَف: عقد على موصوف في الذمة مؤجل بثمن مقبوض بمجلس العقد.

انظر: الروض المربع (بحاشية ابن قاسم) (٥/٤)، القاموس الفقهي ص(١٨٢)، وما ذكره المؤلف هو قول الطيبي وغيره.

انظر: فتوح الغيب (لوحة ١٠٣٤)، روح المعاني (١١/٤٠).

(٥) قاله البيضاوي (١/٤٢٢) وغيره.

والمعنى: أنه تعالى لما اشترى منهم الأموال والأنفس بيَّن أن ذلك لكي يقاتلوا في سبيله فيقتلون ويقتلون.

عكس قراءة العامة[1]، وفيه مدحٌ لهم بالشجاعة إذ قد قَتَلُوا العدو بعد وقوع القتل على بعضهم، فيدل على قوة إيمانهم وأنهم بموت بعضهم لم يحصل لهم فترة ولا وهن، وقراءة العامة أولى لعدم احتياجها إلى التأويل[2]، ولأن[3] الرتبة العليا أن الإنسان يَقْتل أولاً ثم يُقْتل لِيجمع الفضيلتين[4] على أن الواو لا تدل على الترتيب[5].

---

(١) انظر: السبعة ص(٣١٩)، التيسير ص(٧٧)، البحر المحيط (٥/١٠٦).

(٢) لعل مراده ما أُورد على قراءة حمزة والكسائي من أنه بعد قتلهم كيف يقع منهم القتل، وقد أجاب عنه بقوله: وفيه مدح لهم... إلخ.

(٣) ق: لأن. بحذف الواو.

(٤) ص: الفضيلين. قال ابن أبي مريم: "والوجه أنهم يَقتلون الكفارَ ثم يُستشهدون. وهذا الوجه أظهر والقراءة به أكثر". اهـ. الموضح (٢/٦٠٩).

(٥) في حاشية ق: وفي الوجه الأول أيضاً أن الواو لا تدل على الترتيب.

وكأن المؤلف -رحمه الله- يوجه قراءة حمزة والكسائي، وقال التفتازاني في حاشيته (لوحة ٦٧٠): "وأورد على قراءة تقديم المبني للمفعول أن من قُتل عقيب القتال لا يَقتل، وأجيب بأن المسند إليه جميع المؤمنين بمعنى أن ذلك يوجد فيما بينهم، وإذا صار البعض مقتولاً لم يرتدع الباقون عن القتل، ولا أرى حاجة إلى هذا؛ لأن وقوع الأمرين عقيب القتال لا يوجب الترتيب فيما بينهما. اهـ.

وقال أبو حيان (٥/١٠٦) بعد أن ذكر القراءات: "والمعنى واحد، إذ الغرض أن المؤمنين يقاتلون ويُؤخذ منهم من يُقتل، وفيهم من يَقتل وفيهم من يجتمع له الأمران، وفيهم من لا يقع له واحد منهما بل تحصل منهم المقاتلة". اهـ.

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ مصدر مؤكد[1] ﴿ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾، هذا[2] على متعارف التجار فإن المبلغ إذا كان له قدر تكتب[3] له الوثيقة، وقد بالغ في ذلك حتى أنزله في الكتب الثلاثة التي عليها مدار سائر الشرائع، ويحتمل أن يراد بالقرآن زبور داود لما في الحديث: «إن داود كان يأمر بأن تسرج له الدابة فيختم القرآن قبل أن تسرج»[4]، فيكون الوعد مسطوراً في الكتب الأربعة.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا أحد فإن خلف الوعد كذب وإنه تعالى مقدس عن ذلك غني عن ارتكابه، أعاده بلفظ العهد إيماء إلى أن ذلك

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٣)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٧٢)، الكشاف (٣/٩٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٢).

(٢) ص: وهذا.

(٣) ق: يكتب.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (٤/١٣٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بلفظ: "... فيقرأ القرآن...".

وهذا الاحتمال الذي ذكره المؤلف -رحمه الله- لم أقف على من قال به من المفسرين، وهو خلاف الظاهر؛ لأن القرآن إذا أطلق في النصوص فيقصد به ما أُنزل على محمد ﷺ من كلام الله تعالى المعجز.

الوعد[1] محفوظ ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾ أي: افرحوا فرحاً شديداً يظهر أثره في بشرتكم، والسين للتأكيد ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ الذي لا فوز فوقه ولا ترغيب أحسن منه فلا نامت أعين الجبناء[2].

---

(١) ق: العهد.

(٢) كذا في الأصل، وفي باقي النسخ: الحنناء.

فائدة: قال ابن القيم -رحمه الله-: "فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد:

أحدها: إخباره -ﷻ- بصيغة الخبر المؤكد بأداة ﴿ إِنَّ ﴾.

الثاني: الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة ﴿ عَلَىٰ ﴾ التي للوجوب إعلاماً لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنه -ﷻ- أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم لـه العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه.

=

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ﴾ رفع على المدح[1]، هم المذكورون ويدل عليه قراءة عبدالله وأُبيّ [التائبين][2]، ويجوز أن يكون ابتداء كلام خبره ما بعده أي: التائبون الموصوفون بهذه الصفات[3].

والقول بجواز كونه مبتدأ خبره محذوف أي: التائبون من أهل الجنة[4] لا يناسب المقام ولا فخامة فيه.

﴿ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ لله مخلصين في عبادته ﴿ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾ لـه على نعمائه وعلى كل حال ﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ في الأرض للاعتبار برؤية مصنوعاته وعجائب

العاشر: أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه هو الفوز العظيم". اهـ.

حادي الأرواح ص(٦٤).

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٧١/٢)، إعراب القرآن للنحاس (٤٣/٢)، الكشاف (٩٧/٣)، البيان لابن الأنباري (٤٠٦/١)، التبيان للعكبري (٦٦٢/٢)، تفسير البيضاوي (٤٢٢/١).

(٢) انظر: شواذ القرآن لابن خالويه ص(٥٥)، المحتسب (٣٠٤/١).

وعبدالله هو ابن مسعود، وقد زاد ابن جني نسبة هذه القراءة إلى الأعمش.

(٣) انظر: الكشاف (٩٧/٣)، البيان لابن الأنباري (٤٠٦/١)، تفسير البيضاوي (٤٢٢/١).

(٤) هذا القول هو ما اختاره الزجاج (٤٧١/٢)، وجوَّزه البيضاوي (٤٢٢/١)، وقال: "وتقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ سورة النساء، آية (٩٥)". اهـ.

خلقه[1]، وقيل: هم الصائمون لما في الحديث من إطلاق السياحة عليه[2]؛ لأنه سير في

(١) لم أقف على هذا القول عن أحد من السلف، وقد ذكره أبو حيان (١٠٧/٥) مبهماً.

وانظر: الحاشية القادمة.

(٢) رواه ابن جرير (٥٠٣/١٤) من حديث أبي هريرة -ﷺ- مرفوعاً قال: قال لي رسول الله ﷺ: «﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ هم الصائمون».

ورواه أيضاً موقوفاً على أبي هريرة.

قال ابن كثير (١٥٧/٤): "وهذا الموقوف أصح". اهـ.

كما رواه ابن جرير (٥٠٢/١٤) مرسلاً من حديث عبيد بن عمير قال سئل النبي ﷺ عن السائحين فقال: «هم الصائمون»، وقال ابن كثير: "وهذا مرسل جيد". اهـ (١٥٧/٤).

ورواه ابن مردويه من حديث ابن مسعود -ﷺ-. الدر المنثور (٢٩٨/٤)، وهذا القول هو قول أبي هريرة وابن مسعود وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير ومجاهد وأبي عمرو العبدي والحسن والضحاك وعطاء وابن عيينة وقتادة وغيرهم.

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- فيما رواه ابن جرير: "كل ما ذكر الله في القرآن ذكر السياحة هم الصائمون". (٥٠٤/١٤).

وفي الآية أقوال أخرى منها:

١- المجاهدون،وهو قول عطاء.

ويدل عليه قوله ﷺ -لما قال لــه رجل: ائذن لي في السياحة -قال: «**إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله**» رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن السياحة (٧/٢ رقم ٢٤٨٦) وصححه =

المعارف في[1] الملكوت؛ لأن الحواس إذا كفَّت عن الشهوات تجلي للنفس عالم الغيب[2].

الشيخ الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٢/٢١١ رقم ٢٠٨٩).

٢- طلبة العلم، قاله عكرمة.

٣- المهاجرون، قاله عبدالرحمن بن زيد.

والقول الأول -الصائمون- هو قول أكثر المفسرين واختاره ابن قتيبة والطبري والزجاج والزمخشري والبيضاوي وغيرهم ، وصححه ابن كثير ورجحه الشيخ ابن باز؛ لأنه هو الثابت عن الصحابة، ولأن الله وصف به النساء في قوله: ﴿ سَٰٓئِحَٰتٖ ﴾ سورة التحريم، آية (٥) والنساء لا جهاد عليهن.

(من تعليقه على ابن كثير في مساء الأحد ١٤١٩/٦/٢١هـ).

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٩٣)، تفسير الطبري (١٤/٥٠٢-٥٠٦)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٧٢)، الكشاف (٣/٩٧)، زاد المسير (٣/٥٠٦)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٢).

(١) ص: وفي.

(٢) في هذه العبارة تجوّز ظاهر، وهو غير صحيح فإن عالم الغيب لا يُطلع الله عليه أحد ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ سورة الجن، آية (٢٧)، وإقبال المرء على الطاعة وكفُّه عن المحرمات ليس سبيلاً للاطلاع على الغيب، ولعل مراد المؤلف -رحمه الله- أنه يُفتح له من أبواب الحكمة والعلم عن الله تبارك وتعالى، وعن رسوله ﷺ من خلال النظر في النصوص ما لا يفتح لغيره، كما أنه يصير ذا بصيرة نافذة وفراسة مسددة، ونحو ذلك. والله أعلم.

=

﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾ في صلاتهم[1]، لا كأهل الكتاب ﴿ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ما عرف من الشرع حسنه ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ عما[2] أنكره الشرع، وإنما عطف أحدهما على الآخر لكونهما في المعنى صفة واحدة لا استقلال لأحدهما بدون الآخر[3]، ﴿ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾

فائدة: قال ابن كثير -رحمه الله-: "وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض، والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين". اهـ. (١٥٧/٤).

(١) كذا في الأصل، وسائر النسخ: صلواتهم.

(٢) ق: ما.

(٣) وهذا هو قول البيضاوي وغيره (٤٢٢/١).

وفي سبب دخول الواو هنا أقوال أخرى منها:

١- أنها واو الثمانية، والعرب تعطف بالواو على السبعة كقوله: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ سورة الكهف، آية (٢٢)، وقوله تعالى عن الجنة ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ سورة الزمر، آية (٧٣)، ولما كان النهي عن المنكر هو الصفة الثامنة أُتي قبلها بالواو، وهذا قول العكبري وغيره. وقد ضعف هذا القول أبو حيان والسمين الحلبي وغيرهما.

٢- أنها زائدة. وقد ضعفه ابن عطية وأبو حيان.

٣- أنه لما كان الأمر مبايناً للنهي؛ لأن الأمر طلب الفعل والنهي طلب ترك الفعل حسن العطف =

أحكامه؛ من عطف العام على الخاص.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: هؤلاء الموصوفين، وضع المظهر موضع المضمر إشارة إلى أن الحامل على تلك الخصال هو الإيمان[1]، وحذف المبشَّر به إيماء إلى أنه من العظم بحيث لا يحيُط به الوصف[2]، أو للعلم[3] به لذكره في سائر الآيات.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ روى البخاري مرفوعاً: أن أبا طالب لما حضرته الوفاةُ دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية[4] فقال: «يا عم قل: "لا إله إلا الله" كلمة

بينهما، وهذا قول أبي حيان وغيره.

ولعل أظهر الأقوال هو ما ذكره المؤلف -رحمه الله- والله أعلم.

انظر: المحرر الوجيز (٣/٨٩)، التبيان للعكبري (٢/٦٦٢)، البحر المحيط (٥/١٠٧)، الدر المصون (٦/١٣٠). حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/٦٤٦-٦٤٧).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٣) كذا في الأصل، وباقي النسخ: العلم.

(٤) عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وهو أخو أم سلمة -رضي الله عنها- وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ، كان عبدالله شديداً على المسلمين معادياً لرسول الله ﷺ حتى أسلم =

أحاج بها لك عند الله» فقال أبو جهل وعبدالله: "يا أبا طالب أترغب[1] عن ملة عبدالمطلب؟" فكان آخر كلمة قالها: "إنه على ملة عبدالمطلب ودين أشياخه". فقال رسول الله ﷺ: «أما إني لأستغفرن لك ما لم أُنه عنه»، فنزل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾[2]، وماقيل: إن أبا طالب مات بمكة[3] والسورة مدنية نزلت في غزوة

قبيل الفتح، وشهد فتح مكة مسلماً وحنيناً والطائف، ورمي من الطائف بسهم فمات يومئذٍ - ﷺ- .

انظر: أسد الغابة (٣/٧٣).

(١) ص: أنزعت.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (٢/٩٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع (١/٥٤ رقم ٣٩) عن سعيد بن المسيب عن أبيه -ﷺ-.

قال ابن حجر في فتح الباري -تعليقاً على قوله: "هو على ملة عبدالمطلب"- "أراد بذلك نفسه، ويحتمل أن يكون قال: أنا، فغيرها الراوي أنفة أن يحكي كلام أبي طالب استقباحاً للفظ المذكور، وهي من التصرفات الحسنة". اهــ. (٨/٥٠٧).

وليس في روايات الصحيحين: "ودين أشياخه" غير أنه وقع في رواية مجاهد قال: "يا ابن أخي ملة الأشياخ". أفاده ابن حجر في الفتح (الموضع السابق)، والقول بأن الآية في قصة أبي طالب هو قول ابن المسيب والزهري وعمرو بن دينار ومحمد بن كعب وغيرهم.

انظر: تفسير الطبري (١٤/٥٠٩-٥١١)، تفسير البغوي (٤/١٠٠)، الدر المنثور (٤/٣٠٠).

(٣) وكان موته قبل الهجرة بثلاث سنين، وقد مات هو وخديجة -رضي الله عنها- في عام واحد، قال ابن كثير: "وهذان المشفقان، هذا في الظاهر وهذه في الباطن، هذاك كافر وهذه مؤمنة صدّيقة -

=

تبوك[1] فلا إشكال فيه؛ لأن رسول الله كان يستغفر لـه إلى وقت نزول براءة الله ورسوله من المشركين[2]، ثم ما أعجب ممن يفسر كلام الله ويطلع على هذا الحديث ثم يورد في الكتب أن أبا طالب مات مؤمناً ويجمع لذلك أحاديث مختلقة موضوعة[3]!!.

رضي الله عنها وأرضاها-". اهـ. البداية والنهاية (٣/١٢٢).

وانظر: سيرة ابن هشام (٢/٢٩).

(١) نقل هذا الاعتراض الواحدي في البسيط (٢/٧٥٧) عن الحسين بن الفضل، وذكره الزمخشري (٣/٩٨) مضعفاً به القول بأن الآية في قصة أبي طالب.

(٢) قال الرازي في التفسير الكبير (١٦/١٦٥): "قال الواحدي: وقد استبعده -نزول الآية في أبي طالب- الحسين بن الفضل؛ لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولاً، ووفاة أبي طالب كانت بمكة في أول الإسلام، وأقول: هذا الاستبعاد عندي مستبعد، فأي بأس أن يقال إن النبي ﷺ بقي يستغفر لأبي طالب من ذلك الوقت إلى وقت نزول هذه الآية، فإن التشديد مع الكفار إنما ظهر في هذه السورة فلعل المؤمنين كان يجوز لهم أن يستغفروا لأبويهم من الكافرين، وكان النبي ﷺ أيضاً يفعل ذلك، ثم عند نزول هذه السورة منعهم الله منه، فهذا غير مستبعد في الجملة". اهـ.

وانظر: الكشف للقزويني (١٣/ب)، حاشية التفتازاني على الكشاف (لوحة ٦٧٠).

كما أُجيب أيضاً عن هذا الإشكال بجواب آخر وهو أن الآية مكية وإن كانت السورة مدنية.

انظر: روح المعاني (١١/٤٧-٤٨).

(٣) في حاشية جميع النسخ: ذكره القرطبي في التذكرة. منه.

وقد قال القرطبي في التذكرة: "وقد سمعت أن الله تعالى أحيا له عمه أبا طالب وآمن به. والله أعلم". اهـ.

=

وقيل: نزلت في زيارة أمه[1] لما في الحديث: أنه زارها وبكى وقال: «استأذنت

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص(١٦-١٧).

وقد قوَّى -رحمه الله- أيضاً أن الله أحيا للرسول ﷺ أبويه حتى آمنا به ولا شك أن القول بإيمان والديه أو أبي طالب خلاف ما عليه جمهور أهل السنة حيث لم يقم دليل صحيح على ذلك، بل ثبت في النصوص مايدل على خلافه.

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية: هل صح عن النبي ﷺ أن الله تبارك وتعالى أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك؟ فأجاب: "لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مختلق، وإن كان قد روى في ذلك أبوبكر -يعني الخطيب- في كتابه "السابق واللاحق" وذكره أبوالقاسم السهيلي في "شرح السيرة" بإسناد فيه مجاهيل وذكره أبو عبدالله القرطبي في "التذكرة"، وأمثال هذه المواضع فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذباً كما نص عليه أهل العلم... ثم ساق الحجج في إبطال هذا القول إلى أن قال: وهذا أبعد مما يقوله الجهال من الرافضة ونحوهم من أن أبا طالب آمن ويحتجون بما في السيرة من الحديث الضعيف وفيه أنه تكلم بكلام خفي وقت الموت... قال: هذا باطل مخالف لما في الصحيح وغيره، فإنه كان آخر شيء قاله: "هو على ملة عبدالمطلب"..." الفتاوى (٣٢٤/٤-٣٢٧).

وانظر: السيرة لابن هشام (٣١/٢)، تفسير ابن كثير (١٦٠٠/٤)، روح المعاني (٤٨/١١-٤٩).

(١) آمنة بنت وهب بن عبدمناف أفضل نساء قريش في زمانها، توفيت وعمر النبي ﷺ ست سنين، وقيل: أربع في الأبواء بين مكة والمدينة.

انظر: طبقات ابن سعد (١١٦/١)، سيرة ابن هشام (٢٠٤/١).

ربي في زيارتها فأذن لي، واستأذنته في(١) الاستغفار لها فلم(٢) يأذن لي»(٣).

﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ بموتهم على الكفر(٤)؛ لأنهم ما داموا أحياء لم يعلم حالهم وهي مسألة موافاة الأشعري(٥).

---

(١) في ق: تكرار على النحو التالي: استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واستأذنته في زيارتها فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها... إلخ.

(٢) ق: ولم.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه -عز وجل- في زيارة قبر أمه (٢/٦٧١ رقم ٩٧٦) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بلفظ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**».

وهذا القول هو قول أبي هريرة وابن عباس -رضي الله عنهم- في رواية العوفي.

انظر: تفسير الطبري (١٤/٥١١-٥١٢)، تفسير البغوي (٤/١٠١).

وحديث مسلم هذا ليس فيه التصريح بأن الآية نزلت في هذا السبب، بخلاف حديث المسيب في قصة أبي طالب ففيه التصريح بأن الآية نزلت لهذا السبب، والله أعلم.

(٤) رواه ابن جرير الطبري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (١٤/٥١٣).

وانظر: تفسير الطبري (١٤/٥٠٩)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٧٣).

(٥) أبوالحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-، =

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾

ولد عام ٢٦٠هـ وإليه ينسب المذهب الأشعري، كان آية في الذكاء وقوة الفهم، وكان أول أمره على مذهب المعتزلة، ثم رجع عنه وردَّ عليهم، وفي آخر حياته صرح أنه على مذهب أهل السنة وأنه يقول بأقوال الإمام أحمد -رحمه الله- كما في كتابه الإبانة، ومقالات الإسلاميين، توفي عام ٣٢٤هـ وقيل: غير ذلك.

انظر: تبيين كذب المفترى لابن عساكر، سير أعلام النبلاء (١٥/٨٥).

ومعنى الموافاة عند الأشعري أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، وكذلك الكفر هو ما مات عليه الإنسان، أما ما قبل ذلك فلا عبرة به، وهذا لـه صلة بمذهبهم في الصفات الفعلية كالحب والبغض ونحوها حيث ذهبوا إلى أنها صفات أزلية قديمة، قالوا: الله يحب في أزله من كان كافراً صاداً عن سبيله يقاتل أنبياءه إذا علم أنه يموت مؤمناً، ويبغض في أزله من كان مؤمناً إذا علم أنه يموت كافراً.

انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١٣٧٠).

وقولـه: "لأنهم ما داموا أحياء لم يعلم حالهم" ليس بصحيح بل حالهم معلوم فهم كفار مغضوب عليهم لا يجوز الاستغفار لهم بمعنى سؤال الله التجاوز عن ذنوبهم، وإنما يجوز أن يُسأل الله -تعالى- لهم الهداية والتوفيق للإيمان ما داموا أحياء يصح منهم الإيمان لو آمنوا كما كان النبي ﷺ يدعو لقومه.

لوعد سبق[1] منه بقوله: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾[2]، وصيغة الاستغفار للكافر: [طلب التوفيق له بالتوبة، دفعٌ لما يقال أن لو كان الاستغفار للكافر][3] غير جائز فكيف صدر من إبراهيم وهو/ قدوة الموحدين[4]؟

---

(١) كذا في الأصل، وفي باقي النسخ: دفع كان لوعد سبق... إلخ.

(٢) سورة الممتحنة، آية (٤).

وانظر: الكشاف (٣/٩٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٣).

وقيل: إن أباه وعده أن يؤمن فاستغفر له، فعلى القول الأول الهاء في قوله: ﴿ إِيَّاهُ ﴾ تعود على الأب، وعلى القول الثاني تعود على إبراهيم.

والأظهر القول الأول لقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ سورة مريم، آية (٤٧)، وقوله: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ سورة الممتحنة، آية (٤)، وأما القول الثاني فيحتاج إلى نص لإثباته ولا نص هنا يجب المصير إليه، ويقوي القول الأول قراءة الحسن وغيره (وعدها أباه).

انظر: الكشاف (الموضع السابق). زاد المسير (٣/٥٠٩)، البحر المحيط (٥/١٠٨).

(٣) ساقط من ق.

(٤) ذكره البيضاوي بنحوه (١/٤٢٣).

وقال الزمخشري: "فإن قلت: كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده؟ قلت: يجوز أن يظن أنه مادام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز =

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ﴾ بأن مات كافراً أو أخبر إبراهيم بأنه يموت كافراً[1] ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ وقطع الاستغفار[2].

فإن قلت: كيف جاز لرسول الله ﷺ أن يستغفر لأبي طالب بعد موته؟.

الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي؛ لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر، ألا ترى إلى قوله -عليه السلام- لعمه: «لأستغفرن لك ما لم أنه»". (٣/٩٨).

ولذلك فالذي يظهر أن الاستغفار على ظاهره وهو غفر الذنوب والتجاوز عنها كما قال ابن جرير: "معنى الاستغفار: مسألة العبد ربه غفر الذنوب". اهـ (١٤/٥١٧).

ويدل لذلك استغفار النبي ﷺ لعمه فإنه كان بعد موته.

(١) انظر: الكشاف (٣/٩٩)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٣).

(٢) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم.

وقال عبيد بن عمير وسعيد بن جبير: إنه يتبرأ منه يوم القيامة حين يريد أن يشفع له فيقال: انظر إليه فإذا هو ذِيخ (ضبع) متلطخ فيتبرأ منه ويسحب إلى النار.

قلت: ويشهد لهذا القول ما رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٤/١١٠) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول لـه إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**».

وانظر: تفسير الطبري (١٤/٥١٩-٥٢٢)، تفسير ابن كثير (٤/١٦١).

قلت: الاستغفار للكافر جائز عقلاً ولم يكن ورد فيه نهي[1] فكان لشدة رأفته بعمه يستغفر له، ولذلك قيده بقوله: «لأستغفرن لك ما لم أُنه عنه»[2].

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ كثير التأوه، كناية عن فرط رأفته[3] ﴿حَلِيمٌ ۝﴾ يحمل الأذى يقول لـه أبوه: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾[4] وهو يقول في جوابه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[5].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ والذين كانوا يستغفرون لأقاربهم

(١) انظر: الكشاف (٣/٩٨).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه ابن جرير (١٤/٥٣٠) عن كعب، وهو ما اختاره الزمخشري (٣/٩٩)، والبيضاوي (١/٤٢٣) وغيرهما.

وفي معنى "الأواه" أقوال أخرى منها: الدعَّاء وهو قول ابن مسعود -رضي الله عنه- واختاره ابن جرير، وقيل: المؤمن، وقيل: الرحيم، وقيل: الموقن، وقيل المسبِّح الكثير الذكر، وقيل: الذي يكثر من تلاوة القرآن، وقيل: المتضرع الخاشع، وقيل غير ذلك. وكثير من هذه الأقوال متقارب في المعنى. انظر: تفسير الطبري (١٤/٥٢٣-٥٣٢)، تفسير البغوي (٤/١٠٢)، البحر المحيط (٥/١٠٨).

(٤) سورة مريم، آية (٤٦).

(٥) سورة الممتحنة، آية (٤).

المشركين"[1]، والمعنى: لم يخلق الله الضلال ولم يحكم به على قوم بعد هدايتهم إلى الإسلام حتى يبين لهم حرمة ما يجب اتقاؤه وذلك مثل حرمة الخمر فإن الصحابة كانوا يشربونها، ولم يكن ذلك من الضلال في شيء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يعلم حالي[2] الحرمة والإباحة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ المالك المتصرف، وما أمر به تجب[3] المبادرة إليه، وما نهى عنه يلزم الكف عنه، وأشار إلى أن فائدة القرابة هي الولاية والنصر

(١) روى ابن جرير (٥٣٧/١٤) عن مجاهد قال: "بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو ذروا".

وقد اختار هذا القول ابن جرير وغيره (٥٣٦/١٤).

والآية عامة في هذا السبب وغيره، كما قال ابن كثير -رحمه الله- (١٦٤/٤): "يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل: إنه لا يضل قوماً بعد بلاغ الرسالة إليهم، حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ...﴾ سورة فصلت، آية (١٧)". اهـ.

(٢) ق: حال.

(٣) ق: يجب.

ولا ولاية ولا نصر إلا منه، فعلى العاقل أن يتوجه إليه بكليته ويقبل إلى جناب قدسه بشراشره[1] ويعرض عما سواه[2].

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ عن ابن عباس: هو إذنه للمنافقين في التخلف لقوله: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾[3][4]، وقيل: ذكر النبي لافتتاح الكلام[5]، والمراد التوبة على من معه من المهاجرين والأنصار لما فرط منهم في أُحد وحنين، أو بعث للمؤمنين على التوبة وما[6] من مؤمن إلا وهو يحتاج إلى التوبة نبياً كان أو ولياً لقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[7][8].

---

(١) الشراشر: النفس والأثقال والمحبة وجميع الجسد.

انظر: الصحاح (شرر) (٢/٦٩٦)، القاموس المحيط (شر) ص(٥٣٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٦/١٦٩)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٣).

(٣) سورة التوبة، آية (٤٣).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٨/٢٧٨)، ونقله ابن الجوزي (٣/٥١١) عن المفسرين، وهو قول البيضاوي (١/٤٢٤) وغيره.

(٥) ذكره ابن الجوزي (٣/٥١١)، والقرطبي (٨/٢٧٨) عن أهل المعاني.

(٦) كذا في الأصل، وفي جميع النسخ ما، بدون الواو.

(٧) سورة النور، آية (٣١).

وقد وقعت الآية في النسخ بحذف الواو.

(٨) قاله الزمخشري (٣/١٠٠).

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢٤).

والتوبة لها مراتب أولاها[1]: التوبة من الشرك، وأقصاها: ربط السر على التوحيد ومطالعة جلال الله، فالذهول عن ذلك ولو لمحة طرف يوجب التوبة على الكُمَّل، كما يوجب ارتكاب الكبيرة على عامة المؤمنين، وعليه يحمل قوله: **«إنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»**[2].

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ كانوا في ضيق من الظهر والنفقة، وكان السفر طويلاً والوقت حاراً، ولذلك سمي جيش العسرة حتى إن جماعة كانوا يعتقبون على راحلة[3].

---

(١) ص: لها.

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار (٢٠٧٥/٤ رقم ٤١) عن الأغر المزني - ﷺ- بلفظ: **«مائة مرة»**.

وكذا رواه الإمام أحمد (٢١١/٤ رقم ١٧٨٨١، ١٧٨٨٢) وَ (٢٦٠/٤ رقم ١٨٣١٧)، وأبوداود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (٤٧٥/١ رقم ١٥١٥) كلهم بلفظ: **«مائة مرة»**.

قال النووي في شرح مسلم (٢٣/١٧): "قال أهل اللغة: الغين -بالغين المعجمة- والغيم بمعنى، والمراد هنا: ما يتغشى القلب. قال القاضي: قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه فإذا افتر أو غفل عدَّ ذلك ذنباً واستغفر منه..." وذكر أقوالاً أخرى.

(٣) عن جابر قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ قال: "عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء".

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ عن الثبات(١) على الإيمان واتباع الرسول(٢) كناية عن الشدة، وفي ﴿ كَاد ﴾ ضمير الشأن(٣) أي: الأمر والشأن قرب زيغان قلوب فريق، وشبهه(٤) سيبويه بقولهم ليس خلقَ اللهُ مثلَه(٥)، وقيل: فيه ضمير القوم(٦)، وقرأ حفص عن عاصم وحمزة ﴿ يَزِيغُ ﴾

وعن عبدالله بن محمد بن عقيل: ﴿ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ ﴾ قال: "خرجوا في غزوة الرجلان والثلاثة على بعير، وخرجوا في حر شديد وأصابهم يومئذٍ عطش شديد فجعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءه، وكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة". رواهما ابن جرير (١٤/٥٤٠)، وروى البغوي (٤/١٠٤) وغيره عن الحسن قال: "كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه".

وانظر: البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة (٥/١٢٨).

(١) في ص تكرار: عن الثبات على الثبات على الإيمان... إلخ.

(٢) انظر: الكشاف (٣/١٠٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٤).

(٣) قاله سيبويه. انظر: الكتاب (١/٧١)، إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٤).

(٤) ق: سبه.

(٥) انظر: الكتاب (١/٧١)، الكشاف (٣/١٠٢).

(٦) فيكون التقدير: من بعد ما كاد القوم تزيغ قلوب فريق منهم.

وانظر الوجهين في: مشكل إعراب القرآن (١/٣٧٢)، المحرر الوجيز (٣/٩٣)، البيان لابن الأنباري (١/٤٠٦)، التبيان للعكبري (٢/٦٦٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٤) وغيرها.

بالياء[1] لإسناده[2] إلى مؤنث غير حقيقي[3]، والباقون بالتاء[4] وهو المختار لعدم الفاصل.

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على الفريق وعفا عنهم ذلك وثبت قلوبهم[5]. وقيل: توكيد للأول[6]، وفيه تنبيه على أنه [إنما][7] تاب عليهم لما كابدوه من العسرة[8]، ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ ﴾ كثير الرأفة ﴿ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ بهم.

---

(١) ص: بالتاء. وهو خطأ والصواب المثبت أعلاه.

وانظر: السبعة ص(٣١٩)، التيسير ص(٩٨).

(٢) ص: لإسناد.

(٣) انظر: تفسير السمرقندي (٢/٩٣)، الكشف لمكي (١/٥١٠).

(٤) ص: بالياء. وهو خطأ.

(٥) وبهذا قال ابن جرير في تفسيره (١٤/٥٣٩).

(٦) هذا القول هو ظاهر كلام ابن القيم حيث يقول: "وتأمل تكريره سبحانه توبته عليهم مرتين في أول الآية وآخرها، فإنه تاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة فلما تابوا تاب عليهم ثانياً بقبولها منهم وهو الذي وفقهم لفعلها وتفضل عليهم بقبولها". زاد المعاد (٣/٥٩٢).

وأما الزمخشري فمع قوله بالثاني إلا أنه جوَّز القول الأول (٣/١٠٢).

(٧) ساقطة من ق.

(٨) قاله البيضاوي (١/٤٢٤).

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ خُلِّف أمرهم أي: أُخر [أمرهم][1] ولم يبين[2]، وهم المرجؤون[3] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ برحبها، أي: مع سعتها كناية عن شدة حزنهم كأنهم لا يجدون مكاناً يقرون فيه لغاية قلقهم[4].

﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ من فرط الغم وتراكم الوحشة ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ علموا أن لا ملاذ من سخطه إلا بالاستكانة

---

(١) ساقط من ص وَق.

(٢) ق: يتبين.

(٣) أي في قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ... ﴾ سورة التوبة، آية (١٠٦)، قال كعب ابن مالك -رضي الله عنه- -وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا-: "وكنا خُلِّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسولُ الله أمرَنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾، وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خُلِّفنا بتخلفنا عن الغزو وإنما هو عمن حلف لــه واعتذر إليه فقبل منه".

انظر: تخريج الحديث (٤٤٤) حاشية (٣).

(٤) انظر: غريب القرآن ص(١٩٣)، الكشاف (١٠٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٢٤/١).

قال ابن الجوزي (٥١٣/٣): "وذلك أن المسلمين منعوا من معاملتهم وكلامهم، وأمروا باعتزال أزواجهم، وكان النبي ﷺ معرضاً عنهم". اهـــ.

ويضاف إلى ذلك تلبث الوحي في النزول بقبول توبتهم والصفح عنهم.

[إليه][1].

عبر عن إيقانهم بالظن مدحاً لهم بأن الظن منهم يوجب قصر الهمة والتوجه إليه فكيف وهم موقنون؟[2].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ وفقهم للتوبة أو أنزل توبتهم ﴿ لِيَتُوبُوٓا ﴾ [عن ارتكاب مثله، أو ليتوبوا][3] إذا صدرمنهم ذنب لما علموا من هذه الواقعة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾ ولو عاد المذنب في اليوم مائة مرة[4] ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ بعد

---

(١) ساقط من ق.

(٢) وقال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٣)، والطبري (٥٤٣/١٤)، والبغوي (١٠٩/٤)، وابن الجوزي (٥١٣/٣)، وغيرهم:﴿ ظَنُّوٓا ﴾ أي: أيقنوا. اهـ. ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ سورة البقرة، آية(٤٦).

(٣) ساقط من ص.

(٤) قال ابن القيم في الكافية الشافية في معنى اسمه تعالى "التواب":

وكذلكَ التوابُ مِنْ أوصافِهِ والتَوْبُ في أوصافِهِ نوعـــــان

إِذْنٌ بتوبةِ عبده وقبولُهـــــا بعد المتابِ بمنـــــةِ المنـــــان

قال الشيخ السعدي في شرحه للكافية: "وتوبته على عبده نوعان:

أحدهما: أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع عن المعاصي والندم على فعلها والعزم عن أن لا يعود إليها واستبدالها بعمل صالح.

التوبة يجعل السيئات حسنات.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في مخالفته وارتكاب مالا يرضاه ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ رسول الله ﷺ وأصحابه، زجر لمن تخلف[1] عنه وهو صادق في إيمانه كالثلاثة فإنهم كانوا صادقين من خلّص المؤمنين، روى البخاري عن كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة[2]: "ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً[3]".

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ

والثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنوب بها، فإن التوبة النصوح تجبُّ ما قبلها". اهـ. الحق الواضح المبين ص(٧٣-٧٤).

(١) ق: يخلف.

(٢) حاشية في الأصل: أحد الثلاثة كعب بن مالك، والثاني هلال بن أمية، والثالث مرارة. منه. راجع قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ سورة التوبة، آية (١٠٦) ص(٤٠٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك (١٣٠/٥)،ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢١٢٠/٤ رقم ٥٣) من حديث كعب ابن مالك - ﷺ- الطويل في قصة تخلفه عن غزوة تبوك.

عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ نهي أُخرج في صورة النفي مبالغة[1]، والمعنى: ما استقام للطائفتين أن يتخلفوا عنه، ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾؛ لأن نفسه أعز نفس عند الله بل يجب على من آمن به أن يجعل نفسه وقاية لنفسه ويؤثر حياته [على حياته][2] كما فعل أبوطلحة يوم أحد فإنه كان مُجَبّياً عليه بحجفته[3]، ويقول: "لا تنظر إلى القوم يصبك سهم نحري دون نحرك يا رسول الله"[4]، وكان يد طلحة بن عبيدالله شلاء وَقَى بها رسول الله ﷺ يوم أحد فضربت بسيف[5].

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢٤).

(٢) ساقط من ص.

(٣) لفظه في الصحيحين: "وأبوطلحة بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّبٌ عليه بحجفة... الحديث".

انظر: تخريج الحديث في الحاشية التالية.

قال النووي في شرح مسلم (١٢/١٨٩): "أيّ: مترس عنه ليقيه سلاح الكفار". اهـ.

والحجفة: الترس.

انظر: النهاية (حجف) (١/٣٤٥).

(٤) رواه البخاري، مناقب الأنصار،باب مناقب أبي طلحة (٤/٢٢٩)، ومسلم في الجهاد،باب غزوة النساء مع الرجال (٣/١٤٤٢ رقم ١٣٤) عن أنس -ﷺ-.

وقوله: "نحري دون نحرك" قال الحافظ ابن حجر: "أي: أفديك بنفسي".

فتح الباري (٨/١٠٩) ط. دار الفكر بيروت ١٤١١هـ.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر طلحة بن عبيدالله (٤/٢١٢).

روى البخاري: أن أبا خيثمة كان من المتخلفين وكانت لـه امرأة حسناء فدخل بستانه وهي معه ففرشت لـه وقربت إليه الماء البارد والرطب فلما نظر ذلك قال: "امرأةٌ حسناء ورطبٌ يانع وماءٌ بارد ورسول الله ﷺ في حر الشمس والريح ما هذا مقام خير"، فوثب ورحل ناقته وأخذ السيف وتوجه يخب(١) كالريح الهبوب فلحق برسول الله ﷺ وهو بتبوك فلما رآه رسول الله ﷺ من بعيد يزهاه السراب(٢) قال: «كن أبا خيثمة» فكانه، ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر لـه(٣).

(١) قال في اللسان (خبب) (٣٤١/١): "الخَبَبُ: ضرب من العدو، وقيل: هو مثل الرَّمَل... وقيل: الخبب السرعة".

(٢) يزهاه السراب: أي يرفع شخصه للناظر.
انظر: لسان العرب (زها) (٣٦٣/١٤).

(٣) أخرج آخره مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢١٢٠/٤ رقم ٥٣)، فعزو المؤلف -رحمه الله- للبخاري وهمٌ، كما وهم الحافظ ابن حجر في عزوه هذا الجزء من الحديث للصحيحين وهو في مسلم فقط. انظر: تخريج الكشاف ص(٨٢).
وقد رواه بتمامه الطبراني في الكبير (٣١/٦ رقم ٥٤١٩)، قال الهيثمي في المجمع (١٩٣/٦): "وفيه يعقوب بن محمد الزهري وهو ضعيف". اهـ.
ورواه من طريق أخرى البيهقي في الدلائل (٢٢٢/٥) من حديث عبدالله بن أبي بكر بن حزم وفيه: أنهما امرأتان. وفي سنده أحمد بن عبدالجبار العطاردي، قال الحافظ في التقريب ص(٨١): ضعيف. اهـ.
وقد ذكر القصة ابن سعد في الطبقات (١٦٦/٢)، والواقدي في المغازي (٩٩٨/٤)، وابن هشام في السيرة (١٧٤/٤) كلهم بدون سند.

﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ ﴾ يحتمل الجزم والنصب(١) ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى وجوب المتابعة(٢) أي ذلك الوجوب ﴿ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ عطش ﴿ وَلَا نَصَبٌ ﴾ [تعب](٣) ﴿ وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾ مجاعة ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا ﴾ لا يدوسون مكاناً من أماكنهم بأقدامهم وحوافر خيولهم وأخفاف إبلهم، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الوَطْء وهو الإبادة والإيقاع(٤)، كما في قوله ﷺ لغزوة حنين: «آخر وَطْأَةٍ وطئها الله بوَجّ»(٥) والوَجُّ:

---

(١) قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي (٦٥٦/٤): "النصب بعطفه على ﴿ يَتَخَلَّفُواْ ﴾ المنصوب بـ ﴿ أن ﴾ وإعادة ﴿ لَا ﴾ لتذكير النفي وتأكيده وهو نفي في معنى النهي البليغ، والجزم بجعل ﴿ لَا ﴾ ناهية فهو نهي صريح". اهـ.

(٢) كذا في الأصل، وباقي النسخ: المبالغة.

(٣) ساقطة من ص.

(٤) انظر: الكشاف (١٠٦/٣)، البحر المحيط (١١٥/٥).

واستظهر السمين الحلبي في الدر المصون (١٣٧/٦) كونه مصدراً، وقال معللاً الترجيح: "لأن فاعل ﴿ يَغِيظُ ﴾ يعود عليه من غير تأويل، بخلاف كونه مكاناً فإنه يعود على المصدر وهو الوَطْءُ الدال عليه المَوْطِيءُ". اهـ.

(٥) رواه الإمام أحمد (١٧٢/٤ رقم ١٧٩٨)، والطبراني في الكبير (٢٧٥/٢٢ رقم ٧٠٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات، باب ما روي في الوطأة بوج ص(٥٨١) عن يعلى بن مرة -رضي الله عنه-، ورواه =

وادٍ بالطائف(1).

﴿ يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ وطؤه(2)، ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾/ قتلاً كان أو أسراً أو جراحاً أو نهباً ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ وذلك كله مما

البيهقي أيضاً في الأسماء والصفات من حديث خولة بنت حكيم -رضي الله عنها-.

أما حديث يعلى بن مرة -ﷺ- فهو ضعيف؛ لأن مداره على سعيد بن أبي راشد، وقد قال عنه الحافظ في التقريب: مقبول ص(٢٣٥).

ولفظ الحديث: «وإن آخر وطأة وطئها الرحمن -ﷻ- بوج».

وعند الطبراني: "رب العالمين".

وأما حديث خولة بنت حكيم -رضي الله عنها- فهو منقطع؛ لأنه من رواية عمر بن عبدالعزيز عن خولة، وعمر لم يسمع من خولة.

قال الهيثمي في المجمع (١٠/٥٤): "عمر بن عبدالعزيز لا أعلم له سماعاً من خولة".

(١) ق: بطائف.

وادي وج هو وادي الطائف الرئيس، يسيل من شعاف السراة جنوب غربي الطائف ويتجه شرقاً فيمر بطرف الطائف من الجنوب ثم الشرق، وقد عمر جانباه اليوم بأحياء من الطائف.

انظر: معجم البلدان (٥/٣٦١)، معجم المعالم الجغرافية ص(٣٣١).

(٢) وهذا -كما سبق- بناء على الوجه الأول وهو أن الموطئ اسم مكان فيكون فاعل ﴿ يَغِيظُ ﴾ تقديره: وطؤه، وأما على الوجه الثاني وهو كون الموطئ مصدراً ففاعل ﴿ يَغِيظُ ﴾ يعود عليه "المصدر".

يوجب المتابعة واقتحام الشدائد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ أي أجرهم، وضع المظهر موضع المضمر إشارة إلى أن الجهاد مع الكفار إحسان[1] وإن كان فيه إهلاك النفوس وتخريب الدور؛ لأنه سبب إعلاء كلمة الله.

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ تمرة[2] فما فوقها[3] ﴿ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾ الوادي: منفذ السيل[4] بين الجبال من وَدَى الماءُ: سال، ومنه: الوَدْيُ[5]، شاع استعماله في مطلق الأرض وهو المراد في الآية[6].

﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾ ذلك[7] ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٢٥/١).

(٢) ق: ثمرة.

(٣) قال ابن الجوزي (٥١٥/٣): "قال ابن عباس: تمرة فما فوقها".

وانظر: الوسيط (٥٣٤/٢).

(٤) ص: السبل.

(٥) الوَدْيُ ويقال: الوَدِيُّ: الماء الرقيق الأبيض الذي يخرج في إثر البول.

انظر: تهذيب اللغة (ودى) (٢٣١/١٤)، لسان العرب (ودي) (٣٨٣/١٥).

(٦) انظر: الكشاف (١٠٧/٣)، تفسير البيضاوي (٤٢٥/١).

(٧) قال ابن القيم -رحمه الله-: "فأخبر سبحانه في الآية الأولى (وهي قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا =

يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ أي: كتب وأثبت ذلك في صحائف أعمالهم ليجزوا به يوم القيامة جزاء أحسن عمل كانوا عملوه بأن يلحق عملهم الأدنى بالأعلى في الجزاء مكافأة لسعيهم وتوفيراً لأجرهم.

* ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ عن ابن عباس -ﷺ-: أن الله تعالى لما عاب المنافقين والمتخلفين من غزوة تبوك فكان بعد ذلك إذا بعث رسول الله ﷺ سرية استبق المؤمنون إلى النفير[1]، ولم يبق منهم من يستمع الوحي ويتفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد وتبقى طائفة منهم ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟[2] فِى ٱلدِّينِ ﴾[3] الذي هو

يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ..﴾ الآية) أن المتولد عن طاعتهم وأفعالهم يكتب لهم به عمل صالح، وأخبر في الثانية (وهي قوله: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً... الآية﴾) أن أعمالهم الصالحة التي باشروها تكتب لهم أنفسها.

والفرق بينهما: أن الأول ليس من فعلهم، وإنما تولد عنه فكتب لهم به عمل صالح، والثاني نفس أعمالهم فكتب لهم". اهـ. الجواب الكافي ص(٣١٤).

وانظر: تفسير ابن كثير (١٧١/٤).

(١) ص: النقير.

(٢) كذا في الأصل كتبت الآية، وفي سائر النسخ: للتفقه.

(٣) رواه البغوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق الكلبي (١١١/٤)، وكذا ذكره =

الجهاد الأكبر؛ لأن الجدال بالحجة أعظم أثراً من الجلاد(1) بالسيف.

وقيل(2): هذا حكم مبتدأ ليس له تعلق بالجهاد وإنما ذكره بعد الجهاد لأن طلب العلم والجهاد عبادتان يتعلقان بالسفر لاسيما في زمن الوحي فإن العلم كان محصوراً فأمروا أن ينفر إلى طلب العلم من كل فرقة طائفة لئلا يبطل أمر المعاش.

﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ ليتكلفوا الفقاهة ويتعاطوا المشاق في تحصيلها(3).

﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ وليجعلوا مرمى همتهم وجل

الواحدي في أسباب النزول ص(٢٦٩).

وذكره ابن الجوزي من رواية أبي صالح عنه (٥١٦/٣).

وقد روى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عنه -رضي الله عنه- قريباً منه (٥٦٧/١٤).

وقد صحح ابن القيم هذا القول ونسبه للأكثرين ورجحه من عدة أوجه.

انظر: أعلام الموقعين (٢٥٢/٢).

(١) كذا في ص، وباقي النسخ: الجدال، وقد أثبت ما في ص لأنه الأنسب، وهو الموافق لما في الكشاف (١٠٨/٣).

(٢) ذكر الزمخشري (١٠٧/٣-١٠٨) أن الآية في طلب العلم ثم قال: ووجه آخر: ... ثم ذكر الوجه الأول الذي ذكره المؤلف رحمه الله، وهذا الوجه -الذي ذكره المؤلف- عزاه ابن الجوزي (٥١٧/٣) للحسن.

وانظر: البحر المحيط (١١٦/٥).

(٣) انظر: الكشاف (١٠٨/٣)، تفسير البيضاوي (٤٢٥/١). قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي (٦٦١/٤): "إشارة إلى أن صيغة التفعل (التفقه) للتكلف، وليس المراد به معناه المتبادر بل مقاساة الشدة في طلبه لصعوبته وأنه لا يحصل بدون جد وجهد". اهـ.

غرضهم إنذار قومهم وإرشادهم[1]، والضمائر المرفوعة[2] على الأول للطائفة المقيمة وعلى الثاني للنافرة[3]، وفيه دليل على أن طلب التفقه وتعليم الجاهل وإرشاده من فروض الكفايات[4]، وإيماء إلى أن طلب العلم للترفع على الأقران والتبسط في العمران والبلدان محرم[5]، روى مسلم: **«أول من يسحب إلى النار ثلاثة عالم لم يتعلم لوجه الله بل ليقال: إنه عالم، وتاجر تصدق بماله ليقال: إنه جواد، وغاز أهريق دمه ليقال: إنه شجاع»**[6] وفيه أيضاً أن خبر الواحد حجة؛ لأن الطائفة تطلق[7] على الواحد فما فوقه؛ كذا فسره ابن عباس -رضي الله عنه-[8].

---

(١) انظر: الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ... وَلِيُنذِرُواْ... الآية ﴾.

(٣) انظر: الكشاف (٣/١٠٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٥)، البحر المحيط (٥/١١٦)، الدر المصون (٦/١٤٠).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٥) انظر: الكشاف ، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٦) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (٣/١٥١٣ رقم ١٥٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٧) كذا في الأصل، وباقي النسخ: يطلق.

(٨) أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة النور، آية (٢)، قال: "الطائفة الرجل فما فوقه". اهـ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ إرادة أن يحذروا بعد التعلم ﴿ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ الأقرب فالأقرب فإن(٢) ضرره أشد والحذر منه أكثر؛ لأنه بصدد

انظر: الدر المنثور (١٢٦/٦)، ولم أقف عليه عند ابن جرير، وذكره ابن كثير (٦/٦) من طريق علي بن أبي طلحة عنه -رضي الله عنه-.

كما أخرجه الفراء في معاني القرآن (٢٤٥/٢) من طريق الكلبي.

وكذا فسرها مجاهد وغيره.

انظر: تفسير الطبري ط المعرفة (٥٤/١٨).

وقال الزجاج في معاني القرآن (٤٦٠/٢): "والطائفة في اللغة أصلها الجماعة؛ لأنه المقدار الذي يطيف بالشيء، وقد يجوز أن يقال للواحد طائفة، يراد بها نفسٌ طائفة". اهـ.

وانظر: الوسيط (٥٠٨/٢)، زاد المسير (٤٦٦/٣).

والاحتجاج بخبر الواحد هو قول جمهور أهل العلم سواء كان ذلك في مسائل الاعتقاد أو العمل؛ لأنه لم يرد عن الرسول ﷺ ولا صحابته ما يدل على الفرق بينهما.

انظر المسألة مع الأدلة في: أحكام القرآن للجصاص (٢٠٧/٣)، أحكام القرآن لابن العربي (١٠٣١/٢)، روضة الناظر (٣٧٠/١)، شرح المنهاج (٥٣٩/٢)، المسودة ص(٢٤٠).

(١) سورة فاطر، آية (٢٨).

(٢) ق: لأن.

الافتراض[1] متمكن من الاطلاع على عورات[2] المسلمين، روي أنه لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[3] يريد به النفس؛ لأنها عدو قريب بين الجنبين يعسر الاحتراس[4] عنها.

﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ شدة وعنفاً في القتل والأسر[5] ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[6] ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) ﴾

---

(١) هكذا في النسخ و لم يتبين لي معناه.

(٢) كذا في ق، وباقي النسخ: عوارات.

(٣) في حاشية الأصل: ذكره الغزالي وغيره لكن لم أقف عليه في المسانيد. منه.

قلت: ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين، كتاب عجائب القلب (٧/٣).

وقد أخرج الحديث الخطيب البغدادي في تاريخه (٥٢٣/١٣)، وعزاه ابن حجر في تخريج الكشاف ص(١١٤) للبيهقي في الزهد والنسائي في الكنى، كما عزاه المناوي في الفتح السماوي (٥١٤/٢) للديلمي في مسند الفردوس،كلهم عن جابر -رضي الله عنه-.

وقد ضعّف الحديث البيهقي وابن حجر، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا أصل لـــه، و لم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله". اهـــ. الفتاوى (١٩٧/١١).

وانظر: الفتح السماوي (٨٥١/٢)، كشف الخفاء (٥١١/١).

(٤) ق: الاحتراز.

(٥) انظر: الكشاف (١٠٩/٣).

(٦) سورة الأنفال، آية (١٢).

الذين يتقون مخالفته فلا يرأفون بعدوه[1].

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ من القرآن ﴿ فَمِنْهُم ﴾ أي [من][2] المنافقين ﴿ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ أي: هذه السورة النازلة، الإسناد مجاز[3]، يقولون ذلك إنكاراً واستهزاء بالمؤمنين لكونهم يعتقدون زيادة الإيمان بزيادة المؤمَن به من الآيات والأحكام[4].

---

(١) قال الزمخشري (١٠٩/٣): "ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه".

(٢) ساقطة من ص.

(٣) مراده أن إسناد الزيادة إلى السورة مجاز، والزيادة على الحقيقة من الله تعالى.

راجع ما يأتي: ص (٧٢٤) حاشية (٣).

(٤) وزيادة الإيمان تكون حتى في نفس التصديق فإنه يزيد وينقص وليس تصديق أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– كتصديق عامة المؤمنين.

قال النووي –رحمه الله– في شرح مسلم (١٤٨/١): "فالأظهر –والله أعلم– أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض، بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيّرة وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من المؤلفة قلوبهم ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك، فهذا مما لا يمكن إنكاره، ولا يشك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق –ﷺ– لا يساويه تصديق آحاد الناس". اهـ.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الإيمان يزيد وينقص باعتبار الأقوال والأعمال فإنهاداخلة في مسمى الإيمان، ومن لم يقل بدخولها فيه ذهب إلى أن الإيمان لا يتفاضل –وهو خلاف مذهب =

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ لاطلاعهم على ما فيها من الأحكام والأسرار ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ بنيل الكمال وزيادة العرفان؛ لأنهما أجل المطالب.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ نفاق[1] ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ

السلف- إذ مبنى القول بعدم تفاضل الإيمان هو عدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأن الإيمان هو التصديق والتصديق واحد لا يتفاضل.

ثم إن القول بأن زيادة الإيمان الواردة في النصوص هي بمجرد زيادة المؤمَن به فقط هو قول المرجئة.

انظر: التفسير الكبير (١٥/٩٦)، شرح المقاصد (٥/٢١٤)، شرح الفقه الأكبر ص(١١٤)، وقد سبق للمؤلف -رحمه الله- أن قرر أن التصديق أيضاً يتفاضل.

انظر: ص (١٤).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند هذه الآية: "وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها، بل زادهم بحسب مقتضاها فإن كانت أمراً بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة، وإن كانت نهياً عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال: ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ والاستبشار غير مجرد التصديق". الفتاوى (٧/٢٢٨).

وانظر: الفتاوى (٧/٢٢٣-٢٣١)، نواقض الإيمان الاعتقادية (١/٩١، ١٨٠)، ما سبق في هذه الرسالة ص (١٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٥٧٨).

﴿رِجْسِهِمْ﴾ كفراً إليكفرهم فكما أن الإيمان يزداد بزيادة المؤمَن به كذلك الكفر يزداد بزيادة ما كُفر به ويستحكم[1]، عبر عن الكفر بالرجس تنفيراً عنه ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ لاستحكام الكفر فيهم[2].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ تعجيب من غباوتهم وقسوة قلبهم[3]، وذلك أنهم لا يخلون من محن متتابعة وأصناف بليات[4] ولا يفطنون لسبب[5] ذلك فيرجعون عن ارتكابه.

---

(١) كما يزداد الكفر أيضاً بأعمال الكفر والدعوة إليه والإصرار عليه ونحو ذلك.

وانظر: ما سبق في بيان زيادة الإيمان.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٤٢٦/١).

(٣) ق: قلوبهم.

(٤) عن مجاهد: "أنهم يمتحنون بالسَّنة والجوع". رواه ابن جرير (٥٨٠/١٤) وعن عطية العوفي: "أنهم يمتحنون بالأمراض والأوجاع". ذكره ابن الجوزي (٥١٩/٣)، وذكر مثله الرازي في تفسيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (٢٣٩/١٦) والآية تشمل هذا كله فهي تعم كل أنواع الابتلاء والاختبار كما قال المؤلف -رحمه الله- وهو قول الطبري وجمع من المفسرين.

انظر: ما يأتي عند سياق المؤلف للقول الثاني.

(٥) كذا في الأصل، وباقي النسخ: بسبب.

وقيل: الفتنة الابتلاء بالجهاد مع رسول الله ﷺ[1] وما يعاينون من نزول النصر والتأييد الإلهي.

﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يعتبرون أن ذلك بسوء أفعالهم﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ[2] تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾[3].

قرأ حمزة (أولا ترون)[4] خطاباً للمؤمنين تعجيباً [لهم][5] عن غفلة المنافقين[6].

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ يتغامزون بالحواجب

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٤/٥٨٠) عن قتادةوالحسن.

وقد صحح ابن جرير -رحمه الله- العموم في الآية في كل ما يصدق أنه اختبار لهم وفتنة (١٤/٥٨١)، كما ذكر الزمخشري (٣/١١٠)، والبيضاوي (١/٤٢٦) القولين.

(٢) أو: سقطت من الأصل، وهو خطأ في الآية.

(٣) سورة الرعد، آية (٣١).

(٤) ق: يرون.

(٥) ساقطة من ق.

(٦) انظر: السبعة ص(٣٢٠)، الإقناع (٢/٦٥٩).

إنكاراً وسخرية[1] ﴿ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ حال بتقدير القول، أي: قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فإنا لا نقدر على استماعه إما غيظاً لما فيه من ذكر معايب آلهتهم وآبائهم، أو لأنه يغلب عليهم الضحك فلا يقدرون على ستره[2] ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ﴾ بعد ذلك التغامز وما تقاولوا به ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ دعاء عليهم بالخذلان، أو إخبار أي: لما اختاروا الانصراف جازاهم الله بصرف قلوبهم عن الإيمان ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[3]، ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [لا يفهمون][4]، تنبيه على علة الصرف وعدم القابلية[5].

---

(١) عبارة الزمخشري (٣/١١٠)، والبيضاوي (١/٤٢٦): "تغامزوا بالعيون".

وبعض المفسرين أجرى النظر هنا على ظاهره إلا أنه نظر رعب أو استفهام أو نحو ذلك، وهذا هو الأقرب. والله أعلم.

انظر: تفسير الطبري (١٤/٥٨٢)، الجامع للقرطبي (٨/٢٩٩)، تفسير ابن كثير (٤/١٧٦).

(٢) انظر: الكشاف (٣/١١٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٦)، البحر المحيط (٥/١٢٠).

(٣) سورة الصف، آية (٥).

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢٦)، شفاء العليل ص(٩٧).

(٤) ساقط من ق.

(٥) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/١٧٧): "لا يفهمون عن الله خطابه ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه بل هم في شُدُهٍ عنه ونفور منه، فلهذا صاروا إلى ما صاروا إليه". اهـ.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ(١) مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ عربي مثلكم(٢) تعرفون نسبه ولسانه وشأنه من الأمانة والصدق ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ شاق عليه وقوعكم في المكروه وشفيق(٣) بكم لا كبعض أبناء الجنس والأقارب لا يكترث بما أصاب قريبه ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ على إصلاح شأنكم. روى البخاري عنه: «**إنما أنا لكم كالوالد للولد فإذا جئتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة [ولا تستدبروها](٤) شرقوا أو غربوا**»(٥).

وانظر: شفاء العليل ص(٩٧).

(١) ص: رسول الله. وهو خطأ في الآية إلا أن يراد بها التفسير.

(٢) رواه البغوي (٤/١١٥)، وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والسدي، وعلى هذا القول فالخطاب للعرب.

وقال الزجاج: "أي هو بشر مثلكم، أي فهو أوكد للحجة عليكم لأنكم تفهمون عمن هو مثلكم". اهـ. معاني القرآن (٢/٤٧٧).

وعلى هذا القول فالخطاب للبشر جميعاً.

وقد جمع الزمخشري والبيضاوي وابن كثير وغيرهم بين القولين.

قال الزمخشري (٣/١١٠): "من جنسكم، ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم... إلخ".

انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢٦)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٤٤٠)، تفسير ابن كثير (٤/١٧٧)، الدر المنثور (٤/٣٢٧).

(٣) كذا في الأصل، وسائر النسخ بدون واو.

(٤) ساقط من ص وَ ق.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ في مظانه من الصحيح، وقد رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب لا يستقبل

=

﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ بكافة المؤمنين؛ زيادة في مدحه إذ[1] لم تنحصر[2] رأفته في أقاربه كما هو شأن الجمهور، وتقديم الرؤوف -وهو أبلغ- على طريقة التتميم[3]، وقيل: رعاية للفاصلة[4].

القبلة ببول ولا غائط (٤٥/١)، ومسلم كتاب الطهارة، باب الاستطابة (٢٢٤/١ رقم ٥٩) عن أبي أيوب -ﷺ- دون قوله: « **إنما أنا لكم كالوالد للولد** ».

والحديث بتمامه رواه أبوداود،كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة (٤٩/١ رقم ٨)، والنسائي، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث (٣٨/١)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة (١١٤/١ رقم ٣١٣) عن أبي هريرة -ﷺ-، وصححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٥٧/١).

(١) ق: إذا.

(٢) ص: يتحصر.

(٣) ص: التميم.

والتتميم: أن يُؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة ونحوها.

انظر: الإيضاح ص(٣١١)، معترك الأقران (٢٨٠/١).

وأما الرؤوف فقال أبوعبيدة في مجاز القرآن (٢٧٠/١): "﴿ رَءُوفٌ ﴾ فعول من الرأفة وهي أرق الرحمة".

(٤) قاله البيضاوي (٤٢٦/١).

والفاصلة هي -كما قال الزركشي-: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع". البرهان في علوم القرآن (٥٣/١)، ومراد المؤلف -رحمه الله- أنه لم يُتدرج إلى الأعلى، وإنما أُتي بالرؤوف -وهو أبلغ- قبل الرحيم لأحد هذين السببين: إما على طريقة التتميم أو مراعاة للفاصلة.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ بعد هذا الإبلاغ والإنذار ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ كافيّ ومعيني إما مواجهاً لهم أو في نفسك متسلياً ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ دليل على كفايته[1] والاستغناء عن غيره/ ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ فوضت أمري لا أرجو سواه، ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الملك الذي لا يحاط به[2]، أو الجسم

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٢٦/١).

(٢) ذكر هذا القول أبوعبدالله الرازي في التفسير الكبير (١٢/١٧) ضمن الأقوال في معنى العرش، وذكره الراغب في المفردات (عرش) ص(٥٥٩)، والبيضاوي في تفسيره (٤٢٦/١) وغيرهم.

وهذا القول في معنى العرش خلاف ما عليه السلف الصالح، وخروج به عن معناه الذي دلت عليه النصوص إلى معان أخرى.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية ص(٣٦٨): "وأما من حرف كلام الله وجعل العرش عبارة عن الملك كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ سورة الحاقة، آية (١٧)، وقوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ سورة هود، آية (٧)، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية، وكان ملكه على الماء، ويكون موسى -عليه السلام- آخذ بقائمة من قوائم الملك؟ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟" اهـ.

وقولـه: ويكون موسى... إلخ إشارة إلى قوله ﷺ: **«لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى»** رواه البخاري، كتاب الخصومات، باب الخصومة بين المسلم واليهود (٧٠/٥، فتح الباري)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى -عليه السلام- (١٨٤٣/٤ رقم ١٥٩)، واللفظ للبخاري.

وانظر: ما يأتي في الحاشية التالية.

العظيم فوق السماوات(1)، وعلى الوجهين ذكره لتقوية داعية التوكل والدلالة على أن من هذا شأنه جدير بأن لا يُرجى سواه.

آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان(2)، وقيل: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ

(١) العرش في اللغة: سرير المِلك.

انظر: لسان العرب (عرش) (٦/٣١٣).

وقد دلت النصوص على أن العرش الوارد في الكتاب والسنة: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو سقف المخلوقات، وقد استوى الله تعالى عليه استواء يليق بعظمته وجلاله لا نعلم كيفيته كسائر صفاته -تعالى-، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ سورة غافر، آية (٧)، وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ سورة طه، آية (٥).

وقال ﷺ: « إذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة » رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (١٣/٤٠٤) "فتح الباري"، وراجع النصوص في الحاشية السابقة.

وانظر: نقض عثمان بن سعيد ص(٢٠٥)، التوحيد لابن خزيمة (١/٢٣١)، الرسالة العرشية لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى (٦/٥٤٥).

(٢) قال به أُبي بن كعب -رضي الله عنه-، رواه عنه الحاكم في المستدرك وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٢/٣٣٨) ورواه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (٥/١١٧ رقم ٢١١٥١)، والبيهقي في الدلائل (٧/١٣٩).

فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1][2].

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٨١).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص(٢٢٤)، وابن جرير في تفسيره (٦/ ٤٠)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٧)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ١٣٧) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وقال به السدي وعطية العوفي وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح.

انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (الموضع السابق)، تفسير الطبري (٦/ ٤٠-٤١)، الدر المنثور (٢/ ١١٦).

تفسير
سورة يونس

[سورة يونس مكية](1)
وهي مائة وتسع آيات أو عشر(2)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر ﴾ أمال ألف راء من ﴿ الٓر ﴾ حيث وقع إمالة تامة أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي، [وورش بين بين](3)؛ لأن ألف راء

---

(1) ما بين المعقوفتين غير واضحة في ص.

والقول بمكية السورة هو قول ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية علي ابن أبي طلحة وعطية العوفي، وبه قال الحسن وعكرمة وابن الزبير وغيرهم، وعزاه الألوسي في تفسيره للجمهور.

انظر: زاد المسير (٣/٤)، البحر المحيط (١٢٥/٥)، الدر المنثور (٣٣٩/٤)، روح المعاني (٨٤/١١).

(2) سورة يونس مائة وعشر آيات في العد الشامي، وتسع عند غيرهم.

انظر: الكشف لمكي (٥١٢/١) البيان في عدِّ آي القرآن ص(١٦٣)، بصائر ذوي التمييز (٢٣٨/١).

(3) ما بين المعقوفتين مؤخر في ق بعد قوله: كذا قاله الفراء.

وانظر: التيسير ص(٩٨)، النشر (٦٦/٢-٦٧).

والإمالة: ضد الفتح، وهي نوعان: إمالة كبرى وإمالة صغرى.

تنقلب ياء في التثنية كذا قاله الفراء[1].

حروفٌ على نمط التعديد، أيْ: هذا المعجز مركب من مسميات هذه الأسماء تقريباً[2] لمن ينكر كونه من عند الله، أو اسم سورة كما تقدم[3].

فالكبرى: النطق بألف خالصة تصرف إلى الكسر كثيراً، ونهاية ذلك الصرف أن لا يبالغ فيه حتى تنقلب الألف ياءً.

والصغرى: النطق بالألف مصروفة إلى الكسر قليلاً، وهذا النوع هو ما يُسمى: "بين بين". أي بين الفتح وبين الإمالة الكبرى. مرشد القارئ باختصار وتصرف يسير ص(٢٨٢).

وانظر: القواعد والإشارات ص(٥٠).

(١) انظر: الكشف لمكي (١/١٨٦) فصل في إمالة فواتح السور، تفسير البيضاوي (١/٤٢٧)، وأما النقل عن الفراء فلم أقف عليه، والله أعلم.

(٢) ص: تفريعاً.

(٣) انظر: (٤/أ، ب) من نسخة الأصل.

وقد اختلف المفسرون في معنى الحروف المقطعة في أوائل السور فذهب جمع من المحققين إلى القول الأول الذي ذكره المؤلف فمن هؤلاء الزمخشري في تفسيره (٣/١١٢) (١/١٣٦)، وعزاه الرازي في تفسيره (١/٧) إلى المبرد والمحققين، ونقله القرطبي في الجامع (١/١٥٥) عن الفراء وقطرب، وذكره ابن كثير في التفسير (١/٣٨ ط دار المعرفة، ١٣٨٨هـ "ولم أجد النقل في ط الشعب") عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأبي الحجاج المزي.

وأما القول بأنها أسماء للسور فقال به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيره، وفيها أقوال أخرى كثيرة =

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ آثر لفظ ﴿ تِلْكَ ﴾ وإن كان السورة في حكم الحاضر قصداً إلى التعظيم[1]، أو لكونها في حكم الغائب لعلو درجاتها. و ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ السورة، أو القرآن بأسره[2] لقوله: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ

منها:

أنها مما استأثر الله بعلمه، فلا يعلم المراد بها إلا الله تعالى.

وقيل: هي أسماء للقرآن الكريم.

وقيل: هي قسم أقسم الله به.

وقيل: هي رموز لأسماء الله تعالى... وقيل غير ذلك والله أعلم.

وانظر أيضاً: تفسير الطبري (٢٠٥/١) وما بعدها، زاد المسير (٢٠/١)، تفسير البيضاوي (١٣/١).

(١) وعن ابن عباس –رضي الله عنهما–: أن ﴿ تِلْكَ ﴾ بمعنى: هذه. ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤/١) واختاره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٧٢/١).

ورجحه ابن جرير في تفسيره (١١/١٥).

وانظر: تفسير أبي المظفر السمعاني (٣٦٤/٢).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٤٢٧/١).

والأول هو قول الزمخشري (١١٢/٣)، والأكثرون على الثاني، وهو الأظهر لأن الأصل في الكتاب إذا أطلق أن يراد به القرآن بأسره، ولأنه وصف الكتاب بالحكيم وهو وصف ينطبق على القرآن كله. والله أعلم.

ءَايَـٰتُهُۥ ﴾[1]، ومعنى كونه حكيماً[2]: اشتماله على الحكمة[3]، أو وصف لـه بوصف مؤلفه كالأسلوب الحكيم[4].

انظر: تفسير الطبري (الموضع السابق)، الجامع للقرطبي (٨/٣٠٥)، تفسير البغوي (٤/١١٩).

(١) سورة هود، من الآية (١).

(٢) في ص زيادة "على" بعد قوله: حكيماً.

(٣) قال الراغب في المفردات (حكم) ص(٢٤٩): "وإذا وصف به القرآن (أي قيل: حكيم) فلتضمنه الحكمة نحو: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾". اهـ.

(٤) انظر القولين في: الكشاف (٣/١١٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٧) والأولى أن يقال: وصف لـه بوصف مُنَزِّله بدل: (مُؤَلِّفه) لأن هذا التعبير هو الذي ورد في النصوص.

والأسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطَب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم لـه. قاله القزويني في الإيضاح ص(١٦٢).

وانظر: شروح التلخيص (١/٤٧٩).

والمراد أن القرآن وصف بوصف منزلة وهو الله تعالى، مثل الأسلوب الحكيم سمي حكيماً من باب إطلاق وصف المتكلم به.

وقيل: الحكيم بمعنى المحكم كقوله تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ﴾ سورة هود، من الآية (١)، قاله أبو عبيدة وغيره.

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ تعجيب للسامعين من تعجب(١) الكفار(٢) ﴿ أَنْ أَوْحَيْنَآ ﴾ إيحاؤنا: اسم كان ﴿ عَجَبًا ﴾ خبره(٣)، واللام في ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ للبيان(٤)، مثلها في ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾(٥)، والمعنى: أن هذا العجب مختص بهم(٦)، ومحصله: أنهم

انظر: مجاز القرآن (١/٢٧٢)، تهذيب اللغة (حكم) (٤/١١٢) المفردات (الموضع السابق).

(١) ق: تعجيب.

(٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد فأنزل الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾" رواه ابن جرير بنحوه (١٥/١٣) وذكره الواحدي في أسباب النزول ص(٢٧٠) بدون إسناد. فالاستفهام في الآية للإنكار على الكفار في تعجبهم من إرسال محمد ﷺ وتعجيب للسامعين من حالهم.

وانظر: الكشاف (٣/١١٢)، البيضاوي (١/٤٢٧).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٩)، البيان لابن الأنباري (١/٤٠٨)، التبيان للعكبري (٢/٦٦٤)، الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٤) ق: للتبيان.

(٥) سورة يوسف، من الآية (٢٣).

(٦) قال العكبري في التبيان (٢/٦٦٤) في قوله تعالى: ﴿ لِلنَّاسِ ﴾: "وقيل: هو يتعلق بعجب على التبيين". اهـ.

وقال الطيبي: اللام مثلها في ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ سورة يوسف، من الآية (١٢٣)... ثم ساق قول =

جعلوه أعجوبة لهم يتعجبون منه، وصار علماً عندهم في ذلك[1].

﴿ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ ناشئ منهم ذو نسب شريف وحسب مُنِيْف[2] وإن فاته شيء من متاع الدنيا الذي هو شَيْنٌ[3]، كانوا يقولون: "يا للعجب لم يكن في الناس إلا يتيم أبي طالب" ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[4][5].

العكبري.

فتوح الغيب، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة غير منشورة، تحقيق وإعداد: طاهر محمود بن محمد يعقوب (٥/١).

وراجع الكشاف (٢٦٧/٣).

(١) انظر: الكشاف (١١٣/٣)، تفسير البيضاوي (٤٢٧/١).

(٢) المُنِيْف: المرتفع العالي.
انظر: لسان العرب (نوف) (٣٤٢/٩).

(٣) الشَّيْنُ: القبيح المعيب، ضد الزين.
انظر: لسان العرب (شين) (٢٤٤/١٣).

(٤) سورة الزخرف، من الآية (٣١).

(٥) لم أقف على من خرجه بهذا اللفظ، وقد روى معناه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.
انظر: ما تقدم ص(٤٧١) حاشية (٢).
وقد ذكره بهذا اللفظ دون الآية الزمخشري (١١٣/٣)، والواحدي في الوسيط (٥٣٨/٢)، والبيضاوي (٤٢٧/١).

﴿ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ كافة، و[1] ﴿ أَنْ ﴾ مفسِّرة لأن الإيحاء في معنى القول، أو مخففة [مفعول][2] حذف منها ضمير الشأن، تقديره: أنه أنذر الناس، على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس[3].

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ خص التبشير بالمؤمنين بخلاف الإنذار فإنه يعمهما[4]، دل على أن مجرد الإيمان كافٍ للتبشير[5] ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ

---

(١) كذا في الأصل، وفي باقي النسخ الواو ساقطة.

(٢) ساقطة من ص وَ ق، والمعنى أنها في موقع مفعول: ﴿ أَوْحَيْنَآ ﴾.

(٣) انظر: الكشاف (١١٣/٣)، تفسير البيضاوي (٤٢٧/١)، البحر المحيط (١٢٦/٥)، الدر المصون (١٤٥/٦).

(٤) ق: يعمها.

(٥) : للبشير.

والإيمان هنا ليس مجرد تصديق القلب وإقرار اللسان فقط بل هو مع ذلك القيام بالأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة إذ جميع الأعمال الصالحة داخلة في مسمى الإيمان عند الإطلاق.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦٤٢/٧): "اسم الإيمان يستعمل مطلقاً ويستعمل مقيداً، وإذا استعمل مطلقاً فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين يجعلون الإيمان قولاً وعملاً يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في =

رَبِّهِمْ﴾ بأن لهم سابقة صدق(١)، وعن الأخفش: التقديم(٢) فإنهم قدموا خيراً قبل لقاء الله(٣)، ويحتمل أن يراد به ما سبق في علم الله من سعادتهم(٤) فيكون تسلية لهم

مسماه... ثم ذكر الدلائل على ذلك ثم قال:

وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيداً كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ سورة الكهف، من الآية (١٠٧) ونحو ذلك فهنا قد يقال: إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ سورة البقرة، من الآية (٩٨) وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ سورة الأحزاب، من الآية (٧)، وقد يقال: إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين فإن أحدهما إذا أفرد تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كانا صنفين كما في آية الصدقة". اهـ باختصار يسير.

وانظر أيضاً: الفتاوى (٧/٥٥١ وما بعدها).

(١) قاله أبو عبيدة (١/٢٧٣)، واختاره الزمخشري (٣/١١٤) والبيضاوي (١/٤٢٧) وغيرهما.

(٢) قال في معاني القرآن (٢/٥٦٤): "القدم هاهنا: التقدم كما نقول: هؤلاء أهل القَدَم في الإسلام أي: الذين قدموا خيراً فكان لهم فيه تقدم". اهـ.

(٣) قاله مجاهد وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٤)، واختاره ابن جرير (١١/١٥)، ونقله الواحدي في البسيط (٣/٧٩٨)، وأبو المظفر السمعاني (٢/٣٦٥) عن أكثر أهل التفسير والمعاني.

وانظر: تفسير ابن كثير (٤/١٨٣)، البحر المحيط (٥/١٢٧).

(٤) قال به ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق علي بن أبي طلحة فيما رواه ابن جرير والبغوي وغيرهما.

انظر: تفسير الطبري (١٥/١٥)، تفسير البغوي (٤/١٢٠)، الدر المنثور (٤/٣٤١).

وتطميناً لقلوبهم من سوء الخاتمة، أو يكون تجريداً[1] أي: هم قدم صدق لما في الحديث: «حتى يضع الجبار قدمه في النار»[2] أي: طائفة قدمهم [لها][3][4].

﴿ قال الكافرون إن هذا لسحرٌ مبين﴾ أي: القرآن، وقرأ ابن كثير

(١) التجريد: أن يُنتزع من أمر ذي صفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه، نحو قولهم: "لي من فلان صديق حميم". انظر: الإيضاح ص(٥١٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة ق، باب قوله: ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ (٤٨/٦)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢١٨٦/٤ رقم ٣٥) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- في قصة اختصام الجنة والنار.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) والصواب في معنى الحديث إجراؤه على ظاهره وأنه دال على إثبات صفة القَدَم لله تعالى حقيقة على الوجه الذي يليق بعظمته وجلاله مع اعتقاد أنها لا تشبه صفات المخلوقين، وذلك كما أن الله تبارك وتعالى لــه ذات لا تشبه ذوات المخلوقين فإن لــه صفات لا تشبه صفاتهم، وأما ما ذكره المؤلف -رحمه الله- في معنى الحديث فهو من تعطيل الصفات والميل بالنصوص عن ظواهرها من غير دليل يقوم على ذلك، وما ذكره هو مذهب الجهمية ومن قال بقولهم من المعتزلة والأشاعرة في معنى هذه الصفات، ومما يدل على أن المراد إثبــات الصفــة على حقيقتها ما جاء في الرواية الأخرى وفيها: «حتى يضع رِجْلَه» (أخرجه البخاري ومسلم الموضع السابق) فهذه الرواية تبين أن المراد بالقدم في الحديث هي الرجل. والله أعلم.

انظر: نقض عثمان بن سعيد ص(١٩٥)، التوحيد لابن خزيمة (٢٠٢/١)، الرد على الجهمية لابن منده ص(٤١).

والكوفيون ﴿ لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ فالمشار إليه رسول الله ﷺ، وعليه الرسم والمعنى به ألصق[1] لأن[2] مناط الإنكار كونه رسولاً وهو رجل منهم، اعترفوا برسالته [وإن أنكروا][3] لأن السحر يحتاج إلى تعلم مع شرارة[4] في الجبلة ونفس خبيثة وهو منزه عندهم عن ذلك[5].

---

(١) في ق: الصدق.

والكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي من السبعة وخلف من العشرة.

انظر القراءة في: السبعة ص(٣٢٢)، النشر (٢/٢٥٦).

وأما الرسم فإن الذي ذكره الأئمة هو أن رسم المصاحف مختلف في هذا الموضع ففي بعضها بالألف وفي بعضها الآخر بحذف الألف.

انظر: المقنع الداني ص(٩٤)، جامع البيان للهنداوي ص(١٤٥).

(٢) كذا في ق وهو المناسب للسياق، وباقي النسخ: لأنه.

(٣) ساقط من ق.

(٤) الشرارة: مصدر شَرَّ يَشرُّ وهو نقيض الخير.

انظر: لسان العرب (شرر) (٤/٤٠٠).

(٥) ومراده -رحمه الله- باعترافهم أنهم اعترفوا أنه أمر خارق للعادة ليس في مقدور البشر الإتيان بمثله، وأما رميهم لـه بالسحر فهو من باب العناد والمكابرة وجحد الحقائق ذلك أن السحر =

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ ﴾ أي: أمر الكائنات على وفق ما اقتضته حكمته، وَمَنْ هذا شأنه لا يخفى عليه مَنْ يكون أهلاً للاصطفاء [بالرسالة](1) فتعجبهم محل للتعجب.

﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ﴾ تقرير لعظمته وعزِّ(2) جلاله وعلو شأنه وكبريائه، وفيه دليل على جواز الشفاعة بإذنه(3) ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾

يحتاج إلى تعلم وهم يعلمون نشأته ﷺ بينهم وأنه لم يتلق السحر عن أحد، كما أن السحر إنما يصدر من النفوس الخبيثة والطبائع الشرسة وهم يعلمون أنه ﷺ أبعد الناس عن ذلك بشهادتهم هم إذ كانوا يسمونه الأمين، فظهر أنهم قد اعترفوا برسالته ضمناً وإن أنكروا ظاهراً.

(١) ساقطة من ق.

(٢) ص: عز بدون الواو.

(٣) في حاشية الأصل: وفيه رمز إلى بطلان ما توهمه من شفاعة آلهتهم على ما كانوا يزعمون منه.
انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢٨).

ويشترط لجواز الشفاعة مع إذنه تعالى: رضاه عن الشافع والمشفوع له كما قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن =

أي: الجامع لهذه الصفات المستلزمة للألوهية معبودكم لا غير(1) ﴿ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾

يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة النجم، الآية (٢٦)، وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾ سورة طه، الآية (١٠٩)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ سورة الأنبياء، من الآية (٢٨).

(١) ذلك أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

وتوحيد الربوبية هو: إفراد الله بفعله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك.

وتوحيد الألوهية (العبادة) هو: إفراد الله بأفعال العباد التي يفعلونه على وجه التقرب المشروع كالدعاء والصلاة والنحر والطواف وغير ذلك.

وقد أقر الكفار بالنوع الأول "الربوبية" وأنكروا الثاني "الألوهية" فكانوا بذلك كفاراً كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة يونس، الآية (٣١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة لقمان، الآية (٢٥).

وكثيراً ما يأتي في القرآن الاستدلال بتوحيد الربوبية الذي أقروا به على توحيد الألوهية الذي أنكروه إذ هو مستلزم لــه كما في هذه الآية (يونس، ٣) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ =

"وحدوه بالعبادة"[1] ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ ليؤديكم إلى ما هو الحق فإنه لا يحتاج إلى تفكر[2] وترتيب مقدمات بل مجرد التذكر كافٍ فيه.

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ حث على التذكر والتوحيد؛ لأن رجوع الكل إليه فيجب الاستعداد للقائه ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ في معنى الوعد[3]، ﴿ حَقًّا ﴾ مصدر آخر مؤكد لغيره هو ما تضمنه وعد الله[4] ﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ دليل على أن رجوع الكل إليه لا

فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ سورة البقرة، الآية (٢١، ٢٢).

انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢/١)، الدرر السنية (١٦/٢-٣٥).

(١) تفسير البيضاوي (٤٢٨/١).

(٢) ق: تنكر.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٧/٣)، إعراب القرآن للنحاس (٤٩/٢)، مشكل إعراب القرآن (٣٧٤/١)، الكشاف (١١٥/٣)، التبيان للعكبري (٦٦٥/٢)، تفسير البيضاوي (٤٢٨/١).

(٤) انظر: الكشاف وتفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

إلى غيره لأنه المتفرد بالإبداء والإعادة[1].

﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ﴾ علة للإعادة وإشارة إلى ثمرتها[2]. والقِسْط هو: العدل من أَقْسَط إذا عدل، لا من قَسَط فإنه بمعنى: ظلم[3]، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[4] وهذا من غريب اللغات[5].

---

(١) ومن ابتدأ الخلق فهو قادر على إعادته كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ سورة يس، من الآية (١٥)، وقال تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ سورة الإسراء، الآية (٥١).

(٢) انظر: الكشاف (١١٥/٣).

(٣) وذكر ابن منظور في اللسان لغة أخرى في العدل وهي: قَسَط.

قال: "ففي العدل لغتان: قَسَط وأَقْسَط، وفي الجور لغة واحدة: قَسَط، بغير الألف... إلخ". لسان العرب (قسط) (٣٧٨/٧).

وانظر: المفردات (قسط) ص(٦٧٠).

(٤) سورة الجن، الآية (١٥).

(٥) في الأصل وَص حاشية لم تتضح لي.

والمعنى: ليجزيهم بعدله ولا يضيع لهم شيئاً من عملهم[1]، أو بعدلهم في أمورهم وما تحت أيديهم لما روى البخاري: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[2] أو بإيمانهم لأنه منشأ[3] كل عدل، وهذا أوجه لقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤ ﴾ أي: بسبب كفرهم[4].

وإنما أسند إلى نفسه جزاء المؤمنين دون الكافرين تشريفاً لهم بخلاف الكفار فإنه أشار إلى أن ما أصابهم من العذاب ناشئ عن سوء صنيعهم[5].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ دليل نيّر على

(١) قاله الطبري (٢١/١٥)، والواحدي في الوسيط (٥٣/٢)، والبغوي (١٢١/٤) وعليه أكثر المفسرين.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٢١٥/١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل (١٤٥٩/٣ رقم ٢٠) عن ابن عمر -رضي الله عنهما-.

(٣) ص: ومنشأ.

(٤) انظر الأقوال مع الترجيح والتعليل في تفسير البيضاوي (٤٢٨/١)، وقد جمع الزمخشري (١١٥/٣) القول الثاني والثالث وجعلهما قولاً واحداً ورجحه بما ساقه المؤلف أعلاه فقال: "... أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحاً لأن الشرك ظلم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة لقمان، من الآية (١٣)... إلخ".

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

استحقاقه الانفراد بالعبودية، ومع كونه دليلاً نعمة جليلة بها نيط أمر المعاش، والضياء مصدر ضاء بمعنى أضاء أو جمع ضوء مثل: حياض وحوض(1)، وهو أقوى من النور(2) ولذلك نُسب إلى الشمس، والقول بأن الضوء يكون للشيء بالذات والنور بالعرض فيكون نور القمر مستفاداً من الشمس(3) ليس لـه أصل لغة وشرعاً(4).

وقرأ ابن كثير [في رواية قنبل](5) (ضِئاء) بهمزتين(6) على قلب الياء أو الواو

---

(1) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٢٥٨/٤)، لسان العرب (ضوء) (١١٢/١).

(2) انظر: الكشاف (١١٥/٣).

(3) ذكره البيضاوي (٤٢٨/١) فقال: "وقيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، وقد نبه -ﷻ- بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيراً بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها". اهـ.

(4) هذا القول الذي رده المؤلف -رحمه الله- هو ما توصل إليه العلم الحديث وأضحى حقيقة فلكية مسلمة.

انظر: موسوعة بهجة المعرفة، المجموعة الأولى (٢) ص(٥٢)، موسوعة المعرفة الحديثة (١) الكون والأرض ص(١٦)، كتاب علم الفلك والكون ص(٦٨).

(5) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

وقنبل هو محمد بن عبدالرحمن بن محمد المخزومي مولاهم أبو عمر الكوفي، راوية ابن كثير ومقرئ أهل مكة في عصره، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، توفي عام (٢٩١هـ).

انظر: معرفة القراء الكبار (٢٣٠/١)، غاية النهاية (١٦٥/٢).

(6) انظر: السبعة ص(٣٢٣)، التيسير ص(٩٨).

مكان الهمزة بعد تقديمها[1] ثم قلب الياء أو الواو همزة لتطرفها كما في رداء وكساء[2].

﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾ أي: سير القمر[3] ذا منازل [لقوله: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾][4] وإفراد القمر بذلك لأن مناط الأحكام الشرعية السنة[5] القمرية والأشهر الهلالية، ولذلك علله بقوله: ﴿ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ

---

(١) فكانت: ضئاواً أو ضئاياً.

(٢) وذلك أن أصل الهمزة في رداء: الياء، وأصلها في كساء: الواو.

انظر: التبيان للعكبري (٦٦٥/٢)، الدر المصون (١٥١/٦).

(٣) إعادة الضمير في ﴿ قَدَّرَهُۥ ﴾ إلى القمر هو قول الأكثر، وجوَّز الفراء (٤٥٨/١)، والزجاج (٧/٣) وغيرهما أن يعود الضمير إلى الشمس والقمر جميعاً فحذف أحدهما اختصاراً، وهذا القول هو ما صدر البيضاوي به الأقوال (٤٢٨/١).

(٤) سورة يس، من الآية (٣٩).

وما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٥) ق: على السنة.

﴿وَٱلۡحِسَابَۚ﴾[1] "حساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي"[2] ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝﴾ لأنهم المنتفعون به.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء مسنداً إلى ضمير الجلالة، والباقون بالنون التفاتاً[3] [وهو أبلغ، أي: ذلك المذكور إلا ملتبساً بالحق][4] ليكون مناط المعاش ودليل توحيد الصانع[5].

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢٨).

(٢) الكشاف (٣/١١٥).

(٣) انظر: السبعة ص(٣٢٣)، الإقناع (٢/٦٦٠)، البحر المحيط (٥/١٣٠).

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من ص.

وانظر: الكشاف (٣/١١٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٨)، الدر المصون (٦/١٥٤).

(٥) السياق في ق كالتالي: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝﴾ أي ذلك المذكور... إلى قوله: الصانع ثم قال: وخصه بقوم يعلمون لأنهم المنتفعون به وقرأ ابن كثير... إلى قوله: وهو أبلغ.

﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من أجزائها وأوضاعها وما فيها من سائر الكائنات ﴿ لَآيَٰتٍ ﴾ دلائل على/ وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وتفرده بذلك[1] ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2] ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦ ﴾ خص التقوى بالذكر

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٢٨/١)، وفيه: " ﴿ لَآيَٰتٍ ﴾ على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته". اهـ.

ولا شك أن أعظم ما في هذه الآيات أنها دالة على وجوب إفراد الله بالعبادة دون ما سواه وهو المقصود الأكبر من إيرادها، أما اعتقاد وجوده تعالى وتفرده بالخلق ونحو ذلك فهذا مما هو مركوز في الفطر لم ينازع فيه أحد من المشركين، وإنما وقع النـزاع في إفراده تعالى بالإلهية وهو الذي من أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل و"القرآن كله يدل على وجوب إخلاص العبادة لله والبراءة من عبادة ما سواه وإسلام الوجوه لـه على اختلاف أنواع الدلالات مطابقة وتضمناً والتزاماً وقياساً صحيحاً". (منهاج التأسيس والتقديس ص١٠٧).

ولهذا جاء السياق الكريم محتجاً بما أقروا به على ما أنكروه فقال تعالى في أول الآيات: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ... ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

وانظر: الدرر السنية (١١١/٢).

(٢) سورة الأنبياء، من الآية (٢٢).

لأنه الباعث على التفكر في شأنها والاعتراف بوحدانية مبدعها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ لا يتوقعونه ولا يخطرونه ببالهم، فالرجاء بمعنى التوقع، أو لا يأملون حسن لقائنا فحقيقة، أو سوء لقائنا فهو مجاز عن الخوف[1] ﴿ وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بدلاً عن الآخرة ﴿ وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا ﴾

---

(١) انظر: الكشاف (١١٦/٣)، الكشف القزويني (١٥/أ).

قال الزمخشري في أساس البلاغة (رجو) ص(١٥٧): "أرجو من الله المغفرة، ورجوت في ولدي الرشد... ومن المجاز: استعمال الرجاء في معنى الخوف والاكتراث يقال: لقيت هولاً ما رجوتُه وما ارتجيته... إلخ".

وقال الطيبي في فتوح الغيب ص(١٨): "اعلم أن الرجاء حقيقة هو توقع الخير ويستعمل في معنى الخوف مجازاً".

وإلى القول الأخير ذهب ابن قتيبة فقال: "﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ أي: لا يخافون". غريب القرآن ص(١٩٥)، وليس بين هذه الأوجه التي نقلها المؤلف عن الزمخشري تعارض فإن الذين لا يتوقعون لقاء الله تعالى ولا يؤمنون به لا يأملون حسن اللقاء ولا يطمعون فيه كما أنهم لا يخافون سوءه ولا يخشون عاقبته، فهم لا يطمعون ولا يخافون لأنهم لا يؤمنون. والله أعلم.

وانظر: البسيط (٨٠٦/٣)، تفسير البغوي (١٢٢/٤).

سكنوا إليها سكون من أيقن بالخلود فبنوا[1] القصور ونسوا القبور.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ كالبهائم منهمكون في المعاصي واللذات العاجلة، وإنما وسط العاطف باعتبار تغاير الوصفين وأنهما نوعان متمايزان[2] الثاني منهما علة للأول[3]، أو هما فريقان الأول: من أنكر البعث ولذلك اطمأن، والثاني: من أقر به، ولكن شغله حب الفاني عن النظر والإعداد للباقي[4].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾ باستمرارهم على كسب الكفر والمعاصي.

---

(١) ص: وبنوا.

(٢) ق: متغايران.

وقوله: أنهما نوعان، أي الوصفين.

(٣) أي الوصف الثاني وهوقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ علة للأول وهو قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ فعدم رجائهم للقاء الله تعالى بسبب غفلتهم عن آيات الله.

وهذا القول -أن العطف من باب عطف الصفات- هو ما اقتصر عليه الزمخشري (١١٦/٣).

(٤) اختار هذا الوجه أبو حيان (١٣١/٥).

وانظر القولين في: تفسير البيضاوي (٤٢٩/١)، الدر المصون (١٥٤/٦).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ جمعوا بينهما[1] ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم ﴾ إلى سلوك طريق الجنة ﴿ بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ بسبب إيمانهم[2] الذي هو أساس كل خير. جمع بين الإيمان والعمل الصالح أولاً؛ لأنه في مقام الترغيب وأفرده ثانياً إشارة إلى أنه المنجي والسبب وما عداه مكمل لا جزء ولا شرط.

فإن قلت: المضاف إلى المعرفة يراد به المعهود ولذلك يصير معرفة[3] فيكون الإيمان المضاف ذلك المعهود السابق وهو المقرون [بالعمل][4].

قلت: ذلك من قبيل الخطابيات، وقد دل دليل قطعي على أن مجرد الإيمان كاف وهو قوله أول السورة ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾[5] والأحاديث الدالة على ذلك متواترة المعنى، وتسمية العاصي غير مهدي -إن

(١) انظر: ص (٤٧٣).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٢٩).

(٣) ص: معرفته.

(٤) ساقط من ص.

(٥) سورة يونس، من الآية (٢).

صح-[1] فبالنظر إلى عدم سلوك طريق الاستقامة[2].

(١) في حاشية الأصل وَ ق: رد على صاحب الكشف.

والمراد بالكشف: "الكشف عن مشكلات الكشاف" للقزويني. انظر: (١٥/أ).

(٢) ما ذكره المؤلف -رحمه الله- هنا موافق لمذهب المرجئة في الإيمان وأنه مجرد التصديق والإقرار وأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وقد ذكر البيضاوي في تفسيره (٤٢٩/١) نحواً مما ذكر المؤلف فقال: "ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله: ﴿ بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف لـه". اهـ.

وقد ذكر البيضاوي هذا كالرد على الزمخشري حين قال في الكشاف: "فإن قلت: فلقد دلت هذه الآية على أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو إيمان مقيد وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح، والإيمان الذي لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق لـه ولا نور.

قلت: الأمر كذلك، ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعاً فيها بين الإيمان والعمل كأنه قال: إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ثم قال: بإيمانهم، أي: بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح، وهذا بيّنٌ واضحٌ لا شبهة فيه". اهـ. الكشاف (١١٧/٣).

والحق أن ما ذكره الزمخشري المعتزلي هنا هو الصواب، وإن كان أهل السنة يخالفون المعتزلة في =

مسألة الإيمان، حيث ذهبت المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمناً، وفي الآخرة أوجبوا لـــه الخلود في النار، فهم وافقوا السلف في أن الأعمال من الإيمان وأن من تركها فقد ترك جزءً من الإيمان، وخالفوهم في أن الإيمان إذا زال بعضه زال باقيه، ومن ثم رفعوا عن صاحب الكبيرة الإيمان بالكلية.

وإنما ذكرت هذا الاستطراد هنا لأنها من مسائل الأصول التي يجب العناية بها، ولكثرة ذكرها في كتب التفسير الموافقة لمذهب السلف والمخالفة لـــه، وخصوصاً في هذا الموضع من سورة يونس.

وأعود إلى ما ذكره المؤلف -رحمه الله- فأقول: سبق أن ذكر مذهب سلف الأمة وهو أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وأن الأعمال من الإيمان، وأشير إلى من نقل إجماعهم على ذلك، ونقل ما ذكره الأئمة من أن الإيمان إذا ذكر مطلقاً دخل فيه العمل، وإذا قرن مع العمل كان من باب عطف الخاص على العام، أو من باب تنوع دلالة الاسم بالإفراد والاقتران كالفقير والمسكين ونحو ذلك.

انظر: ص (١٤، ٤٧٣).

قال شيخ الإسلام في الفتاوى (٧/١٤١-١٤٢): "بل قد نفى الله الإيمان عمن قال بلسانه وقلبه إذا لم يعمل، كما قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ إلى قولـــه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الحجرات

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ استئناف أو خبر ثان[1] ﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ ﴾ خبر آخر، أو متعلق بـ﴿ تَجْرِى ﴾، أو حال من ﴿ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[2].

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا ﴾ أي دعاؤهم لقولهم: ﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾[3]، وقيل: من

(١٤-١٥) فنفى الإيمان عمن سوى هؤلاء... وساق -رحمه الله- الدلائل على ذلك ثم قال: ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة... إلخ".

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية ص(٥١٣): "والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت لــه حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة... إلخ".

وانظر: الإيمان لابن أبي شيبة، الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (٣٠٧/١ وما بعدها)، السنة للخلال (٥٦٤/٣ وما بعدها) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي (٨٨٥/٥)، شرح السنة للبغوي (٣٣/١).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٢٩/١)، البحر المحيط (١٣١/٥-١٣٢).

(٢) انظر: المرجعين السابقين (الموضع نفسه)، التبيان للعكبري (٦٦٦/٢).

(٣) قاله أكثر المفسرين.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٨/٣)، تفسير الطبري (٣٠/١٥)، الكشاف (١١٧/٣)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

الادعاء أي يدَّعون لـه من التوحيد والتنزيه ما كانوا يدَّعونه في الدنيا(١)، ويجوز أن يكون الدعاء بمعنى العبادة ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٢) وليس العبادة منهم على وجه التكليف بل تلذذاً(٣)، قال:

أسامياً(٤) لمْ تَـزِدْهُ معـرفةً   وإنما لـذةً ذكرناها(٥)

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره عن بعضهم (٣٦/١٧).

(٢) سورة مريم، من الآية (٤٨).

(٣) جوَّزه الزمخشري (١١٧/٣) وغيره.

ولعل الراجح -والله أعلم- هو القول الأول، ولا تعارض بينه وبين القول الثالث فإن الدعاء عبادة، ومما يرجح هذا القول ما رواه جابر -ﷺ- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون**» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النَّفَس**».

وعن أبي هريرة -ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر**... الحديث، وفيه: **يسبحون الله بكرة وعشياً**». رواهما مسلم، كتاب الجنة، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً (٢١٨٠/٤ رقم ١٨-١٧).

(٤) في ق: الكلمة غير واضحة.

(٥) ص: ذكرهانا.

والبيت لأبي الطيب المتنبي يمدح عضد الدولة أبا شجاع فناخسرو.

انظر: ديوانه بشرح العكبري (٢٧٥/٤).

﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ أي ما يحييهم به الملائكة أو الله سبحانه مصدر مضاف إلى المفعول[1]، أو تحية بعضهم بعضاً فإلى الفاعل[2] ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾ يقولون ذلك شكراً على ما أولاهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٨/٣)، الكشاف (١١٧/٣)، زاد المسير (١١/٤)، ومما يشهد للقول بأن الملائكة تحييهم بذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤ ﴾ سورة الرعد، الآية (٢٣-٢٤). ومما يشهد للقول بأن الله تعالى يحييهم بذلك قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ ﴾ سورة يس، الآية (٥٨).

(٢) قال به ابن جرير (٣٢/١٥) والزمخشري (١١٧/٣)، وأبو حيان (١٣٢/٥) وغيرهم.

(٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾".

رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة وأنها مخلوقة (٨٦/٤)، ومسلم، كتاب الجنة (٢١٧٤/٤ رقم ٢-٤).

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ﴾ إذا استعجلوه، عن مجاهد[1]: "هو قول الإنسان لماله وولده إذا غضب: اللهم العنه:[2]" وقيل: نزل في كفار مكة حيث قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء[3]. ﴿ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ ﴾ أي: تعجيله الخير إذا سألوه، فوضع الاستعجال موضعه إشعاراً بأنه يجيبهم أسرع إجابة كأن استعجالهم نفس

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي المقري إمام المفسرين، ولد عام ٢١هـ، أخذ التفسير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- غير مرة، قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. اهـ. قال الذهبي: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به. اهـ. توفي عام (١٠٣هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/٣٠٥).

(٢) رواه ابن جرير (١٥/٣٤) وغيره.
وهو قول ابن عباس كما رواه البغوي (٤/١٢٣)، وقتادة كما رواه ابن جرير (١٥/٣٥) والبغوي (الموضع السابق)، وسعيد بن جبير كما رواه أبوالشيخ.
انظر: الدر المنثور (٤/٣٤٦).
وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٤).

(٣) نقله القرطبي عن مقاتل (٨/٣١٥)، وقال به الزمخشري (٣/١١٨)، وذكره ابن الجوزي (٤/١١).
وقد ذكر الله تعالى هذا القول عن الكفار في سورة الأنفال، الآية رقم (٢٣).

تعجيله[1].

﴿ لَقُضِىَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ ﴾ وقت الدعاء. قرأ ابن عامر ﴿قَضَى﴾ على بناء الفاعل ونصب ﴿ أَجَلَهُم﴾[2]، وهو المختار لمناسبة[3] ما تقدم وما تأخر[4] وعدم الاحتياج إلى الحذف.

---

(١) انظر: الكشاف (٣/١١٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٢٩).

كما أن في التعبير بقوله: ﴿ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ ﴾ الإشارة إلى ما طُبع عليه ابن آدم من الهلع والجزع كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ ﴾ سورة المعارج، الآية (١٩-٢١)، فهم إذا طلبوا الخير سألوه باستعجال. والله أعلم.

(٢) انظر: السبعة ص(٣٢٣)، التيسير ص(٩٩)، الإقناع (٢/٦٦٠).

(٣) كذا في الأصل، وباقي النسخ: لمناسبته.

(٤) ما تقدم هو قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ ﴾ فذكر لفظ الجلالة صريحاً.

وما تأخر هو قوله تعالى: ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ... الآية﴾ فأسنده إلى ضمير المتكلم وهو الرب تبارك وتعالى.

وقال الزمخشري (٣/١١٨) عن قراءة ابن عامر: "وتنصره قراءة عبدالله ﴿ لقضينا إليهم أجلهم ﴾". اهـ.

وانظر: الموضح (٢/٦١٦).

﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾

عطف على النفي الدال عليه كلمة ﴿ لَوْ ﴾ كأنه قيل: لا[1] نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم[2]، إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر دلالة على أن المستعجِل لم يؤمن بلقاء الله فلذلك[3] اجترأ[4] على تلك المقالة.

وقيل[5]: الآية متصلة بقوله: [﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ]ً[6] لِقَآءَنَا ﴾وذكر المؤمنين للمقابلة، وإنما عبر عنهم أولاً بالناس تفظيعاً[7] للأمر ثم

---

(١) ص: لو.

(٢) انظر: الكشاف (٣/١١٨-١١٩).

(٣) ق: ولذلك.

(٤) ق: احرى.

(٥) القائل هو القزويني في الكشف (١٥/ب) وعبارته: "وهذه الآية -﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ... ﴾- متصلة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ دلالة على استحقاقهم العذاب وأنه تعالى إنما يمهلهم استدراجاً، وجيء بالناس بدل ضمير "هم" تفظيعاً للأمر، ثم قيل: ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ﴾ مصرحاً باسمهم، وذِكْرُ المؤمنين إنما وقع في البين تتميماً ومقابلة فليس بأجنبي...".

(٦) ما بين العقوفتين ساقط من ق.

(٧) ق: تعظيماً.

صرح باسمهم ثانياً[1].

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ في حالاته كلها؛ لأن المضرور إما أن ينهكه المرض فهو مضطجع، أو يخف عنه بعض خفة فيقعد، أو يزول عنه وفيه بقايا يقوم من غير حراك[2]، وإنما استعمل "اللام" مع أن الظاهر "على" إشارة إلى أنه لشدة المرض مستقر على تلك الهيئة لا يمكنه غيرها لما في اللام من معنى الاختصاص ففيه زيادة مبالغة[3].

---

(١) في الأصل حاشية الأقرب أنها كالتالي: فيه تسامح لأنه أراد بالاسم الضمير في إليهم. منه.

فإن كانت هذه الحاشية تعقيباً على كلام القزويني فليست بظاهرة؛ لأن القزويني -كما هو ظاهر كلامه- أراد بالاسم قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ﴾.

(٢) كما أن الآية يراد بها ما هو أعم من ذلك وهو أن الإنسان إذا أصابه أي ضر من مرض أو فقر أو فَقْد حبيب أو نحو ذلك جزع لها وأكثر الدعاء في كل أحواله.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/١٨٨-١٨٩): "يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الضر كقوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ سورة فصلت، من الآية (٥١) أي: كثير، وهما بمعنى واحد، وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها وزوالها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه وفي جميع أحواله... إلخ".

(٣) انظر: فتوح الغيب ص(٣٣)، الكشف للقزويني (١٥/ب).

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ ﴾ الذي ألمَّ به ﴿ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ استمر على ما كان عليه من الإعراض عن شكر نعم الله.

كأنَّ الفتى لم يَعْرُ يوماً إذا اكْتَسَى ولمْ يَكُ صُعْلوكاً إذا ما تَمَوَّلا[1]

﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ من الإشراك وصرف الأموال في غير مرضاة الله وتكذيب الأنبياء ونسبة السحر إلى المعجزات والآيات.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ قروناً كثيرة يا أهل مكة[2] كانوا يعاملون الله ورسله[3] ما تعاملون[4] أنتم ﴿ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾ بالإشراك وعبادة غير الله ﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ لم يكن لهم معذرة فيما فعلوا لكون

(١) البيت لجابر بن ثعلب الطائي.

انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١/٣٠٥)، وانظر: البيت دون نسبة في البحر المحيط (٦/١٠٠).

والمعنى: أن الإنسان إذا حصل لـه الكساء والمال فكأنه لم يكن عرياناً ولا فقيراً يوماً من الدهر.

(٢) كذا في الأصل، وباقي النسخ: كثيرة يا أهل مكة قروناً.

(٣) ق: ورسوله.

(٤) ق: كما تعاملون.

معجزات الرسل واضحة الدلالة على صدق دعواهم[1] ﴿ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ﴾ جحداً واستكباراً ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الجزاء[2] ﴿ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ نجزيكم. وضع المظهر موضع المضمر[3] للدلالة على أن

(١) بل إن ما يدل على صدق دعوى الرسل عليهم السلام أعم من المعجزات، ولذلك استدل هرقل في حديثه الطويل مع أبي سفيان -رضي الله عنه- على صدق الرسول ﷺ وثبوت نبوته بأشياء كثيرة منها: أخلاقه وسجاياه، وصفات أتباعه، وكونهم يزيدون ولا ينقصون، وأن الحرب بينه وبين أعدائه سجال ثم تكون العاقبة لــه عليهم، وأنه لا يأمر إلا بالتوحيد والخير والمعروف وصلة الرحم ونحو ذلك.

(انظر تخريج الحديث ص١٩٢).

فهذه وغيرها من الأشياء التي تدل على صدق الرسل وأن ما جاؤوا به هو من عند الله تعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (٥/٤١٩-٤٢٠): "والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة... وبيّنا أن من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط، بل هي أنواع كثيرة... إلخ".

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية ص(١٤٠): "ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات...".

وانظر: الجواب الصحيح (٥/٤٠٥-٤٢١)، النبوات لابن تيمية ص(١٩١ وما بعدها).

(٢) انظر: الكشاف (٣/١٢٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٠).

(٣) المظهر هو: القوم المجرمين، فلم يقل: كذلك نجزيكم.

إهلاكهم مُسَبَب عن إجرامهم، وزاد لفظ ﴿ ٱلْقَوْمَ ﴾ ليدل على أنهم أعلام في ذلك، أو كل مجرم فيتناولهم[1] تناولاً ظاهراً[2].

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ أسكناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكناهم ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ جهة أعمالكم وكيفيتها من الحسن والقبح فإن المعتبر جهة الفعل لا نفسه، وهو[3] معمول ﴿ تَعْمَلُون ﴾[4]؛ لأن النظر معلّق بالاستفهام[5].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

---

(١) ق: فليتناولهم.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٠).

(٣) أي الاستفهام والمراد: ﴿ كَيْفَ ﴾.

(٤) ق: يعملون.

والمعنى: أيّ عملٍ تعملون.

(٥) وذلك أن الاستفهام مما لـه الصدارة في الكلام، فلا يعمل فيه ما قبله، ولذلك لم تعمل (ننظر) في (كيف) والله أعلم.

﴿ لِقَآءَنَا ﴾ أشار إلى أنهم خَلْف[1] سوء، وأنَّ عملهم لم يقع على جهة مرضية بل سلكوا مسلك المهلكين من القرون الأولى، ولم يكن لهم باعث على هذا إلا عدم اعتقاد الحشر فإنهم دهريون[2]، التفت إلى الغيبة تبعيداً لهم عن [رتبة][3] الخطاب.

﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ ﴾ لا يكون فيه تسفيه أحلام[4] آبائنا[5] ولا سب آلهتنا ﴿ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ بأن تجعل مكان آية العذاب آية الرحمة وموضع سب الآلهة

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (خلف) (٢/٦٥-٦٦): "الخَلَف بالتحريك والسكون: كل من يجيء بعد من مضى إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشر يقال: خَلَف صدق، وخَلْف سوء، ومعناهما جميعاً القرن من الناس". اهـ.

وانظر: لسان العرب (خلف) (٩/٨٤٠).

(٢) الدهريون: فرقة من الملاحدة ينسبون الحوادث إلى الدهر، ويكفرون بالبعث والحساب والجنة والنار، أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ سورة الجاثية، من الآية (٢٤).

انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٢/١٠٩).

(٣) زيادة من سائر النسخ ليست موجودة في الأصل.

(٤) ص: اصلام.

(٥) ق: لا يكون فيه أصلاً تسفيه آبائنا.

مدحها[1]، فالأول تغيير في [الذات وهذا تغيير في][2] الوضع[3].

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ﴾ أجاب عن الثاني لأنه الممكن/ لـه فإن الأول ليس من مقدوره، وإن كان زعم الكفار أنه من مخترعاته وهو قادر على الإتيان بمثله[4]، أو لأنه مستلزم لـه[5]، وتلقاءُ الشيء: حذاؤه وجهته[6] ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾[7].

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ ما شأني إلا اتباع الوحي من غير زيادة

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/١٢٥)، الكشاف (٣/١٢١).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) انظر: الكشف للقزويني (١٥/ب).

(٤) نظر: الكشف للقزويني (١٦/أ).

(٥) أي الثاني مستلزم للأول، فإن كان عاجزاً عن تبديله فمن باب أولى هو عاجز عن الإتيان بغيره. قال في فتوح الغيب ص(٣٩): "الجواب وهو قوله: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ﴾ يحتمل أن يجري على المعنيين فيكون جواباً عن الاقتراحين، وأن يحمل على الأهون ليدخل الأغلظ بالطريق الأولى". اهـ.

(٦) انظر: لسان العرب (لقا) (١٥/٢٥٤).

(٧) سورة القصص، من الآية (٢٢).

ولا نقصان ليس إليّ[1] التغيير والتبديل ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي ﴾ دليل على أنهم لم يطلبوا منه التبديل من[2] جهة الله بل من عند نفسه[3].

﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ وفيه إشارة إلى أنهم مستوجبون ذلك العذاب؛ لأنهم يسعون في تبديل كلام الله[4].

﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ ﴾ فيه زيادة تبرء عما ينسبونه إليه من أنه كلامه؛ لأن نفس تلاوته بمشيئة الله تعالى فضلاً عن[5] ذلك المتلو ﴿ وَلَآ

(١) ق: إلا.

(٢) ق: بل من...

(٣) قال الزمخشري (٣/١٢١): "فإن قلت: لعلهم أرادوا ﴿ ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ ﴾ من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته، وأراد بقوله: ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ ﴾ ما يتسهل لي وما يمكنني أن أبدله.

قلت: يرده قوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي ﴾". اهـ.

(٤) قال البيضاوي (١/٤٣٠): "وفيه إيماء إلى أنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح". اهـ.

وانظر: فتوح الغيب ص(٣٩).

(٥) ص: على.

أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ ولا أنزله رأساً، وقرأ ابن كثير في رواية قنبل ﴿ ولأدراكم ﴾ بلام التأكيد(١)، أي: لو شاء لأعلمكم به على لسان غيري فإنه كلامه ليس على البشر إلا تبليغه فأنا(٢) وغيري سِيَّان(٣).

﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ﴾ أي: عمراً معتداً به وهو أربعون سنة(٤)؛ أيام الشباب والكُهولة(٥) التي هي مظنة حب الجاه والرئاسة ومحل صدور الهفوات وارتكاب ما لا يليق من الحركات، ولقد أحسن هرقل لما سأل عن سيرته ﷺ أبا سفيان: "هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟" قال:

---

(١) انظر: التيسير ص(٩٩)، الإقناع (٦٦٠/٢).

(٢) ق: وأنا.

(٣) انظر: الكشف لمكي (٥١٤/١)، الموضح (٦١٦/٤).
وسيان أي: سواء.
انظر: القاموس المحيط (سوا) ص(١٦٧٣).

(٤) عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "أُنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، فمكث ثلاث عشرة سنة ثم أُمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي ﷺ".
رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ (٢٣٨/٤).

(٥) اكتهل الرجل وكاهل إذا بلغ الكهولة فصار كَهْلاً، والكهل من جاوز ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل: هو من ثلاث وثلاثين إلى الخمسين، وقيل: غير ذلك. والله أعلم.
انظر: لسان العرب (كهل) (٦٠٠/١١).

"لا". وقد كان سأله عن عمره وأخبره[1] أنه ادعى النبوة بعد أربعين سنة، فقال: هو نبي حقاً؛ لأنه إذا لم يكذب على الناس في شبابه فكيف يكذب على الله في آخر عمره؟[2] وإليه أشار بقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: تستعملون عقولكم

(١) ص: وأخبروه.

(٢) انظر: تخريج الحديث ص(١٩٢).

وليس في ألفاظ الحديث التي وقفت عليها أنه سأله عن عمره حين البعثة، وإنما الأسئلة التي سألها هرقل كالتالي:

- كيف حسبه فيكم؟
- فهل كان في آبائه ملك؟
- فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟
- ومن يتبعه؟ أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟
- أيزيدون أم ينقصون؟
- هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة لـــه؟
- فهل قاتلتموه؟
- فكيف قتالكم إياه؟
- فهل يغدر؟

فإن مجرد استعمالها كافٍ في ذلك بلا تكلف.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحد أظلم منه قطع لأطماعهم، والمعنى: لو فعلت ذلك التغير والتبديل(1) كنت مفترياً على الله؛ تفادٍ مما نسبوه إليه من زعمهم أنه كلامه، أو تظليم للمشركين في إثبات الشركاء له لقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ(2) مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(3)(4).

- فهل قال هذا القول أحد قبله؟

وكان أبو سفيان -ﷺ- يجيب على هذه الأسئلة، ولما انتهى بيَّن هرقل سبب هذه الأسئلة وفيه: "وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله... الحديث؟".

(1) ق: التبديل والتغيير.

(2) ق: وتعبدون.

(3) سورة يونس، من الآية (١٨).

(4) ذكر الوجهين الزمخشري (٣/١٢٢)، والبيضاوي (١/٤٣١)، وجمع بينهما ابن عباس -رضي الله عنهما- فيما ذكره الواحدي في الوسيط (٢/٥٤١)، وابن الجوزي (٤/١٥) عنه قال: "يريد: إني لم أفترِ على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حين زعمتم أن معه شريكاً".

والأظهر في الآية العموم إذ لا أظلم ممن افترى على الله كذباً سواء في إلهيته وربوبيته أو أسمائه =

﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ الدالة على صدق مدعي النبوة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧﴾ آثره على المضمر للدلالة على العِلِّيَّة[1].

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ وهي[2] الأصنام[3] فإنها جماد ومن المعلوم أنها لا تضر ولا تنفع، وشأن من يُعبد أن

وصفاته أو كلامه ورسالاته. والله أعلم.

وانظر: البحر المحيط (٥/١٣٧-١٣٨).

(١) أي أن التعبير جاء بالاسم الظاهر ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ لا الضمير كقوله: لا يفلحون ونحو ذلك ليدل على أن العلة في عدم فلاحهم هي كونهم مجرمين.

(٢) ق: هي. بحذف الواو.

(٣) ويدخل فيها غيرها مما عبد من دون الله تعالى كالملائكة والمسيح وغير ذلك.

انظر: فتوح الغيب ص(٤٤).

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في تحفة الطالب والجليس ص(٨٩) عند قولـه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ سورة فاطر، من الآية (١٣) ونحوها من الآيات، قال -رحمه الله-: "فهذه الموصولات في كلام الله وفي كلام رسوله واقعة على كل مدعو ومعبود نبياً أو ملكاً أو صالحاً إنسياً أو جنياً أو شجراً متناولة لذلك بأصل الوضع فإن الصلة كاشفة ومبينة للمراد وهي واقعة على كل مدعو من غير تخصيص، وهي أبلغ وأدل وأشمل =

يكون مثيباً معاقباً، وهذا ناظر إلى قبح فعلهم كما أن الأول ناظر إلى بطلان قولهم[1].

﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يعتقدون ذلك، أو يقولون إذا سئلوا، وكان أهل الطائف يعبدون اللات[2] وأهل مكة العزى

من الأعلام الشخصية والجنسية وهذا هو الوجه في إيثارها على الأعلام... والمعهود عند كل من يعقل من أصناف بني آدم أن الأنبياء والملائكة والصالحين قد عُبدوا مع الله وقصدهم المشركون بالدعاء في حاجاتهم وملماتهم كما جرى لليهود والنصارى في عبادة الأنبياء والأحبار والرهبان، وكما جرى لقوم نوح في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا، وكما جرى في عبادة الملائكة واللات وهو رجل صالح كان يلت السويق للحاج... إلخ".

(١) أي أن قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ... ﴾ يدل على قبح فعلهم إذ كيف يصرفون العبادة إلى من لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر؟.
وأما الأول فلعل مراده قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا... ﴾ والمقصود تظليم المشركين في إثبات الشركاء لله تعالى، أو يكون مراده قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ففيها إبطال لقول المشركين كما سبق. والله أعلم.

(٢) انظر: الأصنام لابن الكلبي ص(٣١)، تفسير الطبري (٣٤/٢٧)، أخبار مكة للفاكهي (١٦٤/٥)، تفسير القرطبي (٩٩/١٧).

وهبل[1]، قال أبو سفيان يوم أحد بعدما ظهر في المسلمين انكسار: "اعل هبل، اعل هبل" فقال رسول الله ﷺ لأصحابه "ألا تجيبونه؟" قالوا: "ماذا نقول؟" قال: "قولوا: الله أعلى وأجل"، ثم قال: "لنا عزى ولا عزى لكم" قال رسول الله ﷺ: "ألا تجيبونه؟" قالوا: "ماذا نقول؟" قال: "قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم"[2]،والقول بأن إسافاً ونائلة كانتا صنمين لأهل مكة[3] ليس كذلك، بل كانا رجلاً وامرأة زنيا في جوف الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فجعل إساف على الصفا ونائلة على المروة ليكونا عبرة لمن رآهما[4] كذا رواه البخاري[5].

---

(١) انظر: الأصنام لابن الكلبي ص(٣٣، ٣٤)، السيرة النبوية لابن هشام (٨٦/٤)، تفسير الطبري (٣٤/٢٧)، أخبار مكة للأزرقي (١/١٥٠-١٥٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد (٢٩/٥) عن البراء -ﷺ-.

(٣) مراد المؤلف بالقائل هنا الزمخشري، فقد ذكر ذلك في تفسيره (١٢٣/٣).

(٤) كذا في الأصل، وباقي النسخ: يراهما.

وفي حاشية الأصل وَ ص: إساف اسم الرجل ونائلة اسم المرأة كانا من جرهم. منه.

انظر: الحاشية التالية.

(٥) لم أجده في مظانه من الصحيح. والله أعلم.

وقد رواه ابن إسحاق عن عائشة -رضي الله عنها- بسند صحيح قالت: "ما زلنا نسمع أن إسافاً =

ونائلة كانا... الحديث" (السيرة لابن هشام ١/١١٧)، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص(٤٩) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "زعم أهل الكتاب أنهما (إساف ونائلة) زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عُبدا من دون الله تعالى".

وكونهما كانا كذلك -إن صح- لا يمنع أن يكونا قد عُبدا كما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وكما روى مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- وفيه: "... أن الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين على شط البحر يقال لهما إساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة... الحديث" رواه مسلم، كتاب الحج، باب أن السعي ركن لا يصح الحج إلا به (٩/٢١ بشرح نووي).

وقد صوَّب القاضي عياض أنهم كانوا يهلون لمناة التي كانت على شط البحر وأن إسافاً ونائلة كانتا على الصفا والمروة كما هو المعروف، كذا نقله النووي عنه في شرح مسلم (٩/٢١-٢٢)، قال ابن حجر في فتح الباري (٣/٥٠٠): "فكأنهم كانوا يهلون لمناة فيبدؤون بها ثم يطوفون بين الصفا والمروة لأجل إساف ونائلة".

وقد ذكر ابن حجر (الموضع السابق) مجموعة من الأحاديث التي تدل على أن أهل الجاهلية كانوا يعظمون هذين الصنمين ويتمسحون بهما ويهلون لهما.

وانظر أيضاً: الأصنام لابن الكلبي ص(٢٥).

فائدة: قال ابن إسحاق: "هو إساف بن بَغْي، ونائلة بنت ديك". اهـ. السيرة لابن هشام =

﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ وهو الشريك أو شفاعته لكم(1)؛ لأن ما لا يعلمه الله لا وجود لـه لشمول علمه فلو وجد لعلمه، طريقٌ برهاني بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم(2).

﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تأكيد للنفي بناء على العرف يقولون لدى الإنكار لشيء: ليس هذا في السماء ولا في الأرض، أو إلزامي لاعتقاد

(١١٧/١).

وقال الكلبي في الأصنام ص(٢٥): "إساف بن يعلى، ونائلة بنت زيد من جرهم" اهـ.

وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢/٩)، لسان العرب (أسف) (٦/٩).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٣١/١).

وليس بينهما تعارض فإن المقصود شركاء يشفعون.

(٢) قال ابن القيم في بدائع الفوائد (١٥٥/٤): "فهذا نفي لما ادعوه من الشفعاء بنفي علم الرب تعالى بهم المستلزم لنفي المعلوم، ولا يمكن أعداء الله المكابرة وأن يقولوا قد علم الله وجود ذلك؛ لأنه تعالى إنما يعلم وجود ما أوجده وكوَّنه ويعلم أنه سيوجد ما يريد إيجاده فهو يعلم نفسه وصفاته ويعلم مخلوقاته التي دخلت في الوجود وانقطعت والتي دخلت في الوجود وبقيت والتي لم توجد بعد، وأما شيء آخر غير مخلوق لـه ولا مربوب فالرب تعالى لا يعلمه لأنه مستحيل في نفسه فهو يعلمه مستحيلاً لا يعلمه واقعاً... إلخ".

المشركين ذلك[1]، أو أريد بهما جهة[2] العلو والسفل[3] ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ عن إشراكهم أو ما يشركونه به[4].

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ في عهد آدم قبل قتل هابيل[5]، أو زمن نوح بعد السفينة إذ لم يذر الله على الأرض من الكافرين دياراً[6]، أو زمن

(١) قال القزويني في الكشف (١٦/أ) -تعليقاً على قول الزمخشري (١٢٣/٣): "لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم" - : "أي على زعم المخاطبين الكافرين فإنه كلام للإلزام".

(٢) كذا في الأصل، وباقي النسخ: جهتا.

(٣) انظر: حاشية الشهاب (٢٧/٥)، روح المعاني (١٢٩/١١).

(٤) أي أن "ما" في قوله: ﴿ عَمَّا ﴾ مصدرية أو موصولة.

انظر: الكشاف (١٢٣/٣)، تفسير البيضاوي (٤٣١/١)، البحر المحيط (١٣٨/٥).

(٥) وهذا القول رواه ابن جرير عن مجاهد (٤٦/١٥)، وذكره الواحدي في الوسيط (٥٤٢/٢) عنه وعن السدي.

(٦) رواه البغوي (٢٤٣/١) عن الكلبي، وذكره ابن الجوزي (٢٢٩/١) عن مقاتل.

إبراهيم كانوا كلهم كفاراً(١) ﴿ فَٱخْتَلَفُوا ۚ ﴾ بعد ذلك الاتفاق على الحق أو الباطل وصاروا فرقتين(٢) ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ قضية قضاها

---

(١) في حاشية الأصل وَ ص: كما دل عليه قوله لسارة حين أرادها الكافر: ليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك، رواه البخاري. منه.

انظر: تخريج الحديث ص(١٠٣٧).

وهذا القول ذكره الواحدي في الوسيط (٥٤٢/٢)، وابن الجوزي (٢٢٩/١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال الواحدي: من رواية الكلبي. اهـ.

وعن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين". رواه ابن جرير (٢٧٥/٤)، والحاكم في المستدرك (٥٤٦/٢-٥٤٧) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه". ووافقه الذهبي. وقال بهذا القول عكرمة وقتادة وغيرهما.

(٢) هل اختلفوا بعد اتفاقهم على الحق أو بعد اتفاقهم على الباطل؟ قولان مرتبان على الأقوال التي ساقها المؤلف -رحمه الله- قبل ذلك، والأرجح أنهم اختلفوا بعد أن كانوا أمة واحدة على الحق.

قال ابن كثير -بعد أن ذكر قول ابن عباس المذكور في الحاشية السابقة- "وهو أصح سنداً ومعنى لأن الناس كانوا على ملة آدم -عليه السلام- حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحاً -عليه السلام- =

في الأزل بأن يكون الدار الآخرة دار القضاء ومحل الجزاء(١) ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ في هذه الدار ﴿ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ بأن يُثاب المحق ويُعاقب المبطل.

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي: من الآيات المقترحة ﴿ وَقَالُواْ(٢) لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ

فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض". اهـ. (١/٣٦٥).

وانظر: تفسير البغوي (١/٢٤٣).

(١) روى نحوه البغوي (٤/ ١٢٧) عن الحسن، وذكره الزمخشري (٣/١٢٣)، والبيضاوي (١/٤٣١) وغيرهما.

وقيل: الكلمة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه.

قال ابن كثير (٤/١٩٣): "أي لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لقضي بينهم فيما فيه اختلفوا فأسعد المؤمنين وأعنت الكافرين". اهـ.

وانظر: زاد المسير (٤/١٧).

(٢) في النسخ كتبت الآية دون "واو".

تكُونَ[1] لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ ﴾[2] إلى غير ذلك عناداً وتمادياً في الضلال وإلا ففي القرآن النازل بلسانهم آيات لا تعد ولا تحصى[3]. عبر[4] بالمضارع وإن كان القول منهم ماضياً واقعاً لأنهم مستمرون على ذلك[5].

﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ مختص به لا سبيل لأحد إليه فلو اقتضت حكمته إنزال ما تسألونه لأنزل ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ العذاب والهلاك[6] ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ للعذاب النازل عليكم.

---

(١) في الأصل: "تكون"دون نقط، وفي باقي النسخ: يكون.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان (٩٠-٩١).

(٣) انظر: الكشاف (٣/١٢٣-١٢٤).

(٤) ق: وعبر.

(٥) انظر: فتوح الغيب ص(٤٥)، الكشف للقزويني (١٦/أ).

(٦) قاله الطبري (١٥/٤٨)، وابن عطية (٣/١١٢)، والطيبي في فتوح الغيب ص(٤٦) وغيرهم، وقال الواحدي في الوسيط (٢/٥٤٢)، والبغوي (٤/١٢٧)، والزمخشري (٣/١٢٤)، والبيضاوي (١/٤٣١) وغيرهم: انتظروا نزول ما اقترحتموه من الآيات.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾ [يريد][1] المشركين الناكبين عن الشكر[2] ﴿ مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ ﴾ مرض أو قحط، وفي إسناد الإذاقة في الرحمة دون الضر شأن لا يخفى[3].

---

(١) ساقطة من ص وَ ق.

(٢) ق: الشرك، وهو خطأ.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٤٩)، معاني القرآن للنحاس (٣/٢٨٤).

قال ابن عطية (٣/١١٢): "المراد بـ ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ في هذه الآية الكفار وهي بعد تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه".

وانظر: تفسير ابن كثير (٤/١٩٥)، البحر المحيط (٥/١٤٠).

(٣) وذلك أن أفعال الرب تبارك وتعالى كلها رحمة وبر وإحسان وخير، والشر والضر إنما هو باعتبار المخلوق، أما فعل الرب فإنه لا شر فيه بوجه من الوجوه فإنه تعالى لــه الكمال المطلق في ذاته وأوصافه وأفعاله، وما يفعله من العدل والعقوبة بمن يستحق العقوبة فهو خير محض، وإنما يكون شراً بالنسبة إليهم، فالشر وقع في تعلقه بهم لا في فعله القائم به تعالى.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "نحن لا ننكر أن الشر يكون في مفعولاته المنفصلة فإنه خالق الخير والشر، ولكن هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال:

أحدهما: أن ما هو شر أو متضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً، لا يكون وصفاً لــه ولا =

﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ﴾ احتيال في دفعها والتكذيب بها. دعا عليهم(١) وقال: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فقحطوا حتى أكلوا الميتة والجيف وكان الرجل ينظر إلى السماء فيرى دخاناً من شدة الجوع فجاء أبو سفيان وقال: "يا محمد إنك تأمر بصلة الرحم وإن قومك فيما هم فيه فادع الله أن يسقيهم" [فدعا فسقوا فعادوا إلى التكذيب(٢) وأن ذلك باستحقاقهم لابدعائه وقالوا: "سقينا بنوء كذا"(٣).

فعلاً من أفعاله.

الثاني: أن كونه شراً هو أمر نسبي إضافي فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه". بدائع الفوائد (٢/٢١٠).

وانظر: ما يأتي ص(٦٩٤)، روح المعاني (١١/١٣٥).

(١) ق: دعاؤهم عليهم.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة الدخان، باب ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (٦/٤٠) عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- بنحوه.

(٣) عن زيد بن خالد الجهني قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته =

فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ... الآية ﴾ (٥/٦١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (١/٨٣ رقم ١٢٥).

تنبيه: ذكر الزمخشري (٣/١٢٤) في هذه الآية قولين فقال: "طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ﷺ ويكيدونه... وقيل: مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا".

وما ذكره الزمخشري والمؤلف أولاً هو معنى ما رواه ابن جرير (١٥/٤٩) عن مجاهد -وقال به- قال: استهزاء وتكذيب.

والقول الثاني قاله مقاتل بن حيان كما ذكر ذلك ابن الجوزي (٤/١٨) وغيره.

وقد أحسن المؤلف -رحمه الله- حين جمع بين القولين لأنه لا تعارض بينهما. والله أعلم.

مسألة: النوء جمعه: الأنواء، وهي منازل القمر.

انظر: مادة (نوأ) النهاية (٥/١٢٢)، لسان العرب (١/١٧٤).

مسألة: نسبة السقيا إلى الأنواء على أقسام:

الأول: اعتقاد أن الأنواء هي الفاعلة والمنزلة للمطر بنفسها فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

الثاني: اعتقاد أن الأنواء سبب في نزول المطر فهذا شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس سبباً سبباً.

الثالث: أن ينسب السقيا إلى النوء نسبة وقت فيقول: مطرنا في نوء كذا أي في هذا الوقت فهذا جائز.

وانظر: فتح المجيد (٢/٥٣٩)، القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/١٥٧).

﴿ إِذَا ﴾ الأولى شرطية والثانية فجائية جوابها لقيامها مقام الفاء][1].

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ دبر جزاء مكركم[2] قبل وقوعه، ولما دلت المفاجأة على السرعة ظهر وجه التفضيل[3]، والمكر[4] منه تعالى استدارجهم[5] وإطلاقه عليه للمشاكلة[6].

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

وانظر: معاني القرآن للفراء (٤٥٩/١)، معاني القرآن للزجاج (١٢/٣)، الكشاف (١٢٤/٣)، تفسير البيضاوي (١٤٣٢). قال ابن مالك في ألفيته:

وتخلف الفاءَ إذا المفاجأة ....

قال ابن عقيل في شرحه (٣٧٦/٢): "إذا كان الجواب جملة اسمية وجب اقترانه بالفاء، ويجوز إقامة (إذا) الفجائية مقام الفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ سورة الروم، من الآية (٣٦)". اهـ.

(٢) ق: مكرهم.

(٣) ق: التفصيل. والصواب المثبت أعلاه.

وانظر: الكشاف (١٢٤/٣).

(٤) ق: المكر. بحذف الواو.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (٤٣٢/١).

(٦) قال السكاكي في مفتاح العلوم ص(٤٢٤) في بيان معنى المشاكلة:

=

"هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته".

والقول بأن إطلاق المكر هنا للمشاكلة خلاف الصواب، وهو جارٍ على مذهب الأشاعرة الذين يؤولون صفات الله تعالى عن ظاهرها بناءً على أن إثباتها لله تعالى يستلزم التشبيه وأنها مما ينزه الله تعالى عنه، والصواب أنها من الصفات التي تُثبت لـه تعالى كما جاء في النصوص، والمكر قد يكون صفة مدح وقد يكون صفة ذم ولذا لم يأت في النصوص ذكره مطلقاً وإنما على سبيل المقابلة لمكر الماكرين ونحو ذلك كقوله تعالى ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة آل عمران، من آية (٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة النمل، من الآية (٥٠) فلا يوصف بذلك تعالى مطلقاً كما لا يخبر عنه به مطلقاً فلا يقال: إن الله يمكر ولا يقال: إن الله ماكر ولكن يُثبت ما جاء في النصوص؛ لأنه في هذه الحالة يكون صفة كمال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية: "ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل... وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص... وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتابه... وقوله: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ سورة الرعد، من الآية (١٣)، وقوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة آل عمران، الآية (٥٤)، وقوله: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة النمل، الآية (٥٠)، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الطارق، الآيتان (١٥-١٦)..." الفتاوى (٣/١٢٩-١٣٤).

وراجع ما سبق ص(٨٧-٨٨).

﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ مكركم أو ما مكرتموه[1] لا يخفى عليهم شيء منه فضلاً عن خفائه علينا[2]. وفيه مع الوعيد إيماء إلى جهلهم بعلام الغيوب وشمولِ علمه.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ يخلق [فيكم][3] دواعي السير [فيهما][4]، وقرأ ابن عامر: ﴿يَنْشُرُكُم﴾[5] أي: يبثكم فيهما، وقراءة[6] العامة أعم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ أي: بكم، وإنما التفت إلى الغيبة ليذكر سوء فعلهم لمن يسمع ويعلم ضلالتهم[7]، وليس ما بعد ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾

---

(١) ق: أو مكرتموه.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٤٣٢/١).

(٣) ساقط من ص.

(٤) ساقطة من الأصل، وأثبتها من باقي النسخ.

(٥) انظر: السبعة ص(٣٢٥)، التيسير ص(٩٩).

(٦) ق: قراءة، بحذف الواو.

(٧) انظر: الكشاف (١٢٦/٣).

في حاشية الأصل وَ ص: وفيه رمز إلى جريانها بأمر الله ليس لمن فيها أثر، حضورهم وعدم حضورهم سواء.

وحده -وهو الكون في الفلك- غاية للسير ليتوهم اتحاد الغاية(1) [بل الغاية](2) الشرطية/ وما في حيزها من الجمل المتعاطفة(3)، نظيره ما سيأتي في قوله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾(4).

﴿ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ لا تزعج الراكب، الباء للسببية والأولى للملابسة(5) ﴿ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ بتلك الريح ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ شديد هبوبها ولذلك لم

قلت: وليس في هذا نفي قدرة العبد، فإن العبد لـه قدرة ولكنها غير خارجة عن قدرة الله تعالى فهو خالق العباد وخالق أفعالهم. وراجع ما تقدم ص(١٧).

(١) في الأصل وَ ص وضعت هنا علامة ومقابلها في الحاشية عبارة: "وذي الغاية" والكلمة الأولى ليست واضحة بدرجة كافية. والله أعلم.

(٢) ساقط من ق.

(٣) قال الزمخشري (١٢٥/٣): "لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ بما في حيزها، كأنه قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة، وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء بالإنجاء". اهـ.

وانظر: فتوح الغيب ص(٥٠).

(٤) سورة يونس، من الآية (٢٤)، وانظر ما يأتي ص(٥٢٩).

(٥) ومراده بالأولى أي الباء في قوله: ﴿ جَرَيْنَ بِهِم ﴾.

وانظر: البحر المحيط (١٤٢/٥)، الدر المصون (١٧٢/٦)، روح المعاني (١٣٩/١١).

تؤنث[1]، وأصلُ العصفِ: الكمالُ في كل شيء، يقال ناقة "عصوف" إذا كانت سريعة المشي[2] ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ من سائر الجهات.

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ[3] بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ بدل من ﴿ ظَنُّوٓاْ ﴾ بدل الاشتمال لأن دعاءهم من لوازم ظنهم[4]، ويحتمل الاستئناف كأنه قيل: ماذا صنعوا بعد تلك الحالة؟[5] وأما جعل "جاءت" حالاً و ﴿ دَعَوُاْ ﴾ جواباً للشرط فلا يستقيم لأن فرحهم بالريح الطيبة لم يكن في حال مجيء

---

(١) كذا في الأصل، وباقي النسخ: يؤنث.

والمراد أن ﴿ عَاصِفٌ ﴾ نعت سببي لـ ﴿ رِيحٌ ﴾، والنعت السببي لا يوافق المنعوت في التذكير والتأنيث وإنما يوافق ما بعده، فهنا لم يوافق الريح التي هي مؤنثة وإنما وافق الهبوب الذي هو مذكر. والله أعلم.

(٢) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (عصف) (٣٢٨/٤): "العين والصاد والفاء أصل واحد صحيح يدل على خفة وسرعة...".

وانظر: لسان العرب (عصف) (٢٤٧/٩).

(٣) في الأصل: قد أحيط. وهو خطأ، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) قاله الزمخشري (١٢٦/٣)، والنص على أن البدل اشتمال من كلام البيضاوي (٤٣٢/١).

(٥) ذكره أبو حيان (١٤٣) نقلاً عن شيخه أبي جعفر بن الزبير.

العاصفة[1]. أي: إذا شاهدوا أسباب الهلاك لم يذكروا آلهتهم ووحدوا الله ولم يخطر ببالهم غيره ورجعوا إلى الفطرة التي فطر الناس عليها[2]، والإحاطة كناية عن

---

(١) انظر: الكشف للقزويني (١٦/أ).

(٢) وقد ذكر الله هذه الحقيقة عن الكفار في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة العنكبوت، الآية (٦٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ سورة لقمان، من الآية (٣٢).

وبهذا يتبين شدة ضلال المشركين المتأخرين الذين يشركون في السراء والضراء والشدة والرخاء ولا يتوبون إلى الله تعالى. قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-: "إن الأولين يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون... وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله فإذا عرفت هذا فاعرف أن شرك المشركين الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ أخف من شرك أهل زماننا لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدة والرخاء". الدرر السنية (٢/٢٠).

وقال الشوكاني: "وفي هذا دليل على أن الخلق جُبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافراً. وفي هذه الآية بيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة وما يشابهها. فيا عجباً لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات! فإذا عرضَتْ لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات و لم يخلصوا الدعاء لله كما فعل =

الموت مأخوذة من إحاطة العدو [1].

﴿ [2] لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ علـــى

المشركون، كما تواتر ذلك إلينا تواتراً يحصل به القطع. فانظر -هداك الله- ما فعلتْ هذه الاعتقادات الشيطانية؟ وأين وصل بها أهلها؟ وإلى أين رمى بهم الشيطان؟ وكيف اقتادهم وتسلط عليهم؟ حتى انقادوا لــه انقياداً ما كان يطمع في مثله ولا في بعضه من عباد الأوثان، فإنا لله وإنا إليه راجعون". فتح القدير (٢/٤٣٥)، وانظر: روح المعاني (١١/١٤٢).

(١) هنا في ق تقديم وتأخير في الكلام وهو كالتالي:

﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ رجعوا إلى الفطرة التي فطر الناس عليها، أي إذا شاهدوا أسباب الهلاك لم يذكروا آلهتهم ووحدوا الله ولم يخطر ببالهم غيره، بدل من ﴿ ظَنُّوٓاْ ﴾ بدل الاشتمال لأن دعاءهم من لوازم ظنهم، ويحتمل الاستئناف كأنه قيل: ماذا صنعوا بعد تلك الحالة؟ وأما جعل (جاءت) حالاً و ﴿ دَعَوُاْ ﴾ جواباً للشرط فلا يستقيم لأن فرحهم بالريح الطيبة لم يكن في حال مجيء العاصفة التي فطر الناس عليها، والإحاطة كناية عن الموت مأخوذة من إحاطة العدو.

(٢) ص: بزيادة واو قبل الآية.

تقدير القول أي: قائلين هذا الكلام، أو هو مفعول ﴿ دَعَوُا ﴾لأنه في معناه[1].

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ ﴾ أجاب دعاءهم ﴿ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فاجاؤوا الإفساد[2] في جهات الأرض وأطرافها كأن لم يشاهدوا ذلك الأمر يوماً.

﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ قيّد به لأن الإفساد إخراج الشيء عن صلاحه وقد يكون بحق كما فعله رسول الله ﷺ من إحراق زروع بني النضير وتخريب بيوتهم[3]،

---

(١) انظر: الكشاف (١٢٦/٣)، تفسير البيضاوي (٤٣٢/١).

(٢) انظر: المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة الحشر، باب ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ (٥٨/٦)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها (١٣٦٥/٣ رقم ١٧٤٦) عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-.

وانظر في خبر غزوة بني النضير: المغازي للواقدي (٣٦٣/١)، السيرة النبوية لابن هشام (٢١٠/٣).

قال الزمخشري: "﴿ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يفسدون فيها، ويعبثون متراقين في ذلك ممعنين فيه من قولك: بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ والبغي لا يكون بحق؟.

قلت: بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة، وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقطع =

وكذلك الحكم في أموال الكفار إذا لم يرج حصولها للمسلمين[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ وبالُه لاحقٌ بها أو على أمثالكم لأن من بغيتم عليه من أبناء جنسكم، كلكم أولاد آدم[2] ﴿ متاعُ الحياة الدنيا ﴾ رفع على أنه خبر ﴿ بَغْيُكُمْ ﴾ والجار والمجرور صلة، والمعنى: تعدي بعضكم على بعض انتفاع قليل فيضمحل ويبقى عقابه[3].

أشجارهم كما فعل رسول الله ﷺ ببني قريظة". اهـ. الكشاف (١٢٦/٣).

كذا قال في "بني قريظة" والمعروف أن ذلك في غزوة بني النضير كما قال المؤلف.

قال أبو حيان: "ولا يصح أن يقال في المسلمين: إنهم باغون على الكفرة، إلا إن ذكر أن أصل البغي هو الطلب مطلقاً ولا يتضمن الفساد، فحينئذٍ ينقسم إلى طلب بحق وطلب بغير حق، ولما حمل ابن عطية البغي هنا على الفساد قال: أكد ذلك بقوله ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾". اهـ. (١٤٣/٥).

وانظر: المحرر الوجيز (١١٣/٣).

(١) كذا في الأصل، وسائر النسخ: للمسلم.

(٢) انظر: الكشاف (١٢٧/٣)، تفسير البيضاوي (٤٣٢/١).

(٣) وهذا التوجيه على قراءة (متاعُ) بالرفع، وهي قراءة السبعة إلا حفصاً كما سيبين المؤلف.

انظر: معاني القرآن للزجاج (١٤/٣)، إعراب القرآن للنحاس (٥٥/٢)، مشكل إعراب القرآن (٣٧٧/١)، البيان لابن الأنباري (٤٠٩/١)، الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

وقرأ حفص ﴿ مَّتَٰعَ ﴾ بالنصب[1] على أنه مصدر فعل مقدر أي: يتمتعون متاع الحياة الدنيا[2]، أو مفعول به للفعل المذكور[3]، أو مفعول لـه والخبر محذوف والمعنى: بغيكم على أمثالكم لانتفاع قليل البقاء قبيحٌ[4]، والرفع هو المختار لسلامته عن الحذف.

﴿ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ بالموت أو يوم القيامة ﴿ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ

(١) انظر: السبعة ص(٣٢٥)، التيسير ص(٩٩).

(٢) ويكون قوله: ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾ خبراً لقوله: ﴿ بَغۡيُكُمۡ ﴾،

وانظر: معاني القرآن للزجاج (١٤/٣)، الحجة لأبي علي الفارسي (٢٦٧/٤)، إعراب القرآن للنحاس (٥٦/٢)، الكشاف (١٢٧/٣)، البيان لابن الأنباري (٤١٠/١).

(٣) وقد ذكر هذا الوجه العكبري في التبيان (٦٧٠/٢)، والبيضاوي (٤٣٢/١) وغيرهما.

قال العكبري: "﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾ ليس بخبر لأن المصدر لا يعمل فيما بعد خبره، بل ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾ متعلق بالمصدر والخبر محذوف تقديره: طلبكم متاعَ الحياة الدنيا ضلال ونحـــو ذلك". اهـــ.

وقال البيضاوي: "... أو مفعول البغي لأنه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته، والخبر محذوف تقديره: بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال". اهـــ.

(٤) انظر الأوجه في: مشكل إعراب القرآن (٣٧٧/١)، الدر المصون (١٧٤/٦-١٧٥).

﴿ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ بالجزاء عليه[1].

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بيَّن أن ما يتعدى لأجله الناس بعضهم على بعض هو المتاع القليل الذاهب السريع الزوال، وكشف القناع عن ذلك وأوضحه بما لا مزيد عليه.

﴿ كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: حالها العجيبة في سرعة تقضيها[2]، وزوال نعيمها بعد إقبالها مثل حال ماء نزل من السماء فاشتبك بسببه نبات الأرض واختلط بعضه مع بعض ﴿ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ من سائر أنواعه.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ مثَّل الأرضَ بالعروس لابسةً أنواع الملابس الفاخرة متزينة بأصناف الزينة من أنواع الحلي[3]،

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٢).

(٢) كذا في ص، وفي باقي النسخ "نقضها"، والمثبت من ص هو الموافق لما في الكشاف (٣/١٢٩)، وتفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٣) انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها).

وأصل ﴿ وَٱزَّيَّنَتۡ ﴾: تزينت أدغمت التاء في الزاء فاجتلبت الهمزة للابتداء بها[1].

﴿ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ ﴾ متمكنون من الانتفاع بها رعياً وحصداً.

﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ أي: ما أمرنا[2] بإهلاكها من برد أو صاعقة أو خسف كما فعل بصاحب الجنتين ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾[3].

﴿ فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا ﴾ جعلنا زرعها كأنه محصود في قطعه واستئصاله[4].

﴿ كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴾ كأن لم يقم ولم يلبث زرعها، مِنْ غَنِيَ

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٥).

(٢) ق: أي أمرنا.

(٣) سورة الكهف، من الآية (٤٢).

(٤) انظر: الكشاف (٣/١٢٩).

بالمقام إذا أقام[1] [به][2]، قال الأعشى[3]:

.... طَويلَ الثَّوَاءِ[4] طَويلَ التَّغَنّ[5]

والأمس مثل في الوقت القريب[6]، والمشبَّه به مضمون الجمل المذكورة ووجه الشبه منتزع منها كلها، وهي عشر جمل[7].

---

(١) ص: إذا قام.

(٢) ساقطة من ص وَ ق.

وانظر: تهذيب اللغة (غني) (٢٠٢/٨).

(٣) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، من شعراء الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، لقب بالأعشى لضعف بصره، أدرك الإسلام و لم يسلم، مولده ووفاته بنجد.

انظر: الشعر والشعراء (٢٥٧/١)، الأعلام (٣٤١/٧).

(٤) ق: الثناء.

(٥) عجز بيت وصدره:

وكنتُ أمرأً زمناً بالعراقِ ....

والمعنى: أنه مكث وأقام زمناً طويلاً.

انظر البيت في: ديوانه ص(١٩٦)، الكشاف (١٣٠/٣).

(٦) نظر: الكشاف (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (٤٣٣/١).

(٧) لعل مراده بالجمل العشر: ١- كماء. ٢- أنزلناه من السماء. ٣- فاختلط به نبات =

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ مثل هذا التفصيل الواضح نفصل سائر الآيات.

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ في معاني الآيات ودقائقها فإنهم المتفعون بها.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: كل أحد مؤمناً كان أو كافراً، ودار السلام [هي][1] الجنة لعدم الأمراض والآفات فيها[2]، أو لأنها دار الله والسلام من أسمائه تعالى، وتخصيصه بالذكر هنا لا يخفى موقعه من الحسن[3]، أو لأن الملائكة

الأرض. ٤- مما يأكل الناس والأنعام. ٥- حتى إذا أخذت الأرض زخرفها.

٦- وازينت ٧- وظن أهلها أنهم قادرون عليها. ٨- أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً.

٩- فجعلناها حصيداً. ١٠- كأن لم تغن بالأمس.

(١) ساقطة من ق.

(٢) جوَّزه الزجاج في معاني القرآن (٣/١٥).

(٣) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما-، والحسن وقتادة والسدي والزجاج والطبري والزمخشري وغيرهم.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٥)، تفسير الطبري (١٢/١١٤، ١٥/٥٩)، زاد المسير (٣/١٢٢)، الكشاف (٣/١٣٠).

تحيي المؤمنين به حين الدخول[1] أو الله تعالى[2].

﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ يخلق الهداية والتوفيق لمن سبقت عنايته به، والصراط المستقيم هو الإسلام، والدعاء الدلالة[3] إلى ذلك الطريق لا غير[4]، وفيه دليل على أن الأمر ليس عين الإرادة[5] وأن الضـــال لم يرد الله

---

(١) كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ سورة الرعد، من الآيتين (٢٣، ٢٤).

(٢) كما قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة يس، الآية (٥٨).

وانظر الأقوال في : تفسير البغوي (١٢٩/٤)، الكشاف (١٣٠/٣)، زاد المسير (١٢٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٣٣/١).

(٣) ص: للدلالة.

(٤) فالعباد كلهم مؤمنهم وكافرهم قد دعاهم الله تعالى على ألسنة رسله وهداهم إلى الحق -هداية الدلالة- وبيّنه لهم كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة البلد، الآية (١٠) ثم منهم من يوفقه للإيمان بمنه وفضله ويهديه للتوحيد، ومنهم من يحرمه منه بعدله تعالى وهذا النوع من الهداية هو المقصود في قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

(٥) أي الأمر الشرعي ليس عين الإرادة الكونية فقد يأمر الله تعالى بما لم يرده كوناً و لم يقدره -لحكمة يعلمها جل وعلا- كما أمر أبا جهل بالإيمان والتوحيد ولكنه لم يرده منه كوناً ولذا لم يقدر له =

هدايته[1].

الإيمان، فإنَّ كل ما يجري في الكون إنما هو بإرادة الله ومشيئته لا رادَّ لأمره تعالى.

ومما ينبغي أن يعلم هنا أن الإرادة في كتاب الله تعالى على نوعين:

الأول: الإرادة الدينية الشرعية كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ سورة البقرة، من الآية (١٨٥)، وقوله: ﴿ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ سورة المائدة، من الآية (٦).

الثاني: الإرادة الكونية كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ سورة الأنعام، من الآية (١٢٥)، وقال تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ سورة البقرة، من الآية (٢٥٣).

ومثل هذا التقسيم للإرادة الأمر والإذن والكلمات ونحوها.

انظر: الفتاوى لابن تيمية (٥٨/٨، ٤٤٠)، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٢٢/١).

(١) انظر: من قول المؤلف: "وفيه دليل..." في تفسير البيضاوي (٤٣٣/١)، ومعنى أن الله لم يــرد هدايته أي: كوناً، فإنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ سورة الإنسان، من الآية (٣٠) ففيه رد على القدرية النفاة الذين ينفون خلق الله لأفعال العباد. كما أنه ليس فيه متمسك للجبرية الذين يسلبون عن العبد القدرة والإرادة بل العبد لــه قدرة وإرادة ولكنها غير خارجة عن إرادة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة التكوير، الآية (٢٨). وهذا الإطلاق -أن الله لم يرد هداية الضال- غير مناسب لأنه خلاف ظاهر كثير من النصوص التي دعت إلى الإيمان وأن الله يريده من العباد ولكن على ضوء البيان السابق. وراجع ما يأتي في ص(٨٨٠-٨٨٣).

• ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ أخلصوا في إيمانهم ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة[1]، أو المثوبة الحسنى[2] ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ لقاء الله[3].

---

(١) هذا القول هو المروي عن كثير من السلف.

انظر: تفسير الطبري (٦٢/١٥ وما بعدها)، زاد المسير (٢٤/٤)، الدر المنثور (٣٥٦/٤).

(٢) انظر: الكشاف (١٣٠/٣)، تفسير البيضاوي (٤٣٣/١).

(٣) والصواب أن يقال: النظر إلى وجه الله، وهذا التفسير هو الثابت عن النبي ﷺ فيما رواه مسلم عن صهيب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم** -عز وجل-، ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾»، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم -سبحانه وتعالى- (١٦٣/١ رقم ٢٩٨).

وهو قول أبي بكر الصديق وأُبي بن كعب وحذيفة وأبي موسى وعبادة بن الصامت وابن عباس والحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي وغيرهم.

انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٤٥٠/١)، تفسير الطبري (٦٢/١٥)، تفسير أبي المظفر السمعاني (٣٧٨/٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي(٤٥٤/٣)، تفسير البغوي (١٣٠/٤)، حادي الأرواح ص(٢٠٥)، الدر المنثور (٣٥٦/٤).

وقيل: ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ جزاء العمل ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ عشر أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله[1].

وقيل: الزيادة رضوان الله لقوله ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[2].

﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ لا يصيبها غبار ﴿ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ بل مصونون محفوظون مما يشين ظاهرهم وباطنهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

---

(١) رواه ابن جرير (١٥/٧٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما من طريق العوفي- وعلقمة بن قيس والحسن.

وانظر: تفسير البغوي (٤/١٣٠).

(٢) سورة التوبة، من الآية (٧٢).

وقد وقعت العبارة في ق هكذا: وقيل الزيادة رضوان من الله أكبر.

وهذا القول رواه ابن جرير (١٥/٧٠)، والبغوي (٤/١٣٠) عن مجاهد بلفظ: مغفرة ورضوان.

والصواب في تفسير هذه الآية هو ما نقل عن المعصوم ﷺ وهو القول الأول، وأما بقية الأقوال فإن قيل: إنها داخلة في عموم ما يعطيه الله تعالى لأهل الجنة وما يزيدهم فنعم، وأما أن يراد أنها القول الصواب في تفسير الآية دون ما عداها فخطأ لا يجوز القول به، ولعل مراد من قالها من السلف أنها داخلة في عموم الآية بدليل أن أكثرهم روي عنه القول الأول. والله أعلم.

﴿ خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الموصوفون بتلك الصفات أصحاب الجنة حال كونهم خالدين لا موت ولا خروج.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ كلها وهم الكفار، عطف على قوله: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾، ﴿ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا ﴾ عطف على ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ بالعاطف الأول عطفاً على معمولي عاملين مختلفين، مثل: في الدار زيد والحجرة عمرو، أو التقدير: وجزاء الذين كسبوا السيئات على أنه مبتدأ و ﴿ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا ﴾ خبره[1]، والمعنى: أن المسيء لا يزاد على جزاء فعله، روى البخاري

---

(١) انظر: الكشاف (٣/١٣٢) -وقد قوّى الزمخشري الوجه الثاني وقال: "هذا أوجه من الأول".- التبيان للعكبري (٢/٦٧٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٣)، البحر المحيط (٥/١٤٩)، الدر المصون (٦/١٨٣).

قال الطيبي مبيناً هذين الوجهين: "**أحدهما**: أنه من عطف المفرد على المفرد، ووجهه أن ﴿ ٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ﴾ مجرور خبر لقوله: ﴿ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ ﴾ كما أن المعطوف عليه كذلك نحو قوله: "في الدار زيد والحجرة عمرو". **وثانيهما**: أنه من عطف الجملة على مثلها... لكن لابد من تقدير محذوف لأنه لا يجوز حمل الجزاء على المسيء فيقدر مضاف ليصح". اهـ، فتوح الغيب ص(٦٧).

ومسلم: «مَنْ همَّ بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومَنْ عملها كتبت له سيئة»[1].

﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ مَنْ يعصمهم من سخط الله وعذابه على أن ﴿ مِّنَ ﴾ صلة ﴿ عَاصِمٍ ﴾ [قدمت عليه، أو مالهم من عاصم][2] من جهة الله أو من عنده على أن الجار والمجرور حال قدمت، و ﴿ مِّنَ ﴾ الثانية زائدة على الوجهين[3].

﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ أي: جعل غشاء وجوههم قطعاً من الليل لفرط قتامها[4] وشدة ظلامها، وقرأ ابن كثير والكسائي

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو سيئة (١٨٧/٧)، ومسلم كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (١١٨/١ رقم ٢٠٧)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما-.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٣) انظر الوجهين في: الكشاف (١٣٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٣٣/١)، والوجه الأول هو ما ذكره جمع من المفسرين كالطبري (٧٣/١٥)، والواحدي في الوسيط (٥٤٥/٢) وغيرهما.

(٤) ق: غيامها.

وعلى هذه القراءة -﴿ قِطَعًا ﴾- فإن ﴿ مُظْلِمًا ﴾ حال من ﴿ ٱلَّيْلِ ﴾ لا حال من القطع ولا =

﴿قِطْعاً﴾ بإسكان الطاء[1] على أنه مفرد بمعنى القطعة[2] لأن كل وجه لـه قطعة، و ﴿ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ على الوجهين صفة ﴿ قِطَعًا ﴾ وكذا ﴿ مُظْلِمًا ﴾ على الإسكان [أو حال[3] لأن النكرة/ موصوفة][4] أو حال من المستتر في الجار والمجرور[5]. والمختار

صفة لــه.

قال مكي في الكشف: "وحجة من فتح (أي الطاء) أنه جعله جمع "قطعة" كدِمْنَة ودِمَن ففيه معنى المبالغة في سواد وجوه الكفار، ويكون ﴿ مُظْلِمًا ﴾ حالاً من ﴿ ٱلَّيْلِ ﴾، ولا يكون حالاً من "القطع" ولا من ضمير في ﴿ ٱلَّيْلِ ﴾لأن ذلك جمع و ﴿ مُظْلِمًا ﴾ واحداً". اهـــ. (١/٥١٧).

(١) انظر: السبعة ص(٣٢٥)، التيسير ص(٩٩).

(٢) وقيل: إنه بمعنى سواد آخر الليل وقيل: غير ذلك.

انظر: لسان العرب (قطع) (٨/٢٨٢)، البحر المحيط (٥/١٥٢).

(٣) في الأصل: أو لا حال.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

ومراده بالنكرة ﴿ قِطَعًا ﴾ وقد وصفت بالجار والمجرور ﴿ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾.

(٥) والتقدير: قطعاً كائن هو من الليل.

كما يجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿ مُظْلِمًا ﴾ حال من ﴿ ٱلَّيْلِ ﴾.

وانظر هذه الأوجه في: معاني القرآن للفراء (١/٤٦٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٦)، إعراب القرآن للنحاس (٢/٥٧)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٧٩)، الكشاف (٣/١٣٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٤)، التبيان للعكبري (٢/٦٧٣)، الدر المصون (٦/١٨٧).

فتح الطاء لعدم التأويل وللتناسب[1].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ ﴾ إذ لا حسنة لهم يجازون عليها، وبه خرج صاحب الكبيرة[2].

﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾ أي: الفريقين[3] ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ

---

(١) ص: التناسب، بحذف الواو.

ولعل مراده -رحمه الله- بقوله: عدم التأويل أننا لا نحتاج أن نقول: إن لكل وجه قطعة، كما في قراءة الإسكان، وأما التناسب فلأن ﴿ وُجُوهُهُمۡ ﴾ جمع، و ﴿ قِطَعٗا ﴾ جمع. والله أعلم.

(٢) فأعظم السيئات الكفر والإشراك بالله تعالى وهي التي يستحق صاحبها الخلود في النار، يقول ابن جرير الطبري (١٥/٧٣): "يقول تعالى ذكره: والذين عملوا السيئات في الدنيا فعصوا الله فيها وكفروا به وبرسوله جزاء سيئة من عمله السيئ الذي عمله في الدنيا بمثلها... إلخ".

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٤).

وكون الحشر المراد في الآية لجميع الخلق -المؤمن والكافر- هو قول الطبري (١٥/٧٧)، وابن كثير (٤/٢٠٠) وأبي حيان (٥/١٥٢) وغيرهم.

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد هنا حشر المشركين وآلهتهم وهو ظاهر ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- كما في زاد المسير (٤/٢٦).

وحمل الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي (٥/٤١) قول البيضاوي: "يعني الفريقين" بأن المراد فريقا الكفار من المشركين وأهل الكتاب.

مَكَانَكُمْ ﴾ أي: الزموا مكانكم؛ اسم فعل[1] ﴿ أَنتُمْ ﴾ مؤكد للضمير المستتر في ﴿ مَكَانَكُمْ ﴾ لأنه ساد مسدّ الزموا ﴿ وَشُرَكَآؤُكُمْ ﴾ عطف عليه[2]، والمعنى: لا تبرحوا مكانكم حتى تنظروا ماذا يفعل بكم وتشاهدوا عجز من عبدتموه عن تدبير نفسه فضلاً عن غيره.

﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ فرّقنا بين المشركين وشركائهم، من الزَيْلِ لغةٌ في الإزالة[3]، والمعنى: قطعنا الوُصَل[4] التي كانت بينهم.

﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ القائل المسيح والملائكة أو الأصنام[5] ينطقها الله زيادة في النكاية مكان الشفاعة التي كانوا

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٦/٣)، البيان لابن الأنباري (٤١١/١).

(٢) انظر: الكشاف (١٣٣/٣)، البيان لابن الأنباري (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (٤٣٤/١).

(٣) زيَّل: مضاعف زال المتعدي يقال: زال زيد عمراً عن مكانه يزيله أي: أزاله.

انظر: تهذيب اللغة (زول) (٢٥٣/١٣).

(٤) الوُصَلُ: جمع وُصْلَة بالضم، وهي الاتصال والذريعة.

انظر: لسان العرب (وصل) (٧٢٧/١١)، القاموس (وصل) ص(١٣٨٠).

(٥) قاله به الواحدي كما في الوسيط (٥٤٦/٢)، والبغوي (١٣١/٤)، وابن عطية (١١٧/٣)، =

يرجونها[1] كقوله تعالى: ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ﴾[2].

﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ تفريعٌ على قولهم المقدَّر، أي: فيقول المشركون: بل عبدناكم، وينكرون مقالة المعبودين فيقولون: كفى بالله شهيداً إن وقع[3] ذلك فإنه عالم بكنه الأشياء[4].

﴿ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ما كنا إلا غافلين لم نأمر بذلك ولم نرض به.

﴿ هُنَالِكَ ﴾ في ذلك المقام، أو الزمان مستعار لـه[5]، كقوله:

وأبو حيان (١٥٤/٥) وغيرهم.

وقال بالقول الأول الزمخشري في الكشاف (١٣٤/٣)، ولا مانع من عموم الآية للقولين.

وانظر القولين في: تفسير البيضاوي (٤٣٤/١).

(١) في ص زيادة كما يلي: يرجونها أخبر منه... إلخ. وهي زيادة لا وجه لها.

(٢) سورة البقرة، من الآية (١٦٦).

(٣) في ق: إن الله وقع.

(٤) في ص زيادة "واو" بعد كلمة "الأشياء".

(٥) ذهب البيضاوي (٤٣٤/١)، وأبوحيان (١٥٤/٥) والسمين الحلبي (١٩٢/٦) إلى أن المراد ذلك =

.... هُنالِكَ يَجْزيني الذي كنتُ أَصْنَعُ[1]

﴿ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ من البلاء بمعنى الاختبار[2]، أي:

المقام والموقف فهو ظرف مكان.

قال السمين الحلبي: "الظاهر بقاؤه على أصله من دلالته على ظرف المكان... وقيل: هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة... وإذا أمكن بقاء الشيء على موضوعه فهو أولى". اهـ.

وذهب الزجاج في معاني القرآن (١٦/٣)إلى أنه ظرف زمان.

وانظر: القولين في الكشاف (١٣٤/٣).

(١) عجز بيت للأعرج المَعْنِيّ وهو عدي بن عمرو بن سويد بن ريان، وصدره:

وقمتُ إليه باللجامِ مُيَسَّراً ....

والشاعر تلومه امرأته -كما يذكر قبل هذا البيت- على عنايته بفرسه وتقديمه للفرس على أهله باللبن فيقول: إن هذا الفرس سوف يجزيه جزاءً حسناً على هذه العناية حين الحرب إذا قام إليه باللجام.

انظر: الحماسة لأبي تمام (٢٠٤/١).

والشاهد منه أنه أتى بـ "هنالك" للزمان استعارةً.

(٢) رواه ابن جرير (٨١/١٥) عن مجاهد.

وانظر: معاني القرآن للفراء (٤٦٣/١)، مجاز القرآن (٢٧٨/١)، غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٩٦).

تعرف كل نفس حقيقة ما عملت من حسن وقبح(١) وقبول ورد(٢)، وقرأ حمزة والكسائي بتائين من فوق(٣) من التلو وهو التبعية(٤)، أي: تتبع(٥) عمله إما إلى الجنة أو إلى النار، أو ما كان يعبده لما روى البخاري: **«إذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبده وتبقى هذه الأمة وفيها(٦) منافقوها فيأتيهم الله في صورة لم يعرفوها [فيقول: أنا ربكم](٧) فيقولون: كلا لا نبرح مكاننا حتى يأتينا ربنا، فيكشف لهم عن الساق فيخرون لـه سجداً إلا من كان منافقاً فإنه لم يقدر على السجود ويصير ظهره طَبَقاً»**(٨).

---

(١) ص: وقبيح.

(٢) انظر: الكشاف (٣/١٣٤)، البحر المحيط (٥/١٥٥).

(٣) انظر: السبعة ص(٣٢٥)، التيسير ص(٩٩).

(٤) ق: التبيعة.

(٥) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/٢٧٨)، واختاره أبو حيان (٥/٥٥)، وغيره.

(٦) ق: ففيها.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٨) رواه مسلم مطولاً في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/١٦٣ رقم ١٨٣) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، ورواه البخاري كتاب الأذان، باب فضل السجود (١/١٩٥)، ومسلم (الموضع =

أو من التلاوة(1) لقوله: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾(2).

﴿ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ الثابت ولايته وربوبيته(3)، و الذي

السابق) من حديث أبي هريرة -ﷺ- دون قوله: "فيكشف لهم عن الساق... إلخ". والطبق عند مسلم بلفظ: "طبقة واحدة" وهو فقار الظهر أي صار فقارة واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود.

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٨/٣).

(١) قاله الفراء (٤٦٣/١)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٦)، ونقله الزجاج في معاني القرآن (١٧/٣)، وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٢٩٢/٣) عن الأخفش، ولم أقف عليه في معاني القرآن للأخفش، وقد قال -الأخفش- في معاني القرآن (٥٦٨/٢): "وقال بعضهم: (تتلو) أي: تتبعه".

وانظر القولين في: معاني القرآن للزجاج (الموضع السابق)، تفسير الطبري (٨١/١٥)، الكشاف (١٣٤/٣)، تفسير البيضاوي (٤٣٤/١).

(٢) سورة الإسراء، من الآيتين (١٣، ١٤).

(٣) قاله -بمعناه- الطبري (٨٢/١٥)، والبيضاوي (٤٣٤/١) وغيرهما.

يتولى ثوابهم وعقابهم من غير ظلم بل يجازي كلاً بعمله على قدره[1].

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝٣٠ ﴾ ضاع أو بطل[2] ما كانوا يدعونه من الشركاء أو من شفاعتهم[3].

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ بإنزال المطر من السماء والإنبات من الأرض. أردفه بأنواع أخر من دلائل التوحيد على وجه لا يقدرون على إنكار شيء منها.

﴿ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ يقدر على خلقهما غيره تعالى لأن عقول الخلق عاجزة عن إدراك ما أودع فيهما، أو حفظهما لأنهما جوهران لطيفان يتأثران بأدنى شيء[4].

---

(١) قال القرطبي (٨/٣٣٤): "قال ابن عباس: ﴿ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ أي الذي يجازيهم بالحق". ونحوه قال ابن كثير في تفسيره (٤/٢٠٢).

وانظر القولين في: الكشاف (٣/١٣٤).

(٢) ص: وبطل.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/٨٢)، الكشاف (٣/١٣٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٤).

(٤) انظر: الكشاف (٣/١٣٥)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق)، وقال أبو حيان في البحر =

﴿ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ الحيوان من النطفة(1) أو النبات من الحبة والنوى(2) ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ النطفة والحبة من الحيوان والنبات.

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ أمر العالم العلوي والسفلي؛ تعميم بعد التخصيص.

﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ لا يجدون جواباً غيره ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ بطشه وسطوته بإشراككم.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ﴾ أي: إذا اعترفتم أنه المنفرد بالإيجاد والكلاءة

(٥/١٥٥): "ثم ذكر ملكه لهاتين الحاستين الشريفتين... ومعنى ملكهما أنه متصرف فيهما بما شاء تعالى من إبقاء وحفظ وإذهاب...".

وليس بين ما ذكره المؤلف -رحمه الله- وما ذكره أبو حيان تعارض، فملكه -تعالى- للسمع والبصر شامل لهذا كله. والله أعلم.

(١) رواه ابن جرير (٦/٣٠٤) عن ابن مسعود -ﷺ- ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وغيرهم.

(٢) رواه ابن جرير (٦/٣٠٦) عن عكرمة.

فذلك الموصوف هو المنفرد بالألوهية والربوبية [﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ الثابت الربوبية][1] في الواقع لا من يسمونه.

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ لا شيء بعد الحق إلا الضلال لعدم الواسطة ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ عن الحق الأبلج، تعجيب[2] لهم عن حالهم.

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: كما حقت الربوبية لـه تعالى، أو كما أن بعد الحق الضلال، أو أنهم[3] مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه[4] ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ ﴾ تمردوا في الكفر وبلغوا الحد الأقصى[5] ﴿ أَنَّهُمْ لَا

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٢) ق: تعجب.

(٣) ص: أو كما أنهم.

(٤) ذكر البيضاوي في تفسيره (٤٣٥/١) الأقوال الثلاثة، ولم يذكر الزمخشري (١٣٥/٣) إلا الثاني والثالث، والأخير هو ما قاله الطبري في تفسيره (٨٥/١٦).

(٥) انظر: الكشاف (١٣٥/٣).

﴿ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ بدل من الكلمة أي: حق عليهم [كلمة][1] عدم الإيمان وانتفاؤه عنهم[2]، أو عدة لهم بالعذاب لقوله: ﴿ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] و ﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ تعليل لـه[4].

وفيه دلالة على أن أحقية العذاب ولزومه للكفار إنما كان لأجل انتفاء الإيمان فيدل على نجاة المؤمن وإن كان فاسقاً.

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ ﴾ أي: ليس فيهم من هذا شأنه، وهم وإن لم يقولوا بأن الإعادة من خواص الألوهية لعدم

---

(١) ساقطة من ص وَ ق.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٨/٣)، معاني القرآن للنحاس (٢٩٢/٣)، مشكل إعراب القرآن (٣٨١/١)، البيان لابن الأنباري (٤١١/١).

(٣) سورة الزمر، من الآية (٧١).

(٤) هذا معنى كلام الفراء (٤٦٣/١)، وجوَّزه الزجاج (١٨/٣)، والنحاس في معاني القرآن (٢٩٢/٣).

وانظر القولين في: الكشاف (١٣٥/٣)، تفسير البيضاوي (٤٣٥/١).

اعترافهم بالإعادة [رأساً][1]، لكن لظهور أمرها ووضوح برهانها جعل منكرها منكراً[2] لأمر مسلم لا يعبأ بإنكاره[3].

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ أمره بالجواب لأنهم بكمٌ لا ينطقون بالحق ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ فكيف تصرفون عن قصد السبيل؟[4].

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ تنزل معهم كأنه قيل: هم [عن][5] إبداء الخلق وإعادته بمعزل لكن أقل شؤون الإله وصفاته أن يكون مرشداً إلى الصواب، وقد سبق أن "هدى" يأتي لازماً[6] ومتعدياً إلى مفعولين

---

(١) زيادة من ص وَ ق.

(٢) ق: منكر.

(٣) انظر: الكشاف (٣/١٣٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٥)، فتوح الغيب ص(٧٨).

(٤) ص: السبل.

وانظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٥) ساقطة من ق.

(٦) هدى اللازم يكون بمعنى: اهتدى.

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٩٩)، لسان العرب (هدى) (١٥/٣٥٤)، الدر المصون (٦/١٩٧).

بنفسه يقال: هديته الطريق وإلى الثاني بإلى أو باللام[1] ولا فرق في المعنى، ويجيء بمعنى النقل[2] كما في الهدية وهدي الحاج، والقول[3] بأن ما يسند إلى الله مستعمل [بإلى][4] يَرُدُّهُ قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ ﴾ وقوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

---

(١) ق: واللام.

وانظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها) معاني القرآن للزجاج (٣/١٩).

وقد سبق للمؤلف الإشارة إلى هذه المسألة في تفسير سورة الفاتحة فقال: "الهدي: متعد ولازم، ويتعدى إلى الثاني بنفسه وبإلى وباللام، والأولى لغة الحجاز..." (٣/ب) من نسخة الأصل.

(٢) ق: النفل.

(٣) حاشية ق: قائله القاضي.

ولم أقف على القول الذي ساقه المؤلف في تفسير البيضاوي، وإنما قال البيضاوي (١/٤٣٥): "وهدى كما يُعدى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء يُعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق، ولذلك عُدي بها ما أسند إلى الله تعالى". فهو يقول إن اللام عدي بها ما أسند إلى الله تعالى، كما أنه يتحدث عن الإسناد في هذه الآية ولم يقل إن "هدى" لا يأتي مسنداً إلى الله تعالى باللام. والله أعلم

(٤) ساقطة من: ق.

﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[1]، و﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[2].

﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أي: لا يهتدي بنفسه على أنه لازم، أو لا يهدي غيره إلا أن يُهدى ويعرّف هذا على قراءة حمزة والكسائي[3] على أنه مضارع "هَدَى"، وقرأ أبوبكر عن عاصم بكسر الياء والهاء وتشديد الدال على أن الهاء كسرت لالتقاء الساكنين والياء[4] للإتباع، وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال لما ذُكر إلا أنه لم يتبع الياء، وقرأ قالون[5] عن نافع وأبو عمرو بفتح الياء[6] واختلاس فتح الهاء[7]

(١) الفاتحة، من الآية (٥).

(٢) وردت هذه الجملة في آيات متعددة منها: النحل، الآية (٩٣)، ولم يتضح لي الشاهد من هذه الآية لأنه لم يُذكر فيها المفعول الثاني، إلا إن كان مراده المؤلف أنه قد يأتي متعدياً إلى مفعول واحد أو إلى اثنين وهنا قد يتعدى بنفسه أو إلى أو اللام.

(٣) قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَهْدِي﴾ بفتح الياء وسكون الهاء وكسر الدال.
انظر هذه القراءة وما سيأتي من القراءات في: السبعة ص(٣٢٦)، التيسير ص(٩٩)، النشر (٢/٢٨٣).

(٤) ص: التاء.

(٥) هو عيسى بن ميناء بن وردان الزُرَقي مولى بني زهرة، قارئ أهل المدينة في زمانه، ولد عام ١٢٠هـ، قيل: إنه كان ربيب نافع المدني، وهو الذي لقبه بقالون لجودة قراءته، وهي كلمة رومية معناها جيد، قرأ عليه بشر كثير، توفي عام ٢٢٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٣٢٦)، غاية النهاية (١/٥١٦).

(٦) ص: التاء.

(٧) الاختلاس في اللغة: الأخذ في نُهزَة ومخاتلة.

والتشديد إشارة إلى عدم أصالة الكسرة، وورش[1] وابن كثير وابن عامر بفتح الياء والهاء وتشديد الدال على أن الهاء حركت بالفتح فراراً عن ثقل الكسرة مع الياء[2] كما فتحوا الميم في ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ ﴾[3]، وفي هذه الوجوه[4] مضارع "اهتدى" أدغمت التاء في الدال للتشارك في المخرج[5].

انظر: لسان العرب (خلس) (٦/٦٥٩).

وفي الاصطلاح النطق بالحركة سريعة ليحكم السامع بذهابها وهي كاملة في الوزن.

انظر: الإقناع في القراءات السبع (١/٤٨٥)، القواعد والإشارات ص(٥٢).

(١) عثمان بن سعيد بن عبدالله المصري المقرئ أبو عبدالله، ولد عام ١١٠هـ وقرأ القرآن على نافع المدني وانتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر في زمانه، كان ثقة حجة في القراءة، توفي بمصر عام ١٩٧هـ.

انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٥٥)، غاية النهاية (١/٥٠٢).

(٢) ص: التاء.

(٣) سورة آل عمران من الآيتين (١، ٢).

(٤) أي الوجوه التي ذكرها من قوله: وقرأ أبو بكر عن عاصم... إلخ.

(٥) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٢٧٧)، الحجة لابن خالويه ص(١٨١)، الكشف لمكي (١/٥١٨)، وفيه يقول: "... وحجة من شدده أنه بناه على "اهتدى يهتدي"، ثم أدغم التاء في الدال... إلخ".

والقول بأن أبا عمرو قرأ بالإدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين(١) سهوٌ؛ لأن أبا عمرو مختلس [وكذا](٢) نقل عن قالون بالسكون(٣).

﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥ ﴾ تعجيب(٤) عن حالهم كيف خفي

(١) في حاشية جميع النسخ: قائله القاضي.

انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٥).

ومراده بالساكنين: الهاء والحرف الأول الساكن من الحرفين المشددين.

والمقصود أنه قرأ بسكون الهاء و لم يحركها تخلصاً من التقاء الساكنين.

(٢) ساقطة من ص وَ ق.

(٣) أي: وكذا نقل البيضاوي عن قالون أنه قرأ بالسكون.

انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٥).

والحق أن ما ذكره البيضاوي عن أبي عمرو وقالون ثابت من بعض الطرق، وقد ذكره جمع من الأئمة كما في التيسير ص(٩٩)، والنشر (٢/٢٨٤)، وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/٢٠٠): "ولا بُعْد في ذلك فقد تقدم أن بعض القراء يقرأ ﴿نِعْمَّا﴾ سورة النساء، من الآية (٥٨) و ﴿لا تعْدُّوا﴾ سورة النساء، من الآية (١٥٤) بالجمع بين الساكنين... إلخ".

وانظر: الإقناع (١/٤٨٨)، البحر المحيط (٥/١٥٧)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/٤٧).

(٤) ق: تعجب.

عليهم هذا الأمر الجلي وهم يدَّعون أنهم عقلاء مراجيح.

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ﴾ أي: في إقرارهم بالله وألوهيته لأنهم مقلدون آباءهم في ذلك من غير استدلال، أو في أنَّ ما يعبدونه إله[1]، قيّد بالأكثر

(١) لم يذكر أكثر المفسرين إلا الاحتمال الثاني الذي ذكره المؤلف وهو أنهم يتبعون الظن في قولهم بأن الأصنام آلهة وعبادتها من دون الله وادعاء شفاعتها.

وقال الزمخشري بالأول مع ذكره للثاني قولاً في الآية حيث يقول: "﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ ﴾ في إقرارهم بالله... وقيل: وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام أنها آلهة وأنها شفعاء عند الله إلا الظن... إلخ" (٣/١٣٦).

والقول الثاني هو الصواب الأقرب لمعنى الآية ذلك أنه إن كان المراد بإقرارهم بالله إقرارهم بوجوده وربوبيته فذلك عندهم ليس ظناً بل هو يقين وهو مركوز في الفطر وقد حكى الله تعالى عنهم في القرآن الإقرار به في مواطن شتى.

وإن كان المراد إقرارهم بألوهيته فهم لم يقروا بذلك لأنهم يشركون معه غيره تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

كما أن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ﴾ وهم إنما يتبعون آلهتهم التي يزعمون.

ثم إن سياق الآيات يدل على هذا المعنى فقد قال تعالى قبل ذلك: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ... ﴾ ثم قال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ =

لأن بعضهم شاك حائر وبعضهم مستيقن معاند ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ /أَنفُسُهُمْ ﴾[1] أو المراد بالأكثر الجميع[2].

﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ ﴾ من الإغناء أو شيئاً ما مفعول به[3]، و ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ هو الثابت الذي لا يتبدل بتبدل الشرائع كالتوحيد وسائر الأصول والعقائد فإن الظن لا يفيد فيها بل لابد فيها من دليل قاطع[4] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ ... ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ... قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ...قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ فالآيات كلها في سياق بيان ضلال الكفار في اتخاذ آلهة من دون الله، وليس فيها ذكر إقرارهم بالله تعالى.

وانظر: تفسير البغوي (٤/١٣٣)، زاد المسير (٤/٣١)، الوسيط (٢/٥٤٧).

(١) سورة النمل، من الآية (١٤).

(٢) انظر القولين في: البحر المحيط (٥/١٥٨).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (٢/٦٧٤-٦٧٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٥).

(٤) قال أبو الخطاب: "العلوم على ضربين: منها ما لا يسوغ التقليد فيه وهو معرفة الله ووحدانيته وصحة الرسالة ونحو ذلك، وأما التقليد في الفروع فهو جائز". اهـ. باختصار التمهيد (٤/٣٩٦).

وانظر: الإحكام لابن حزم (٢/٨٦١)، المسودة ص(٤٥٧)، روضة الناظر (٣/١٠١٧).

﴿عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ٣٦﴾ من التقليد والظنون التي لا تغني من الحق شيئاً.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ رجع إلى ما كان بصدده من بيان حقية القرآن فإن السورة مصدرة بذلك[1]. ساق دلائل توحيده وربوبيته على أرشق أسلوب وأحسن انتظام ثم كَرَّ إلى نفي الريب عن كونه كلامه، والمعنى: ما صح وما استقام وكان محالاً عند العقل أن يكون مثله في علو الشأن والإعجاز مفترى ومختلقاً إذ ليس في وسع أحد الإتيان بمقدار ثلاث آيات تدانيه ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾[2].

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من سائر الكتب السماوية شاهد

---

(١) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ... الآية﴾.

(٢) سورة الإسراء، من الآية (٨٨).

ونظر: التفسير الكبير (٧٦/١٧)، نظم الدرر (١١٩/٩).

على صدقها؛ لأنه معجز دونها فكيف يكون مفترى؟[1]، جعله نفس التصديق مبالغة على طريقة: رجل عدل.

﴿ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ومفصلٌ للأحكام[2] المكتوبة على المكلفين أو اللوح المحفوظ [فإنه][3] فصَّل فيه ما هو مكتوب هناك لقوله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝ ﴾[4].

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ خبر آخر لكان[5]، أو حال عن اسمه[6] ﴿ مِن رَّبِّ

---

(١) انظر: الكشاف (٣/١٣٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٥).

(٢) كذا في الأصل، وباقي النسخ: الأحكام.

(٣) ساقطة من ص.

(٤) سورة البروج، الآيتين (٢١-٢٢).

(٥) قال البيضاوي (١/٤٣٥): "﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ منتفياً عنه الريب، وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك، ويجوز أن يكون حالاً من الكتاب... إلخ".

قال الشهاب في حاشيته (٤/٥٠): "قوله: "وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك" أي لكان المقدرة بعد ﴿ لَٰكِن ﴾ أو المبتدأ المقدَّر والأول﴿ تَصْدِيقَ ﴾ والثاني ﴿ تَفْصِيل ﴾ وهذا هو الثالث". اهـ.

وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٦٠-٦١)، البيان لابن الأنباري (١/٤١٣).

(٦) اسم كان محذوف تقديره: هو تصديق... إلخ.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ حال من ضمير ﴿فِيهِ﴾ أو من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، أو متعلق بـ﴿تَصْدِيقَ﴾ أو ﴿تَفْصِيلَ﴾، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض على الوجوه الثلاثة[1].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ بل أيقولون[2] اختلقه محمد، استبعاد[3] لصدور هذا القول منهم والحال أنهم عاجزون عن الإتيان بمقدار أقصر سورة منه ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في تلك البلاغة وحسن النظم أيَّةَ سورةٍ كانت لا تفاوت في الطول[4] والقصر وأقلها ثلاث آيات[5] ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ

---

(١) التي هي: كونه حالاً من الكتاب أو متعلق بتصديق أو متعلق بتفصيل.

وانظر بعض هذه الأوجه في: الكشاف (٣/١٣٧)، التبيان للعكبري (٢/٦٧٥)، تفسير البيضاوي (١/٧٣٥-٧٣٦).

(٢) ص: أتقولون.

(٣) كذا في الأصل، وسائر النسخ: واستبعاد.

(٤) كذا في الأصل، وسائر النسخ: بالطول.

(٥) وذلك أن أقصر سورة في القرآن -سورة الكوثر- مقدارها ثلاث آيات، وقد تكلم العلماء -رحمهم الله- على ما فيها من ضروب البلاغة وعذوبة البيان وجمال الأسلوب مما لا يستطيع أحد معارضته، وممن صنع ذلك الزمخشري في رسالة مستقلة لخصها أبو عبدالله الرازي في خاتمة كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" ص(١٩٠ وما بعدها).

ٱللَّهِ ﴾ مَنْ شئتم وقدرتم عليه في الإتيان بمثله كائناً من كان من خلقه فإنه عاجز عن ذلك ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ أنه مفترى لأنكم باشرتم القريض[1] والخطب، والآتي به لم يكن يباشر شيئاً من ذلك.

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ إضراب عن دعائهم إلى التحدي -وأنهم لا يستأهلون[2] ذلك- إلى حالة أخرى لهم أشنع من العناد وهي الجهل إذ لا شيء أقبح منه، فإن العناد ربما يستحسن، ومن أمثالهم: "عاند من تطيق لـه عناداً"[3] والمعنى: أنهم قبل التدبر في نظمه والإحاطة بخواص تراكيبه سارعوا إلى تكذيبه، فإذا عاندوا ونسبوه إلى الافتراء بعد العجز عن الإتيان بمثله لا يستبعد ذلك منهم.

﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ ما يؤول إليه من صدق إخباره بالمغيبات[4]،

---

(١) القريض: الشعر.

انظر: لسان العرب (قرض) (٧/٢١٨).

(٢) ق: لا يتأهلون.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) وذلك أن من معاني التأويل: الحقيقة التي يؤول إليها الشيء.

وهذا القول هو ما ذكره الطبري (١٥/٩٣)، والنحاس في معاني القرآن (٣/٢٩٤)، والبغوي (٤/١٣٤)، وجوّزه الزجاج في معاني القرآن (٣/٢١)، والزمخشري (٣/١٣٨)، وابن عطية (٣/١٢١)، والبيضاوي (١/٤٣٦).

وذكر الزجاج (الموضع السابق) أن المعنى لم يكن معهم علم تأويله قال: وهذا دليل أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه. اهـ. قال الواحدي في البسيط (٣/٨٧٥): "وتلخيص هذا المعنى يعود إلى أنهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله فعادوا بالتكذيب". اهـ.

وذكر هذا المعنى الزمخشري وابن عطية، والبيضاوي وغيرهم (المواضع السابقة).

والذي يظهر -والله أعلم- أن القول الأول هو الأقرب لأمور:

١- أن معاني القرآن كانت معلومة للمخاطبين، وكانوا يفهمونها لأنهم خوطبوا بلغتهم التي يتكلمون بها، فلم تكن معانيه مما يخفى عليهم.

٢- أنه أسند الإتيان إلى التأويل فكأنه شيء سيأتيهم ويحل بهم، وفهم معانيه ليس كذلك.

٣- أن الآية مشعرة بالوعيد لمن كذب بالقرآن، وهذا يرجح أن المقصود هو حقيقة ما يؤول إليه، فهي كقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ سورة الأعراف، من الآية (٥٣).

٤- قال الواحدي في البسيط (٣/٨٧٥): "ويدل على صحة هذا التأويل قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: بالبعث والقيامة، وتكذيب الكفار من الأمم الخالية كان بالبعث والقيامة لا بالقرآن". اهـ.

وإنما آثر ﴿ لَمَّا ﴾ لأن التأويل كان متوقعاً منتظراً[1] فكان المسارعة إلى التكذيب نوعاً من الجهل.

وقيل: قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ فيمن علم إعجازه وأنكر عناداً، وقوله: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ ﴾ في حق من كان مشاقاً[2]، والوجه هو الأول وعليه ينطبق النظم[3].

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أنبياءهم ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أو لمن يتأتى منه النظر، وفيه إشارة إلى أنه سيحل بهم ما حلَّ بأولئك.

---

(١) قال الراغب في المفردات ص(٧٤٦) في بيان معنى "لما": إنها "لنفي الفعل في الماضي وتقريب الفعل".

(٢) لم أقف على من قال: إنها في حق من كان مشاقاً.

والذي ذكره الزجاج في معاني القرآن (٢١/٣) أنها في حق من كان شاكاً.

وانظر: الكشاف (١٣٨/٣).

(٣) في حاشية الأصل وَ ص: لارتباط الضمائر، وعلى الثاني يلزم التفكك. منه.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ بأنه كلامه تعالى وإن أنكر بلسانه، أراد بالإيمان مجرد التصديق دون الإذعان وإلا كان مؤمناً حقاً، أو سيؤمن به حقيقة كمن إسلم منهم[1] ﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ في الحال أو في الاستقبال ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ "المعاندين أو المصرّين"[2]، والوجه هو الأول لأن المصرَّ ليس لـه باطن يخالف ظاهره.

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ أي: إن كانوا كذبوك ولم يرعووا عنه بعد إلزام الحجة[3] ﴿ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ أي: لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم.

---

(١) انظر القولين في: الكشاف (١٣٨/٣)، زاد المسير (٣٤/٤)، تفسير البيضاوي (٤٣٦/١).

والقول الثاني هو الأقرب -والله أعلم- لأن الإيمان مصطلح شرعي لـه أحكام، وإذا جاء مطلقاً في النصوص فإنما يراد به من آمن باطناً وظاهراً، لا من عرف الحق بقلبه فقط فإنه لا يسمى مؤمناً مطلقاً.

وهذا القول هو قول الطبري (٩٤/١٥)، والواحدي في البسيط (٨٧٦/٣، ونقله عن المفسرين)، وابن الجوزي (٣٤/٤)، وابن كثير (٢٠٦/٤)، وأبي حيان (١٦١/٥) وغيرهم.

(٢) انظر: الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٣) انظر: المرجعين السابقين (الموضع نفسه).

منسوخ بآية السيف لدلالته على إباحة المتاركة[1] ﴿ أَنتُمْ بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١ ﴾ لا يُؤاخذ أحدٌ منا بجريمة الآخر كما لا ينتفع

---

(١) ق: المشاركة.

روى نحو هذا القول الطبري (٩٤/١٥) عن ابن زيد، والبغوي (١٣٥/٤) عن الكلبي ومقاتل.

واعلم أن من شروط النسخ التي ذكرها العلماء عدم إمكان الجمع بين النصين، أما إذا أمكن الجمع بين النصين فإنه لا يصار إلى النسخ لأن إعمال النصين أولى من إهمال أحدهما.

وليس بين هذه الآية وآية السيف تعارض حتى يصار إلى النسخ، فإنه ليس فيها ما يدل على أن الكفار يتركون دون دعوة ولا جهاد بل فيها التبرؤ منهم ومن عملهم إذا لم يستجيبوا للحق، وهذا بمجرده لا يدل على أنهم لا يجاهدون.

"وهذا كما قال جل ثناؤه ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ ﴾ سورة الكافرون، الآيات (١-٣)" تفسير الطبري (٩٥/١٥)،

ثم إن هذه الآية وأمثالها -مما قال فيه بعض المفسرين إنه منسوخ بآية السيف- قد ذكر بعض الأئمة إنه من الأحكام التي تجري في بعض الأحوال، فإذا كان المسلمون في حالة من الضعف وعدم القدرة على الجهاد فإنهم يعملون بها كما كان حال المسلمين في أول الإسلام، فإذا قويت شوكتهم وأخذوا أهبتهم أخذوا بالنصوص التي أمرت بالجهاد وقتال الأعداء.

وانظر: تفسير الطبري (٤٢/١٤-٤٣)، البرهان للزركشي (٤٢/٢).

بصالح عمله.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ من الكفار من يستمع إليك إذا قرأت القرآن أو علمت الشرائع استماعاً لا تدبر معه ليوصلهم إلى دَرْك دقائق معانيه، بل يستمعون[1] ألفاظاً مجردة تشبه عندهم الصدى والدَّوِيّ[2]. ناظر[3] إلى قوله: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾.

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ إنكار لوقوع الإسماع[4] مع اجتماع هاتين الصفتين لأن الأصم إذا كان عاقلاً ربما تفرس من دَوِيّ الصوت أو أدرك[5] المقصود من الإشارة، وإذا انضم إلى فقد السمع سلب العقل فقد تمَّ الأمر.

---

(١) ق: يسمعون.

(٢) الدَّوِيُّ: الصوت.

انظر: الصحاح (٢/٤٦٠)، لسان العرب (دوى) (١٤/٢٨١).

(٣) كذا في الأصل، وباقي النسخ: ناظراً.

(٤) كذا في سائر النسخ، وفي الأصل: الاستماع، ولعل المثبت أقرب للصواب.

(٥) ص: درك.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ أفرده نظراً إلى لفظ ﴿ مَّن ﴾، وجمع الأول باعتبار المعنى تفنناً[1]، أي: ومنهم من يشاهد دلائل نبوتك إذا نظر إليك ولم يصدق بشيء منها عناداً، لما رأى عبدالله بن سلام رسول الله ﷺ وهو جالس بقباء[2] مقدمه من مكة فقال: "وجهه ليس وجه كاذب" ثم سأله عن مسائل فأجابه عنها فآمن في ساعته[3].

﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: لست قادراً على ذلك لأن العمى إذا انضم إليه فَقْد البصيرة لا يمكن هداية صاحبه. شاهدنا رجلاً أعمى متوجهاً من بيت المقدس إلى فلسطين وحده وبين الموضعين مسيرة يوم، ويجوز أن يكون الإبصار رؤية البصر، والمعنى: لست قادراً

---

(١) انظر: البحر المحيط (٥/١٦١-١٦٢).

(٢) ق: بفناء.

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/٤٥١ رقم ٢٣٨٣٥)، والترمذي أبواب صفة القيامة، باب «أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» (٧/١٨٢) وقال: هذا حديث صحيح. اهـ.وابن ماجه كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام (٢/١٠٨٣)، والدارمي كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الليل (١/٤٠٥ رقم ١٤٦٠)، والحاكم في المستدرك كتاب الهجرة (٣/١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

على هداية فاقد البصر ويكون تأكيداً للعمى لأنه ربما يكون معه نوع رؤية.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ لا ينقص منهم ما يحتاجون إليه في المعاش وما يستدلون به إلى تحصيل المعاد من الحواس والعقل والقوى[1] ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ بتفويت منافع الحواس وصرفها إلى غير ما خلقت لـه والإعراض عن سماع الحق واجتلاء الآيات في الآفاق والأنفس. وفي الآية دليل على أن الإنسان مختار في أفعاله وله[2] كسب[3] هو مناط الثواب والعقاب، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ولكنْ﴾ مخففاً [ورفع ﴿الناسُ﴾][4].

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٦).

وقال ابن جرير الطبري -رحمه الله- (١٥/٩٦): "إن الله لا يفعل بخلقه مالا يستحقون منه، لا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إياه ولا يعذبهم إلا بكفرهم به، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ يقول: ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ما يورثها غضب الله وسخطه". اهـ.

(٢) ق: لـه. بحذف الواو.

(٣) راجع ص(٥٤).

(٤) ساقط من ق.

وانظر: السبعة ص(١٦٨)، التيسير ص(١٠٠).

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لأن أيام السرور قصار[1]، أو في القبور[2] لما يشاهدون من أحوال القيامة، والجملة في موضع/ الحال[3] أي: مشبَّهين[4] بمن لم يلبث إلا ساعة[5].

قرأ غير حفص ﴿نحشر﴾ بالنون التفاتاً[6]، وهي[7] أبلغ من الياء[8] تهديداً

(١) رواه البغوي عن الضحاك (٤/١٣٥)، وذكره ابن الجوزي (٤/٣٦) عنه وعن مقاتل، وهو قول الزمخشري (٣/١٤٧)، وابن كثير (٤/٢٠٧) وغيرهم.

(٢) رواه البغوي (٤/١٣٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وذكره الواحدي في الوسيط (٢/٥٤٩)، عن الضحاك، وهو قول الزجاج في معاني القرآن (٣/٢٢)، والنحاس في معاني القرآن (٣/٢٩٧).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/٣٨٣)، الكشاف (٣/١٤٧)، التبيان للعكبري (٢/٦٧٦).

(٤) ص: مشتبهين.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٧)، البحر المحيط (٥/١٦٣).

(٦) انظر: السبعة ص(٣٢٧)، التيسير ص(٨٨).

(٧) ق: وهو.

(٨) ق: التاء.

بدليل ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾[1] ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[2].

﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعرف بعضهم بعضاً لقرب الزمان وهذا عند خروجهم من القبور، وأما إذا اشتد الهول فلا يسأل حميمٌ حميماً[3]، والجملة بيان للتشبيهية؛ لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد، أو متعلق الظرف أي: يتعارفون يوم نحشرهم[4].

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ استئناف فيه معنى التعجيب كأنه

---

(١) سورة الكهف، من الآية (٤٧).

(٢) سورة الإسراء من الآية (٩٧).

انظر: الموضح (٢/٦٢٦).

ووجه قراءة الياء أن الحاشر هو الله تعالى، وقد تقدم الإخبار عنه تعالى في الآية السابقة وهي قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾.

انظر: الموضح (الموضع السابق) مع حاشية المحقق.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/٩٧)، تفسير البغوي (٤/١٣٥)، الكشاف (٣/١٤٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٧).

(٤) انظر: الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

وانظر: الوجه الثاني في مشكل إعراب القرآن (١/٣٨٤).

قيل: ما أخسر[1] من كذب بلقاء الله، أو حال بتقدير القول أي: يتعارفون بينهم قائلين ذلك[2] ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ عارفين بطريق التجارة[3]، أو لم يدخلوا في زمرة المهتدين وهذا تأكيد لكونهم صماً وعمياً[4].

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب في الدنيا كما أراه يوم بدر[5] ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل إراءته ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب ﴿ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ وجواب الأول محذوف أي: فذاك[6]، والمعنى: أنك ظافر بعدوك إما في الدنيا أو في الآخرة لا محالة فلا تحزن من تكذيبهم.

---

(١) ق: يا اخسر.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٢٢-٢٣)، الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٣) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(٤) كذا في الأصل، وباقي النسخ: صماً عمياً.

(٥) قال الواحدي في البسيط (٣/٨٨٧): "قال ابن عباس والمفسرون: يريد ما ابتلوا به يوم بدر". اهـ.

وقال البغوي (٤/١٣٦): "قال مجاهد: فكان البعض الذي أراه قتلهم يوم بدر".

وانظر: زاد المسير (٤/٣٦).

(٦) انظر: الكشاف (٣/١٤٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٧)، وذهب ابن عطية (٣/١٢٣)، وأبو حيان (٥/١٦٤)، والسمين الحلبي (٦/٢١٢) إلى أن قوله: ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ صالح أن يكون جواباً للشرط والمعطوف عليه.

﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ بعد رجوعهم إليه بأن ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون[1]، أو ذكرت الشهادة وأريد مقتضاها أي يعاقبهم على أفعالهم[2]. ويحتمل أن يراد التراخي الرتبي؛ لأن شهادة الله عليهم بالكفر أشق من الرجوع إليه والعذاب[3]، أو هو على التقديم والتأخير أي: إن توفيناك فالله شهيد بعدك على أفعالهم فإلينا مرجعهم، واختيار ﴿ ثُمَّ ﴾ على "الفاء" على هذا التقدير للتفاوت بين الشهادتين، وقد روى البخاري أنه ﷺ قال: «**يؤتى بأناس من أمتي وأنا واقف على الحوض فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنك لم تعلم ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال عيسى بن مريم:** ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ

---

(١) الظاهر أن شهادة الله تعالى عليهم غير شهادة أعضائهم، والله تعالى من أسمائه الحسنى الشهيد والرقيب فشهادته تعالى أمر زائد على مجرد شهادة الأعضاء، ويوضح ذلك الحديث الذي سيورده المؤلف. والله أعلم.

(٢) انظر القولين في : الكشاف (٣/١٤٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٧).

(٣) قال الزركشي في البرهان (٤/٢٦٦) في معرض حديثه عن "ثم": "وقد تأتي لترتيب الأخبار لا لترتيب المخبَر عنه كقوله تعالى: ﴿ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ ﴾".

عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴾[1]"[2].

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ ﴾ يدعوهم إلى الله ويهديهم ﴿ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ ﴾ فكذبوه ﴿ قُضِيَ بَيۡنَهُم ﴾ بإنجاء الرسول وإهلاك قومه[3]؛ تسلية

---

(١) سورة المائدة، من الآية (١١٧).

وقد أثبتت الآية في النسخ: وكنت شهيداً عليهم، وهو خطأ.

(٢) رواه البخارب، كتاب التفسير (سورة المائدة) باب: ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ (١٩١/٥)، ومسلم، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٢١٩٤/٤ رقم ٥٨) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بنحوه دون قوله: "وأنا واقف على الحوض" وفيه: "فأقول كما قال العبد الصالح..."، وروى البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٢٠٦/٧) ومسلم كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ (١٧٩٦/٤ رقم ٣٢) عن ابن مسعود -ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يارب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**». هذا لفظ البخاري.

(٣) نقله الواحدي في البسيط (٨٨٨/٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- -في رواية عطاء- وعن عطية العوفي.

لرسول الله ﷺ ووعيد لقومه، أو يوم القيامة يقضى بينهم[1] لقوله: ﴿ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم ﴾[2].

﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧ ﴾ تأكيد وتصريح بما علم ضمناً[3].

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ هذا الموعود إنكار لصدقه بقوله[4]: ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ ﴾ خطاب للنبي والمؤمنين[5].

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ دفع سوء ولا جلب نفع

---

(١) رواه الطبري (١٥/٩٩)، والبغوي (٤/١٣٦) عن مجاهد، وزاد البغوي عن مقاتل، وزاد الواحدي في البسيط (٣/٨٨٩)، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في بعض الروايات.

وانظر القولين أيضاً في: معاني القرآن للزجاج (٣/٢٣)، الكشاف (٣/١٤٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٧).

(٢) سورة الزمر، من الآية (٦٩).

(٣) ق: ظمناً.

(٤) ق: لقوله.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٨).

لنفسي التي هي أقرب الأشياء إليَّ وأهم[1] فكيف أملك لكم؟ وإنما قدَّمَ الضر هنا وأخره في الأعراف[2]؛ لأن الكلام هناك في الساعة[3] وعدم الاطلاع على وقتها فكان الأهم النفع وإعداد العمل الصالح لها، ولذلك أردفه بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾[4] والكلام[5] هنا[6] في وقوع العذاب ولا شك أن المهم دفعه[7].

---

(١) ق: وأتم.

(٢) في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ...﴾ سورة الأعراف، من الآية (١٨٨).

(٣) حيث قال تعالى في الآية قبلها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى... الآية﴾ سورة الأعراف من الآيتين (١٨٧، ١٨٨).

(٤) سورة الأعراف، من الآية (١٨٨).

(٥) ق: الكلام بحذف الواو.

(٦) ص: هذا.

(٧) وقال ابن الزبير الغرناطي في ملاك التأويل (١/٥٧٧) عن آية الأعراف: إنه لما تقدم سؤالهم عن =

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناء منقطع أي: لكن ما شاء الله من ذلك كائن، أو متصل[1] أي: إلا ما شاء الله أن أملكه فإنه يقدرني عليه[2].

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ بيان لتأخر العذاب وجواب عن استبطائهم ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ المضروب لإهلاكهم ﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

الساعة وكان ظاهر السياق يشير إلى أنهم كانوا يظنون أنه -ﷺ- يعلمها فطلبوا تعريفهم بها، ولا شك أن العلم بالشيء نفع لصاحبه فعرفهم أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وتقدم ذكر النفع لأنه مشير إلى ما ظنوه أنه عنده من علمها فأعلمهم أنه سبحانه استأثر بعلمها وأنه -ﷺ- لا يملك من ذلك شيئاً إلا ما شاء الله لـــه مما عدى علم الساعة، ثم تأكد هذا الغرض بقوله: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾.

وقدم الضر في سورة يونس لأنهم طلبوا تعجيل العذاب استهانة وتكذيباً و لم يعلموا ما في مطلبهم من المحنة والمضرة فقال لهم: إني لا أملك الضر ولا النفع لنفسي ولا لكم فلا تستعجلوني ذلك فليس بيدي، فقدم الضر لأجل ما تقدم من طلبهم. اهـــ مختصراً.

(١) ق: أو متصلة.

(٢) ذهب إلى القول الأول -أن الاستثناء منقطع- الزمخشري في كشافه (١٤٨/٣)، واستظهر أبو حيان (١٦٥/٥) الثاني.

وانظر القولين في: تفسير البيضاوي (٤٣٨/١)، الدر المصون (٢١٣/٦).

يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ فلا وجه للاستعجال لعدم إمكان التبديل وسينجز[1] ما وعد.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ ﴾ تسفيه لأحلامهم بأن ما يستعجلونه لا وجه[2] لاستعجاله ﴿ بَيَـٰتًا ﴾ أي: وقت بيات وهو: النوم[3]،نصب على الظرف[4] ﴿ أَوْ نَهَارًا ﴾ أي: وقت اشتغالكم بأسباب المعاش. لم يذكر الليل في مقابلة النهار؛ لأنه أراد الإشارة إلى أنه وقت نوم وغفلة ليدل على أنه الوقت الذي يفترض فيه غِرْة العدو بخلاف النهار فإنه مناط المعاش[5].

---

(١) ق: وسيتنجر.

(٢) في ق كلمة غير واضحة بعد قوله: لا وجه.

(٣) ق: اليوم.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٢٤)، الكشاف (٣/١٤٨).

(٥) قال في الكشاف (٣/١٤٨): "فإن قلت: هلا قيل: ليلاً أو نهاراً؟ قلت: لأنه أريد: إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت، والبيات بمعنى: التبييت كالسلام بمعنى التسليم، وكذلك قوله: ﴿ نَهَارًا ﴾ معناه: في وقت أنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه: ﴿ بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ سورة الأعراف، من الآية (٩٧) ﴿ ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ سورة =

﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ ﴾ أيّ فرد من أفراده يستعجلون مع أنه لا فائدة في شيء منها؛ لأن العذاب كله مُرُ المذاق يجب الفرار منه، وعلى هذا (من) تبعيضية، أو معنى الاستفهام التعجب [أي](1): أي شيء هائل من العذاب يستعجلون فمن للبيان، لأن ذلك الشيء هو العذاب نفسه(2).

وتحقيق المقام مبني على وجوه ثلاثة:

الأول: أن ﴿ مَّاذَا ﴾ متعلق بـ ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ لأنه بمعنى أخبروني ويقدر للشرط جواب، ولما كان في هذا الاستفهام توبيخ وتجهيل لهم فيقدر في الجواب ما

الأعراف، من الآية (٩٨)". اهـ.

قال الطيبي في فتوح الغيب ص(٩٢): "قوله -أي الزمخشري- (لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات) يعني عدل عن ظاهر المقابلة ولم يقل: ليلاً أو نهاراً ليعلم أن القصد منهما إلى الوقتين المختصين بالترفه والاشتغال بأمور المعاش إذ لو قيل: ليلاً أو نهاراً لم يكن كذلك فهو مثل قوله تعالى: ﴿ بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ سورة الأعراف، من الآية (٩٧) ﴿ ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ سورة الأعراف، من الآية (٩٨)". اهـ.

(١) ساقطة من ص.

(٢) انظر الوجهين في: الكشاف (١٤٨/٣).

يدل على الخطأ والندامة[1]، ويكون الشرط والجزاء مقرراً لمضمون[2] الاستخبار ولذلك وسط بينه وبين متعلَّقه[3].

والثاني: أن يكون ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ ﴾ جواب الشرط، والمعنى: أخبروني إن أتاكم عذابه فأي شيء تستعجلون[4] منه ولا موضع للاستعجال؟ ثم قيل على الوجهين: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ على معنى أن العذاب إذا وقع آمنتم به وعاد تكذيبكم تصديقاً وإذعاناً، وفيه زيادة تنديم وتجهيل لهم وأن هذا الإيمان والإذعان أدخل في الإنكار من استعجال العذاب ولذلك جيء بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على موجب ترك[5] الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف العذاب ويسعى في استدفاعه فضلاً عن

(١) في الأصل حاشية: نحو تندمون أو تعرفون خطأكم.

(٢) ق: مقرر المضمون.

(٣) الذي هو الاستفهام.

وانظر: الكشف للقزويني (١٨/ب).

(٤) ق: يستعجلون.

(٥) ق: تركه.

استعجاله.

الثالث: أن يكون ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ جواب الشرط و ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ ﴾ اعتراض، وأصل الكلام: لإن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً وتحقق آمنتم، ثم جيء بحرف التراخي بدل الواو استبعاداً لما فعلوه، ثم زيد ﴿ إِذَا ﴾ الشرطية دلالة على استقلاله بالاستبعاد وأن الأول تمهيد له، وأكد بـ ﴿ مَا ﴾ تحقيقاً لمعنى الوقوع وزيادة تجهيل لهم بأنهم لم يؤمنوا إلا بعد أن لا ينفعهم البتة، وإنما أدخل "الهمزة" على (ثم) لأنه مصب الإنكار، وهذا الوجه أبلغ معنى"(١).

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾ على إرادة القول، أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن

(١) في الأصل حاشية: لاشتماله على (كلمة غير واضحة لعلها: تلك) المبالغات، واقتصر في الكشاف على أن ﴿ أَثُمَّ ﴾ هو جزاء الشرط وتحقيقه ما ذكرنا، وإلا نفس (ثم) لا تصلح جواباً.

وقد ذكر هذه الأوجه الثلاثة الزمخشري في الكشاف (٣/١٤٨-١٤٩)، والبيضاوي (١/٤٣٨)، وفصَّلها كتفصيل المؤلف القزويني في الكشف (١٨/ب).

وانظر: البحر المحيط (٥/١٦٥).

يؤمنون، توبيخاً لهم[1]، و "الآن" هو الوقت الذي [أنت][2] فيه ظرف غير متمكن وقع معرفة وليست اللام فيه للتعريف[3]. وقرأ نافع بإلقاء حركة الهمزة إلى اللام وحذفها[4] ﴿ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ ﴾[5] تكذيباً واستهزاءً.

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ عطف على قيل المقدر قبل ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ[6] ﴾

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٢٤)، الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) مراده بغير المتمكن هو المبني، وإنما بني للشبه المعنوي لأنه متضمن معنى حرف وهو "أل" العهدية الحضورية، أما "أل" الموجودة فهي زائدة لا تفيد التعريف لأنه قد صار معرفة بأل المقدرة، وإلى هذا ذهب جماعة من النحاة منهم ابن مالك حيث يقول:

وقد تزاد لازماً كاللات ... والآن والذين ثم اللات

وذهب آخرون إلى أن "الآن" ظرف معرب وهو معرف بأل الموجودة.

انظر: الصحاح (٥/٢٠٧٦)، ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل (١/١٨٠).

(٤) قال أبو عمرو الداني في التيسير ص(١٨): "اعلم أن ورشاً كان يلقي حركة الهمزة على الساكن قبلها فيتحرك بحركتها وتسقط هي من اللفظ... إلخ".

وانظر: ص(١٠٠)، السبعة ص(٣٢٧).

(٥) ص: وقد كنتم يستعجلون.

(٦) انظر: الكشاف (٣/١٤٩)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٨)، البحر المحيط (٥/١٦٦).

﴿ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدوام/ ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ[1] تَكْسِبُونَ ۝﴾ يقال لهم ذلك دفعاً لتظلمهم.

﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما تدعيه من وقوع العذاب، يقولونه [إنكاراً وتكذيباً][2]، ولا دليل في قوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾[3] على أن الاستفهام على أصله[4] لكونهم جازمين بكونه كذباً، كيف وهم الذين يقولون ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ

(١) في الأصل وَ ص: ما كنتم. وهو خطأ في الآية.

(٢) ساقط من ق.

(٣) ص وَ ق: بحذف الواو.

(٤) في حاشية ق: رد على القاضي.

وفي حاشية الأصل: يرد على القاضي. كيف يكون للاستفهام وقد أكد الجواب بأنواع من التأكيد: القسم وإنَّ واللام ولفظ: ﴿لَحَقٌّ﴾. منه.

وقد قال البيضاوي (٤٣٨/١): "والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾، وقيل: إنه للإنكار... إلخ".

والقول بأن الاستفهام للإنكار هو قول الزمخشري (١٤٩/٣)، وأبي حيان (١٦٧/٥) وغيرهما.

ٱلسَّمَآءِ ﴾[1] وهو مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم[2].

﴿ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ أكده بأنواع من التأكيد لقوة إنكار المخاطب وإصراره، و﴿ إِى ﴾ بكسر الهمزة كلمة تصديق بمعنى: "بلى" يتقدم[3] القسم لا تستعمل[4] مفرده. وقيل: الضميران للقرآن أو لادعاء النبوة[5]، ولا يلائم المقام[6]

(١) سورة الأنفال، من الآية (٣٢).

(٢) (حق) على الوجه الأول مبتدأ وخبره (هو)، نقل هذا القول النحاس في إعراب القرآن (٢/٦٤) عن سيبويه، وذكره مكي في مشكل إعراب القرآن (١/٣٨٤)، ويجوز أن يكون (حق) خبراً مقدماً وَ (هو) مبتدأ مؤخراً.
انظر: التبيان للعكبري (٢/٦٧٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٨)، الدر المصون (٦/٢١٨).

(٣) ق: بتقدم.

(٤) ص وَ ق: يستعمل.

(٥) ذكر الواحدي في البسيط عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "يريد الذي جئت به" (٣/٨٩٤)، وقال أبو حيان في البحر (٥/١٦٦): "الضمير عائد على العذاب، وقيل: على الشرع والقرآن، وقيل: على الوعيد، وقيل: على أمر الساعة".
وقال البيضاوي (١/٤٣٨): "﴿ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ إن العذاب لكائن أوما ادعيتَه لثابت، وقيل: كلا الضميرين للقرآن".

(٦) إذ قد قال الله تعالى في الآيات قبلها: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ... الآيات﴾.
فالأقرب -والله أعلم- ما ذكره المؤلف من أن الضمير عائد على العذاب.

ويرده قولـه: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ۝ ﴾ أي: فائتين[1] العذاب.

﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ ﴾ أشركت[2] ﴿ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من الأموال والدفائن ﴿ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾ جعلته فدية لها، والفدية والفداء: ما ينقذ به الشيء[3] ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ ﴾ لأنهم من شدة الأمر وتفاقمه لم يقدروا على بكاء ولا عويل كما يفعله المصاب بل يسرون الندامة [والحسرة][4] وكثيراً ما ترى من لـه ولد عزيز عليه إذا مات يبقى كالجماد لا يسيل لـه دمع ولا يقدر على صراخ[5].

وقيل: أسروها أي أظهروها لأن الكلمة من الأضداد[6].وقيل: أسروها من

---

(١) ص: قانتين.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣٩/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو قول عامة المفسرين.

انظر: تفسير الطبري (١٠٣/١٥)، تفسير البغوي (١٣٧/٤)، تفسير ابن كثير (٢١٠/٤).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (فدى) (٤٨٣/٤).

(٤) ساقطة من: ق.

(٥) هذا هو قول الزمخشري (١٥٠/٣)، والبيضاوي (٤٣٨/١).

(٦) ذهب إلى هذا أبوعبيدة كما نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (سر) (٢٨٥/١٢) مستدلاً بقول =

سفلتهم الذين أضلوهم حياءً منهم وخوفاً من التوبيخ[1]. وقيل: أسروها أخلصوها[2] من سرِّ الشيء لخالصه لأنه يُخفى ويُضنُ به[3].

الفرزدق:

فلما رأى الحجاجَ جرَّدَ سيفَهُ أسرَّ الحروريُ الذي كان أضمرا

وانظر: الأضداد للأصمعي ص(٢١)، الأضداد للسجستاني ص(١١٥).

قال ابن عطية (١٢٥/٣): "﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ لفظة تجيء بمعنى أخفوا... وتجيء بمعنى أظهروا...".

هذا وقد أنكر كثير من أهل اللغة قول أبي عبيدة هذا و لم يرتضوه، قال الأزهري في تهذيب اللغة (سر) (٢٨٥/١٢): "وأهل اللغة أنكروا قول أبي عبيدة أشد الإنكار".

(١) ذهب إلى هذا القول الفراء كما في معاني القرآن (٤٦٩/١)، والزجاج في معاني القرآن (٢٥/٣)، والطبري في تفسيره (١٠٣/١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٩/٤)، والواحدي في الوسيط (٥٥٠/٢)، وقال: "هذا قول عامة المفسرين وأهل التأويل". اهـ.

وقد استبعد هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (١٦٨/٥) قائلاً: "وهذا فيه بعد لأن من عاين العذاب هو مشغول بما يقاسيه منه فكيف لـه فكر في الحياء وفي التوبيخ الوارد من السفلة، وأيضاً ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ عائد على كل نفس ظلمت على المعنى وهو عام في الرؤساء والسفلة". اهـ.

(٢) وقد استبعد هذا الوجه أيضاً أبو حيان في البحر المحيط (الموضع السابق).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (سر) (٦٨/٣).

وقد ذكر هذه الأقوال في معنى ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ الزمخشري (١٥٠/٣)، وأبوحيان (١٦٧/٥-١٦٨) وغيرهما، وذكرها البيضاوي في تفسيره (٤٣٨/١) إلا القول الثالث. والله أعلم.

﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾ بين المؤمنين والكافرين(1)، أو بين الرؤساء والأتباع، أو بين المشركين(2) بحمل(3) ذنوب المظلوم على من ظلمه(4)، وليس فيه تكرار لأن الأول بين الأنبياء ومن كذبهم(5).

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ ﴾ بل يجزون على قدر ذنوبهم فإن الكفار متفاوتون في العذاب.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مختص به هو المثيب والمعاقب ﴿ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ ثابتٌ لا محالة. دليل على أن القضاء بين الظالم والمظلوم كائنٌ، وصدَّرَ الجملتين بحرفي التنبيه إيقاظاً عن سِنَة(6) الغفلة(7).

---

(1) ذكره أبو حيان (٥/١٦٨) على سبيل التمريض.

(2) قاله الطبري (١٥/١٠٣)، والواحدي في البسيط (٣/٨٩٨) وغيرهما.

(3) ص: يحمل.

(4) قال أبو حيان (٥/١٦٨): "والظاهر... أن الضمير في ﴿ بَيْنَهُم ﴾ عائد على كل نفس ظلمت". اهـ.

(5) ذكره البيضاوي في تفسيره (١/٤٣٨-٤٣٩)، ومراده بالأول قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ سورة يونس، من الآية (٤٧).

(6) ص: أسنة.

(7) قال أبو حيان (٥/١٦٨): "و ﴿ أَلَآ ﴾ كلمة تنبيه دخلت على الجملتين تنبيهاً للغافل إذ كانوا =

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ لانهماكهم في الشهوات وعدم تفكرهم في آثار صنعه.

﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ متفرد بذلك لا كما يقولون: ﴿ مَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[1]، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2] بعد الموت لا إلى غيره.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى ﴾ رجع إلى بيان فضائل القرآن، الموعظة: النصح، مصدر بمعنى الوَعْظ[3]، والقرآن لاشتماله على الدلائل القطعية[4] الدالة على التوحيد وسائر

مشغولين بالنظر إلى الأسباب الظاهرة من نسبة أشياء إلى أنها مملوكة لمن جُعل لـــه بعض تصرف فيها واستخلاف ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني لغفلتهم عن هذه الدلائل".

(١) سورة الجاثية، من الآية (٢٤).

(٢) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص: (يرجعون) بالياء.
والقراءة بالياء هي قراءة الحسن وعيسى بن عمر.
انظر: البحر المحيط (١٦٨/٥).

(٣) قال في اللسان (وعظ) (٤٦٦/٧): "الوَعْظُ والعِظَةُ والعَظَةُ والمَوْعِظَةُ: النصح والتذكير بالعواقب"، وقال في المفردات (وعظ) ص(٨٧٦): "الوعظ: زجر مقترن بتخويف. قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق لـــه القلب".

(٤) ص: القطيعة.

العقائد موعظة، وباعتبار قبولها والتدبر فيها شفاء لداء الجهل فإنه مرض للقلب إن لم يداو بذلك قوي وتبعه الهلاك[1] ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ لمن آمن به منكم، خصها بهم؛ لأنهم المنتفعون به، هذا كمن وضع ترياقاً بين طائفة تناولوا سماً قاتلاً وقال لهم: فيه شفاء لدائكم وإني[2] أنا الطبيب الماهر فصدقه بعضهم فكان فيه شفاؤه ولم يلتفت إليه آخرون فكان في ذلك حتفهم[3].

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ تقدير الكلام: بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا[4]، فالتقديم للاختصاص أي: بهما فليفرحوا لا بغيرهما من متاع الدنيا، والتكرير للتأكيد[5] لأن اسم الإشارة بمنزلة

---

(١) وقال ابن القيم في غاثة اللهفان (١/١٥): "فهو شفاء لما في الصدور من مرض الجهل والغيّ، فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى، والغيُّ مرض شفاؤه الرشد، وقد نزه الله سبحانه نبيه عن هذين الداءين فقال: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ سورة النجم، الآيتين (١، ٢)". اهـ.

(٢) ق: فإني.

(٣) ق: فكان فيه حتفهم، وفي ص كررت كلمة: ذلك.

(٤) انظر: الكشاف (٣/١٥٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٩).

(٥) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

الضمير[1]، وإيثاره لاشتماله على زيادة كمال التمييز فيفيد زيادة تقرير وتثبيت، حذف[2] أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه[3]، والفاء جواب شرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح[4]، والفضل هو: الإسلام، والرحمة: القرآن[5] أو هما واحد[6] وتوسيط العاطف باعتبار الصفات وهذا أوجه وألصق بالمقام[7].

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٣٩).

(٢) ص: وحذف.

(٣) انظر: الكشاف (٣/١٥٠).

(٤) ص: بالفرج.

وانظر: الكشاف (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (١/٤٣٩).

(٥) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو قول قتادة وهلال بن يساف والحسن ومجاهد وغيرهم، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٧).

انظر: تفسير الطبري (١٥/١٠٦-١٠٧)، تفسير البغوي (٤/١٣٨)، زاد المسير (٤/٤٠).

(٦) ذكر ابن الجوزي (٤/٤١) عن مجاهد: أن فضل الله ورحمته: القرآن، وإليه يشير كلام الزجاج في معاني القرآن (٣/٢٥).

وقد اختلفت عبارات المفسرين من السلف ومن بعدهم في معنى: "فضل الله ورحمته" والمراد بهما.

قال أبو حيان بعد أن ساق ما يقارب خمسة عشر قولاً في معناها: "وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، وينبغي أن يعتقد أنها تمثيلات لا أن الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه". اهـ. (٥/١٦٩).

(٧) في حاشية الأصل وَ ص: إنما كان ألصق لأن (كلمة غير واضحة) الكلام في شأن القرآن. منه.

وفي حاشية الأصل وَ ص أيضاً: قرأ يعقوب (فلتفرحوا) بالتاء... (كلمات غير واضحة) ليتناول =

﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ قرأ ابن عامر بالخطاب التفاتاً إلى الكفار[1]، وهو المختار لأنه أبلغ في النصح.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ بيان[2] ﴿ مَّآ ﴾ وهو مفعول ﴿ أَنزَلَ ﴾[3] إن كانت استفهامية، وإن كانت موصولة تتعلق[4] بـ ﴿ أَرَءَيْتُم ﴾ أي: أخبروني[5]، وفائدة ﴿ لَكُم ﴾ الامتنان عليهم كما في قوله: ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي

الغائب والحاضر. منه.

والقراءة بالتاء هي قراءة رويس عن يعقوب، وقرأ بها أبي بن كعب والحسن وجماعة من السلف، وقد أخرج أبو داود في سننه، كتاب الحروف والقراءات (٤٢٨/٢ رقم ٣٩٨١) عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قرأ: (بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون)، قال الألباني في صحيح سنن أبي داود: حسن صحيح. اهـ. (٧٥٣/٢ رقم ٣٣٦٨).

وانظر: البحر المحيط (١٧٠/٥)، النشر (٢٨٥/٢).

(١) انظر: السبعة ص(٣٢٧)، المراجع السابقة (المواضع نفسها).

(٢) أي أن ﴿ مِّن ﴾ بيانية.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن (٢٥/٣).

(٤) كذا في الأصل، وباقي النسخ: يتعلق.

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٥/٢)، الكشاف (١٥١/٣)، البحر المحيط (١٧٠/٥).

﴿ٱلْأَرْضِ﴾[1] لا الدلالة على أن الرزق أُريد به ما حلَّ منه[2]، لأن الكلام مع المشركين الذين يجعلون بحيرة وسائبة وحاماً ووصيلة.

﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ ولذلك وبخهم بقوله: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك التحريم والتحليل ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩﴾ والمعنى: أخبروني أيّ الأمرين كائن الإذن[3] من الله أم الافتراء منكم عليه إذ لا حاكم غيره، وعلى هذا أم متصلة[4] لأنها مع الهمزة متعاقبان، ويجوز أن تكون منقطعة[5] إضراباً عن أن يكون الإذن من الله وتقريراً للافتراء، وهذا أبلغ في الوعيد والزجر ويدل عليه قوله: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) سورة البقرة، من الآية (٢٩).

(٢) في حاشية الأصل وَ ص: قائله القاضي.

والمراد بالقاضي: القاضي البيضاوي كما سبق مراراً، وقد قال في تفسيره (٤٣٩/١) "و ﴿لَكُمْ﴾ دل على أن المراد منه ما حلّ".

(٣) ق: الإذن لكم.

(٤) هذا هو قول الزمخشري (١٥١/٣) وغيره، وهو ما استظهره أبو حيان (١٧١/٥)، والسمين في الدر المصون (٢٢٧/٦).

(٥) جوّزه الزمخشري (١٥٢/٣)، والبيضاوي (٤٣٩/١).

 ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ أيْ: أيُّ شيء ظن المفتري على الله في ذلك اليوم، أبهمه تعظيماً لشأن الوعيد[1] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بالعقل المميز والرسل الهادين وإنزال الرزق[2] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠ ﴾ تلك النعم.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ ﴾ لما طال محاجته مع الكفار وإقامة البراهين القاطعة على فساد ما يدَّعونه من الشريك وقبح أعمالهم من التحريم والتحليل افتراء على الله شرع يسليه بأن ما يقاسيه معهم من المشاق ليس شيء منه إلا وعلمه محيط به يجازيه عليه يوم الجزاء، والشأن لغة: مصدر شأَنْتُ شأْنه إذا قصدتُ قصدَه[3].

---

(١) انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها).

(٢) قال الزمخشري: "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام". اهـ. (١٥٢/٣).

ولا شك أن اللفظ يشمل هذا وغيره مما أنعم الله به وتفضل على عباده.

(٣) والشأن: الأمر والخطب.

انظر: تهذيب اللغة (شأن) (٤١٥/١١)، الصحاح (شأن) (٢١٤٢/٥).

﴿ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾ من ذلك الشأن(1) لأن تلاوة القرآن أعظم شؤون رسول الله ﷺ، أو من التنزيل(2) لأن كل جزء منه قرآن لإطلاقه على الكل والجزء، والإضمار قبل الذكر للتفخيم(3)، أو الضمير لله(4) و ﴿ مِن ﴾ ابتدائية.

﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ أي عمل كان عمم الخطاب بعد أن خصص سيد القوم بما كان فيه فخامة إجلالاً/ لمنصبه ورفعاً لجنابه ﴿ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ مطلعين على أحوالكم رقباء ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ وقت شروعكم

---

(1) نقله مكي في مشكل إعراب القرآن (385/1) عن الفراء، وبه قال الزجاج في معاني القرآن (26/3)، والنحاس في إعراب القرآن (65/2)، وصدر به الزمخشري الأقوال في الآية (152/3) وهو قول ابن عطية (127/3)، وأبي حيان (171/5).

(2) هذا هو قول الطبري (114/15) وذكره الزمخشري (152/3) وغيره، وقال ابن عطية (127/3): "ويحتمل أن يعود الضمير على جميع القرآن". اهـ.

(3) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(4) قال به أبو الليث السمرقندي (122/2)، والبغوي (139/4)، والواحدي في الوسيط (553/2)، وذكره الزمخشري (152/3).

فيه لا يفوتنا منه شيء من أفاض في الأمر: اندفع فيه[1].

﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ ما يبعد ويغيب عن علمه ما هو أقل قليل فكيف بما فوقه. قرأ الكسائي بكسر الزاي والباقون بالضم[2] وهما لغتان[3]، والكسر أفصح لأنه أخف[4] ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ في الجهات السفلية والعلوية، وتقديم الأرض لأن الكلام مع أهلها[5] ولأن العامة يظنون[6] بُعدها[7] ﴿ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ ﴾ قرأ حمزة برفع الاسمين

---

(١) في حاشية الأصل وَ ص: وفيه مبالغة إذ وقت الشروع في الكلام ربما يغفل عنه المخاطب. منه.

(٢) انظر: السبعة ص(٣٢٨)، التيسير ص(١٠٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١٦/١٥)، المحرر الوجيز (١٢٨/٣)، التبيان للعكبري (٦٧٩/٢)، لسان العرب (عزب) (٥٩٦/١).

(٤)قال الطبري (الموضع السابق): "لغتان فصيحتان قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرأة، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنييهما واستفاضتهما في منطق العرب، غير أني أميل إلى الضم فيه لأنه أغلب على المشهورين من القرأة".اهـ.

(٥) انظر: الكشاف (١٥٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٤٠/١).

(٦) ق: يضنون.

(٧) لم يتبين لي مراد المؤلف -رحمه الله- هنا، و لم أجد من ذكر هذا الكلام غيره، ومن المحتمل أن =

عطفاً على محل ﴿ مِن مِّثْقَالِ ﴾لأنه فاعل في المعنى، والباقون بالفتح على اللفظ أو على ﴿ ذَرَّةٍ ﴾ وذلك الفتح جر لأنهما غير منصرفين[١].

﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ استثناء منقطع[٢]، والمعنى: لا يعزب عنه شيء من[٣] الأشياء لكن كله في كتاب مبين، على أن الكتاب علمه أو اللوح[٤]، أو

يكون مراده أن الأرض بعيدة عن السماء، فهي وإن كانت كذلك إلا أن علم الله تعالى لا يختلف فيما بعد وقرب بالنسبة للبشر ولذلك قدم ذكر الأرض. والله أعلم.

(١) انظر: السبعة ص(٢٣٨)، التيسير ص(١٠٠).

قال الفراء في معاني القرآن (١/٤٧٠): "و ﴿ أَصْغَرَ ﴾ و ﴿ أَكْبَرَ ﴾ فمن نصبهما فإنما يريد الخفض يتبعهما المثقال أو الذرة، ومن رفعهما أتبعهما معنى المثقال لأنك لو ألقيت من المثقال ﴿ مِن ﴾ كان رفعاً". اهـ. فمراد المؤلف من قوله: على اللفظ، أي عطفاً على لفظ ﴿ مِّثْقَالِ ﴾. والله أعلم.

وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/٣٨٥).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (٢/٦٧٩)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٠).

(٣) ق: في.

(٤) انظر القولين في معنى (الكتاب المبين) في: الكشاف (٢/٣٥٥)، البحر المحيط (٤/١٥٠)، والقول الثاني ذكره الواحدي في الوسيط (٢/٥٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وذكره أبوحيان في البحر المحيط (الموضع السابق) عن مقاتل.

متصل من قبيل قوله: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1].

وقيل: كلام برأسه لا عطف هناك على المحل أو اللفظ بل الفتح على أن لا نافية الجنس والرفع على الابتداء وعلى التقديرين ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ﴾ خبره والجملة[2] مقررة لما قبلها[3].

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

كأنه لما ذكر إحاطة علمه بالأشياء كلها كان مظنة أن يسرع الخوف إلى قلوب المخلصين -إذ ما من أحد إلا وله نوع تقصير بمقتضى البشرية- أزال ذلك بأن

---

(١) سورة الدخان، من الآية (٥٦).

قال الطيبي في فتوح الغيب ص(١٠٨): "ولك أن تقول إذا جعل الاستثناء من باب قوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ لا يبقى الإشكال، المعنى: لا يعد عنه شيء قط لا الصغير ولا الكبير إلا ما في اللوح أو في علمه إن عد ذلك من العزوب فهو العزوب ومعلوم أنه ليس من العزوب قطعاً فإذاً لا يعزب عنه شيء قط". اهـ.

وانظر: التبيان للعكبري (٢/١١٤٩).

(٢) ق: والملة.

(٣) هذا هو قول الزمخشري (٣/١٥٢)، والبيضاوي (١/٤٤٠).

أولياءه[1] لا خوف عليهم من وصول مكروه ولا حزن من فوات محبوب.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ ﴾ تعريف لهم وتمييز عما عداهم[2]، وقيل: نصب أو رفع على المدح، أو مبتدأ والخبر قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾[3]، والوجه هو الأول.

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بما أنزل الله في كتابه من الثناء عليهم في مواضع شتى[4]، وقيل: من الرؤيا الصالحة فإنها جزء من النبوة كما نطق

---

(١) ق: أولياء.

(٢) قاله الزمخشري (٣/١٥٣)، والبيضاوي (١/٤٤٠) وغيرهما.

(٣) انظر الأوجه في: معاني القرآن للفراء (١/٤٧٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/٦٦)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٨٦)، التبيان للعكبري (٢/٦٧٩)، الدر المصون (٦/٢٣٢).

(٤) رواه البغوي (٤/١٤١) عن الحسن قال: "هي ما بشر الله المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه كقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ سورة البقرة، من الآية (٢٥)، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة الأحزاب، من الآية (٤٧)، ﴿ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ﴾ سورة فصلت، من الآية (٣٠)". اهـ.

وجوّزه الفراء في معاني القرآن (١/٤٧١) واختاره الزجاج (٣/٢٦).

به الحديث[1]، أو بشرى الملائكة لهم عند حلول

(١) أما كون الرؤيا الصالحة جزء من النبوة فهو ثابت في الصحيحين من طرق متعددة وأحاديث مختلفة عن أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت -رضي الله عنهم-.

صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءً من النبوة (٦٩/٨)، صحيح مسلم، كتاب الرؤيا (١٧٧٣/٤ رقم ٦-٩).

وأما كون الرؤيا الصالحة هي البشرى الواردة في الآية فقد جاء في حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال سألت رسول الله ﷺ عن قولــه تبارك وتعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى لــه ».رواه الإمام أحمد في المسند (٣١٥/٥ رقم ٢٢٧٣٩، ٢٢٧٤٠) والترمذي، كتاب الرؤيا، باب قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٤٨/٧ رقم ٢٢٧٦)، وقال: حديث حسن. اهــ، وابن ماجه في سننه، كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى لــه (١٢٨٣/٢ رقم ٢١٣٦) والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (سورة يونس) (٣٤٠/٢) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً الطبري (١٢٦/١٥).

وجاء أيضاً في حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ في قوله -عز وجل-: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ قال: «الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى لــه». رواه الإمام أحمد في المسند (٤٤٥/٦ رقم ٢٧٥٥٠) والترمذي (الموضع السابق ص٤٧)، والطبري (١٢٤/١٥).

وجاء أيضاً في حديث أبي هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهم- رواه عنهما الطبري (١٣١/١٥)، =

الأجل"[1].

ويؤيد هذه الأحاديث ما رواه البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات (١٢/٣٧٥. فتح) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة**» وانظر كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري (الموضع السابق).

(١) رواه البغوي (٤/١٤١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من رواية عطاء قال: "البشرى في الدنيا يريد: عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن يعرج بها إلى الله ويبشر برضوان الله". اهـ. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/٥٥٣).

ورواه عبدالرزاق في تفسيره (١/٢/٢٩٦)، والطبري (١٥/١٤٠)، والبغوي (٤/١٤١) عن الزهري وقتادة. ورواه الطبري (الموضع السابق) عن الضحاك، ويشهد لهذا التفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة فصلت، الآية (٣٠).

وقيل: البشرى في الدنيا هي الثناء الحسن كما جاء عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**». رواه مسلم كتاب البر والصلة، باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره (٤/٢٠٣٤ رقم ١٦٦).

والذي يظهر -والله أعلم- عموم الآية لهذه الأقوال كلها كما قال الطبري (١٥/١٤٠-١٤١): "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين =

﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ ﴾ تتلقاهم الملائكة بالسلام والبشارة، أو سلام الله لقوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾ لأحكامه، مؤكدٌ لقوله: ﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أو لقوله: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾[2] كأنه قيل: لا خلاف [في][3] وعده.

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي المبشَّر به. وهذه الجملة والتي

البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى لــه، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله... ومنها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل... وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة بشره بها و لم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فذلك مما عمَّه جل ثناؤه: أن لهم البشرى في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فالجنة". اهــ.

(١) سورة يس، آية (٥٨).

ويدخل في ذلك تمام البشرى وهو تبشيرهم بدخول الجنة والنجاة من النار.

انظر: الكشاف (١٥٨/٣)، تيسير الكريم الرحمن (٣٦٧/٣-٣٦٨)، الحاشية السابقة.

(٢) ولا مانع أن يكون مؤكداً لهما جميعاً.

(٣) ساقط من ق.

قبلها معترضتان للتأكيد[١] أو الأولى معترضة وهذه تذييل[٢].

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ بأنهم يقتلونك أو يسلطون عليك من يباشر قتلك، وفي الحديث: كان أُبي بن خلف[٣] يقول لـه: لي فرس أطعمه كل ليلة

---

(١) انظر: الكشاف (٣/١٥٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٠).

(٢) قال الطيبي في فتوح الغيب ص(١١٤): "ولو جعلت الأولى معترضة والثانية تذييلاً للمعترض والمعترض فيه ومؤكدة لهما لكان أحسن". اهـ.

قال الشهاب الخفاجي في حاشيته -بعد أن ساق كلام الطيبي-: "بناء على أن ما في آخر الكلام يسمى تذييلاً لا اعتراضاً وهو مجرد اصطلاح". اهـ.

والاعتراض هو: كل كلام أدخل في غيره بحيث لو أسقط لم تختل فائدة الكلام.

انظر: الخصائص (١/٣٣٥)، الطراز (٢/١٦٧).

والتذييل هو: الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقريراً لحقيقة الكلام.

انظر: البرهان للزركشي (٣/٦٨)، الطراز (٣/١١١).

وفي حاشية الأصل وَ ص: الفرق أن الاعتراض يؤكد مضمون الكلام والتذييل (كلمة غير واضحة) الإيضاح. منه.

(٣) أُبي بن خلف الجمحي، من صناديد قريش الذين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ، قتله الرسول ﷺ بعد أحد، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد =

فَرَقاً[1] من الشعير سأقتلك عليه، فقال لـه رسول الله ﷺ: «لا تقتلني ولكن أقتلك» كان كذلك قتله يوم أحد بيده ﷺ[2].

﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ﴾ مستأنف للتعليل، أي: الغلبة والقهر لله جميعاً لا مؤثر في الكائنات غيره[3] وقد وعد لك النصر والغلبة.

﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٥ ﴾ بضمائرهم أو بمن[4] لـه النصر والغلبة أو بمن هو أهل لذلك.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ من الملائكة

غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله». كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح (٥/٣٧).

وانظر: البداية والنهاية (٤/٣٢).

(١) الفَرَق: مكيال من المكاييل قيل: إنه ستة عشر رطلاً، وقيل: غير ذلك.

انظر: غريب الحديث للخطابي (١/٦٧٤) غريب الحديث لابن الجوزي (٢/١٨٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب (٢/٤٦).

وذكره ابن هشام في السيرة (٣/٩٤).

(٣) انظر: ص(١٧).

(٤) ق: لمن.

والثقلين؛ اقتصر على ذوي العقول لكون غيرهم داخلاً بالطريق الأولى[1]، أو فيه تغليب[2]، وأتى[3] بحرف التنبيه وأكد الكلام بـ ﴿ إِنَّ ﴾ إشارة إلى شدة غفلة السامعين.

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ لأن من في السماوات والأرض مملوك لـه تعالى لا يصلح شريكاً في الألوهية فمن سموه شريكاً اسم بلا مسمى[4].

ويجوز أن يكون ﴿ مَا ﴾ استفهامية مفعول ﴿ يَتَّبِعُ ﴾[5] و ﴿ شُرَكَآء ﴾ مفعول ﴿ يَدْعُونَ ﴾ والمعنى: أي شيء يتبعون هؤلاء الذين يدعون شركاء من دون الله إذا

---

(١) هذا قول الزمخشري (١٥٨/٣)، والبيضاوي (٤٤١/١) وقد ذكراه ببسط أكثر.

(٢) قاله أبو حيان في البحر (١٧٤/٥).

(٣) ص: بحذف الواو.

(٤) وعلى هذا فتكون ﴿ مَا ﴾ نافية وشركاء مفعول ﴿ يَتَّبِعُ ﴾.

وهذا هو قول الواحدي في الوسيط (٥٥٤/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٥/٤)، وصدر الزمخشري به الأقوال (١٥٨/٣)، واستظهره أبو حيان (١٧٤/٥).

(٥) في الأصل كتبت: يتبعون، وعدلت في الحاشية: يتبع، وسائر النسخ: يتبعون.

كان من في السموات ومن في الأرض مملوكاً لـه تعالى تقريـراً لجهلهم[1].

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ الذي لا يجدي في الأصول والعقائد[2] ﴿ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ يكذبون في دعواهم و[3] يقدّرون ويَحْزُرُون[4] في أنفسهم ما لا وجود لـه.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾

---

(١) وهذا القول هو قول الطبري (١٤٣/١٥)، والسمرقندي (١٠٥/٢)، وانتصر لـه شيخ الإسلام ابن تيمية، وخطّأ القول الأول كما في الفتاوى (٦١/١٥)، وأما ابن عطية فمع تصحيحه للوجهين إلا أنه قال عن الأول: وفي هذا الوجه عندي تكلف. اهـ. (١٣٠/٣).

وانظر: الدرر السنية (٩٥/١٠)، وراجع الإعراب على الوجهين في مشكل إعراب القرآن (٣٨٦/١)، البيان لابن الأنباري (٤١٦/١).

(٢) انظر: ما سبق ص (٥٥٦).

(٣) ص وَ ق: أو.

(٤) ص: يحرزون، وفي ق: يحزون. انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٨٩).

يقال: حَزَرَ الشيء يَحْزُرُه ويَحْزِرُه حَزْراً: قدَّرَه بالحَدْس.

انظر: لسان العرب (حزر) (١٨٥/٤).

جعل الليل مظلماً بواسطته ينكفون عن الأعمال الشاقة إذ لولاه لحملهم الحرص على إدآب أنفسهم على الدوام، وجعل النهار مضيئاً يبصرون فيه ويسعون في طلب المعاش، ولما في الدليل المذكور من الجلاء ختم الآية بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سماع تدبر فإنه لا يحتاج إلا إلى إلقاء السمع دون إعمال روية وتكثير مقدمات[1].

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ نوع آخر من جهالاتهم وهو نسبة الولد إليه وذلك أن المشركين كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، وحمل الاتخاذ على التبني سهو[2] لأنهم كانوا يقولون بالولد حقيقة، ولذلك رد عليه بقول: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ

---

(١) وقال برهان الدين البقاعي في نظم الدرر (٩/١٥٨): "ولما كانت هذه الآيات من الظهور بحيث لا يحتاج إلى أكثر من سماعها قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: الأمر العظيم ﴿ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ ﴾ أي لهم قوة المحاولة على ما يريدونه ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: لهم سمع صحيح".اهـ.

(٢) في حاشية جميع النسخ: قائله القاضي.

وقد قال القاضي البيضاوي في تفسيره (١/٤٤١): "﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ أي: تبناه ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ تنزيه له عن التبني... إلخ".

وإنما حمل البيضاوي لفظ ﴿ اتَّخَذَ ﴾ على التبني لأنه يدل على أن الشيء موجود فاتخذه واستأثر =

لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾[1].

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ تنزيه لـه عن ذلك ﴿ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ دليل على بطلان ما قالوا لأن الولد إنما يطلب ليكون ظهيراً في حياة والده وقائماً مقامه بعد وفاته ومن انتفى عنه الاحتياج من كل وجه ماذا يفعل بالولد؟.

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تقرير لغناه وأن [ما][2] فيهما[3] ملك لـه وهو ينافي الولد، وفيه إشارة إلى أنهم جاهلـون متناقضـون.

﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ﴾ التفت[4] إليهم توبيخاً وتكذيباً لهم على سبييل المخاطبة، والمعنى: ما عندكم من سلطان، دليل قاطع على ما

به.

وذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير أن لفظ ﴿ ٱتَّخَذَ ﴾ كما يدل على ذلك يدل أيضاً على تكوين الشيء للانتفاع به، فهو يصدق على المعنيين. (١١/٢٢٩).

وانظر: حاشية الشهاب (٤/٨٠).

(١) سورة الأنعام، من الآية (١٠١).

(٢) ساقطة من ص.

(٣) ق: فيها.

(٤) الالتفات: الانتقال بالكلام من صيغة إلى صيغة كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ونحو ذلك.

انظر: المثل السائر (٢/٤)، العمدة لابن رشيق (٢/٤٥)، معترك الأقران (١/٢٨٦).

تدعونه، والاعتقادات[1] لا بد لها من برهان، و ﴿ بِهَٰذَآ ﴾ متعلق بالظرف[2] على أن ﴿ مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ فاعل الظرف[3] لاعتماده على النفي، أو متعلق بـ ﴿ سُلْطَٰنٍ ﴾ لأن فيه معنى الفعل، أو نعت لـه[4].

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ تقرير وتوبيخ على نسبتهم إلى الله مالا علم لهم به ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ خاطبهم أولاً ثم لما جهَّلهم أعرض عنهم وأمر المرْسَل إليهم بأن يخاطبهم بأن الذين ينسبون الولد إليه أو الشريك أو ما لا يليق به ﴿ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ في الآخرة بالنجاة من النار والفوز بالجنة.

---

(١) ق: والاعتقادان.

(٢) مراده بالظرف: ﴿ عِندَكُم ﴾.

(٣) والتقدير: عندكم سلطانٌ. ومن زائدة.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٤١)، الدر المصون (٦/٢٣٨).

﴿ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ لهم تمتع فيها، أو افتراؤهم تمتع قليل فإنهم بذلك يقيمون رياستهم بين قومهم[1] ﴿ ثُمَّ إِلَيۡنَا/ مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ بالموت ﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٧٠ ﴾ لأجل كفرهم، وكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ للتراخي الرتبي لأن الكافر بالموت ساقط في العذاب إلا أن عذاب جهنم أشق [ولذلك][2] قالوا: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ﴾[3].

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ لما استوفى دلائل حقية القرآن وتبين[4] بذلك

(١) انظر القولين في: تفسير البيضاوي (١/٤٤٢)، الدر المصون (الموضع السابق).

والثاني: هو قول الزمخشري في الكشاف (٣/١٦٠)، والعكبري في التبيان (٢/٦٨٠)، وكذلك الفراء (١/٤٧٢)، والزجاج (٣/٢٧) ذهبا إلى القول الثاني -أنه خبر حذف منه المبتدأ- ولكنهما قدرا المبتدأ: ذلك. والله أعلم.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) سورة يس، من الآية (٥٢).

ولو قيل: إن العطف على ظاهره وأن العذاب الشديد يكون بعد رجوعهم إلى الله تعالى لكان لـه وجه. والله أعلم.

(٤) ق: وبين.

صدق من أرسل به، وأردف ذلك بدلائل[1] وحدانيته أمر رسوله بأن يتلو عليهم بعض أقاصيص الأمم المكذبة الذين أهلكهم الله واستأصلهم ليكون ذلك زاجراً، وبدأ بنوح لأنه أول نبي عذب قومه ولأنهم كانوا عبدة الأوثان مثل قريش.

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ ﴾ متعلق بـ ﴿ نَبَأَ ﴾ ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى ﴾ شق عليكم قيامي بين أظهركم داعياً إلى الله، مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ولذلك ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾[2]، أو نفسي وكوني يقال: فعلت هذا لمكان[3] فلان أي: لأجله[4].

---

(١) ق: وأردف بذلك دلائل.

(٢) سورة هود، من الآية (٣٢).

(٣) ق: المكان.

(٤) انظر القولين في: الكشاف (٣/١٦٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٢)، قال الزمخشري: "﴿ مَّقَامِى ﴾: مكاني يعني: نفسه كما تقول: فعلت كذا لمكان فلان... أو قيامي ومكثي بين أظهركم مدداً طوالاً ألف سنة إلا خمسين عاماً، أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم...".

قال الطيبي في فتوح الغيب في بيان هذا الكلام ص(١١٧): "قوله: "أو قيامي ومكثي" يعني =

﴿ وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ بالدلائل الدالة على وحدانيته أو الدالة على صدق نبوتي ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ لا على غيره من الأسباب.

﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ ﴾ اقصدوه واعزموا عليه من الجَمْع بمعنى: العزم[1]، وأمرهم: كيدهم الذي كانوا يخفونه[2] كقوله: ﴿ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ﴾[3]، ﴿ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ مفعول معه، الواو بمعنى: "مع"[4]، وروي عن نافع ﴿اجمَعوا﴾

المراد من قولــه: ﴿ مَّقَامِى ﴾ إما المكان أو المصدر فإن كان الأول فيكون كناية عن النفس... وإن كان الثاني فإما أن يكون المراد: المكث والسكون مجازاً فقوله: "ومكثي" عطف تفسيري لقيامي، وإما أن يراد به حقيقة القيام فهو المراد من قوله: لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا". اهـ.

(١) انظر: لسان العرب (جمع) (٥٧/٨).

(٢) ق: يخصونه.

(٣) سورة طه، من الآية (٦٤).

وانظر: الكشاف (١٦١/٣)، زاد المسير (٤٨/٤).

(٤) قاله الزجاج في معاني القرآن (٢٨/٣)، والزمخشري (١٦١/٣)، والبيضاوي (٤٤٢/١) وغيرهم.

وذهب الفراء (٤٧٣/١)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٨)، والطبري (١٤٨/١٥)، والبغوي (١٤٣/٤)، وابن عطية (١٣٢/٣) وغيرهم إلى أن ﴿ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ منصوب بفعل =

بالوصل من "الجمع"(١) فيجوز نصب ﴿ شُرَكَآءَكُمْ ﴾(٢) بالعطف على المفعول(٣).

﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ أي: بعد إجماعكم على إهلاكي لا يكن ذلك مستوراً بينكم كشأن من يريد إهلاك عدوه فإنه يضمر في نفسه وينتهز

محذوف تقديره: وادعوا شركاءكم، فهو من باب قول الشاعر:

علفتها تبناً وماءً بارداً ....

والتقدير: وأسقيتها ماء، وقول الآخر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

والتقدير: وحاملاً رمحاً.

و لم يرتض الزجاج (الموضع السابق) تقدير الفراء وقال: "وهذا غلط لأن الكلام لا فائدة فيه لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم فالمعنى: فأجمعوا أمركم مع شركاءكم، [وإن كان يذهب إلى الدعاء فقط فلا معنى لدعائهم لغير شيء]". اهـ. وما بين المعقوفتين غير موجود في معاني القرآن للزجاج، وقد نقله عنه النحاس في معاني القرآن (٣/٣٠٥-٣٠٦).

(١) قال ابن مجاهد في السبعة ص (٣٢٨): "روى نصر بن علي عن الأصمعي قال: سمعت نافعاً يقرأ ﴿فاجمَعوا أمركم﴾ مفتوحة الميم".

وانظر: البحر المحيط (٥/١٧٨).

(٢) ق: شركاء.

(٣) أي: بالعطف على أمركم.

الفرصة، من غُمَّ الهلال[1]: إذا تستر[2]، أو المعنى[3]: إذا أهلكتموني لم يبق عليكم ضيق وغم واتسع عيشكم وفعلتم ما تريدون ولم تجدوا أحداً ينكر عليكم شيئاً مما تأتون وتذرون[4].

﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ ﴾ ما هو حق عليكم في اعتقادكم من إهلاكـي[5] ﴿ وَلَا

---

(١) ق: الهلاك.

(٢) انظر: لسان العرب (غمم) (٤٤٢/١٢).

وهذا المعنى في الآية نقله ابن الجوزي (٤٨/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وذكره الزجاج (٢٨/٣) بقوله: "أي ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً". اهـ.

وهو قول البغوي(١٤٣/٤) وغيره.

(٣) ق: والمعنى.

(٤) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٨)، وجوَّزه الزجاج في معاني القرآن (٢٨/٣).

وانظر القولين في: الكشاف (١٦١/٣)، تفسير البيضاوي (٤٤٢/١).

وذهب الطبري (١٤٩/١٥)، وابن عطية (١٣٢/٣) إلى أن المعنى: لا يكن أمركم عليكم ملتبساً مشكلاً مبهماً.

(٥) كما يقضي الرجل ما عليه من الدين، فكأن إهلاك نوح في معتقدهم كالحق الثابت عليهم.

انظر: الكشاف (١٦٣/٣)، فتوح الغيب ص(١١٩).

تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ ولا تمهلوني، قاله تهكماً وعدم مبالاة[1] ثقة بمن توكل عليه.

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أعرضتم ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾ هذا الشرط مرتبط بالشرط الأول[2]، والمعنى: إن أعرضتم لقيامي بينكم رسولاً ذلك أمر ليس إليَّ فاسعوا في إزالته[3] بكل ممكن وإن توليتم لأني أطلب منكم شيئاً فلا وجه لتوليكم لأني ناصح لوجه الله لا أطلب على ذلك أجراً.

﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الذي أرسلني ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ المنقادين لأمره[4] أو المخلصين لا تظنوا بي خلاف ما أقوله.

وفيه أن من أخذ الأجرة على تعليم العلم وهداية الناس ليس من ورثة الأنبياء[5].

---

(١) كلمة (مبالاة) كتبت في سائر النسخ: مبالة، والمثبت أعلاه من نسخة المدينة.

(٢) انظر: فتوح الغيب ص(١٢٠).

(٣) في الأصل: فاسعوا في إزالته ذلك أمر ليس إليّ فاسعوا في أزالته.

وهو تكرار لا حاجة لــه، والمثبت أعلاه من باقي النسخ.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/١٥٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٢)، وعبارة الطبري: "وأمرني ربي أن أكون من المذعنين لــه بالطاعة المنقادين لأمره ونهيه المتذللين لــه، ومِنْ أجل ذلك أدعوكم إليه وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان". اهـ.

(٥) قال الطيبــي في فتوح الغيب ص(١٢٢): "وفيه أن من دعا الناس إلى هداية أو علمهم من علوم =

الدين شيئاً وأخذ عليه الأجرة خرج من زمرة الورثة". اهـ.

وقبله قال الزمخشري عند قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ قال: "الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئاً ولا يطلبون به دنيا". (١٦٢/٣).

وقد اختلف العلماء في جواز الأجرة على تعليم القرآن الكريم والعلوم الشرعية على أقوال:

القول الأول: تحريم أخذ الأجرة على ذلك مطلقاً، وهو مذهب الحنفية ورواية عن أحمد، واستدلوا بأدلة منها:

١- عن عطية بن قيس عن أُبي بن كعب -ﷺ- قال: علمت رجلاً القرآن فأهدى إليّ قوساً فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إن أخذها أخذت قوساً من نار**» فرددتها. رواه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الأجر على تعليم القرآن (٧٢٩/٢ رقم ٢١٥٨)، قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٥٦٧/٢): "إسناده مضطرب". اهـ. وذكر العلائي في جامع التحصيل ص(٢٣٩) أن رواية عطية بن قيس عن أبي كعب -ﷺ- مرسلة، والحديث صححه الألباني لغيره كما في إرواء الغليل (٣١٦/٥ رقم ١٤٩٣).

وانظر: صحيح سنن ابن ماجه (٨/٢ رقم ١٧٥١).

٢- عن عبادة بن الصامت -ﷺ- في قصة الرجل من أهل الصُفة الذي علمه الكتاب والقرآن فأهدى لـه قوساً فأخبر الرسول ﷺ فقال: «**إن كنت تحب أن تطوق طوقاً من نار فاقبلها**» رواه أبو داود، كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم (٢٨٥/٢ رقم ٣٤١٦)، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأجر على تعليم القرآن (٧٢٩/٢ رقم ٢١٥٧).

وفي سند هذا الحديث: المغيرة بن زياد أبو هشام الموصلي مختلف فيه؛ ضعفه جماعة ووثقه آخرون، وقال ابن عبدالبر: هذا الحديث معدود في مناكيره. اهـ، تهذيب التهذيب (٢٥٩/١٠-٢٦٠).
=

وانظر: تلخيص الحبير (٩/٤)، سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٣/١ رقم ٢٥٦).

٣- أن هذه أعمال لا يجوز إيقاعها على غير وجه العبادة، والاستئجار يخرجها عن ذلك.

القول الثاني: جواز أخذ الأجرة على ذلك، وهو مذهب الشافعية ورواية عن أحمد، واستدلوا بأدلة منها:

١- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء فيهم لديغ فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لديغاً، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله**» رواه البخاري، كتاب الطب، باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب (١٩٨/١٠ فتح الباري).

٢- عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- في قصة المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال رجل: زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة، فقال ﷺ: «**هل عندك شيء تصدقها؟**» قال: ما عندي إلا إزاري... الحديث وفيه: فقال: «**أمعك شيء من القرآن؟**» قال: نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سمّاها فقال: «**قد زوجناكها بما معك من القرآن**». رواه البخاري، كتاب النكاح، باب السلطان ولي لقول النبي ﷺ «**زوجناكها بما معك من القرآن**» (١٩٠/٩ فتح الباري)، ومسلم، كتاب النكاح، باب أقل الصداق (٢١١/٩ بشرح النووي).

٣- أنها نفع يصل إلى المستأجر فجاز أخذ الأجرة عليه كسائر المنافع.

القول الثالث: أنه يجوز مع الحاجة فيجوز للفقير دون الغني، وهو القول الثالث في مذهب الإمام أحمد واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية. وقال متأخرو الحنفية بالجواز استحساناً لقلة من يُعلم حسبة لئلا =

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ استمروا على تكذيبه بعد إلزام الحجة ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ عن الهالكين ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ بالطوفان ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ المهلكين أو من نجيناه ومن أهلكنا لاشتراكهم في الإنذار[1]، والنظر هو: التأمل والاعتبار[2].

يؤدي ذلك إلى ضياع القرآن والعلوم الشرعية. انظر: حاشية ابن عابدين (٦/٥٥).

قال ابن تيمية: "وقيل: يجوز أخذ الأجرة عليها للفقير دون الغني، وهو القول الثالث في مذهب أحمد، كما أذن الله لولي اليتيم أن يأكل مع الفقر ويستغني مع الغنى، وهذا القول أقوى من غيره، على هذا فإذا فعلها الفقير لله وإنما أخذ الأجرة لحاجته على ذلك وليستعين بذلك على طاعة الله فالله يأجره على نيته فيكون قد أكل طيباً وعمل صالحاً". اهـ. الفتاوى (٢٤/٣١٦).

وانظر المسألة بالتفصيل في: المحلى لابن حزم (٨/١٩٣)، بدائع الصنائع (٤/١٩١)، الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٦)، الفتاوى لابن تيمية (٣٠/٢٠٤)، نيل الأوطار (٥/٢٥)، كشاف القناع (٤/١٢)، تكملة المجموع للمطيعي (١٥/٣٠).

(١) القول الأول هو قول عامة المفسرين.
انظر -مثلاً-: الطبري (١٥/١٥٣)، تفسير السمرقندي (٢/١٢٦)، البغوي (٤/١٤٤)، الجامع للقرطبي (٨/٣٦٥).

(٢) قال الراغب في المفردات (نظر) ص(٨١٢): "النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص...".

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ كل رسول إلى قومه، وفي الحديث: «كان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس كافة»[1] ﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات الواضحة الدالة على صدق دعواهم ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ﴾ ما آمنوا بعد تلك المعجزات، وإنما زاد لفظ (كان) بلام الجحود[2] إشارة إلى أن عدم إيمانهم لم يكن إلا جحداً واستكباراً ﴿ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبل مجيء الرسل لفرط عنادهم استوى الحالتان عندهم، وحمل الباء على السببية أي: إنما لم يؤمنوا بسبب اعتيادهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه[3]، فيه[4]

---

(١) جزء من حديث جابر بن عبدالله -ﷺ- وهو: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي... الحديث» وقد سبق تخريجه .

(٢) يأتي تعريف لام الجحود في ص(١٠٧٨).

(٣) في حاشية جميع النسخ: قائله القاضي.

قال القاضي: "﴿ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ أي: بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام". اهـ. (٤٤٢/١).

وانظر: المحرر الوجيز (١٣٣/٣)، البحر المحيط (١٧٩/٥).

(٤) كلمة "فيه" غير واضحة في ق.

أن من آمن من الكفار كان قبل البعثة مكذباً مستمراً عليه.

﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ مثل ذلك الطبع الذي طبع على قلوب هؤلاء نطبع على قلب كل معتد كقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ[1] يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[2].

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ بعد هؤلاء الرسل وهم المبعوثون من بعد نوح ﴿ مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الآيات التسع[3] وقد سبق تفصيلها في الأعراف[4] ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ ترفعوا عن اتباعها ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا

---

(١) كذلك: ساقطة من ق.

(٢) سورة غافر، من الآية (٣٥).

(٣) انظر: الكشاف (٣/١٦٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٣).

(٤) في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ سورة الأعراف الآيات (١٠٧-١٠٨، ١٣٠، ١٣٣).

=

مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ دأبهم الإجرام ولذلك أنفوا وحملهم ذلك الإجرام على

وانظر: كلام المؤلف هناك (لوحة ١٠٠/أ-١٠١/أ) من نسخة الأصل.

وقد ذكر الله تعالى الآيات التسع في سورة الإسراء، الآية (١٠١) ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾، وذكرها تعالى في سورة النمل، الآيات (١٠-١٢) قال جل وعلا: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾، وقد اختلف المفسرون في تعيين الآيات التسع على أقوال متعددة منها:

١- أنها: اليد والعصا والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، قاله ابن عباس -رضي الله عنهما في رواية عكرمة- ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة وغيرهم.

٢- أنها: اليد والعصا والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، قاله ابن عباس -رضي الله عنهما-.

٣- أنها: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر، قاله سعيد بن جبير.

وقيل: غير ذلك.

انظر: تفسير الطبري (١١٤/١٥) ط. المعرفة، زاد المسير (٩٢/٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٧/١٠)، تفسير ابن كثير (١٢٢/٥).

الاستكبار، اعتراض على سبيل التذييل كقوله: ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[1] بعد قوله:

﴿ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[2].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾ معجزاته لأنها من عند الله ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ واضح لا يشتبه على أحد.

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ أتعيبون وتطعنون في الحق لما جاءكم من قولهم: قال زيد في عمرو أي: عابه، ونظيره[3] قولهم[4]: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾[5]، وعلى هذا قوله: ﴿ أَسِحْرٌ

(١) سورة البقرة، من الآية (٩٢).

(٢) انظر: فتوح الغيب ص(١٢٤).

وراجع ما سبق.

(٣) كذا في الأصل، وسائر النسخ بحذف الواو.

(٤) ق: قوله.

(٥) في ص زيادة: يقال لـــه إبراهيم.

والآية من سورة الأنبياء، (٦٠).

هَٰذَا ﴾ ابتداء كلام من موسى توبيخاً لهم[1]، أو المفعول محذوف لدلالة السابق عليه والاستفهام كما مر[2]، أو هذا[3] حكاية كلامهم فإنهم لما بثوا[4] القول بأنه سحر بنوا على ذلك عدم فلاح من أتى به، فالهمزة للتقرير فحكى موسى كلامهم بحسب المعنى دون اللفظ راداً عليهم [مثبتاً][5] كل الفلاح لصاحبه بقوله: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ

---

(١) هذا القول صدر به الزمخشري الأقوال في الآية (١٦٣/٣).

(٢) مراده بالاستفهام هو قوله تعالى: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾.

وهذا القول هو معنى كلام الزجاج (٢٩/٣) حيث قال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾ هذا اللفظ؟ أي: هذا سحر مبين، ثم قررهم فقال: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾". اهـ. وقال الطبري (١٥٦/١٥): "وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي أن يكون المفعول محذوفاً، ويكون قوله: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ من قيل موسى منكراً على فرعون وملئه قولهم للحق لما جاءهم: سحر". اهـ. وهو قول العكبري في التبيان (٦٨٢/٢)، والبيضاوي (٤٤٣/١)، وأبي حيان (١٨٠/٥)، وغيرهم.

(٣) في ص: كما مراد هذا .

(٤) ص: بتوا. ولها وجه وجيه، أي: قطعوا وجزموا.

(٥) ساقطة من ق.

ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ فلو كان سحراً لاضمحل ولم يبطل به سحر السحرة[1].

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا ﴾ [لتصرفنا][2] اللَّفْت والفَتْل من وادٍ واحد ومنه: الالتفات[3] ﴿ عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا ﴾ من عبادة فرعون وآلهته ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ العظمة والملك كما هو شأن الملوك[4] ﴿ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ أيْ: نقول ذلك وما نحن بمصدقين لما جئتما به[5].

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ ﴾ كامل العلم في

---

(١) انظر: الكشاف (١٦٣/٣)، فتوح الغيب ص(١٢٦).

(٢) ساقطة من ص.

وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٨٩).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (فتل) (٢٨٦/١٤)، الصحاح (لفت) (٢٦٤/١)، قال الزمخشري في الكشاف (١٦٣/٣): "اللفت والفتل أخوان، ومطاوعهما: الالتفات والانفتال". اهـ.

(٤) رواه ابن جرير (١٥٨/١٥) عن مجاهد بنحوه، وقال به.

وقال الفراء (٤٧٥/١): "فإن النبي ﷺ إذا صُدِّق صارت مقاليد أمته وملكهم له، فقالوه على ملك ملوكهم من التكبر". اهـ. أي: أن هؤلاء الكفار قالوا ذلك ظناً أن الأنبياء على عادة الملوك فإذا ملكوا تكبروا وتجبروا.

(٥) ق: جئتنا.

سحره، قرأ حمزة والكسائي ﴿سحّار﴾[1]، وهي[2] أبلغ لدلالته على أنه لم يطلب إلا الحذاق منهم[3] يؤيده الوصف بالعلم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ جواب لقولهم: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾[4] كما تقدم في الأعراف، ولا يلزم الرضا بالسحر لأن الغرض إبطاله[5].

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ ﴾ أي: الذي جئتم به هو السحر [لا][6] الحق الذي كنتم تزعمون أنه سحر. وقرأ أبو عمرو بهمزة القطع

---

(١) انظر: السبعة ص(٢٨٩)، الإقناع (٦٤٨/٢).

(٢) ق: وهو.

(٣) وذلك أن صيغة "فعّال" من صيغ المبالغة.

(٤) سورة الأعراف، من الآية (١١٥).

(٥) قال أبو عبدالله الرازي في تفسيره (١١٥/١٧): "فإن قيل: كيف أمرهم بالكفر والسحر، والأمر بالكفر كفر؟

قلنا: إنه -عليه السلام- أمرهم بإلقاء الحبال والعصي ليظهر للخلق أن ما أتوا به عمل وسعي باطل".اهـ.

(٦) ساقطة من ق.

على أن ﴿ مَا ﴾ استفهامية[1] مبتدأ و ﴿ جِئْتُم بِهِ ﴾ خبره و ﴿السحر﴾ خبر مبتدأ محذوف أيْ: أيُّ شيء جئتم به؟ أهو السحر؟ أو السحر بدل من ﴿ مَا ﴾ والمعنى على الإنكار والتقرير[2]، وقراءة الجمهور أبلغ لئلا يتوهموا أن الاستفهام على أصله فيعتقدوا أنه لم يعلم أنه سحر[3].

(١) قرأ عامة السبعة ﴿ ٱلسِّحْرُ ﴾ بغير مد، وإنما همزة الوصل على الخبر. وقرأ أبوعمرو همزة الاستفهام ممدودة.
انظر: السبعة ص(٣٢٨)، النشر (١/٣٧٨).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٧٥)، الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٢٩٠)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٨٩)، إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٠)، البيان لابن الأنباري (١/٤١٨)، التبيان للعكبري (٢/٦٨٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٣).

(٣) وقال الطبري (١٥/١٦٠-١٦١) في ذلك أيضاً: "لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكاً فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة لـه فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه أي شيء هو؟.
وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يَصْدُقونه في الخبر عما جاءوه به من الباطل فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه...". اهـ.
وجليٌّ أنه إذا قيل: إن الاستفهام للإنكار والتوبيخ -كما ذكر المؤلف- فإن ما ذُكر لا يرد.
قال النحاس في معاني القرآن (٣/٣٠٨): "من قرأ ﴿آلسحر﴾ فمعناه عنده التوبيخ".

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾ "يظهر بطلانه بإظهار المعجزة"[1] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا/ يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ كل مفسد، والسحر[2] من الإفساد لإغوائه الناس بل من أكبر الكبائر[3].

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ يثبته ويعلي شأنه بآياته الدالة على حقيته[4] ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ إذ لا تأثير في الكائنات إلا لقدرته، وقد طوى بقية قصة السحرة لأنه حكاها في طه وفي الشعراء[5] وذكر هنا آخر شأن فرعون.

---

(١) الكشاف (٣/١٦٥).

(٢) ق: بحذف الواو.

(٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». انظر: تخريج الحديث ص(٥٠).

(٤) ص: حقيقته.

(٥) انظر: قصة السحرة في سورة طه في الآيات (٥٦-٧٦)، وفي سورة الشعراء في الآيات (٣٤-٥١).
وقد ذكر الله تعالى قصتهم أيضاً في سورة الأعراف (١٠٩-١٢٦).

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ أي: لم يؤمن [من][1] بني إسرائيل بعد غلبة موسى إلا شبان من قومه.

وقيل: الضمير في ﴿ قَوْمِهِۦ ﴾ عائد إلى فرعون[2]، وقد آمن من قومه مؤمن

(١) ساقطة من ص.

(٢) اختلف المفسرون في عود الضمير في قوله: ﴿ قَوْمِهِۦ ﴾ على قولين -كما ذكر المؤلف-:

أ- أنه يعود إلى موسى، وبه قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية علي بن أبي طلحة كما رواه الطبري (١٦٥/١٥)، وقال به -أيضاً- مجاهد رواه الطبري (١٦٤/١٥) والبغوي (١٤٥/٤)، واختاره الطبري والزمخشري (١٦٥/٣) والبيضاوي (٤٤٤/١) وغيرهم.

وقد رجح الطبري هذا القول (الموضع السابق) -وهو عود الضمير إلى موسى- لأنه أقرب مذكور، ولأنه تعالى قال بعدها: ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ ولو كان الضمير يعود إلى فرعون لقال: على خوف منه، ولم يقل: ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ ﴾.

ب- أن الضمير عائد على فرعون، وبه قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية العوفي كما رواه الطبري (١٦٤/١٥)، ورجحه ابن عطية (١٣٧/٣)، وابن كثير (٢٢٢/٤)، بأن المعروف أن بني إسرائيل آمنوا كلهم أو أكثرهم ولم يكن الذين آمنوا مجرد ذرية قليلة.

آل فرعون(١) وامرأته آسية(٢) وخازنه وامرأته(٣) والماشطة(٤).

---

(١) وهو الذي حكى الله قصته في قوله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ... الآيات﴾ سورة غافر (٢٨-٤٥) قيل: اسمه حبيب، وقيل: حزقيل، وقيل: غير ذلك.

انظر: تفسير الطبري (٣٨/٢٤)، تفسير البغوي (١٤٦/٧)، الدر المنثور (٢٨٥/٧).

(٢) هي: آسية بنت مزاحم بن الريان بن الوليد، وقيل: غير ذلك، امرأة فرعون الفاضلة التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة التحريم، الآية (١١).

وعن أبي موسى الأشعري -ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: **«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**. رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ...الآية﴾ (١٣١/٤)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها- (١٨٨٦/٤ رقم ٧٠).

وانظر: البداية والنهاية (٦٠/٢)، الكامل لابن الأثير (١٠٤/١).

(٣) روى ابن جرير (١٦٤/١٥) من طريق العوفي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "كانت الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير، منهم: امراة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه".

(٤) روى البغوي (١٤٥/٤) وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق العوفي الأثر السابق =

وهذا القول ليس بسديد لأن السحرة من قوم فرعون[1] وقد آمنوا أجمعون

وزاد: "وماشطته".

وروى الإمام أحمد (٣٠٩/١ رقم ٢٨٢٢) عنه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها أتتْ عليَّ رائحة طيبة فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟، قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المِدْرَى من يديها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي، قالت: لا ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة وإن لك رباً غيري. قالت: نعم ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت لـــه: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع فكأنها تقاعست من أجله قال: يا أمَّه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت» قال الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (٢٩٥/٤): إسناده صحيح.

تنبيه: ما ذكره البغوي (الموضع السابق) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بلفظ: ماشطته.

والذي رواه الإمام أحمد (في الحديث الصحيح السابق) بلفظ: ماشطة ابنته.

(١) في حاشية الأصل: ذكروا أن السحرة كانوا من بني إسرائيل إلا رجلان وهذا (كلمة غير واضحة لعلها: يخدشه) قول السحرة ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ سورة الشعراء، من الآية =

من غير لبث وكانوا ألوفاً[1] ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ أي

---

(٤٤) لدلالته على أن السحرة كانوا يدَّعون ألوهية فرعون، وليس كذلك. منه.

وهذا القول: "إن السحرة من بني إسرائيل إلا رجلان" رواه البغوي (٢٦٤/٣) عن مقاتل قال: "كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط، وهما رأسا القوم وسبعون من بني إسرائيل". وانظر: الحاشية التالية.

(١) قيل: كانوا تسعمائة ألف، وقيل تسعون ألفاً، وقيل: ثمانون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، وقيل: سبعون رجلاً، وقيل: غير ذلك.

ولا يخفى أن شيئاً من هذا لا يثبت، لأنه ليس منقولاً عن المعصوم ﷺ بل غالبه من الإسرائيليات التي غايتها أنها لا تصدق ولا تكذب، مع أن في الأقوال الأولى مبالغة مستبعدة. والله أعلم.

انظر: تفسير البغوي (٢٦٤/٣)، البحر المحيط (٣٦٠/٤)، الدر المنثور (٥١٣/٣).

ومراد المؤلف -رحمه الله- تضعيف القول بعود الضمير إلى فرعون وأنه آمن من قومه مؤمن آل فرعون وزوجة فرعون والخازن وزوجته والماشطة، وذلك أن السحرة وهم من قوم فرعون قد آمنوا جميعاً كما دل القرآن على ذلك.

ولذلك فالراجح -كما قال رحمه الله- أن الضمير في قوله: ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ عائد على موسى، ولا يعني ذلك أنه لم يؤمن من قوم موسى إلا القليل، وإنما المراد لم يؤمن بعد غلبة موسى -عليه السلام- إلا هؤلاء.

وقريب من هذا ما ذكره الزمخشري (١٦٥/٣) حيث قال: "﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴾ في أول أمره ﴿ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل...".

آمنوا به حال كونهم مستعلين على الخوف(١)، استعار ﴿ عَلَىٰ ﴾ للدلالة على فرط خوفهم، والملأ: ملأ بني إسرائيل فإنهم كانوا يمنعون أعقابهم وأتباعهم عن الإيمان(٢)، ويدل(٣) عليه قوله: ﴿ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ أي: فرعون، وقيل: الملأ من قوم فرعون(٤)،وإنما جمع الضمير لاعتبار التعدد في نفس فرعون لتعاظمه كقول الملوك: أمرنا وفعلنا، أو باعتبار من يؤامره عن وزرائه(٥)، أو الضمير للقوم(٦).

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/٢٥٥).

(٢) قال بهذا القول الأخفش في معاني القرآن (٢/٥٧٣)، واختاره ابن جرير (١٥/١٦٧)، وابن عطية (٣/١٣٧)، واستظهره أبو حيان (٥/١٨٣) وجوّزه الزمخشري (٣/١٦٥)، والبيضاوي (١/٤٤٤).

(٣) كذا في الأصل، وباقي النسخ بحذف الواو.

(٤) قاله الفراء (١/٤٧٦)، والزجاج (٣/٣٠)، وصدر به الزمخشري (٣/١٦٥)، والبيضاوي (١/٤٤٤) الأقوال في الآية.

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٧١)، البيان لابن الأنباري (١/٤١٩)، التبيان للعكبري (٢/٦٨٣)، الدر المصون (٦/٢٥٥)، والاعتبار الأول هو ما قال به مكي في مشكل إعراب القرآن (١/٣٩٠)، والثاني هو ما ذكره الزجاج في معانيه (٣/٣٠).

(٦) قال في الدر المصون (٦/٢٥٥) في سياق الأقوال في مرجع الضمير في قوله: ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾: "الثاني: =

﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بالقهر والغلبة[1] وكثرة الجند والأسباب ﴿ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ لم يرض بأقصى مراتب البشر حتى ادعى الألوهية، وفيه إيماء إلى أن خوفهم منه لم يقدح في كمال إيمانهم نظيره: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾[2].

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ ﴾ فإن الإيمان بالله يوجب التوكل لأن من شرائطه الإيمان بالقدر وأن ما شاءه[3] كان وما لم يشأ

أنه يعود على قومه بوجهيه، أي: سواء جعلنا الضمير في ﴿ قَوْمِهِۦ ﴾ لموسى أو لفرعون، أي: وملأ قوم موسى أو ملأ قوم فرعون". اهـ.

(١) انظر: الكشاف (٣/١٦٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٤).

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "متطاول في أرض مصر". اهـ.

انظر: الوسيط (٢/٥٥٦)، زاد المسير (٤/٥٣).

وقال الطبري (١٥/١٦٧): "وإن فرعون لجبار مستكبر على الله في أرضه".

وقال أبو حيان (٥/١٨٣): "و ﴿ لَعَالٍ ﴾ متجبر، أو باغٍ أو ظالم أو متعالٍ أو قاهر... أقوال متقاربة".

(٢) سورة طه، من الآية (٦٧).

وانظر: ما سبق في بيان أنواع الخوف ص(٢٢٨).

(٣) ص: ما شاء.

لم يكن ﴿ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ مخلصين في إيمانكم[1]، علّق وجوب التوكل أولاً بالإيمان وحصوله ثانياً بالإسلام أي: الإخلاص، كقولك: إن سألك فقير فلا ترده إن وجدت مالاً[2].

﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ فعلوا ما أمرهم من غير توقف ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ موضع فتنة لهم بأن يعذبونا ويصرفونا عن ديننا[3]، أو يفتتنون بسببنا ويقولون: لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا فيزدادون بذلك طغياناً[4].

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ من كيدهم وسوء

---

(١) قال الطبري (١٥/١٦٨): "﴿ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ يقول: إن كنتم مذعنين لله بالطاعة فعليه توكلوا". اهـ.

(٢) انظر: الكشاف (٣/١٦٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٤).

(٣) رواه ابن جرير (١٥/١٦٩) عن مجاهد، وبه قال البيضاوي في تفسيره (١/٤٤٤).

(٤) قال به مجاهد أيضاً كما رواه الطبري (١٥/١٧٠)، وروي عن أبي مجلز قال: "لا يظهروا علينا فيروا أنهم خير منا". وعن أبي الضحى قال: "لا تسلطهم علينا فيزدادون فتنة". (١٥/١٦٩).

وانظر القولين في: الكشاف (٣/١٦٦)، زاد المسير (٤/٥٤).

مجالستهم فإن الأخلاق السيئة تسري إلى الطبع ولذلك مثَّل ﷺ جليس السوء بالحداد إما أن يحرق ثيابك بناره أو تجد رائحة خبث الحديد[1].

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ تفعّل بمعنى: فَعَل، يقال: تبوأتُ منـزلاً أيْ: نزلتُه، وبوأتُه الرجلَ أيْ: هيأتُه لـه والمباءَةُ: [المنزل][2]، أمروا بسكنى مصر إلى وقت أراده الله.

﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ مساجد متوجهة نحو القبلة[3] قيل: هي الكعبة[4]

(١) رواه البخاري، كتاب الذبائح، باب المسك (٦/٢٣١)، ومسلم، كتاب البر، باب استحباب مجالسة الصالحين (٤/٢٠٢٦ رقم ١٤٦) عن أبي موسى -رضي الله عنه-.

(٢) ساقطة من ص.

وانظر: معجم مقاييس اللغة (بوأ) (١/٣١٢)، لسان العرب (بوأ) (١/٣٨).

(٣) رواه ابن جرير (١٥/١٧٢-١٧٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وإبراهيم النخعي ومجاهد وأبي مالك والربيع بن أنس وغيرهم، واختار -الطبري- هذا القول (١٥/١٧١)، وقال به الفراء في معاني القرآن (١/٤٧٧)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٨)، والزمخشري (٣/١٦٦) وصوَّبة ابن عطية (٣/١٣٨) وغيره.

(٤) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد (١٥/١٧٤).

وقال به الفراء في معاني القرآن (١/٤٧٧)، والزجاج في معاني القرآن (٣/٣٠)، والزمخشري في الكشاف (٣/١٦٦)، والبيضاوي في تفسيره (١/٤٤٤)، وغيرهم.

وقيل: بيت المقدس(١) ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ خوفاً من الكفار كما كان يفعله المؤمنون في ابتداء الإسلام(٢) ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ بالنجاة في الدنيا والآخرة.

أفرد الخطاب لموسى لأنه صاحب الشريعة وهارون كان ردءاً لـه، وإنما ثنَّى أولاً لأن أمر المنزل متعارف للرأي فيه مدخل وجمَعَ ثانياً لأن إقامة الصلاة واجبة على كل مكلف(٣).

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ﴾ ما يتزين به من الملابس والمراكب والغلمان والفرش ﴿ وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أنواعاً من المال ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ علة للإيتاء أي: إنك فعلت ذلك معهم استدراجاً(٤) أو اللام(٥) للعاقبة(٦) فقوله: ﴿ رَبَّنَا ﴾ تكرير للتأكيد.

---

(١) نقله القرطبي في الجامع عن ابن بحر (٨/٣٧١)، وقال به ابن العربي في أحكام القرآن (٣/١٠٥٥) وانظر: روح المعاني (١١/٢٥٠).

(٢) انظر: الكشاف (٣/١٦٦).

(٣) ذكره البيضاوي (١/٤٤٤) بلفظ مقارب جداً.

(٤) فاللام هنا للعلة وهي التي تسمى: لام كي، وإلى هذا ذهب الفراء في معاني القرآن (١/٤٧٧)، ورجحه ابن جرير (١٥/١٧٩)، واستظهره أبو حيان (٥/١٨٥)، وقال به ابن كثير (٤/٢٢٥) وغيره.

(٥) كذا في ق، وهو الصحيح، وباقي النسخ: واللام.

(٦) وبه قال الأخفش في معاني القرآن (٢/٥٧٣)، والزجاج (٣/٣٠).

وقيل: دعاء بلفظ الأمر[1] وذلك لما علم أن إيمانهم كالمحال دعا بما لا يكون إلا ذلك فهو تصريح بمقتضى ما جرى به قضاء الله كقول نوح: ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[2]، وكما تقول: لعن الله إبليس[3]، وليس من

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٥٦) عن ابن الأنباري، وقال به الزمخشري (٣/١٦٧)، والبيضاوي (١/٤٤٤) وغيرهم.

وهذا القول غير ظاهر، لأنه يبعد أن يدعو -عليه السلام- أن يكون فرعون وملأه مُضلين لغيرهم من عباد الله تعالى، فإن هذا مما لا يناسب حرصه -عليه السلام- على هداية الخلق ودعوتهم إلى الله تعالى.

وانظر: البحر المحيط (٥/١٨٥).

وإنما حمل الزمخشري الآية على هذا القول لأجل ما يذهب إليه المعتزلة من أن الله تعالى لا يُقدر على العباد الضلال ولا يخلق لهم أسبابه، ولذا حملها على الدعاء وذهب بها هذا المذهب البعيد. والله أعلم.

وانظر: الانتصاف لابن المنير بحاشية الكشاف (٣/١٦٧).

(٢) سورة نوح، من الآية (٢٦).

(٣) الفرق ظاهر بين حمل الآية على الدعاء وبين هذين المثالين اللذين ساقهما المؤلف -رحمه الله- فإن فيهما الدعاء على الكافرين بالهلاك وتطهير الأرض منهم، والدعاء على إبليس بالطرد والإبعاد، وأين هذا من الدعاء على فرعون وآله أن يصدوا الناس عن سبيل الله وأن يكونوا أداة لصرفهم عن الصراط المستقيم.

الرضا بالكفر في شيء، أوْ لم يرد به الدعاء وسؤال الإنجاز بل هو كناية عن فرط عتوهم وإبلاء عذره. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[1] ﴿يَضلوا﴾ بفتح الياء[2].

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ امحها وأزلها[3] ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ اجعلها قاسية مختوماً عليها حتى لا يكون للإيمان إليها سبيل ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ ﴾ عطف على [﴿ لِيُضِلُّوا۟ ﴾ أيْ[4]]: ليضلوا عن سبيلك ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ وما بينهما اعتراض[5]. أو جواب للأمر[6] والمعنى: اطبع

(١) ق: أبو أعمرو. وفي ص: حاشية: ونافع وابن عامر.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بضم الياء، والباقون بفتحها.

انظر: السبعة ص(٢٦٧)، النشر (٢/٢٦٢).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/٢٨١)، تفسير الطبري (١٥/١٧٩).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ص، وفي ق: يضلوا أي... إلخ.

(٥) نقل هذا القول الزجاج عن المبرد. انظر: معاني القرآن (٣/٣١).

وقال به الأخفش في معاني القرآن (٢/٥٧٣)، واختاره أبوعلي الفارسي في الحجة (٣/٣٩٥).

(٦) أيْ: الدعاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱشْدُدْ ﴾.

وقد جوَّز هذا القول الفراء في معاني القرآن (١/٤٧٧)، وقال به الزمخشري في الكشاف (٣/١٦٧).

على قلوبهم واجعلها قاسية حتى لا يؤمنوا فإنهم لا يستحقونه.

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ كأنه دعا كل منهما[1]، وقيل: كان موسى يدعو وهارون يُؤمِّن على دعائه[2].

﴿ فَٱسْتَقِيمَا ﴾ على الدعوة إلى الله ولا تعجلا فإن نوحاً صبر على أذى قومه ألف سنة[3] يدعوهم إلى الله، قال بعض العارفين[4]: شرط الدعاء صدقُ الافتقارِ في الابتداءِ وحسنُ الانتظارِ وسقوطُ التقاضي والاستعجال والثقةُ باللهِ

---

(١) جوَّزه الزمخشري (٣/١٦٨)، وأبو حيان (٥/١٨٦)، وقال الزجاج في معاني القرآن (٣/٣١): "يُروى في التفسير أن موسى دعا وأن هارون أمَّن على دعائه. وفي الآية دليل أنهما دَعَوَا جميعاً لأن قوله: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ يدل أن الدعوة منهما جميعاً، والمؤمِّن على دعاء الداعي داعٍ أيضاً... إلخ".

(٢) رواه الطبري (١٥/١٨٥-١٨٧) عن عكرمة وأبي صالح ومحمد بن كعب وأبي العالية والربيع بن أنس وابن زيد.

وقال به الفراء في معاني القرآن (١/٤٧٨)، والطبري (١٥/١٨٥)، وكثير من المفسرين.

(٣) لعل هذا من التجوز وإلا فمن المعلوم أن نوحاً -عليه السلام- لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ سورة العنكبوت، من الآية (١٤).

(٤) لم أقف على القائل.

مع جميلِ الظنِ، قيل: مكث موسى بعد ذلك أربعين سنة[1].

﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الذين يستعجلون[2]، وفي الحديث: « يُقبل دعاء العبد ما لم يقل: دعوت فلم يُجب لي»[3]، وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان[4] بتخفيف النون[5] على أنه خبر، والمعنى: ولستما

---

(١) رواه ابن المنذر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بلفظ: "يزعمون أن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة". اهـ. انظر: الدر المنثور (٤/٣٨٥)،
وروى ابن جرير عن ابن جريج نحوه (١٥/١٨٧).
وروى الحكيم الترمذي عن مجاهد بلفظ: ﴿ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا ﴾ قال: "بعد أربعين سنة".
اهـ. انظر: الدر المنثور (٤/٣٨٥).
وزاد نسبته في البحر المحيط (٥/١٨٦) لمحمد بن علي والضحاك.

(٢) ولفظ الآية يشمل هذا وغيره، فهو يتناول كل من لا يعلم العلم النافع المؤدي للعمل. والله أعلم.

(٣) رواه البخاري كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (٧/١٥٣)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي (٤/٢٠٩٥ رقم ٩٠٩) عن أبي هريرة -ﷺ- بلفظ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي**».

(٤) عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان، أبو عمرو القرشي الفهري الدمشقي إمام جامع دمشق وشيخ الإقراء بالشام، قال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه. اهـ. توفي عام ٢٤٢هـ.
انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٩٨)، غاية النهاية (١/٤٠٤).

(٥) انظر: السبعة ص(٣٢٩)، التيسير ص(١٠٠)، النشر (٢/٢٨٦).

تتبعان، أو الواو للحال[1]، أو هو على مذهب يونس[2] والفراء في إدخال المؤكدة الساكنة بعد الألف وإنما حركت لالتقاء الساكنين[3]. وعنه[4] وجه آخر بالنون المشددة من الثلاثي[5]، والمختار قراءة الجمهور للإجماع على: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ ﴾[6] ﴿ وَلَا

(١) وعلى هذين الوجهين فلا نافية، والنون فيه نون الرفع.

(٢) يونس بن حبيب الضبي مولاهم البصري، أبو عبدالرحمن، من أصحاب أبي عمرو بن العلاء، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم، كان من أعلام النحو والأدب في زمانه، توفي عام (١٨٢هـ).

انظر: معجم الأدباء (٥/٦٥١)، بغية الوعاة (٢/٣٦٥).

(٣) وعليه فإن: "لا" ناهية، والنون نون التوكيد الخفيفة.

وإلحاق نون التوكيد الخفيفة بعد الألف يمنع منه سيبويه والكسائي، ويجيزه يونس والفراء، وعلى قولهما خُرِّجت هذه القراءة.

انظر: الكتاب لسيبويه (٣/٥٢٧)، البحر المحيط (٥/١٨٧).

(٤) أي: ابن ذكوان.

(٥) ق : المثلاثة.

ومراده بالثلاثي هنا: تَبِعَ والقراءة هي: (تَتْبَعَانِّ).

وقد روى هذا الوجه عن ابن ذكوان ابنُ مجاهد وغيره.

انظر: السبعة ص(٣٢٩)، النشر (٢/٢٨٦).

(٦) سورة البقرة، من الآية (١٢٠، ١٤٥)، وسورة الرعد، من الآية (٣٧).

تَتَّبِعْ ﴾[1].

* ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾ إلى البر، أَجَزْتُ المكان وجاوزته: إذا خلفته[2] ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ أدركهم، يقال: تبعت القوم إذا مشيت خلفهم، وأتبعتهم[3] إذا سبقوك فأدركتهم[4] ﴿ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾ باغين عادين أو للبغي والعدو[5] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾ أي قاربه وبدت أسبابه وعلاماته، وقيل: الغرق بفتح الراء غمرة الماء قبل الهلاك وبالسكون هو

---

(١) في عدة مواضع: سورة المائدة، الآية (٤٨)، سورة الأنعام، الآية (١٥٠)، وسورة الأعراف، الآية (١٤٢)، وسورة ص، الآية (١٥)، وسورة الجاثية، الآية (١٨).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (جوز) (٤٩٤/١)، لسان العرب (جوز) (٣٢٦/٥).

(٣) ص: واتبعهم.

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(١٩٩)، الكشاف (١٦٩/٣)، تفسير البيضاوي (٤٤٥/١)، وراجع الصحاح (١١٩٠/٣).

(٥) فعلى الأول هما حال، وعلى الثاني مفعولان لأجله.

انظر: التبيان للعكبري (٦٨٥/٢)، تفسير البيضاوي (٤٤٥/١).

الهلاك فيه[1] ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ ﴾ [بأنه][2] ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ﴿إنه﴾ بكسر الهمزة[3] على الاستئناف أو البدل من ﴿ ءَامَنتُ ﴾ أو لتضمنه معنى القول[4].

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ أي: أتؤمن الآن وقد عصيت قبل مدة عمرك ﴿ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ حيث لم ترض بعصيانك بل كنت تصرف الخلق عن[5] عبادة الله لقوله: ﴿ وصَدَّ عنِ السبيلِ ﴾[6] أو بذبح أبناء بني إسرائيل[7].

---

(١) لم أقف على القائل.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص: بكسر النون.
وانظر هذه القراءة في: التيسير ص(١٠٠)، الإقناع (٢/٦٦٢).

(٤) انظر: الكشف لمكي (١/٥٢٢)، الموضح (٢/٦٣٦)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٥)، البحر المحيط (٥/١٨٨).

(٥) ص: من.

(٦) من الآية ٣٧ من سورة غافر والآية قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾.
واستشهاد المؤلف -رحمه الله- بهذه الآية إنما يتم على القراءة بفتح الصاد (وصَدَّ) أي: أن فرعون صد غيره عن سبيل الله.
وهذه القراءة هي قراءة ابن عامر وأبي عمرو ونافع وابن كثير، وقرأ الباقون بضم الصاد ﴿ وَصُدَّ ﴾.
انظر: التيسير ص(١٠٨)، النشر (٢/٢٩٨).

(٧) ولا مانع من شمول الآية للوجهين جميعاً لأنها من ضروب الإفساد.

اجتهد في خلاص نفسه؛ عبر عن التصديق بعبارات/ [مختلفة][1] الثاني أبلغ من الأول والثالث أبلغ من الثاني[2] ولكن لم يصادف الوقت، وهذا كمن آمن بعد طلوع الشمس من مغربها ﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ﴾[3].

أتاه[4] جبريل يوماً برقعة فيها ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته ثم لم يطلب من ذلك منه شيئاً سوى أنه يُقر بأنه عبده فأبى وادعى السيادة دونه؟ فكتب على الرقعة: يُغرق في البحر. كتبه أبو العباس الوليد بن مصعب. فلما أدركه

---

(١) ساقطة من ص وَ ق.

(٢) الأول: قوله: ﴿ ءَامَنتُ ﴾.

والثاني: قوله: ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.

والثالث: قوله: ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

فكلمة التوحيد أبلغ وأوضح وأجلى للمقصود من مجرد قول: آمنت.

وقوله: ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ بيان لصدق إيمانه وسلامته وأنه به أصبح من عداد المسلمين.

(٣) سورة غافر، من الآيتين (٨٤، ٨٥).

(٤) ق: قيل: أتاه.. إلخ.

الغرق ناوله جبريل فَعَرَف[1].

روى[2] الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس "أنه لما قال: آمنت أخذ جبريل من حَمْأَة البحر فدسه [في][3] فيه"[4] ....

(١) ص: فعرق.

والقصة ذكرها الزمخشري في الكشاف مبهمة (١٧٢/٣).

وذكرها القرطبي في الجامع (٣٧٨/٨) عن كعب الأحبار، ولا يخفى أنها من الإسرائيليات.

(٢) ص: وروى.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) رواه الإمام أحمد (٣٠٩/١ رقم ٢٨٢١)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن (سورة يونس) (٢٦٨/٨)، وقال: حديث حسن. اهـ. وابن جرير في تفسيره (١٩٢/١٥)، والحاكم في المستدرك (٥٧/١، ٢٤٩/٤) وصححه عن ابن عباس مرفوعاً، وصححه ابن حجر في تخريج الكشاف ص(٨٥)، والشيخ أحمد شاكر في شرح المسند رقم (٨٢١) وتمامه: "مخافة أن تدركه الرحمة".

وقد جاء الحديث أيضاً موقوفاً على ابن عباس -رضي الله عنهما- رواه الطبري (١٩٣/١٥) وغيره.

وللحديث شواهد عن أبي هريرة وابن عمر وغيرهما.

انظر: تخريج الكشاف ص(٨٥)، الدر المنثور (٣٨٧/٤).

والحمأة: الطين الأسود المنتن.

انظر: لسان العرب (حمأ) (٦١/١).

وذلك لعلمه بأنه[1] لا ينفعه ذلك، كمن رأى شخصاً يصلي بلا وضوء فقطع عليه صلاته[2].

---

(١) ق: بأن.

(٢) هذا التوجيه كالتعليل لفعل جبريل -عليه السلام- وقوله، وكالرد على من اعترض على الحديث.

وقد ذهب الزمخشري هنا (١٧٠/٣ وما بعدها) إلى أن قوله: "خشية أن تدركه الرحمة" من زيادات الباهتين لله وملائكته. قال: "وفيه جهالتان: إحداهما: أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه، والأخرى: أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر، لأن الرضا بالكفر كفر. اهـ.

ويجاب عن هذا الاعتراض بعدة أجوبة:

الأول: أنه لا ينبغي أن يعارض قول الرسول ﷺ الثابت بآراء البشر وأقوالهم، بل المُحكَّم هو النص فما دام النص ثابتاً وجب القول به فإن قدرت عقول البشر على فهمه وإدراكه فذاك، وإن عجزت وجب اتهام العقل ولا يجوز -بحال- التجري على رد النص والقدح فيه بمجرد الظن.

الثاني: أن الملائكة خلق من خلق الله مفطورون على طاعة الله ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ سورة التحريم، من الآية (٦)، ولا يتصرفون إلا بإذنه تعالى وأمره ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء، لآية (٢٧)، ولذا وجب أن يحمل فعلهم على أنه بأمر من الله تعالى وإذنه. ويشهد لذلك ما رواه البخاري في كتاب التفسير (سورة مريم) باب قوله: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال النبي ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا =

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ نلقيك على نجوة من الأرض خالياً من الروح(١) ليراك بنو إسرائيل على تلك الهيئة زيادة في سرورهم ولئلا يظن الجهلة

بِأَمۡرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا ﴾. (٢٣٧/٦).

الثالث: وقد أجاب الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص(٨٥-٨٦) عن اعتراض الزمخشري فقال: "للحديث توجيه وجيه لا يلزم منه ما ذكره الزمخشري، وذلك أن فرعون كان كافراً كفر عناد، ألا ترى إلى قصته حيث توقف النيل، وكيف توجه منفرداً وأظهر أنه مخلص، فأجرى لـه النيل ثم تمادى في طغيانه وكفره فخشي جبريل أن يعاود تلك العادة فيظهر الإخلاص بلسانه فتدركه رحمة الله فيؤخره في الدنيا فيستمر على غيه وطغيانه فدس في فمه الطين ليمنعه من التكلم بما يقتضي ذلك، وهذا وجه الحديث ولا يلزم منه جهل ولا رضا بكفر بل الجهل كل الجهل ممن اعترض على المنقول الصحيح برأيه الفاسد". اهـ.

الرابع: قال -رحمه الله-: "وأيضاً فإيمانه في تلك الحالة على تقدير أنه كان صادقاً بقلبه لا يقبل لأنه وقع في حال الاضطرار ولذلك عقب في الآية بقوله تعالى: ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ ﴾ وفيه إشارة في قولـه تعالى: ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ﴾ سورة غافـر، من الآيـة (٨٥)". اهـ.

وهذان الوجهان ينطبقان على كلام المؤلف رحمه الله تعالى.

(١) النجوة من الأرض: الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض.

انظر: تهذيب اللغة (نجو) (٢٠٠/١١).

أنك نجوت من الغرق لكونك إلهاً، وقريء بالحاء[1] [أيْ][2] نلقيك إلى ناحية[3].

وقيل: ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ عرياناً من غير لباس[4]، أو كاملاً سوياً[5]، أو بدرعك

وقد قال بهذا القول أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨١/١) ويونس وابن جرير (١٩٤/١٥) وعزاه ابن الجوزي (٦٠/٤) للغويين.

وقيل: ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ من النجاة أيْ: نخرج بدنك بعد الغرق من البحر، وإليه ذهب ابن عباس، كما رواه الطبري (١٩٧/١٥) واختاره الزمخشري (١٧٢/٣) وغيره.

(١) هي قراءة أبي بن كعب -ﷺ- ويزيد البربري ومحمد بن السَّميفع.

وقال أبو حيان: "ورويت عن ابن مسعود". اهـ.

انظر: الشواذ لابن خالويه ص(٥٨)، المحتسب (٣١٦/١)، البحر المحيط (١٨٩/٥).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) قال أبو الفتح في المحتسب (٣١٧/١): "هذه نُفعِّلك من الناحية، أي نجعلك في ناحية من كذا". اهـ.

وانظر: الكشاف (١٧٢/٣).

(٤) قاله الزجاج (٣٢/٣).

(٥) قال الطيبـي في فتوح الغيب ص(١٤٤): "لو اقتصر على قوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾ لاحتمل النقصان من قطع رأس أو رجل أو يد فزيد ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ لرفع ذلك التوهم". اهـ.

وقد نقل هذا القول ابن كثير (٢٢٨/٤) عن عبدالله بن شداد قال: سوياً صحيحاً، أي: لم يتمزق ليحققوه ويعرفوه.

فإنه كان لابساً درعاً من الذهب[1].

﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ لمن يأتي بعدك إلى يوم القيامة إذا سمع ما كنت فيه من الدعوى وما آل إليه أمرك، ولمثل هذا حكى الله في كتابه

(١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "كانت عليه درع من ذهب يعرف بها". اهـ.

ذكره الواحدي في الوسيط (٢/٥٥٨) والرازي في التفسير الكبير (١٧/١٢٦).

والقول بأن معنى ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ أيْ: بدرعك نقله الواحدي في البسيط (٣/٩٧٦) عن الكسائي، وعزاه ابن الجوزي (٤/٦١) لأبي صخر، وبه قال مكي في مشكل إعراب القرآن (١/٣٩١)، واختاره أبو حيان (٥/١٨٨)، وقد استبعده الأخفش في معاني القرآن (١/٥٧٤).

وانظر الأقوال الثلاثة في: الكشاف (٣/١٧٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٥).

وهناك قول رابع عليه كثير من المفسرين وهو ما أشار إليه المؤلف أولاً أن المراد: بجسدك دون روحك.

وهذا القول رواه الطبري (١٥/١٩٦) عن مجاهد، وقال به هو وابن قتيبة في غريب القرآن ص(١٩٩)، والأخفش في معاني القرآن (١/٥٧٣)، والبغوي (٤/١٤٩)، وصدر به الزمخشري (٣/١٧٢)، والبيضاوي (١/٤٤٥) الأقوال في الآية.

قال الطبري (١٥/١٩٧): "فإن قال قائل: ما وجه قوله: ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾؟ وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه: ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾؟

قيل: كان جائزاً أن ينجيه بهيئته حياً كما دخل البحر، فلما كان جائزاً ذلك قيل: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ولكن ميتاً". اهـ.

أحوال الأمم الهالكة ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[1]، ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[2].

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ حيث يسمعون مثل هذه الوقائع ولا يتفكرون في عظمة الله وكبريائه ولا يقلعون عن مخالفة أوامره.

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ منزلاً مرضياً[3] وهو الشام لكونه موطن الأنبياء أو لكونه المحشر يوم القيامة[4]، وقيل: هو

---

(١) سورة الأنعام، من الآية (١١).

وكانت الآية في جميع النسخ: فانظروا. وهو خطأ.

والآية المقاربة لهذه الآية في النظم والتي فيها: (فانظروا) هي في سورة النمل، الآية (٦٩)، وهي: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾.

(٢) سورة الروم، من الاية (٩)، سورة فاطر، من الآية (٤٤).

(٣) انظر: الكشاف (١٧٣/٣)، تفسير البيضاوي (٤٤٦/١).

(٤) روى الإمام أحمد في مسنده (٤٦٣/٦)، وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس (٤٥١/١ رقم ١٤٠٧) عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، قال: «أرض المحشر والمنشر... الحديث».

=

مصر[1] فإنهم سكنوا بعد فرعون،ووجه كونه منزل صدق أنهم هناك وعدوا بالنجاة وبها غرق فرعون، غرق بموضع يسمى سُوَيْس[2] على ثلاث مراحل منها.

﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ من اللذائذ ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ ﴾ أي: ماتشعبوا وتحزبوا في أمر دينهم إلا بعد علمهم بها في

وإسناده صحيح ورجاله ثقات كما قال البوصيري في زوائد ابن ماجه (بهامش السنن، الموضع السابق).

وأخرج أبو الحسن الربعي في فضائل الشام ودمشق عن أبي ذر -رضي الله عنه- نحوه. وقد صحح الحديث الألباني -رحمه الله- بشواهده.

انظر: تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ص(١٤).

(١) روى ابن جرير (١٥/١٩٨-١٩٩) عن الضحاك قال: مصر والشام، وعن قتادة: الشام وبيت المقدس.

وعن ابن زيد: الشام.

ونقل الواحدي في البسيط (٣/٩٧٩) عن الحسن أنه: مصر. واختاره البغوي.

انظر: تفسير البغوي (٤/١٤٩)، زاد المسير (٤/٦٢).

(٢) قال ياقوت: "بُليد على بحر القلزم، وهو ميناء أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة". معجم البلدان (٣/٢٨٦).

التوراة[1]، وهذا غاية ذم لهم حيث جعلوا ما كان سبباً للاتفاق وسيلة الاختلاف[2].

فإن قلت: قد ورد في الحديث أنه قال ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة[3]» وقد اختلفت[4] الأئمة في الآيات والأحاديث من الصحابة ومن بعدهم.

[قلت][5]: اختلاف الأمة في الفروع وما للاجتهاد فيه مدخل لا في الأصول

---

(١) قال بهذا أبو الليث السمرقندي (٢/١٣١)، والزمخشري (٣/١٧٣)، وأبو حيان (٥/١٩٠).

(٢) ق: للاختلاف.

(٣) لا أصل لــه. نقل المناوي في فيض القدير (١/٢١٢) عن السبكي أنه قال: "ليس بمعروف عند المحدثين و لم أقف لــه على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع. اهــ.

وقال السيوطي في الجامع الصغير (١/٤٨) بعد أن ذكر أنه بدون سند: "ولعله خُرِّج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا". اهــ.، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/٧٦ رقم ٥٧): "لا أصل لــه". اهــ.

وانظر: الإحكام لابن حزم (٥/٦١)، الدرر السنية (٤/٧٩).

(٤) ق: اختلف.

(٥) ساقطة من ص.

والعقائد [لقوله][(١)]: «ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلهم في النار إلا التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي»[(٢)].

وقيل: هو اختلافهم في أمر محمد ﷺ بعد علمهم بنبوته ودلالة[(٣)] معجزاته[(٤)].

---

(١) زيادة من ص فقط.

(٢) رواه بهذا اللفظ: «ما أنا عليه وأصحابي» الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة (٢٩٧/٧ رقم ٢٦٤٣) والآجري في الشريعة (٣٠٨/١-٣٠٩) والحاكم في المستدرك (١٢٨/١-١٢٩) كلهم بألفاظ مقاربة عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه-، وقال الترمذي: هذا حديث مفسَّر حسن غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. اهـ.

والحديث من هذا الطريق ضعيف لأن في إسناده عبدالرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف من جهة حفظه. انظر: الضعفاء الكبير (٣٣٢/٢)، تهذيب التهذيب (١٧٣/٦).

وأما أصل الحديث فصحيح وقد روي عن جمع من الصحابة -رضي الله عنهم- منهم أبو هريرة وأنس ومعاوية بن أبي سفيان وعوف ابن مالك وغيرهم بألفاظ مختلفة قال في بعضها: "هي الجماعة" وفي لفظ: "السواد الأعظم" وفي لفظ: "إنها الناجية" وبعض هذه الأحاديث صحيح وبعضها حسن.

انظر: الشريعة للآجري (٣١٢/١-٣١٥)، سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢/١-٢٥ رقم ٢٠٤).

(٣) ق: ودلائل.

(٤) قال ابن الجوزي: "قال ابن عباس: ما اختلفوا في محمد، لم يزالوا به مصدقين ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ يعني: القرآن، وروي عنه: ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ يعني: محمداً، فعلى هذا يكون =

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ يميز بين المحق والمبطل ويُجازي كلاً[1] على وفق عقيدته وما يقتضيه عمله[2].

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ [فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾][3] كلام على سبيل الفرض مثل قوله: ﴿ لَئِنْ

العلم ها هنا عبارة عن المعلوم". زاد المسير (٤/٦٣).

وقال الطبري (١٥/١٩٩): "﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ ﴾ يقول جل ثناؤه: فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين، وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبي ﷺ مجمعين على نبوة محمد والإقرار به وبمبعثه غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوباً عندهم فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم والمؤمنون به منهم كانوا عدداً قليلاً فذلك قوله: فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه نبياً لله، فوضع العلم مكان المعلوم". اهـــ.

وانظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٧٨)، تفسير البغوي (٤/١٥٠).

(١) كذا في سائر النسخ وهو الصواب، وفي الأصل: كل.

(٢) ق: علمه.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يكتب في سائر النسخ، وقد كتب في نسخة المدينة المنورة وقد تكلم المؤلف عليها فأثبتها.

أَشْرَكْتَ ﴾[1] للإلهاب وتهييجه[2] على التثبت ودفع الوساوس[3] التي ربما تعرض لـه من تكذيب الكفرة[4]، وفيه إشارة إلى أن أهل الكتاب لهم رسوخ في العلم بصحة ما أنزل إليه حتى إنه يصح لمثله أن يسألهم إذا اعتراه شبهة على الفرض، ثم أغناه عن السؤال بقولـه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ شهادة[5] بحقيته تغني عن شهادة غيره، دل على أن ذلك إنما كان أمراً على سبيل الفرض، وقد روي: لما قرأه

---

(١) سورة الزمر، من الآية (٦٥).

(٢) ص وَ ق: وتهيجه.

(٣) ق: الوسواس.

(٤) قال به الفراء (٤٧٩/١)، والزمخشري (١٧٣/٣).

قال الطبري (٢٠٠/١٥-٢٠١): إن كنت يا محمد في شك من حقيقة ما اخترناك فأنزلنا إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولاً لأنهم يجدونك عندهم مكتوباً فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم. اهـ. باختصار وتصرف يسير، ثم روى عن ابن عباس وابن زيد والضحاك نحوه، ثم ذكر -رحمه الله- أنه ليس لشك منه ﷺ ولكن من قبيل الحض والحث.

(٥) ص: شهادته.

عليه جبريل قال: «لا أشك ولا أسأل»[1] ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ الشاكين.

أو الخطاب لـه والمراد أمته، أو كل من سمع[2] ويؤيده قوله: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ إذ هو

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢٩٨/٢/١)، والطبري (٢٠٢/١٥) كلاهما عن معمر عن قتادة قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل» ورواه الطبري أيضاً (الموضع السابق) عن سعيد بن جبير والحسن من قولهما.

(٢) قال الزجاج في معاني القرآن (٣٢/٣): "المعنى أن الله جل وعز خاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى: إن كنتم في شك فاسألوا، والدليل على ذلك قولـه في آخر السورة: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ آية (١٠٤) ... والدليل على أن المخاطبة للنبي مخاطبة للناس قولـه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ سورة الطلاق، من الآية (١)، فقال: طلقتم، ولفظُ أولِ الخطاب للنبي وحده فهذا أحسن الأقوال". اهـ.

وقد جوّز هذا القول الطبري في تفسيره (٢٠٣/١٥) ونسبه الواحدي في الوسيط (٥٥٩/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/٤) للأكثرين.

وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص(٢٧٠)، معاني القرآن للنحاس (٣١٦/٣).

منزه عن التكذيب، ويحتمل[1] أن يكون من قبيل الإلهاب والتهييج[2] أو لقطع الأطماع كقوله: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾[3].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾[4] أحكامه الأزلية أو

---

(١) ص: بحذف الواو.

(٢) ص: والتهيج.

(٣) سورة القصص، من الآية (٨٦).

وقد كتبت الآية في النسخ: ولا تكونن. وهو خطأ.

وانظر: الكشاف (١٧٤/٣).

(٤) كلمات الله تعالى على نوعين:

الأول: الكلمات الكونية التي يخلق بها ويكون كل ما يتعلق بالحوادث الكونية التي قدرها -ﷻ- مما يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر كقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة يونس، الآية (٣٣) وكالآية أعلاه.

فهذه الكلمات متعلقة بربوبيته وخلقه، جارية على عباده جميعاً لا خروج لأحد عنها.

الثاني: الكلمات الشرعية، التي تتعلق بالأمور الدينية التي يحبها الله ويرضاها كالكتب الإلهية المنزلة كالتوارة والإنجيل والقرآن، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ سورة التوبة، من الآية (٦).

وهذه الكلمات متعلقة بإلهيته.

انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٨/٨)، شفاء العليل ص(٢٨٢).

علمه وإرادته [وقدرته](1) تعلقت بكفرهم والموت عليه(2) ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ لاستحالة وقوع خلاف معلومه ومراده وتبدل حكمه الأزلي(3). قرأ نافع وابن عامر بجمع الكلمات(4) والرسم على التوحيد(5)، والجمع أظهر لدلالته على الإفراد صريحاً. ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ لوجود الختم وسبق المشيئة(6) ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ولا نفع للإيمان حينئذٍ(7).

(١) ساقطة من ق.

(٢) ص: عليهم.

(٣) كلمات الله تعالى أمر زائد على العلم والإرادة والقدرة -كما سبق- إلا إن أريد أنها من لوازم ذلك. والله أعلم.

(٤) وباقي السبعة بالتوحيد (كلمة) انظر: السبعة ص(٢٦٦)، النشر (٢/٢٦٢).

(٥) انظر: المقنع لأبي عمرو الداني ص(٧٩).

(٦) وهذه المشيئة صادرة عن علم وحكمة، فلعلم الله تعالى أنهم ليسوا أهلاً للإيمان لفساد قلوبهم صرفهم عن الإيمان، وليست أفعال الله تعالى جارية على المشيئة المجردة العارية عن الحكمة تعالى الله عن ذلك.

(٧) حينئذٍ في ص كتبت: حـ~.

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴾[1] لوم على ترك الإيمان في وقته [والاشتغال به في وقت لا غناء لـه كما فعله فرعون ﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ ﴾ لوقوعه في وقته][2] ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ لكن قوم يونس، استثناء منقطع[3] من القرى لأن المراد أهلها ﴿ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ ﴾ قبل[4] مشاهدة العذاب وحصول البأس ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ولم يصبهم [مثل][5] ما أصاب سائر الأمم ﴿ وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [إلى حين][6] آجالهم[7].

---

(١) ق: فنفعها إيمانها.

(٢) مابين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) قال به سيبويه كما في الكتاب (٢/٣٢٥) والفراء في معاني القرآن (١/٤٧٩، والكسائي والأخفش. انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٥)، وهو قول الطبري (١٥/٢٠٦) ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٣٩١).

(٤) ص: قيل.

(٥) ساقطة من ص.

(٦) ساقطة من ص.

(٧) هذا المعنى للآية قال به الزجاج في معاني القرآن (٣/٣٤)، والزمخشري (٣/١٧٥)، والبيضاوي =

ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً لاشتمال ﴿لَوْلَا﴾ على معنى النفي أو لمجيئه لـه[1]، عن ابن عباس -رضي الله عنه-: أن لولا في موضعين من القرآن بمعنى النفي ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾[2] ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾[3]، كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى العاصية إلا قوم يونس بن

(٤٤٦/١) وغيرهم.

قال الزجاج (الموضع السابق): "معناه: هلا كانت قرية آمنت في وقت ينفعهم الإيمان، وجرى هذا بعقب قول فرعون لما أدركه الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فأعلم الله جل وعز أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذي لا يشك فيه... وقوم يونس -والله أعلم- لم يقع بهم العذاب إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب فلما آمنوا كشفت عنهم". اهـ.

(١) جوّزه الزمخشري (١٧٥/٣)، والبيضاوي (٤٤٦/١) وغيرهم.

وانظر تفصيل الوجهين في: فتوح الغيب ص(١٥٤).

(٢) ص: بالواو بين الآيتين.

(٣) سورة هود، من الآية (١١٦).

والأثر لم أقف عليه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وإنما رواه ابن أبي حاتم عن أبي مالك.

انظر: الدر المنثور (٣٩١/٤).

متى[1]. بعث إلى أهل نِيْنَوَى[2] من أرض الموصل[3] فدعاهم إلى الله فكذبوه فوعدهم نزول العذاب بعد أربعين يوماً وخرج من بينهم، فلما مضى خمس وثلاثون ليلة[4] غامت السماء غيماً أسود هائلاً، ثم هبط على مدينتهم فتغشاها فلما رأوا ذلك لبسوا

وروى ابن جرير (٢٠٧/١٥) وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ يقول: لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله إلا قرية يونس.

(١) كذا في الأصل، وسائر النسخ: ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ يونس بن متى.

(٢) نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو -كذا ضبطها ياقوت- كانت إحدى مدن العراق المهمة ولها شهرة تاريخية، تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة وهي اليوم أطلال وآثار.

انظر: معجم البلدان (٣٣٩/٥)، معجم المعالم الجغرافية ص(٣٢٣).

(٣) مدينة كبيرة تقع في شمال العراق على الضفة الغربية لنهر دجلة، قيل: سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: لأنها وصلت بين دجلة والفرات.

انظر: معجم البلدان (٢٢٣/٥)، معجم المعالم الجغرافية ص(٣٠٥).

(٤) ذكره الزمخشري (١٧٥/٣) وغيره.

وأخرج ابن جرير (٢٠٧/١٥)، وغيره عن قتادة أنهم دعوا الله أربعين ليلة.

وقد روى أيضاً -رحمه الله- (٢٠٩/١٥-٢١٠) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- ابن أبي نجيح: أنه وعدهم العذاب بعد ثلاث.

وانظر: تفسير البغوي (١٥١/٤)، الدر المنثور (٣٩١/٤).

المسوح وبرزوا إلى الصحراء بدوابهم ومواشيهم ونسائهم وصبيانهم، وفرقوا بين كل والدة وولدها فحنَّ بعضها إلى بعض فارتفعت الأصوات وعلا الضجيج والعجيج(١)، وأخلصوا الإيمان والتوبة فكشف الله عنهم، وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة(٢).

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ أشار إلى أن قوم يونس آمنوا لأن مشيئته الأزلية تعلقت بإيمانهم ولو شاء إيمان الخلق بأسرهم لآمنوا كلهم، ثم أنكر على رسوله تهالكه على إيمان قوم لم يرد الله ذلك منهم

بقوله: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾، وإنما رتب الكلام بالفاء داخلاً عليها همزة الإنكار مع تقديم الضمير دلالة على أن

---

(١) العجيج: ارتفاع الأصوات.

انظر: معجم مقاييس اللغة (عج) (٤/٢٧).

(٢) هذا السياق للقصة ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/١٧٥)، وقد ورد معناه عن جمع من الصحابة والتابعين.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٢٠٧)، تفسير البغوي (٤/١٥١)، تفسير ابن كثير (٤/٢٣١)، الدر المنثور (٤/٣٩١).

المُنْكَر كونه مكرِهاً؛ لأن الله/ قادر على إلجائهم[1].

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ وما صح ولا أمكن إلا بإرادة الله ومشيئته، وإنما ذكره لأن انتفاء مشيئته إيمان كل من في الأرض لا يدل على أن من آمن منهم لا يؤمن إلا بمشيئته ﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ ﴾ العذاب[2]، أو أسبابه من المعاصي والآثام. قرأ أبو بكر ﴿نجعل﴾ بالنون[3].

﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ناظر إلى قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[4]، ومعنى ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

---

(١) وقادر على هدايتهم جميعاً دون إلجاء كما قال تعالى في أول الآية: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾.

(٢) نقله ابن الجوزي في زاد المسير عن الحسن (٤/٦٨)، وقال به الفراء في معاني القرآن (١/٤٨٠)، والزجاج في معاني القرآن (٣/٣٦)، والطبري في تفسيره (١٥/٢١٤) وغيرهم.

(٣) قراءة عاصم في رواية أبي بكر: ﴿نجعل﴾، وقرأ باقي السبعة وحفص عن عاصم: ﴿يجعل﴾.

انظر: السبعة ص (٣٣٠)، الإقناع (٢/٦٦٢).

(٤) قد يكون مراده –رحمه الله– أن قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ في المعنى، =

لا يستعملون عقولهم بالنظر في الكائنات ليؤديهم إلى العلم بوحدة موجدها ولذلك قال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ من عجائب الصنع وبدائع الآيات والعبر ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ أي الإنذارات أو الرسل المنذرون[1]؛ لسبق القضاء بعدم إيمانهم.

﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾

تفريع على ما تقدم فلا بقاء لهم إلا لأمر أراده الله ووقت ضربه لنزول العذاب بهم مثل ما نزل بأولئك الأمم، و (الأيام)[2]: الوقائع، يقال: أيام العرب لوقائعها[3].

فالذين حقت عليهم كلمة العذاب وعدم الإيمان هم الذين لا يعقلون؛ الذين جعل الله عليهم الرجس.

وقد يكون مراده أنه جيء بقوله: ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ على الجمع بعد قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ.. ﴾ مراعاة للجمع السابق قبل ذلك في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾. والله أعلم.

(١) انظر القولين في: الكشاف (١٧٧/٣)، والثاني هو قول الطبري (٢١٥/١٥)، والسمرقندي (١٣٤/٢)، والواحدي في البسيط (٩٩٦/٣)، والبغوي (١٥٤/٤)، وابن عطية (١٤٥/٣) وغيرهم.

(٢) كلمة زائدة بعد (الأيام) في الأصل غير مقروءة.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (يوم) (٦٥١/١٥).

﴿ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ لذلك، أو فانتظروا هلاكي فإني منتظر هلاككم[1].

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ ﴾ عطف على مقدر كأنه قيل: أهلكنا الأمم ثم أنجينا[2] الرسل[3]، وإنما أتى به على حكاية الحال الماضية[4] استحضاراً لصورة الواقعة ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ مثل ذلك الإنجاء، و ﴿ حَقًّا ﴾ مصدر [مؤكد][5] لفعله المقدر، اعتراض أي:حق ذلك علينا حقاً[6]، وقرأ حفص والكسائي ﴿ نُنجِ ﴾ بإسكان النون وتخفيف

---

(١) انظر الوجهين في: تفسير البيضاوي (٤٤٧/١)، والأول هو ما ذكره الطبري (٢١٥/١٥)، والثاني هو ما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦٩/٤).

(٢) ق: نجينا.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١٦/١٥)، معاني القرآن للزجاج (٣٦/٣). المراجع في الحاشية التالية.

(٤) انظر: الكشاف (١٧٧/٣)، تفسير البيضاوي (٤٤٧/١)، والمراد أنه عبر عن الحال الماضية بالمضارع لأجل استحضار الواقعة.

(٥) زيادة من نسخة المدينة المنورة.

(٦) انظر: الكشاف (١٧٧/٣)، تفسير البيضاوي (٤٤٧/١).

الجيم[1]، والتشديد أبلغ[2].

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾ خطاب لأهل مكة[3] ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ أيْ: إن حصل لكم ريب في صحة ديني فلا مجال للشك فيه؛ لأني أعبد رباً موصوفاً بهذه الصفات التي كلها صفات الألوهية فاعرضوا هذا على عقولكم لتعلموا أنه الدين.

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ أيْ: أمرني الله بأن أكون من جملة المؤمنين بما أنزل إليَّ من الوحي، وما دل العقل على صحته ووافق قانون

---

(١) وقرأ باقي السبعة ﴿نُنَجِّي﴾، فقراءة حفص والكسائي من أنجى ينجي، وقراءة الباقين من نجّى ينجي.

انظر: السبعة ص (٣٣٠)، التيسير ص (١٠١).

(٢) قال مكي في الكشف: "وفي التشديد معنى التكرير". (٥٢٣/١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦٩/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ولا يخفي أن العبرة بعموم اللفظ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٦/٣): "مخاطبة عامة للناس أجمعين إلى يوم القيامة يدخل تحتها كل من اتصف بالشك في دين الإسلام". اهـ.

الشرع، وحذف الجار من ﴿ أَنْ ﴾ كما هو المطرد في "أنْ"، أو هو من الحذف بعد فعل الأمر خاصة[1] كقولـه:

أمرْتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمرتَ بهِ[2] ....

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ عطف على ﴿ أَنْ أَكُونَ ﴾ غير أن صلـة ﴿ أَنْ ﴾ هنا إنشاء، والإنشاء والخبر في ذلك سيان[3]، والمعنى: أمرت بالإيمان

---

(١) قال في الكشاف (٣/١٧٧): "وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد... وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله: أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر".

قال أبو حيان في البحر المحيط (٥/١٩٥): "يعني بالحذف غير المطرد وهو قوله: امرتك الخير، أنه لا يحذف حرف الجر من المفعول الثاني إلا في أفعال محصورة سماعاً لا قياساً وهي: اختار واستغفر، وأمر، وسمى، ولبى، ودعى بمعنى: سمى، وزوّج، وصدّق".

(٢) صدر بيت لعمرو بن معد يكرب، وقيل للعباس بن مرداس، وقيل لأعشى طرود وقيل غير ذلك، وعجزه:

.... فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَبِ

انظر: الكتاب (١/٣٧)، المقتضب (٢/٣٦، ٨٦)، خزانة الأدب (١/٣٣٩)، أمالي ابن الشجري (٢/١٣٣، ٥٥٨).

(٣) أي أن الخبر والإنشاء سيان في وقوعهما صلة؛ لـ "أن" المصدرية فيقال: عجبت من أن قام ومن أن يقوم وأمرته بأن قم.

والاستقامة والإخلاص فيه، أو الأول إشارة إلى الأصول والعقائد وهذا إلى الفروع كأداء الفرائض واستقبال القبلة[1]، والوجه أريد به الذات[2].

﴿ حَنِيفًا ﴾ حال عن الدين أو الوجه[3]، [ومن الوجه][4] أوجه لقوله: ﴿ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ ﴾[5]، ولقوله ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ ﴾[6] ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ تذييل لـه.

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ ﴾ إذ لا مؤثر سواه ﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ "فإن دعوتك ما لا ينفعك ولا يضرك كَنَّى عنه بالفعل

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٤٨/١).

(٢) قال الطبري (٢١٨/١٥): " ﴿ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ أقم نفسك على دين الإسلام". اهـ.

(٣) انظر الوجهين في: الكشاف (١٧٨/٣)، تفسير البيضاوي (٤٤٨/١)، وقال أبو حيان (١٩٥/١٥): "﴿ حَنِيفًا ﴾ حال من الضمير في ﴿ أَقِمْ ﴾ أو من المفعول "يعني: الوجه" وأجاز الزمخشري أن تكون حالاً من الدين". اهـ.

(٤) ساقطة من ص.

(٥) سورة الأنعام، من الآية: (١٦١).

(٦) سورة الأنعام، آية: (٧٩).

إيجازاً"[1] ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ ﴿إِذًا﴾ حرف مكافاة وجواب عن سؤال محقق أو مقدر[2] يقول الرجل: أزورك الليلة، تقول[3]: إذاً أكرمَك[4].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ رجح جانب الترغيب إذ المقصود الاعتصام به وحده، ولا شك أن النفوس الزكية باللطف آنس فآثر في الشر لفظ المس الدال على القلة، والوصول إلى الظاهر فقط، ولم يصرح بالإرادة وإن لم يكن إلا معها حتى كأنه واقع بالعرض، وأشار بالاستثناء إلى أنه لا بقاء لـه إن لجأ إليه المصاب، وفي الخير الإرادة المطلقة الشاملة للظاهر والباطن، وجعل المخاطب مراداً والخير تابعاً وصرح بأنه لا راد لذلك المراد لا هو ولا غيره؛ لأن مراده واقع قطعاً وسماه فضلاً، وما كان فضلاً منه يشعر بالرأفة والعناية.

(١) الكشاف (٣/١٧٨).

(٢) ق: مقرر.

وانظر: الكشاف (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٨).

(٣) ق: يقول.

(٤) انظر: الإيضاح في شرح المفصل (٢/٢٦٣).

وهذه نكت تعتبر[1] في الكلام البليغ باعتبار المقام ولا يجب اعتبارها في كل مقام، ولذلك [ذكر][2] المس في الموضعين في الأنعام بقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[3].

والآية أبلغ من قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾[4] لاختصاصه بالأصنام وعموم الآية[5].

﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ فليتوجه الراجون جناب قدسه ويَسْتَعْدُوا بذلك[6] مزايا عميم لطفه[7].

---

(١) ق: يعتبر.

(٢) ساقطة من ص.

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٧).

(٤) سورة الزمر، من الآية (٣٨).

وقد ذكر ذلك الزمخشري (٣/١٧٨).

(٥) انظر: فتوح الغيب ص (١٦٤).

(٦) ق: لذلك.

(٧) أي: يطلبوا ويستنزلوا.

قال في القاموس (عدا) ص (١٦٨٨): "استعداه: استغاثة واستنصره".

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ القرآن وسائر الأحكام ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾(١).

﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ منكم ﴿ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ لا يتجاوز نفعه إلى غيره ﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ لا يتجاوزها وباله ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ١٠٨ ﴾ بحفيظ يحفظ عليكم أعمالكم(٢).

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ تتبع أثره ولا تدع منه شيئاً لا تبلغه؛ كانوا يقولون لـه: اترك ذم آلهتنا ونؤمن بك ﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ على أذاهم ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ﴾ لك بالنصر والغلبة أي: يظهر حكمه ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾

---

(١) سورة الحشر، من الآية: (٧).

(٢) قاله البغوي (٤/١٥٥)، والقرطبي (٨/٣٨٩).

وقيل المعنى: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ١٠٨ ﴾ في منعكم من اعتقاد الباطل وحملكم على الإيمان.

قاله الطبري (١٥/٢٢٠)، والواحدي في الوسيط (٢/٥٦٢)، والزمخشري (٣/١٧٩)، وابن عطية (٣/١٤٧)، وابن كثير (٤/٢٣٥).

لعدم احتمال الخطأ عليه[1].

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال للأنصار في آخر موعظة وعظها: «إنكم سترون أَثَرَة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» قال أنس: "فلم نصبر نحن"[2]. روي أن معاوية لما قدم المدينة حاجاً تلقته الأنصار وتخلف أبو طلحة فلما دخل عليه قال له معاوية: "لِمَ لمْ تتلقنا[3]؟" قال: "لم يكن عندنا دواب"، قال: "أين النَوَاضح[4]؟" يُعرِّض به أنه من الأَكَرَة[5]، قال أبو طلحة:

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٤٨).

(٢) رواه البخاري كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (٥/١٠٤) بنحوه في قصة قسم غنائم هوازن وما حصل من الأنصار لما آثر رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم بالعطاء تأليفاً، وفيه: قال أنس: "فلم يصبروا"، وليس في الحديث أنها آخر موعظة وعظها.

والأثرة: من آثر يؤثر إيثاراً وأثرة، أي: سيُفضل غيركم عليكم بالفيء وغيره.

انظر: تهذيب اللغة (١٥/١٢٢)، لسان العرب (آثر) (٤/٨).

(٣) ق: تتلقانا.

(٤) النواضح: جمع ناضح وهي الإبل التي يستسقى عليها.

انظر: النهاية (نضح) (٥/٦٩)، لسان العرب (نضح) (٢/٦١٩).

(٥) الأكرة: جمع أكّار وهو الزّراع والحراث.

انظر: لسان العرب (أكر) (٤/٢٦).

"قطعناهـا في طلبـك وطلـب أبيك"[1].

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦/٦) رقم (٧٤٨٨) عن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٨٦): "رواه إسحاق بن راهويه ومن طريقه الحاكم".

وفيه أن القائل هو أبو قتادة وكذا في الكشاف (١٨٠/٣)، وتخريجه للحافظ ابن حجر (الموضع السابق)، والإصابة (١٥٧/٧)، وأظن أن الوهم دخل على المؤلف -رحمه الله- من نقله عن الطيبـــي في فتوح الغيب ص (١٦٦)، حيث ذكر أنه أبو طلحة -كما أشار إلى ذلك المحقق-.

تنبيه: القصة في الأصول مرتبطة بالحديث السابق وهكذا أوردها الزمخشري، وهي كما يلي: ... قال: قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، وقد قال ﷺ: «**يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة**» قال معاوية: فماذا قال؟ قال: «**فاصبروا حتى تلقوني**» قال: فاصبر قال: إذن نصبر.

ومناسبة إيراد الزمخشري لها عند هذه الآية ما ذكره في سبب نزولها حيث قال: "وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال: «**إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني..**» وروي أن أبا قتادة تخلف عن تلقي معاوية... وساق القصة. (١٧٩/٣).

قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١٤٠/٢): "غريب بهذا اللفظ، وهو في تفسير الثعلبي عن أنس بغير سند". أهـــ.

وانظر: تخريج الكشاف لابن حجر ص (٨٦).

تفسير
سورة هود

سورة هود

مكية[1] وهي مائة وثلاث وعشرون آية[2]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓر ﴾ تقدم الكلام في وجوه إعرابه[3].

---

(١) رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال به الحسن وعكرمة ومجاهد وجابر بن زيد وقتادة، وكثير من المفسرين، وروي عن ابن عباس أنها مكية إلا قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ (سورة هود، من الآية: ١١٤)، وعن قتادة نحوه.

وقال مقاتل: مكية إلا قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ.. ﴾ (سورة هود، من الآية: ١٢)، وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ (سورة هود، من الآية: ١٧)، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (سورة هود، من الآية ١١٤).

انظر: زاد المسير (٤/٧٢)، الدر المنثور (٤/٣٩٦).

(٢) إلى هنا ساقط من ص.

وهذا العدُّ لآيات السورة هو على العدِّ الكوفي، قال أبو عمرو الداني: "وهي مائة وإحدى وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري، واثنتان في المدني الأول والشامي، وثلاث في الكوفي". اهـ. البيان في عد آي القرآن ص (١٦٥).

وانظر: الكشف لمكي (١/٥٢٥)، بصائر ذوي التمييز (١/٢٤٦).

(٣) قال -رحمه الله- في (٤/ب) من نسخة الأصل في تفسيرة سورة البقرة:

=

﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر ﴿ الٓر ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف[1]. ﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ نظمت نظماً سرياً رصيناً[2] كالبنيان المُرَصّف لا يتطرق إليه خلل[3]، أو

"وأما إعرابها -الحروف المقطعة- فإن كانت مقطعات على نمط التعديد فلا يتصور الإعراب، وأما إذا جعلت أسماء السور فهي مرفوعة على الابتداء إن صح أن يكون ما بعدها خبراً، أو على الخبرية عن مبتدأ محذوف، أو منصوبة باذكر أو مجرورة بإضمار حرف القسم". اهـ.

(١) والتقدير: هذا كتاب. ونحو ذلك.

وقد جوز الوجهين الفراء في معاني القرآن (٢/٣)، والعكبري في التبيان (٢/٦٨٨)، والبيضاوي (١/٤٤٩)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/٢٧٨)، وغيرهم.

وغلّط الزجاج في معاني القرآن الوجه الأول وقال: "وقال بعضهم: ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر ﴿ الٓر ﴾. وهذا غلط؛ لأن قوله: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾ ليس هو ﴿ الٓر ﴾ وحدها". (٣/٣٧)، ولم يذكر النحاس في إعراب القرآن (٢/٧٨)، والزمخشري (٣/١٨٢)، وأبوحيان (٥/٢٠١)، إلا القول الثاني فقط.

وانظر: تفسير الطبري (١٥/٢٢٥).

(٢) ق: رضياً.

(٣) روى عبدالرزاق في تفسيره (١/٢/٣٠١)، والطبري (١٥/٢٢٦) عن قتادة قال: "أحكمها الله من الباطل".

واختاره الطبري قائلاً: "معناه أحكم الله آياته من الدَّخَل والخلل والباطل". (١٥/٢٢٧).

ورجحه أبوجعفر النحاس في معاني القرآن (٣/٣٢٨)، حيث يقول: "ومن أحسنها قول قتادة أي: =

منقول[1] من حَكُم بالضم إذا صار حكيماً. قال نمر بن[2] تولب[3]:

وأبغضْ بغيضَك بغضاً رُويداً إذا [أنت][4] حاولتَ أن تُحْكِما[5]

أو منعت من الفساد مأخوذ من حَكَمَة الدابة[6]، ومنه قول جرير[7]:

أحكمها من الخلل والباطل".

وانظر: المحرر الوجيز (١٤٨/٣)، الجامع للقرطبي (٢/٩).

(١) ق: مفعول.

(٢) ص: ين.

(٣) ق: تولبه.

وهو النَّمْر بفتح النون وسكون الميم -وقيل غير ذلك- بن تَوْلَب بن زهير بن أُقَيش العُكْلي كان شاعراً جواداً، أدرك الإسلام فأسلم ووفد على النبي ﷺ.

انظر: الشعر والشعراء (٣٠٩/١)، أسد الغابة (٥٨١/٤).

(٤) ساقط من جميع النسخ، ولا يستقيم البيت إلا به، وهو مثبت في مصادر البيت.

انظر: الحاشية التالية.

(٥) انظر: الأغاني (٢٨١/٢٢)، شرح شواهد المغني للسيوطي (١٨١/١).

والمعني: أنك إن أردت أن تكون حكيماً فالزم الوسط وليكن بغضك لمن تبغضه بتوسط واعتدال.

(٦) حَكَمَةَ الدابة: ما أحاط بحنكيها ليمنعها من الجري الشديد.

انظر: لسان العرب (حكم) (١٤٤/١٢).

(٧) جرير بن عطية بن حذيفة التميمي من بني كُليب بن يربوع، من فحول شعراء الإسلام، ونقائضه =

أَبَـــنِي حنيفـــةَ أَحْكِمُـــوا سُـــفهاءَكُم إِنِّـــي أخـــافُ علـــيكُمُ أنْ أَغْـــضَبَا[1]

وقيل: المراد آيات السورة، والإحكام عدم تطرف النسخ إليها/ إذ ليس في السورة آية منسوخة[2]، أو أحكمت بالدلائل والحجج القطعية[3].

مع الفرزدق والأخطل مشهورة، توفي عام ١١٠هـ، وقيل: غير ذلك.

انظر: الشعر والشعراء (٤٦٤/١)، وفيات الأعيان (٣٢١/١).

(١) انظر: شرح ديوان جرير ص (٤٧)، لسان العرب (حكم) (١٤٤/١٢)، والشاهد منه قوله: "أحكموا" أي: امنعوا.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن زيد.

انظر: الدر المنثور (٣٩٩/٤).

وليس هذا القول بظاهر؛ لأن الأصل في الكتاب إذا أطلق أنه يعم جميع القرآن إلا إذا قام دليل يدل على أن المراد بعضه.

وقد روى البغوي (١٥٩/٤)، وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع".

وذكر الواحدي في الوسيط (٥٦٣/٢) عن الكلبي نحوه. واختاره ابن قتيبة.

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢٠١)، زاد المسير (٧٣/٤).

وقد ذكر هذه الأقوال كلها الزمخشري في الكشاف (١٨١/٣).

(٣) ذكر هذا القول والأقوال قبله البيضاوي في تفسيره (٤٤٩/١).

﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ كما تُفصَّل القلائد بالفرائد[1]، كأنه شبه ألفاظه[2] العذبة ومعانيه الشريفة من التوحيد والصفات والنبوة والدلائل الدالة عليها، وما فيه من الحكم والعبر والقصص بالدراري، ثم إيراد كل في موضعه اللائق به تفصيلٌ لها فعلى هذا التراخي رتبيّ[3].

ويجوز أن يراد بالتفصيل جعله مفصلاً سورة سورة وآية آية، أو تفريقه في النزول منجماً، فـ﴿ ثُمَّ ﴾ على أصله لأن الإحكام بالنظر [إلى][4] ذات السورة والآية في نفسها والتفصيل بالنظر إلى ملاحظة الصواحب[5].

(١) الفرائد: جمع فريدة وهي الجوهرة النفيسة.

انظر: لسان العرب (فرد) (٣/٣٣٢).

(٢) ص: الألفاظ.

(٣) قال الزمخشري (٣/١٨١): "فإن قلت: ما معني ثم؟ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت، ولكن في الحال كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام، ثم مفصلة أحسن التفصيل، وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل". اهـ.

(٤) ساقطة من ق.

(٥) انظر: الكشف للقزويني (٢١/ب، ٢٢/أ).

﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ صفة أخرى لـ ﴿ كِتَٰبٌ ﴾[1]، أو خبر آخر[2]، أو صلة لـ ﴿ أُحْكِمَتْ ﴾ أو ﴿ فُصِّلَتْ ﴾[3]. نشرٌ[4] لما تقدمه[5] نحو: ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[6] بعد ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ مفعول له[7]، أو (أن) مفسِّرة؛ لأن في التفصيل

---

(١) والصفة الأولى هي قوله: ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٨).

(٢) والأول هو قوله: ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ على الوجهين في المبتدأ.

انظر: ص (٦٧٤).

(٣) انظر: الكشاف (٣/١٨٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٤٩).

(٤) النَّشْر يأتي بعد اللَّف، ويقال لهما: اللف والنشر وهو: ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه.

انظر: الإيضاح للقزويني ص (٥٠٣).

(٥) قال في الكشاف (٣/١٨٢): "وفيه طباق حسن؛ لأن المعنى: أحكمها حكيم، وفصلها أيْ: بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور". اهـ.

(٦) سورة الأنعام، من الآية/ (١٠٣).

(٧) قاله الزجاج وغيره.

انظر: معاني القرآن (٣/٣٨).

معنى القول، أو كلام مبتدأ منه -ﷺ- على سبيل الإغراء[1] كأنه قال: ترك العبادة إلا له أي: الزموه، كقوله: ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾[2] يؤيده قوله: ﴿ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ ﴾ أيْ: من الله ﴿ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ ﴾ بالعقاب على الكفر والثواب على الإيمان والتوحيد.

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾ عطف على: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ ﴾[3].

﴿ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ أي: استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا بالطاعة[4]، أو استقيموا على التوبة وأخلصوها[5] فالتراخي رتبي؛ لأن الاستقامة والإخلاص أعلى شأناً

---

(١) انظر الأقوال في: الكشاف (١٨٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٤٩/١).

(٢) سورة محمد، من الآية (٤).

وفي حاشية الأصل وَ ص: وجه الشبه وجود الإغراء لا النصب على المصدر كما في ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ ولذلك قدره: الزموا. منه.

وقد ذكر هذا القزويني في حاشيته على الكشاف (٢٢/أ).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٧٩/٢)، البيان لابن الأنباري (٧/٢).

(٤) قاله الطبري (٢٢٩/١٥) وغيره.

(٥) قال الزمخشري في الكشاف (١٨٢/٣) -ومنه نقل المؤلف هذا القول-: "أو استغفروا والاستغفار توبة، ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها".

منها[1].

﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ يعيشكم عيشة راضية ويعطيكم نعمة واسعة متتابعة[2] ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى آخر العمر[3] ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ أيْ: كل ذي فضل في العمل جزاء فضله؛ لأن الدرجات على قدر

(١) أي من مجرد التوبة.

ويجوز أيضاً أن يكون التراخي على هذا الوجه زمانياً.

انظر: الكشف (٢٢/أ)، روح المعاني (٣٠٤/١١).

ونقل البغوي (١٥٩/٤) وغيره عن الفراء أن ﴿ ثُمَّ ﴾ هنا بمعنى الواو أي: وتوبوا إليه، قال: لأن الاستغفار هو التوبة، والتوبة هي الاستغفار.

وذهب الواحدي في الوسيط (٥٦٣/٢)، وابن كثير (٢٣٧/٤)، وغيرهما إلى أن المعنى: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ ﴾ من الذنوب السالفة ﴿ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ من الذنوب المستأنفة متى وقعت.

وانظر: زاد المسير (٧٥/٤)، الجامع للقرطبي (٣/٩).

(٢) وأعظم النعيم الذي يناله من آمن بالله الرضا عنه سبحانه وتعالى والأنس بذكره، وانشراح النفس بعبادته وطاعته، فهذا أعظم الملاذ وأكمل السرور.

انظر: المحرر الوجيز (١٤٩/٣).

(٣) رواه الطبري (٢٣٠/١٥) عن مجاهد وقتادة.

الطاعات، أو فضله الذي هو الثواب[1]، وحاصله الوعد بالخير في الدارين كقوله: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ ﴾ يوم القيامة[3]، وصف بالكبر[4] لطوله[5]، كما وصف بالعظم[6] لتفاقم أمره.

---

(١) قال الطبري (١٥/٢٣٠): "يعني: يثيب كل من تفضل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسباً بذلك مريداً به وجه الله أجزل ثوابه وفضله في الآخرة".
وقال الزجاج في معاني القرآن (٣/٣٨): "من كان ذا فضل في دينه فضله الله بالثواب وفضله بالمنزلة في الدنيا بالدين كما فضل أصحاب نبيه -ﷺ-". اهـ.
وانظر: الوجهين اللذين ذكرهما المؤلف في الكشاف (٣/١٨٢).

(٢) سورة النحل، من الآية: (٩٧).

(٣) قال به الطبري (١٥/٢٣٢)، والواحدي في الوسيط (٢/٥٦٣)، والبغوي (٤/١٦٠)، والزمخشري (٣/١٨٢)، والبيضاوي (١/٤٤٩)، وأكثر المفسرين.
وقيل: المراد يوم بدر وغيره من الأيام التي ابتلوا فيها.
انظر: الجامع للقرطبي (٩/٤)، البحر المحيط (٥/٢٠٢).

(٤) ق: بالكبير.

(٥) وقال القرطبي وأبوحيان: وصف بالكبر لما يقع فيه من الأهوال.
انظر: الجامع للقرطبي (٩/٤)، البحر المحيط (٥/٢٠٢).

(٦) في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ سورة الأنعام، من الآية (١٥)، سورة يونس، من الآية (١٥)، سورة الزمر، من الآية (١٣).

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ رجوعكم، وعيد ولذلك أردفه بقوله: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ فهو قادر على أن يعذبكم أشد العذاب.

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾ روى البخاري عن ابن عباس أنه سئل عن معنى الآية فقال: "كان أناس يستحيون أن يتخلوا[1] فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا فيفضوا إلى السماء فنزلت فيهم"[2].

وقيل: نزلت في أخنس[3] بن شريق[4]، وكان حلو المنطق يظهر لرسول الله ﷺ المحبة ويعجبه مجالسته ومحادثته ويضمر بغضه[5].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/٣٥٠): "أن يتخلوا أي: أن يقضوا الحاجة في الخلاء".

(٢) رواه البخاري كتاب التفسير، باب: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ... ﴾ الآية. (٨/٣٤٩، فتح الباري).

(٣) ق: أجنس.

(٤) اسمه: أُبيٌّ بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي، يكنى: أبا ثعلبة، كان حليفاً لبني زهرة فلما خرجت قريش إلى بدر أشار على بني زهرة بالرجوع بعد نجاة العير فقبلوا منه ورجعوا. فقيل: خنس بهم، فسمي: الأخنس. أسلم وأعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلفة قلوبهم، وتوفي في أول خلافة عمر -رضي الله عنه-.

انظر: السيرة لابن هشام (١/٣١٩)، أسد الغابة (١/٦٠).

(٥) رواه البغوي (٤/١٦٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وذكره الواحدي في أسباب النزول =

وقيل: نزلت في المنافقين[1]. وهذا إنما يستقيم على الإخبار بما هو كائن في علم الله محقق الوقوع[2]؛ لأن السورة مكية والنفاق إنما نجم بالمدينة[3].

والمعنى: يزورّون عن الحق وينحرفون عن سماع الوحي والآيات يريدون بذلك الاستخفاء من الله.

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ كراهة الاستماع يريدون الاستخفاء من الله، وما جعلوه وسيلة[4] دال على خلاف مرادهم [لأن][5] الإعراض عن الحق والاستغشاء[6] دليلان ظاهران على النفاق؛ الثاني منهما أدل. نعى عليهم بالجهل

عن الكلبي ص (٢٧١)، والكلبي متروك.

انظر: ميزان الاعتدال (٣/٥٥٦).

(١) رواه الطبري (١٥/٢٣٣) عن عبدالله بن شداد قال: كان المنافقون إذا مروا به ثنى أحدهم صدره ويطأطئ رأسه فقال الله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ... ﴾ الآية.

وانظر: تفسير البغوي (٤/١٦٠).

(٢) انظر: الكشف للقزويني (٢٢/ب).

(٣) قال البيضاوي في تفسيره (١/٤٥٠): "وقيل: نزلت في المنافقين، وفيه نظر إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة". اهـ.

(٤) ص: وسيلته.

(٥) ق: كان.

(٦) ق: والاستغناء.

المفرط؛ لأن ما لا يخفى[1] على أحد من الناس يريدون إخفاءه على من لا يخفى عليه خافية، ولذلك كرر حرف التنبيه[2].

﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من القول[3] ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾ بضمائر القلوب[4] التي ليست من جنس القول فكيف به؟.

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ أي: ما من شيء يدب على الأرض إلا على الله رزقه وما يكون سبباً لبقائه، وإنما أتى بـ ﴿ عَلَى ﴾ الدال

---

(١) ص: ما يخفى.

(٢) قال القزويني في الكشف (٢٢/ب): "وحاصله أن ثني الصدور لما كان ظاهراً في معنى الإعراض واستغشاء الثياب أظهر منه لم يصح أن يجعله الله سبباً لاستخفائهم، وقد أخبر تعالى أنهم مستمرون على ذلك ولا يخفى حالهم على أدنى المسلمين، فكيف على من لا يخفى عليه خافية، فقوله: ﴿ لِيَسْتَخْفُوا۟ ﴾ إشعار بركاكة عقولهم... إلخ".

(٣) والفعل. قال الطبري (١٥/٢٣٩): "سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم".

وقال الزمخشري (٣/١٨٣): "يعني: أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم".

(٤) ق: ضمائر القول.

على اللزوم لكونه متكفلاً به [تفضلاً][1] وحملاً على التوكل[2]، وفي الحديث: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم[3] كما يرزق الطير تغدو خِمَاصاً، وتروح

(١) ساقطة من ق.

(٢) قال البيضاوي (٤٥٠/١): "وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملاً على التوكل فيه". اهـ.

وقال أبوحيان (٢٠٥/٥): و ﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ظاهر في الوجوب، وإنما هو تفضل ولكنه لما ضمن تعالى أن يتفضل به عليهم أبرزه في حيز الوجوب". اهـ.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٧٨/٤): "قال العلماء: فضلاً فيه لا وجوباً، و ﴿ عَلَى ﴾ ههنا بمعنى "من". وقال القرطبي في الجامع (٦/٩): " ﴿ عَلَى ﴾ بمعنى "من" أي: من الله رزقها، يدل عليه قول مجاهد: كل ما جاءها من رزق فمن الله".

وكذا قال الواحدي في الوسيط (٥٦٤/٢)، ونسبه لأهل المعاني.

وقول مجاهد هذا رواه الطبري (٢٤٠/١٥) وتتمته: "وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً، ولكن ما كان من رزق فمن الله". وقد أخذ بهذا القول الطبري حيث يقول (الموضع السابق):

" ﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ يقول: إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها هو به متكفل وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها". اهـ.

(٣) ق: لرزقتم.

بِطَاناً»[1].

﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ أماكن استقرارها من الأرض والأماكن التي كانت مستودعة [فيها][2] قبل الاستقرار من أصلاب وأرحام[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣٠/١ رقم ٢٠٥)، والترمذي كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (٩٢/٧)، وقال: حسن صحيح. اهـ، وابن ماجه كتاب الزهد، باب في التوكل واليقين (١٣٩٤/٢ رقم ٤١٦٤) كلهم عن عمر -رضي الله عنه-.

والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (٢٤٣/١)، والألباني في صحيح ابن ماجه (٤٠٤/٢).

والخماص: جميع خميص أيْ: ضامرة البطون من الجوع.

انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (خمص) (٣٠٨/١).

وقوله: بطاناً أي: ممتلئة البطون.

انظر: لسان العرب (بطن) (٥٣/١٣).

(٢) ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في باقي النسخ.

(٣) قاله الزمخشري (١٨٤/٣)، ونقل ابن الجوزي في زاد المسير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ سورة الأنعام، من الآية: (٩٨) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق ابن جبير أن المستقر في الأرض والمستودع في الأصلاب.

﴿ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ كل ذلك ثابت في اللوح المحفوظ.

وفيه مبالغة من وجوه: طريقة الحصر(1)، وكلمة ﴿ عَلَى ﴾ الدالة [على](2) الدوام، وإثباته في اللوح، ثم وصف اللوح بالإبانة والظهور، كمن يقر بشيء

وفي الآية أقوال أخرى منها:

١- المستقر هو مأواها ليلاً أو نهاراً، والمستودع الذي تودع فيه بموتها ودفنها.

رواه الطبري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- -من طريق مقسم وعلي بن أبي طلحة- وقال به.

٢- المستقر في الرحم، والمستودع في الصلب.

وقال به ابن عباس -في رواية العوفي- ومجاهد والضحاك.

٣- المستقر في الرحم، والمستودع حيث تموت.

وهو قول ابن مسعود -ﷺ-.

٤- المستقر أيام حياتها، والمستودع حيث تموت ومن حيث تبعث. قاله الربيع بن أنس.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٢٤١-٢٤٣)، تفسير البغوي (٤/١٦٢)، الجامع للقرطبي (٩/٨)، الدر المنثور (٤/٤٠٢).

(١) الحصر في قوله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾.

(٢) ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في باقي النسخ.

لأحد ثم يكتب على نفسه لذلك صكاً[1]، وقد دلت الآية على كونه تعالى عالماً بالمعلومات كلها فهو عالم بأحوال المنافقين قادر على مجازاتهم.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ دليل على كونه قادراً على كل شيء كما أن الأولى دلت على علمه بالأشياء كلها ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ أيْ: لم يكن حائلٌ بينهما قبل خلق السماوات والأرض لا أنه كان فوقه ثم رفع، بل العرش الآن كما كان، وفيه دليل على الخلاء[2]، وفي الأخبار: أن الماء كان على متن الريح[3][4].

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ متعلق بـ ﴿ خَلَقَ ﴾، والمعنى:

---

(١) قال الطيبي في فتوح الغيب: ﴿ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ كالتتميم لمعنى وجوب تكفل الرزق كمن أقر بشيء في ذمته، ثم كتب عليه صكاً". اهـ. ص (١٧٨).

(٢) الخلاء: هو الفراغ الذي لا يشغله جسم من الأجسام، ويقابله الملاء وهو المشغول بجسم من الأجسام.

انظر: المعجم الفلسفي، بجمع اللغة العربية ص (٨٠)، الموسوعة الفلسفية عبدالمنعم الحفني ص (١٧٤)، المعجم الفلسفي، مراد وهبة ص (١٨٦).

(٣) ق: الهوا.

(٤) رواه ابن جرير (١٥/٢٤٩)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٤١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

ليعاملكم معاملة المختبر[1] فإنه جعل الأرض فراشاً والسماء بناء وَرتَّب الأسباب ليتولَّدَ منها ما يحتاجون إليه من أمور المعاش، وأرسل الرسلَ وشرع الشرائعَ ليثيبَ الطائع ويعاقب العاصي، ولما كان البلوى طريق العلم عُلّق عن الاستفهام كما يعلق[2] فعل القلب[3]، وهذا كما[4] تقول: وانظر أيهم أحسن وجهاً، واسمع أيهم أطيب صوتاً. لكونهما طريقي العلم[5]. وإنما آثر اسم التفضيل والخطاب عام حثاً

---

(١) انظر: الكشاف (٣/١٨٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٠).

والصواب أن يقال: يختبركم فلا حاجة أن يقال: يعاملكم معاملة المختبر لكم.

قال الطبري (١٥/٢٥٠): "وقوله: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو الذي خلق السماوات والأرض -أيها الناس- وخلقكم في ستة أيام ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ يقول: ليختبركم ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ يقول: أيكم أحسن لـه طاعة". اهـ.

وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٤١).

(٢) ق: تعلق.

(٣) التعليق: هو إبطال عمل العامل لفظاً، وهو من خواص أفعال القلوب، والبلوى والنظر والسمع ليست منها، ولكن لما كانت طريقاً إليها، وتضمنت معناها عُلقت مثلها. وفي الآية عُلق الفعل "نبلو" فلم يعمل في اسم الاستفهام لكونه مما لـه الصدارة في الكلام فلا يعمل ما قبله فيه.

(٤) ق: ما.

(٥) انظر: الكشاف (٣/١٨٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٠).

على تحري الأحسن من الأعمال فإنه[1] نهاية الكمال[2] كأنه قيل: ليظهر أفضليتكم لا فضلكم[3]، والعمل يشمل العلم لأنه عمل القلب.

﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ ﴾ سيق لبيان جهل الكفار يجعلون القول بالإعادة مشبهاً بالسحر في بطلانه إذ لا باطل أجلى منه. وقيل[4]: الضمير للقرآن فإنه إذا كان باطلاً فقد انطوى تحته بطلان القول بالبعث[5].

وقرأ حمزة والكسائي ﴿إِلا[6] سَاحِرٌ﴾[7] إشارة إلى رسول الله ﷺ، وقراءة

---

(١) ق: وإنه.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٣) انظر: الكشف للقزويني (٢٣/أ).

(٤) في حاشية الأصل: الإشارة إلى.

وكأن المراد أن العبارة: وقيل: الإشارة إلى القرآن.

(٥) انظر القولين في: الكشاف (١٨٥/٣)، تفسير البيضاوي (٤٥٠/١)، والثاني هو قول الطبري (٢٥١/١٥)، والبغوي (١٦٣/٤) وغيرهما.

(٦) إلا: لم تكتب في ق.

(٧) انظر: السبعة ص (٢٤٩)، التيسير ص (٨٣).

الجمهور أبلغ وأوفق للمقام[1].

قال أبو عمرو: "ما تبعه مبين فهو سحر، وما تبعه عليم فهو ساحر"[2].

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ إلى حين قريب ولذلك وصفه بالعد[3] والتأنيث باعتبار اللفظ[4]، والعذاب عذاب الآخرة، وقيل: عذاب يوم بدر[5]. ﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ يستعجلون به تكذيباً واستهزاءً[6]. ﴿ أَلَا يَوْمَ

---

(١) لعل مراده أن القول بأن هذا سحر يدل على أن فاعله ساحر، ولا يلزم من كونه ساحراً أن يكون هذا العمل سحراً، إذ ليس كل ما يصدر عن الساحر سحراً، كما أن وصفه بالسحر يناسب العمل والقول الذي جاء به وهو القول بالبعث أو القرآن. والله أعلم.

(٢) انظر: الكشف لمكي (٤٢١/١).

(٣) قال البيضاوي (٤٥١/١): " ﴿ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ إلى جماعة من الأوقات قليلة". اهـ.

قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي (١٣٠/٥): "قوله قليلة مأخوذ من قولـه: ﴿ مَّعْدُودَةٍ ﴾؛ لأن الشيء القليل يسهل عده".

(٤) أي: تأنيث ﴿ مَّعْدُودَةٍ ﴾ باعتبار لفظ "الأمة".

(٥) انظر القولين في: الكشاف (١٨٥/٣)، البحر المحيط (٢٠٦/٥).

وقد اختار الزمخشري القول الأول، واختار البيضاوي (٤٥١/١)، وأبوحيان أن المراد: العذاب الموعود.

(٦) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ مدفوعاً[1] عنهم. و ﴿ يَوْمَ ﴾ منصوب بخبر ﴿ لَيْسَ ﴾[2]، واستُدل به على جواز تقديم [خبره لأنه إذا جاز تقديم][3] معموله عليه فهو أولى بالجواز[4].

---

(١) ق: مرفوعاً.

قال أبوعبيدة في مجاز القرآن (١/٢٨٥): " ﴿ أَلَا ﴾ توكيد وإيجاب وتنبيه".

(٢) قال الزجاج في معاني القرآن: (٣/٤٠): ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾ منصوب بمصروف المعنى: ليس العذاب مصروفاً عنهم يوم يأتيهم". اهـــ.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٤) اختلف النحاة في جواز تقديم خبر ليس عليها، فأجازه أكثر البصريين ونسب إلى سيبويه، وذهب الكوفيون والمبرد إلى منع ذلك.

وقد استدل من أجازه بما ذكره المؤلف أعلاه.

وقد اعترض على هذا الاستدلال من وجهين:

الأول: أنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره.

الثاني: أن هذه القاعدة منخرمة إذ قد يتقدم المعمول في مواضع لا يجوز فيها تقدم العامل نحو: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾ سورة الضحى، من الآيتين (٩-١٠).

فاليتيم منصوب بتقهر، والسائل منصوب بتنهر، وقد تقدما على لا الناهية، ولا يتقدم العامل، وهو =

﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ أحاط [بهم](1). آثر الماضي لكونه واقعاً لا محالة(2).

﴿ وَلَئِنْ / أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمة وسَعَة عيش ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ ﴾ سلبناها منه ﴿ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ ﴾ كثير اليأس، قاطع رجاءه عن عود مثلها ﴿ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ كثير الكفران لم يتذكر النعمة الوافرة الواصلة إليه في المدد المتطاولة ولا ينظر [إلا](3) [إلى](4) تلك الحالة التي هو فيها.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ صحة بعد سقم(5) ﴿ لَيَقُولَنَّ

الفعل المجزوم على لا.

قال أبو حيان في البحر (٥/٢٠٦): "وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا بمعموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية، وقول الشاعر:

فيأبى فما يزدادُ إلا لجاجةً ... وكنت أبياً في الخفا لستُ أُقْدِمُ"

فأقدم خبر ليس، وقوله: "في الخفا" معمول الخبر.

وانظر: الدر المصون (٦/٢٩٢).

(١) ساقط من ق.

(٢) قال البيضاوي (١/٤٥١): "وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد". اهـ.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) ساقطة من ص.

(٥) وهذا مثال للنعماء والضراء، وإلا فهي تشمل ما هو أوسع من ذلك.

انظر: الوسيط للواحدي (٢/٥٦٦)، زاد المسير (٤/٨١).

ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ ﴾ زالت المصائب ونسي ما كان فيه من البلاء وكأنه انسدَّ[1] طريقه إليه ونجا نجاة الأبد ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ ﴾ بطر ﴿ فَخُورٌ ۝١٠ ﴾ كثير الفخر بما فيه من الغنى والصحة، وقد شغلاه عن القيام بالشكر[2].

وفي إذاقة النعمة ولفظ المس تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن أنموذج نزر بالنسبة إلى ما يجده في الآخرة، وفيه أنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء دل عليه لفظ الإذاقة والمس[3]، وفي إسناد الإذاقة إليه تعالى دون مس الضر إشارة إلى أن رحمته سابقة غضبه[4].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على ما أصابهم ولم يظهروا الجزع استسلاماً لقضاء الله

---

(١) في ق: الكلمة غير واضحة.

(٢) انظر: الكشاف (٣/١٨٦)، تفسير البيضاوي (١/٤٥١).

وقال ابن الأنباري: "إنما عابه بقوله: ﴿ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ﴾ لأنه لم يعترف بنعمة الله، ولم يحمده على ما صرف عنه، وإنما ذمه بهذا الفرح لأنه يرجع إلى معنى المرح والتكبر عن طاعة الله". زاد المسير (٤/٨١).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٥١).

(٤) راجع ما سبق بيانه ص(٥١٦).

﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وصرفوا الجنان والأركان واللسان إلى ما أمر الله به من الطاعات شكراً لنعم الله السابقة، استثناء متصل لكون اللام في ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ للاستغراق كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[1]، وقيل: منقطع؛ لأن السابق في الذكر هم الكفار[2]. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون ﴿ لَهُم

---

(١) سورة العصر، الآيتين (٢، ٣).

قال الفراء في معاني القرآن (٢/٤): "وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ في موضع نصب بالاستثناء من قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ ﴾ يعني: الإنسان، ثم استثنى من الإنسان لأنه في معنى الناس، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴾ سورة العصر، من الآيات (١-٣) فاستثنى كثيراً من لفظ واحد لأنه تأويل جماع". اهـ. وبنحوه قال الطبري (٢٥٧/١٥) وهو قول مكي في مشكل إعراب القرآن (٣٩٤/١)، والزمخشري (١٨٦/٣)، وابن عطية (١٥٤/٣)، والعكبري (٦٩١/٢)، والبيضاوي (٤٥١/١) وغيرهم.

(٢) قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "الوصف الأول للكافر، والذين صبروا أصحاب محمد ﷺ". اهـ. ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨١/٤).

قال الزجاج في معاني القرآن (٤١/٣): "وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ استثناء ليس من الأول، المعنى: لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير".اهـ. وبهذا قال الأخفش في معاني القرآن (٥٧٥/٢)، والنحاس في معاني القرآن (٣٣٤/٣) -مع تجويزه القول الأول-، والواحدي في الوسيط (٥٦٦/٢) وغيرهم.

مَّغْفِرَةٌ ﴾ لما فرط منهم ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ ﴾ بحسب تلك الأعمال الصالحة.

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ كانوا يقترحون عليه أشياء تعنتاً؛ تارة يقولون: إن كنت نبياً اجعل لنا جبال مكة ذهباً[1]، وأخرى ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾[2]، وكان يحتمل من

---

(١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا، فقيل لـه: إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: « لا، بل أستأني بهم » فأنزل الله -ﷻ- هذه الآية: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ سورة الإسراء، الآية (٥٩) رواه الإمام أحمد (٢٥٨/١، رقم ٢٣٣٣)، وابن جرير (٧٤/١٥ ط. دار المعرفة)، والحاكم في المستدرك (٣٦٢/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧١/٢)، والواحدي في أسباب النزول ص (٢٩٥) وغيرهم.

(٢) سورة الإسراء، من الآية (٩٠).

روى ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- حديثه الطويل في محاجة المشركين للرسول ﷺ وتعنتهم في الأسئلة وطلب الآيات، وما يلقى ﷺ في ذلك من المشقة والأذى وفيه: "قالوا لـه: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلاداً، ولا =

ذلك مشقة شديدة فَنُزِّل منزلة من يتوانى في أداء ما أُمر به ويُتوقع منه تركه تهييجاً له وتحريكاً[1] من عطفه، وهذا وأمثاله وإن كان في الظاهر تأديباً له ففيه إشارة إلى أنه حريص على إيمانهم حتى لو أمكنه ترك ما أمر الله به في تحصيله[2] لفعل،

أقل مالاً، ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك -الذي بعثك بما بعثك- فليسيّر عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن ممن يبعث لنا منه قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول. فقال رسول الله ﷺ: **«ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله سبحانه بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر لأمر الله..»** فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً لما فاته من متابعة قومه، ولما رأى من مباعدتهم منه فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ۞...﴾ الآيات". (١٥/١١٠ ط. دار المعرفة).

وانظر: السيرة لابن هشام (١/٣٣٢).

(١) ق: تهييجاً وتحريكاً له.

(٢) ق: تخليصه.

ولذلك أردفه بقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ﴾[1].

﴿ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾ بتلاوته عليهم وتبليغه ﴿ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ ﴾ يستعين بالمال على الاستتباع بإنفاقه وبالمَلَك على صِدْق ما يدعيه، مخافة هذا القول[2]، وإنما آثر ﴿ ضَآئِقُۢ ﴾ على

(١) ليس ما قاله المؤلف -رحمه الله- بظاهر، و لم يكن يَبْلُغ من حرص النبي ﷺ على إيمان قومه أنه لو أمكنه ترك ما أمر الله به لفعل، بل كان ﷺ حريصاً على تبليغ دعوته وعلى الصدع بها حتى ولو أعرض عنها من أعرض، وسيرته ﷺ شاهدة على ذلك. (وراجع حديث ابن عباس السابق).

قال ابن عطية (١٥٤/٣): "سبب هذه الآيات أن كفار قريش قالوا: يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك. وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحو هذا من الأقوال، فخاطب الله تعالى نبيه ﷺ على هذه الصورة من المخاطبة، ووقفه بها توقيفاً راداً على أقوالهم ومبطلاً لها، وليس المعنى أنه ﷺ همَّ بشيء من ذلك فزجر عنه، فإنه لم يُرد قط ترك شيء مما أوحي إليه ولا ضاق صدره، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان". اهـ.

(٢) أي: لعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك مخافة هذا القول.

انظر: معاني القرآن للفراء (٥٠/٢)، معاني القرآن للزجاج (٤١/٣).

"ضَيِّق" لأنه[1] أفسح صدراً إنما يعتريه ذلك أحياناً[2].

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ﴾ ما عليك إلا الإنذار تسلية لـه وإزالة لما كان يعتريه ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ حافظ ورقيب مجازٍ كلاً منك ومنهم بحسب عمله.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ أم منقطعة، والضمير لما يوحى إليك ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ في جزالة النظم والبلاغة ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ على زعمكم أنه مفترى: مختلق من عندي لأنكم مارستم القريض والأشعار والخطب فأنتم أولى بالإتيان بمثله.

(١) ق: لأنه كان أفسح.

(٢) انظر: الكشاف (١٨٦/٣)، تفسير البيضاوي (٤٥١/١).

وقال أبو حيان في البحر المحيط (٢٠٨/٥): "وعبر بـــ ﴿ ضَآئِقٌۢ ﴾ دون "ضيق" للمناسبة في اللفظ مع ﴿ تَارِكٌۢ ﴾". اهـــ.

تحداهم أولاً بعشر سور ثم اقتصر على أقصر سورة(١)، وهذا دأب المناظر الواثق بحاله؛ لأن ذلك أقوى في إلزامه كما يقول الشاعر لمن يقدح في شعره: عليك بعشرة أبيات مثلها، لا بل رضيت منك ببيت واحد. الآية(٢) سابقة نزولاً على ما في البقرة ويونس(٣) ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المعاونة

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾ سورة البقرة، آية (٢٣).

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ سورة يونس، آية (٣٨).

(٢) ص: والآية.

(٣) في حاشية الأصل وَ ص: ولذلك اكتفى فيهما بسورة. منه.

أما تأخر آية البقرة عن آية هود فهو ظاهر لا إشكال فيه، فإن سورة البقرة مدنية وسورة هود مكية، وأما تأخر آية يونس فلم أجد ما يدل عليه، بل الآثار الواردة في ترتيب نزول السور تفيد أن سورة يونس سابقة لسورة هود في النزول. انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١٤٢/٧)، البرهان للزركشي (١٩٣/١) الإتقان للسيوطي (١١/١) نعم هناك آيات تنزل متأخرة فتلحق بسورة متقدمة، ولكن لا يمكن الجزم بأن هذه الآية أو تلك نزلت على هذه الكيفية إلا بدليل.

وما ذكره المؤلف من أن التحدي وقع أولاً بعشر سور، ثم بسورة هو قول جمهور العلماء، وقد =

ذهب بعض المفسرين إلى خلاف ذلك لأنه لم يدل عليه ترتيب نزول السور والآيات.

فذهب ابن عطية إلى أن التحدي بسورة أي مماثلة مماثلةً تامة للقرآن في نظمه وغيوبه ووعده ووعيده ونحو ذلك، وأن التحدي بعشر سور مماثلة لـه في النظم فقط دون المعنى ولذا قيل ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾. وروي هذا القول عن المبرد.

وقال رشيد رضا في تفسير المنار (١/١٩٣-١٩٤) تعليقاً على قول الجمهور: "وهذا ترتيب معقول لو ساعد عليه تاريخ الترول، والظاهر أن التحدي في سورتي يونس وهود خاص ببعض أنواع الإعجاز وهي ما يتعلق بالأخبار كقصص الرسل مع أقوامهم وهو من أخبار الغيب الماضية التي لم يكن لمن أنزل عليه القرآن علم بها ولا قومه... ولعل وجه التحدي بعشر سور مفتريات دون سورة واحدة هو إرادة نوع خاص من أنواع الإعجاز وهو الإتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة... ولما كان كفار المدينة الذين يوجه إليهم الاحتجاج أولاً وبالذات هم اليهود وهم يعدون أخبار الرسل في القرآن غير دالة على علم الغيب تحداهم بسورة من مثل النبي ﷺ في أميته ليشمل ذلك وغيره مع بقاء التحدي المطلق بسورة واحدة على إطلاقه غير مقيد بكونه في مثل محمد ﷺ".

وذهب سيد قطب إلى "أن التحدي كان يُلاحِظ حالةَ القائلين وظروف القول؛ لأن القرآن كان يواجه حالات واقعة محددة مواجهة واقعة محددة فيقول مرة: ائتوا بمثل هذا القرآن أو ائتوا بسورة أو بعشر سور دون ترتيب زمني؛ لأن الغرض كان هو التحدي في ذاته بالنسبة لأي شيء من هذا القرآن كله أو بعضه أو سورة منه على السواء، فالتحدي كان بنوع هذا القرآن لا بمقداره، =

والاستظهار ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ أنه مفترى.

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، فإنه الداعي إلى التحدي، والجمع للتعظيم يؤيده قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ ﴾[1] في سورة القصص[2]، أَوْ لَـه وللمؤمنين[3]؛ لأن الكفار بالإيمان يدخلون في زمرتهم، وقيل:

والعجز كان عن النوع لا عن المقدار،وعندئذ يستوي الكل والبعض والسورة ولا يلزم ترتيب إنما هو مقتضى الحالة التي يكون عليها المخاطبون ونوع ما يقولون عن هذا القرآن في هذه الحالة فهو الذي يجعل من المناسب أن يقال سورة أو عشر سور أو هذا القرآن، ونحن اليوم لا نملك تحديد الملابسات التي لم يذكرها لنا القرآن". في ظلال القرآن (١٨٦١/٤).

وانظر: تفسير البغوي (١٦٥/٤)، المحرر الوجيز (١٥٥/٣)، ملاك التأويل (١٨٣/١)، الكشف للقزويني (٢٣/ب)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (١٣٥/٥).

(١) سورة القصص، آية (٥٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٦١/١٥).

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨٣/٤): "وهذا قول المفسرين". اهـ.

(٣) قاله مجاهد، ونقله ابن الجوزي عن ابن الأنباري.

انظر: زاد المسير (٨٣/٤)، الجامع للقرطبي (١٣/٩)، البحر المحيط (٢٠٩/٥).

الخطاب للكفار والمراد استجابة من دعوه إلى الإعانة[1] أي: إن لم يقدروا على ذلك ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ ملتبساً بعلمه خاصة لا سبيل لأحد إليه فإنه نظم معجز[2] ﴿ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ واعلموا عند ذلك أنه متفرد بالألوهية، وعلى الأول[3] المراد الثبات وازدياد اليقين بأنه منزل من عند الله والدوام على التوحيد ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ثابتون مخلصون، والاستفهام بمعنى الطلب يدل على وجوب إيقاع المطلوب لقيام الموجب وزوال العذر[4]، أو داخلون

(١) نسبه أبو حيان للضحاك، واستظهره من عدة أوجه، وقال به الواحدي في الوسيط (٢/٥٦٧).

وانظر الأقوال الثلاثة في: الكشاف (٣/١٨٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٣)، البحر المحيط (٥/٢٠٩).

(٢) انظر: الكشاف وتفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

وذكره بمعناه الزجاج (٣/٤٢)، وابن كثير (٤/٢٤٤)، وكثير من المفسرين.

(٣) وهو كون الخطاب للرسول ﷺ، أو لـه وللمؤمنين.

(٤) في حاشية الأصل: وهذا أبلغ من أسلموا.

ومن أوجه بلاغته أنه يدل على شدة الرغبة في المطلوب، فكأنه لشدة رغبته فيه خُيل إليه أنه تحقق فهو يسأل عن تحققه، أما أسلموا فلا توجد فيه هذه الدلالة.

في الإسلام أي: لم يبق لكم عذر فأسلموا[1].

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ أشار إلى [أن][2] الذين يصرون على التكذيب بعد ظهور عجزهم إنما يحملهم على ذلك حب الدنيا وزينتها[3]، ثم بيّن حال من يكون كذلك وعلى تلك الصفة بقوله: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ جزاء أعمالهم ﴿ فِيهَا ﴾ في الدنيا وافياً كاملاً ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا

(١) وهذا الوجه على القول بأن أول الآية خطاب للكفار.

(٢) ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في باقي النسخ.

(٣) قال أبوعبدالله الرازي في التفسير الكبير (١٥٨/١٧): "اعلم أن الكفار كانوا ينازعون محمداً ﷺ في أكثر الأحوال فكانوا يظهرون من أنفسهم أن محمداً مبطل ونحن محقون، وإنما نبالغ في منازعته لتحقيق الحق وإبطال الباطل، وكانوا كاذبين فيه، بل كان غرضهم محض الحسد والاستنكاف من المتابعة فأنزل الله تعالى هذه الآية لتقرير هذا المعنى". اهـ.

وقد اختلفت عبارات المفسرين في المراد بهذه الآية على أقوال.

قال ابن الجوزي في زاد المسير (٨٣/٤-٨٤): "اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: **أحدها**: أنها عامة في جميع الخلق. وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنها في أهل القبلة. قاله أبوصالح عن ابن عباس.

والثالث: أنها في اليهود والنصارى. قاله أنس.

والرابع: أنها في أهل الرياء. قاله مجاهد.

وروى عطاء عن ابن عباس: من كان يريد عاجل الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء. وقال غيره: إنما هي في الكافر لأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة". اهـ.

يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ لا ينقصون، حال من المجرور[1] لدفع وَهْم التسامح في التوفية.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾ لأنهم استوفوا ما كانوا يستحقونه في الدنيا فلم يبق لهم ما يكون وسيلة إلى شيء من الثواب ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ ﴾ من أفعال البر ﴿ فِيهَا ﴾ في الآخرة[2]؛ لأنهم لم يريدوا بها وجه الله أو لم يكن على[3] أساس وهو الإيمان ﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ علة لحبوطها[4] أيْ: إنما حبطت ولم يترتب عليها ثواب لأنها كانت باطلة في نفسها،

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾.

(٢) أي: حبط فيها. قاله الزمخشري (٣/١٨٨)، وابن عطية (٣/١٥٧)، والبيضاوي (١/٤٥٢)، واستظهره أبو حيان (٥/٢١٠).

وهناك وجه آخر وهو أن المعنى: وحبط ما صنعوا في الدنيا. قاله الطبري (١٥/٢٦٩)، والواحدي في الوسيط (٢/٥٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٨٤)، وجوزه ابن عطية والبيضاوي وأبوحيان (المواضع السابقة).

(٣) ص: لم يكن لـــه أساس.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٥٢).

وهكذا شأن الباطل سواء صدر من مؤمن أو غيره[1].

---

(١) وقد سئل شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- عن هذه الآية فقال:

ذُكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة، وصلاة، وإحسان إلى الناس وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله؛ لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخر نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس (انظر: ابن جرير ١٥/٢٦٣).

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أنها نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة. (رواه ابن جرير ١٥/٢٦٤ عن مجاهد).

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنم فقد ذُكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية. (روي عن جمع من السلف منهم: مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (١٥/٢٦٣-٢٦٤).

وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكتبهم أو رياستهم أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيراً، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم؛ لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا من أجل المدح والجلالة في أعين الناس ولا يحصل لهم =

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ برهان من جهة ربه دال على حقيّة ما يأتيه ويذره. الاستفهام للإنكار والمراد نفي التقارب بين من هذه شأنه وبين من يريد الحياة الدنيا وزينتها وقصر همته على تحصيلها ولم يلتفت إلى الدار الآخرة ولم يعمل عملاً لوجه الله[1]، و[2] التقدير: أمن كان يريد الحياة [الدنيا][3] فمن كان على

طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء لأنهم عملوا لله وحده لا شريك لـه لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة و لم يهربوا من الشر العظيم وهو النار.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك لـه ولكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم. فهذا النوع أيضاً قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره. (روى ابن جرير عن أنس -ﷺ- قال: "هم اليهود والنصارى" (١٥/٢٦٥)). اهـ. مختصراً.

الدر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/٩٨)، مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: "تفسير آيات من القرآن" ص (١٢٠-١٢٣).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٥٣).

(٢) ص: أو.

(٣) ساقطة من ق.

بينة من ربه[1] والعائد/ محذوف لدلالة الفاء عليه، و ﴿ مِن ﴾ موصولة عطفت على مثلها، والمعنى: لا تقارب بينهم فضلاً عن التماثل، وهذا أبلغ من قوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾[2]؛ لأن المنكر فيه التماثل[3]، وهذا حكم يعم[4] كل مؤمن[5]، وقيل: المراد رسول الله ﷺ[6]، وقيل: مَنْ آمن مِنْ أهل

---

(١) انظر: الكشاف (١٨٩/٣)، وقال: "أي: لا يعقبونهم في المترلة ولا يقاربونهم. يريد أن بين الفريقين تفاوتاً بعيداً وتبايناً بيّناً".

قال القزويني في الكشف (٢٤/أ): "حاصله أن الفاء عاطفة للتعقيب مستدعية ما يُعطف عليه وهو الدال عليه قوله: ﴿ مَن كَانَ ... ﴾ الآية. التقدير: أمن كان يريد الحياة الدنيا -على أنها موصولة- فمن كان على بينة من ربه، والخبر محذوف لدلالة الفاء... إلخ".

(٢) سورة السجدة، من الآية (١٨).

(٣) والمنكر في الآية التقارب.

انظر: الكشف للقزويني (٢٤/أ).

(٤) ص: يقم.

(٥) قال به ابن عطية (١٥٨/٣)، والبيضاوي (٤٥٣/١)، وابن كثير (٢٤٥/٤)، وغيرهم.

(٦) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة، وابن زيد، ومجاهد، وسفيان، والضحاك (٢٦٩/١٥-٢٧٦)، ونسبه الواحدي في الوسيط (٥٦٨/٢) لعامة المفسرين، وعزاه ابن الجوزي =

الكتاب[1].

﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ يتبع ذلك البرهان، ذكَّره باعتبار المعنى.

﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أيْ: من الله، أو من القرآن لتقدم ذكره[2]، وعلى هذا ﴿ مِن ﴾ بيانية أو تبعيضية.

وقيل: البينة القرآن[3] ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ من التلاوة، والشاهد جبريل[4] أو لسان

(٨٥/٤) لابن عباس -رضي الله عنهما- والجمهور. وقال به الفراء (٦/٢)، واختاره الطبري (الموضع السابق)، والزجاج في معاني القرآن (٤٣/٣)، والسمرقندي في بحر العلوم (١٤٢/٢)، والبغوي (١٦٧/٤)، وغيرهم.

(١) اختاره الزمخشري (١٨٩/٣)، والرازي في التفسير الكبير (١٦١/١٧).

(٢) انظر القولين في: الكشاف (الموضع السابق)، الجامع للقرطبي (١٧/٩).

(٣) نسبه ابن الجوزي (٨٥/٤) لابن زيد.

وانظر: تفسير البغوي (١٦٧/٤)، الجامع للقرطبي (١٦/٩-١٧).

(٤) رواه ابن جرير (٢٧٣/١٥-٢٧٥) عن ابن عباس -من رواية عكرمة- وإبراهيم ومجاهد وأبي صالح والضحاك وأبي العالية وعكرمة، وغيرهم.

وقال بهذا القول الفراء في معاني القرآن (٩/٢)، والطبري (٢٧٦/١٥)، والواحدي في البسيط (٥٦٨/٢)، ونسبه لأكثر المفسرين.

رسول الله ﷺ"[1].

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ ﴾ [من قبل][2] هذا الشاهد الذي هو القرآن[3] ﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ فإنه يتبع ذلك البرهان أيضاً في التصديق [جبريل أو لسان رسول الله ﷺ][4] ﴿ إِمَامًا ﴾ مؤتماً به في الدين ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ وصلة إلى الفوز بالسعادة. مدحٌ

---

(١) رواه ابن جرير عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب، ورواه عن الحسن وقتادة (٢٧٠/١٥).

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره (٤٥٢/٤) بعد أن ذكر القولين:

"وكلاهما قريب في المعنى؛ لأن كلاً من جبريل ومحمد صلوات الله عليهما بلّغ رسالة الله تعالى، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة". اهـ.

(٢) ساقطة من ص.

(٣) القول بأن الشاهد هو القرآن نسبه البغوي (١٦٧/٤)، وابن الجوزي (٨٦/٤)، والقرطبي في الجامع ١٧/٠٩)، وغيرهم للحسين بن الفضل.

وقال به الزمخشري (١٨٩/٣)، والبيضاوي (٤٥٣/١).

(٤) لم يتضح لي سبب إيراد هذه الجملة هنا، والذي يظهر لي أنها زائدة كتبت خطأ، ومما يقوي هذا الظن أنها كتبت في نسخة الأصل تحت الجملة السابقة قبل سطرين المشابهة لها، حيث كتبت تحتها مباشرة، فقد يكون هناك انتقال نظر من النساخ، والله أعلم.

لكتاب موسى وتزكية لـه؛ لأنه شاهد، ولم يزك القرآن لأنه معجز لا يحتاج إلى ذلك ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ أي: الموصوفون[1] ﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآن يؤيد الوجه الأول[2].

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ هم أهل مكة ومن[3] انضم إليهم تحزباً على رسول الله ﷺ[4] ﴿ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ من

(١) بأنهم على بينة من ربهم.

(٢) لم يتضح لي مراده -رحمه الله- بالوجه الأول، ولا وجه تأييده. والله أعلم.

(٣) ق: وما.

(٤) قال به الزمخشري (٣/١٨٩)، والبيضاوي (١/٤٥٣).

ونقل ابن الجوزي عن السدي أنهم قريش. (٤/٨٨).

وقيل: هم الكفار من جميع الملل. قاله سعيد بن جبير وقتادة والواحدي في الوسيط (٢/٥٦٨)، والبغوي (٤/١٦٧)، وابن عطية (٣/١٥٨)، وابن كثير (٤/٢٤٦).

وقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس (١/١٣٤ رقم ١٥٣).

=

الموعد فإنه كائن لا محالة، والمِرْيَةُ: الشك[1] ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٧ ﴾ "لقلة نظرهم"[2].

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بأن نسب إليه ما لم ينزله أو سلب عنه ما أنزل. تقريرٌ وتوكيدٌ لأنَّ ما أتى به كلام الله بعد أن أثبته أولاً بإعجازه وبشهادة التوراة الذي لم يخالف فيه أحدٌ ممن يُعتد به.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أعمالهم في الموقف[3] ﴿ وَيَقُولُ

وروى ابن جرير (١٥/٢٨٠) عن سعيد بن جبير أن مصداق هذا الحديث في كتاب الله هو قوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾.

وروي نحوه عن قتادة. والله أعلم.

(١) قال في اللسان (مرا) (١٥/٢٧٧): "والمِرْيَةُ والمُرْيَةُ: الشك والجدل بالضم والكسر... قال ثعلب: هما لغتان".

(٢) تفسير البيضاوي (١/٤٥٣).

(٣) قاله الزمخشري (٣/١٩٠)، والبيضاوي (١/٤٥٣).

والصواب أن معنى الآية أنهم يعرضون على الله تعالى، ويكون مع ذلك عرض أعمالهم وسؤالهم عنها.

وأما ما قاله الزمخشري والبيضاوي وتبعهم عليه المؤلف فإنه مخالف للآية وعدول عن ظاهرها من غير =

﴿ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ الملائكة(١) أو أعضاؤهم(٢)، جمع شاهد أو شهيد.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ ﴾ روى البخاري عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُدنى المؤمن من ربه يوم القيامة فيضع عليه كنفه

دليل شرعي، ومما يدل على وجوب إبقاء الآية على ظاهرها حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- الذي سيذكره المؤلف فإن فيه أن العباد يعرضون على الله تعالى مع عرض أعمالهم.

وإنما حملهم على تفسير الآية على هذا الوجه هربهم من إثبات أن يكون الله تعالى في مكان كما قال الرازي في تفسيره (١٧/١٦٣): "إذا لم يجز أن يكون الله تعالى في مكان فكيف قال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ ؟"، وقال محي الدين زاده في حاشيته على قول البيضاوي: "بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم" قال: "إشارة إلى أنه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه.." (٣/٤٠).

ونفي المكان باطل، بل الله تعالى مستوٍ على العرش، وإذا كان يوم القيامة جاء لفصل القضاء بين الخلائق كما ثبت ذلك في النصوص من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما كان بهذا الاعتبار الذي ورد في النصوص فلا يجوز نفيه.

(١) رواه ابن جرير عن مجاهد وقتادة وابن جريج والأعمش (١٥/٢٨٣).

ونقل الواحدي في البسيط عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: الأنبياء والملائكة (١/١٦٣)، وبه قال ابن جرير (١٥/٢٨٢)، والزمخشري (٣/١٩٠).

(٢) قال ابن زيد: الملائكة والنبيون وأمة محمد ﷺ يشهدون على الناس، والجوارح تشهد على ابن آدم. زاد المسير (٤/٨٩)، وذكر القول البيضاوي في تفسيره (١/٤٥٣).

ويقول[1]: هل تعرف ذنب كذا؟ [هل تعرف ذنب كذا؟][2] فيقرره بذنوبه وهو لا ينكر منها شيئاً فيقول: [له][3]: سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى[4] صحيفة حسناته، وأما الكفار فينادون على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم»[5].

﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ مقول قول الأشهاد أي: يقال لهم في ذلك الموقف هذا الكلام[6] إشارة إلى أنهم لا يُرحمون ولا يَرق لهم أحدٌ

(١) ق: فيقول.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) ساقط من ق.

(٤) كذا في ق وهو الموافق لنص الحديث في البخاري، وفي الأصل وَ ص: يطوى.

(٥) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة هود، باب قوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢١٤/٥)، ومسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢١٢٠/٤ رقم ٥٢).

(٦) اختار هذا الوجه الزمخشري (١٩٠/٣) وغيره، واستدل له أبوحيان (٢١٢/٥) بقوله تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة الأعراف، الآية (٤٤). قال: "فكما أنه من كلام المخلوقين في تلك الآية فكذلك هنا".

=

لعظم[1] جنايتهم.

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه الموصل إليه ﴿ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا ﴾ يصفونه بالاعوجاج والانحراف أو أهلها[2]، وأصلُ البغي: الطلب[3].

﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الضمير الثاني للتأكيد

وذهب الطبري (١٥/٢٨٢) إلى أن قوله: ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ من كلام الله تعالى وليس من كلام الأشهاد.

(١) ق: لعظيم.

(٢) قال الزمخشري (٣/١٩٠): " ﴿ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا ﴾ يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة، أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد". اهـ. وقال البيضاوي نحوه (١/٤٥٣).

وقال ابن عطية (٣/١٦٠): " ﴿ يَبۡغُونَهَا ﴾ يطلبون لها، كما تقول: بغيتك خيراً، أو شراً أي: طلبت لك، و ﴿ عِوَجًا ﴾ على هذا مفعول، ويحتمل أن يكون المعنى: ويبغون السبيل على عوج، أي: فهم لا يهتدون أبداً فـ ﴿ عِوَجًا ﴾ على هذا مصدر في موضع الحال". اهـ.

وانظر: البحر المحيط (٣/١٦).

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (بغى) (١/٢٧١): "الباء والغين والياء أصلان: أحدهما: طلب الشيء، والثاني: جنس من الفساد...".

والاختصاص بالكفر(1) بمنزلة ضمير الفصل(2)، وتقديم ﴿ بِٱلْأَخِرَةِ ﴾ لإفادة الاختصاص كأن كفر غيرهم ليس بكفر في جنب كفرهم ادعاءً(3).

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ما كانوا فائتين الله في الدنيا لو شاء عقابهم ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ يمنعهم من العقاب وينصرهم، من تمام كلام الأشهاد(4). آثر ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ الذي يُشار به إلى البعيد إبعاداً لهم بعد وصفهم بتلك الأوصاف القبيحة.

﴿ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ تقريرٌ من الله لقول الأشهاد كأنه قيل: الأمر كما قلتم هم مستوجبون للعذاب المضاعف، أو من تتمة كلام الأشهاد كأنهم لما

---

(1) انظر: الكشاف (٣/١٩٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٣).

قال الزجاج في معاني القرآن (٣/٤٥): "ذكرت ﴿ هُم ﴾ ثانية على جهة التوكيد لشأنهم في الكفر".

(2) انظر: الكشف للقزويني (٢٤/ب).

(3) انظر: المرجع السابق (الموضع نفسه).

(4) انظر: الكشاف (٣/١٩٠).

رأوهم بتلك الأوصاف دعوا عليهم بمضاعفة العذاب[1].

وقرأ ابن كثير وابن عامر مشدداً من التفعيل[2]، وعن أبي عمرو: أن المفاعلة أبلغ؛ لأن العرب تقول: ضعّفت الدرهم إذا جعلته درهمين، وضاعفته إذا جعلته أكثر[3].

﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ لتصامّهم عن سماع الحق ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ بعين الاعتبار لتعاميهم[4]. علةٌ لمضاعفة العذاب[5].

وقيل: بيان لما نفاه من ولاية آلهتهم؛ لأنها لا تسمع ولا تبصر فكيف تقدر

---

(١) القول الأول هو قول الأكثر، واستبعد الألوسي وغيره القول الثاني. والله أعلم.

انظر: تفسير الطبري (٢٨٥/١٥)، تفسير البيضاوي (٤٥٣/١)، البحر المحيط (٢١٢/٥)، حاشية الشهاب الخفاجي (١٤٧/٥)، روح المعاني (٤٧/١٢).

(٢) قراءة ابن كثير وابن عامر ﴿ يُضَعَّفُ ﴾.

انظر: السبعة ص (١٨٤)، التيسير ص (٦٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري ط دار المعرفة (١٠١/٢١).

(٤) وذلك لأن الله تعالى ختم على أسماعهم وأبصارهم فلا يسمعون الحق ولا يبصرونه بسبب ذنوبهم ومعاصيهم. قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ سورة البقرة، من الآية (٧).

(٥) ذكره الفراء (٨/٢) عن بعض المفسرين، ونقله الطبري (٢٨٧/١٥) دون تصريح بقائله.

على النصرة(١)؟.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أوردوها مَوْرِدَ الهلاك بالافتراء على الله ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم(٢) مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ وضاع عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الآلهة.

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ حقّ وثبت أن لا أخسر منهم(٣)، أو كسب ما ارتكبوه كونَهم(٤) الأخسرين أعمالاً(٥)، أو لابد ولا محالة

---

(١) ذكر الوجهين البيضاوي (٤٥٣/١) وقال بالأول، وقال الطبري في سياق الأقوال في الآية (٢٨٧/١٥): "وقال آخرون: إنما عنى بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ آلهة الذين يصدون عن سبيل، وقالوا: معنى الكلام: أولئك وآلهتهم ﴿ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يعني الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر، وهذا قول روي عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعف سنده". اهـ.
وانظر: زاد المسير (٩٠/٤).

(٢) عنهم: لم تكتب في ص.

(٣) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- ونسبه الواحدي في البسيط (١٦٩/١) لأكثر المفسرين.
وانظر: زاد المسير (٩١/٤).
وهذا القول في ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ هو ما ذهب إليه سيبويه في الكتاب (١٣٨/٣) والأخفش (٤٥٩/٢) وعليه فهي فعل، وما بعدها يرتفع على الفاعلية.

(٤) ق: وكونهم.

(٥) فجرم فعل ماضٍ والفاعل ضمير مستتر يعود على فعلهم وما ارتكبوه، وأن وما بعدها في موضع =

أنهم في الآخرة هم الأخسرون"[1][2].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أردف ذكر الكفار وما كانوا عليه وما أثمر لهم في الآخرة من الخسران بذكر المتقين وما يؤول حالهم إليه من الخلود في الجنان كما هو سنة الله في نظم القرآن.

والإخبات هو: الخشوع[3]، من الخَبْت وهو المطمئن من الأرض، يقال:

المفعول به. و ﴿ لَا ﴾ في قوله: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ نافية لما قاله الكفرة أو ظنوه.

وهذا القول هو ما ذهب إليه الزجاج في معاني القرآن (٤٦/٣)، وقواه الأزهري في تهذيب اللغة (جرم) (٦٦/١١).

وقيل: لا في قوله ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ صلة، والمعنى: كسب لهم عملهم الندامة.

انظر: تهذيب اللغة (جرم) (٦٥/١١).

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٨/٢).

(٢) في حاشية الأصل وَ ص: أشار بحق وثبت وكسب وقوله: لابد إلى الوجوه في استعمال ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ لغة. منه.

وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢٠٢)، تفسير الطبري (٢٨٨/١٥)، مشكل إعراب القرآن (٣٩٦/١)، البسيط (١٦٩/١)، زاد المسير (٩١/٤)، البحر المحيط (٢١٣/٥)، الدر المصون (٣٠٣/٦).

(٣) رواه عبدالرزاق في التفسير (٣٠٤/٢/١)، والطبري عن قتادة، وقال به الفراء (٩/٢)، وغيره.

=

أَخْبَتَ إذا دخل في الخَبْت[1]، كما يقال: أَنْجَد إذا دخل في النَّجْد[2]، وكأنه ضُمِّن معنى التوسل فعُدي بـ﴿ إِلَىٰ ﴾[3].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي الموصوفون ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

وروى الطبري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- -من طريق العوفي- وقتادة أن المراد: وأنابوا.

وروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- -من طريق علي بن أبي طلحة- قال: خافوا. وعن مجاهد: اطمأنوا.

قال ابن جرير: "وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها؛ لأن الإنابة إلى الله من خوف الله ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع لـــه، غير أن نفس "الإخبات" عند العرب: الخشوع والتواضع". اهـــ. (١٥/٢٨٩-٢٩٠).

وانظر: مجاز القرآن (١/٢٨٦).

(١) انظر: مادة (خبت) تهذيب اللغة (٧/٣١٠)، المفردات ص (٢٧٢)، لسان العرب (٢/٢٧).

(٢) انظر: لسان العرب (نجد) (٣/٤١٥).

(٣) وذهب الفراء (٢/٩)، والطبري إلى أن ﴿ إِلَىٰ ﴾ في موضع "اللام" قال الفراء: "وربما جعلت العرب "إلى" في موضع "اللام، وقد قال الله -ﷻ- ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ سورة الزلزلة، الآية (٥)، وقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ سورة الأعراف، من الآية (٤٣)...".

دائمون مؤبّداً.

﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ المؤمن والكافر ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ[1] ﴾ تشبيهُ مفردٍ بآخر، كلُ فريقٍ مُشبَّهٌ تشبيهين كقول امرئ القيس[2]:

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطْباً ويابساً   لدى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البَالي[3]

أو شبه حال الكفار الذين وُصفوا بالتصامّ والتعامي عن آيات الله تعالى بحال من خُلق أعمى وأصم لا تنفعه إشارة ولا عبارة وحال الذين آمنوا وعملوا

---

(١) في الأصل: والسميع والبصير. وهو خطأ.

(٢) هو امرؤ القيس بن حُجْر بن عمرو الكندي، من شعراء العرب المعدودين ومن أصحاب المعلقات، كان أبوه ملك أسد وغطفان إلى أن ثارت أسد عليه فقتلته فسار إليهم امرؤ القيس فأوقع بهم. مات قبل الهجرة بثمانين عاماً تقريباً.

انظر: الشعر والشعراء (١/١٠٥)، الأعلام (٢/١١).

(٣) انظر: ديوانه ص (٣٨)، الدر المصون (٦/٣٠٧).

المعنى: يصف العقاب التي تصطاد الطيور لفراخها وتطرح قلوبها عند عشها، ثم شبه الطري من هذه القلوب بالعُنَّاب وهي شجرة ثمرها حلو أحمر يشبه النبق، وشبه اليابس بالحشف البالي وهو رديء التمر.

انظر: ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري (٣٥٩-٣٦٠).

الصالحات وصرفوا الأبصار والأسماع إلى ما خلقت لها بحال من يبصر ويسمع فيستضيء بالأنوار ويستلذ بلطائف الكلام، وهذا هو الوجه لمتانته ويدل عليه لفظ المثل(١)، فالواو متوسطة(٢) بين الصفات(٣). والقول بأن الكفار بعضهم مُشبَّه بالأول وبعضهم مُشبَّه بالثاني وكذلك المؤمنون/ بعضهم مشبَّه بالبصير وبعضهم بالسميع مما لا يلتفت إليه(٤)

---

(١) قال القزويني في الكشف (٢٥/أ): "والآية على التشبيه المركب أدل... [لدلالة] لفظ المثل عليه".

وكلمة "لمتانته" غير واضحة في ق.

(٢) ق: المثل قالوا ومتوسطة... إلخ.

(٣) أي: الواو في قوله: ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ وقوله: ﴿ٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾.

وانظر الوجهين في: الكشاف (٣/١٩١)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٤)، البحر المحيط (٥/٢١٤)، الدر المصون (٦/٣٠٦).

(٤) في حاشية جميع النسخ: قائله صاحب الكشف.

والمراد بصاحب الكشف -كما سبق- القزويني في حاشيته على الكشاف المسماة: الكشف. وفي حاشية الأصل وَ ص زيادة هي: وإنما ذهب إلى هذا لموافقته ظاهر بيت امرئ القيس. منه.

وقد ذكر هذا القول القزويني في الكشف (٢٤/ب، ٢٥/أ) نقلاً عن الطيبي في فتوح الغيب ص (٢٠٠)، وقال: "وهذا الاحتمال فيه بعد وإن آثره -سلمه الله تعالى- إذ تقسيم الكفار إلى مشبه بالأول ومشبه بالثاني وكذلك المؤمنون غير مقصود البتة بدليل نظائره في الآيات الآخر كقوله: ﴿وَمَا =

﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾ أي: لا تساوي ولهذا أنكر على من [لم][1] يجزم به بقوله: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ لأنه معلوم بديهة لا يتوقف على فكر.

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ بدأ بقصته؛ لأنه أول نبي عُذب قومه، ولأن قومه معروفون بالجهل المفرط والتعامي والتصام ﴿ أني لكم نذيرٌ مبينٌ﴾ بأني لكم، أي: ملتبساً بالإنذار[2] أو هو ثاني مفعولي ﴿ أَرۡسَلۡنَا ﴾ على الالتفات[3]، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وعاصم بالكسر[4] على إرادة القول[5] وهو أبلغ وأقل

يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة فاطر، الآية (١٩)، وكقوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ ... الآية ﴾ سورة البقرة، من الآية (٧) في الكفار الخلص، وقوله: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ ﴾ سورة البقرة، من الآية (١٨) في المنافقين، والآية على التشبيه المركب أدل... إلخ".

وبهذا يتبين أن القائل هو الطيبي وليس القزويني، فالعزو في الحاشية ليس بدقيق إلا أن يحمل على أن المقصود هو رد القول فيكون قوله: "مما لا يلتفت إليه" هو المعزو للقزويني. والله أعلم.

(١) ساقطة من ص وَ ق.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٩٣/١٥)، معاني القرآن للزجاج (٤٦/٣)، الحجة لابن خالويه ص (١٨٦)، الكشاف (١٩٢/٣)، وهذا على قراءة فتح الهمزة، وسيأتي بيان ذلك

(٣) قاله مكي في الكشف (٥٢٥/١).

(٤) انظر: السبعة ص (٣٣٢)، التيسير ص (١٠١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٩٣/١٥)، معاني القرآن للزجاج (٤٦/٣)، الكشاف (١٩٢/٣).

حذفاً[1].

﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ بدل من ﴿ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ ﴾[2]. ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ مؤلِم كالسميع بمعنى المسمِع، وَصْفُ اليوم والعذاب به من الإسناد المجازي؛ لأن المؤلِم هو المعذِّب[3].

---

(١) على قراءة الكسر فهي جملة اسميه تفيد الدوام والثبات فالمعنى: إني دائم الإنذار لكم، وأما على قراءة الفتح فالجملة على تأويل مصدر فلا تفيد ذلك. والله أعلم.

(٢) وهذا على قراءة فتح الهمزة في ﴿ أني﴾.

(٣) في حاشية الأصل وَ ص: ذلك أن العذاب إذا وصف بالأليم من قبيل الإسناد المجازي كما إذا وصف به اليوم -لأن الألم إنما هو للمعذِّب- لا أنه هنا كذلك بل موصوفه اليوم قطعاً. منه.

والمراد أن إسناد الألم إلى اليوم مجاز لوقوعه فيه؛ لأنه ظرف لــه لا أنه هو الفاعل فإن ذاك هو الله تعالى.

وكذلك إسناد الألم إلى العذاب كما في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ سورة النساء، الآية (١٦١)، أو في هذه الآية عند من يرى أن الألم صفة للعذاب وأن الجر للمجاورة، ووجه التجوز هنا أنه جعل وصف الشيء كأنه عينه لقوة تلبسه به فأسند إليه ما يسند إلى الفاعل.

والصواب أن إسناد الألم إلى العذاب حقيقة لا على سبيل التجوز، فيقال: آلمه العذاب من غير تجوز، والقول بأن الإسناد هنا على سبيل المجاز هو مذهب الأشاعرة الذين ينكرون الأسباب، =

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ لا مزية لك علينا، كانوا يعتقدون أن البشر لا يصلح للرسالة كما كان المشركون يقولون: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[1]. ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ جمع أَرْذَل أفعل التفضيل مضافاً كأكابر مجرميها[2]، وقيل: جمع رَذْل[3] وهو الرجل الدون[4] الخسيس[5]. ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ قرأه أبو

فيقولون إن الألم حصل عند العذاب لا بالعذاب.

انظر: الكشاف (١٩٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٥٤/١)، البحر المحيط (٢١٥/٥)، حاشية الشهاب (١٥١/٥).

(١) سورة الفرقان، من الآية (٢١).

قال الطبري (٢٩٥/١٥): "يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس، كأنهم كانوا منكرين أن يكون الله يرسل من البشر رسولاً إلى خلقه". اهـــ.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ سورة الأنعام، من الآية (١٢٣).

وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص (٢٠٣)، والزمخشري (١٩٢/٣)، وأبو حيان (٢١٥/٥).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٤٥٤/١)، الدر المصون (٣١٠/٦).

(٤) ق: الدنيئ.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (رذل) (٤١٩/١٤)، المفردات (رذل) ص (٣٥١).

عمرو بالهمز(١) من البدأ أي: اتبعوك في ابتداء الرأي دون تأمل وفكر في أنك تصلح أم لا، والباقون بالياء معتل اللام من البُدُو وهو الظهور(٢)، والمعنى: اتبعوك في ظاهر رأيهم دون باطنه(٣)، وعن الفراء أنه مخفف الهمز لكثرته(٤)، وعلى الوجهين نصبه على الظرف(٥) أي: في وقت حدوث أول رأيهم.

ولما كان نظرهم مقصوراً على حطام الدنيا وهم عن الآخرة غافلون كان

(١) انظر: السبعة ص (٣٣٢)، الإقناع (٢/٦٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١١)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٨٧)، معاني القرآن للأخفش (٢/٥٧٦)، تفسير الطبري (١٥/٢٩٥).

(٣) قال الزجاج (٣/٤٧) في توجيه القراءات: "ويكون التفسير على نوعين في هذا، أحدهما: أن يكون اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك، ويجوز أن يكون اتبعوك في ظاهر الرأي و لم يتدبروا ما قلت و لم يفكروا فيه، وقراءة أبي عمرو على هذا التفسير الثاني أي: اتبعوك ابتداء الرأي أي: حين ابتدأوا ينظرون وإذا فكروا لم يتبعوك". اهـ.

ونقل ابن الجوزي (٤/٩٦) -في توجيه قراءة الجمهور- قولي الزجاج وزاد: "أن المعنى: ما نرى أتْبَاعك إلا سفلتنا وأرذالنا في بادي الرأي لكل ناظر، يعنون أن ما وصفناهم به من النقص لا يخفى على أحد فيخالفنا، هذا مذهب مقاتل في آخرين". اهـ.

(٤) لم أقف عليه في معاني القرآن.

(٥) انظر: الكشاف (٣/١٩٣)، مشكل إعراب القرآن (١/٣٩٧)، البيان لابن الأنباري (٢/١١)، التبيان للعكبري (٢/٦٩٥).

الزهاد العارفون[1] بالله في نظرهم أراذل لا عقول لهم ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ لاستوائنا في البشرية ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ إضراب عن الأول إشارة إلى كونهم أولى منه بالنبوة، ضموا[2] إليه الأتباع وغلَّبوه لأصالته.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ ردَّ تكذيبهم على أحسن وجه بأن المدَّعِي إذا أقام برهاناً على صدق دعواه خرج بذلك عن رتبة[3] الكذب، وأضافهم إلى نفسه بلفظ القوم إشارة إلى أنه ناصح لهم في ذلك لاتصاله بهم رحماً. ﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ هي النبوة[4] فإنه فضل من الله يؤتيه من يشاء، وأخرها عن البينة وإن تقدمت في الوجود؛ لأن العلم بها يستلزم العلم بالنبوة وبه يُفحم الخصم، ولذلك وَحَّد الضمير لها في قولـه: ﴿ فَعَمِيَتْ عليكم ﴾ لأن خفاءها يستلزم خفاء النبوة[5] وقيل: التقدير فعميت النبوة عليكم بعد البينة،

(١) ق: والعارفون.

(٢) ق: وضموا.

(٣) كذا في الأصل، وَ ق: ربقة، وَ ص: على ربقة.

(٤) نسبه ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٩٧) لابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٥٥).

قال القزويني في الكشف (٢٥/ب): "البينة تبين النبوة فإذا عميت إحداهما فقد عميتا، والظاهر على هذا رجوعه إلى البينة". اهـ.

وقيل: الضمير لكل واحدة[1].

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم العين وتشديد الميم[2] أي: أُخفيت، وإنما جعلت البينة عمياء على الاستعارة التمثيلية كما جعلت مبصرة[3]، والمعنى[4]: أن البينة دليل النبوة فإذا عميت فلم تهتد إليكم فكيف تهديكم إليها؟ كما أن دليل الركب في المفازة إذا عرض لـه عمى بقي القوم خابطين[5] حيارى[6].

---

(١) ذكر الوجهين الزمخشري في الكشاف (١٩٣/٣)، والبيضاوي في تفسيره (٤٥٥/١).

(٢) وقرأ باقي السبعة ﴿فَعَمِيَتْ﴾ بفتح العين وتخفيف الميم.

انظر: السبعة ص (٣٣٢)، التيسير ص (١٠١).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة النحل، الآية (١٣).

والاستعارة التمثيلية -كما عرفها السيوطي-: هي التي يكون وجه الشبه فيها منتزعاً من متعدد. معترك الأقران (٢١٤/١).

(٤) ق: المعنى. بحذف الواو.

(٥) ق: خائضين.

(٦) قال الزمخشري (١٩٣/٣-١٩٤): "فإن قلت: فما حقيقته؟ قلت: حقيقته: أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء، لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره، فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم، كما لو عمي على القوم دليل مفازتهم بقوا بغير هاد". اهـ.

﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أنكرهكم على قبولها ونقسركم[1] على الاهتداء بها ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ لا تختارونها و ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[2].

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ ﴾ جُعْلاً لتتهموني بأني أريد جرَّ نفعٍ ﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ الذي أرسلني إليكم ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ ﴾ سألوه طردهم استنكافاً من مرافقتهم حيث قالوا: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[3] كما قالت قريش لرسول الله ﷺ: "إن شئت اتباعنا إياك فاطرد هؤلاء العبيد والصعاليك حولك"، وفيهم نزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾[4].

---

(١) ق: نفسركم.

(٢) سورة البقرة، من الآية (٢٥٦).

(٣) سورة الشعراء، من الآية (١١١).

(٤) سورة الأنعام، من الآية (٥٢).

والحديث لم أجده بهذا اللفظ، وهو بمعناه عند مسلم، كتاب الزهد، باب في فضل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- (١٨٧٨/٤ رقم ٤٦) من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-.

=

﴿ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ فلابد وأن يسألهم[1] عما جرى عليهم من الطَرْد، أَو هم أهل الإكرام؛ لأنهم الكُمَّل الذين يلاقون ربهم ويفوزون بلقائه فكيف يُطرد من هذا شأنه[2]؟.

﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ مستمرون[3] على الجهل لا تعقلون ولذلك سألتم طرد من هو جدير بالإكرام.

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ ﴾ يمنعني من انتقام الله ﴿ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ إجابة لسؤالكم وإسعافاً لطلبتكم ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ أن ما تطلبونه لا يسوغ عقلاً فترتدعون.

والصعلوك: الفقير الذي لا مال له.

انظر: لسان العرب (صعلك) (١٠/٤٥٥).

(١) ص: نسألهم.

(٢) قال الطبري (١٥/٣٠١): "صائرون إلى الله والله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون لا عن شرفهم وحسبهم". اهـ.

وقال الزجاج (٣/٤٨): "وإذا لاقوا ربَّهم جازى من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب". اهـ.

وانظر: الكشاف (٣/١٩٤).

(٣) ق: تستمرون.

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ أرزاقه حتى تقولوا ما نرى لكم علينا من فضل، أو تتهموا من اتبعني من الفقراء لذلك ﴿ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ ولا أنا أدعي علم الغيب حتى تكذبوني وتقولوا افترى على الله، أو أطلع على قلب من اتبعني[1] ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ حتى تقولوا إنما أنت بشر مبطل في دعوى الملكية[2] ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ أي: في شأنهم لقوله: ﴿ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ﴾ بالغيبة[3] أي: ولا أقول لمن استرذلتموهم من المؤمنين أنهم كذلك [عند الله][4] ليس لهم عنده مقدار ولاحظ ونصيب[5] ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ

(١) انظر: الكشاف (٣/١٩٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٥)، وقال الواحدي في الوسيط (٢/٥٧١): "لما قالوا لنوح: إن الذين آمنوا بك إنما اتبعوك في ظاهر ما نرى منهم قال نوح مجيباً لهم: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ غيوب الله التي يعلم منها ما يضمر الناس، ﴿ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ فأعلم ما يسترونه في نفوسهم، أي: فسبيلي قبول الذي ظهر لي ومضمراتهم لا يعلمها إلا الله". اهـ. وانظر: تفسير البغوي (٤/١٧٢).

(٢) ق: الملائكة.

(٣) قال أبوحيان في البحر المحيط (٥/٢١٩): " و ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ معناه: لأجل الذين، ولو كانت اللام للتبليغ لكان القياس: لن يؤتيكم، بكاف الخطاب". اهـ.

(٤) ساقطة من ق.

(٥) ق: ولا نصيب.

أَنفُسِهِمْ ﴾ من الإيمان الذي هو مناط الشرف وموجب الكرامة ﴿ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ لو فعلت شيئاً من الأمور المذكورة.

الازدراء[1]: افتعال من زَرَيْته: إذا عبته[2]، وإسناده إلى العين لأن سببه رثة الحال والبذاذة وهي تدرك بالعين، أو لأنهم احتقروهم في بادي الرأي من غير تأمل واستعمال روية[3].

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ أتيت بأنواعه طول عمرك[4] ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ به من العذاب ﴿ إِن كُنتَ مِنَ

---

(١) ص: والازدراء.

(٢) ق: غبته.

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٤٨).

(٣) قال البيضاوي في تفسيره (١/٤٥٥): "وإسناده إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم". اهـ.

(٤) قال البيضاوي (الموضع السابق): " ﴿ فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ فأطلته أو أتيت بأنواعه"، ولعله أخذه من أن نوحاً -عليه السلام- لبث في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولأنه سلك معهم جميع الطرق الممكنة لمحاجتهم وإيصال الدعوة كما قال تعالى عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ =

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ في دعوى مجيء العذاب إن لم نؤمن بك.

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ ﴾ إذ لا مؤثر سواه/ ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ بفائتين من العذاب دفعاً.

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ شرط تقدم عليه ما يدل على الجواب[1]، وهو بعينه في حكم الجزاء لقوله: ﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾[2] واعتراض الشرط على الشرط إذا كان الشرط الثاني لا ينفك عن الشرط الأول يفيد تأكيد اللزوم كما في الآية، وقول القائل: إن دخلت الدار فأنت طالق إن كنت زوجتي

فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ سورة نوح، الآيت (٥-٩).

(١) فالتقدير: إن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي.

(٢) وتقديره: إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي.

وانظر: الكشاف (١٩٦/٣)، تفسير البيضاوي (٤٥٥/١)، الدر المصون (٣٢٠/٦).

فالشرط الأول ودليل جوابه المتقدم عليه دليل جواب الشرط الثاني[1][2].

وفيه دليل على أن الإضلال بإرادته -تعالى-، وأن خلاف مراده محال[3].

﴿ هُوَ رَبُّكُمْ ﴾ سيدكم المتصرف فيكم ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ فيجازيكم، أشار إلى المبدأ والمعاد بأوجز كلام مع تضمنه الوعيد.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ بل يقولون[4] افتراه من عند نفسه وينسبه إلى الله تعالى ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ إثمي لا يتعداني، يقال: جَرم وأجْرَم واجْتَرَم بمعنى[5] ﴿ وَأَنَا۠

(١) كذا في جميع النسخ ويظهر لي -والله أعلم- أن صواب العبارة: أنت طالق إن دخلت الدار إن كنت زوجتي.

وذلك لأنه قال بعدها: فالشرط الأول (إن دخلت الدار) ودليل جوابه المتقدم عليه. فجعله دليلاً على الجواب، وقال: المتقدم عليه، فدل على أنه قبله لا بعده، ويقصد به قوله: (أنت طالق) فالتقدير: إن دخلت الدار فأنت طالق.

والشرط الأول ودليل جوابه دليل جواب الشرط الثاني أي: إن كنت زوجتي فإن دخلت الدار فأنت طالق.

وقد أورد العبارة كما ذكرها المؤلف القزويني في الكشف (٢٦/أ).

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٥٥).

(٢) قاله القزويني في الكشف (الموضع السابق).

(٣) وهذا رد على المعتزلة الذين يقولون إن الشر ليس بإرادة الله تعالى، وليس من خلقه. ويقولون إن الله تعالى لا يضل أحداً، وهذا مبني على مذهبهم في القدر.

(٤) ق: تقولون.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (جرم) (١١/٦٣)، لسان العرب (جرم) (١٢/٩١).

﴿بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ من افترائكم بنسبتكم إياي إلى الافتراء[1].

وإنما آثر ما في النظم إشارة إلى كونهم مجرمين في ذلك القول[2]، وعن مقاتل[3] أن هذا في شأن محمد ﷺ[4] تكرير لقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾[5]، وإنما أورده في أثناء قصة نوح -عليه السلام- على وجه الاعتراض إشارة إلى أن نسبته إلى الافتراء بعد إتيانه بقصة نوح على هذا الأسلوب المعجز مع طول الزمان وعدم

---

(١) ق: بنسبتكم إليّ الافتراء.

(٢) انظر: الكشف (٢٦/أ).

(٣) مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخرساني البلخي أبوالحسن، قال عنه الشافعي: الناس عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. اهـ. وقال عنه الذهبي: هو متروك الحديث، وقد لطخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحراً في التفسير. اهـ. توفي عام ١٥٠هـ.
انظر: طبقات الحفاظ للذهبي (١/١٧٤)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/٣٣٠).

(٤) رواه البغوي (٤/١٧٣)، وذكره القرطبي في الجامع (٩/٢٩)، وقال به الطبري (١٥/٣٠٥)، والقرطبي (الموضع السابق) وابن كثير في تفسيره (٤/٢٥٢) ورجحه القزويني في الكشف (٢٦/أ) بما سيذكره المؤلف.
وروى البغوي (٤/١٧٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن هذه الآية من تمام قصة نوح -عليه السلام-، وأنها خطاب لهم؛ لأنهم زعموا أن نوحاً -عليه السلام- قد افترى ما جاءهم به من عند نفسه.
وهذا هو قول الواحدي في الوسيط (٢/٥٧٢)، وهو ظاهر سياق الزمخشري -كما ذكر ذلك القزويني في الكشف- واستظهره أبو حيان (٥/٢٢٠)، وقال عنه القزويني: "وعليه جمهور المفسرين" الكشف (الموضع السابق).

(٥) سورة هود، من الآية (١٣).

مطالعة الكتب والدراسة غاية العناد والمكابرة[1].

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ ﴾ بعد ما بلغ الرسالة وبالـغ في النصح واحتمال الأذى أقنطه من إجابة قومه ﴿ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ ﴿ قَدْ ﴾ دلت على أن من كان يتوقع منه الإيمان وجد منه، وقد أصابت المَحَزَّ لدلالتها على الرجاء المقابل للإقناط المفاد بـ ﴿ لَن ﴾، ولتقابل مدلوليهما[2] استقبالاً ومضياً، وهذا في الإيمان وذاك[3] في عدمه[4].

(١) في حاشية الأصل وَ ص: يؤيده إظهار لفظ نوح إذ لولاه لكان الظاهر الضمير على أسلوب ما تقدم. منه.

ومراده بإظهار لفظ نوح أي في الآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ... ﴾ الآية.

(٢) ق: مدلوليها.

(٣) ق: وذلك.

(٤) قال الزمخشري في الكشاف (٣/١٩٦): " ﴿ لَن يُؤْمِنَ ﴾ إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع ﴿ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه، و﴿ قَدْ ﴾ للتوقع وقد أصابت محزها". اهـــ.

قال القزويني في الكشف (٢٦/أ): "قوله: "وقد أصاب محزها" يعني أنه روعي من التقابل بين "لن" =

﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ فلا تحزن؛ افتعال من بئس -بالكسر- بؤساً وبأساً، قال أُحَيْحَة[1]:

ما يَقْسِمِ اللهُ اقْبَلْ غيرَ مُبْتَئِسٍ منهُ واقْعُد كريماً ناعم البالِ

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بحفظنا وكلاءتنا[2]، وإنما جمع التي هي آلة

وبينها فذلك إقناط وهذا رجاء وتوقع، وذلك مستقبل وهذا ماضٍ، وذلك في عدم الإيمان وهذا في الإيمان". اهـ.

(١) ق: أجنحة.

وقد سبقت ترجمة أحيحة ص (٢٤٦).

تنبيه: وردت نسبة البيت في جميع النسخ لأحيحة، والصواب أنه لحسان بن ثابت -رضي الله عنه-.

انظر: ديوانه ص (١٤٧).

وقد تابع المؤلفُ الطيبي في هذا الوهم فقد نسب في فتوح الغيب ص (٢١٤) هذا البيت لأحيحة.

(٢) هذا من لوازمها وهو معنى صحيح، لكن الآية دالة أيضاً على إثبات العين لله تبارك وتعالى كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ قال: "بعين الله".

رواه ابن جرير (٣٠٩/١٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٣٩٦).

وعن قتادة قال: "بعين الله ووحيه". رواه عبدالرزاق في التفسير (٣٠٤/١/٢)، وابن جرير (٣٠٩/١٥).

قال ابن جرير: "وقوله: ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك". (٣٠٨/١٥).

وقال ابن خزيمة في كتاب التوحيد (٩٦/١): "باب ذكر إثبات العين لله -جل وعلا- على ما ثبته
=

الحفظ مبالغة عن الملاحظة، وأن عنايته معه وافرة تقوية لجأشه، والكلام على التمثيل لا التجريد كما تُوهم"[1].

﴿ وَوَحْيِنَا ﴾ إليك بذلك الصنع، أو بصفته[2] وفي الخبر: "أنه لم يكن يعلم

الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه ﷺ، قال الله -عز وجل- لنبيه نوح صلوات الله عليه: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ ... إلخ".

وانظر: نقض عثمان بن سعيد ص (٥٣٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٤١٢).

(١) في حاشية جميع النسخ: رد على الطيبي، لأن الإضافة تنافي التجريد، تأمل. منه.

وقد قال الطيبي في فتوح الغيب ص(٢١٤): "أي رقباء تحفظه، وهو من باب التجريد، دل عليه الباء في: ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وهذا من أبلغ أنواع التجريد لأنهم ينتزعون من نفس الشيء آخر مثله في صفته مبالغة لكمالها فيه... ههنا جرَّد من ذاته المهيمن جماعة الرقباء، وهو الرقيب نفسه". اهـ.

والقول بأنها على التمثيل هو ما ذكره البيضاوي في تفسيره (١/٤٥٦). وراجع حاشية زاده على تفسير البيضاوي (٣/٤٣)، وقد سبق بيان المعنى الصحيح للآية في الحاشية السابقة وأن إضافة العين لله -تعالى- على الحقيقة لا على التمثيل. والله أعلم.

(٢) انظر القولين في: الوسيط (٢/٥٧٢)، زاد المسير (٤/١٠١)، البحر المحيط (٥/٢٢١).

والقول الثاني: هو المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-. (انظر: الحاشية التالية) ورواه الطبري عن مجاهد (٥/٣٠٩)، وقال به الزمخشري (٣/١٩٧)، والبيضاوي (١/٤٥٦)، والقرطبي (٩/٣٠)، وأبو حيان (٥/٢٢١) وغيرهم، وقال ابن عطية عن القول الأول: "ومن فسر قوله: ﴿ =

كيفيته فأوحى الله إليه أن اصنعه مثل جُؤْجُؤ الطير"[1].

﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ في شأنهم بالشفاعة[2] لاستدفاع العذاب عنهم[3] ﴿ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ ﴾ لا محالة سبق بذلك القدر، أو لا تخاطبني في شأنهم شاكياً في سوء صنيعهم كما كنت تخاطبني: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا [4]﴾[5] ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ﴾[6] ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى

وَوَحۡيِنَا ﴾ أي: بأمرنا لك، فذلك ضعيف لأن قوله: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ مغن عن ذلك". (٣/١٦٩).

(١) هذا الأثر رواه الطبري (١٥/٣٠٨) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق العوفي.
وقد جاء في حاشية الأصل وَ ق: جؤجؤ على وزن قُنْفُذ: صدر الطائر. منه.
وانظر: لسان العرب (جأجأ) (١/٤٢).

(٢) ق: شاكياً بالشفاعة.

(٣) روى الطبري (١٥/٣٠٩) عن ابن جريج نحوه، وقال به -الطبري-، وهو قول الزجاج (٣/٥٠)، والواحدي في الوسيط (٢/٥٧٣)، والزمخشري (٣/١٩٧)، والبيضاوي (١/٤٥٦)، وأبي حيان (٥/٢٢١) وغيرهم.

(٤) الآية في ص وَ ق دون ﴿ لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴾.

(٥) سورة نوح، الآية (٥).

(٦) سورة نوح، من الآية (٢١).

ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[1]، وهذا أوجه لأن الوجه الأول فيه منافرة مع قوله: ﴿ لَا تَذَرْ ﴾ وقوله: ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾[2].

﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ ﴾ "حكاية حال ماضية"[3]. ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ﴾ يقولون: صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً[4]، وكان

---

(١) سورة نوح، الآية (٢٦).

(٢) سورة القمر، الآية (١٠).

وفي حاشية الأصل وَ ص: هذا الوجه مما تفرد به المؤلف، وهو الحق إن شاء الله تعالى. منه.

قلت: وقد ذكر قريباً منه الرازي في التفسير الكبير (١٧٨/١٧) فقال: "الثاني: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى ﴾ في تعجيل ذلك العقاب على الذين ظلموا، فإني لما قضيت إنزال ذلك العذاب في وقت معين كان تعجيله ممتنعاً". اهـــ.

(٣) الكشاف (١٩٧/٣)، تفسير البيضاوي (٤٥٦/١).

(٤) روى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار قال: "جعلوا يمرون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجاراً". انظر: الدر المنثور (٤٢١/٤).

ورواه ابن جرير عن عبيد بن عمير الليثي (٣١٣/١٥)، وقال به هو (٣١٠/١٥)، والزمخشري (١٩٧/٣) وكثير من المفسرين.

يصنعها في برية لا ماء بها. ﴿ كُلَّمَا ﴾ دلت على أن ذلك كان منهم على التكرار والتوالي ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا ﴾ على الاستمرار ﴿ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ نسخر منكم "إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة"(١).

وقيل: التسخر منهم مجاز(٢) عن الاستجهال؛ لأن السخرية في مثل هذا المقام تعرض لسخط الله وعذابه ولا جهل فوقه(٣).

---

(١) الكشاف (٣/١٩٧).

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٥٦).

(٢) ق: وقيل: السخرية منه مجاز... إلخ.

والمراد قوله: ﴿ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ﴾ فإنه محمول على الاستجهال؛ لأن سخرية قوم نوح تعرض منهم لسخط الله، وهذا جهل منهم، ولأن السخرية لا تليق بالأنبياء عليهم السلام فحملت على الاستجهال.

انظر: المراجع في الحاشية التالية.

(٣) قال الزجاج في معاني القرآن (٣/٥٠): "أي: نحن نستجهلكم كما تستجهلوننا" وبنحوه قال ابن عطية (٣/١٧٠).

وقيل: السخرية منهم على ظاهرها، ومنه -عليه السلام- المراد بها الاستجهال.

وقيل: السخرية في الموضعين على ظاهرها وهو قول المؤلف -رحمه الله-، والزمخشري =

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ ﴿ مَن ﴾ منصوب بـ ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾[1] أيْ: سوف يظهر لكم من الذي يأتيه عذاب مخزٍ لـه، أتى به على وجه الإبهام لئلا يوقعوا به مكروهاً. كانوا يضربونه ويرمونه بالأحجار حتى يغمى عليه فإذا أفاق قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون[2].

روي أنه كملها في سنتين[3]، وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وارتفاعها ثلاثون ذراعاً[4]، وكانت من خشب الساج[5]. لها[6] ثلاثة بطون فحمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام،

(١٩٧/٣) وأكثر المفسرين. قال الطبري (٣١٠/١٥): "إن تهزؤا منا اليوم فإنا نهزأ منكم".

وانظر: روح المعاني (٧٥/١٢-٧٦).

(١) انظر: الكشاف (١٩٨/٣)، البحر المحيط (٢٢٢/٥).

(٢) روى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن عبيد بن عمير الليثي: أنه كان يحدث أنه بلغه: أنهم كانوا يبطشون به -يعني قوم نوح- فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون". وهذا إسناد -كما هو ظاهر- لا يحتج به؛ لأن فيه راوياً مجهولاً وهو الذي روى عنه ابن إسحاق، كما أن عبيد لم يسنده، والله أعلم.

(٣) ذكره الزمخشري (١٩٧/٣) وغيره.

(٤) روى هذا القولَ في مقدار طولها وعرضها الطبريُ عن قتادة قال: ذُكر لنا... إلخ (٣١١/١٥).

(٥) روي عن ابن عباس وكعب الأحبار والضحاك وغيره.

انظر: تفسير الطبري (٣١٧/١٥)، الدر المنثور (٤٢١/٤)

(٦) كذا في الأصل، وسائر النسخ: ولها.

وهو ومن معه من الناس في أعلاها[1]، وحمل الزاد وما يحتاج إليه وحمل جسد آدم وجعله فاصلة بين الرجال والنساء[2]. وعن الحسن: "أن طولها كان ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع"[3].

روي أن الحواريين قالوا لعيسى -عليه السلام-: لو أحييت لنا رجلاً شهد سفينة نوح، فانطلق بهم إلى كثيب فأخذ من ذلك التراب كفاً وقال: هل تدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا كعب [حام][4] بن نوح فضرب الكثيب بعصاه وقال: قم بإذن الله، فقام ينفض التراب من رأسه، فقال له عيسى: كيف شبت [ولم يكن شيب][5] قبل إبراهيم؟ قال: شبت من هول القيامة لما قلت: قم ظننت

(١) رواه البغوي (٤/١٧٤)، وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٢) نقله البغوي (٤/١٧٧) عن مقاتل.

وفي ق: جثة آدم.

(٣) رواه ابن جرير (١٥/٣١١) وغيره.

انظر: الدر المنثور (٤/٤٢٠).

(٤) ساقطة من ص، وفي ق: كعب بن حام.

وما في ق هو الموافق لما في الكشاف (٣/١٩٨)، وهو خطأ، والصواب الموافق لما في الأصول -التي سيأتي بيانها- المثبت أعلاه.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

أن القيامة قد قامت. قال لـه: حدثنا عن سفينة نوح قال: كان طولها ألفاً ومائتي ذراع، وكانت ثلاث طبقات طبقة للإنس، وطبقة للدواب والوحوش، وطبقة للطير، ثم قال: عُدْ كما كنت بإذن الله، فعاد تراباً[1].

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (٣١١/١٥)، والأثر ضعيف لأنه من رواية مفضل بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان وكلاهما ضعيف عند أهل العلم.

انظر ترجمة مفضل في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/١/ ٣١٧)، تهذيب التهذيب (٢٧٣/١٠).

وترجمة علي بن زيد في: ميزان الاعتدال (١٢٧/٣).

وعلى فرض صحته فهو من أخبار بني إسرائيل. وقد وصفه ابن كثير بالغرابة (٢٥٣/٤)، وقال محمود شاكر في تعليقه على الطبري (٣١٣/١٥): "وهذا خبر لا أشك أنه من بقية أخبار بني إسرائيل وأشباههم لا يبلغ أن يكون شيئاً". اهـ.

وكل ما ذكره المؤلف -رحمه الله- هنا من شأن السفينة وصفتها هو بنصه في الكشاف (١٩٧/٣-١٩٨).

وكله من أخبار بني إسرائيل التي لا يجوز تصديقها، وليس شيء منها مسنداً إلى المعصوم بطريق صحيح، وحين ذكرها الأئمة في كتبهم ولم يبينوا زيفها فهو اعتماد منهم على ظهور أنها من أخبار بني إسرائيل. والله أعلم.

انظر: روح المعاني (٧٥/١٢)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص (٢١٨).

﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ حلول الدين[1] على المَدِين، استعارة تبعية [2]، هو عذاب الآخرة لعدم انفكاكه[3].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ غاية لـ ﴿ يَصْنَعُ ﴾ ، وما بينهما حال من فاعله كأنه قيل: يصنعها والحال أنه ﴿ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ ﴾، وجواب ﴿ كُلَّمَا ﴾ إما ﴿ سَخِرُوا ﴾ و ﴿ قَالَ ﴾ استئناف على تقدير سؤال، أو[4] هو الجواب[5] و﴿ سَخِرُوا ﴾ إما بدل من ﴿ مَرَّ ﴾ أو صفة لملأ[6].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/١٩٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٦).

(٢) الاستعارة التبعية: هي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف.

انظر: مفتاح العلوم ص(٣٨٠).

(٣) وقيل: ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ ﴾ ينزل به في الآخرة. قاله الطبري (١٥/٣١٧)، والسمرقندي (٢/١٥٠)، وصدر به البيضاوي (١/٤٥٦) الأقوال في الآية.

(٤) ق: أي.

(٥) أي أن قوله: ﴿ قَالَ ﴾ جواب لــ ﴿ كُلَّمَا ﴾.

(٦) انظر هذه الأوجه جميعاً في: الكشاف (٣/١٩٨-١٩٩)، البحر المحيط (٥/٢٢٢)، الدر المصون (٦/٣٢٢).

﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُورُ ﴾ من فار القدر إذا جاشت. والتنور هو المعروف فكان خرقاً للعادة[1]، وقيل: التنور وجه الأرض[2]، وقيل: أشرف موضع/ فيها[3]، وكان

وقد استبعد أبو حيان والسمين الحلبي أن يكون قوله: ﴿ سَخِرُواْ ﴾ بدلاً من ﴿ مَرَّ ﴾. قال أبوحيان: "لأن سخر ليس في معنى مرّ، لا يراد ذا ولا نوعاً منه". اهـــ.

(١) قال به ابن عباس –رضي الله عنهما- -في رواية العوفي- وهو قول الحسن ومجاهد، والشعبي والفراء والطبري والبيضاوي وأبي حيان وغيرهم، ونسبه البغوي وابن عطية لأكثر المفسرين، وقال الطبري في ترجيحه: "وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قولـــه: ﴿ ٱلتَّنُورُ ﴾ قول من قال: هو التنور الذي يخبز فيه؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يُوجَّه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به". اهـــ. (٣٢١/١٥).

انظر: معاني القرآن للفراء (١٤/٢) ، تفسير البغوي (١٧٦/٤)، المحرر الوجيز (١٧٠/٣)، زاد المسير (١٠٥/٤)، تفسير البيضاوي (٤٥٦/١)، البحر المحيط (٢٢٣/٥).

(٢) قال به ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية الضحاك، وقال به الضحاك أيضاً وعكرمة والزهري وغيرهم.

انظر: تفسير الطبري (٣١٨/١٥)، المراجع السابقة (المواضع نفسها).

(٣) قاله قتادة.

انظر: تفسير الطبري (٣١٩/١٥).

ذلك بكوفة [في][1] موضع مسجدها، وقيل: بهند[2]. ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا ﴾ في السفينة ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ بإضافة ﴿كُلِّ ﴾ على قراءة الجمهور ﴿ ٱثْنَيْنِ ﴾ مفعول الأمر[3]، والجار والمجرور إما متعلق[4] به أو حال عن المفعول قدمت لكون ذي الحال نكرة[5]، وقرأ حفص بالتنوين[6] أيْ: من كل جنس احمل زوجين ذكراً وأنثى، و ﴿ ٱثْنَيْنِ ﴾ صفة مؤكدة؛ لأن الزوج أحد القرينين لا مصطلح

(١) ساقط من ص.

(٢) روي عن مجاهد والشعبي أنه بالكوفة، ورُوي عن علي -ﷺ- وزرٌ بن حبيش أنه في موضع مسجدها، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه بالهند.
انظر القولين في: تفسير الطبري (٣٢١/١٥)، زاد المسير (١٠٥/٤)، تفسير البيضاوي (٤٥٦/١).
ولما ذكر ابن كثير -رحمه الله- بعض هذه الأقوال قال: "وهذه أقوال غريبة". اهـ. (٢٥٤/٤). وكيف يكون أشرف مكان في الأرض في الكوفة أو الهند؟
ولا شك أن مثل هذه التحديدات لا يجزم بشيء منها ما لم يكن منقولاً عن الرسول ﷺ بطريق صحيح، فهي من قبيل ما ذُكر في صفة سفينة نوح -عليه السلام- والله أعلم.

(٣) في قوله: ﴿ ٱحْمِلْ ﴾.

(٤) ص: يتعلق.

(٥) انظر: الكشف لمكي (/٥٢٨)، إعراب القرآن للنحاس (٩٠/٢)، التبيان للعكبري (٦٩٧/٢)، الدر المصون (٣٢٣/٦).

(٦) انظر: السبعة ص (٣٣٣)، التيسير ص (١٠١).

الحساب"[1]، والمختار قراءة القوم لعدم الاحتياج إلى التقدير.

﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ عطف على ﴿ زَوْجَيْنِ ﴾ أو على ﴿ ٱثْنَيْنِ ﴾ باعتبار القراءتين[2] ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ ابنه وامرأته لكونهما كافرين ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ عطفٌ على ما عُطف عليه ﴿ أَهْلَكَ ﴾.

﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ كانوا ثمانية نوح وأهله غير الهالكة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم[3]، وقيل: كانوا عشرة خمسة رجال

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن (١٤/٢): "وقولــه: ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ والذكروالأنثى من كل نوع زوجان". اهـــ.

وقال الزجاج في معاني القرآن (٥١/٣): " ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ أي: من كل شيء، والزوج في كلام العرب واحد، ويجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما: زوجان يقول الرجل: عليَّ زوجان من الخفاف، وتقول: عندي زوجان من الطير، وإنما تريد ذكراً وأنثى فقط". اهـــ.

(٢) حاشية في الأصل وَ ص: فعلى قراءة الجماعة عطف على ﴿ ٱثْنَيْنِ ﴾، وعلى قراءة حفص عطف على ﴿ زَوْجَيْنِ ﴾. منه.

(٣) رواه ابن جرير (٣٢٥/١٥) عن قتادة والحكم بن عتيبة وابن جريج. وزاد ابن الجوزي نسبته للقرظي (١٠٧/٤).

وخمس نسوة[1]، وقيل: كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وأولاد نوح الثلاثة ونسوتهم ونوح وأهله فالكل ثمانون[2]، والقرية التي نزلوا من السفينة فيها بذيل

---

(١) نسبه الزمخشري في الكشاف (١٩٩/٣)، وأبوحيان في البحر المحيط (٢٢٣/٥) لابن إسحاق.

وقد روى ابن جرير في تفسيره ما يخالف ذلك فقال: عن ابن إسحاق قال: "لما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله به وكانوا قليلاً كما قال الله فحمل بنيه الثلاثة: سام وحام ويافث ونساءهم وستة أناسي ممن كان آمن فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم". (٣٢٦/١٥).

وذكر مثله البغوي في تفسيره (١٧٧/٤)، وأبوحيان في البحر المحيط (٢٢٣/٥).

فمن المحتمل أن يكون عن ابن إسحاق روايتان في عدهم، ويحتمل أن يكون ما ذكره الزمخشري -ونقله عنه غيره- وهماً خصوصاً أني لم أقف عليه مسنداً. والله أعلم.

(٢) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما، وسفيان (٣٢٦/١٥)، وزاد البغوي روايته عن مقاتل (١٧٧/٤).

وانظر: زاد المسير (١٠٧/٤).

قال ابن جرير: "والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ ﴾ ويصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يَحُد عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح فلا ينبغي أن يُتجاوز في ذلك حدُّ الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدٌّ من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ". اهـ، وبنحوه قال الرازي في تفسيره (١٨٢/١٧)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢٣/٥) وغيرهم وهو الصواب إن شاء الله تعالى.

الجودي[1] تسمى ثمانين[2].

﴿ وَقَالَ ﴾ نوح أو الله[3] ﴿ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا ﴾ ادخلوا فيها، شبه الدخول

---

(١) راجع ص (٧٦١).

(٢) نقله الرازي في تفسيره عن مقاتل (١٧/١٨٢). وذكره القرطبي (٩/٣٥)، وأبو حيان (٥/٢٢٣) دون عزو.

والمراد أنهم بنوا هذه القرية التي تسمى "ثمانين" حين نزلوا من السفينة كما هو مذكور في هذه المصادر.

وقد ذكر هذه القرية ياقوت الحموي في معجم البلدان (٢/٨٤) فقال: "ثمانين بلفظ العقد بعد السبعين من العدد: بُليدة عند جبل الجُوديّ... فوق الموصل، كان أول من نزله نوح -عليه السلام- لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنساناً فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا به فسمي الموضع بهم... إلخ".

ولا شك أن اعتماد مثل هذا يحتاج إلى دليل صحيح، ويحتاج إلى إثبات أن الذين كانوا مع نوح -عليه السلام- ثمانون، وهو ما لم يثبت. والله أعلم.

(٣) الوجه الأول هو قول أكثر المفسرين، والثاني هو ظاهر كلام الزجاج (٣/٥٢).

وجوّز القرطبي والسمين الحلبي الوجهين.

واستبعد أبوحيان الوجه الثاني لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وانظر: تفسير الطبري (١٥/٣٢٧)، الوسيط للواحدي (٢/٥٧٣)، زاد المسير (٤/١٠٧)، الجامع للقرطبي (٩/٣٦)، الدر المصون (٦/٣٢٤).

بالركوب لجريان[1] السفينة ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ حال من الواو في ﴿ ٱرْكَبُواْ ﴾ [أي: اركبوا][2] مسمين الله، أو قائلين: بسم الله ﴿ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ إجراؤها وإرساؤها رفع على الابتداء، أو على فاعلية الظرف[3]، أو نصب بتقدير الوقت كقولهم خُفوق[4] النجم[5]، ويجوز أن يكون كلاماً منقطعاً عن الأول كأنه لما أمرهم بالركوب ذكر لهم أن إجراءها وإرساءها إنما هو بذكر اسم الله أو بإرادته وقدرته[6] فإنه قد روي "أنه كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت، وإذا أراد أن

---

(١) ص: بجريان.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) قال في الدر المصون (٦/٣٢٤): "يكون "مجراها"، و "مرساها" فاعلين بالاستقرار الذي تضمنه الجار لوقوعه حالاً". اهـ.

(٤) ق: خفوف.

(٥) خفق النجم إذا غاب، قال في اللسان (خفق) (١٠/٨١): "يقال: وَرَدْتُ خُفوقَ النجم، أي: وقت خفوق الثريا تجعله ظرفاً وهو مصدر".

(٦) انظر الأوجه في: إعراب القرآن للنحاس (٢/٩١)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٠٠)، الكشاف (٣/١٩٩)، التبيان للعكبري (٢/٦٩٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٧)، البحر المحيط (٥/٢٢٥) الدر المصون (٦/٣٢٤).

يرسو[1] قال: بسم الله فرست"[2]، ويجوز أن يكون الاسم مقحماً كقول[3] لبيد[4]:

ثم اسمُ السلامِ عليكما[5] ....

---

(١) ق: ترسو.

(٢) رواه ابن جرير عن الضحاك (١٥/٣٣٠).

(٣) ص: لقول.

(٤) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري من شعراء الجاهلية وفرسانهم، أدرك الإسلام وأسلم، يقال: إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية -رضي الله عنه-، سأله عمر -رضي الله عنه-: ما أحدث من الشعر في الإسلام؟ فقال: أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران، فزاد عمر في عطائه، ويقال: إنه ما قال في الإسلام إلا بيتاً واحداً وهو:

ما عاتب المرءَ اللبيب كنفسهِ والمرءُ يصلحهُ الجليسُ الصالحُ

ويقال: بل قوله:

الحمدُ للهِ إذ لم يأتني أجلي حتى لبستُ من الإسلامِ سربالاً

انظر: الشعر والشعراء (١/٢٧٤)، الإصابة (٦/٤).

(٥) جزء من صدر بيت وتمامه:

إلى الحولِ ثم اسم السلام عليكما ومنْ يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

يوصي فيه ابنتيه بالبكاء عليه حولاً كاملاً ويقول: إن من يبك على مصابه حولاً كاملاً فقد أبلغ في العذر.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بفتح الميم مصدر جرى لقوله: ﴿ وَهِىَ تَجۡرِى بِهِمۡ ﴾[1]، والمختار قراءة القوم لازدواج ﴿ مُرۡسَىٰهَآ ﴾.

﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ متصل بـ ﴿ ٱرۡكَبُواْ ﴾ كأنه قيل: اركبوا فيها فلولا مغفرته لفرطاتكم وشمول رحمته لما نجاكم.

﴿ وَهِىَ تَجۡرِى بِهِمۡ ﴾ أي: فركبوا فيها قائلين بسم الله وهي تجري بهم[2]

﴿ فِى مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ ﴾ الموجُ: ما يعلو فوق الماء عند اضطرابه، كل [موجة][3] منه شبهت بجبل في الارتفاع والعظم[4]. وكون السفينة في الموج أن الأمواج

انظر: شرح ديوان لبيد ص (٢١٤).

وانظر هذا الوجه في: الكشاف (١٩٩/٣)، وقال: "ويراد: بالله إجراؤها وإرساؤها، أي: بقدرته وأمره".

(١) قرأ الثلاثة بالفتح مع الإمالة، فحمزة والكسائي على أصلهما في الإمالة ووافقهما حفص في هذا الموضع في المشهور عنه والمعمول به، وقرأ باقي السبعة بضم الميم.

انظر: السبعة ص (٣٣٣)، التيسير ص (٤٥، ٤٦، ١٠١)، الكشف لمكي بن أبي طالب (٥٢٨/١).

(٢) انظر: الكشاف (٢٠١/٣)، تفسير البيضاوي (٤٥٧/١).

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها).

تصـــــدمها من كـــــل جانـــب لا أنها[1] داخلة في جـوف المــاء، وقـوله: ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾[2] لا يقتضي تطبيق ما بين السماء والأرض وبقاء السفينة كالسمكة إذ المشهور أن الماء علا أشمخ جبل أربعين ذراعاً[3].

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ ظاهر في كونه من صلبه[4]، وقيل: كان ربيبه[5]

---

(١) ق: لأنها، والصواب المثبت أعلاه.

(٢) سورة القمر، من الآية (١٢).

(٣) أشار المؤلف بذلك إلى رد ما ذكره الزجاج والزمخشري من أن الماء قد طبّق ما بين السماء والأرض، وأن السفينة صارت تجري في وسط هذا الماء.

راجع: معاني القرآن للزجاج (٥٣/٣)، الكشاف (٢٠١/٣).

وقد استبعد هذا القول أيضاً ابن عطية (١٧٣/٣)، وأبوحيان (٢٢٦/٥)، وغيرهما.

وما أورده المؤلف -رحمه الله- من أن الماء علا أشمخ جبل أربعين ذراعاً ذكره البغوي (١٧٩/٤)، وابن الجوزي (١٠٩/٤)، وأبوحيان (٢٢٦/٥) كلهم مبهماً بصيغة التمريض.

(٤) هذا هو قول جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم، وهو الصواب الذي دل عليه ظاهر القرآن.

انظر: الحاشية التالية.

(٥) روى ابن الأنباري في المصاحف وأبوالشيخ أن علياً -رضي الله عنه- قرأ: (ونادى نوح ابنها وكان في معزل). انظر: الدر المنثور (٤٣٣/٤).

وهذا القول هو ظاهر قول أبي جعفر محمد الباقر، وقد روى قوله هذا ابن جرير (١٥/ ٣٤٠، ٣٤٢) من طريقين:

الأول: من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر، وجابر الجعفي هذا من غلاة الرافضة وكان يتهم بالكذب.

انظر: الضعفاء الكبير (١/ ١٩١)، تهذيب التهذيب (٢/ ٤٦).

الثاني: من طريق ثوير عن أبي جعفر الباقر، وثوير هو: ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة وهو ضعيف لا يحتج بحديثه.

انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٧٥)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٦).

وقد روى ابن جرير أيضاً (الموضع السابق) عن بعض التابعين أنه ليس بولده وإنما جاءت به امرأته من غيره على فراشه.

فروى ابن جرير هذا القول عن عبيد بن عمير، ولكن في إسناده عمرو بن عبيد المعتزلي وهو ضعيف، كذبه جماعة. انظر: التاريخ الكبير (٦/ ٣٥٢)، كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص (١٨٤)، ورواه أيضاً -ابن جرير- عن الحسن وابن جريج (الموضع السابق).

والصواب الذي عليه جمهور المفسرين ما ذكره المؤلف أولاً وهو أنه ابنه لصلبه وهو المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة وعكرمة والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٩): "وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زنية... وقال ابن عباس وغير واحد من السلف: ما زنت امرأة نبي قط قال: وقوله: ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أي: الذين وعدتك نجاتهم.

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ في مكان بعيد عزل نفسه عن أبيه أو عن دينه[1].

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ في السفينة، قرأ عاصم بفتح الياء في ﴿بُنَيَّ﴾ هنا، ونافع وابن كثير وأبوعمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر[2]. وجه الفتح أن أصل ابن: بَنَوٌ فردت الواو في التصغير، ثم قلبت ياء وأدغم فيها ياء التصغير وألحقت بها ياء المتكلم في النداء، ثم أبدلت ألفاً كما في: يا[3] غلاماً ثم اكتفي بالفتحة الدالة عليها، ووجه الكسر حذف الياء لدلالة الكسر عليها[4]،

وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة... إلخ". اهـ مختصراً.

وانظر: البسيط (٢١٨/١)، البحر المحيط (٢٢٧/٥).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٥٧/١)، وذكر الزمخشري القولين إلا أنه ذكر الثاني بصيغة التمريض (٢٠١/٣-٢٠٢)، وقال الزجاج في معاني القرآن (٥٤/٣): "يجوز أن يكون كان في معزل من دينه، أي: دين أبيه، ويجوز أن يكون -وهو أشبه- أن يكون في معزل من السفينة". اهـ.

(٢) انظر: السبعة ص (٣٣٤)، الإقناع (٦٦٥/٢)، النشر (٢٨٩/٢).

(٣) يا: ساقطة من ص.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٥٤/٣)، مشكل إعراب القرآن (٤٠٣/١).

والمختار هو الكسر لأنها الفصحى وأقل تغيراً[1].

وأدغم الباء[2] في الميم قنبل وأبوعمرو وعاصم والكسائي باتفاق، والبزي[3]، وقالون وخلاد[4] في أحد الوجهين لاتحاد[5] المخرج والتجانس في بعض الصفات[6].

﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ خارج السفينة أو في الدين[7].

﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ من غرقه

(١) انظر: المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٢) ص: الياء.

(٣) ص وَ ق: بحذف الواو.

(٤) خلاد بن خالد أبوعيسى الكوفي المقرئ، إمام في القراءة ثقة عارف، تصدر للإقراء وانتفع به الناس. توفي عام ٢٢٠هـ.

انظر: معرفة القراء الكبار (١/٢١٠)، غاية النهاية (١/٢٧٤).

(٥) ق: لاتخاذ.

(٦) انظر: التيسير ص (٤٤)، النشر (٢/١١).

(٧) وبين الوجهين تلازم فمن كان مع الكافرين في الدين فهو معهم خارج السفينة، ومن كان معهم خارج السفينة فهو على دينهم.

﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ من عذابه ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ إلا الراحم وهو الله تعالى[1]، وضع الظاهر موضع الضمير إشارة إلى أن رحمته هي المعتصَم به لا [الجبل، وفي الموصول زيادة تفخيم أيضاً، أو لا ذا عصمة إلا المرحوم كعيشة راضية على أن فاعل بمعنى النسبة كلابن وتامر[2]، أو المكان مقدر بدليل][3] ذكره في مقابلة الجبل أي: لا عاصم إلا مكان رحمة الله وهو السفينة[4]، أو الاستثناء منقطع[5] أي: لا عاصم أصلاً ولكن من رحمه الله فهو المعصوم.

---

(١) قال به الطبري في تفسيره (١٥/٣٣٢)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/٩٣)، والزمخشري (٣/٢٠٢)، والبيضاوي (١/٤٥٧)، وغيرهم.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٥٤)، إعراب القرآن للنحاس والكشاف (الموضعين السابقين)، البحر المحيط (٥/٢٢٧).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٤) جوَّزه الزمخشري (٣/٢٠٢)، والبيضاوي (١/٤٥٧).

(٥) قاله الفراء في معاني القرآن (٢/١٥)، والزجاج في معاني القرآن (٣/٥٤)، وهو اختيار الواحدي في البسيط (١/٢١٣)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٠٥)، وابن الأنباري في البيان (٢/١٥)، وأبي حيان في البحر (٥/٢٢٧)، وابن القيم في بدائع الفوائد (٣/٦٧).

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ من جملتهم.

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ[1] وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ حكى -عز سلطانه- ما تعلق به إرادته فوقع على وفقه من غير رَيْث[2] مِنَ عَوْد ما انفجر من الأرض إلى بطنها وانقطاع طوفان السماء ونقصان الماء الطاغي وقضاء أمر نوح وهو إنجاز ما وعده[3] من إهلاك الكفار وتسوية السفينة على الجودي وإبقاء الظلمة في اللعن والبوار.

نادى الأرض والسماء كما يُنادى العقلاء المختارون المنقادون لأوامره العارفون وجوب طاعته الخائفون سطوات قهره تشبيهاً للمراد بالمأمور[4]،

---

(١) قوله تعالى: ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ غير مكتوب في الأصل.

(٢) ق: ريب.

(٣) ق: وهو إنجازنا وعده.

(٤) لا وجه لصرف الأمر عن ظاهره كما دل عليه النص، وليس هناك ما يمنع أن يكون الله تعالى قد أودع في هذه المخلوقات إدراكاً يناسبها كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ =

واستعار لنشف الماء: البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم، والشبه بينهما هو الذهاب إلى مقر خفي[1]، وإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز الحكمي[2] تشبيهاً للاتصال الصوري باتصال الملك بالمالك[3]، واستعار الإقلاع الذي هو تركُ الفاعلِ/ الفعلَ لاحتباس المطر والشبه بينهما عدم ما كان[4]، ولم يصرح بالفاعل

دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة فصلت، من الآية (١١).

يقول الطبري (١٥/٣٣٤) في تفسير الآية من سورة هود: "يقول تعالى ذكره: وقال الله للأرض بعد ما تناهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق: ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ أي: تشرَّبي... إلخ"، ويقول الحافظ ابن كثير (٤/٢٥٦): "يخبر الله تعالى أنه لما أغرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها وأمر السماء أن تقلع عن المطر". اهـ.

والحاصل أن الأرض تؤمر وتخاطب بما يناسبها، وإن كانت في ذلك ليست كالإنسان والله أعلم.

(١) انظر: مفتاح العلوم ص(٤١٨).

(٢) المجاز الحكمي هو المجاز العقلي.

انظر: تعريفه ص(١٢٠٥).

(٣) انظر: مفتاح العلوم ص(٤١٨).

(٤) المرجع السابق (الموضع نفسه).

في ﴿ غِيضَ ﴾ و ﴿ قُضِىَ ﴾ و ﴿ وَقِيلَ ﴾ كما لم يصرح بالمنادي في ﴿ يَٰٓأَرْضُ ﴾ و ﴿ يَٰسَمَآءُ ﴾ لعدم ذهاب الوهم إلى أن غيره -جلت عظمته- يُتصور منه تلك الأشياء[1]، ثم ختم الكلام بالتعريض بمن[2] سلك مسالكهم في تكذيب الرسل وأن ذلك العذاب الهائل إنما كان منشؤه الظلم لا غير.

والجُودِيُّ: جبلٌ بجزيرة المَوْصِل[3]، والقول بأنه بالشام أو بآمُل[4] ليس له

(١) قال الزمخشري (٣/٢٠٣): "ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مُكوِّن قاهر، وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره". اهـ.

(٢) كذا في الأصل، وباقي النسخ: لمن.

(٣) القول بأن الجودي بأرض الموصل هو قول ابن عباس -رضي الله عنهما- والضحاك، قال الواحدي في البسيط (١/٢١٧): "وعامة المفسرين".

انظر: تفسير الطبري (١٥/٣٣٨)، الكشاف (٣/٢٠٣)، تفسير البغوي (٤/١٧٩)، زاد المسير (٤/١١٢).

(٤) ق: بابل.

والمثبت أعلاه هو الموافق لما في المراجع الآتية، وفي تفسير البيضاوي بحاشية زاده (٣/٤٧): بابل.

وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (١/٥٧-٥٨)، بلدتان تسميان بهذا الاسم "آمل":

=

أصل[1]، روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكراً فصار سُنَّة[2].

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ ﴾ أراد نداءه لقوله: ﴿ فَقَالَ رَبِّ ﴾[3]، أو النداء

الأولى: مدينة كبيرة بطبرستان، بها ولد أبوجعفر بن جرير الطبري وغيره.

الثانية: مدينة مشهورة في غربي جيحون على طريق القاصد إلى بخارى من مرو، ويقال لها: آمُل جيحون وآمُل الشَطّ وغير ذلك.

ولم يتبين لي المقصود من هاتين المدينتين.

(١) قال البيضاوي (١/٤٥٨)" "﴿ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ جبل بالموصل، وقيل: بالشام، وقيل: بآمل".
اهـ. وانظر: روح المعاني (١٢/٩١).
وقال الزجاج في معاني القرآن (٣/٥٥): "الجودي: جبل بناحية آمِد". اهـ.

(٢) أما ركوبه في عاشر رجب ونزوله في عاشوراء فرواه الطبري (١٥/٣٣٥-٣٣٦) عن ابن جريج وقتادة.
وأما صيامه ذلك اليوم فرواه عن عبدالعزيز بن عبدالغفور عن أبيه، وعن قتادة.
وانظر: تفسير البغوي (٤/١٧٩)، تفسير ابن كثير (٤/٢٥٧).

(٣) قال الزمخشري: "أريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ... الآية﴾ سورة مريم، من الآيتين (٣، ٤) بغير فاء".
اهـ (٣/٢٠٣-٢٠٤).
وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٥٨)، البحر المحيط (٥/٢٢٩).

على أصله والفاء لتفصيل المجمل[1] ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ بعض أهلي كان[2] من صلبه أو كان ربيباً لـه فهو أيضاً من أهله[3] ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: كل وعد وعدته كائن لا محالة وقد وعدتني إنجاء أهلي، والظاهر أنه لم يكن نوح عالماً بكفره[4] وقوله: ﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[5] لا يدل على كفره، ولم يحمل[6] مقاولة الابن على العناد لأن غلبة الحب تغطي[7] عليالبصيرة فعوتب على أن مثله كيف يشتبه عليه حال المعاند وكيف يجعل مناط النجاة كونه من أهله مع عدم علمه بإيمانه، وأولو العزم يُعاتبون [على النَّقِيْر[8] والقِطْمِيْر[9]، وقيل: كان النداء بعد الغرق[10]، وفيه أن قولـه:

(١) انظر: حاشية الشهاب (١٧٢/٥)، روح المعاني (١٠٠/١٢).
(٢) ص: كأنه.
(٣) راجع ما تقدم ص(٧٥٤).
(٤) انظر: البحر المحيط (٢٢٩/٥).
(٥) سورة هود، من الآية (٤٢).
(٦) كذا في سائر النسخ، وفي الأصل: تحمل، ولعل الأقرب المثبت أعلاه لأن الضمير يعود إلى نوح -عليه السلام-.
(٧) ص: يغطي.
(٨) النَّقِيْر: النكتة في ظهر النواة، ويضرب بها المثل في الشيء الطفيف، قال تعالى: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ سورة النساء، من الآية (١٢٤).
انظر: معجم مقاييس اللغة (نقر) (٤٦٨/٥)، المفردات (نقر) ص(٨٢١).
(٩) القِطْمِيْر: اللفافة الرقيقة على النواة، وهو كالنقير يضرب به المثل في الشيء الطفيف، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ سورة فاطر، من الآية (١٣).
انظر: تفسير الطبري (٨٢/٢٣)، لسان العرب (قطمر) (١٠٨/٥).
(١٠) حاشية في جميع النسخ: الأول للقاضي والثاني للواحدي. منه.
ومراده بالأول هو هذا القول، والثاني ما سيذكره بقوله: وقيل: كان عالماً بكفره... إلخ.
=

﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ﴾(1) استثناء](2) من الأهل فالسؤال(3) عن موجب عدم النجاة مما لا وجه لـه بل فيه شبهة(4) اعتراض.

وقيل: كان عالماً بكفره ولم يعلم أن طلب نجاة ولده الكافر محظور عليه(5)، وفيأنه كان عالما بأن في أهله من حقّ عليه العذاب وليس ذلك إلا الكفرة(6).

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٥٨) كما جوَّز البيضاوي أن يكون السؤال قبل الغرق.

والقول بأن نداءه كان بعد الغرق هو قول ابن جرير الطبري (١٥/٣٣٥)، وابن كثير (٤/٢٥٨) وغيرهما.

وبهذا يتضح أن القول الذي صدر به المؤلف هو أن السؤال قبل الغرق وأنه طلب لنجاته من الغرق، وهذا القول فيه أن النداء بعد الغرق وهو سؤال عن سبب عدم نجاته، ولذلك أورد عليه المؤلف ما سيذكره الآن.

(١) سورة هود، من الآية (٤٠).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) ق: والسؤال.

(٤) كذا في الأصل، وباقي النسخ: شبه.

(٥) نقل هذا القول الواحدي في البسيط (١/٢٢٥) عن أبي بكر بن الأنباري، وقال به في الوجيز (١/٣٨٦).

(٦) كذا في ص، وباقي النسخ: لكفره.

والمراد أن من سبق عليه القول وحق عليه العذاب -وهم قطعاً الكفرة- لا يجوز سؤال الله تعالى لهم.

﴿ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ لا حكم فوق حكمك، أو أعلمهم فلا يتطرق ذلك إلى حكمك، أو أعدلهم إذ لا يتصور علة لقضائك[1]، وقيل: أكثر حكماً مشتق من الحِكْمَة[2].

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾ إذ لا ولاية بين المؤمن والكافـر. ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ تعليل لذلك، وإنما جُعل نفسَ العمل مبالغة في ذمه، كقول الخنساء[3]:

---

(١) إن كان المراد من نفي العلة نفي الخلل في قضائه تعالى أو كان المراد نفي أن يكون قضاؤه لحاجته تعالى فهذا معنى صحيح، وإن كان المراد نفي التعليل والحكمة في قضائه وحكمه تعالى فهذا خطأ فإن كل ما يأمر الله تعالى به ويقضيه فإنما هو لحكم عظيمة باهرة وهو الحكيم العليم فأفعاله تعالى وأقواله كلها عدل وحكمة، وهي لا تصدر للعبث واللهو كما نزه الله تعالى نفسه عن ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الأنبياء، الآية (١٦).

وهذه الأوجه التي ذكرها المؤلف -رحمه الله- ليس بينها تعارض، وهي داخلة في معنى الآية.

(٢) جوَّزه الزمخشري (٣/٢٠٤).

(٣) هي: تُماضر بنت عمرو بن الشَّريد السلمية الشاعرة المشهورة، هلك أخوها لأبيها صخر في الجاهلية فرثته بمراثٍ مشهورة، أسلمت وقدمت على رسول الله ﷺ مع قومها، وقيل: قتل أبناؤها =

.... وإنما هي إقبالٌ وإدْبارُ[1]

وقيل: الضمير للسؤال[2]، وفيه أنه يُفَوِّت كون الصلاح هو مناط النجاة، ويلزم

الأربعة يوم القادسية فلما بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. اهـ، ونقل ابن حجر في الإصابة أنه أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

انظر: الشعر والشعراء (٣٤٣/١)، الإصابة (٦٦/٨).

(١) عجز بيت من قصيدة لها ترثي أخاها صخراً تقول فيها:

ترتعُ ما غفلتْ حتى إذا ادكرت ... فإنـــما هي إقبـــالٌ وإدبـــارُ

يوماً بأوجعَ منّي حينَ فارقَنِـــي ... صخرٌ وللعيشِ إحلاءٌ وإمرارُ

أي: ذات إقبال وإدبار.

والمعنى: أن هذه الناقة ترتع ما نسيت ولدها فهي ترعى حتى إذا ذكرته ظلت تنهب وتعود وجداً على ولدها، وتعني: أن وَجْد هذه الناقة ليس بأشد من حزنها على أخيها صخر حين فارقها.

انظر: ديوانها بشرح أبي العباس ثعلب ص(٣٨٣)، الكتاب (٣٣٧/١)، معاني القرآن للزجاج (٥٥/٣)، والبيت في هذه المصادر: فإنما.

وهذا التوجيه للآية هو قول الزجاج في معاني القرآن (الموضع السابق)، والزمخشري (٢٠٤/٣)، وجوَّزه الواحدي في البسيط (٢٢٣/١)، واستظهره أبو حيان (٢٢٩/٥)، والبيضاوي (٤٥٨/١) وغيرهم.

(٢) روى هذا القول ابن جرير في تفسيره (٣٤٧/١٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- -من طريق علي بن أبي طلحة- ومجاهد وإبراهيم النخعي.

=

نون الوقاية اكتفاء بها فحركت بحركتها[1]، والمختار التشديد توفيراً لمعنى الطلب، والكسر على أنها الخفيفة أدغمت لئلا يلزم الحذف وتغيير الحركة.

﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ معدوداً منهم.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ ﴾ بعد هذا السؤال ﴿ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ قد اتعظت وتأدبت ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى ﴾ ما فرط مني ﴿ وَتَرْحَمْنِىٓ ﴾ بالتوبة أو بالتوفيق في المستقبل ﴿ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ داخلاً في زمرتهم.

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ مُسَلَّماً من جهتنا آمنا محفوظاً، أو مُسَلَّماً عليك إكراماً لك[2] ﴿ وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ ﴾ مصحوباً بخيرات[3] نامية ثابتة، مأخوذ من البِرْكة وهي الصدر[4] قال:

(١) ووجه قراءة تخفيف النون مكسورة أنها نون الوقاية، وحذفت الياء تخفيفاً.
وانظر: الكشف لمكي (٥٣٢/١)، البيان لابن الأنباري (١٦/٢).

(٢) انظر الوجهين في: البسيط (٢٢٧/١)، الكشاف (٢٠٦/٣)، تفسير البيضاوي (٤٥٩/١)، والأول هو ظاهر قول ابن عباس -رضي الله عنهما-. انظر: زاد المسير (١١٥/٤)، وقال به ابن جرير (٣٥٣/١٥)، والبغوي (١٨١/٤) وغيرهما.

(٣) ص: بالخيرات.

(٤) في حاشية الأصل: البركة بكسر الباء.

منه أيضاً تخطئة نوح بتلك العبارة الموحشة مع أن سنة الله مع أنبيائه في ترك الأولى العتاب بألطف وجه[1]، وقرأ الكسائي ﴿عَمِل﴾ فعلاً ماضياً ونصب ﴿غيرَ﴾[2].

﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ بنى نوح الأمر على ظاهر الحال الذي يكتفى به في العمليات فرد عليه بأن ذلك ليس راجعاً إلى العمل فلابد فيه من الإيقان[3]. وإنما سمى نداءه سؤالاً لسبق الوعد بإنجاء أهله[4].

قرأ نافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون وكسرها وحذف الياء -إلا ورشاً في الوصل[5]- وكذا ابن كثير إلا أنه فتح النون، وأبوعمرو والكوفيون بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة[6]، ثم وجه تشديد النون مفتوحة أنها المؤكدة المثقلة، ووجه كسرها أنها المخففة أدغمت في نون الوقاية أو المثقلة حذفت

وقال به هو -ابن جرير- (١٥/٣٥١)، والواحدي في الوسيط (٢/٥٧٦)، والبسيط (١/٢٢٢)، والبغوي (٤/١٨٠) ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٠٥).

(١) انظر: الكشف للقزويني (٢٨/ب).

(٢) انظر: السبعة ص(٣٣٤)، الإقناع (٢/٦٦٥)، النشر (٢/٢٨٩).

(٣) انظر: الكشف للقزويني (٢٨/ب).

(٤) انظر: الكشاف (٣/٢٠٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٨).

(٥) أي أثبت الياء في الوصل. انظر: الحاشية التالية.

(٦) انظر: السبعة ص(٣٣٥)، التيسير ص(١٠٢)، النشر (٢/٢٨٩)، وقد أثبت أبوعمرو الياء في الوصل، وأما الكوفيون فإنهم قرأوا بحذفها في الوصل والوقف. والله أعلم.

.... مُسْتَقْدِمَ البِرْكَةِ كالرَاكِبِ[1]

ومنه بركة الماء. ولما فيه من معنى الثبوت[2] اشتق منه البَرَكَة لثبوت الخير الإلهي، وجُمع إشارة إلى وفور الآية[3].

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾ الذين معك على أن (من) بيانية ويسمى كل واحد أمة لتحزبهم[4]، أو باعتبار المآل، أو أمم ناشئة ممن معك وهم المؤمنون إلى آخر

قلت: والبِرْكة: الصدر وقيل: صدر البعير.

انظر: لسان العرب (برك) (٣٩٧/١٠)، المفردات (برك) ص(١١٩).

(١) عجز بيت للحارث بن همام الشيباني، وصدره:

وَتَلْقَنِيْ يَشْتَدُ بِيْ أَجْرَدُ ....

والمعنى: أنك تلقاني يعدو بي فرس قصير الشعر، متقدم الصدر مشرف كالراكب.

انظر: شرح الحماسة للمزروقي (١٤٦/١).

(٢) قال ابن فارس في معجم مقاييس (برك) (٢٢٧/١): "الباء والراء والكاف أصل واحد وهو ثبات الشيء". اهـ.

(٣) ومراده -رحمه الله- أن البركات جمعت لتكثيرها وتعظيمها ووفور خيرها لـه وللأمم التي كانت معه. والله أعلم.

(٤) ص: لتخزيهم.

ومعنى تحزبهم أي: اجتماعهم.

انظر: حاشية الشهاب (١٧٦/٥).

الدهر وهذا أوجه[1] لأن الابتدائية بعد المُنكَّر أكثر[2]، ويحسن التقابل بين قوله: ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾ وبين قوله: ﴿ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ لأن الناشئ منهم فرقتان فرقة مؤمنة[3] وأخرى كافرة[4]، على[5] أن إطلاق الأمة على القليل لا يلائم فكيف بالأمم، والتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[6] [نحل][7] بتعظيم نوح[8].

---

(١) هذا القول هو ظاهر كلام ابن جرير (٣٥٣/١٥)، وابن الأنباري كما في زاد المسير (١١٥/٤)، ورجحه الزمخشري (٢٠٦/٣).

(٢) انظر: الكشف للقزويني (٢٩/ب).

(٣) ق: فرقة منهم مؤمنة.

(٤) انظر: فتوح الغيب ص(٢٣٦)، وذكر هذا الوجه بمعناه الزمخشري (٢٠٦/٣).

(٥) ق: وعلى.

(٦) سورة النحل، من الآية (١٢٠).

(٧) ساقطة من ق.

(٨) ذكر هذين الوجهين القزويني في الكشف (٢٩/ب) في سياق تضعيف القول الأول وهو أن يكون قوله: ﴿ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ المراد بها الذين مع نوح.

﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم[1] مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ في الآخرة؛ هم الكفار من ذريته لقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[2]، وقيل: هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم[3].

وعن[4] محمد بن كعب القرظي[5]: "دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفي المتاع والعذاب كل كافر"[6].

---

(١) قوله: في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم ﴾. مكرر في ص.

(٢) سورة الصافات، الآية (٧٧).

وهذا القول هو ظاهر كلام ابن عباس -رضي الله عنهما-.

انظر: البسيط (٢٢٨/١)، وبه قال ابن جرير وغيره (٣٥٣/١٥).

(٣) نقل هذا القول الزمخشري (٢٠٦/٣)، والبيضاوي (٤٥٩/١)، وأبوحيان (٢٣٢/٥).

(٤) كذا في الأصل، وباقي النسخ بحذف الواو.

(٥) محمد بن كعب بن سليم القرظي أبو عبدالله المدني، كان أبوه من سبي قريظة، ولد بعد موت النبي ﷺ، حدث عن جمع من الصحابة، وكان عالماً عابداً من أئمة التفسير، كان جالساً في المسجد في حلقة فسقط عليهم السقف فماتوا جميعاً سنة ١١٧هـ وقيل: غير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء (٦٥/٥)، تهذيب التهذيب (٤٢٠/٩).

(٦) رواه ابن جرير (٣٥٣/١٥)، والبغوي (١٨٢/٤).

﴿ تِلْكَ ﴾ إشـارة إلى قصة نوح، ومحلها الرفع بالابتداء ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾ بعض أخبار الغيب ﴿ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ خبر ثان ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ ﴾ خبر ثالث[1]، ولمجيء[2] الأخبار هكذا شأن في رفع الإبهام، ويجوز أن يكون ﴿ نُوحِيهَآ ﴾ حالاً من ﴿ أَنۢبَآءِ ﴾، و﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ ﴾ من ضمير المؤنث[3]، أو من كاف الخطاب في ﴿ إِلَيْكَ ﴾[4][5].

﴿ وَلَا قَوْمُكَ ﴾ ترقى في الكلام لأنهم مع كثرتهم وكثرة أسفارهم واختلاطهم[6] إذا لم يعلموها فأنت أولى ﴿ مِن قَبْلِ/ هَٰذَا ﴾ الإيحاء[7]، أو

---

(١) قال الزمخشري (٣/٢٠٦): "﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى قصة نوح -عليه السلام- ومحلها الرفع على الابتداء، والجمل بعدها أخبار". اهـ.
وانظر: البيان لابن الأنباري (٢/١٧).

(٢) ق: ويجيء.

(٣) أي: الهاء في قوله: ﴿ نُوحِيهَآ ﴾.

(٤) في الأصل: أولئك، وهو خطأ والمثبت من باقي النسخ.

(٥) انظر: التبيان للعكبري (٢/٧٠٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٩)، الدر المصون (٦/٣٤٠).

(٦) ق: واختلاطهم.

(٧) في الأصل: الإنجاء، وهو تصحيف والمثبت من باقي النسخ.

علمك المكتسب به، أو من قبل هذا الوقت[1] ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذى[2] التبليغ كما صبر نوح ﴿ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩ ﴾ في الدنيا بالنصر والغلبة، وفي الآخرة بالفوز برضوان الله.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ عطف على ﴿ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾[3]، و ﴿ هُودًا ﴾ عطف بيان أو بدل[4]، وأخ القوم واحد منهم[5] كقولهم: يا أخ العرب

---

(١) انظر الأوجه الثلاثة في: الكشاف (٣/٢٠٦).

روى ابن جرير (١٥/٣٥٦) عن قتادة قال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ﴾ القرآن، وما كان علم محمد ﷺ وقومه ماصنع نوح وقومه لولا ما بيَّن الله لـه في كتابه.

(٢) ق: أداء.

(٣) سورة هود، من الآية (٢٥).

(٤) انظر: البحر المحيط (٥/٢٣٢).

(٥) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٠٤)، معاني القرآن للزجاج (٣/٥٦)، الكشاف (٣/٢٠٧)، المحرر الوجيز (٣/١٧٩).

قال أبوعبدالله الرازي في التفسير الكبير (١٨/٩): "واعلم أنه تعالى وصف هوداً بأنه أخوهم، ومعلوم أن تلك الأخوة ماكانت في الدين وإنما كانت في النسب؛ لأن هوداً كان رجلاً من قبيلة =

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ آمنوا به ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ يستحق العبادة ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ ﴾ [في](1) القول بأن لـه شريكاً.

﴿ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ ﴾ ما من نبي إلا وصرح لقومه بعدم الأجر على التبليغ؛ لأن النصح إذا شابه وَهْمُ الطمع لا يجدي ولا ينجع ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ تستعملون عقولكم ليظهر لكم الحق فإنه لا يتوقف إلا على توجه العقل لجلائه.

﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾ بالتوبة عن الإشراك ﴿ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ دوموا على تلك التوبة، أو آمنوا به(2) لأن الاستغفار من روادف الإيمان فهو كناية عنه

عاد وهذه القبيلة كانت قبيلةمن العرب وكانوا بناحية اليمن، ونظيره ما يقال للرجل: يا أخا تميم، يا أخا سُليم، والمراد رجل منهم". اهـ.

(١) ساقطة من ق.

(٢) مراده أن معنى الاستغفار هو الإيمان به تعالى، وهذا هو قول الزمخشري في الكشاف (٣/٢٠٧).

وراجع ما سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ سورة هود، من الآية (٣)، ص(٦٧٩).

والتبرء عن عبادة الغير لا يكون إلا بعد الإيمان به تعالى، ولكن[1] ﴿ ثُمَّ ﴾ترجح[2] الأول[3]. ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ يفيض[4] عليكم نعمه؛ لأن المطر سبب حصول جميع النعم لا سيما إذا كان وافياً وافراً، والمِدْرَار: الكثير[5] الدرور المتتابع[6]؛ صيغة مبالغة ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ لتقدروا على الانتفاع بتلك النعم على التمام والكمال، وقيل: كانوا أصحاب زروع وبساتين مفتخرين به فاستمالهم بأنهم إن آمنوا وانتهوا عن الشرك يزيدهم الله في هذين المطلوبين درجات[7][8]، وقيل: قوة الإيمان إلى قوة الأبدان[9]، وقيل: حبس عنهم

(١) كذا في الأصل، وباقي النسخ بحذف الواو.

(٢) ق: يرجح.

(٣) انظر: فتوح الغيب ص(٢٣٨).

(٤) ق: يغض.

(٥) ص: الكثيرة.

(٦) انظر: الصحاح (درر) (٦٥٦)، معجم مقاييس اللغة (در) (٢/٢٥٥)..

(٧) ص: درجات كثيرة.

(٨) انظر: الكشاف (٣/٢٠٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٥٩)، البحر المحيط (٥/٢٣٢).

(٩) نقله الطيبي في فتوح الغيب ص(٢٣٩) عن السجاوندي، وذكره البغوي (٤/١٨٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/٢٣٣) بلا عزو.

المطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم[1].

روي أن الحسن بن علي وَفَدَ على معاوية فلما خرج من عنده تبعه بعض حجابه وقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار. فلما بلغ معاوية فقال[2]: هلا[3] سألتم من أين يقول؟ فلما وفد وَفْدَة أخرى فسأله[4] الرجل فقال: ألم تسمع قول هود ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ وقول نوح ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾[5] بعد الأمر بالاستغفار؟ فأكثر الرجل من الاستغفار فولد له عشرة بنين[6].

﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ مصرين على الإجرام.

(١) روى ابن جرير (٣٥٩/١٥) عن ابن زيد قال: "إنه كان قد انقطع النسل عنهم سنين، فقال هود لهم: إن آمنتم بالله أحيى الله بلادكم ورزقكم المال والولد لأن ذلك من القوة".

وانظر: الوسيط (٥٧٧/٢)، تفسير البغوي (١٨٣/٤)، الكشاف (٢٠٧/٣).

(٢) ق: قال.

(٣) كذا في الأصل، وباقي النسخ: هل.

(٤) كذا في الأصل، وباقي النسخ: سأله.

(٥) سورة نوح، من الآية (١٢).

(٦) ذكر القصة الزمخشري (٢٠٧/٣)، وأبو حيان (٢٣٣/٥) و لم أقف عليها مسندة.

﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ تكذيباً بآياته الدالة على نبوته وعناداً كما فعلت قريش مع رسول الله ﷺ ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ لأجل قولك[1] ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ في شيء من الأوقات إقناط لـه بعد تكذيبه.

﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ اعتراك: أصابك، من عراه: أصابه[2]، قال الشاعر:

وإنِّي لَتعْروني[3] لِذكراكِ هزَّةٌ[4][5] ....

(١) في حاشية الأصل وَ ص: قوله: "لأجل قولك" نظراً إلى (كلمة في الأصل غير واضحة لعلها: مآل) المعنى عبارة الكشاف: صادرين عن قولك. منه.

انظر: الكشاف (٢٠٨/٣) فعلى القول الذي ذهب إليه المؤلف ﴿ عَن ﴾ للتعليل، وهو ما ذهب إليه ابن عطية (١٨١/٣)، وأما ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: ﴿ عَن قَوْلِكَ ﴾ حال من الفاعل في ﴿ بِتَارِكِيٓ ﴾

انظر: البحر المحيط (٢٣٣/٥)، الدر المصون (٣٤٢/٦).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (عرا) (١٥٤/٣)، لسان العرب (عرا) (٤٤/١٥).

(٣) الأصل وَ ص: ليعروني.

(٤) ق: فترة.

(٥) صدر بيت لأبي صخر الهذلي، وعجزه:

يريدون أنه أصابه جنون من جهة آلهتنا مكافأة لـه على سبه إياها ولذلك يهذي ويتكلم[1] بكلام المجانين -وكذلك حال أكثر الجهال مع العلماء في كل عصر- وهذه الأجوبة دلت على فظاظة متناهية وجهل مفرط حيث اعتقدوا أن الجمادات تضر وتنفع.

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ ﴾ أشهد الله على براءته توكيداً لقولـه لأنه جارٍ مجرى القسم ولم يشهدهم بل أمرهم بالشهادة لأن الغرض عدم المبالاة بهم ثقة بالله فلتخالف الغرضين[2] خالف بين اللفظين[3].

﴿ مِمَّا تُشۡرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦۖ ﴾ من إشراككم أو مما تشركون من

.... كما انتفضَ العصفورُ بلَّله القطرُ

انظر: خزانة الأدب (٣/٢٥٤).

وقد ذكر البيت ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٢/٥٦٤) ضمن أبيات أبي صخر التي نحلت للمجنون، وأوله: إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها.

(١) ق: تهذي وتتكلم.

(٢) كذا في الأصل، وباقي النسخ: الفرضين، وهو تصحيف.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٢٠٩).

آلهة[1] ﴿ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ﴾ أنتم وآلهتكم ﴿ ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ بعد اجتماعكم على ذلك، افعلوه أعجل ما تفعلون فإني واثق بمن لـه الخلق والأمر، وهذا من أعظم الآيات الدالة على قوة يقينه وكمال ثقته حيث واجه أولئك الغلاظ[2] الشداد الذين يضرب بهم الأمثال بمثل هذا الكلام الدال على الإهانة بهم والاحتقار بآلهتهم.

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ﴾ الذي بيده الضر والنفع، أشار إلى الحامل لـه على الجرأة عليهم وعدم المبالاة بهم وبآلهتهم؛ لأنهم مربوبون مثله، ثم أشار إلى الوصف المناسب لذلك بقوله: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ غالب عليها مسخرة تحت قدرته القاهرة، وهذا على طريقة العرب فإنهم كانوا إذا أسروا عدواً ومنّوا عليه بالإطلاق جزوا ناصيته[3].

---

(١) فعلى الوجه الأول تكون (ما) مصدرية، وعلى الثاني تكون موصولة.

(٢) ق: الفلاظ.

(٣) الناصية: مقدم الرأس، ويسمى الشعر النابت هناك ناصية.

انظر: لسان العرب (نصا) (١٥/٣٢٧).

قال ابن جرير (١٥/٣٦٤): "فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿ هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ فخص =

﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ أحكامه جارية على نهج الحق المبين.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ تتولوا حذف منه التاء ﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ ﴾ الجواب محذوف أي: لا أعاتب[١] أو أنتم محجوجون أو لا عذر لكم يوم القيامة لأني قد بلغتكم[٢].

﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ استئناف[٣] للوعيد بأن الله يهلكهم إن تولوا [ويأتي][٤] بآخرين يورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، أو عطف على

بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد؟

قيل: لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع فتقول: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي: إنه مطيع لــه يصرفه كيف شاء، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمنَّ عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك عليه فخراً عند المفاخرة، فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم". اهــ.

(١) ص: لا اعات.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٥٨)، الكشاف (٣/٢١٠).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٩٦).

(٤) ساقطة من ص.

الجواب بالفاء[1] ويؤيده القراءة بالجزم[2]، ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ ﴾ من الضرر ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧ ﴾ ومن كان هذا شأنه لا يمكن أن يلحقه ضرر أو لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيكون وعيداً[3].

---

(١) قال به العكبري في التبيان (٢/٧٠٤) وجوّزه البيضاوي (١/٤٦٠) وغيره.

(٢) نسب هذه القراءة أبوحيان في البحر المحيط (٥/٢٣٤) لعبدالله بن مسعود -ﷺ- وحفص في رواية هبيرة.

(٣) قال ابن القيم في الكافية الشافية ص(١٤٩) في بيان معنى اسم الله تعالى "الحفيظ":

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـــ ـــلُ بحفظهم من كلِ أمرٍ عان

قال الشيخ السعدي في الحق الواضح المبين ص(٥٩):

ذكر -رحمه الله- (أي ابن القيم) للحفيظ معنيين:

أحدهما: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها.

والمعنى الثاني: أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون، ولهذا قال: "وهو الكفيل بحفظهم من كل أمرٍ عان" أي: مشق مكروه.

وحفظه لخلقه نوعان: عام وخاص.

فالعام: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها وكدفعه عنها أصناف المكاره والمضار، وهذا يشترك فيه البر والفاجر بل الحيوانات وغيرها.

=

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ بالعذاب الموعود ﴿ نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾ قيل: كانوا أربعة آلاف[1] ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ ليس فيه تكرار لأن الأول إخبار بأن الإيمان صار سبباً لنجاتهم والثاني بأن النجاة كان من أي عذاب، أو الأول إنجاء من عذاب الدنيا والثاني من عذاب الآخرة[2].

﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ أنث الإشارة باعتبار القبيلة[3] أو

والخاص: حفظه لأوليائه سوى ما تقدم، يحفظهم عما يضر إيمانهم ويزلزل إيقانهم من الشبه والشهوات، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه. اهـ مختصراً.

وانظر: شرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس (٢/٩٠).

(١) ذكره البغوي (٤/١٨٤)، والزمخشري (٣/٢١٠)، والقرطبي في الجامع (٩/٥٤) والبيضاوي (١/٤٦٠) كلهم دون نسبة. ومثل هذا التحديد يفتقر إلى دليل، وإلا فالأولى عدم الخوض فيما أبهمه الكتاب العزيز. والله أعلم.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٢١٠)، الكشف للقزويني (٣٠/ب).

(٣) هذا ظاهر قول ابن عباس -رضي الله عنهما- فيما نقله عنه الواحدي في البسيط (١/٢٣٩)، وبه قال البغوي (٤/١٨٤)، وابن الجوزي (٤/١٢٠)، والبيضاوي (١/٤٦١).

أشار إلى قبورهم وآثارهم[١]، وآثر البعيد لبعد العهد بهم أو لشدة شكيمتهم في كفرهم ﴿ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ ﴾ لأن من كفر برسول فهو كافر بالكل لاتحاد الدعوى[٢] ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ رؤساءهم الذين يصدرون عن رأيهم،/ الجبار: من يقتل على الغضب[٣]،والعنيد: الجائر المائل عن الحق، من عَنَدَ البعيرُ عُنُوداً إذا عدل عن الطريق[٤].

﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ أيْ: جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين لاتباعهم الكفار وإعراضهم عن الرسل[٥] جزاء من جنس أعمالهم ﴿ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ ﴾ بربهم[٦]، أو نعمة ربهم[٧] ﴿ أَلَا بُعۡدٗا

---

(١) قال به الزمخشري (٣/٢١٠)، وأبوحيان (٥/٢٣٥) وجوّزه البيضاوي (١/٤٦١).

(٢) انظر: الوسيط (٢/٥٧٩)، تفسير البغوي (٤/١٨٤)، الكشاف (٣/٢١٠)، زاد المسير (٤/١٢١)، التفسير الكبير (١٨/١٣).

(٣) نسبه ابن الجوزي (٤/١٢١)، وأبوحيان(٥/٢٣٥) للكلبي.
والجبار -أيضاً- كل عاتٍ متكبر. انظر: لسان العرب (جبر) (٤/١١٣).

(٤) انظر: المرجع السابق (عندَ) (٣/٣٠٧).

(٥) انظر: الكشاف (٣/٢١٠).

(٦) قال به ابن جرير (١٥/٢٦٠)، والواحدي في الوسيط (٢/٥٧٩) والبغوي (٤/١٨٥) وغيرهم.

(٧) قال الواحدي في البسيط (١/٢٤٠): "وقيل: هو من باب حذف المضاف، أي: كفروا نعمة ربهم، وهو معنى قول ابن عباس: يريد كفروا بما كانوا فيه من نعيم ربهم". اهـ.

=

لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ سمى قومه عاداً باسم جدهم وهو: عاد بن عوص[1] بن إرَم بن سام بن نوح[2].

كرر حرف التنبيه وأعاد الاسم ودعا عليهم بعد الهلاك إشارة إلى أنهم كانوا أحقاء بما نزل بهم، وأوقع ﴿ قَوْمِ هُودٍ ﴾ بياناً لما في الإجمال والتفصيل من الإيضاح والتكرير[3] فيوسموا بتلك الدعوة وسماً محققاً لا شبهة فيه[4]، وما يقال[5]: إنما جيء به تمييزاً لهم عن عاد إرم فإنها عاد ثانية[6]، ولذلك وصف قوم هود بعاد

وقد ذكر الوجهين الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٠)، والبيضاوي (١/ ٤٦١).

(١) ق: عوض.

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير (١/ ٤٨)، البداية والنهاية (١/ ١٢٠)، نهاية الأرب ص(٢٩٩).

(٣) أي: ذكرهم تفصيلاً بنسبتهم إلى هود بعد أن أجمل ذكرهم بلفظ (عاد) وفي ذلك بيانٌ المراد منه الإيضاح والتكرير الناتجين عن الإجمال والتفصيل. والله أعلم.

(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٢١١)، فتوح الغيب ص (٢٤٨).

(٥) ذكر هذا الوجه الزمخشري (الموضع السابق)، والبيضاوي (١/ ٤٦١)، وغيرهما.

(٦) إرم المذكورة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الفجر، الآيات (٦-٨).

والذي عليه جمهور المفسرين وهو ما ذهب إليه الزمخشري والمؤلف -في تفسير سورة الفجر- أن =

الأولى[1]، ففيه أن لا احتمال[2] لذلك لتقدم هود وقومه في صدر القصة[3].

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ ﴾ عطف على قوله: ﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾[4] في قصة نوح ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ بخلق أبيكم آدم لا غير ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ أمركم بالعمارة فيها، أو جعلكم عمارها أي: سكانها[5]، أو استبقاكم فيها من العُمْر[6] أو من العُمْرَى وهي أن

عاد إرم المذكورة في سورة الفجر هي عاد الأولى قوم هود.

انظر: تفسير الطبري (٣/١١١)، الكشاف (٦/٣٦٨)، زاد المسير (٩/١٠٩)، تفسير ابن كثير (٨/٤١٦)، البداية والنهاية (١/١٢٠، وما بعدها)، غاية الأماني (٣٤٥/ب).

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝ ﴾ سورة النجم، الآية (٥٠).

(٢) ق: الاحتمال.

(٣) أجاب بهذا الجواب الطيبي في فتوح الغيب ص (٢٤٨).

(٤) سورة هود، من الآية (٢٥).

(٥) فعلى هذا القول ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ من العمارة.

وبه قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية عطاء، ونسبه الواحدي في البسيط لأكثر أهل اللغة (١/٢٤٢).

(٦) وبه قال الضحاك وغيره.

انظر: تفسير البغوي (٤/١٨٥).

يقول الرجل: أعمركم هذه الدار، أي: لك الانتفاع بها مدة عمرك[1]، وعلى هذا فالمعنى أنه أعمركم فيها دياركم وهو يرثها منكم وترجع إليه بعد موتكم، أو جعلكم معمِّرين لغيركم؛ لأن من ورَّث غيره فكأنه أعْمَرَه إياها[2] ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ ﴾ رحمته[3] ﴿ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ لمن دعاه.

﴿ قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ ﴾ لما نرى فيك[4]

---

(١) انظر في أنواع العمرى وأقوال العلماء فيها: شرح النووي على مسلم (٦٩/١١)، الجامع للقرطبي (٥٧/٩)، والقول بأنها من العمرى هو قول مجاهد.

انظر: تفسير الطبري (٣٦٩/١٥)، البغوي (١٨٥/٤).

(٢) راجع الأقوال في: البسيط (٢٤٢/١)، الكشاف (٢١٢/٣)، تفسير البغوي (١٨٥/٤).

(٣) الصواب هو إثبات أسماء الله تعالى وصفاته كما جاءت من غير تعرض لها بتأويل أو تعطيل أو تحريف أو تشبيه مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني اللائقة بجلال الله تعالى مع تفويض كيفتها إلى الله تعالى.

فقرب الله قرب حقيقي يليق بعظمته وجلاله، ومن لوازم قربه من أوليائه قرب رحمته وإعانته وتوفيقه. والله أعلم.

انظر: الفتاوى لابن تيمية (٤٦٤/٥).

(٤) في ص "قيل" بدل: "فيك".

من مخائل الرشد، وكنا نتوقع أن تكون مُسترشَداً في الأمور نصدر عن رأيك فقد تبين لنا أن لا خير فيك[1]، وقيل: كنا نرجو أن تدخل في ديننا[2].

﴿ أَتَنْهَىٰنَآ ﴾ استفهام إنكار ﴿ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ[3] ءَابَآؤُنَا ﴾ حكاية حال ماضية ﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ أرابه: أوقعه في الريبة، وهي:[4] قلق النفس واضطرابها[5]، أو من أراب الرجلُ إذا كان ذا ريبة؛ على الإسناد المجازي[6].

---

(١) قال به الطبري (١٥/ ٣٦٩)، والبغوي (٤/١٨٥)، والزمخشري (٣/٢١٣)، والبيضاوي (١/٤٦١)، وغيرهم.

(٢) قال به الواحدي في الوسيط (٢/٥٧٩)، والسمرقندي (٢/١٥٨).

وانظر: البحر المحيط (٥/٢٣٩).

(٣) ما يعبد: غير مكتوبة في ص.

(٤) في ق "من" بدل: "وهي".

(٥) انظر: لسان العرب (ريب) (١/٤٤٢).

(٦) انظر الوجهين في: الكشاف (٣/٢١٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٦١)، وانظر: تعريف الإسناد المجازي ص(١٢٠٥)، وإنما كان الإسناد مجازياً على الوجه الثاني؛ لأن الريبة نقلت من صاحب الشك إلى الشك.

=

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ حجة واضحة دالة على نبوتي، وإيراد حرف الشك لإنكار المخاطبين ﴿ وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴾ هي الرسالة فإنها فضل من الله ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ ﴾ من عقابه ﴿ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ ﴾ خالفت أمره ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي ﴾ باستتباعكم ﴿ غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ۝٦٣ ﴾ غير أن تخسروني بإبطال(1) أعمالي وتعريضي لعقاب الله، أو ما تزيدونني بقولكم هذا غير أن أنسبكم(2) إلى الخسران، أو تخسرون أنفسكم وتحملونها زيادة عذاب لكونكم(3) تدعون مثلي إلى الكفر(4).

و ﴿ مُرِيبٖ ﴾ اسم فاعل من أراب المتعدي على الوجه الأول أو اللازم على الوجه الثاني.

والوجه الأول هو قول كثير من المفسرين كالطبري (١٥/٣٧٠)، والواحدي في الوسيط (٢/٥٧٩)، والبغوي (٤/١٨٥).

(1) ق: به طال.

(2) ق: نسيكم.

(3) ق: لكون.

(4) حاصل هذه الأوجه أن الخسران إما أن يكون عائداً إلى صالح -عليه السلام- -كما في الوجه الأول- وهو مذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية عطاء والحسن، وبه قال مقاتل وغيره.

﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ نصب على الحال[1] المؤكدة نحو: هذا خالد شجاعاً وحاتم جواداً[2] لدلالة إضافة الناقة إلى الله على كونها آية، والجار والمجرور بيان[3]، واللام فيه مثل اللام في ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾[4]. ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ لا تريد منكم لا ماء ولا علفاً حتى تضطروا إلى إيقاع

وإما أن يكون الخسران عائداً إلى قومه -كما في الوجهين الأخيرين- وهو القول الثاني لابن عباس -رضي الله عنهما-، وبه قال مجاهد والفراء وابن الأعرابي والطبري وغيرهم.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٣٧١)، البسيط (١/٢٤٥)، الكشاف (٣/٢١٣)، زاد المسير (٤/١٢٤).

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/٤٠٦)، الكشاف (الموضع السابق).

(٢) في الأصول: وزيد حاتم جواداً. ولعل الصواب المثبت أعلاه.

وقد وقع في الأصل وَ : جوداً.

(٣) مراده بالجار والمجرور: ﴿ لَكُمْ ﴾ فهو بيان مَنْ الناقة آية له.

(٤) سورة يوسف، من الآية (٢٣).

وفي الأصل حاشية: اللام في ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ لام تبين أن الخطاب لك. منه.

وانظر: ما يأتي ص (٩٤١).

السوء بها ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ ﴾ عاجل.

﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ﴾ في أرضكم، سميت داراً لأنها يدار فيها كما سمي البيت [به](1) ﴿ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ﴾ قيل: هو الأربعاء والخميس والجمعة، وقد هلكوا يوم السبت(2) ﴿ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ ﴾ أي: فيه، حذف الجار اتساعاً كما حذف من ﴿ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾(3) [وقوله](4):

ويومٍ شَهِدْناهُ(5)

---

(1) ساقطة من ق.

وانظر: المفردات (دار) ص (٣٢١)، عمدة الحفاظ (دور) (٣٠/٢).

(2) انظر: الكشاف (٢١٣/٣)، الجامع للقرطبي (٦٠/٩)، تفسير البيضاوي (٤٦٢/١).

(3) سورة هود، من الآية (١٠٣)، وانظر: ص (٨٥١).

(4) ساقطة من ق.

(5) تمام البيت:

ويومٍ شهدناهُ سُلَيْماً وعامِراً قليلٍ سوى الطَّعنِ النِّهال نوافلُه

يقول: ورب يومٍ شهدنا فيه، فحذف الجار وأوصل الضمير بالفعل، وقليل صفة لليوم، ونوافله =

أو على المجاز كأنه قيل للوعد لابد و[1] أن يوفى بك فإذا لم يوف به فهو مكذوب[2].

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ﴾ من عذابه وهو الهلاك بالصيحة أو عذاب يوم القيامة، وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم من (يومَ)[3] لإضافته إلى المبني وأصله[4] السكون، وإنما حُرِّك لالتقاء الساكنين وبالفتح لأنه أخف[5] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

فاعل: قليل، والمراد: قلة الغنائم فليس في ذلك اليوم إلا الطعن، النهال: جمع ناهل وهو الريان أو العطشان (من الأضداد).

والبيت لرجل من بني عامر.

انظر: الكتاب لسيبويه (١/١٧٨)، الكامل للمبرد (١/٨٣)، مفتاح العلوم ص (٩٠)، مغني اللبيب (٢/٥٠٣)، لسان العرب (حزى) (١٤/١٤٤).

(١) ق: بحذف الواو.

(٢) انظر الوجهين في: الكشاف (٣/٢١٣-٢١٤).

(٣) انظر: السبعة ص (٣٣٦)، التيسير ص (١٠٢).

(٤) ص: بحذف الواو.

(٥) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٣٤٧ وما بعدها)، الكشف لمكي (١/٥٣٣)، الكشاف (٣/٢١٤).

ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ القادر على كل شيء الغالب عليه.

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ميتين لاصقين بالأرض(١).

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ ﴾ لم يسكنوا فيها ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ ﴾ قراءة حفص وحمزة بلا تنوين(٢) لأنه علم قبيلة، والباقون بصرفه لأنه اسم أب القبيلة أو باعتبار الحي(٣) ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ قراءة الكسائي بالتنوين والكسر(٤) لما ذكر آنفاً.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ أدخل (قد)؛ لأن السامع للقصص السابقة يتوقع سماع غيرها(٥)، والرسل: جبريل وميكائيل

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٢٣٢)، زاد المسير (٣/٢٢٦).

(٢) انظر: السبعة ص (٣٣٧)، التبصرة لمكي بن أبي طالب ص (٥٤٠-٥٤١).

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٧٨)، الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٣٥٤)، الكشف لمكي (١/٥٣٣)، الكشاف (٣/٢١٤).

(٤) انظر: السبعة ص(٣٣٧)، التبصرة لمكي بن أبي طالب (٥٤٠-٥٤١).

(٥) قال الواحدي في البسيط (١/٢٥٣): "قال أهل المعاني: دخلت (قد) ههنا لأن السامع لقصص الأنبياء -عليهم =

وإسرافيل[1]، كانوا[2] تسعة[3]، وقيل: اثني[4] عشر[5] على صورة الغلمان الحسان ابتلاء لقوم لوط، والبشرى بشارة الولد لقوله: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[6]،

السلام- يتوقع قصة بعد قصة، وقد للتوقع، ودخلت اللام في ﴿ لَقَدْ ﴾ لتأكيد الخبر". اهـ.

وانظر: التفسير الكبير (١٩/١٨)، وراجع: المفردات (قدد) ص (٦٥٧)، عمدة الحفاظ (قدد) (٢٧٥/٣)، الجنى الداني ص (٢٧٠).

(١) رواه البغوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وعطاء (١٨٧/٤).

(٢) كذا في سائر النسخ،و لعل الصواب: وقيل: كانوا تسعة.

(٣) رواه البغوي عن الضحاك (١٨٧/٤).

(٤) ق: اثنا.

(٥) رواه البغوي (١٨٧/٤) عن مقاتل.

وانظر الأقوال في: الكشاف (٢١٥/٣)، زاد المسير (١٢٧/٤)، البحر المحيط (٢٤١/٥).

(٦) سورة الذاريات، من الآية (٢٨).

وهذا القول عزاه ابن الجوزي (١٢٧/٤) للحسن ومقاتل، وبه قال الزجاج في معاني القرآن (٢٥٤/٣)، واستظهره الزمخشري (٢١٥/٣)، والبيضاوي (٤٦٢/١)، ونسبه ابن عطية (١٨٧/٣) للأكثر.

وذهب قتادة وغيره إلى أن المراد بشارته بهلاك قوم لوط.

انظر: زاد المسير (١٢٧/٤).

ويحتمل التعدد [له][1] ولإهلاك قوم لوط.

﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ نصب على المصدر[2] أو[3] القول بمعنى الذكر فالنصب به[4].

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ أي: عليكم سلام. فحياهم بأحسن من تحيتهم لدلالته على الاستمرار بقرينة المقام[5]، وقرأ حمزة والكسائي ﴿قال سِلْم﴾ -بكسر السين وسكون اللام- [6] وهي لغة فيه كحِرْم وحرام وحِلّ وحلال، وقيل: الصلح لأنه

(١) ساقطة من ق.

(٢) والتقدير: سلمنا عليك سلاماً. قاله الزجاج (٣/٦٠)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٠٧)، والزمخشري (٣/٢١٥) وغيرهم.

(٣) في ق: "أي" بدل: "أو".

(٤) أي: ذكروا سلاماً.

انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٣٦٠)، إعراب القرآن للنحاس (٢/٩٩)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٠٨)، التبيان للعكبري (٢/٧٠٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٦٢).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/١٨٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٦٢)، البحر المحيط (٥/٢٤٢).

(٦) انظر: السبعة ص (٣٣٧-٣٣٨)، الإقناع (٢/٦٦٦).

خافهم[1]، والمختار الفتح والمد؛ لأنه المشهور.

﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ فما أبطأ مجيئه به، والحنيذ: المشوي بالحجارة المحماة[2]، وقيل: حنيذ سمين يقطر منه الدسم، من حنذت الفرس إذا ألقيت عليه الجِلاَل[3] ليَعْرَق لقوله: ﴿ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٠-٢١)، الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٣٦٤)، الكشف لمكي (١/٥٣٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٦٢).

(٢) رواه الطبري (١٥/٣٨٥) عن مجاهد والسدي، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص (٢٠٥)، والزجاج (٣/٦١)، والزمخشري (٣/٢١٥).

(٣) الجِلاَل: جمع جُلّ وَجَلّ وهو ما تلبسه الفرس وتغطى به.

قال الزجاج (٣/٦١): "والعرب تقول: احنذ الفرس أي اجعل عليه الجل حتى يقطر عرقاً". اهـ.

وانظر: لسان العرب (جلل) (١١/١١٩).

(٤) سورة الذاريات، من الآية (٢٦).

وانظر: هذا القول في الكشاف (٣/٢١٥).

وليس بين القولين تعارض فهو مشوي بالحجارة يقطر منه الدسم وهو سمين كما دلت عليه الآية الأخرى في سورة الذاريات.

وهذا الجمع هو ما ذهب إليه ابن جرير الطبري وغيره (١٥/٣٨٦).

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ لم يكن ينظر إلى/ وجوههم عند تقديم المأكل لئلا يحصل للضيف نوع خجل فيحصل لـه فتور في الأكل، وهذا شأن أرباب الفتوة مع الضيفان، قال الشاعر[1]:

وناولتُه مِنْ رِسْلِ كَوْمَاءَ جَلْدةٍ وأغضيتُ عنه[2] الطرفَ حتى تَضَلَّعا[3]

وقال البغوي (١٨٨/٤): "والحنيذ والمحنوذ هو: المشوي على الحجارة في خَدٍّ من الأرض، وكان سميناً يسيل دسماً كما قال في موضع آخر ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ سورة الذاريات، من الآية (٢٦)". اهـ.

(١) هو حريث الطائي المعروف بالأعور النبهاني.

(٢) ق: منه.

(٣) انظر: شعر طيء (٥٧٨/٢)، لسان العرب (ضلع) (٢٢٥/٨).

وأوله فيهما: دفعت إليه رسل... إلخ.

والرسل: اللبن، والكوماء: الناقة عظيمة السنام طويلته، والتضلع: امتلاء ما بين الأضلاع شبعاً ورياً.

انظر: لسان العرب (رسل) (٢٨٢/١١)، (كوم) (٥٢٩/١٢)، (ضلع) (٢٢٥/٨).

والمعنى: أنه دفع إلى ضيفه هذا اللبن من ناقة حسنة ممتلئة عظيمة السنام، ثم أغضى عنه الطرف حتى ارتوى من اللبن.

وقيل[1]: كان قد نذر أن لا يأكل إلا مع الضيف، وكان لـه مدة لم يرد عليه الضيف فلم يتنبه إلا لعدم اختلاف أيديهم إلى الطعام.

﴿ نَكِرَهُمْ ﴾ يقال: نَكِرَهُ [وَأَنْكَرَهُ][2] وَاسْتَنْكَرَهُ: شك في معرفته[3] ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ لأنهم حين امتنعوا من أكل الطعام عرف أنهم ملائكة وخاف أن يكونوا مرسلين لأمر أنكره الله، ولم يخف على نفسه؛ لأن سلامهم كان دالاً على أنه لا مكروه منهم[4].

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠ ﴾ أي: بالعذاب. جواب

---

(١) لم أقف على من ذكره.

(٢) ساقط من ق.

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢٠٥)، تهذيب اللغة (نكر) (١٩١/١٠).

(٤) قال الزمخشري (٢١٦/٣): "والظاهر: أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم؛ لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه، أو لتعذيب قومه، ألا ترى إلى قولهم: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠ ﴾، وإنما يقال هذا لمن عرفهم و لم يعرف فيم أرسلوا". اهـ.

وذهب أكثر المفسرين إلى أنه خافهم و لم يعلم أنهم ملائكة، روى الطبري (٣٨٧/١٥) عن قتادة قال: "كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وأنه يحدث نفسه بشر". اهـ.

وبنحوه قال الفراء (٢١/٢-٢٢)، والزجاج (٦١/٣)، والواحدي في البسيط (٢٦١/١)، وانظر: تفسير البغوي (١٨٨/٤)، فتوح الغيب ص (٢٥٨)، البحر المحيط (٢٤٢/٥).

من علم أنهم مرسلون لأمر ولكن لم يعلم ذلك الأمر بعينه"[1].

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ ﴾ وراء الستر تسمع قولهم، وقيل: ﴿ قَآئِمَةٞ ﴾ خادمة كانت تسعى في الخدمة[2] ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾ حاضت[3]، يقال: ضحكت السمرة

---

(١) قاله الزمخشري (٣/٢١٦).

(٢) ذكر القولين الطبري (١٥/٣٨٩)، والواحدي في البسيط (١/٢٦٢)، والزمخشري (٣/٢١٦)، وغيرهم، وأكد الفراء في معاني القرآن (٢/٢٢)، والواحدي والزمخشري القول الثاني بقراءة عبدالله بن مسعود -ﷺ-: (وامرأته قائمة وهو قاعد).

وهذه القراءة رواها الطبري (١٥/٣٩٠) من طريق السدي عن عبدالله بن مسعود.

(٣) رواه الطبري (١٥/٣٩٢)، والبغوي (٤/١٨٨) عن مجاهد. وزاد البغوي عن عكرمة.

وقد أنكر الفراء (٢/٢٢)، والزجاج (٣/٦٢)، وغيرهما هذا القول.

قال الفراء: "وأما قوله: ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾: حاضت فلم نسمعه من ثقة". اهـ.

وقال الزجاج: "فأما من قال: ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾ حاضت فليس بشيء". اهـ.

قال ابن الأنباري: "أنكر الفراء وأبوعبيدة وأبوعبيد أن يكون: ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾ بمعنى: حاضت، وعرفه غيرهم... وساق شاهداً على ذلك. زاد المسير (٤/١٣٠).

وانظر: الطبري (١٥/٣٩٢).

إذا سال صمغها[1]، وقيل[2]: بل ضحكت سروراً بزوال العذاب[3]، أو بنجاة لوط عن المفسدين، أو بإصابة ظنها فإنها كانت تقول لإبراهيم: ضم إليك لوطاً فإني أعلم أن العذاب نازل بقومه[4].

﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ قرأه ابن عامر وحفص وحمزة بالنصب[5] مفعول وهبنا الدال عليه البشارة[6] كذا قاله[7]

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (ضحك) (٤/٨٩)، لسان العرب (ضحك) (١٠/٤٦٠).

(٢) وهذا القول الثاني في معنى ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ وهو أنه الضحك المعروف. وبه قال أكثر المفسرين، واختلف القائلون بهذا القول في سبب ضحكها على أقوال سيورد المؤلف بعضها.

(٣) قال به الفراء (٢/٢)، والزمخشري (٣/٢١٦)، والبيضاوي (١/٤٦٢).

(٤) ذكره الزجاج (٣/٧١)، ونقل ابن الجوزي (٤/١٣١) عن ابن الأنباري أنه ذكره، وأورده الزمخشري (٣/٢١٦)، والبيضاوي (١/٤٦٢).

(٥) قراءة ابن عامر وحمزة وحفص بنصب ﴿ يَعْقُوبَ ﴾، وقرأ الباقون بالرفع.

انظر: السبعة ص (٣٣٨)، التيسير ص (١٠٢).

(٦) قال به الزجاج (٣/٦٢).

وانظر: الكشاف (٣/٢١٦)، البحر المحيط (٥/٢٤٣).

(٧) ص: قال.

سيبويه، ويجوز أن يكون معطوفاً على محل إسحاق[1] أو لفظه وفيهما ضعف للفصل بين العاطف والمعطوف[2]، ويجوز أن يكون منصوباً ببشرناها على طريقة الإيصال كقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ﴾[3]، والرفع على الابتداء أو فاعلية الظرف[4]. وقيل: الوراء ولد الولد[5]، وعن الشعبي أنه قيل لـه: هذا ولدك فقال: نعم من الوراء، وكان ولد ولده[6].

وجّه البشارة إليها تارة وإلى إبراهيم أخرى بقولـه: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ

(١) في قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٢)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٠٩).

(٣) سورة الشورى، الآية (٢٣).

وانظر: الكشف للقزويني (٣٢/أ).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٦٢)، الكشف لمكي (١/٥٣٥)، البيان لابن الأنباري (٢/٢١)، التبيان للعكبري (٢/٧٠٧).

(٥) رواه الطبري (١٥/٣٩٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والحسن والشعبي. وقال ابن الجوزي (٤/١٣١): "واختاره أبوعبيدة".

(٦) انظر: البسيط (١/٢٦٦)، الكشاف (٣/٢١٦)، التفسير الكبير (١٨/٢٣).

عَلِيمٍ ﴾[1]؛ لأن السرور بالولد مشترك، لا لأنها كانت عقيمة حريصة على الولد[2]، وكما أنهما بشرا بالولد بشرا ضمناً بطول العمر حتى يريا للمولود المبشَّر به ولداً.

﴿ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ﴾ لم ترد به معناه، بل التعجب والاستبعاد دل عليه قولها: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾ قيل: كان سنها ثمانية وتسعين سنة [وسن إبراهيم مائة وعشرين سنة][3] ﴿ وَهَـٰذَا بَعْلِى ﴾ زوجي، والزوجة أيضاً بَعْلٌ من المُبَاعَلَة

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٢٨).

(٢) قال البيضاوي (٤٦٣/١): "وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد المبشَّر به يكون منها لا من هاجر، ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد". اهـ.

ويحمل كلام المؤلف -رحمه الله- على أن عقمها ليس هو السبب في توجيه البشارة إليها، وإنما لأن السرور بالولد مشترك، وليس مراده نفي أن تكون عقيماً؛ لأن هذا ثابت في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الذاريات، الآية (٢٩).

والذي يظهر صحة هذه التوجيهات جميعاً لتكون سبباً في توجيه البشارة إليها والله أعلم.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

والقول في تحديد سنِّ سارة وإبراهيم -عليه السلام- الذي ساقه المؤلف هو ما ذكره الزمخشري =

وهي: ملاعبة الزوجين[1]، وفي الحديث: «أيام منى أيام أكل وشرب وبعال»[2].

﴿ شَيْخًا ﴾ نصب على الحال، والعامل معنى الإشارة أو التنبيه[3]

(٢١٧/٣)، وقد ساق ابن الجوزي (١٣٢/٣) الأقوال في ذلك ومنها:

الأول: كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة، وسارة بنت ثمان وتسعين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

الرابع: كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وسارة بنت تسعين. قاله عبيد بن عمير وابن إسحاق. اهـ مختصراً.

و لم أقف على من جمع بينهما كما صنع المؤلف غير الزمخشري.

وانظر: تفسير الطبري (٣٩٨/١٥).

والمقصود أنهما بشرا بالولد على حين الكبر، وليس من المهم بعد ذلك تحديد سنِّ كل واحد منهما، ولو كان فيه فائدة لذكره القرآن أو أخبرنا عنه الرسول ﷺ.

(١) قال في اللسان (بعل) (٥٩/١٠): "والتَّباعل والبِعال: ملاعبة المرءِ أهلَه، وقيل: البِعال النكاح... إلخ".

(٢) رواه ابن أبي شيبة، كتاب الحج، باب من قال: أيام التشريق أيام أكل وشرب (٣٩٤/٣ رقم ١٥٢٦٥) عن عمر بن خلدة عن أمه.

ورواه مسلم (٨٠٠/٢ رقم ١٤٠٠) كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق بلفظ: "أيام التشريق أيام أكل وشرب".

(٣) في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢﴾ له يعهد مثله من هَرِمَيْن.

﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ إرادته إذا تعلقت بشيء، أنكروا عليها التعجب من حصول الولد من شيخ وشيخة، وإن كان في ذلك خَرْقُ العادة؛ لأنها قد شاهدت أمثال ذلك من المعجزات والأمور الخارقة، وعللوا الإنكار بقولهم: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ على وجه الاستئناف[1] كأنه قيل: إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة عليكم[2]، وقيل[3]: الرحمة النبوة، والبركة الأسباط؛ لأن الأنبياء منهم والكل من نسل إبراهيم[4].

﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على الاختصاص لأنهم أهل بيت خليل

وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٠٢)، مشكل إعراب القرآن (١/٤١٠)، البيان لابن الأنباري (٢/٢٣)، التبيان للعكبري (٢/٧٠٧).

(١) انظر: المكتفى لأبي عمرو ص (٣١٨).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٢١٧) من قوله: أنكروا عليها التعجب.

(٣) كذا في الأصل، وسائر النسخ بدون الواو.

(٤) ذكر القول بتمامه الزمخشري (٣/٢١٧)، وذكر معنى البركة الواحدي في البسيط (١/٢٧٥) - نقلاً عن المفسرين-، وابن الجوزي (٤/١٣٣).

الرحمن وذلك مدح لهم وأيُّ مدح ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ فاعلٌ ما يُحمد عليه[1] ويُمجّد[2]، فعيلان بمعنى المفعول وقعا تذييلاً لما تقدم، أي: ليس ما يفعله

---

(١) من أسمائه تعالى الحميد، وهو حميد من وجهين:

١- أنه يُحمد على ما أنعم به تعالى على عباده فهو خالقهم ورازقهم ومحييهم ودافع النقم عنهم، وهو تعالى الذي هداهم إلى الصراط المستقيم، وكل نعمة في الأولى والآخرة فهو وليها تعالى، وكل شر يدفع عن الإنسان فمنه تعالى لا من غيره.

٢- أنه يُحمد على ما لــه من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والنعوت الجليلة فكل صفة كمال فله أكملها وأعظمها، وكل صفة من صفاته يستحق عليها الحمد والثناء، فكيف بجميع أوصافه المقدسة، فله الحمد لذاته وله الحمد لصفاته وله الحمد لأفعاله.

انظر: الحق الواضح المبين ص (٣٩-٤٠).

(٢) قال الواحدي في البسيط (٢٧٥/١): "قال أهل المعاني: المجيد: الكامل الشرف والرفعة والكرم والصفات المحمودة". اهـــ.

وقال ابن القيم في بيان أقسام ما يجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى:

الخامس: وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو: المجيد، العظيم، الصمد، فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما =

محلاً للتعجب بل للتحميد والتمجيد فإنه مولى متفضل.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ ما أوجس من الخيفة بما أتحفوه به من البشرى ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ يجادل رسلنا[1]، مجادلته قوله: ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾[2]، وإنما جاء به مضارعاً حكاية للحال الماضية، أو التقدير أخذ يجادلنا أو أقبل أو نحوه[3]. ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ كثير الحلم ﴿ أَوَّٰهٌ ﴾ كثير التأوه على ما يقع منه من تفريط، أو على الناس ترحماً وهذا

نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما. اهـ. مختصراً.

بدائع الفوائد (١/١٥٩-١٦١).

(١) قال الواحدي في البسيط (١/٢٧٨): "ومعنى ﴿ يُجَٰدِلُنَا ﴾ يجادل رسلنا من الملائكة في قول جميع المفسرين". اهـ.

(٢) سورة العنكبوت، من الآية (٣٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٦٥)، الكشاف (٣/٢١٧)، تفسير البيضاوي (١/٢٦٣)، والوجه الأول هو ما اختاره الزجاج والزمخشري وبدأ به البيضاوي.

أليق وأبلغ في مدحه[1]. ﴿ مُّنِيبٌ ۝٧٥ ﴾ تائب إلى الله آت بما يحبه ويرضاه، أردف مجادلته بهذه الصفات دفعاً لما يتبادر من المجادلة من إيراد مقدمات غير حقة[2].

﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ على إرادة القول أي: قالت الملائكة المجادَلون: ﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ﴾ الجدال[3]، وإن كان دأبك الرأفة ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ قضاؤه المبرم الذي لا مرد له ﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝٧٦ ﴾ لتعلق

---

(١) كثير من المفسرين في معنى الأوَّاه على الوجه الأول.
انظر: الطبري (٥٢٣/١٤)، الوسيط (٥٢٨/٢)، الكشاف (٢١٨/٣).
وقال الرازي في التفسير الكبير (٢٥/١٨): " ﴿ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ لأن من يستعمل الحلم في غيره فإنه يتأوه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير، فلما رأى مجيء الملائكة لأجل إهلاك قوم لوط عظم حزنه بسبب ذلك وأخذ يتأوه عليه فلذلك وصفه الله تعالى بهذه الصفة". اهـ.
وقال البيضاوي (٤٦٤/١): " ﴿ أَوَّٰهٌ ﴾ كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس". اهـ.

(٢) قال الزمخشري (٢١٨/٣): "وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبيّن أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلون لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه". اهـ.

(٣) قال الواحدي في البسيط (٢٧٩/١): "قال المفسرون قالت الرسل عند ذلك يا إبراهيم أعرض عن هذا، وأشير بهذا إلى الجدال". اهـ.
وانظر: الكشاف (٢١٨/٣).

إرادة الله به.

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ أي: سيء لوط بسبب مجيئهم لأنهم جاؤوا على صورة غلمان حسان ولم يدر أنهم ملائكة فقال لهم: ألم يبلغكم خبث أهل هذه القرية؟[1] ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ كناية عن شدة حزنه وعدم اهتدائه إلى ما يدفع به كيدهم عن أضيافه ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ قاله مشافهة أو في نفسه تحزناً. والعصيب: الشديد[2]، من عَصَبَه إذا شدَّه، ومنه العِصَابة والعَصب[3].

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٠٧/١٥)، تفسير البغوي (١٩٠/٤)، الكشاف (٢١٨/٣)، زاد المسير (١٣٥/٤).

(٢) قال الواحدي في البسيط (٢٨١/١): "قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ قال المفسرون وجميع أهل المعاني: يوم شديد". اهـ.
وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢٠٦).

(٣) العِصَابة: العمامة وكل ما يُشد به الرأس.
والعَصَبُ والأعصاب من الإنسان والدابة: أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها، والعَصْبُ: الشد.
انظر: معجم مقاييس اللغة (عصب) (٣٣٦/٤)، لسان العرب (عصب) (٦٠٢/١).
وراجع أيضاً: مجاز القرآن (٢٩٣/١)، معاني القرآن (٦٧/٣).

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ ﴾ يسرعون، من قولهم: دمٌ هَرِعٌ. أي: سائل بيِّن السيلان كأن بعضه يدفع بعضاً بالحمل على الجري[1] ﴿ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ[2] يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ يأتون الفواحش كلها لا يتحاشون فتمرنوا على فعل المنكرات فلذلك أهرعوا من غير مبالاة ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى ﴾[3]، وكانوا يطلبون قبل ذلك التزوج بهن ويأبى لوط فلما اشتد الأمر عليه سمح بذلك

(١) انظر: تهذيب اللغة (هرع) (١/١٤١)، لسان العرب (هرع) (٨/٣٦٩).

(٢) ص: ما كانوا. وهو خطأ.

(٣) اختلف المفسرون في المراد ببناته في الآية على قولين:

الأول: أن المراد بناته لصلبه دعاهم للتزوج بهن، وهذا القول مروي عن ابن عباس -ﷺ-، والحسن وجماعة، وقال به الزمخشري والواحدي، وإليه ذهب المؤلف -رحمه الله-.

الثاني: أن المراد نساؤهم فهن بناته؛ لأن كل نبي أبو أمته، وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة، واختاره الطبري وابن كثير وغيرهما.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٤١٣-٤١٥)، زاد المسير (٤/١٣٧)، الكشاف (٣/٢١٩)، البسيط (١/٢٨٥)، تفسير ابن كثير (٤/٢٦٨).

وقاية لأضيافه[1]، وعدم جواز تزويج المسلمات للكافر شرعٌ طارٍ[2]، والاستدلال/ بتزويج رسول الله ﷺ ابنته لأبي العاص بن الربيع[3] مبني على كونه متعبداً بشـرع من قبلـه[4].

(١) نقله الواحدي في البسيط (١/٢٨٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وذكره البيضـاوي (١/٤٦٤).

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/١٣٨):

"فإن قيل: كيف عرض تزويج المؤمنات على الكافرين؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته، وكان جائزاً في صدر الإسلام حتى نسخ. قاله الحسن.

والثاني: أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم. قاله الزجاج.

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٦٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٦٤).

(٣) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس القرشي صهر رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب، أسلم قبل الحديبية، ومات سنة ١٢هـ وقيل غير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء (١/٣٣٠)، الإصابة (٤/١٢٠).

وهذا الاستدل مبني على القول بأن النبي ﷺ إنما زوج أبا العاص بن الربيع بعد النبوة -وهو الراجح- أو الاستدلال باستمرار العقد بعد النبوة على القول بأن العقد كان قبلها.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٣٠)، سير أعلام النبلاء (٢/٢٤٦).

وانظر: البسيط (١/١٨٥٩)، البغوي (٤/١٩١)، الكشاف (٣/٢١٩).

(٤) شرع من قبلنا هل هو شرع لنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه؟ وهل كان النبي ﷺ متعبداً بعد البعثة باتباع شريعة من قبله؟ اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

=

﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾(١) بمعنى الطاهر إذ لا طهر فيما يرومونه(٢). والقول بأن

الأول: أنه شرع لنا، وهو مذهب الحنفية وبعض الشافعية ورواية عن الإمام أحمد، وهو قول أكثر المالكية.

الثاني: أنه ليس بشرع لنا، وهو رواية عن الإمام أحمد، ومذهب أكثر الشافعية.

ولعل الراجح -والله أعلم- أنه شرع لنا ما دام منقولاً في الكتاب أو السنة وليس في شرعنا ما يخالفه.

انظر: التمهيد لأبي الخطاب (٢/٤١١)، الإحكام للآمدي (٤/١٤٠)، روضة الناظر (٢/٥١٧).

والذي يظهر من صنيع المفسرين الذين أوردوا تزويجه ﷺ لأبي العاص -رضي الله عنه- أنهم إنما ساقوه على سبيل التمثيل بأن الأمر باقٍ على أصله الأول وهو الحل، فهو في شريعة لوط -عليه السلام- حلال، وفي صدر الإسلام كذلك، وإنما تغير الحكم بعد ذلك كما ذكر المؤلف -رحمه الله- أولاً. والله أعلم.

(١) لكم: غير مكتوبة في ص.

(٢) أفعل التفضيل هنا على ما جرت به عادة العرب في بيان فضل الشيء وخصوصيته بالفضل دون مقابله، وليست تدل على أن في المقابل فضلاً، وهذا شائع في لسان العرب وبه نزل القرآن كقوله تعالى بعد أن ذكر أحوال أهل النار: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴾ سورة الفرقان، آية (١٥)، ومعلوم أن لا خير مطلقاً في النار، وكقوله تعالى: ﴿ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ سورة يوسف، من الآية (٣٣). ولما قال أبوسفيان بعد أحد: اعل هبل، فقال ﷺ: «قولوا: الله أعلى وأجل». راجع تخريج الحديث =

ذلك أقل فحشاً[1] مبني على تجويز إذنه في السفاح ولا يقوله متدين.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ بترك الفواحش ﴿ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ لا تفضحوني[2] من الخِزْي، أو لا تخجلوني[3] من الخزاية بمعنى الحياء[4] ﴿ فِي ضَيْفِيٓ ﴾ في شأنهم ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ يرعوي عن الجهل. الاستفهام على أصله، أو أريد به التحزن والتأسف[5].

﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ لأن نكاح الإناث

ص(٥٠٩).

وانظر: الجامع للقرطبي (٧٦/٩)، البحر المحيط (٤٤٥/٦)، أضواء البيان (٢٩٤/٦-٢٩٦).

(١) قال البيضاوي (٤٦٤/١): " ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ أنظف فعلاً وأقل فحشاً"

(٢) نقل هذا القول عن ابن عباس -رضي الله عنهما- الواحدي في البسيط (٢٨٨/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٨/٤).

(٣) قاله ابن الأنباري.

انظر: المرجعين السابقين (المواضع نفسها). وانظر القولين في: الكشاف (٢٢٠/٣)، تفسير البيضاوي (٤٦٤/١).

(٤) الخِزْيُ: الذل والهوان، وخَزِيَ يَخزَى خَزَايَة من الاستحياء، والخِزْيُ: الفضيحة، وأخزيته: فضحته.

(٥) ولعل الأقرب هو الثاني وهو المناسب للسياق، وهو ما رجحه الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (٢٠٤/٥)، والألوسي في روح المعاني (١٦١/١٢)، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١٢٩/١٢).

ليس بمبهم عندنا، بل هو كالباطل ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ لا يخفى عليك.

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً ﴾ لو ثبت لي قوة لدفعتكم ﴿ أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ قوي أتمنع به عنكم لفعلت، شبه القوي الأيد بالركن من الجبل لشدته، ويحتمل أن يكون ﴿ لَوْ ﴾ للتمني فلا يحتاج إلى الجواب[1]، وعن النبي ﷺ: «رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد»[2]، استغرب منه هذا القول؛ لأن عناية الله كانت أشد ركن لـه[3]، ولذلك قالت الملائكة حين وجدت عليه: "إن ركنك لشديد"[4].

---

(١) والوجه الأول -وهو أن جواب لو محذوف تقديره: لدفعتكم ونحوه- هو قول أكثر المفسرين.
انظر: الكشاف (٣/٢٢٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٦٤)، البحر المحيط (٥/٢٤٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ ... الآية ﴾ (٤/١١٩)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة (١/١٣٣ رقم ١٥١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٣) راجع: فتح الباري (٦/٤١٥).

(٤) رواه ابن جرير عن وهب بن منبه (١٥/٤٢٢).

هذه المقاولة معهم كانت من وراء الباب [فإن كان قد أغلق الباب][1] خوفاً منهم، فلما طال الجدال تسوروا الجدار، ولما رأت الملائكة ما أصاب لوطاً من الكرب ﴿ قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ بإضرارنا ففتح الباب فلما دخلوا نشر جبريل جناحه وله جناحان وعليه وشاح من دُرٍّ منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس[2] أعينهم كما حكاه تعالى: ﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ﴾[3] فخرجوا وهم يقولون: النجاة فإن في بيت لوط قوماً سحرة[4].

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وهو مثبت في باقي النسخ.

(٢) ص: فأطمس.

(٣) سورة القمر، من الآية (٣٧).

(٤) روي ما ذكره المؤلف -بمعناه- عن جمع من السلف.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٤٢٤ وما بعدها)، تفسير البغوي (٤/١٩٢)، الدر المنثور (٤/٤٦٠).

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ بطائفة، قرأ[1] نافع وابن كثير بالوصل، والباقون بالقطع[2] وهما لغتان[3]، والقطع أولى لاتفاقهم في ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[4] ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ إلى ورائه لئلا يصيبه ما أصابهم، ولذلك لما التفتت امرأته حين سمعت هدة العذاب لحقها حجر فقتلها ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ استثناء من "أهلك" بناء على أنه نُهي عن الإسراء بها في جملة أهله أو من ﴿ أَحَدٌ ﴾ على اللغة القليلة في غير الموجب[5]؛ لأن القراءة يكفي لصحتها

(١) ص: قرأه.

(٢) انظر: السبعة ص (٣٣٨)، الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٣٦٧)، النشر (٢/٢٩٠).

(٣) القراءتان مأخوذتان من لغتي هذا الفعل فإنه يقال: سَرَى ومنه: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ سورة الفجر، من الآية (٤)، وأَسْرَى ومنه ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ سورة الإسراء، آية (١).

انظر: تفسير الطبري (١٥/٤٢٣)، الحجة لابن خالويه ص (١٨٩)، البسيط (١/٢٩٤)، الكشف لمكي (١/٥٣٥).

(٤) سورة الإسراء، من الآية (١).

(٥) وذلك أن الاستثناء إذا كان من كلام تام منفي فالراجح فيه الرفع ويجوز النصب.

انظر: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (١/٥٩٩)، البحر المحيط (٥/٢٤٨)، الدر المصون (٦/٣٦٨).

وجه نحوي(١)، ولا يحتاج إلى تأويل الالتفات بالتخلف(٢) على تقدير الاستثناء من ﴿ أَحَدٌ ﴾ احترازاً من مناقضته الاستثناء من "أهلك"؛ لأن الاستثناء من الأهل يقتضي أن لا يكون لوط مأموراً بالإسراء(٣) بها، ولا امتناع في أن تكون سرت بنفسها كيف ولم يُنه عن الإسراء بها بل أمر بالإسراء بغيرها(٤)، وقرأ أبوعمرو

---

(١) كما قال ابن الجزري في أركان القراءة الصحيحة: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه... إلخ، ثم قال في شرح هذا الشرط: "ولو بوجه" نريد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح... إلخ. النشر (٩-١٠).

(٢) ذكره البيضاوي (١/٤٦٥).

(٣) ص: بالإسرار.

(٤) إذا كان الاستثناء من الأهل فمعناه أن لوطاً لم يكن مأموراً بالإسراء بها، وإذا كان الاستثناء من "أحد" فمعناه أنها سرت معهم، ثم حصل منها الالتفات، وقد حمل البيضاوي الالتفات في الوجه الثاني على التخلف والسبب في هذا الحمل حتى لا يتناقض الوجهان، فإن الوجه الأول أفاد نهي لوط عن الإسراء بها، والوجه الثاني إذا حمل على الالتفات المعروف أفاد أنها كانت معهم فتناقض الوجهان؛ لأن الأول فيه النهي عن الخروج بها والثاني فيه أنها كانت خارجة معهم.

وقد أجاب المؤلف -رحمه الله- بأن لا داعي لحمل الالتفات على التخلف ولا تناقض بين الوجهين لأنه في الأول لم يكن مأموراً بالإسراء بها، والثاني يحمل على أنها سرت بنفسها، ثم =

وابن كثير بالرفع[1] على البدل[2]، والمختار[3] النصب على الاستثناء من الأهل لسلامته عن التكلف[4] وتأيُّدِهِ بقراءة ابن مسعود -ﷺ-: "فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا أمرأتك" بالتقديم[5].

أضاف -رحمه الله- أيضاً أنه لم ينه عن الإسراء بها وإنما أمر بالإسراء بغيرها.

وانظر: الجواب الأول في البحر المحيط (٢٤٩/٥)، الدر المصون (٣٦٨/٦)

(١) انظر: السبعة ص (٣٣٨)، التيسير ص (١٠٢).

(٢) انظر: الحجة لابن خالويه ص (١٩٠)، الكشف لمكي (٥٣٦/١)، مشكل إعراب القرآن (٤١٢/١).

(٣) ص: بحذف الواو.

(٤) ص: التكليف.

وانظر: الكشف لمكي (٥٣٦/١).

(٥) روى هذه القراءة ابن جرير الطبري عن ابن مسعود -ﷺ- (٤٣٢/١٥).

وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١٠٥/٢)، تفسير البغوي (١٩٣/٤)، البحر المحيط (٢٤٨/٥).

وفي حاشية الأصل وَ ص: قال في الكشاف: اختلاف القراءتين بناء على الروايتين سرى بها أو لم يسر*. أورد عليه الشيخ ابن الحاجب بأن القراءتين قطعيتان، والروايتان متناقضتان فلا يمكن البناء**. ولما كان الإيراد حقاً أخذ المؤلف في مسلك آخر اندفع به الإشكال وهو الجزم بالاستثناء من الأهل مؤيداً بقراءة ابن مسعود، وكفى به شهيداً.

=

ثم أقول أدل منه قوله في سورة الحجر: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ۝ ﴾ آيـة (٦٠). وفي العنكبوت: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ من الآية (٣٣)، وكذا في سورة النمل، آية (٥٧).

قال في الكشاف: التقدير لله تعالى وإنما أسند إلى الملائكة مجازاً***. فإذا سمع قبل الإسراء أنها من الهالكين فكيف يتصور الإسراء؟.

ثم ههنا دقيقة أخرى وهي أن في قراءة الرفع النهي مؤول بالنفي ولا يستقيم بدونه، تأمل****.

منه.

والمقصود أن الله تعالى نهى لوطاً عن الإسراء بها أو لم يأمره بالإسراء بها ولكنها خرجت معهم، وعلى هذا التأويل يصح حمل الاستثناء من "الأهل" أو من "أحد".

وأماكلام الزمخشري في الروايتين والقراءتين فوجهه السمين الحلبي بقوله: "ما قاله الزمخشري

---

* انظر: الكشاف (٣/٢٢٢).

** الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب (١/٣٦٦)، وقال أبوحيان (٥/٢٤٩) معقباً على كلام الزمخشري: "وهذا وهم فاحش،إذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين من أنه سرى بها أو أنه لم يسر بها وهذا تكاذب في الأخبار يستحيل أن تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب".اهـ، وانظر: البيضاوي (١/٤٦٥).

*** انظر: الكشاف (٣/٤١١).

**** انظر: مشكل إعراب القرآن (١/٤١٢)، البحر المحيط (٥/٢٤٨).

صحيح، الغرض أنه قد جاء في التفسير قولان ولا يلزم من ذلك التكاذب، لأن من قال إنه سرى =

﴿ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ ﴾ أي: ما يصيبهم، علة لعدم الإسراء بها أو لعدم نهيها عن الالتفات ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ ﴾ علة[1] للإسراء ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾كلام الملائكة جواب لاستعجال لوط كأنه استبعد مجيء الصبح لغاية ضجره وشدة شوقه إلى الاشتفاء؛ ومن هنا يظهر لك مقام سيد المرسلين ﷺ لما جاء ملك[2] الجبال وقال: "إن الله قد سمع جواب قومك و[3] قد أرسلني إليك تأمرني فيهم بما شئت فإن شئت طبقت الأخشبين عليهم" فقال: «لا، ولكن أرجو أن يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله»[4].

بها يعني أنها سرت هي بنفسها مصاحبة لهم في أوائل الأمر ثم أخذها العذاب فانقطع سراها، ومن قال إنه لم يَسْرِ بها أي: لم يأمرها ولم يأخذها وأنه لم يَدُم سراها معهم بل انقطع فَصحَّ أن يقال: إنه سرى بها ولم يَسْرِ بها وقد أجاب الناس بهذا وهو حسن... ثم نقل عن أبي شامة نحواً من هذا الكلام.

الدر المصون (٦/٣٦٨-٣٦٩).

(١) ص: عليه.

(٢) ص: هلك.

(٣) ص: بحذف الواو.

(٤) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب «إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء: آمين =

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ بالعذاب ﴿ جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ جواب (لما)، وإنما أسنده إلى ذاته وإن كان المباشر الملائكة لعظم الأمر وأن مثل ذلك الفعل إنما هو بإقداره[1]، روي أن جبريل رفع مدائنهم بجناحه إلى حيث سمع الملائكة في السماء نباح الكلاب وصياح الديك ثم قلبها[2].

﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ من طين متحجر، معرب "سَنْك كل"، أي: الحجر والطين[3]، وقيل: من أَسْجَلَه إذا أرسله لأنها مرسلة

فوافقت إحداهما الأخرى غفر لـــه ما تقدم من ذنبه» (٤/٨٣)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (٣/١٤٢٠ رقم ١١١) عن عائشة -رضي الله عنها-.

والأخشبان: جبلان بمكة هما: أبوقبيس والأحْمَر.

والأخشب: كل جبل خشن غليظ الحجارة.

انظر: النهاية (خشب) (٢/٣٢).

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٦٥).

(٢) رواه الطبري (١٥/٤٤٠ وما بعدها) عن مجاهد وقتادة والسدي ومحمد بن كعب.

وانظر: تفسير البغوي (٤/١٩٣)، زاد المسير (٤/١٤٣)، تفسير ابن كثير (٤/٢٧١).

(٣) وبه قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم، ونسبه الواحدي في البسيط (١/٣٠١) للفراء، ولم أقف على تصريحه بأنه معرب، وقال في معاني القرآن (٢/٢٤): =

للعذاب لقوله: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾[1][2]، وقيل: من سَجل إذا كتب لأن الله كتب عليها أن يعذب بها[3]، ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ نُضد في السماء نَضْداً[4] معداً للعذاب[5]، وقيل: متتابعة بعضها إثر بعض[6].

﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ مُعَلَّمة[7] كل حجر عليه اسم من يرمى به[8]، وقيل: كانت معلمة

"من طين قد طبخ".

وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٠٧).

(١) سورة الذاريات، الآية (٣٣).

(٢) ذكره الطبري (٤٣٥/١٥)، والزجاج (٧١/٣).

(٣) قوّى هذا القول الزجاج (الموضع السابق).

وانظر الأقوال الثلاثة في: الكشاف (٢٢٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٦٥).

(٤) قال في اللسان (نضد) (٤٢٣/٤): "نَضَدْت المتاع أَنْضِدُه بالكسر نَضْداً ونَضَّدْته: جعلت بعضَه على بعض".

(٥) هذا هو ظاهر قول الربيع بن أنس حيث قال: "نضد بعضه على بعض" رواه الطبري (٤٣٦/١٥) واختاره، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٠٨)، والزمخشري (٢٢٢/٣).

(٦) رواه البغوي (١٩٤/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وانظر: زاد المسير (١٤٥/٤).

(٧) قال الفراء في معاني القرآن (٢٤/٢-٢٥): "تسويمها أيْ: علامتها"، وبنحوه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٠٨).

وانظر: ما يأتي من مراجع.

(٨) نسبه ابن الجوزي (١٤٦/٤) للربيع.

ببياض وحمرة[1]، وقيل: كان عليها سيما يعلم بها أنها ليست من أحجار الأرض[2].

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ الضمير للقرى أي: تلك القرى قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في مسايرهم[3]، أو الحجارة[4] فإن كل ظالم كل لحظة بصدد أن يقع عليه حجر، وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل فقال: "هم ظالمو أمتك"[5].

---

(١) قال به ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية الضحاك، وبه قال الحسن.

انظر: البسيط (١/٣٠٦)، زاد المسير (٤/١٤٥).

وروى ابن جرير (١٥/٤٣٨) عن عكرمة وقتادة قالا: "مطوَّقة، بها نَضْحٌ من حمرة".

(٢) رواه ابن جرير عن ابن جريج (١٥/٤٣٨).

وانظر: الكشاف (٣/٢٢٢).

(٣) ذكره الزمخشري (٣/٢٢٣) وابن عطية (٣/١٩٨) والبيضاوي (١/٤٦٥)، واستظهره أبو حيان (٥/٢٥٠).

(٤) وبه قال أكثر المفسرين، واختاره الطبري (١٥/٤٣٨)، والزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي (المواضع السابقة) وغيرهم.

(٥) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/١٤٨): "غريب، وذكره الثعلبي عن أنس من غير سند".

وانظر: الفتح السماوي (٢/٧٢٠).

* ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ مدين: اسم قبيلة سميت باسم جدهم[1]، وهو مدين بن إبراهيم[2]، أو اسم مدينة بناها مدين سميت باسم بانيها[3].

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ دعاهم أولاً

وروى ابن جرير (١/٤٣٩) عن قتادة قال: يعني ظالمي هذه الأمة، وروى نحوه عن أبي بكر الهذلي بن عبدالله.

(١) قال به ابن جرير (١٥/٤٤٣)، والبغوي (٤/١٩٤) وغيرهما.

(٢) انظر: البسيط (١/٣٠٨)، الجامع القرطبي (٩/٨٥)، البداية والنهاية (١/١٨٤-١٨٥)، نهاية الأرب ص(٣٧١).

(٣) قال به الفراء (٢/٣٠٤)، قال الزجاج (٣/٧٢): "المعنى: أرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيباً فحذف أهل وأقام مدين مقامه".

وانظر القولين في: معاني القرآن للزجاج (الموضع السابق)، الجامع للقرطبي (٩/٨٥) ، تفسير البيضاوي (١/٤٦٥).

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٢٧٢): "هم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريباً من بلاد معان في بلد يعرف بهم يقال لها: "مدين" فأرسل إليهم شعيباً... إلخ". ومدينة مدين قال عنها ياقوت في معجم البلدان (٥/٧٧): "على بحر القلزم محاذية لتبوك". وقال البكري في معجم ما استعجم (٤/٧٤): "بلد بالشام تلقاء غزة".

إلى التوحيد لأنه ملاك الأمر ﴿ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ ﴾ كان فيهم التطفيف شائعاً نهاهم عنه بعد الأمر بالتوحيد لكونه خيانة في حق العباد ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ﴾ في ثروة وسعة فأنتم في غنية عن التطفيف، أو الغنى الذي أنتم فيه يقتضي الإيفاء شكراً لله فلا تقابلوه بالضد أو فلا تزيلوه فإن المعاصي تزيل النعم[1].

﴿ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ مهلك، من أحاط به العدو، وإضافة العذاب إلى اليوم للملابسة، وأريد بإحاطة اليوم إحاطة العذاب على سبيل الكناية لكون اليوم مشتملاً على الحوادث فإحاطته تستلزم إحاطة تلك الحوادث[2].

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ الانتهاء المطلوب لا يتحقق بدون الإيفاء فنص أولاً/ على النهي عن القبيح ثم الأمر بالضد، وليس مبنياً على عدم استلزام النهي عن الشيء الأمر بضده[3] بل هو من باب

(١) انظر هذه الأوجه في: الكشاف (٣/٢٢٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٦٦).

(٢) قاله في الكشاف بمعناه (٣/٢٢٣).

وانظر: فتوح الغيب ص(٢٧٧)، الكشف للقزويني (٢٣/ب).

(٣) راجع ص (١٢٧).

التأكيد كقولك لمن لا يصل الرحم: صل رحمك ولا تقطعها، تريد بذلك تأكد وجوبه[1]، وقيّد الإيفاء بالقسط دلالة[2] على أن العدل هو المطلوب والزيادة فضل[3] وقد يكون حراماً[4] كما في الربا[5].

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ أي شيء كان بأي نوع كان تطفيفاً أو غيره، كانوا يَمْكِسُون الناس[6]، وقيل: كانوا ينقصون من ثمن ما يشترونه[7].

---

(١) أجاب به الرازي في التفسير الكبير (١٨/٣٤).
وانظر: فتوح الغيب ص(٢٧٨).

(٢) ص: بدلالة.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٢٢٤).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٦٦).

(٥) أما كون الزيادة فضل مندوب إليها فمثل ما إذا باعه سلعة وزاد لـه في وزنها أو كيلها عن طيب نفس، أو قضاه دينه وزاده عليه في الكيل أو الوزن من غير شرط سابق كما في حديث أبي هريرة -ﷺ- قال: كان لرجل على النبي ﷺ سنٌّ من الإبل فجاء يتقاضاه فقال ﷺ: «**أعطوه**» فطلبوا سنّه فلم يجدوا لـه إلا سناً فوقها فقال: «**أعطوه**» فقال: "أوفيتني وفّى الله بك" قال النبي ﷺ: «**إن خياركم أحسنكم قضاء**» رواه البخاري، كتاب الاستقراض، باب حسن القضاء (٣/٨٣-٨٤).
وقد تكون الزيادة حراماً كما في الربويات، والله أعلم.

(٦) ذكره الزمخشري (٣/٢٢٤).
قال البيضاوي (١/٤٦٦): "وقيل: المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات".
وانظر: الصحاح (مكس) (٣/٩٧٩)، لسان العرب (مكس) (٦/٢٢٠).

(٧) ذكره الزمخشري (الموضع السابق).
ولفظ الآية عام يشمل هذا كله كما ذكر المؤلف -رحمه الله- أولاً.

﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ العثي: الإفساد[1]، وفائدة تقييده بالحال[2] [إخراج][3] ما يقصد به الإصلاح كإتلاف أموال أهل الحرب[4].وهذا أعم لتناوله البخس وغيره، كما أن ذاك أعم من الأول[5] لتناوله المقدار وغيره[6]، وقيل:

(١) ق: الفساد.

وانظر: المفردات للراغب الأصفهاني (عثى) ص(٥٤٦).

(٢) أي: قول: ﴿ مُفْسِدِينَ ﴾.

(٣) ساقطة من ص.

(٤) قال البيضاوي (٤٦٦/١): "وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر -عليه السلام-". اهـ.

ويقصد بما فعله الخضر ما حكاه الله تعالى في سورة الكهف من قتل الغلام وخرق السفينة.

انظر: حاشية الشهاب على البيضاوي (٢١٣/٥).

(٥) يعني أن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ أعم من قوله: ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾.

(٦) قاله البيضاوي (٤٦٦/١).

ومعناه أنه بعد أن أمر بإيفاء المكيال والميزان، نهى عن بخس الناس أشياءهم وهو يشمل كل أنواع البخس سواء كان في الجودة والرداءة أو الكيل والوزون أو غير ذلك.

انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٢١٣/٥).

العثي: السرقة وقطع الطريق والغارة[1].

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ ما أبقاه لكم من الحلال[2] خير لكم وأبرك في الدنيا لأن الحرام ممحوق البركة وفي الآخرة لنجاتكم من تبعته وعذابه[3].

﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ لأن الكافر وإن نجا من العقاب المترتب على البخس والتطفيف لكن لم تظهر تلك الفائدة ظهورها مع الإيمان لكونه مخلداً في النار، وفيه إشارة إلى عظم شأن الإيمان؛ لأن الشيء البين نفعه لم يعد نافعاً بدونه، وتفسير البقية بالطاعة[4] لا يناسب المقام[5].

---

(١) قال في الكشاف (٢٢٤/٣): "والعثي في الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل".اهـ.
والعثي في الأرض بالفساد يشمل هذا وغيره مما يسمى فساداً.

(٢) رُوي هذا القول عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بإسناد قال عنه الطبري (٤٤٧/١٥): "غير مرتضى عند أهل النقل".اهـ.
واختار هذا القول الطبري نفسه (الموضع السابق) والفراء في معاني القرآن (٢٥/٢)، والزمخشري (٢٢٤/٣)، والواحدي في الوسيط (٥٨٦/٢)، وابن عطية (١٩٩/٣)، والبيضاوي (٤٦٦/١) وغيرهم.

(٣) قال الواحدي في البسيط (٣١٠/١): "والمعنى على هذا القول: الذي يبقيه الله لكم من الحلال عند إعراضكم عن الحرام أبقى لأموالكم في الدنيا وأصلح لأحوالكم في الآخرة". اهـ.

(٤) رواه الطبري (١٣٨/١٥) عن مجاهد، وقال به الزجاج في معاني القرآن (٧٢/٣)، وجوَّزه الزمخشري (٢٢٥/٣).

(٥) واستبعده ابن عطية (١٩٩/٣).

﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾ أحفظ أحوالكم وإنما بعثت مبلغاً[1]، أو لست بحفيظ عليكم نعمة الله إن لم تتركوا البخس والتطفيف[2].

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ الصلاة وإن صح أن تكون آمرة بالخير مجازاً[3] كما صح أن تكون ناهية عن المنكر[4]

وقال ابن جرير (١٥/٤٤٩) في معرض ترجيح القول الأول: "وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان، وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان... فتعقيب ذلك بالخبر عمَّا لهم من الحظ في الوفاء في الدنيا والآخرة أولى، مع أن قوله: ﴿ بَقِيَّتُ ﴾ إنما هي مصدر من قول القائل: بقيت بقية من كذا، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى: بقية الله تعالى التي أبقاها مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم خير لكم... إلخ".

(١) قاله ابن جرير (١٥/٤٤٩)، والزمخشري (٣/٢٢٥)، والقرطبي (٩/٨٦) كلهم بمعناه.

(٢) نسبه الواحدي في البسيط (١/٣١١-٣١٢) إلى بعض أهل المعاني.

وانظر القولين في: تفسير البيضاوي (١/٤٦٦).

(٣) لأنها سبب إلى ذلك، وراجع ص(٧٢٣).

(٤) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ سورة العنكبوت، من الآية (٤٥).

لكن إنما ساقوا الكلام مساق الطَّنْز[1] والسخرية وأن صلاته والمداومة عليها نوع من الأباطيل وفن من الجنون، والإتيان بالمضارع للدلالة على الاستمرار. كان كثير الصلاة[2] ولذلك أتوا بصيغة الجمع، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالإفراد[3]، ومعنى ﴿ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ ﴾ تأمرك بتكليف[4] أن نترك فحذف المضاف[5] لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره[6].

﴿ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ﴾ عطف على ﴿ مَا ﴾ أي: وأن

---

(١) ق: الظن.

والطَّنْز: السخرية.

انظر: الصحاح (طنز) (٣/٨٨٣)، لسان العرب (طنز) (٥/٣٦٩).

(٢) رواه البغوي (٤/١٩٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وانظر: زاد المسير (٤/١٤٩)، الجامع للقرطبي (٩/٨٧).

(٣) وقرأ باقي السبعة بالجمع ﴿أصلواتك﴾.

انظر: السبعة ص(٣١٧)، التيسير ص(٩٧).

(٤) ق: تكليف.

(٥) ومعناه: أن صلاتك تأمرك بتكليفك إيانا أن نترك.

(٦) هذا تعليل للتقدير السابق، وذلك أن الترك هو فعل الكفار، والمأمور بقوله: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ هو شعيب -عليه السلام-.

انظر: الكشاف (٣/٢٢٦)، فتوح الغيب ص(٢٨٥).

نترك فعل ما نشاء في أموالنا[1] ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ﴾[2] حيث تأمرنا بترك ما كان يعبد أباؤنا ﴿ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ الخبير حيث تأمر بترك البخس والتطفيف، نشرٌ لما تقدمه، قالوه تهكماً به.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ حجة واضحة ﴿ وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ ﴾ النبوة[3] لأن المعارف الإلهية أشرف الأرزاق وأنفَسُها، وقيل: المال الحلال من غير بخس وتطفيف[4]، والمعنى: أخبروني إن كنت نبياً حقاً أيجوز لي أن لا آمركم بترك عبادة غير الله؟ وما فائدة إرسال الله الرسل إلا ذلك؟.

---

(١) انظر:معاني القرآن للفراء (٢/٢٥)، إعراب القرآن للنحاس (٢/١٠٧)، التبيان للعكبري (٢/٧١١).

(٢) في الأصل زيادة: (الرشيد) تكملة للآية.

(٣) قال به الزمخشري (٣/٢٢٦)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/١٥١).

(٤) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- واختاره الطبري (١٥/٤٥٣)، والزجاج (٣/٧٣)، والواحدي في الوسيط (٢/٥٨٦)، وابن عطية (٣/٢٠١) وغيرهم، ونسبه في البسيط (١/٣١٦) لأكثر المفسرين.

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ عاد إلى النصح بعدما أزاح ماقذفوه به على وجه أدمج فيه أن من لا يأمر إلا بما[1] يفعله ولا ينهى عن شيء إلا وهو منتهٍ عنه لم يكن مظنة الجنون والخبل، والمخالفة: المعاكسة[2] في الأمر يقال: خالف زيد عمراً إلى الماء إذا كان أحدهما وارداً والآخر صادراً[3].

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ ﴾ إلا إصلاح ما أفسدتم من أمر دينكم ودنياكم ﴿ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ ما دمت قادراً. ﴿ما﴾ مصدرية في موقع الظرف[4]، أو موصولة بدل البعض أي: المقدار الذي أستطيع منه، أو الكل[5] على تقدير المضاف أي: إصلاح ما استطعت[6]، والأول هو الوجه إذ فيهما تكلف الإضمار

---

(١) ق: ما.

(٢) ق: والمعاكسة.

(٣) قال الراغب في المفردات (خلف) ص(٢٩٤): "والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله...".

(٤) أي: إن أريد إلا الإصلاح مدة استطاعتي.

انظر: الكشاف (٣/٢٢٧).

(٥) أي: بدل الكل.

(٦) ق: ما أفسدت.

وفوات المبالغة[1].

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ التوفيق: خلق قدرة الطاعة، مصدرٌ بمعنى المفعول أي: وما كوني موفقاً في إمضاء أوامره إلا بتأييد منه ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ فوضت أمري لا إلى غيره ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ لا إلى غيره [فيه][2] تهديدٌ بأنه[3] لا يبالي بهم لأنه مُفوِّض أمره إلى من بيده الخلق والأمر وقطعٌ لأطماعهم فإنهم ما تهكموا به إلا استضعافاً، وهذا كقول نوح: ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[4][5].

وانظر الأوجه الثلاثة في: الكشاف (٢٢٧/٣)، تفسير البيضاوي (٤٦٧/١)، البحر المحيط (٢٥٥/٥)، الدر المصون (٣٧٦/٦).

(١) قاله القزويني في الكشف (٣٤/أ).

(٢) ساقطة من ص.

(٣) كذا في سائر النسخ، وفي الأصل: بأنهم.

(٤) سورة يونس، من الآية (٧١)، وقد كتبت الآية في النسخ: فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني. وهو خطأ.

(٥) انظر: الكشاف (٢٢٨/٣)، فتوح الغيب ص(٢٨٩).

﴿ وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ ﴾ لا يكسبنكم معاداتي ﴿ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾ مفعول ثان[1]، يقال: جرم ذنباً: كسبه، وجرمتُه ذنباً كسبتُه إياه[2]، جرم وأجرم لغتان ككسب وأكسب والمزيد أقل دوراً على ألسنة[3] العرب[4]، وروي عن ابن كثير[5] بضم الياء[6].

﴿ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/٧٤).

(٢) قاله في الكشاف (٣/٢٢٨).

وراجع ما سبق ص(٧١٨).

(٣) ق: لسان.

(٤) انظر: الكشاف (٣/٢٢٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٦٧).

(٥) ق: وروى ابن كثير.

(٦) لم أقف على نسبتها لابن كثير فيما بين يدي من مراجع القراءات، وقد نسبها إليه الزمخشري (٣/٢٢٨)، والبيضاوي (١/٤٦٧)، أما ابن جني في المحتسب (١/٣٢٧) فقد نسبها ليحيى بن وثاب والأعمش، ومثله أبوحيان في البحر المحيط (٥/٢٥٥)، وقال: "ونسبها الزمخشري إلى ابن كثير".

قال ابن جني في توجيه هذه القراءة في المحتسب (الموضع السابق): "جَرَم الرجلُ إذا كسب الجُرم، ثم ينقل فيقال: أجرمته ذنباً إذا كسبته إياه، فعليه جاء: ﴿لا يُجرمنَّكم﴾". اهـ.

زماناً[1] أو مكاناً[2] فإن مدين قريبة من قرى لوط بينهما مسافة يومين، والقرب في المكان والزمان يفيد زيادة معرفة وكمال [الوقوف][3] على الحال.

ذكَّر لفظ (بعيد) باعتبار [لفظ][4] القوم[5] لأنه يذكر ويؤنث[6]، وكذا كل أسماء الجموع للأناسي مثل: رهط ونفر، أو[7] هو مسند إلى ضمير الإهلاك أو الزمان أو المكان[8].

---

(١) رواه ابن جرير (١٥/٤٥٦) عن قتادة، وبه قال الزجاج (٣/٧٤)، والزمخشري (٣/٢٢٩).

(٢) نقله الواحدي في البسيط (١/٣٢٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وجوَّزه ابن جرير (١٥/٤٥٦).

ولا مانع من دخول القولين معاً في معنى الآية كما يشير إليه كلام المؤلف -رحمه الله-.

(٣) ساقطة من ص.

(٤) ساقطة من ق.

(٥) أي: لماذا لم يعامل معاملة المؤنث كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآية (١٠٥).

(٦) قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴾ سورة الأنعام، من الآية (٦٧).

انظر: الصحاح (قوم) (٥/٢٠١٦)، لسان العرب (قوم) (١٠/٥٠٥).

(٧) في الأصل: و، والمثبت من باقي النسخ.

(٨) أجاب بهذه الأجوبة الأخيرة الزمخشري (٣/٢٢٩).

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ آمنوا به ثم دوموا عليه[1] ﴿ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ ﴾ جزيل العطاء يتفضل عليكم بدل ما كان يحصل لكم من البخس والتطفيف ﴿ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ كثير اللطف لمن تاب[2]. وعدٌ على التوبة بعد الوعيد على الإصرار.

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ ﴾ نفهم، من فقِه -بالكسر-: فهم[3] ﴿ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ من التوحيد وسائر الأحكام قالوه استهانة لا أنهم لم يفهموا مقاله كقول المشركين لرسول الله ﷺ: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾[4].

---

(١) راجع ما سبق ص(٧٧٤).

(٢) قال ابن جرير (٤٥٦/١٥): "﴿ وَدُودٌ ﴾ يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه يودُّه ويحبُّه". اهـ.

قال ابن القيم في الكافية الشافية ص(١٤٩) في بيان معنى "الودود":

وهو الودود يُحبُّهم ويُحبُّه أحبابُه والفضلُ للمنانِ

قال السعدي في الحق الواضح المبين ص(٦٩): "الودود هو المُحِبُّ المَحْبُوب بمعنى: وَادّ مَوْدُود، فهو الواد لأنبيائه وملائكته وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم بل لا شيء أحب إليهم منه". اهـ.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (فقه) (٤٠٤/٥)، المفردات (فقه) ص(٦٤٢).

(٤) سورة فصلت، من الآية (٥).

﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ لا قوة ولا عز فينا[1]، وقيل: أعمى[2]، ويرده التقييد بالظرف[3].

(١) قال الحسن وأبوروق ومقاتل: ذليلاً.

انظر: زاد المسير (١٥٢/٤).

وما ذكره المؤلف هو قول الزمخشري (٢٣٠/٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (٥٦٨/٢)، وقال: "صحيح على شرط مسلم". اهـ. ورواه الطبري عن سعيد بن جبير وشريك (٤٥٧/١٥)، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (١٥٢/٤) نسبته لقتادة، وبه قال الزجاج في معاني القرآن (٧٤/٣)، والبغوي (١٩٧/٤).

(٣) قال الزمخشري (٢٣٠/٣): "وقيل: ﴿ ضَعِيفًا ﴾ أعمى... وليس بسديد، لأن ﴿ فِينَا ﴾ يأباه، ألا ترى أنه لو قيل: إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاماً لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم". اهـ.

وضعَّف بعضهم هذا القول من جهة المعنى من حيث أن العمى لا يناسب الأنبياء المكلفين بتبليغ الرسالة، قال أبوروق: "إن الله لم يبعث نبياً أعمى ولا نبياً به زمانة". البحر المحيط (٢٥٦/٥)، قال ابن عطية -بعد أن ذكرالقول بالعمى أو ضعف البدن-: "وهذا كله ضعيف ولا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه، والظاهر من قولهم: ﴿ ضَعِيفًا ﴾ أنه ضعيف الانتصار والقدرة". اهـ. المحرر الوجيز (٢٠٢/٣)، وبنحوه قال أبوحيان في البحر المحيط (الموضع السابق).

﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾ لقتلناك[1] شر قتلة فإن القتل به شنيع جداً[2] ولذلك شرع حداً للزاني[3]. والرهط من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى السبعة[4].

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ ﴾ بل قومك. هذا[5] دأب السفيه المحجوج إذا أُفحم يشرع في الهذيان عسى يدفع به العار عن نفسه، وفي إيلاء/ الضمير حرف النفي دليل على أن النزاع في الفاعل لا في العزة ولذلك كان مفيداً للتقوي والتخصيص[6]، وقولهم: ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾ دليل على ذلك

---

(١) رواه ابن جرير (١٥/٤٥٨) عن ابن زيد، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٠٩)، والزجاج (٣/٧٤)، والنحاس في معاني القرآن (٣/٣٧٦)، والزمخشري (٣/٢٣٠)، وابن عطية (٣/٢٠٢) وغيرهم.

(٢) قال الزجاج في معاني القرآن (الموضع السابق): "أي لولا عشيرتك لرجمناك أي: لقتلناك بالرجم، والرجم من سيء القتلات". اهـ.

(٣) أي: الزاني المحصن، أما غير المحصن فحده كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ سورة النور، من الآية (٢).

(٤) انظر: الصحاح (رهط) (٣/١١٢٨)، معجم مقاييس اللغة (رهط) (٢/٤٥٠).

(٥) ق: وهذا.

(٦) انظر: الكشاف (٣/٢٣٠)، مفتاح العلوم ص(٢٣٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٦٨).

ومنطوق يؤكد ذلك المفهوم، ومثله ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ[1] قَآئِلُهَا ﴾[2] في إفادة التقوي والتخصيص[3].

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يريد أن رعايتي [الكوني][4] رسولاً من الله أحرى بكم وأجدر من القوم، وإنما كانوا يراعون رهطه لكونهم على دينهم[5]، لم يقل: أرهطي أعز عليكم مني لأن تهاونهم به وهو نبي الله ومبلغ أحكامه تهاون بالله؛ آثره كقوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[6][7]

(١) ق: وهو. وهو خطأ في الآية.

(٢) سورة المؤمنون، من الآية (١٠٠).

(٣) انظر: الكشف للقزويني (٣٤/ب).

(٤) ساقطة من ق.

(٥) قال الزجاج في معاني القرآن (٣/٧٤): "وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم". اهـ.

(٦) سورة النساء، من الآية (٨٠).

وقد جاء في سائر النسخ: ومن يطع. وهو خطأ في الآية، والصواب المثبت أعلاه.

(٧) قاله الزمخشري (٣/٢٣٠).

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[1].

﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ غير معتدٍّ به كناية عن عدم الاعتبار، نسبة

---

(١) سورة الفتح، من الآية (١٠).

واستدلال المؤلف -رحمه الله- بهذه الآية يتبين من خلال نقل كلامه في تفسيرها قال -رحمه الله-: "﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ لأنك رسوله والواسطة بين اللـه وبينهم ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أراد يد رسول الله ﷺ عند المبايعة، والله منزه عن الجارحة بل هو على سبيل التخييل".اهـ. (نسخة الأصل ٣٩٨/ب).

وما ذكره المؤلف ليس بسديد بل الآية على ظاهرها في إثبات صفة اليد لله تعالى التي جاءت في كثير من النصوص كقوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة ص، من الآية (٧٥)، وأما لفظ الجارحة فإنا لا نطلقه على الله تعالى لأنه لم يرد في النصوص، ونحن متعبدون أن نقف حيث جاء النص.

وأما قوله: إنما على سبيل التخييل، فقد تابع فيه الزمخشري. انظر: الكشاف (٥٣٨/٥).

ولو أن المؤلف -رحمه الله- أتى بأول الآية لكان أولى إذ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ هو المشابه لمعنى قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾.

إلى الظهر[1] والكسر من تغيير النسب[2] ﴿ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ يجازيكم عليه.

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ المكانة بمعنى المكان كالمقامة بمعنى المقام كناية أو تمثيل[3]، أو مصدر مكُن بالضم مكانة فهو مكين إذا تمكن، والمعنى على جهاتكم أو متمكنين[4]، وقرأ أبو بكر بالجمع[5] وهو أبلغ.

---

(١) قال الزجاج في معاني القرآن (٣/٧٥): "والعرب تقول لكل من لا يعبأ بأمر: قد جعل فلانٌ الأمر بظهره".

(٢) قاله الزمخشري (٣/٢٣١) وأبو حيان (٥/٢٥٦) وغيرهما.
والمعنى أنه لما نسبه إلى الظهر كسرت الظاء، كما قالوا في أمس لما نسب: إمسي. بكسر الهمزة.

(٣) قاله الطيبي في فتوح الغيب ص(٢٩٤)، ووجه الكناية يوضحه ابن عاشور في التحرير والتنوير (٨/٩١) بقوله: "تكون المكانة كناية عن الحالة لأن أحوال المرء تظهر في مكانه ومقره، فلذلك يقال: يا فلان على مكانك، أي: أثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه". اهـ.
وأما التمثيل فالمراد أنه شبهت حال من يثبت على حاله دون انحراف عنها، ومن ثم تتلبس به وتلازمه بحال أولئك الكفرة الذين أمرهم نبيهم بملازمة ما هم عليه من الكفر والإعراض.

(٤) قوله: على جهاتكم. على الوجه الأول، إذا كان بمعنى المكان.
وقوله: متمكنين. على الوجه الثاني، إذا كان بمعنى المصدر.
وانظر الوجهين في: الكشاف (٣/٢٣١).

(٥) قراءة أبي بكر عن عاصم ﴿ مَكَانَاتِكُمْ ﴾ بالجمع، وباقي السبعة بالتوحيد ﴿ مَكَانَتِكُمْ ﴾.
انظر: السبعة ص(٢٦٩)، التيسير ص(٨٨).

﴿ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يجوز أن يكون ﴿ مَن ﴾ استفهامية مُعلِّقة للعلم كأنه قيل: سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه؟[1]، وأن تكون موصولة منصوبة المحل [به][2]، والتقدير سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه[3]. أدخل الفاء في سوف في الأنعام[4] والزمر[5]

---

(١) وتكون مرفوعة على الابتداء.

(٢) ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في باقي النسخ.

والمراد أن (من) منصوبة بفعل العلم.

(٣) ذكر الوجهين الفراء في معاني القرآن (٢/٢٦-٢٧)، والزمخشري (٣/٢٣١)، وأبو حيان (٥/٢٥٧)، وغيرهم.

ورجح النحاس في إعراب القرآن (٢/١٠٨)، وابن الأنباري في البيان (٢/٢٧) الثاني.

(٤) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ سورة الأنعام، الآية (١٣٥).

(٥) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الزمر، الآيتين (٣٩-٤٠).

وتركها هنا لكونه بتقدير سؤال لأنه في مقام المحاجة معهم وفي[1] تينك السورتين أُمر بأن يقول لهم ذلك الكلام الذي يتعقبه ذلك الجزاء.

﴿ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ﴾ يريد نفسه على زعمهم لأنهم كانوا يدعونه كاذباً[2] ﴿ وَٱرْتَقِبُوٓاْ ﴾ انتظروا ما يحل بكم ﴿ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ﴾ راقب

(١) ق: بحذف الواو.

(٢) قاله الزمخشري (٣/٢٣١-٢٣٢) وأنقل كلامه بتمامه ليتضح رأيه أكثر، قال في الكشاف: "فإن قلت: قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول: من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين، ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم؟.

قلت: "القياس ما ذكرت، ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذباً قال: ﴿ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ﴾ يعني: في زعمكم ودعواكم؛ تجهيلاً لهم". اهـ.

وقد خالف ابنُ المنير في الانتصاف الزمخشري وذهب إلى أن الكلامين جميعاً لقوم شعيب ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحدُ كما تقول لمن تهدده: سوف تعلم من يهان ومن يعاقب، وهذا لا يخلو من دلالة على عاقبة شعيب -عليه السلام- لأن أحد الفريقين إذا كان مبطلاً فالآخر هو المحق قطعاً، ويكون هذا كقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة هود، من الآيتين (٣٨، ٣٩).

كالصريم بمعنى الصارم[1]، أو المراقب كالعشير بمعنى المعاشر، أو المرتقب كالفقير بمعنى المفتقر[2].

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾

ذكر ساقتي[3] قصة هود وشعيب بالواو[4] لعدم سبق ما يدل على السببية بخلاف

انظر: الانتصاف بهامش الكشاف (الموضع السابق).

وإلى نحو ما ذهب إليه ابن المنير ذهب أبوحيان أيضاً (٢٥٧/٥) إلا أنه لم يذكر تضمين الآية عاقبة شعيب -عليه السلام-.

وأما ابن جرير (٤٦٣/١٥) فقال: ﴿ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ﴾ يقول: ويخزي الذي هو كاذب في قيله وخبره منا ومنكم".

(١) الصَّرْمُ: القطعُ البائنُ، يقال: صَرَمَه يَصْرِمُه صَرْماً فانْصَرَم، والصَّرِيم يقال للفاعل والمفعول، فمن الفاعل: رجل صارم وسيف صارم وصريم، ومن المفعول: نخل صريم أي: مصروم.

انظر: الصحاح (صرم) (١٩٦٦/٥)، لسان العرب (صرم) (٣٣٤/١٢).

(٢) انظر: الكشاف (٢٣١/٣).

(٣) ساقة الشيء مؤخرته.

انظر: لسان العرب (سوق) (١٦٧/١٠).

(٤) قال تعالى في خاتمة قصة هود -عليه السلام-: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة هود، الآية (٥٨).

صالح ولوط فإنه تقدم فيهما الوعد بالإهلاك بقوله: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾[1] في قصة لوط وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾[2] في قصة صالح فلذلك جيء فيهما بالفاء[3] الدالة على سببية ما قبلها[4].

﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ صاح بهم جبريل[5] ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ لازمين لمكانهم موتى[6].

(١) سورة هود، من الآية (٨١).

(٢) سورة هود، من الآية (٦٥).

(٣) قال تعالى في خاتمة قصة صالح -عليه السلام-: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة هود، الآية (٦٦)، وقال تعالى في خاتمة قصة لوط -عليه السلام-: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة هود، الآية (٨٢).

(٤) انظر: الكشاف (٣/٢٣٢)، ملاك التأويل (٢/٦٥٦)، نظم الدرر (٩/٣٢٣، ٣٦٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/٤٦٤)، تفسير البغوي (٤/١٩٧)، زاد المسير (٤/١٥٤).

(٦) راجع ص(٧٩٢).

﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ ﴾ كأن لم يسكنوها ولم يكن لهم تصرف وتـردد ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ۝٩٥ ﴾ وجه الشبه بثمود أن كلاً منهما[1] كان هلاكه بالصيحة إلا أن صيحة ثمود كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوق، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: "لم يهلك الله طائفتين بعذاب واحد إلا ثمود ومدين"[2]، والبعد ضد القرب، واستعمل هنا بمعنى البَعَد بفتحتين[3] كالرَشَد[4] من بَعِد -بالكسر- إذا هلك.

---

(١) ص: منها.

(٢) ذكره الواحدي في البسيط (١/٣٣٠)، والرازي في التفسير الكبير (١٨/٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/١٥٤)، وتمامه: "فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وأما قوم شعيب فأخذتهم من فوقهم".

وذكر الواحدي والرازي أنه من طريق الكلبي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

والكلبي هو أبوالنضر محمد بن السائب: كذاب متروك الحديث.

انظر: كتاب الضعفاء والمتروكين ص(٢١١)، ميزان الاعتدال (٣/٥٥٦).

(٣) بَعِد يَبْعَد بَعَداً أَوَ بُعْداً إذا هلك.

انظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٣٧٨)، المفردات (بعد) ص(١٣٣)

(٤) قال الراغب في المفردات (رشد) ص(٣٥٤): "الرَّشَد والرُّشْد: خلاف الغي، يُستعمل استعمال =

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ ﴾ ما أتى به من المعجزة[1]، سُمي آيات: باعتبار الدلالة على صدقه، وسلطاناً واضحاً: باعتبار تسلّطه به على الخصم، أو الآيات الأحكام والسلطان براهينها، وقيل: السلطان استيلاء حبه على قلب من يراه لقوله: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾[2] لم يره أحد إلا أحبه، وقيل: لم يأخذه فشل ولا خوف من أول شأنه ولذلك أخذ بلحية فرعون وهو طفل[3] وقتل القبطي بين أظهر قومه[4].

الهداية، يقال: رَشَدَ يَرْشُدُ، وَرَشِدَ يَرْشَدُ... وقال بعضهم: الرَّشَدُ أخص من الرُّشْد، فإن الرُّشْد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشَدُ يقال في الأمور الأخروية لا غير". اهـ.

(١) قاله الزمخشري (٣/٢٣٢)، والبيضاوي (١/٤٦٨).

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٧٦).

(٢) سورة طه، من الآية (٣٩).

(٣) انظر قصة ذلك في تفسير ابن كثير (٥/٢٧٦، ٢٨٠).

(٤) ذكر الله تعالى قصة قتله -عليه السلام- للقبطي في سورة القصص قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة القصص، الآية (١٥).

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ أشرافه فإن العامة أتباع ﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ بعد ظهور تلك المعجزات ووضوح ذلك السلطان ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾[1] أي: ليس في أمره رشدٌ بل ضلال مكشوف أين البشر من مقام الألوهية؟ لا سيما بشر ظلوم به تضرب الأمثال في الغَشْم[2]، وإسناد الرشد إلى أمره مجاز حكمي.

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ لأنه كان إماماً في الكفر ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ يوردهم عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه[3] ﴿ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ الوِرْدُ: الماء الذي يَرِدُهُ المتعطشون لتبريد الأكباد[4]، استعارة تهكمية[5].

---

(١) في حاشية الأصل وَ ص: فيه تلميح إلى قوله لعنه الله: ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ سورة غافر، من الآية (٢٩). منه.

(٢) الغَشْم: الظلم.
انظر: لسان العرب (غشم) (٤٣٧/١٢).

(٣) انظر: البسيط (٣٣٢/١)، الكشاف (٢٣٣/٣).

(٤) قال ابن الأنباري: "الورد: مصدر معناه: الورود، تجعله العرب، بمعنى الموضع المورود". زاد المسير (١٥٥/٤)، وانظر: الصحاح (ورد) (٥٤٩/٢).

(٥) الاستعارة التهكمية: هي استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذم والإهانة.
انظر: الإيضاح للقزويني ص(٤٢٠)، الطراز (٢٤٦/١).

﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً ﴾ يُلعنون إلى يوم القيامة؛ لأن فرعون وقومه لم يَخْفَ قبحُ صنيعهم على أحد ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ يلعنهم أهل المحشر[1]، أو يطردون إلى النار فذلك هو لعن يوم القيامة[2] ﴿ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ هو[3] العطاء والإعانة، والمعنى: بئس العطاء المُعْطَى لعن الدنيا مضافاً إلى لعن الآخرة، أو بئس العون المُعان[4]، والمخصوص بالذم محذوف أي: رفدهم[5].

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ بعض أخبار القرى المُهْلَكة، مبتدأ

(١) ذكره الآلوسي في روح المعاني (٢٠١/١٢).

(٢) انظر: البسيط (٣٣٤/١)، زاد المسير (١٥٦/٤).

(٣) ق: وهو.

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٩٨/١)، والزجاج في معاني القرآن (٧٧/٣) وغيرهما.

وانظر الوجهين في: الكشاف (٢٣٣/٣)، تفسير البيضاوي (٤٦٩/١)، وليس بين الوجهين تعارض فإن العطية معونة، والعطاء الذي يعان به رفد.

انظر: الصحاح (رفد) (٤٧٥/٢)، المفردات (رفد) ص(٣٦٠).

(٥) ص: وفدهم.

وخبر ﴿ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ ﴾ قصصنا عليك، خبر بعد خبر[1] ﴿ مِنۡهَا قَآئِمٞ ﴾ باقٍ مشاهد ﴿ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود، استعارة تبعية والجملة لا محل لها[2]، وقيل[3]: حال عن ضمير ﴿ نَقُصُّهُۥ ﴾ ولا ضمير فيه ولا واو[4].

﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ ﴾ بما فعلنا بهم ﴿ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أوردوها مورد الهلاك ﴿ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴾ فما قدرت أن تدفع عنهم من بأس الله أدنى شيء ﴿ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ

(١) انظر: الكشاف (٣/٢٣٣).

(٢) قال به الزمخشري (٣/٢٣٤)، والبيضاوي (١/٤٦٩).

(٣) حاشية في جميع النسخ: قائله أبوالبقاء.

ومراده بأبي البقاء: العكبري.

انظر قولـــه في: التبيان (٢/٧١٣).

(٤) قال البيضاوي (١/٤٦٩): "وقيل: حال من الهاء في ﴿ نَقُصُّهُۥ ﴾ وليس بصحيح إذ لا واو ولا ضمير". اهـــ.

ومراده أن الجملة خلت من الرابط فلا يصح أن يكون حالاً. والله أعلم.

رَبِّكَ ﴾ عذابه، ظرف ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[1] إهلاك، من تبَّ إذا هلك[2].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ﴾ ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك ﴿ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ أي: أهلكها ﴿ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ إيقاع الأخذ ونسبة الظلم إلى القرى مبالغة في استحقاق أهلها ذلك إشارة إلى أن كل ظالم بصدد[3] ذلك لوجود العلة[4].

---

(١) انظر: الكشاف (٢٣٤/٣).

(٢) قاله أبوعبيدة في مجاز القرآن (٢٩٩/١)، والطبري (٤٧٢/١٥) وجماعة، وقال بعض المفسرين: ﴿ تَتْبِيبٍ ﴾ تخسير.

انظر: الطبري (٤٧٣/١٥)، معاني القرآن للزجاج (٧٧/٣)، الكشاف (٢٣٤/٣) والمعنيان متقاربان فإن الهلاك خسران، وهو -تب- في اللغة يرجع إلى هذين المعنيين. والله أعلم.

وانظر: معجم مقاييس اللغة (تب) (٣٤١/١)، لسان العرب (تبب) (٢٢٦/١).

(٣) ق: "بعد" بدلاً من: "بصدد".

(٤) قال البيضاوي (٤٦٩/١): "﴿ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها، وفائدتها: الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم، وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة". اهـ.

﴿ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ شديدٌ أَلَمُه لا يمكن الخلاص/ منه، صفة بعد صفة زيادة تحذير.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ فيما أخبرنا عن حال القرى ﴿ لَأٓيَةً ﴾ عبرة ﴿ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِۚ ﴾ يستدل بما نزل بهم في الدنيا على عذاب الآخرة، أو لمن يقول بالحشر فإن من أنكر ذلك من الفلاسفة(١) والدهرية(٢) لم ينجع(٣) فيه ذلك لإحالته تلك الوقائع على أسباب فلكية.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى اليوم المدلول عليه بالآخرة ﴿ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾ للحساب فيه والثواب والعقاب.

---

(١) الفلسفة: كلمة يونانية تتكون من مقطعين هما: فيلو. سوفيا، ومعناها: محب الحكمة. والفلاسفة المنتسبون للإسلام لهم آراء تخالف ما عليه المسلمون، من ذلك قولهم: بقدم العالم، وإنكارهم لعلم الله بالجزئيات، وإنكارهم للبعث الجثماني وغير ذلك.

وأما الفلاسفة من غير المنتسبين للإسلام فأكثرهم لا يؤمن باليوم الآخر مطلقاً.

انظر: الملل والنحل ص(٣١٢)، إغاثة اللهفان (٢/٢٥٦)، شرح العقيدة الطحاوية ص(١٠٢).

(٢) انظر: ص(٥٠١).

(٣) ق: يحتج.

آثر الاسم على الفعل[1] دلالة على أن ذلك الوصف لازم لـه لا محالة[2]، وخص[3] الناس بالذكر وإن كان الجن أيضاً يحاسبون فيه لقوله: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾[4] لأن الناس هم المقصودون أصالة.

﴿ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ مشهود معروف عظمته كقولهم: لفلان مجلس مشهود. أي: يشهده كل أحد، جعل[5] الشهود كناية عن الشهرة فلا يحتاج إلى تقدير "فيه" إلا لبيان الأصل[6]، ولا يجوز أن يجعل اليوم مشهوداً كما في قولـه: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[7]؛ لأن ذلك الشهود قد علم من قولـه:

(١) أي: قوله: ﴿ مَّجْمُوعٌ ﴾ على: يجمع.

(٢) قاله الزمخشري (٣/٢٣٤)، والبيضاوي (١/٤٧٠).

(٣) كذا في الأصل، وسائر النسخ بحذف الواو.

(٤) سورة الرحمن، الآية (٣١).

(٥) ق: أو جعل.

(٦) في حاشية الأصل وَ ص: قائله القاضي.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٧٠).

والمقصود أن الأصل هو: مشهود فيه، ولكن حذف وأبهم تفخيماً وتعظيماً.

(٧) سورة البقرة، من الآية (١٨٥).

﴿ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾ وإنما المراد التهويل بأنه يوم يشهد فيه الخلائق قاطبة لا يغيب عنه ذو حياة[1] كما فُصِّل في سورة كوّرت.

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ ﴾ إلا لانتهاء زمان معلوم أجزاؤه في علمنا الشامل.

يَوْمَ ﴿ يَأۡتِ ﴾ أي[2]: الحسابُ، أو ذلك اليوم[3] أي: شدائده وأهواله فلا يلزم كون الشيء ظرفاً لنفسه[4]، أو الله[5] ويؤيده قوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾[6].

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٧٨)، والزمخشري (٣/٢٣٦)، وابن الجوزي (٤/١٥٨)، وابن كثير (٤/٢٧٩)،

(٢) ق: إلى.

(٣) قال به الطبري (١٥/٤٧٨)، وابن الجوزي (٤/١٥٨)، وابن كثير (٤/٢٧٩)، وجوّزه الزمخشري (٣/٢٣٦).

(٤) قاله الزمخشري (٣/٢٣٦).

(٥) قال به الزمخشري (٣/٢٣٦)، وذكر البيضاوي الأقوال الثلاثة (١/٤٧٠).

(٦) سورة البقرة، من الآية (٢١٠).

﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ هذا في موقف وقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1] في موقف[2] ولهذا نظائر كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾[3] وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾[4]، وما يقال[5]: المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع[6] عنه

---

(١) سورة المرسلات، آية (٣٦).

(٢) قال به الزمخشري (٣/٢٣٦)، والرازي في التفسير الكبير (١٨/٤٩)، والبيضاوي (١/٤٧٠) وغيرهم.

وانظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (سورة المرسلات).

(٣) سورة الحجر، آية (٩٢).

(٤) سورة الرحمن، الآية (٣٩).

وأجيب عن هاتين الآيتين ونظائرهما بجواب آخر وهو أن السؤال قسمان: سؤال توبيخ وتقريع، وسؤال استخبار واستعلام، فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام.

وقد رجح الشنقيطي هذا الوجه لدلالة القرآن عليه.

قال -رحمه الله-: "وجه دلالة القرآن على هذا أن سؤاله لهم المنصوص في كله توبيخ وتقريع كقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ سورة الصافات الآيتين (٢٤، ٢٥)، وقوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ سورة الطور، الآية (١٥)...".

دفع إيهام الاضطراب، سورة الأعراف ص(١٣١)، وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٧٨).

(٥) حاشية في ق: قائله القاضي.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٧٠).

(٦) ق: والمصنوع.

الاعتذارات الباطلة[1] تكلف بما لا دليل عليه.

﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الضمير للناس المجموعين، أو للنفس فإنه عام.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الزفير: أول صوت الحمار، والشهيق: آخره لأن[2] الزفير إدخال النَفَس والشهيق إخراجه[3]، شبه صوتهم في الحالين بصوت الحمار استقباحاً لكونه أنكر الأصوات، والزفير -أيضاً- اغتراق النَفَس[4] من الشدة، فالمراد بيان شدة حالهم وتراكم كربهم[5]؛ وهذا مشاهد فيمن أصابه شدة وَهَمٌّ تراه لـه زفرات متوالية تتبعها شهقات.

---

(١) أجاب بهذا الجواب الرازي في التفسير الكبير (١٨/٤٣)، والبيضاوي كما سبق في الحاشية رقم (٥) في الصفحة السابقة.

(٢) ق: كان.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٨)، تفسير الطبري (١٥/٤٧٩)، تهذيب اللغة (زفر) (١٣/١٩٣)، شهق (٥/٢٩٠).

(٤) اغتراق النفس: استيعابه في الزفير. انظر: لسان العرب (غرق) (١٠/٢٨٥).

(٥) انظر: البسيط (١/٣٤٤).

﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ تأكيد للخلود بما يتعارفه الناس وجرت عادتهم به في التأبيد[1] لا يفهمون منه غير ذلك كقولهم: ما لاح كوكب، وما أقام ثَبِير[2][3].

قال امرؤ[4] القيس:

.... وإنِّي مقيمٌ ما أقامَ عَسِيْبُ[5]

---

(١) ق: التأييد.

(٢) ثبير: اسم جبل بمنى.

انظر: معجم البلدان (٢/٧٢).

(٣) قال به ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص (٧٦)، والطبري (١٥/٤٨١)، وابن الأنباري زاد المسير (٤/١٥٩)، والزمخشري (٣/٢٣٧).

(٤) ق: قال لـه امرئ.

(٥) عجز بيت وصدره:

أجارتنا إنَّ المزارَ قريبُ ....

وذلك أنه رحل إلى بلاد الروم فثقل، فلما دنا موته رأى قبراً فسأل عنه فقيل: لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت هناك فأنشد الشعر، قال ابن قتيبة في الشعر والشعر (١/١٢١): "وعسيب: جبل هناك".

وانظر: البيت في ديوانه ص (٣٥٧).

أو المراد سماوات الآخرة وأرضها إذ لابد لهم من مظلة ومقلة(١)، وما يقال: إنه تشبيه بما لا يعرفه أكثر الخلق(٢) ساقط؛ لأن هذا القدر ضروري عند من يقول بالحشر. ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ استثناء من الخلود؛ لأن(٣) عصاة الموحدين [الذين](٤) يدخلونها خارجون(٥) منها(٦)، فعلى هذا ﴿ مَا ﴾ بمعنى "من"، أو أريد

---

(١) قال به الضحاك والحسن وذكره الزمخشري (٣/٢٣٧).

انظر: تفسير البغوي (٤/٢٠٠)، زاد المسير (٤/١٦٠)، الدر المنثور (٤/٤٧٧).

(٢) أورد هذا الاعتراض الرازي في التفسير الكبير (١٨/٥٢).

وأورده البيضاوي (١/٤٧٠) مضعفاً به هذا القول.

ومعنى هذا الاعتراض: أن سماء الآخرة وأرضها غير معلومتين عند أكثر الخلق وجوداً ودواماً، فالتشبيه بما ليس معلوماً لا يصح.

(٣) ق: فإن.

(٤) ساقطة من ق.

(٥) ق: خارجين.

(٦) قال به ابن عباس -رضي الله عنهما-. زاد المسير (٤/١٦٠)، ورواه الطبري (١٥/٤٨٢) عن قتادة وأبي سنان والضحاك وخالد بن معدان، واختار هو -الطبري- هذا القول (١٥/٤٨٤)، قال ابن كثير (٤/٢٨١): "وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية =

بها الصفة كقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ ﴾[1] تقديره: خالدين فيها إلا الذين تداركتهم[2] رحمة الرحمن لا لاستحقاق منهم.

وعن الزجاج[3]: هو من قبيل ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[4] وقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[5][6].

الكريمة". اهـ.

وانظر: أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها في شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٨٢).

(١) سورة الشمس، الآية (٥).

(٢) ق: تداركهم.

(٣) في ص قدم قوله: (وعن الزجاج) بعد قوله: (رحمه الرحمن).

(٤) سورة الدخان، من الآية (٥٦).

(٥) سورة الأعراف، من الآية (٤٠).

(٦) قال الزجاج عند آية الأعراف: "المعنى: لا يدخلون الجنة أبداً". معاني القرآن (٢/٣٣٨).

وقال عند آية الدخان: "المعنى: لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا". المرجع السابق (٤/٤٢٨).

وقول الزجاج الذي أشار إليه المؤلف ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣/٧٩) ناسباً إياه لأهل =

وقيل: هو مدة لبثهم في البرزخ والموقف فإن حال الكافر يقتضي[1] أن يكون في النار بمجرد فراق روحه[2]، ولا يمتنع أن يكون الوصفان قائمين بشخص واحد باعتبارين[3]، هذا والأحسن أن يقال من كان آخره إلى الجنة من الموحدين وإن دخل النار لا يطلق عليه اسم الشقي لقوله: "الشقي من شقي في بطن

اللغة البصريين والكوفيين قال -رحمه الله-: "إلا ما شاء ربك وهو لا يشاء أن يخرجهم منها كما تقول: أنا أفعل كذا وكذا إلا أن أشاء غير ذلك، ثم تقيم على ذلك الفعل وأنت قادر على غير ذلك، فتكون الفائدة في هذا الكلام أن لو شاء يخرجهم لقدر، ولكنه قد أعلمنا أنهم خالدون أبداً". اهـ.

وانظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٨).

(١) ق: تقتضي.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٨٠)، المحرر الوجيز (٣/٢٠٩).

(٣) مراده بالوصفين: الشقاء والسعادة.

وقد ذكر هذا البيضاوي رداً على اعتراضٍ على القول الأول مفاده أن العصاة دخلوا في القسمين فقال:

"ولا يقال: فعلى هذا لم يكن قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ تقسيماً صحيحاً... قال: وهاهنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة، وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين". (١/٤٧١).

أمه"[1]، يريد بذلك شقاء الأبد لا أنه[2] يدخل النار ثم يخرج ولقوله: « خلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وخلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي »[3]، والاستثناء باعتبار أيام البرزخ والموقف فيه خفاء؛ لأن الاستثناء من الخلود ظاهر[4] في الإخراج بعد الدخول مُدرك بالذوق السليم.

وقيل: الاستثناء من ﴿ زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[5].

وقيل: ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى سوى، والمعنى: سوى ما شاء الله من الزيادة على

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٤/٢٠٣٧ رقم ٣) عن ابن مسعود -ﷺ- من قوله، ومعناه ثابت عن النبي ﷺ في عدة أحاديث في الباب المذكور.

(٢) ق: لأنه.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر (٢/٨٩٨)، والإمام أحمد (١/٤٤ رقم ٣١١)، والترمذي تفسير القرآن. سورة الأعراف وقال: حديث حسن (٨/٢٣٣)، وابن جرير (٩/٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٥)، وصححه ووافقه الذهبي، والبغوي في التفسير (٣/٢٩٨)، وشرح السنة (١/١٣٩).

(٤) ص: وظاهر.

(٥) نقل هذا القول الزجاج في معاني القرآن (٣/٨٠).

بقاء السماوات والأرض[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ لا اعتراض عليه ولا لـمِّيَّة[2] لفعله.

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ غير منقطع[3]، بل ممتد إلى غير النهاية، تأكيدٌ لمعنى الخلود ودفعٌ لما يُتوهم من الانقطاع بزوال السماوات والأرض حملاً للكلام على الظاهر[4].

---

(١) ذكره الزجاج (٣/٧٩) عن أهل اللغة البصريين والكوفيين وقال: كما تقول لك عندي ألف درهم سوى الألفين، وإلا الألفين اللذين لك عندي.

وانظر الأقوال جميعاً في: البسيط (٣٤٨/١)، المحرر الوجيز (٢٠٨/٣)، زاد المسير (١٦٠/٤)، تفسير البيضاوي (٤٧١/١)، الدر المصون (٣٩١/٦).

(٢) ق: كمية.

والمعنى أنه لا يقال لــه تعالى: لم فعل كذا؟ بل هو الفعال لما يريد.

(٣) كذا في الأصل، وباقي النسخ: مقطوع.

وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢١٠)، تفسير الطبري (٤٨٩/١٥).

(٤) في حاشية الأصل وَ ص: والكلام في الاستثناء كما تقدم.

وبعض المحققين أجرى الاستثناء في الأول على ظاهره باعتبار إخراج فساق المؤمنين بخلاف الثاني =

فإن الاستثناء باعتبار ما لهم من لقاء الله ورضوانه. منه.

وهذا التوجيه في الاستثناء الثاني قد يراد به ما ذكره الزمخشري حيث قال: هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعاً وهو رضوان الله، ولهم ما يتفضل به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو. الكشاف (٢٣٧/٣) مختصراً.

أو يراد به ما نقله الألوسي بقوله: إن ذلك لبيان أن ثواب أهل الجنة لا ينقطع، فيعلم أن الاستثناء ليس للدلالة على الانقطاع كما في العقاب، بل للدلالة على ترادف نعم الله تعالى ورضوانه. روح المعاني (٢١٨/١٢) مختصراً.

ولم يتكلم المؤلف -رحمه الله- على الاستثناء في حق أهل الجنة اكتفاء بما ذكره قبل ذلك في حق أهل النار -كما أشار إلى ذلك في الحاشية السابقة-.

وأعيد الأقوال التي ذكرها والتي تصلح في هذا الموضع:

١- أن الاستثناء من قدر مكثهم في النار، والمراد: عصاة المؤمنين الذين يدخلون النار، ثم يخرجون منها إلى الجنة، فهم خالدون في الجنة إلا قدر هذا المكث في النار.

وقد اختار هذا القول الطبري (٤٨٩/١٥) وغيره.

٢- أنه من قبيل: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ سورة الدخان، من الآية (٥٦)، فمعناه أنهم لا يموتون، فأهل الجنة أيضاً خالدون لا يخرجون منها أبداً.

٣- أنه استثناء من مدة لبثهم في البرزخ والموقف.

٤- أن "إلا" بمعنى: سوى.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ سُعِدُواْ ﴾ على بناء المفعول[1]، من سعد متعدياً بمعنى أسعد[2]، والفتح أولى لأنه أكثر ولازدواجه بما تقدمه من المقابل[3].

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ بعد ما قص عليك من أحوال الأنبياء وأحوال أممهم، وما نزل بهم بسبب تكذيب الرسل وعبادة غير الله تعالى ﴿ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ من عبادتهم[4] وبطلانها ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم

---

(١) قراءة حمزة والكسائي وحفص ﴿ سُعِدُواْ ﴾ بضم السين وكسر العين، وقراءة الباقين: ﴿سَعِدوا﴾ بفتح السين وكسر العين.

انظر: السبعة ص (٣٣٩)، الإقناع (٢/٦٦٦).

(٢) يقال: سعده الله أي: أسعده.

ومعنى ﴿ سُعِدُواْ ﴾ أي: رُزقوا السعادة.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٤٨٦).

(٣) الذي هو: ﴿ شَقُواْ ﴾.

انظر: الكشف لمكي (١/٥٣٦).

(٤) وعليه فإن (ما) مصدرية. وجوز الزمخشري (٣/٢٣٩)، والبيضاوي (١/٤٧١) وغيرهم أن تكون موصولة.

مِّن قَبْلُۚ ﴾ استئناف لتعليل النهي عن المرية، يريد أن حال هؤلاء في الشرك مثل حال آبائهم [فسينزل[1] بهم مثل ما نزل بأولئك[2] لأن[3] التماثل في الأسباب يستلزم تماثل المسببات[4]، و (ما) مصدرية أي: كعبادتهم أو موصولة كالشيء الذي كانوا][5] يعبدونه[6]، حذف لفظ كان لدلالة ﴿ قَبْلُۚ ﴾ على معناه.

﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ لمعطوهم حظهم من العذاب وافياً[7]، أو رزقهم المُقدَّر[8] فيكون/ إشارة إلى سبب تأخير العذاب مع قيام موجبه[9]،

(١) ق: فينزل.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٢٣٩).

(٣) ق: فإن.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٧١).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٦) انظر: الكشاف (٣/٢٣٩)، تفسير البيضاوي (١/٤٧١)، البحر المحيط (٥/٤٦٥)، الدر المصون (٦/٣٩٤).

(٧) رواه الطبري (١٥/٤٩٢) عن ابن زيد. وبه قال الزمخشري (٣/٢٣٩).

(٨) قاله أبوالعالية. زاد المسير (٤/١٦٢).

وروى الطبري (١٥/٤٩٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "ما وعدوا من خير أو شر".

واختار الطبري هذا القول (١٥/٤٩١).

وانظر: التفسير الكبير (١٨/٥٥).

(٩) قاله البيضاوي (١/٤٧١).

يقال: أَوْفى دينه وَوَفَّاه إذا لم يبق عليه منه شيء[1].

﴿ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩ ﴾ حال مؤكدة تقطع وَهْمَ التجوز[2].

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ ﴾ آمن به طائفة وكفر به أخرى كما اختلفت في القرآن ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ ﴾ هي كلمة

---

(١) فيه إشارة إلى خلاف ما ذكره الزمخشري (٢٣٩/٣)، والبيضاوي (٤٧١/١)، قال الزمخشري: "﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ ﴾ أي: حظهم من العذاب... فإن قلت: كيف نصب ﴿ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴾ حالاً من النصيب الموفى؟

قلت: يجوز أن يوفى وهو ناقص، ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول: وفيته شطر حقه، وثلث حقه، وحقه كاملاً وناقصاً". اهـ.

قال أبوحيان في البحر المحيط (٤٦٥/٥): وهذه مغلطة إذاقال: وفيته شطر حقه فالتوفية وقعت في الشطر وكذا ثلث حقه، والمعنى: أعطيته الشطر أو الثلث كاملاً لم أنقص منه شيئاً، وقوله: وحقه كاملاً صحيح وهي حال مؤكدة لأن التوفية تقتضي الإكمال، وأما: ناقصاً فلا يقال لمنافاته التوفية. اهـ مختصراً.

وانظر: الانتصاف (بحاشية الكشاف، الموضع السابق).

(٢) انظر: البحر المحيط (الموضع السابق)، فتوح الغيب ص(٣١٦).

الإنظار إلى يوم القيامة(١) ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ بين قوم موسى أو قومك(٢)، وهذا من جملة التسلي أيضاً ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من القرآن(٣) ﴿ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾ موقع في القلق والاضطراب.

﴿ وَإِنَّ كُلًّا ﴾ التنوين عوض المضاف إليه أيْ: وإن كل المختلفين. وقرأ نافع وابن كثير وأبو بكر ﴿إنْ﴾ مخففاً(٤) على الإعمال، قال سيبويه: سمعت من أثق [به](٥) من العرب: إنْ عمراً لمنطلق، وأنشد نظيراً لـه:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٩٣/١٥)، الكشاف (٢٣٩/٣)، زاد المسير (١٦٢/٤).

(٢) قال في البسيط (٣٥٧/١): "ابن عباس والكلبي وأكثر أهل التفسير على أن هذا في كفار مكة، وقال مقاتل بن سليمان يعني بهذا قوم من أصحاب موسى، والظاهر هو الأول...".

وانظر: الكشاف (٢٣٩/٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي (١٦٣/٤)، والبيضاوي (٤٧١/١)، وابن كثير (٢٨٣/٤) وغيرهم، وفرَّع الواحدي (٣٥٧/١) في البسيط الخلاف فيه على الخلاف في قوله: ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ فقال: "﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ يعني: من القرآن، وفي قول مقاتل: من كتاب موسى". اهـ.

(٤) وقرأ الباقون ﴿وإنَّ﴾.

انظر: السبعة ص(٢٣٩)، التيسير ص(١٠٣)، النشر (٢٩٠/٢).

(٥) ساقطة من ق.

.... كَأَنْ ثَدْيَيْه[1] حُقَّانِ[2][3]

وقيس ذلك على "لم يك شيئاً" لأن الفعل أصل في العمل[4].

---

(١) ص: ثديه.

(٢) عجز بيت، وصدره: وَوَجْهٌ مُشْرِقُ النَّحْرِ.

وهو من شواهد سيبويه التي لم تنسب.

والنحر هو الصدر أو أعلاه، والحُق: وعاء ينحت من الخشب أو العاج ونحوها، شبه الثديين بهما لنهودهما.

والشاهد منه تخفيف (إن) وإعمالها.

انظر: الكتاب (١٤٠/١)، تفسير الطبري (٤٩٧/١٥)، الخزانة (٣٥٨/٤)، الدر المصون (٣٩٨/٦).

(٣) الكتاب (١٤٠/٢).

(٤) قال سيبويه في الكتاب (الموضع السابق): "وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل فلما حذف من نفسه شيء لم يُغيِّر عملُه كما لم يُغيِّر عمل: لَمْ يَكُ...".

وقد اختلف النحاة في هذه المسألة وهي: حكم إعمال "إنْ" إذا جاءت مخففة.وقد ذهب البصريون إلى جواز الإعمال والإهمال، وأما الكوفيون فيوجبون الإهمال.

انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٣٨٦/٤)، تسهيل الفوائد لابن مالك ص(٦٣)، الدر المصون (٣٩٨/٦).

﴿ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ اللام موطئه للقسم [و (ما) مزيدة للفصل بين الموطئة ولام القسم][1] في ﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾[2]، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة مشدداً[3] أصله "لِمَنْ ما" فأدغمت النون في الميم[4]، ومن قرأ ﴿إنْ﴾ مخففاً و ﴿لَّمَّا﴾ مشدداً[5] جعل ﴿إن﴾ نافية و ﴿لما﴾ بمعنى إلا ونصب ﴿كلاً﴾ بفعل[6]

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٢) وهذا التوجيه بناء على قراءة (لما) بالتخفيف، راجع الحاشية القادمة.

وانظر: الكشاف (٢٤٠/٣)، تفسير البيضاوي (٤٧٢/١).

(٣) وقرأ باقي السبعة (لما) بالتخفيف.

انظر: السبعة ص(٣٣٩)، التيسير ص(١٠٣)، النشر (٢٩١/٢).

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن (٢٩/٢).

والمقصود أنه بعد الإدغام اجتمعت ثلاث ميمات فحذفت إحداهن، والتقدير: وإن كلاً لمن الذين ليوفينهم ربك أعمالهم.

وانظر: مشكل إعراب القرآن (٤١٥/١)، الدر المصون (٤٠١/٦).

(٥) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم كما سبق.

(٦) ص: يفعل.

يفسّـره ﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾[1]، ويجوز أن يكون اللام هي الفارقة في قراءة التخفيف ولام الابتداء في قراءة التشديد و ﴿ما﴾ زائدة للفصل بين اللامين.

﴿ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾ لا يخفى عليه شيء منها.

أطنب في الوعد والوعيد وأحوال الأمم وأن الرسل بعد التبليغ لم يزغ[2] أحد منهم عن سنن الصواب ومن آمن معهم ثم قال: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ أمره بالاستقامة كما استقاموا، ولشدة الوفاء بحق الاستقامة قال: «شيبتني هود وأضرابها»[3] يريد الأمر بالاستقامة[4].

وروى الترمذي عن ابن عباس أن أبا بكر سأل رسول الله ﷺ عن سرعة

---

(١) والتقدير: وما يوفين كلاً إلا ليوفينهم.
وانظر: الدر المصون (٦/٤٠٧).

(٢) ق: يزع.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل، باب ما جاء في شيب رسول الله ﷺ ص(٥٦)، وأبويعلى في مسنده (٢/١٨٤ رقم ٨٨٠) عن أبي جحيفة -رضي الله عنه-، وقال الألباني: إسناده صحيح بما قبله. اهـ، مختصر الشمائل ص(٤٠).
ويعني بالذي قبله حديث أبي بكر -رضي الله عنه- الآتي.
ورواه الطبراني في الكبير (١٧/٢٨٧ رقم ٧٩٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/٣٧٤) عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه-.

(٤) انظر: الكشاف (٣/٢٤٠)، الجامع للقرطبي (٩/١٠٧)، فيض القدير للمناوي (٤/١٦٩).

شيبه؟ فقال: «شيبتني هود والواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»[1] فالظاهر أنه أراد أهوال القيامة لاشتمال هذه السور عليها[2].

﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ عطف على المستكن بلا تأكيد لوجود الفاصل[3].

﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ لا تتجاوزوا عن حد الاستقامة، تصريح بما علم ضمناً ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ إشارة إلى كمال علمه بخطرات القلوب وهواجس الضمائر فهي كالمحسوس المشاهد عنده جلاءً وظهوراً.

---

(١) رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، سورة الواقعة (٩/٣٧)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. اهـ. ورواه أيضاً في كتاب الشمائل ص(٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٤٢) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البغوي في التفسير (٤/٢٠٨)، وشرح السنة (١٤/٣٧٢) وصححه الألباني، مختصر الشمائل المحمدية ص(٤٠).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي (٩/١٨٤).

ولا مانع من أن يكون هذا وغيره مما في السورة سبباً للشيب. والله أعلم.

وانظر: فيض القدير للمناوي (٤/١٦٩).

(٣) قولـه تعالى: ﴿ وَمَن ﴾ معطوف على الضمير المستتر في ﴿ استَقِمْ ﴾ وتقديره: أنت، ولم يُؤكد بضمير منفصل لوجود الفصل بالجار والمجرور ﴿ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ وهو يغني عن التأكيد بالضمير المنفصل.

انظر: الكشاف (٣/٢٤٠)، تفسير البيضاوي (٤٧٢).

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ لا تميلوا أدنى ميل إلى من وجد منه أدنى ظلم، غاية تحذير فإن قرين السوء أشد إغواءً من الشيطان، وإذا كان الركون الذي هو يسير إلى من وجد منه أدنى ظلم مخلاً بالاستقامة فكيف بالميل التام ثم الظلم الكامل ثم الانهماك فيه؟ ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [بها][1] يترتب على الركون إذ قلَّ ما يخلو عن نوع مداهنة ومشايعة [معهم][2] في هواهم، وفي الحديث: «مثل صاحب[3] السوء كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة [خبيثة][4]»[5].

﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: ولياً يتولى أمركم وينصركم بمنع العذاب، الواو للحال[6] ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ أي: لا ينصركم الله لأنه لا ناصر بعد أوليائهم غيره[7]، ﴿ ثُمَّ ﴾ لاستبعاد النصر بعد[8] الإيقاظ

---

(١) ساقط من ص.

(٢) ساقط من ص، وفي ق: منهم.

(٣) ق: الصاحب.

(٤) ق: كريهة.

(٥) سبق تخريجه

(٦) نظر: الكشاف (٣/٢٤٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٢)، البحر المحيط (٥/٢٦٩).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٠٠)، الكشاف (٣/٢٤٢).

(٨) في الأصل: بعد في الإيقاظ... إلخ، والمثبت من باقي النسخ.

والتحذير عن ارتكاب أسباب العذاب[1].

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ عطف على ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾. ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ نصب على الظرف[2]، [هما][3] الغداة والعشي، والمراد: صلاة الصبح والظهر والعصر[4]، لأن بعد طلوع الفجر إلى الزوال غداة ومنه إلى الغروب عشية.

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٢٤٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٢).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١١٧).

(٣) ساقطة من ق.

(٤) قال ابن جرير (١٥/٥٠٢): "اختلف أهل التأويل في التي عُنيت بهذه الآية من صلوات العشي بعد إجماع جميعهم على أن التي عُنيت من صلاة الغداة: الفجر.

فقال بعضهم: عُنيت بذلك صلاة الظهر والعصر. قالوا: وهما من صلاة العشي". ثم روى هذا القول عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي والضحاك.

وقد تعقب أبوحيان ابن جرير في حكايته السابقة للإجماع فذكر أقوالاً عن بعض المفسرين تدل على خلاف ذلك، البحر المحيط (٥/٢٦٩).

وقد اختار القول الذي ذكره المؤلف الزجاج في معاني القرآن (٣/٨٢)، والواحدي في البسيط (١/٣٦٩)، والزمخشري (٣/٢٤٢) وغيرهم، ونقله ابن حجر في فتح الباري عن مالك وابن حبيب (٨/٣٥٥).

﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ جمع زُلْفَة كظُلَم وظُلْمة[1]، والزلفة: القربة[2]، والمراد بها صلاة المغرب والعشاء[3] لقربهما[4] من آخر النهار. روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[5]، ولذلك[6] أتبعه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ تكفرها. روى البخاري عن ابن مسعود أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: "إني أصبت من امرأة قبلة، فسكت رسول الله ﷺ فلما أقيمت الصلاة قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة فلما انصرف من الصلاة

---

(١) كذا في الأصل، وسائر النسخ: كظلم في ظلمة.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/٣٠٠)، تفسير الطبري (١٥/٥٠٥).

(٣) رواه ابن جرير (١٥/٥٠٧) عن الحسن ومجاهد وقتادة ومحمد بن كعب القرظي والضحاك، ونسبه في البسيط (١/٣٧٠) لابن عباس -رضي الله عنهما- وقال: "هذا قول عامة المفسرين غير مقاتل فإنه يقول: هو صلاة العشاء...".

واختار هذا القول الزجاج (٣/٨٢)، والزمخشري (٣/٢٤٢)، والبيضاوي (١/٤٧٢).

(٤) ص: لقربها.

(٥) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٣/١١٧ بشرح النووي) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بسياق أطول.

(٦) في الأصل: وكذلك، والمثبت من باقي النسخ.

تعرض له فقال له رسول الله ﷺ: «ألم تصل معنا؟» قال: بلى، قال: «[إن][1] هذه الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[2].

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكور من الاستقامة وما بعده[3]، وقيل: القرآن[4] ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ تذكير وموعظة ﴿ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤ ﴾ للمتذكرين فإنهم المنتفعون به.

﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ على مشاق ما أمرت من الاستقامة والانتهاء عما يخل به ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٥ ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر إشارة إلى علة

(١) ساقطة من ق.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ في البخاري، ولفظ البخاري: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزلت عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤ ﴾ قال الرجل: ألي هذه؟ قال: «لمن عمل بها من أمتي». كتاب التفسير، سورة هود، باب قوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤ ﴾ (٥/٢١٤).

(٣) قال به الزمخشري (٣/٢٤٤)، البيضاوي (١/٤٧٣).

(٤) قال به الواحدي في الوسيط (٢/٥٩٦).

وانظر: زاد المسير (٤/١٦٩).

الحكم، وإلى أن الصلاة والصبر إحسان، وإيماء إلى أنه لا يعتد بشيء من الأعمال بدون الإخلاص[1] على ما فسر به الإحسان في الحديث[2].

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾لولا بمعنى: هلا[3] حرف تحضيض معناهما اللوم على ترك الفعل في الماضي، أشار إلى أن ما حلَّ بتلك الأمم كان لأمرين[4] : الإخلال بما هو [من][5] أعظم أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتباع الشهوات.

والبقية من بقيّة الشيء لأنها تُحفظ وتُصان، أيْ: فهلا كان أولو بقاء وصيانة لأنفسهم من سخط الله وعقابه، أو البقية بمعنى الفضل والجودة فإن المنفق يسمح

---

(١) ذكر هذه الفوائد البيضاوي في تفسيره (١/٤٧٣).

(٢) أي: حديث جبريل الطويل حين سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال في جوابه عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١/٣٦ رقم ١) عن عمر بن الخطاب -ﷺ-.

(٣) قاله الأخفش في معاني القرآن (١/٢٩٤) وابن قتيبة في غريب القرآن (١/٢١٦)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/١١٧)، والزمخشري في الكشاف (٣/٢٤٥)، والبيضاوي (١/٤٧٣) وغيرهم.

(٤) ق: للأمرين.

(٥) ساقطة من ق.

بإخراج الرديء، يقال: زيد من بقايا الناس أي: من خيارهم، ومنه قولهم: "في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا"، أو من بقيته بمعنى رَقبته وانتظرته ومنه حديث ابن عباس في نومه في بيت ميمونة: "كرهت أن يرى أني كنت أبقيه"[1]، والمعنى: هلا كان منهم أولو خشية ومراقبة من سخط الله[2].

﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ/ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الاستثناء منقطع[3] و ﴿ يَنْهَوْنَ ﴾ خبر بعد خبر [أو هو خبر][4] و[5] ﴿ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ حال قدمت، أو ﴿ يَنْهَوْنَ ﴾ صفة والاستثناء متصل، والمعنى: لولا كان من القرون أولو فضل صفتهم وشأنهم النهي عن الفساد ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾. وإذا جعل ﴿ يَنْهَوْنَ ﴾ خبر فلا يستقيم الاتصال إلا على تأويل أن الاسم كالتمهيد للخبر

---

(١) لم أقف على هذه الرواية. والله أعلم.

(٢) انظر الأوجه جميعاً في: الكشاف (٣/٢٤٥-٢٤٦)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٣).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٠) معاني القرآن للزجاج (٣/٨٣)، مشكل إعراب القرآن (١/٤١٦)، الكشاف (٣/٢٤٦).

(٤) ص: أو هو خبر بعد خبر.

(٥) الواو ساقطة من ق.

وأن الاستثناء من كل منهما استثناء من الآخر[1] فكأنه قيل: ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً[2]، ولو أجري الكلام على ظاهره في الاتصال وقيل: لم يكن في القرون أولو بقية ينهون إلا قليلاً يلزم أن يكون فيهم أولو بقية غير ناهٍ عن الفساد، ولا يخفى فساده[3].

فإن قلت: فما فائدة الإطناب؟[4] وهلا قيل: فلولا كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً.

قلتُ: فائدته المبالغة بأن أهل الفضل منهم إذا ندموا على ترك النهي فغيرهم أولى.

﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ ﴾ [هم][5] المقابلون للقليل الناهين عن الفساد، والإتراف: الإطغاء من أترفَتْهُ النعمةُ أطغَتْهُ[6]، والمعنى: اتبعوا الشهوات وأغفلوا الطاعات، عطف على ما دل عليه الكلام أي: إلا قليلاً نهوا عن الفساد[7]، أو ....

(١) كذا في ص، وسائر النسخ: وأن الاستثناء من الآخر فكأنه... إلخ.

(٢) والمراد بأن التحضيض يُؤول بمعنى النفي.

انظر: الكشاف (٣/٢٤٦)، البحر المحيط (٥/٢٧١)، الدر المصون (٦/٤٢٤).

(٣) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(٤) الإطناب: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد.

انظر: الإيضاح للقزويني ص(٣٠١)، الطراز (٢/٢٣٠).

(٥) ساقطة من ص.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (ترف) (١٤/٢٧١)، لسان العرب (ترف) (٩/١٧).

(٧) قال في الكشاف (٣/٢٤٧): "المعنى: إلا قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا =

الواو للحال والمعنى: أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء إترافهم[1] وهو عذاب الاستئصال.

﴿ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ عطف على ﴿ أُتْرِفُواْ ﴾ أي: اتبعوا الشهوات وكونهم مجرمين[2] لأن تابع الشهوات غريق في الآثام، أو اعتراض يؤكد ظلمهم[3]، ولفظ القوم إشارة إلى انهماكهم وتمرنهم في الإجرام[4]. وما قيل من أن

شهواتهم". اهـ.

(١) انظر: الوجهين في الكشاف (الموضع السابق).

قال في الدر المصون (٤٢٥/٦): "قلت: فجوَّز (الزمخشري) في قوله: ﴿ مَآ أُتْرِفُواْ ﴾ وجهين

أحدهما: أنه مفعول من غير حذف مضاف، و ﴿ مَآ ﴾ واقعة على الشهوات وما بَطِروا بسببه من النعم.

والثاني: أنه على حذف مضاف أي: جزاء ما أترفوا.

ورتب على هذين الوجهين القولَ في ﴿ وَٱتَّبَعَ ﴾ كما عرفت". اهـ.

(٢) ذكر هذ الوجه الزمخشري (٢٤٧/٣).

وانظر: الدر المصون (٤٢٦/٦).

(٣) انظر: الكشاف (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (٤٧٣/١).

وجعله اعتراضاً بناءً على أنه يكون في آخر الكلام.

انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٢٥٣/٥).

(٤) هكذا وردت العبارة في سائر النسخ، وفي نسخة الحرم المكي الشريف (١١٢/أ). جاءت العبارة على النحو التالي: "وكان ولفظ القوم إشارة إلى إنهماكهم وتمرنهم في الإجرام".

المراد بالإجرام إغفالهم للشكر[1] عائد إلى الوجهين.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ بغير [ذنب][2][3]، لا لأنه لو أهلكهم لكان ظلماً بل على زعمهم[4] كقوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[6]، وقيل: بظلم بشرك[7] ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ أي: فيما

ويظهر -والله أعلم- أن إيراد لفظ القوم هنا وهمٌ بناءً على أن الآية فيها لفظ القوم.

(١) قاله الزمخشري (٣/٢٤٧).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٣٠)، زاد المسير (٤/١٧١).

(٤) أي: على زعم الناس أو أهل القرى ونحو ذلك.

(٥) سورة النساء، من الآية (١٦٥).

(٦) سورة العنكبوت، من الآية (٤٠).

وهذا التوجيه من المؤلف -رحمه الله- خلاف ما عليه السلف الصالح في معنى الظلم، وخلاف ما ذكره الأئمة في تفسير الآية، حيث ذهب إلى أنه لو أهلكهم تعالى بغير ذنب فليس ظلماً على الحقيقة، بل هو ظلم في زعمهم، وذلك لأن الظلم في حقه تعالى غير ممكن الوجود، وكل ممكن قُدِّر وجوده فإنه عدل. وهذا هو مذهب الأشاعرة في تفسير الظلم.

والحق أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه -كما هو في لغة العرب- وهو مقدور ممكن له تعالى، ولكنه لا يفعله وهو متره عنه لعدله، ولهذا مدح الله تعالى نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً والمدح إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع.

انظر: منهاج السنة (١/١٣٥)، وراجع ما سبق ص(٣٣٣).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٣٠)، البسيط (١/٣٧٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٣).

بينهم من معاملة الناس وحقوق العباد، فإن حق الله مبناه على المسامحة ولم يهلك الله قوماً على الشرك فقط"[1]. وفيه: أن عذاب الاستئصال قد رُتب على مجرد التكذيب كما في قصة هود وصالح وقوله: ﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[2].

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ ﴾ أي: متفقة على الإسلام

(١) في حاشية الأصل وَ ص: قائله الكشاف.

وانظر العبارة بمعناها في: الكشاف (٢٤٧/٣)، وانظر أيضاً: تفسير البيضاوي (٤٧٣/١)، وقد ذكرها من قبلهم الواحدي في البسيط (٣٧٦/١)، ونقلها الطبري (٥٣٠/١٥)، ولا يخفى أن هذا التوجيه فرع عن القول بأن المراد بالظلم في الآية هو الشرك.

(٢) سورة الأعراف، من الآية (٧٢).

وقد وقع في سائر النسخ خطأ في الآية حيث كتبت: وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وكانوا مجرمين. والصواب المثبت أعلاه.

وقال تعالى عن قوم هود: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ..... أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ سورة هود، من الآيتين (٥٩-٦٠).

وقال تعالى عن قوم صالح: ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ سورة هود، من الآية (٦٨).

وانظر: المحرر الوجيز (٢١٥/٣).

لقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1]. ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ في أمر الدين ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ بأن خلق فيه التوفيق والهداية ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ للهداية[2] والتوفيق فالضمير لـ ﴿مَنْ﴾[3]، أو للاختلاف[4]، وفي الآية دليل على أن الأمر لا يستلزم الإرادة[5]،

---

(١) سورة النحل، من الآية (٩).

(٢) قال به ابن عباس -رضي الله عنهما- -في رواية عكرمة- ومجاهد وقتادة والضحاك وطاووس.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٣٦)، زاد المسير (٤/١٧٢)، تفسير ابن كثير (٤/٢٩١).

(٣) أي: الضمير في ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ والمعنى: أن الذين رحمهم خلقهم للرحمة والهداية.

والإشارة في قوله: ﴿ وَلِذَٰلِكَ ﴾ عائدة على الرحمة في هذا القول، والصواب أن يقال: إن الضمير في قوله ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ يرجع إلى ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾، وهو ظاهر قول ابن عباس -رضي الله عنهما- عند الطبري (الموضع السابق)، وبه شرح ابن كثير (الموضع السابق) هذا القول قائلاً: "ويرجع معنى هذا القول إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة الذاريات، الآية (٥٦)".

(٤) هذا هو القول الثاني الذي ذكره المؤلف في قوله: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ فالإشارة فيه إلى الاختلاف، والضمير عائد على الناس. قد قال بهذا القول الحسن وعطاء ومقاتل بن حيان.

انظر: البسيط (١/٣٧٨)، تفسير البغوي (٤/٢٠٦)، الجامع للقرطبي (٩/١١٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٣).

(٥) اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين: فذهب جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة إلى أن =

.... وأن الله لم يرد إيمان الكافر[1][2].

﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أي قضاؤه وإرادته[3].

الأمر لا يستلزم الإرادة فقد يأمر الله تعالى بما لم يرده، ومنه أمره تعالى لإبراهيم بذبح ابنه و لم يرده منه، وذهبت المعتزلة إلى أن الأمر يستلزم الإرادة، فالله أمر العاصي بالطاعة وأرادها منه لكن العبد لم يفعلها، فالله قد أراد المأمور به و لم يكن، وهذا فرع عن مذهبهم في القدر.

والذي أوقعهم في ذلك أنهم لم يفرقوا بين الإرادة الشرعية والإرادة القدرية الواردة في النصوص.

انظر: التمهيد لأبي الخطاب (١/١٢٤)، روضة الناظر (٢/٦٠١)، مجموع الفتاوى (٨/٤٧٦)، مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص (١٩٠).

(١) ذكرهما البيضاوي (١/٤٧٣).

(٢) والمعنى: أن الله تعالى لم يرد إيمان الكافر كوناً وقدراً، وإن أراده شرعاً، وبيان ذلك أن الإرادة في كتاب الله تعالى على نوعين -كما سبق بيانه- وقد بيّن هذا أتم بيان شيخ الإسلام ابن تيمية. مجموع الفتاوى (٨/١٨٨، وما بعدها).

وراجع ما سبق ص (٥٣٣) فلابد من إثبات الإرادتين حتى تستقيم هذه العبارة، وأما ذكرها دون تقييد فغير مناسب لأن القرآن كله جاء بالأمر بالإيمان والحض عليه. والله أعلم.

(٣) في الأصل زيادة هي: قرأه بالإفراد ، أبوعمرو وابن كثير والكوفيون.

و لم يذكر أئمة القراءة في هذا الموضع اختلافاً بين السبعة، ولعل المؤلف -رحمه الله- وهم في هذه النسبة والله أعلم.

=

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ أي: من عُصاة الطائفتين لاستوائهما في التكليف، يريد الإملاء[1] بعد الإنزواء فلا ينافيه ما رواه البخاري: «لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتنزوي وتقول: وعزتك قَطِ قَطِ»[2].

﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ أي: كـل نبأ ﴿ مَا نُثَبِّتُ

انظر: السبعة ص (٢٦٦)، التيسير ص (٨٧)، النشر (٢/٢٦٢)، الإتحاف ص (٢٧٢).

(١) أملأه الله إملاءً فهو مملوءٌ.

انظر: لسان العرب (ملأ) (١/١٥٨).

(٢) سبق تخريجه .

قال ابن حجر في فتح الباري (٨/٥٩٥): "وقوله: "قط قط" أي: حسبي حسبي... وقط بالتخفيف ساكناً، ويجوز الكسر بغير إشباع، ووقع في بعض النسخ عن أبي ذر: "قطي قطي" بالإشباع، و "قطني" بزيادة نون مشبعة، ووقع في حديث أبي سعيد ورواية سليمان التيمي بالدال بدل الطاء وهي لغة أيضاً، وكلها بمعنى: يكفي، وقيل: قط صوت جهنم، والأول هو الصواب عند الجمهور". اهـ.

وانظر: الجنى الداني ص (٢٦٩).

بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ بدلاً من ﴿ كُلاًّ ﴾[1] [أو كل اقتصاص نقص عليك على أنه مقدر و﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ ﴾ مفعول به، ويجوز أن يكون ﴿ كُلاًّ ﴾][2] نصباً على الحال[3] من ﴿ما﴾ أو من الهاء إن جوّز تقديم الحال على ذي [الحال][4] المجرور، والمعنى: أن تلك الوقائع إيرادها مكررة بأساليب مختلفة تثبيت لك على أداء الرسالة واحتمال الأذى تأسياً[5] بمن قبلك من الرسل.

﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: في هذه السورة أو في الأنباء المقتصة فيها ما هو الحق لا كما يقوله أهل الكتاب من خلطه بالباطل وإيراد الأخبار لا على وجهها ﴿ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ إلى آخر الدهر؛ إشارة إلى الفائدة العامة.

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١١٨/٢)، الكشاف (٢٤٨/٣).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) قاله الأخفش.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (١١٨/٢).

(٤) ساقط من ق.

(٥) ق: تأشيا.

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ وقرأ أبو بكر بالجمع[1]، على حالكم أو تمكنكم[2] ﴿ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ كذلك ﴿ وَٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ بنا من الدوائر ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ أن ينزل بكم ما نزل بالمكذبين أمثالكم.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هو يعلم وقت ذلك والحكمة في تأخيره ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ لا شريك لـه في ذلك، قرأ نافع وحفص على بناء المفعول[3] [لأنه متعد مصدر الرَّجْع[4] وهو الأكثر المختار][5] ﴿ فَٱعْبُدْهُ ﴾ استمر

(١) قال ابن مجاهد: قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر: ﴿على مكاناتكم﴾ جماعاً في كل القرآن، وروى حفص وشيبان النحوي عن عاصم ﴿ مَكَانَتِكُمْ ﴾ بالتوحيد في كل القرآن، وقرأ الباقون: ﴿ مَكَانَتِكُمْ ﴾ على التوحيد". اهـ مختصراً، السبعة ص(٢٦٩). وانظر: النشر (٢/٢٦٣).

(٢) راجع ص (٨٣٩).

(٣) ق: المجهول.

وقرأ الباقون: ﴿يَرْجع﴾ بالنباء للمعلوم.

انظر: السبعة ص (٣٤٠)، التيسير ص (١٠٣).

(٤) رَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورجوعاً.

قال ابن منظور في لسان العرب (رجع) (٨/١١٥): "ورَجَعَ فعل قاصر ومتعد، تقول: رَجَع زيد ورَجَعْته أنا".

وانظر: الكشف لمكي (١/٥٣٨).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

على عبادته، أو أمر لكل أحد[1] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ في مجامع الأمور بعد علمك بتفرده بالأمر.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ أنت وهم ففيه تغليب الخطاب[2]، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بالغيب[3]، والضمير للذين لا يؤمنون[4]، والخطاب أبلغ.

(١) وعليه فيكون الأمر بالعبادة على ظاهره.

(٢) ق: للخطاب.

وانظر: الكشاف (٣/٢٤٨).

(٣) أي: ﴿يعملون﴾.

انظر: السبعة ص (٣٤٠)، التيسير ص (١٠٣).

(٤) في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ... الآية ﴾ سورة هود، من الآية (١٢١).

وانظر: الكشف لمكي (١/٥٣٨).

تفسير
سورة يوسف

سورة يوسف

مكية[1]، وآياتها مائة وإحدى عشرة آية[2][3]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ ﴾ تقدم الكلام على الحروف في أوائل السور وأن القول المنصور هو القول بكونها أسماء السور[4]، فقوله:

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/٢١٨)، الدر المنثور (٤/٤٩٤).

وحكى ابن الجوزي في زاد المسير (٤/١٧٦) الإجماع على ذلك، غير أن القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/١١٨) نقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة أنها مكية إلا أربع آيات منها، ونقل أبو حيان في البحر (٥/٢٧٨) عنهما إلا ثلاث آيات من أولها.

(٢) انظر: الكشف لمكي (٢/٣٠)، البيان في عدِّ آي القرآن ص (١٦٧)، بصائر ذوي التمييز (١/٢٥٥).

(٣) إلى هنا بياض في ص.

(٤) انظر: (٤/أ، ب) من نسخة الأصل.

﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى مدلول ﴿ الٓر ﴾ وهي السورة، وإيثار ﴿ تِلْكَ ﴾ لقصد التعظيم(١)، كذلك ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾. والمعنى: هذه السورة المشار إليها بعض الكتاب المعجز الواضح إعجازه.

قالت اليهود للمشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف عليهما السلام؟ فنزلت(٢).

---

(١) انظر: ص (٤٦٩).

(٢) نقله الواحدي في البسيط عن أبي بكر بن الأنباري (٣٨٨/٢)، وذكره الزمخشري (٢٥٠/٣)، والبيضاوي (٤٧٥/١).

وذكره ابن الجوزي (١٧٧/٤) من رواية الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بلفظ مقارب.

وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: "أُنزل على النبي ﷺ القرآن فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله: لو قصصت علينا فأنزل الله: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ ...... إلى قوله: لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، ثم تلاه عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ سورة الزمر، من الآية (٣٢).. الحديث".

رواه الطبري (٥٥٣/١٥)، والحاكم في المستدرك (٣٤٥/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه الواحدي في أسباب النـــزول ص (٢٧٥).

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أيْ: الكتاب ﴿ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ الأول حال موطئة[1]، والثاني هو الحال، أو كل منهما حال؛ لأن الأول مصدر بمعنى المفعول[2]، وجعله حالاً من الضمير في المصدر ضعيف[3].

(١) الحال الموطئة: الحال الجامدة غير المؤولة بالمشتق الموصوفة بصفة هي الحال.

فكأن الاسم الجامد قد مهد الطريق لما هو الحال بسبب مجيئه قبله.

انظر: أوضح المسالك (٢/٢٩٩)، المعجم المفصل في النحو ص (٤٤٦).

(٢) انظر الوجهين في: إعراب القرآن للنحاس (٢/١١٩)، مشكل إعراب القرآن (١/٤١٨)، البيان لابن الأنباري (٢/٣٢)، البيضاوي (١/٤٧٥).

(٣) في حاشية الأصل وَ ص: ذكره القاضي؛ لأن المصدر وإن كان بمعنى المفعول لا يضمر فيه. منه.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٧٥)، التبيان للعكبري (٢/٧٢٠).

والمراد قوله تعالى: ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ هل هو حال من الضمير في قوله: ﴿ قُرْءَٰنًا ﴾؟. وقد أشار البيضاوي إلى وقوع الخلاف في هذا الوجه.

وقال السمين الحلبي في بيان هذا الوجه: "وجوز أبو البقاء أن يكون حالاً من الضمير في ﴿ قُرْءَٰنًا ﴾ إذا تحمَّل ضميراً، يعني إذا جعلناه حالاً مؤولاً بمشتق، أي: أنزلناه مجتمعاً في حال كونه عربياً". اهـ. الدر المصون (٦/٤٢٩).

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ إرادة أن تفهموا معانيه[1]، ولا يلتبس عليكم ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾[2]، أو تستعملون عقولكم/ لتعلموا أنه ليس من جنس كلام البشر لأنه أتى بأحسن القصص من لم يتعلم ولم يُدارس[3].

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ أحسن الاقتصاص، مصدر[4] كالطلب من قَصَّ الأثر إذا اتبعه؛ لأن راوي الحديث يتبع ما سمعه ولا يتخطاه[5]

(١) نقله ابن الجوزي (١٧٨/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بمعناه، وبه قال الطبري (٥٥١/١٥)، والبغوي (٢١١/٤)، والزمخشري (٢٥٠/٣) وغيرهم.

(٢) سورة فصلت، من الآية (٤٤).

(٣) ذكر الوجهين البيضاوي (٤٧٥/١).

(٤) قاله الزجاج (٨٨/٣).

(٥) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (قص) (١١/٥): "القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبعته... ومن الباب القِصة والقصص كل ذلك يُتتبع فيذكر".

كما أن القارئ يسمى تالياً؛ لأنه يتلو ويتتبع[1] آية بعد آية، فالمقصوص محذوف وهو الوحي لدلالة ﴿ أَوْحَيْنَآ ﴾ عليه، ويجوز أن يكون بمعنى المقصوص كالبناء بمعنى المبني[2]، وأن يكون من تسمية المصدر بالمفعول كالخَلْق[3]، وكونه أحسن القصص لكونه مقصوصاً على أبدع طريقة وأغرب أسلوب[4]، ومن تتبع التواريخ والقصص عرف أنه لم يقاربه أحد في سلاسة الألفاظ وعذوبة المعاني، أو لاشتماله على العبر والنكت وسير الملوك والعلماء والصبر على الأذى والعفو بعد الاقتدار[5].

---

(١) ق: لأنه يتلوه يتتبع... إلخ.

(٢) ق: المبني به.

(٣) انظر: الكتاب (٤/٤٣)، لسان العرب (قصص) (٧/٧٤).

والظاهر أن صواب العبارة: من تسمية المفعول بالمصدر، كما في المراجع الآتية.

وانظر الأوجه الثلاثة في: الكشاف (٣/٢٥٠)، البحر المحيط (٥/٢٧٩).

(٤) هذا الوجه إذا كان المراد بقوله: ﴿ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ المصدر أي: أحسن الاقتصاص.

(٥) وهذا الوجه إذا كان المراد بقوله: ﴿ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ المفعول أي: أحسن المقصوص.

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية القولين في قوله: ﴿ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ -هل المراد المصدر أو المفعول- قال: "والقولان متلازمان في المعنى". مجموع الفتاوى. رسالة جواب أهل العلم والإيمان أن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ تعدل ثلث القرآن (١٧/١٩).

﴿ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ بإيحائنا ﴿ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ أي: السورة؛ لأنه يطلق على البعض كما يطلق على الكل.

قيل[1]: يجوز أن يكون[2] مفعول ﴿ نَقُصُّ ﴾ إن جعل أحسن القصص مصدراً، ويكون مفعول ﴿ أَوۡحَيۡنَآ ﴾ محذوفاً[3]، وليس بقوي؛ لأن إعمال الثاني في التنازع أولى كما في قوله: ﴿ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾[4]، ولأن إيقاع الإيحاء على القرآن فيه من الفخامة ما ليس في إيقاع الاقتصاص[5].

﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾ عنه لم يقرع

(١) في حاشية الأصل وَ ص: ذكره الكشاف.
وانظر: الكشاف (٣/ ٢٥٠).

(٢) أي: القرآن.

(٣) قال الزمخشري (الموضع السابق): "ويجوز أن ينتصب ﴿ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ بـ ﴿ نَقُصُّ ﴾ كأنه قيل: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك". اهـ.

(٤) سورة الكهف، من الآية (٩٦).

(٥) ذكر هذا الترجيح القزويني في الكشف (٣٨/ب)، وقال أيضاً: "لأن القرآن: السورة، وإيقاع الإيحاء عليها أظهر من إيقاع ﴿ نَقُصُّ ﴾ باعتبار اشتمالها على القصة... إلخ".

سمعك ولا خطر ببالك[1]، يقال: أرضٌ غُفْلٌ: لا منار بها[2]، ذكره زيادة امتنان عليه وإشارة إلى فضيلة العلم، و ﴿ إِن ﴾ هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة[3].

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ ﴾ منصوب باذكر، أو بدل اشتمال إذا كان ﴿ ٱلْقَصَصِ ﴾ بمعنى المقصوص لا مصدراً[4]؛ لأن الاقتصاص على رسول الله لا

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٧٥/١).

(٢) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (غفل) (٣٨٦/٤): "الغين والفاء واللام أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهواً وربما كان عن عمد... ويقولون لكل ما لا معلم لــه: غُفْلٌ كأنه غُفِل عنه، فيقولون: أرض غُفْل: لا علم بها".

وانظر: المفردات (غفل) ص (٦٠٩)، لسان العرب (غفل) (٤٩٨/١١).

(٣) انظر: الكشاف (٢٥١/٣)، تفسير البيضاوي (٤٧٥/١).

والفارقة: هي التي تدخل على خبر "إن" المخففة فارقة بينها وبين "إن" المشبهة بليس.

انظر: الجنى الداني ص (١٦٨)، المعجم المفصل في النحو ص (٨٧٥).

(٤) ذكر الوجهين الزجاج في معاني القرآن (٨٨/٣)، وابن الأنباري، زاد المسير (١٧٩/٤-١٨٠)، والزمخشري (٢٥١/٣)، والبيضاوي (٤٧٥/١) وغيرهم.

يشتمل على زمان قول يوسف(1).

﴿ لأَبِيهِ ﴾ هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، روى البخاري عن أبي هريرة أنه ﷺ سئل عن أكرم الناس؟ فقال: «يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله [ابن نبي الله](2)(3)» الكريم ابن الكريم [ابن الكريم](4) يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وليس في الأنبياء من لـه ثلاثة أباء متوالية كل منهم رسول من عند الله غيره، وهو اسم عبراني ولذلك منع الصرف، واشتقاقه من

---

(1) انظر: فتوح الغيب ص (٣٤٣)، الكشف للقزويني (٣٨/ب).

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(3) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾ (٤/١٢١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف -عليه السلام- (٤/١٨٤٦ رقم ١٦٨) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بسياق أطول ولفظه: "قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم» قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: «فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله... الحديث»".

(4) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

الأسف بعيد؛ لأن القراءة بضم السين فلا يصح أن يكون مضارعاً[1].

﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ بكسر التاء لأنها عوض عن ياء الإضافة التي الأصل فيها الكسر، وفتحها ابن عامر[2]؛ لأن الياء لما حذفت عوض عنها الألف، ثم أبدل الألف تاء مفتوحة لتدل الفتحة على الألف، وعن المازني[3]: أن أصله "أبتا" على حد قولـه:

---

(١) قال الزمخشري (٢٥١/٣): "فإن قلت: فما تقول فيمن قرأ "يوسِف" بكسر السين أو "يوسَف" بفتحها، هل يجوز على قراءته أن يقال: هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف، وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل؟.

قلت: لا، لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى". اهـ.

(٢) وباقي السبعة بكسرها.

انظر: السبعة ص (٣٤٤)، التيسير ص (١٠٣).

(٣) بكر بن محمد بن بقية بن حبيب أبو عثمان المازني، من بني شيبان بن ذهل، روى عن أبي عبيدة والأصمعي، وعنه المبرد واليزيدي، كان إماماً في النحو والعربية. مات في سنة تسع أو ثمان وأربعين ومائتين وقيل غير ذلك.

انظر: معجم الأدباء (٣٤٥/٢)، بغية الوعاة (٤٦٣/١).

يا أَبَتَا علَّكَ أَوْ عَسَاكَا[1]

فيكون الحرفان عوضاً عن حرف ولا يمنع ذلك أحد[2]، وخص[3] التاء بالعوض عن الياء لاشتراكهما في علامة التأنيث كما في هذي وهاتي [وهي][4]. واتفقت المصاحف على كتابتها بالتاء[5] حيث وقعت[6].

واختلف السبعة في الوقف عليها فابن كثير وابن عامر وقفا بالهاء مخالفاً لصورة الرسم، وهي لغة قريش، والباقون بالتاء[7][8] رعاية للرسم وجرياً في الوقف على

(١) الرجز لرؤبة بن العجاج.

انظر: ملحقات ديوان رؤبة ص (١٨١)، الكتاب (٣٧٥/٢)، الخصائص (٩٦/٢)، البسيط (٣٩٤/٢)، البحر المحيط (٢٨٠/٥)، الدر المصون (٤٣٢/٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢٨٠/٥)، تفسير البيضاوي (٤٧٦/١)، الدر المصون (٤٣٣/٦).

(٣) ص: خص.

(٤) زيادة في ص.

(٥) ق: بالياء.

(٦) ذكره ابن أبي داود في المصاحف، فيما اجتمع عليه كُتَّاب المصاحف ص (١٢٠).

(٧) ق: بالياء.

(٨) انظر: السبعة ص (٣٤٤)، التيسير ص (١٠٤).

طريقة الوصل"[1].

﴿ إِنِّى رَأَيْتُ ﴾ من الرؤيا لا من رؤية العين بدليل قوله: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ ﴾[2]، وقوله ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾[3].

﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ الشمس كانت مثال أمه، والقمر مثال أبيه والكواكب إخوته فإنهم كانوا أحد عشر رجلاً[4]، ولذلك لما

---

(١) قال في التيسير ص (٥٥): "وقف ابن كثير وابن عامر على ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ بالهاء حيث وقع، ووقف الباقون على هذه المواضع كلها بالتاء اتباعاً لخط المصحف". اهـ.

وانظر: النشر (١٣١/٢).

وفي حاشية الأصل وَ ص: فإن قيل: شرط القراءة موافقة الرسم. قلت: موافقة الرسم حقيقي (كلمة غير واضحة، لعلها: أو تقديري) فلا ضرر في ذلك. منه.

(٢) سورة يوسف، من الآية (٥).

(٣) سورة يوسف، من الآية (١٠٠).

(٤) رواه ابن جرير (٥٥٦/١٥) عن قتادة والسدي وسفيان والضحاك وابن زيد بلفظ: والشمس والقمر: أبواه.

ورواه عن ابن جريج بتفصيل قال فيه: "﴿ وَٱلشَّمْسَ ﴾ أمه ﴿ وَٱلْقَمَرَ ﴾ أبوه".

وانظر: تفسير البغوي (٢١٣/٤).

سجد له أبواه وإخوته قال: ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾[1].

﴿ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: كيف رأيتهم[2]؟ والجمع بالواو والنون لإجرائها مجرى العقلاء، لكون السجود من أفعالهم[3].

(١) سورة يوسف، من الآية (١٠٠).

(٢) قاله الزمخشري (٣/٢٥٥).

(٣) قال الفراء في معاني القرآن (٢/٣٤-٣٥): "وأما قوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾، فإن هذه النون والواو إنما تكونان في جمع ذكران الجن والإنس وما أشبههم، فيقال: الناس ساجدون، والملائكة والجن ساجدون، فإذا عدوت هذا صار المؤنث والمذكر إلى التأنيث فيقال: الكباش قد ذُبِحن وذُبِّحت ومُذَبَّحات، ولا يجوز مذبحون، وإنما جاز في الشمس والقمر والكواكب بالنون والياء؛ لأنهم وصفوا بأفعال الآدميين، ألا ترى أن السجود والركوع لا يكون إلا من الآدميين... إلخ".

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٩١).

﴿ قَالَ يَبُنَيَّ ﴾ تصغير ابن تحبيباً، أو لأنه كان صغير السن[1]، قيل: كان عمره ثنتي عشرة سنة[2].

وقراءة[3] حفص بفتح الياء؛ لأن المصغر أضيف إلى ياء المتكلم حالة النداء فقلبت الياء ألفاً كما في: يا غلاماً، ثم حذفت وبقيت الفتحة للدلالة عليها، والباقون بكسر الياء ليدل على حذف ياء المتكلم[4].

﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ ﴾ كان أثر النجابة لائحاً على جماله الفائق ونور النبوة وبهجة الملك رائقاً على وجهه البارق، وكان يعقوب عالماً بما وقع لهابيل مع قابيل من شؤم الحسد[5]، خاف عليه من

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٧٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي (٤/١٨٠)، والقرطبي (٩/١٢٦)، والبيضاوي (١/٤٧٦).

(٣) ق: وقرأ.

(٤) انظر: السبعة ص (٣٣٤)، النشر (٢/٢٨٩).

(٥) فيما قصه الله تعالى في سورة المائدة في قوله: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا.... الآيات ﴾ سورة المائدة، من الآية (٢٧).

حسد إخوته، والرؤيا كالرؤية إلا أنها تختص بالمنام[1]، وليس لذلك سبب سوى تعلق مشيئته تعالى بخلق ذلك في قلب النائم كما يخلق الرؤية في حالة اليقظة[2]. والقول بانطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة[3] إلى الحس المشترك[4]،

---

(١) انظر: الكشاف (٢٥٥/٣).

(٢) ظاهر هذا الكلام نفي الأسباب التي جعلها الله تعالى مقدمات لمسبباتها، وهذا جريٌ على مذهب الأشاعرة الذين ينكرون الأسباب، والصواب أن ما يجري في هذا الكون فوفق أسباب جعلها الله تعالى، وهو تعالى خالق كل شيء ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ لا يجري شيء إلا وفق مشيئته وإرادته.

انظر: الفرق بين الفرق ص (٣٢٨)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٥/٨).

(٣) ص: المتخلية.

والمتخيلة عند الفلاسفة قوة تتصرف في الصور الذهنية بالتركيب والتحليل والزيادة والنقص.

انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا ص (٢٦٢)، المعجم الفلسفي، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ص (٤٢).

(٤) ق: المشتركة.

والحس المشترك هو القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة. وهو حس مركزي يجمع ما تؤديه إليه الحواس الظاهرة.

والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت - لما بينهما من التناسب -عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك، ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة(١) قولٌ بما لم يدل عليه دليل شرعي ولا عقلي، فلا يليق أن يفسر به كلامه تعالى(٢).

وإنما لم يقل: فيكيدوك كما قال: ﴿ فَكِيدُونِ ﴾(٣) لتضمينه(٤) معنى الاحتيال ليكون آكد وأبلغ في التخويف، ولذلك أكده بالمصدر(٥).

انظر: التعريفات ص (٨٦)، المعجم الفلسفي، جميل صليبا ص (٤٦٨)، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص (٧٢).

(١) في حاشية الأصل وَ ص: هذه الأشياء ذكرها القاضي.

انظر: تفسير القاضي البيضاوي (١/٤٧٦).

(٢) ق: أن يفسر كلامه تعالى به.

وانظر: حاشية الشهاب على البيضاوي (٥/٢٦٦).

(٣) قال تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة المرسلات، الآية (٣٩).

(٤) ص: لتضمنه.

(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٨٩)، الكشاف (٣/٢٥٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٦).

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾ ظاهر العداوة. دفعٌ لتوهم استبعاد كيدهم وهم إخوته وأولاد الأنبياء المصطَفَين.

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي: كما أكرمك بهذه الرؤيا في الصغر يكرمك بالرسالة في الكبر، وعلم[1] ذلك بإعلام الله أو أخذه من الرؤيا لما روى البخاري: "أنها جزء من النبوة"[2]، وكان رسول الله ﷺ يفسر الرؤيا وتقع على وفق تأويله[3]، والاجتباء افتعال من جَبَيْت الشيءَ إذا جعلتَه لنفسك[4].

(١) ق: بحذف الواو.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: كتاب التعبير من صحيح البخاري ففيه الكثير من ذلك (٣٥١/١٢ فتح الباري)، ومنه ما رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم أُتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الرِّيَّ يجري ثم أعطيت فضله عمر**». قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «**العلم**» باب إذا أعطى فضله غيره في النوم (٤١٧/١٢ فتح الباري)، ومنه ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا عليَّ وأهماني فأوحي إليَّ أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة**». باب النفخ في المنام (٤٢٣/١٢ فتح الباري).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٩١/٣).

﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ من تمام التشبيه كأنه قال: كما خصك بالرؤيا في الصغر يعلمك تأويلها[1] في الكبر، أو كلام مبتدأ كأنه قيل: وهو يعلمك[2].

والتأويل من الأَوْل وهو: الرجوع، والمراد به: رَدُّ الشيء إلى غايته علماً كقوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3] وفعلاً كقوله:

.... وللنَّوى قبلَ يومِ البَيْنِ تأويلُ[4][5]

ومنه: الإيالَة وهي السياسة والنظر في عواقب الأمور[6].

(١) ق: تأويلك.

(٢) قال به الزمخشري (٣/٢٥٦)، والبيضاوي (١/٤٧٦)، وأبوحيان (٥/٢٨٢).

(٣) سورة آل عمران، من الآية (٧).

(٤) لعبدة بن الطبيب وصدره:

وللأحبةِ أيامٌ تَذكّرها ....

والمعنى: أن للأحباب أيام تذكرها أنت، وللبعد قبل يوم الرحيل والفراق علامات تبين لك أنه سيقع.

انظر: المفضليات ص (١٣٦)، الأغاني (١٨/١٦٣).

(٥) قاله الراغب في المفردات (أول) ص (٩٩).

وانظر: عمدة الحفاظ (أول) (١/١٣٩).

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة (أول) (١/١٥٨).

والأحاديث: اسم جمع للحديث، والمراد: أحاديث النفس في المنام، وتأويلها تعبيرها[1]، وكان يوسف صلوات الله عليه أعبر الناس للرؤيا وأصدق لهجة وأشد فراسة، ولذلك قال لصاحبي السجن: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾[2]، وقيل: أراد معاني كتب الله تعالى وسنن الأنبياء وما اشتبه على الناس من أمر الدين[3]، وسميت أحاديث لأنه يُحدث بها عن الله ورسله ألا ترى إلى قوله: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾[4] ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾[5][6].

---

(١) رواه ابن جرير (١٥/٥٦٠) عن مجاهد وابن زيد، وقال به، ونقله ابن الجوزي (٤/١٨١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص (٢١٢)، والواحدي في الوسيط (٢/٦٠١)، والزمخشري (٣/٢٥٦)، والبيضاوي (١/٤٧٦) وغيرهم.

(٢) سورة يوسف، من الآية (٣٧).

(٣) جوَّزه الزمخشري (٣/٢٥٦)، والبيضاوي (١/٤٧٦)، ونقله الزجاج (٣/٩٢)، والواحدي في البسيط (٢/٤٠٣)، وابن الجوزي (٤/١٨١).

(٤) سورة المرسلات، الآية (٥٠).

(٥) سورة الزمر، من الآية (٢٣).

(٦) انظر: الكشاف (٣/٢٥٦).

﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ بالنبوة[1]، أو بإيصال نعمة الدنيا بالآخرة[2]. ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ بنيه، قيل: استدل على ذلك بضوء الكواكب[3] ﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ باصطفائهما بالرسالة[4]، وقيل: بإنجاء الخليل من النار وإسحاق من الذبح[5].

---

(١) نقله ابن الجوزي (١٨١/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وبه قال الواحدي في الوسيط (٦٠١/٢)، والبغوي (٢١٤/٤)، وهو ظاهر قول الزجاج في معاني القرآن (٩٢/٣).

(٢) قاله الزمخشري (٢٥٦/٣).

وذكر البيضاوي (٤٧٦/١) القولين.

(٣) قال البيضاوي (الموضع السابق): "ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب". ونقل القول الزمخشري (٢٥٦/٣).

وليس ما قاله بظاهر فإنه قد رأى أمه في الرؤيا، وهي ليست نبية باتفاق.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥٦٠/١٥)، البغوي (٢١٤/٤)، البحر المحيط (٢٨٢/٥).

(٥) رواه الطبري (٥٦١/١٥) عن عكرمة.

وانظر: تفسير البغوي (٢١٥/٤) زاد المسير (١٨٢/٤).

والقول بأن الذبيح هو إسحاق -عليه السلام- قول ضعيف.

قال ابن القيم في زاد المعاد (٧١/١): "وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، =

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم". اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٣/٧): "وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة". اهـ.

وسيأتي الإشارة إلى ضعف هذا القول ورده في حاشية المخطوط. راجع ص (١٠٦٦).

ومن الدلائل على أن الذبيح هو إسماعيل ما يلي:

أن الذبيح هو الابن الأكبر وقد جاء في كتب أهل الكتاب: بكرك، وفي نسخة: وحيدك، والمسلمون مع أهل الكتاب متفقون على أن إسماعيل هو البكر.

ومنها: أن الابتلاء بالأمر بذبح البكر أعظم من الابتلاء بذبح غيره.

ومنها: أن الذبيح كان بمكة، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً بشأن إسماعيل وأمه وإقامة لذكر الله، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه.

ومنها: أن الله تعالى وصل البشارة بيعقوب بالبشارة بإسحاق كما قال -تعالى-: ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ سورة هود، من الآية (٧١) فكيف يؤمر بذبحه وقد وُعد بأنه سيكون له عقب؟.

ومنها: أنه تعالى لما ذكر قصة الذبح عطف عليها البشارة بإسحاق -عليه السلام- كما قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ =

لم[1] يذكر نفسه وإن كان مرسلاً مكرماً هضماً لنفسه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾ كامل العلم بالأشياء ﴿ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾ يختار من يشاء بحكمته.

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ﴾ أي: في شأنهم وقصتهم ﴿ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾ دلائل[2] على كمال قدرة الله تعالى، أو دلائل نبوته ﷺ؛ لأنه أتى بأحسن القصص من غير تعلم ولا مخالطة أهل الكتاب[3]، وقرأ ابن كثير ﴿آية﴾ على

أَذْبَحُكَ ..... إلى قولـه وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١١ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢ ﴾ سورة الصافات، من الآيات (١٠١-١١٢)، فهذا مما يدل على أن الذي حصلت لـه قصة الذبح ليس هو إسحاق.

انظر: الفتاوى لابن تيمية (٤/٣٣١)، زاد المعاد (١/٧١)، تفسير ابن كثير (٧/٢٣)، الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص (٣٥٣).

(١) ص: ولم.

(٢) في الأصل: ودلائل.

(٣) ذكر البيضاوي (١/٤٧٧) الوجهين، والأول هو قول الزمخشري (٣/٢٥٦)، وجوز الزجاج الثاني (٣/٩٢-٩٣).

التوحيد[1] على إردة الجنس.

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ [أرادوا][2] بأخيه: بنيامين كان هو ويوسف من راحيل تزوجها بعد موت ليا بنت خالة يعقوب، وكانت أم سبعة من نبيه، وثلاثة[3] منهم كانوا من سريتين تسمى إحداهما زلفة والأخرى بلهة[4]. وإنما أفرد ﴿ أَحَبُّ ﴾ وإن أريد به المثنى؛ لأن أفعل التفضيل إذا استعمل بـ "من" لا يثنى ولا يجمع بخلاف المحلى باللام والمضاف فإن التفرقة واجبة في الأول جائزة في الثاني[5].

---

(١) انظر: السبعة ص (٣٤٤)، الإقناع (٢/٦٦٩).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) ق: وأربعة. وهو الموافق لما في المصادر التالية، والقول بأنهم ثلاثة لعله موافق لما جاء في الرؤيا حيث رأى أحد عشر كوكباً فسبعة مع ثلاثة: عشرة، وبنيامين هو الحادي عشر، وفي البيضاوي: "بنو علاته العشرة... ثم عدهم أحد عشر".

(٤) ذكره الزمخشري (٣/٢٥٧)، والبيضاوي (١/٤٧٧).

وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/٢٨٣) مع اختلاف في أسماء السريتين.

(٥) انظر: أوضح المسالك (٣/٢٨٧).

﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ والحال أنا جماعة أقوياء وهما صغيران لا كفاية لهما في أمر، والعصبة من الرجال ما فوق العشرة إلى الأربعين(١)، من العَصْب وهو الشَدّ والإحاطة(٢) ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ﴾ واضح لإيثاره ما لا نفع فيه ولا كفاية على من هو ظاهر الكفاية والنفع.

﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ قول بعضهم عند التشاور ﴿ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ من الأراضي البعيدة عن العمران(٣)، ولنكارتها نصبت نصب الظروف المبهمة(٤).

---

(١) نقله ابن الجوزي (١٨٣/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة عن أبي زيد، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص (٢١٢).

انظر: الحاشية القادمة.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (عصب) (٤٦/٢).

وراجع ص(٨٠٧).

(٣) قال الزجاج (٩٣/٣): "معناه -والله أعلم- أرضاً يبعد بها عن أبيه؛ لأنه لن يخلو من أن يكون في أرض". اهـ.

(٤) قاله مكي في مشكل إعراب القرآن (٤٢١/١)، والزمخشري (٢٥٨/٣)، وابن الأنباري في البيان (٣٤/٢)، والبيضاوي (٤٧٧/١).

وذهب النحاس في إعراب القرآن (١٢٥/٢). وابن عطية (٢٢٢/٣) إلى أنها مفعول ثان بإسقاط =

﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ محبته لعدم بقاء مَنْ يُشغل به قلبُه[1]، وذكْرُ الوجهِ لتصوير إقباله إليهم فإن الشخص إذا أقبل على الشيء يُقبل بوجهه[2]، وقيل: الوجه كناية عن الذات[3].

حرف الجر؛ لأن طرح لا يتعدى إلى مفعولين إلا كذلك، قال: "وقالت فرقة هو نصب على الظرف، وذلك خطأ لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً، وهذه هنا ليست كذلك بل هي أرض مقيدة بأنها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك، فزال بذلك إبهامها، ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض فبين أنها أرض بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه". اهـ.

واستحسن هذا الرد أبو حيان في البحر المحيط (٥/٢٨٤).

وقد أجاب السمين الحلبي عن كلامهما قائلاً: "وفي الكلامين نظر، إذ الظرف المبهم عبارة عما ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه، و ﴿ أَرْضًا ﴾ في الآية الكريمة من هذا القبيل". الدر المصون (٦/٤٤٤).

وانظر: البيان لابن الأنباري (٢/٣٤).

(١) ذكره الواحدي في البسيط (٢/٤٠٩)، والزمخشري (٣/٢٥٨)، وابن عطية (٣/٢٢٢)، والبيضاوي (١/٤٧٧).

(٢) قاله الزمخشري (الموضع السابق).

(٣) نقله الزمخشري (الموضع السابق).

أدغم أبو عمرو في رواية وأظهر في أخرى إما لضعف الكلمة والخفة بالحذف، وإما لأن المحذوف كالموجود[1].

﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ من بعد يوسف، أو قتله لتقدم: ﴿ ٱقۡتُلُواْ ﴾ كقوله: ﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾[2].

﴿ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ ﴾ بالتوبة[3]، أو لعدم بقاء من يصلح لـه سواكم، أو

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ يَخۡلُ لَكُمۡ ﴾

قال أبو عمرو الداني في التيسير ص (٢٨) في بيان مذهب أبي عمرو في الإدغام: "فإن كان معتلاً نحو قوله: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا ﴾ سورة آل عمران، من الآية (٨٥)، و ﴿ يَخۡلُ لَكُمۡ ﴾ سورة يوسف، من الآية (٩)، و ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا ﴾ سورة غافر، من الآية (٢٨)، وشبهه فأهل الأداء مختلفون فيه فمذهب ابن مجاهد وأصحابه الإظهار، ومذهب أبي بكر الراجوني وغيره الإدغام وقرأته أنا بالوجهين". اهـ.

(٢) سورة المائدة، من الآية (٨).

والمعنى: أن المشار إليه في الآية بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ﴾ هو العدل الـذي دل عليـه قولـه: ﴿ ٱعۡدِلُواْ ﴾.

(٣) نقله ابن الجوزي (١٨٤/٤) عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، ورواه ابن جرير (٥٦٤/١٥) عن =

يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه[1] لـه كقولهم: ﴿ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾[2]، أو يصلح وينتظم أمر دنياكم بالظفر بعدوكم[3]. ﴿ وَتَكُونُواْ ﴾ مجزوم عطفاً على ﴿ يَخْلُ لَكُمْ ﴾، أو نصب بإضمار إن والواو بمعنى مع[4].

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ هو يهوذا[5]، وقيل: روبيل[6] ﴿ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ فإن القتل عظيم يعسر النجاة من تبعته ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ غيابة

السدي، وقال به، وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص (٢١٢)، والزجاج في معاني القرآن (٩٣/٣)، والواحدي في الوسيط (٦٠١/٢)، والبغوي (٢١٨/٤)، واستظهره ابن عطية (٢٢٢/٣)، وأبو حيان (٢٨٤/٥)، ونسبه الواحدي (الموضع السابق) لعامة المفسرين.

(١) ص: يمهدونه.

(٢) سورة يوسف، من الآية (١٧).

(٣) روى البغوي (١٨٢/٤) عن مقاتل بن سليمان قال: "يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم". وانظر: الكشاف (٢٥٨/٣)، زاد المسير (١٨٤/٤)، تفسير البيضاوي (٤٧٧/١).

(٤) ذكر الوجهين الزمخشري (٢٥٨/٣)، والأول هو قول النحاس في إعراب القرآن (١٢٥/٢).

(٥) نقله ابن الجوزي (١٨٤/٤)، والقرطبي (١٣٢/٩) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وزاد ابن الجوزي نسبته لوهب بن منبه والسدي ومقاتل.

(٦) رواه الطبري (٥٦٤/١٥-٥٦٥) عن قتادة وابن إسحاق.

الشيء ما يستر مظروفه[1]، أراد به قعر الجب وغوره[2]. والجب البئر قبل أن تطوى[3]، من الجَبِّ وهو القطع[4].

وقرأ نافع ﴿غَيَابَات﴾ هنا والذي بعده[5] بصيغة الجمع[6] لحمل الجب على الجنس كأنه قال: في بعض غيابات الجب، أو المبالغة كقول امرئ القيس:

(١) انظر: مجاز القرآن (١/٣٠٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/٩٣)، المفردات (غيب) ص (٦١٧)، لسان العرب (غيب) (١/٦٥٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٦٥).

(٣) ص وَ ق: يطوى.

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/٣٠٢)، غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢١٣)، معاني القرآن للزجاج (٣/٩٤)، لسان العرب (جبب) (١/٢٥٠).

(٥) في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ سورة يوسف، من الآية (١٥).

(٦) انظر: السبعة ص (٣٤٥)، التيسير ص (١٠٤).

بِلُ الغلامَ الخفَّ عن صَهَواتِهِ[1][2] ....

﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ يأخذه بعض السائرين كما يُلتقط الصبي المنبوذ ﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝ ﴾ ما عزمتم عليه من التفرقة بينه وبين أبيه، أو إن كنتم فاعلين ما أشرت به[3].

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ قالوا ذلك عند

---

(١) صدر بيت وتمامه:

.... ويُلوِي بأثْوَابِ العَنِيْفِ المُثَقَّلِ

والمعنى: أن هذا الفرس إذا كان راكبه خفيفاً رمى به، وإن كان ثقيلاً لم يتمالك أن يُصلح ثيابه.

والشاهد منه: جمع صهواته.

انظر: ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري (٢٥٦/١).

(٢) وقال أبو بكر بن الأنباري: "وقرأ أهل المدينة ﴿غيابات الجب﴾ بالجمع على أن للجب أقطاراً ونواحي ويكون فيها غيابات وأوثر الجمع لذلك، ومن وحَّد قال: المقصود موضع واحد من الجب يغيب فيه يوسف". البسيط (٤١١/٢).

وانظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤٠٠/٤)، الكشف لمكي (٥/٢).

(٣) انظر الوجهين في: تفسير البيضاوي (٤٧٧/١).

التصميم على الكيد به وكأنه كان يحس منهم إذ علامات البغض لا تخفى ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾[1].

قرأ السبعة "لا تأمننا" بإظهار النون الأولى واختلاس حركتها[2]، وبعض النقلة كابن مجاهد نقل عن السبعة إدغامَ النون الأولى في الثانية والإشمامَ[3][4].

وجه الاختلاس: ثقل الضمة فخففت به ويوافق الرسم تقديراً، والاختلاس: هو الإتيان بأكثر الحركة، بخلاف الرَّوْم فإنه الإتيان بأقلها[5]، والحكمة في ذلك أن حالة الوقف تستدعي زيادة الخفة ولهذا كان الأصل فيه السكون.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية (١١٨).

(٢) انظر: التيسير ص(١٠٤)، إبراز المعاني ص(٥٣٢).

(٣) الإشمام هو: ضم الشفتين عند الإدغام من غير إسماع صوت للإشارة إلى أن حركة النون المدغمة الضم.

انظر: السبعة ص (٣٤٥)، الكشف لمكي (١/١٢٢)، مرشد القارئ ص (٢٨٣)، النشر (٢/١٢١).

(٤) انظر: السبعة (الموضع السابق)، إبراز المعاني ص(٥٣٢).

(٥) انظر: مرشد القارئ ص (٢٨٣)، القواعد والإشارات ص (٥١).

ووجه الإدغام والإشمام تخفيف ثقل المثلين، والإشارة إلى حركة المدغم وهو المختار لحصول كمال الخفة مع موافقة صريح الرسم.

﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ والحال أن حالتنا تقتضي الاعتماد/ والوثوق، أكدوا الكلام لظهور مخايل الإنكار.

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا ﴾ بعد أن علمت منا النصح ﴿ نَرْتَع وَنَلْعَب﴾ نتمتع بالفواكه ونلهو بالسباق والانتضال وسائر أنواع اللعب، وأصل الرَّتْع: أكل الحيوان ما شاء من غير مانع ومزاحم(١)، قرأ نافع والكوفيون بالياء في الفعلين، والكوفيون وأبو عمرو وابن عامر بسكون العين في "نرتع"(٢)، وجه الياء إسناد الفعل إلى ضمير يوسف والنون إسناده إلى ضمير الإخوة، [وإنما جاز منهم اللعب لسبقه النبوة(٣)، أو كان لعبهم السباق والنضال وهما من أدوات الجهاد التي يثاب

---

(١) قال الراغب في المفردات (رتع) ص (٣٤١): "الرَّتْعُ أصله: أكل البهائم... ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير".

وانظر: تهذيب اللغة (رتع) (٢/٢٦٨)، لسان العرب (رتع) (٨/١١٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٦٩)، السبعة ص (٣٤٥-٣٤٦)، النشر (٢/٢٩٣).

(٣) أجاب بهذا الجواب أبو عمرو بن العلاء كما رواه عنه الطبري (١٥/٥٧٠).

على مزاولتها[1]][2]، ووجه إسكان العين وقوعه جواب الأمر وكسرها كونها مضارع ارتعى[3]، والمختار الياء لكونه أدعى إلى الإرسال والكسر ليتم سروره باللعب ونفع ماشيته؛ لأن ارتعى معناه: رعى الماشية.

﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ ﴾ أن يناله مكروه.

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ ﴾ كان شديد الحب له ولم يكن

(١) قاله الزمخشري (٣/٢٥٩)، والبيضاوي (١/٤٧٨).
وانظر: زاد المسير (٤/١٨٨).
وهذان الجوابان فرع عن نبوتهم، وسيأتي ذكر الخلاف في ذلك ص (٨١٣).

(٢) ما بين المعقوفتين في ق متأخر بعد قوله: معناه رعى الماشية.

(٣) فقولــه تعالى: ﴿ يَرْتَعْ ﴾ جواب الأمر ﴿ أَرْسِلْهُ ﴾ على القراءتين جميعاً، فعلى القراءة بسكون العين هو مجزوم بالسكون، وعلى قراءة الكسر مجزوم بحذف حرف العلة. لأنه في القراءة الأولى من: رتع، وفي القراءة الثانية من: ارتعى قال الزجاج: "المعنى: يرتعي ويلعب كأنهم قالوا: يرعى ماشيته ويلعب فيجتمع النفع والسرور". اهــ. معاني القرآن (٣/٩٥).
وانظر: تفسير الطبري (١٥/٥٦٩)، الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٤٠٢)، الحجة لابن خالويه ص (١٩٣)، الكشف لمكي (٢/٧).

معتاداً بفراقه ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ كان أرض كنعان مذأبة[1]، وقيل: كان قد رأى في المنام أن ذئباً قد شدَّ[2] عليه[3]، وكان ذلك تعليماً لهم ليعتذروا به، وفي المثل: "البَلاءُ مُوكلٌ بالمَنْطِق"[4].

قرأ السوسي[5] وورش والكسائي بإبدال الهمزة ياء[6] تخفيفاً[7]، عن الفراء: أن

(١) نقله الواحدي في البسيط (٤١٨/٢)، وابن الجوزي (١٨٨/٤) عن مقاتل بن سليمان.

(٢) ص: قد عدا.

(٣) نقله ابن الجوزي (١٨٨/٤) عن ابن عباس من رواية أبي صالح.

وضعَّف ابن عطية (٢٢٤/٣) هذا الوجه قائلاً: "وهذا عندي ضعيف لأن يعقوب لو رأى ذلك لكان وحياً، فإما أن يخرج على وجهه وذلك لم يكن، وإما أن يعرف يعقوب بمعرفته بالعبارة مثال هذا المرئي فكان يتشكاه بعينه، اللهم إلا أن يكون قوله: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ بمعنى أخاف أن يصيبه مثل ما رأيت من أمر الذئب، وهذا بعيد..." ورجح -رحمه الله- أنه "إنما خاف يعقوب الذئب دون سواه وخصصه لأنه كان الحيوان العادي المنبت في القطر".

(٤) انظر: مجمع الأمثال للميداني (٢٦/١)، معجم الأمثال العربية (٢٠٩/١).

(٥) أبو شعيب صالح بن زياد بن عبدالله بن إسماعيل السوسي، أحد الرواه عن أبي عمرو، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي وهو من أجلّ أصحابه. توفي عام ٢٦١هـ وقد قارب السبعين.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٨٠/١٢)، غاية النهاية (٣٣٢/١).

(٦) ص: تاء.

(٧) انظر: السبعة ص (٣٤٦)، التيسير ص (١٠٤)، البحر المحيط (٢٨٧/٥).

كل حرف متحركه أثقل من ساكنة إلا الهمزة فإن الأمر فيها[1] بالعكس[2].

﴿ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ ﴾ لاشتغالكم بالاستباق.

﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ استبعدوا ذلك لوجود المنافي ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤ ﴾ جواب القسم، واللام في ﴿ لَئِنْ ﴾ موطئة[3]، والمعنى: إذا لم نقدر على حفظ واحد منا فنحن خاسرون مواشينا لكثرتها وتفرقها[4]، أو نحن أحقاء بأن يُدعى علينا بالخسار[5].

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ والبئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب[6] وهي بئر معروفة بجب يوسف لا يخالف فيها أحد[7]، وما قيل[8]: إنها

(١) ق: فيه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٢٦٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٨).

(٤) نقله الزمخشري (الموضع السابق).

(٥) قاله الزمخشري (الموضع السابق)، والبيضاوي (١/٤٧٨).

(٦) رواه البغوي (٤/٢٢١) عن مقاتل بن سليمان، وذكره ابن الجوزي (٤/١٨٥) بلفظ: "بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من مترل يعقوب".

(٧) لم أقف على تحديد مكانها. والله أعلم.

(٨) في حاشية جميع النسخ: قائله القاضي.

انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٧٨)، وراجع ما يأتي من مصادر.

بئر ببيت المقدس[1] أو بئر بمصر[2] أو بأرض الأردن[3] لا أصل لـه، كيف وقد جاؤوا عشاء يبكون، وجواب "لما" محذوف لإيحاشه السامع أو لطوله، أي: فعلوا به ما فعلوا[4].

روي أنهم لما برزوا به إلى المسرح شرعوا في ضربه وإهانته وقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يسجدوا لك، كلما[5] استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا أن يقتلوه، فقال يهوذا: أما عاهدتموني أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في البئر نزعوا عنه قميصه فقال: يا إخوتي قميصي أتوارى به فلم يردوه، وكان غرضهم أن يلطخوه بالدم ليحتالوا به على أبيهم، فلما دلوه إلى نصف البئر ألقوه ليموت، وكان في البئر ماء فسقط في الماء فأوى إلى صخرة فقام

---

(١) رواه عبدالرزاق في التفسير (٣١٨/١/٢) والطبري (٥٦٦/١٥) عن قتادة.

(٢) قال كعب: "بين مدين ومصر". تفسير البغوي (٢٢١/٤)، الكشاف (٢٦١/٣).

(٣) قاله وهب.

انظر: المرجعين السابقين (الموضع نفسه)، زاد المسير (١٨٥/٤).

وروى ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "الجب بئر بالشام". (٥٦٦/١٥).

(٤) انظر: الكشاف (٢٦١/٣).

(٥) ص: وكلما.

عليها، وكان جده إبراهيم حين ألقي في النار جُرد عن ثيابه فأتاه جبريل [بقميص][1] من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاء جبريل فشقها وأخرج القميص وألبسه إياه[2].

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾ أوحي إليه هذا القول: ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ وهذا كما أوحي إلى أم موسى[3] مع الإجماع على أن النبوة من خواص الرجال[4].

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) روي ذلك عن وهب بن منبه والسدي وغيرهما.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٧٤)، تفسير البغوي (٤/٢٢١)، الكشاف (٣/٢٦١)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٨)، الدر المنثور (٤/٥٠٠)، وهذه الآثار مما نقل من أخبار بني إسرائيل. والله أعلم.

(٣) في قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... الآية ﴾ سورة القصص، من الآية (٧).

أي: أنه وحي إلهام وليس وحي نبوة، وبه قال مجاهد وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٧٥)، زاد المسير (٤/١٩١)، البحر المحيط (٥/٢٨٨).

(٤) نقل هذا الإجماع جماعة منهم القاضي أبوبكر بن الطيب والقاضي أبو يعلى، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة.

وخالف في ذلك ابن حزم وجماعة من المتأخرين كالقرطبي وغيره، فذهب بعضهم إلى نبوة مريم بنت عمران، وزاد بعضهم سارة امرأة إبراهيم -عليه السلام- وأم موسى -عليه السلام- كما هو مذهب ابن =

وقيل: أوحي إليه بالنبوة في الصغر كيحي وعيسى[1]، والحق [ما][2] في الحديث: «لا نبوة قبل أربعين سنة»[3]. ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[4] مفسَّر بفهم التوراة وعلم الشرائع[5].

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنك ذلك الصبي الملقى في الجب[6] لعلو

حزم -رحمه الله-. انظر: كلامه في الفصل (٤/١٠، ٥/١٧).

وراجع المسألة في: تفسير الطبري (١٦/٢٩٣)، الجامع للقرطبي (٤/٨٣، ٦/٢٥١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٣٦٤، ١٨/٢٢٦)، تفسير ابن كثير (٤/٣٤٥).

(١) قاله الحسن. انظر: البسيط (٢/٤٢٠)، واستظهره القرطبي في الجامع (٩/١٤٢)، وزاد نسبته لمجاهد والضحاك وقتادة.

والروايات عن مجاهد وقتادة في تفسير الطبري (١٥/٥٧٥-٥٧٦) ليس فيها ذكر نبوته. والله أعلم.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) سورة مريم، من الآية (١٢).

(٥) قال بنحو هذا القول أكثر المفسرين، ونقل أبو حيان في البحر المحيط (٦/١٦٨) أنه قيل: إنما النبوة. و لم أقف على القائل.

انظر: الجامع للقرطبي (١١/٨٧)، تفسير ابن كثير (٥/٢١٠)، الدر المنثور (٥/٤٨٤).

(٦) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- والحسن وابن جريج.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٧٦)، البسيط (٢/٤٢٠)، زاد المسير (٤/١٩١).

شأنك وعلو سلطانك، ولأن طول العهد يغير الحلية ويبدل الشكل، وكان في ذلك الإيحاء البشارة بنجاته ليتسلى بذلك ويدفع بذلك الأمل وحشة الانفراد.

قيل[١]: "لما وردوا عليه ممتارين[٢] دعا بالصواع ووضعه بين يديه وضربه حتى طنَّ ثم قال: أخبروني أنه كان لكم أخ اسمه يوسف وكان أحب إلى أبيكم فألقيتموه في الجبِّ وقلتم أكله الذئب ثم بعتموه بثمن بخس"[٣].

ويحتمل[٤] أن يتعلق بقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ ﴾[٥] على معنى آنسناه[٦] بالوحي الذي لا مفروح به أعظم منه ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ بذلك ويحسبون أنه في وحشة وشدة.

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ متباكين، قال لهم: ما لكم؟

---

(١) كذا في الأصل، وباقي النسخ: وقيل.

(٢) أي: يطلبون الميرة.

(٣) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (١٥/٥٧٦-٥٧٧) بنحوه.

(٤) ق: أو يحتمل.

(٥) قاله مجاهد وقتادة وابن زيد.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٥٧٥-٥٧٦)، البسيط (٢/٤٢٠)، زاد المسير (٤/١٩١).

(٦) ق: آنسنا.

وأين يوسف؟ ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ نتسابق، افتعل وتفاعل بمعنى[1]، وقيل: الاستباق التناضل[2].

﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ وإن كنا من أهل الصدق والأمانة لشدة حبك إياه. وضعوا ﴿ لَوْ ﴾ مكان "إن" إشارة إلى أن تصديقهم كالمستحيل عنده[3].

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ ﴾ ذي كذب[4]، أو وصف بالمصدر[5] كرجل عدل وهذا هو الوجه لما روي: "أنه أخذ قميصه وألقاه على وجهه وبكى حتى

(١) قال الزمخشري (٣/٢٦٢): "والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل".

(٢) رواه ابن جرير (١٥/٥٧٨) عن السدي، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص (٢١٣)، ونسبه الواحدي في البسيط (٢/٤٢٢) لأكثر المفسرين.

(٣) انظر: البحر المحيط (٥/٢٨٩)، روح المعاني (١٢/٢٠٠).

(٤) قاله الفراء والأخفش والزجاج ومكي بن أبي طالب، ونسبه الواحدي في البسيط لأصحاب العربية.

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٨)، معاني القرآن للأخفش (٢/٥٩٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/٩٦)، البسيط (٢/٤٢٥)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٢٤).

(٥) ذكر القولين الزمخشري (٣/٢٦٢)، والبيضاوي (١/٤٧٨)، وأبو حيان (٥/٢٨٩) وغيرهم.

خضب وجهه بالدم وقال: ما رأيت كاليوم ذئباً أكل ابني ولم يمزق قميصه"[1]، و﴿ عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ ﴾ نصب على الظرف أي: فوق قميصه[2]، وهو في الأصل صفة "دم" قدم للاهتمام.

﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا ﴾ زينته لكم،وأصل السَول: الاسترخاء، يقال: سحاب أَسْوَل أي: مسترخ[3].

وإنما علم ذلك بالوحي، أو بأمارة وهي سلامة القميص أو بما كان يعرفه

---

(١) رواه ابن جرير عن السدي مفرقاً في موضعين (١٥/٥٧٨، ٥٨٠)، وروى قوله الأخير -بمعناه- عن جمع من السلف (١٥/٥٨٠-٥٨١). وانظر: الكشاف (٣/٢٦٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٩).

ولم يتبين لي وجه استشهاد المؤلف -رحمه الله- بهذا الأثر، إلا أن يكون مراده أن هذه القصة دالة على عظم الكذب ووضوحه، إذ إن القول الثاني فيه مبالغة فكأن الموصوف هو نفس الكذب وعينه، والله أعلم.

(٢) قاله الزمخشري والبيضاوي (الموضعين السابقين).

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (سول) (٣/١١٨): "السين والواو واللام أصل يدل على استرخاء في شيء".

وانظر: لسان العرب (سول) (١١/٣٥٠).

من أمارات الحسد منهم[1].

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي: أمري صبر جميل[2]، وفي الحديث: «إن الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه إلى الخلق»[3] ولذلك قال: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[4].

قيل: سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما[5] بعصابة فقيل له: ما هذا؟ فقال: "طول الزمان وكثرة الأحزان"، فأوحى الله تعالى/ إليه: «يا يعقوب تشكوني» قال: «يا رب خطيئة فاغفرها لي»[6].

(١) ذكر هذه الأوجه الزمخشري (٣/٢٦٣)، والرازي في التفسير الكبير (١٨/٨٢-٨٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٩٦)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٢٤).

(٣) رواه ابن جرير (١٥/٥٨٤) من طريق حبان بن أبي جبلة قال: سئل رسول الله عن قوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ قال: «صبر لا شكوى فيه».

قال ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٨٩): هذا مرسل. اهـ.

(٤) سورة يوسف، من الآية (٨٦).

(٥) ص: يرفعها.

(٦) رواه ابن جرير (١٥/ ٥٨٥-٥٨٦) عن حبيب بن أبي ثابت.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ أتى بالموصول إشارة إلى عظم الأمر كقوله: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[1].

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ [قافلة، سميت سيارة][2] لجدها في السير[3]، قيل: جاءوا بعد ثلاثة أيام من قِبَل مَدْين يسيرون إلى مصر فأخطاؤا الطريق فنزلوا قريباً من الجب.

﴿ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ﴾ رجلاً يقال له: مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء[4]، والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم[5].

وانظر: الكشاف (٣/٢٦٤).

وهذا الخبر من الإسرائيليات التي نقلت عن أهل الكتاب، وهو يخالف ما فسر به المؤلف قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾.

(١) سورة طه، من الآية (٧٨).

(٢) زيادة ليست في الأصل، وهي مثبتة في باقي النسخ.

(٣) انظر: أساس البلاغة (سير) ص (٢٢٦)، المفردات (سار) ص (٤٣٢).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٤/٢٢٣)، الكشاف (٣/٢٦٤)، تفسير البيضاوي (١/٤٨٩).

(٥) قاله الزجاج (٣/٩٧).

وانظر: البسيط (٢/٤٢٩)، تفسير البيضاوي (١/٤٧٩).

﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾ ألقاه في الجب[1] فتدلى يوسف فلما رآه ﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ نادى كأنه قال: تعالي هذا أوانك[2][3]، قرأه الكوفيون بدون الإضافة [والباقون بها إلى ياء المتكلم][4][5]، وأمال ألفه حمزة والكسائي[6].

---

(١) ق: في الجب ليستقي... إلخ.

(٢) الأوان: الحين والزمان.

انظر: الصحاح (أون) (٥/٢٠٧٥)، لسان العرب (أون) (١٣/٣٩).

(٣) قال الزجاج في معاني القرآن (٣/٩٧): "ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو على تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة... إذا قال: يا بشراي فكأنه قال: أبشروا وكأنه قال: يا أيتها البشرى هذا من إبَّانِك وأوانك". اهـ.

وانظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٤١٢)، الكشاف (٣/٢٦٤).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٥) انظر: السبعة ص (٣٤٧)، التيسير ص (١٠٥).

(٦) بين النسخ اختلاف في هذا الموضع على النحو التالي.

في حاشية الأصل: وأبو عمرو ثلاثة أوجه الفتح والإمالة الكبرى والإمالة الصغرى، والمختار فيها الفتح.

وفي ص في أصل المخطوط: وكذا أبوعمرو في وجه وفي آخر فتح [في قميصه] وفي آخر قلل.

﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ الضمير لإخوة يوسف كانوا يترصدونه فلما أُخرج قالوا: "كان غلاماً لنا قد أَبَق فاشتَرُوه منا" فسكت يوسف خوفاً من القتل[1] أو لأمر أراده الله، أو الوارد[2] وأصحابه أخفوه عن الرفقة وقالوا: "دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر"[3].

وما بين المعقوفتين لم يتبين لي وجهه، والظاهر أنه سهو.

وفي ق في أصل المخطوط: وكذا أبو عمرو في وجه.

أما إمالة حمزة والكسائي فقد ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص (٣٤٧)، وأبو عمرو في التيسير ص (١٠٤) وغيرهما.

وأما الأوجه الثلاثة عن أبي عمرو فانظرها في النشر (٢/ ٤٠).

(١) رواه الطبري (٦/١٦) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق العوفي.

وبهذا القول -مرجع الضمير لإخوته- قال مكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٢٥)، وغيره.

(٢) ق: والوارد.

(٣) رواه الطبري (٥/١٦) عن مجاهد والسدي، ونسبه الواحدي في البسيط لأكثر المفسرين (٤٣١/٢)، وقال به في الوسيط (٦٠٤/٢)، والزمخشري في الكشاف (٢٦٤/٣)، وأبو الليث السمرقندي (١٨٥/٢)، وغيرهم.

﴿ بِضَٰعَةً ﴾ حال من المفعول[1]، أي: أخفوه حال كونه متاعاً للتجارة، من البَضْع وهو: القطع لأنها[2] المال المقطوع للتجارة[3] ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ ﴾ بما عملوا إشارة إلى عظم ما ارتكبوه.

﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ باعوه؛ من الأضداد يستعمل في البيع والشراء[4] ﴿ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾ ناقص ﴿ دَرَٰهِمَ ﴾ لا دنانير ﴿ مَعْدُودَةٍ ﴾ تعد عداً ولا توزن. قيل: "كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية"[5].

﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠ ﴾ غير راغبين، الزهد: خلاف

(١) قاله الزجاج (٣/٩٨)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/١٣٠)، والزمخشري (٣/٢٦٤)، وابن الأنباري في البيان (٢/٣٧)، والعكبري في التبيان (٢/٧٢٧) وغيرهم.

(٢) ق: فإنها.

(٣) انظر: لسان العرب (بضع) (٨/١٥).

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢١٤)، الأضداد لابن الأنباري ص(٥٩)، الوسيط (٢/٦٠٤).

(٥) رواه ابن جرير (١٦/١٥) عن ابن إسحاق، ونقله ابن الجوزي (٤/١٩٦) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وذكره البغوي (٤/٢٢٤)، والزمخشري (٣/٢٦٥).

الرغبة، زهد فيه وعنه بمعنى، الضمير في ﴿ كَانُواْ ﴾ إن كان لإخوة يوسف فظاهر وإن كان للرفقة الواجدين[1] إنما كانوا زاهدين فيه لأنهم التقطوه والملتقط للشيء غير مبال به؛ لأنه لم يتعب في تحصيله ولأنه بعرضة أن يظهر له مستحق ينتزعه[2].

فإن قلت: كيف استقام من إخوة يوسف ارتكاب هذه العظائم وهم أولاد يعقوب نبي الله وذرية إبراهيم خليل الله؟.

قلت: لم يثبت نبوتهم[3]، ولو ثبت نبوتهم كان ذلك قبل

---

(١) وقد مضى أن في قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ﴾ قولين: هل هم إخوة يوسف أو الرفقة؟.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٢٦٥).

(٣) اختلف العلماء في نبوة أبناء يعقوب -عليه السلام- ماعدا يوسف -عليه السلام- على قولين:

الأول: أنهم كانوا أنبياء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ... الآية ﴾ سورة البقرة، من الآية (١٣٦). قالوا: والأسباط هم أبناء يعقوب، فدل على نبوتهم، وبهذا قال ابن زيد والبغوي والسعدي.

الثاني: أنهم ليسوا بأنبياء، واستدلوا بأن ما حكى الله تعالى عنهم من المعاصي والمخالفات ومن عقوقهم لأبيهم وقطيعة أخيهم وإرقاق المسلم وبيعه إلى بلاد الكفر والكذب البين ما لا يصدر مثله عن الأنبياء.

النبوة[1]، وقد نطق آخر السورة بتوبتهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ بعد أن باعه إخوته أو الرفقة، وذهب

قالوا: والله تعالى إذا ذكر الأنبياء يذكر من المحامد والثناء ما يناسب النبوة وإن كان قبل النبوة.

قالوا: والأسباط ليسوا أولاد يعقوب لصلبه.

قال ابن تيمية: "والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه، بل ذريته كما يقال فيهم أيضاً بنو إسرائيل، وقد كان في ذريته الأنبياء فالأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسماعيل" -نقلاً من رسالة دفع التعسف عن إخوة يوسف لجلال الدين السيوطي، ضمن الحاوي للفتاوي (٢/٢٤)-.

وقال ابن كثير (٤/٣٠٠): "واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق (أول سورة يوسف) يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل... إلخ".

وهذا القول روي عن جعفر الصادق ونصره ابن حزم وبه قال القرطبي وابن تيمية وابن كثير والسيوطي والآلوسي، ونسبه السيوطي للأكثرين من السلف والخلف.

وللسيوطي رسالة مستقلة في هذا الموضوع هي التي سبقت الإشارة إليها، كما أن لابن تيمية رسالة أيضاً لخصها السيوطي في رسالته السابقة.

انظر: الفصل في الملل والنحل (٤/٩-١٠)، الجامع للقرطبي (٩/١٢٧)، رسالة دفع التعسف ضمن الحاوي للسيوطي (٢/٢٣-٢٦)، روح المعاني (١/٦٢١)، تيسير الكريم الرحمن (٤/٧٠).

(١) أجاب بالجواب الثاني الرازي في التفسير الكبير (١٨/٧٣).

به المشتري إلى مصر رفعه[1] إلى السوق فوقع فيه الرغبات حتى اشتراه قطفير[2] وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر بوزنه مرات دراهم ودنانير[3]:

إنْ كنتُ عنْدَكَ يا مولاي مُطَّرحاً   فَعِنْدَ غَيْرِكَ مَحْمُولٌ على الحدقِ[4]

وكان فرعون مصر إذ ذاك ريان بن الوليد[5] وكان ليوسف يومئذ من العمر سبع عشرة سنة[6] فدعا الملك إلى الإسلام فآمن ومات في حياة يوسف[7] فملك بعده قابوس بن مصعب[8] فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى[9]. واستوزره[10] ريان

(١) ص: رفعته.

(٢) رواه ابن جرير (١٦/١٧) عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه.
انظر: تفسير البغوي (٤/٢٢٥)، زاد المسير (٤/١٩٨)، تفسير ابن كثير (٤/٣٠٥).

(٣) قاله وهب بن منبه.
انظر: تفسير البغوي، زاد المسير (الموضعين السابقين).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه ابن جرير (١٦/١٧) عن ابن إسحاق، وذكره البغوي في تفسيره (٤/٢٢٥).
وانظر: البداية والنهاية (١/٢٠٢).

(٦) رواه ابن جرير (١٦/٢٧٤) عن الحسن.

(٧) ذكره البغوي في تفسيره (٤/٢٢٥).

(٨) ص: معصب.

(٩) انظر: الكامل في التاريخ (١/٨٠).

(١٠) ق: فاستوزره.

بن الوليد وله من العمر ثلاثون سنة[1] وانتقل إلى جوار الله[2] صلوات الله عليه وله من العمر مائة وعشرون سنة[3]، ونقل موسى تابوته إلى حرم الخليل حين خرج فاراً من فرعون ومعه بنو إسرائيل، وقصة إخراج تابوته من النيل مشهورة[4].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١/ ٢١٠).

(٢) ق: إلى جواره.

(٣) رواه ابن جرير (١٦/ ٢٧٤) عن الحسن.

وانظر: الكامل في التاريخ (١/ ٨٨)، البداية والنهاية (١/ ٢٢٠)، وانظر في كل ما سبق: الكشاف (٣/ ٢٦٥-٢٦٦)، تفسير البيضاوي (١/ ٤٧٩).

(٤) قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ (١/ ١٠٥): "فلما طال الأمر على موسى أوحى الله إليه يأمره بالمسير ببني إسرائيل، وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدسة، فسأل موسى عنه فلم يعرفه إلا امرأة عجوز فأرته مكانه في النيل فاستخرجه موسى وهو في صندوق مرمر فأخذه معه..."

وانظر: البداية والنهاية (١/ ٢٧٥).

﴿ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ ﴾ المشهور أنها: زليخا[1] وقيل: رَاعِيل[2] ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ بأن يقوم على أموالنا، والمثوى: المقام[3] ﴿ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴾ نتبناه فإنه كان عقيماً[4] وتفرس فيه آثار الرشد والكفاية.

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ كما مكنا له الود والمحبة في

---

(١) قاله مقاتل بن سليمان.

انظر: البسيط (٢/٤٣٦)، زاد المسير (٤/١٩٨).

(٢) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق (١٦/١٨).

وانظر القولين في: تفسير البغوي (٤/٢٢٥).

وفي حاشية الأصل: يجوز الجمع بأن يكون اسماً والآخر لقباً. منه.

وقد نقل هذا القول الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي (٥/٢٨٣)، والآلوسي في روح المعاني (١٢/٢١١).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/٣٠٤).

(٤) قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كان لا يولد له". البسيط (٢/٤٣٧).

وروى ابن جرير (١٦/١٥١) عن ابن إسحاق أنه بعد أن خرج يوسف من السجن ومكن الله له في الأرض تزوج امرأة العزيز فوجدها عذراء لأن زوجها كان لا يأتي النساء.

وانظر: (١٦/١٩)، زاد المسير (٤/١٩٨).

قلوب الناس مكنا له في الأرض وآتيناه[1] الملك.

﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾ كان ذلك الإيحاء[2] والتمكين[3] ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ ولذلك بلغ شأن يوسف ما بلغ وبطل عنه كيد إخوته.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ذلك [ولذلك لا يفوضون أمورهم إليه][4] ولا يتأملون في دقائق صنعه وخفايا لطفه.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ﴾ هو ثماني عشرة سنة[5]، وقيل: عشرون[6] سنة[7]،

---

(١) ص: بحذف الواو.

(٢) كذا في الأصل وَ ق، وفي ص كتبت بدون نقط، وفي الكشاف (٣/٢٦٦)، والبيضاوي (١/٤٨٠)، الإنجاء، وفي فتوح الغيب ص (٣٧٢): الإيحاء في موضع والإنجاء في موضع آخر.

(٣) أي: أن العلة من ذلك هو أن نعلمه من تأويل الأحاديث. والله أعلم.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٥) قال ابن جرير (١٦/٢٣): ورُوي عن ابن عباس من وجه غير مرضي أنه قال: "ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين". وأظن أنه يقصد بهذا الوجه طريق أبي صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- التي ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٢٠٠)؛ لأن أبا صالح ضعيف لا يحتج به.
انظر: ميزان الاعتدال (١/٢٩٦)، تهذيب التهذيب (١/٤١٦).

(٦) في الأصل: جمع عشرون، والمثبت من باقي النسخ.

(٧) رواه ابن جرير عن الضحاك (١٦/٢٣).

وقيل: أربعون[1]، وقيل: أقصاه ثنتان وستون سنة[2]. لفظ مفرد كآنُكٍ لا ثالث لهما[3]، وقيل: جمع لا مفرد له[4] كأبابيل، وعن سيبويه: أن مفرده شِدّة يقال: بلغ الغلام شِدَّته[5].

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا ﴾ بين الناس وملكاً لقوله: ﴿ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾[6]،

(١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير عن الحسن (٤/ ٢٠٠).

(٢) ذكره أبو حيان (٥/٢٩٣).

وانظر الأقوال السابقة كلها في: الكشاف (٣/٢٦٦).

(٣) الآنك: الأُسْرُبُّ وهو الرصاص القَلْعِيُّ وقيل: الأبيض وقيل غير ذلك.

قال الجوهري: "وأَفْعُل من أبنية الجمع، و لم يجيء عليه الواحد إلا آنُكٌ وأشدّ". اهـ.

الصحاح (أنك) (٤/١٥٧٣).

وانظر: لسان العرب (أنك) (١٠/٣٩٤).

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/٣٠٥).

(٥) انظر: الكتاب (٢/١٨٣).

وراجع الأقوال في لسان العرب (شدد) (٣/٢٣٦).

(٦) سورة يوسف، من الآية (١٠١).

أو نبوة فإنها سبب الحكم[1] ﴿وَعِلْمًا﴾ مخصوصاً به وهو علم تأويل الأحاديث.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ وكما جزينا يوسف نجزي سائر المحسنين، تنبيه على أن ما ناله من الكرامة كان جزاء حسن عمله واتقائه في عنفوان[2] شبابه.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ المراودة مفاعلة من رَادَ يَرُوْدُ: جاء وذهب، مجاز عن إرادة مواقعته إياها[3] وخداعه والاحتيال في أسباب ذلك[4].

وأتى[5] بالموصول ستراً عليها[6] لأن ذكرها صريحاً مستهجن ولأن الموصول أدل على كمال تقوى يوسف وطهارة ذيله؛ لأنه إذا كان في بيتها معدوداً من الخدم

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/ ٤٨٠)، البحر المحيط (٥/ ٢٩٣).

(٢) ق: عنوان.

(٣) ص وَ ق: إياه.

(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٢٦٧)، أساس البلاغة (رويد) ص(١٨٣)، المفردات (رود) ص(٣٧١)، لسان العرب (رود) (٣/ ١٩١).

(٥) كذا في الأصل، وسائر النسخ دون الواو.

(٦) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٩٤).

فهي متمكنة منه غاية التمكن فإذا لم تنل منه ما رامته كان ذلك لكونه ثابت القدم في باب التقوى"[1].

﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ كانت[2] سبعة[3]، ولذلك أتى بصيغة التفعيل الدال على التكثير[4]، ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ اسم فعل[5]، من هيّت إذا صاح ومعناه: تعال[6].

قرأ أبو عمرو والكوفيون بفتح الهاء والتاء وياء ساكنة، وقرأ نافع وابن عامر

(١) ذكر الوجهين الألوسي في روح المعاني (٣١٧/١٢).

(٢) ق: قيل: كانت... إلخ.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٦٠٦/٢)، والبغوي (٢٢٧/٤)، والزمخشري (٢٦٧/٣) وغيرهم.

(٤) انظر: البسيط (٤٤٢/٢)، تفسير البيضاوي (٤٨٠/١).

(٥) اسم الفعل: ما ناب عن الفعل معنى واستعمالاً.
والمراد بقولنا (استعمالاً) أنه عامل غير معمول.
انظر: أوضح المسالك (٨١/٤).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٣٠٥/١)، غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢١٥).
ونسبه الواحدي في البسيط (٤٤٢/٢) لجميع أهل اللغة، وفي هذا نظر فإن بعضهم ذهب إلى أنها معرَّبة وليست عربية. قال السمين الحلبي في الدر المصون (٤٦٣/٦): "والجمهور على أنها عربية".
انظر: معاني القرآن للفراء (٤٠/٢)، تهذيب اللغة (هيت) (٣٩٣/٦)، البحر المحيط (٢٩٤/٥).

في رواية ابن ذكوان بكسر الهاء(1)، وفي رواية هشام(2) بهمزة مكان الياء وله في التاء وجهان الفتح والضم(3)، ووافقه ابن كثير في الضم إلا أنه فتح الهاء ولم يهمز(4)، [ومن ضم التاء جعله ماضياً من هاء يهيء والتاء ضمير المتكلم واللام صلة(5) لـه(6) وفي

(١) مع سكون الياء ونصب التاء (هِيْتَ).

(٢) هشام بن عمار بن نُصَير بن ميسرة بن أبان السلمي الدمشقي إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم، قرأ القرآن على أيوب بن تميم والوليد بن مسلم وجماعة، وروى القراءةَ عنه أبوعبيد والحلواني وجماعة، توفي عام ٢٤٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٤٢٠)، غاية النهاية (٢/٣٥٤).

(٣) في رواية هشام عن ابن عامر وجهان:

الأول: (هِئْتُ) بكسر الهاء وهمزة مكان الياء وتاء مضمومة.

الثاني: (هِئْتَ) كالوجه الأول إلا أن التاء مفتوحة.

(٤) فقراءة ابن كثير بفتح الهاء وياء ساكنة مع ضم التاء (هَيْتُ).

انظر القراءات جميعاً في: السبعة ص(٣٤٧)، التيسير ص(١٠٤)، النشر (٢/٢٩٣-٢٩٤).

(٥) ق: واللام على هذا صلة.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٤٠)، مجاز القرآن (١/٣٠٦)، تفسير الطبري (١٦/٢٨)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٠٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٨١).

وأما قراءة (هِئْتَ لك) فقد استشكلها جماعة وتجاوز أبوعلي الفارسي فقال: "يشبه أن يكون الهمز =

الأول للتبيين كأنه قيل: الخطاب لك][1].

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب على المصدر أي: أعـوذ بالله معـاذاً[2]

وفتح التاء وهماً من الراوي؛ لأن الخطاب من المرأة ليوسف ولم يتهيأ لها...إلخ". الحجة (٤/٤١٧).

وقد أجيب عن هذا بأن معنى القراءة: "تهيأ لي أمرُك لأنها لم تكن تقدر على الخلوة به في كل وقت، أو يكون المعنى: حسنت هيئتك، و (لك) متعلق بمحذوف على سبيل البيان كأنه قالت: القول لك أو الخطاب لك". الدر المصون (٦/٤٦٥)، وقيل في توجيهها أقوال أخرى. انظر: التبيان للعكبري (٢/٧٢٨).

وقال ابن الجزري في النشر (٢/٢٩٤): "وليس الأمر كما زعم أبوعلي ومن تبعه، والحلواني (راوي القراءة عن هشام) ثقة كبير حجة خصوصاً فيما رواه عن هشام وقالون على أنه لم ينفرد بها على زعم من زعم بل هي رواية الوليد بن مسلم عن ابن عامر...".

وأما قراءة ابن كثير فإنها لغة في: هيت يقول الزجاج (٣/١٠٠): "ومن قال: (هَيتُ) ضمها لأنها في معنى الغايات كأنها قالت: دعائي لك، ولما حذفت الإضافة وتضمنت معناها بُنيت على الضم كما بُنيت حيثُ ومنذُ". اهـ.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٣٤)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٢٦)، الكشاف (٣/٢٦٧)، التبيان للعكبري (٢/٧٢٨).

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ الشأن ﴿ رَبِّيٓ ﴾ سيدي[1]/ ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ كيف أخونه في أهله وأجازي إحسانه بالإساءة؟،وقيل: الضمير لله[2]، أي: كيف أعصي مولاي المحسن المتفضل؟ ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ [أي][3]: الشأن ﴿ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ ومَنْ يجازي الحسنةَ بالسيئة ظالمٌ.

﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ قصدت مخالطته بعد أن غلقت الأبواب وهيأت الأسباب وحصل الميل المركوز في طبع الرجال فاستمرت على ذلك الهم وصممت العزم وكف هو النفسَ الزكيةَ عن مقتضى ذلك الميل على الفور كما هو شأن أرباب التقوى «ومن[4] هم بسيئة ولم يفعلها كتبت لـه حسنة»[5] فهمه

(١) رواه ابن جرير (٣٢/١٦) عن السدي وابن أبي نجيح ومجاهد وابن إسحاق، وقال به، واختاره الزجاج (١٠١/٣)، والواحدي في البسيط (٤٤٧/٢)، والزمخشري (٢٦٧/٣)، وأكثر المفسرين.

(٢) نقل الواحدي في البسيط (الموضع السابق)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٠٣/٤) أن الزجاج جوز هذا القول. و لم أقف عليه في معاني القرآن.

وانظر القول في: تفسير البغوي (٢٢٨/٤)، الكشاف (٢٦٧/٣).

(٣) ساقط من ص وَ ق.

(٤) الواو ساقطة من ص، وَ كلمة (من) ساقطة من ق.

(٥) انظر: تخريجه حاشية ص (٢) ص (٩٤٦).

صلوات الله عليه من هذا القبيل[1]، ومن قال: الهم هو القصد والعزم، ثم قال: المراد ميل الطبع وذلك لا يدخل تحت التكليف[2]، فقد ناقض قولـه.

والتحقيق في هذا المقام أن حديث النفس منه ما ليس خطوره اختيارياً ولا

(١) وممن اختار هذا القول الزمخشري (٢٦٦/٣)، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٤٩/١٥)، وابن القيم في روضة المحبين ص (٢٢٧)، ونقله الواحدي في البسيط (٤٥٠/٢) عن ثعلب.

قال الإمام أحمد: "الهمُّ همان: همّ خطرات، وهمّ إصرار".

وانظر: معاني القرآن للنحاس (٤١٤/٣)، تفسير البغوي (٢٣١/٤)، زاد المسير (٢٠٤/٤)، ص (٩٤٩) حاشية (٢).

(٢) الظاهر أنه يقصد البيضاوي حيث قال: "﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهمُّ بالشيء قصده والعزم عليه، ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بشيء أمضاه، والمراد بهمه عليه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف... إلخ".

ووجه اعتراض المؤلف -رحمه الله- بأن البيضاوي عرف الهم أولاً بأنه العزم، ثم قال عن هم يوسف بأنه ميل الطبع الذي لا يدخل تحت حكم التكليف، وهذا يخالف معنى العزم. والله أعلم.

وقد وجه الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي (٢٨٩/٥) كلام البيضاوي هذا بأنه استعارة أو مشاكلة أو من مجاز المشارفة.

يصدق عليه اسم العزم فذلك غير مؤاخذ به في ملة من الملل، ومنه ما يكون معزوماً عليه وليس معه فعل ولا تصميم فذلك إن كان هماً بالحسنة تكتب حسنة وإن كان هماً بسيئة[1] فلا تكتب سيئة ما لم يصمم[2]، وهذا من خواص هذه الأمة

(١) ق: بالسيئة.

(٢) ظاهر كلام المؤلف -رحمه الله- أنه يذهب إلى أن ما وقع من يوسف -عليه السلام- كان من قبيل حديث النفس، وأن العزم نوعان:

الأول: ما يكون هماً جازماً ورغبة في الفعل، فهذا إن كان هماً بحسنة فتكتب حسنة، وإن كان هماً بسيئة فتكتب سيئة.

الثاني: ما يكون هماً غير جازم وهو ما عبر عنه الإمام أحمد -كما سبق- همُّ الخطرات فهذا إن هم بسيئة فلا تكتب عليه.

وعليه فإن الهامّ بالسيئات إذا لم يعملها فإنه قد يجزى بالحسنة وذلك فيما إذا تركها لوجه الله، وقد يجزى بالسيئة وذلك فيما إذا كان همه جازماً وتركها عجزاً عنها أو نحو ذلك.

ويدل لما سبق ذكره الحديثان اللذان سيوردهما المؤلف وقوله ﷺ: «**قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها لـه بمثلها، وإن تركها فاكتبوها لـه حسنة إنما تركها من جرَّايَ**» رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (١/١١٨ رقم ٢٠٥) عن أبي هريرة.

وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/٧٢٠)، (١٤/١٢٢)، تفسير ابن كثير (٣/٣٧٤).

«تجاوز الله عن أمتى ما حدَّثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل»[1][2].

فإن قلت: الحديث دل على أن التصميم -أيضاً- غير مؤاخذ به؛ لأنه جعل الغاية التكلم أو الفعل.

قلت: من قبيل المفهوم، وقوله في شأن المقتول: «إنه كان حريصاً على قتل

---

(١) ق: يتكلم أو يعمل.

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس (١/١١٦ رقم ٢٠٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن الهم نوعان:

الأول: همٌّ يؤاخذ عليه العبد وهو العزم وهو الذي لابد أن يقترن معه ما يستطيع عليه العبد من قول أو فعل.

الثاني: همٌّ لا يؤاخذ عليه وهو ما يهم به من الأمور التي يقدر عليها من الكلام والعمل و لم يتكلم بها و لم يعملها، فهذا لا يسمى عزماً وإرادته لم تكن جازمة، فإن العزم لابد أن يقترن به المقدور، وإن لم يصل العازم إلى المقصود.

وهذا الهام إن ترك السيئة خشية من الله كتبت لـه حسنة، وإن تركها لغير ذلك لم تكتب عليه سيئة.

كما أن الأول إذا لم يستطيع مواقعة السيئة مع همه وعزمه فإنها تكتب عليه سيئة باتفاق المسلمين.

قال شيخ الإسلام: "ومن قال: إنه لا يؤاخذ بالعزم القلبي فاحتجوا بقوله ﷺ: **«إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها»** وهذا ليس فيه أنه عاف لهم عن العزم، بل فيه أنه عفى عن حديث النفس إلى أن يتكلم أو يعمل... ولكن ظن من ظن أن ذلك عزماً وليس كذلك، بل ما لم يتكلم أو يعمل لا يكون عزماً". الفتاوى (١٤/١٢٧).

وانظر: الفتاوي (١٠/٧٣٨)، (١٤/١٢٢).

صاحبه»[1] منطوق فلا يعارضه[2].

﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ الدليل القاطع على حرمة الزنا في جميع الملل وحرمة مجازاة الإحسان بالإساءة[3]، وكان عالماً بأحكام الشرع لقوله: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾[4]، وقيل: تمثل له يعقوب عاضاً على أصبعه[5]، وقيل: ناداه جبريل[6]، وليس بشيء نقلاً وعقلاً، ولهم سوى هذا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا... ﴾ (٣٧/٨) عن أبي بكرة - ﷺ- ولفظه: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» قلت يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه».

(٢) في حاشية الأصل وَ ص: والحق أن الذي يؤاخذ به هو العزم (كلمتان غير واضحتين) وقيده بالفعل أو التكلم هو أثم الفعل المعزوم عليه. منه.

(٣) انظر: الكشاف (٢٦٨/٣)، تفسير البيضاوي (٤٨٠/١).

(٤) سورة يوسف، من الآية (٣٨).

(٥) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وابن أبي مليكة وسعيد بن جبير والحسن والقاسم بن أبي بزة وعكرمة ومحمد بن سيرين وأبي صالح وشمر بن عطية (٤٢/١٦-٤٧).

(٦) رواه البغوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- (٢٣٢/٤).

وانظر القولين في: زاد المسير (٢٠٨/٤)، تفسير البيضاوي (٤٨١/١).

هنات[1] وخرافات لا يحل ذكرها[2]".

(١) ق: هذيانات.

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير (١٠٩/٤) -في معرض ذكر الأقوال في معنى البرهان-: "السادس: أن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم الله فرأى تحريم الزنا. روي عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح وما تقدمه فليس بشي، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص... وكيف يُظن بنبي لله كريم أنه يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصر؟ هذا غاية القبح".

وقد رُوي عن بعض المفسرين أقوال غريبة في معنى البرهان وفي معنى هم يوسف ردها جمع من المحققين، وقد أحسن المؤلف حين لم يلتفت إليها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٤٨/١٥-٤٩): "ويوسف -ﷺ- لم يذكر الله تعالى عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه أو يستغفر منه أصلا، وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها مثل ما يذكرون أنه حل السروايل وقعد منها مقعد الخاتن ونحو ذلك، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عُرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم... فكيف نصدقهم فيما دل القرآن على خلافه؟... فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصراً وإما تائباً، والإصرار ممتنع فتعين أن يكون تائباً، والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفاراً كما ذكر عن غيره من الأنبياء، فدل على أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبرورة... فإضافة الذنوب إلى يوسف في هذه القضية فرية على =

وجواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ محذوف أي: لخالطها[1]، ولا يجوز أن يكون المذكور قبل

الكتاب والرسول، وفيه تحريف للكلم عن مواضعه وفيه الاغتياب لنبي كريم... وغير مستبعد أن يكون أصل هذا من اليهود أهل البهت... إلخ".

وقال الشنقيطي بعد أن ساق عدداً من الروايات في معنى هم يوسف مثل أنه حلَّ سراويله أو جلس منها موضع الرجل من امرأته، وساق عدداً من الروايات في معنى البرهان كالتي أشار إليها المؤلف -رحمه الله-: "هذه الأقوال التي رأيت نسبتها إلى هؤلاء العلماء منقسمة إلى قسمين:

قسم لم يثبت نقله عمن نقل عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه.

وقسم ثبت عن بعض من ذُكر، ومن ثبت عنه منهم شيء من ذلك، فالظاهر الغالب على الظن المزاحم لليقين: أنه إنما تلقاه عن الإسرائيليات لأنه لا مجال للرأي فيه، و لم يرفع منه قليل ولا كثير إليه ﷺ، وبهذا تعلم أنه لا ينبغي التجرؤ على القول في نبي الله يوسف بأنه جلس بين رجلي كافرة أجنبية يريد أن يزني بها اعتماداً على مثل هذه الروايات". اهـ. أضواء البيان (٣/٦٨).

وممن رد هذه الأقوال في حق يوسف -عليه السلام- وبين خطأها الرازي في التفسير الكبير (١٨/٩٣٩)، وابن العربي في أحكام القرآن (٣/١٠٨٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/٣٩٥)، وابن القيم في روضة المحبين ص (٢٢٧)، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار (١٢/٢٨٠)، ومحمد أبو شهبة في الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ص (٢٢٠).

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٣٥)، الكشاف (٣/٢٦٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٨٠).

جواباً لأن ﴿ لَوْلَآ ﴾ في حكم الشرط[1].

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ الكاف منصوب المحل أي: مثل ذلك التثبيت ثبتناه، أو مرفوعة أي: الأمر كذلك[2] ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ وهو

---

(١) ذهب بعض المفسرين إلى أن يوسف -عليه السلام- لم يقع منهم همٌّ وأن تقدير الآية: " ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها" فهو لم يهم بها لرؤية برهان ربه، وقد انتصر لهذا القول بعض المفسرين ورده آخرون -كما صنع المؤلف- وممن رده الزجاج (١٠١/٣)، وابن الأنباري زاد المسير (٢٠٦/٤)، والطبري (٣٩/١٦)، والزمخشري (٢٩٦/٣) وغيرهم.

وممن قال بهذا القول ونصره أبو حيان (٢٩٥/٥)، والشنقيطي في أضواء البيان (٦٠/٣).

قال أبو حيان: "والذي أختاره: أن يوسف -عليه السلام- لم يقع منه همٌّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب لولا متقدم عليها -وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون ومن أعلام البصريين أبوزيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد- بل نقول: إن جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل..."

(٢) انظر الوجهين في: إعراب القرآن للنحاس (١٣٥/٢)، مشكل إعراب القرآن (٤٢٧/١-٤٢٨)، =

الخيانـة[1] ﴿ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ الزنا[2].

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المصطفين للرسالة، قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام[3]، والمختار الفتح لتوقف[4] معنى الكسر عليه إذ لا يكون مخلَصاً إلا بعد كونه مخلِصاً.

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ ﴾ يوسف هارباً وهي طالبة لـه؛ فحذف الجار[5]، أو الفعل ضمن معنى الابتدار[6] ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ﴾ شقته من ورائه من

الكشاف (٣/٢٧٠)، التبيان للعكبري (٢/٧٢٩)، تفسير البيضاوي (١/٤٨١)، البحر المحيط (٥/٢٩٥).

(١) ص: الخناية.

(٢) كذا قال الزجاج (٣/١٠٢)، والزمخشري (٣/٢٧٠)، وابن الجوزي (٤/٢١٠)، والبيضاوي (١/٤٨١)، وغيرهم في معنى السوء والفحشاء.

(٣) قرأ نافع والكوفيون ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، وقرأ باقي السبعة بكسر اللام ﴿المخلِصين﴾.
انظر: التيسير ص (١٠٥)، الإقناع (٢/٦٧١)، النشر (٢/٢٩٥).

(٤) ق: لتوقيف.

(٥) قال الزجاج (٣/١٠٢): "أي: استبقا إلى الباب".

(٦) ذكر الوجهين الزمخشري (٣/٢٧١)، والبيضاوي (١/٤٨١).

شدة الجذب ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ فصادفا زوجها على الباب جالساً على عادة الأكابر، وسمي الزوج سيداً لأنه مالك لبضعها[1].

﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ أرادت التبرء وأوهمت أنها الفارة منه، و ﴿ مَا ﴾ إما نافية أو استفهامية[2]، وإنما لم يذكر اسمه قصداً إلى المبالغة بأن من كان[3] بهذه الصفة يستحق ذلك العقاب يوسف أو أكبر [منه][4].

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ دفع[5] بذلك وصمة الخيانة[6] لا أنه

---

(١) وقال الراغب في المفردات (سود) ص (٤٣٢): "فسُمّي الزوج سيداً لسياسة زوجته". اهـ.
وانظر: لسان العرب (سود) (٣/٢٢٩).

(٢) قال الزجاج (٣/١٠٢): "أي: ما جزاؤه إلا السجن". اهـ.
وكذا قال الزمخشري (٣/٢٧١)، والبيضاوي (١/٤٨١)، وأبو حيان (٥/٢٩٧) -إنها نافية- وجوَّزوا الوجه الثاني. والله أعلم.

(٣) ق: بأنه كان.

(٤) ساقطة من ق.

(٥) ص: وقع.

(٦) ص: وصمة الخيانة سيده لا أنه... إلخ.

خاف من السجن أو العذاب[1]، ولهذا لما أراد الملك إخراجه من السجن لم يخرج حتى أمر الملك باستكشاف حاله. روى البخاري أن رسول الله قال: «لو كنت مكان يوسف لأجبت الداعي»[2] أراد الثناء عليه بكمال صبره وأنه تثبت في ضيق السجن حتى ظهرت براءة ساحته.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ صبي كان هناك[3]، وفي الحديث: «تكلم أربعة وهم

---

(١) قال الزمخشري (٣/٢٧٢): "ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال: ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾". اهـ.

وبنحوه قال البيضاوي (١/٤٨١)، وجمع بينهما أبو حيان (٥/٢٩٧) فقال: "ولما أغرت بيوسف وأظهرت تهمته احتاج إلى إزالة التهمة عن نفسه فقال: ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ ولم يسبق إلى القول أولاً ستراً عليها فلما خاف على نفسه وعلى عرضه الطاهر ﴿ قَالَ هِىَ ﴾". اهـ.

(٢) سبق تخريجه، ولفظه: «نحن أحق من إبراهيم إذ قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

وانظر: ما يأتي ص (١٠٠١).

(٣) رواه ابن جرير (١٦/٥٤-٥٥) عن ابن عباس وأبي هريرة -رضي الله عنهم-، وسعيد بن جبير، وهلال ابن يساف والضحاك، ورجحه ابن جرير (١٦/٥٧) للحديث الذي سيذكره المؤلف.

صغار: ابن ماشطة فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وعيسى ابن مريم»[1]، وليس فيه

---

(١) رواه الطبري (٥٥/١٦) من طريق حماد بن سلمة قال أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً، ورواه أحمد في المسند (٣٠٩/١ رقم ٢٨٢٢) ولم يرفعه، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في شرحه على المسند (٢٩٥/٤)، ورواه أيضاً الحاكم في مستدركه (٤٩٦/٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

والحديث في مجمع الزوائد (٦٥/١)، وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط. اهـ.

قال الشيخ أحمد شاكر: وفات الحافظ الهيثمي أن حماد بن سلمة سمع من عطاء قبل اختلاطه. اهـ. شرح المسند (٢٩٥/٤).

وقد مضى ذكر خبر ابن ماشطة فرعون في سورة يونس ص (٦٢٦).

وأما صاحب جريج فقد روى البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ (٤٧٦/٦ فتح الباري)، ومسلم، كتاب البر والصلة باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها (١٩٧٦/٤ رقم٨) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال لـه: جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فتعرضت لـه امرأة وكلمته فأبى فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت: من جريج. فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي. قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا إلا من طين...**» الحديث واللفظ للبخاري.

ما يدل على الحصر(١)، فإن ابن صاحبة الأخدود تكلم أيضاً(٢) وغيره(٣)، وكان هذا

---

(١) لم أقف على من قال بالحصر في هذا الحديث، ولكن الطيبي في فتوح الغيب ص (٣٨٦) لما أورد الحديث السابق الذي ذكره المؤلف أورده من كلام الزمخشري في الكشاف (٢٧٢/٣) كدليل للقول بأن الشاهد كان صبياً في المهد قال: "وترده دلالة الحصر في الرواية عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...**» الحديث" (الذي ذكرته في الحاشية الماضية).

قال الآلوسي: "أراد أن بين الحديث الدال على الحصر وغيره تعارضاً يحتاج إلى التوفيق". روح المعاني (٣٣٢/١٢).

قال القزويني في الكشف (٤٣/أ): "فالوجه أن يحمل "في المهد" قيداً أو تأكيداً لكونه في مبادئ الصبا وفي هذه الرواية يحمل على الإطلاق". اهـ.

وانظر: أوجهاً أخرى للجمع في فتح الباري (٤٨٠/٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٢٢٩٩/٤ رقم ٧٣) عن صهيب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ في قصة طويلة وفي آخرها: "**فأمر -الملك- بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمّه اصبري فإنك على الحق**".

(٣) راجع فتح الباري (٤٨٠/٦).

الكلام من الطفل إرهاصاً لنبوة يوسف.

﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ لأنها تدل على أنها دفعته عن نفسها حين إقباله عليها أو أنه جرى خلفها فتعثر في قميصه[1].

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ لأن هرب منها فجذبته من ورائه. قدم[2] ما يدل على صدقها لأنها كانت مدعية فقدم[3] حجتها[4].

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾ الخطاب لها ولتوابعها أو لسائر النساء تغليباً[5] ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ لدقة مسلكه،

(١) ذكر الوجهين الزمخشري (٣/٢٧٣)، والبيضاوي (١/٤٨١).

(٢) ص: وقدم.

(٣) ص: تقدم.

(٤) وذكر أبو حيان (٥/٢٩٨) وجهاً آخر فقال: "ولما كان الشاهد من أهلها راعى جهة المرأة فبدأ بتعليق صدقها على تبين كون القميص قُدَّ من قبل". اهـ.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٨١).

وإليه[1] أشار [رسول الله][2] بقوله: «ما رأيت أذهب للب الرجل الحازم[3] من إحداكن» [4]، وعن مالك بن دينار[5]: "إني أخاف من شيطان الإنس أكثر مما أخاف من شيطان الجن"[6]. وذلك لأن [شيطان الجن يوسوس و][7] شيطان الإنس يواجه لا سيما النساء فإن جبلة[8] الرجال على الميل إليهن، عن علي بن أبي طالب:

---

(١) ص: مسلكه وفي الحديث وإليه... إلخ.

(٢) ما بين المعقوفتين مكرر في ص.

(٣) ص: الجازم.

(٤) رواه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم (٧٨/١) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-.

(٥) مالك بن دينار السلمي مولاهم أبو يحيى، روى عن أنس بن مالك والحسن وابن سيرين، وجماعة، كان من العباد الزهاد الثقات، قال سليمان التيمي: ما أدركت أحداً أزهد من مالك بن دينار، توفي عام ١٢٧هـ وقيل: غير ذلك.

انظر: طبقات ابن سعد (٢٤٣/٧)، سير أعلام النبلاء (٣٦٢/٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣١٣/٢)، والزمخشري (٣٨٩/٢)، وابن الجوزي (١٠٩/٣)، والقرطبي في الجامع (٦٨/٧)، وأبو حيان (٢١٠/٤).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٨) ص: جبلته.

"لو كانت الدنيا ذهباً وعشت فيها دهراً لم أخف على نفسي منها، ولا آمن على نفسي أن أبيت في بيت ليلة مع عجوز"[1].

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ ﴾ الحديث واجعله نسياً منسياً[2] ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ ﴾ لم ينادها كما نادى يوسف لشدة مواجدته عليها ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المتعمدين للذنب، مِنْ خَطِئَ -بالكسر- خِطْأً وَخَطأً[3]، وفيه تغليب الذكور كأنه أراد المبالغة؛ لأن صفة الرجال أكمل.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) نقله الواحدي في البسيط (٢/٤٦٠)، وابن الجوزي (٤/٢١٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وبه قال أكثر المفسرين.

(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ سورة الإسراء، الآية (٣١).

ويقال لمن لم يتعمد: أخطأ يُخْطِئُ كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢١٥)، المفردات (خطأ) ص (٢٨٧)، لسان العرب (خطأ) (٦٥/١).

• ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾ قيل: "كن خمساً امرأة الساقي والسجان والخباز وصاحب الدواب، وامرأة الحاجب"[1]. اسم جمع ليس لـه مفرد من لفظه، وتأنيث الجموع وأسمائها غير حقيقي ولذلك لم يلحق الهاء. ﴿ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ظرف لقال أو صفة ﴿نِسْوَةٌ﴾[2]، يريد: مصر فالعهد/ خارجي.

﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ تريد مواقعة عبدها إياها، قلن ذلك غيرة وتقبيحاً لشأنها، ولذلك أضافوها إلى بعلها ليشتد[3] الأمر ويتضح

---

(١) قاله مقاتل بن سليمان.

انظر: البسيط (٤٦٢/٢)، تفسير البغوي (٢٣٦/٤)، الكشاف (٢٧٥/٣)، زاد المسير (٢١٤/٤).

ونقل الواحدي في البسيط والبغوي (الموضعين السابقين) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنهن نسوة من أشراف النساء.

قال الواحدي: "والأشبه ما قاله ابن عباس؛ لأن زليخا إنما اتخذت مأدبة لأشراف النساء، ولو خاض في حديثها هؤلاء النسوة لأشبه أن لا يؤخذ خوضهن ومقالتهن". اهـ.

(٢) انظر الوجهين في: تفسير البيضاوي (٤٨٢/١).

(٣) ص: ليشد.

الإنكار، والعزيز في مصر هو الوزير(١)، والفَتَى لغة: هو الشاب، وفي العرف: هو العبد(٢)، وفي الحديث: «لا يقلْ أحدُكم: عبدي وأمتي، كلكم عباد الله وإماؤه وليقل: فتاي وفتاتي»(٣).

﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ شقَّ شغافها(٤)(٥)، والشغَافُ: غلاف القلب(٦). أصل التركيب: قد شغفها حبُه فأوقع الفاعل تمييزاً مبالغة(٧) ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ

---

(١) قيده -رحمه الله- بقوله: في مصر، لأن المفسرين ذكروا أن العزيز في لغة العرب هو الملك. انظر: الطبري (٦٢/١٦)، الكشاف (٢٧٥/٣)، البيضاوي (٤٨٢/١).
وإنما قال: إنه هو الوزير لما سبق ذكره من أن الريان بن الوليد كان على ملك مصر. راجع ص (٨١٥).
(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٥/٣).
(٣) رواه مسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد (١٧٦٤/٤ رقم ٢٢٤٩) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.
ورواه البخاري بلفظ مقارب، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق (١٢٤/٣).
وانظر: الكلام على هذا الحديث وأحكامه في تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، باب لا يقول: عبدي وأمتي ص (٥٨٧).
(٤) ص: شق شغافها من جهد الحب.
(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٢/٢).
(٦) انظر: مجاز القرآن (٣٠٨/١)، غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢١٥)، تفسير الطبري (٦٣/١٦).
(٧) انظر: البسيط (٤٦٣/٢).

﴿مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ واضح لا سترة به لأنها زوجة الملك[1] فكيف رضيت أن تكون عاشقة الغلام؟

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ سمعت مقالتهن. سماها مكراً على التشبيه؛ لأن الاغتياب يكون خفية كما يكون المكر والخديعة كذلك[2]، وقيل: كانت أسرت إليهنَّ واستكتمتهنَّ فأفشينه عليها[3]، وقيل: لم يكن قولهن إلا لكونهن مفتونات بحبه فأردن بذلك انقطاعها ليخلو لهن وجه يوسف[4]، ويرده السياق[5].

(١) مرَّ في الصفحة الماضية أن المؤلف -رحمه الله- ذكر أن العزيز هو الوزير.

(٢) قاله الزمخشري (٣/٢٧٦)، والبيضاوي (١/٤٨٢).

(٣) قاله الزجاج (٣/١٠٥)، وابن الأنباري. البسيط (٢/٤٦٧)، التفسير الكبير (١٨/١٢٦).

(٤) لم أقف على من ذكر هذا الوجه بهذا اللفظ.

وقد روى ابن جرير (١٦/٦٩) عن ابن إسحاق قال: "إنما قلن ذلك مكراً بها لتريهنَّ يوسف، وكان يوصف لهن حسنه وجماله".

وانظر: البغوي (٤/٢٣٧)، ابن الجوزي (٤/٢١٥)، البيضاوي (١/٤٨٢).

(٥) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا....﴾ فلم يقع منهن الإعجاب والفتنة به إلا بعد أن رأينه -عليه السلام-.

﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ تدعوهن إلى الاجتماع عندها ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ ما يتكأ عليه من النَّمارِق والطَّنافِس[1][2].

﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ قصدت بذلك افتضاحهن لأنها كانت تعلم أن جمال يوسف إذا ظهر سلب عقولهن وأدمجت فيه أنه إذا رأى الخناجر يُبهت ويظن أنهن قاصدات لـه فيذعن لها[3].

---

(١) النمارق جمع نُمْرُقَة ونِمْرِقَة وهي الوسادة. وقيل: وسادة صغيرة.

انظر: لسان العرب (نمرق) (٣٦١/١٠).

وأما الطنافس فقال في لسان العرب (طنفس) (١٢٧/٦): الطِّنِفسَة والطُّنْفُسة النمرقة فوق الرحل وجمعها طنافس وقيل: هي البساط الذي لـه خَمْلٌ رقيق. اهـ مختصراً.

(٢) هذا القول في معنى ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ قال به ابن عباس -رضي الله عنهما- وسعيد بن جبير والسدي، واختاره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٠٩/١)، والطبري (٦٩/١٦)، والزجاج (١٠٥/٣).

(٣) قال الزمخشري (٢٧٦/٣): "ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر وتوهمه أنهن يثبن عليه". اهـ. بتصرف يسير جداً.

وقيل: ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ مجلس طعام وشراب، لأنهم كانوا يتكئون إذا جلسوا للتناول ترفهاً[1].

وعن مجاهد: "﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ طعاماً يُحزُّ حزّاً"[2]. كأن المعنى متعمداً بالسكين؛ لأن القاطع يتكئ على المقطوع[3]، وقيل: هو الزُّمَاوَرْد[4] وهو الرقاق الملفوف المحشو باللحم[5].

﴿ وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ استعظمنه لفائق

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (تكأ) (١٠/٣٣٤)، البسيط (٢/٤٦٩)، الكشاف (٣/٢٧٦).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري (٣/٢٧٧).

وروى عنه الطبري (١٦/٧٣) قال: الطعام.

(٣) قاله الزمخشري (٣/٢٧٧).

(٤) رواه الطبري (١٦/٧٠) عن الضحاك بلفظ: البزماورد.

(٥) في حاشية الأصل وَ ص: هو الذي في المتعارف يقال لـــه سنبوسك. منه.

وانظر: الصحاح (متك) (٤/١٦٠٧)، فتوح الغيب ص(٣٩٤).

جماله[1]. قيل: "كان يُرى تلألؤ وجهه على الحيطان"[2]، وقيل: أكبرن: حضن[3] من شدة الشَّبَق[4]، من قوله: أكبرت المرأة إذا حاضت[5]، والهاء

---

(١) رواه ابن جرير (١٦/٧٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية علي بن أبي طلحة وعن مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢١٧)، ونسبه الواحدي في البسيط (٢/٤٧١) لمعظم المفسرين.

وانظر: الكشاف (٣/٢٧٨)، زاد المسير (٤/٢١٨).

(٢) ذكره البغوي (٤/٢٣٧) عن إسحاق بن أبي فروة، ونقله الزمخشري مبهماً (٣/٢٧٨).

(٣) رواه الطبري (١٦/٧٦) عن عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن جده.

ورواه ليث عن مجاهد، واختاره ابن الأنباري. زاد المسير (٤/٢١٨).

(٤) قال في لسان العرب (شبق) (١٠/١٧١): "الشَّبَق: شدة الغُلْمة وطلب النكاح يقال: رجل شَبِقٌ وامرأة شَبِقَةٌ". اهـ.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (كبر) (١٠/٢١١)، لسان العرب (كبر) (٥/١٢٦).

وقد أنكر هذا المعنى كثير من المفسرين وأهل اللغة كأبي عبيدة في مجاز القرآن (١/٣٠٩)، والزجاج (٣/١٠٦)، والنحاس في معاني القرآن (٣/٤٢٢)، والبغوي (٤/٢٣٨)، وابن عطية (٣/٢٣٩) وغيرهم.

وقال ابن منظور في لسان العرب (الموضع السابق): "وليس ذلك بالمعروف في اللغة". اهـ.

قلت: أما ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- فإنه من طريق عبدالصمد بن علي وهو ممن =

لا يحتج به.

انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي (٣/٨٤)، ميزان الاعتدال (٣/٦٢٢).

وأما ما روي عن مجاهد فعلى ما في ليث من الكلام. انظر: الضعفاء الكبير (٤/١٤)، تهذيب التهذيب (٨/٤٦٥) فإن لفظه: "أعظمنه فحضن".

قال الواحدي في البسيط (٢/٤٧٣): "قال أبو عبيدة: أكبرنه: أعظمنه في جماله وبهائه ونور النبوة، ومن أخذ الإكبار من الحيض فليس بحيض ولكنه قد يَحُر إلى الحيض، وقد تفزع المرأة فتسقط ولدها وتحيض، فإن كان ثم حيض فعسى أن يكون من فزعهن وما هالهن من هيئته. وهذا الذي ذكره أبو عبيدة هو معنى رواية ليث عن مجاهد". اهـ.

وانظر كلام أبي عبيدة في: مجاز القرآن (١/٣٠٩)، وذكر نحو هذا التوجيه الطبري في تفسيره (١٦/٧٦).

وذهب الأزهري إلى مسلك آخر فقال: "وإن صحت هذه اللفظة بمعنى الحيض فلها مخرج حسن، وذلك أن المرأة إذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر فقيل لها: أكبرت أي: حاضت فدخلت في حد الكبر الموجب عليها الأمر والنهي". اهـ. (١٠/٢١١) إلا أن الأزهري وجماعة ضعَّفوا هذا الوجه بالهاء في قوله: ﴿ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾.

قال الزجاج (٣/١٠٧): "والهاء في ﴿ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ تنفي هذا لأنه لا يجوز أن يقول: النساء قد حِضْنَهُ يا هذا، لأن حضن لا يتعدى إلى مفعول". اهـ.

وبنحوه قال الطبري (١٦/٧٧) وجماعة، وسيأتي توجيه المؤلف لهذه الهاء.

تنبيه: علق الأزهري القول بأن الإكبار بمعنى الحيض على صحة الرواية عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وذكر أنه إن صحت عنه سلمنا لـه وجعلنا الهاء هاء وقفة لا هاء كناية.

للمصدر[1]، أو ليوسف على حذف اللام[2]. روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتُه فإذا هو قد أُعطي شطر الجمال»[3].

خَـفِ اللهَ واسْـتُرْ ذا الجمـالَ[4] بِبُرْقُـعِ فـإنْ لُحْـتَ حَاضَـتْ في الخُـدُورِ العَوَاتِـقُ[5]

(١) أي: أكبرن الإكبار.
انظر: الدر المصون (٤٨٠/٦).

(٢) ذكر الوجهين البيضاوي (٤٨٢/١).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (١٤٥/١ رقم ٢٥٩) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- بلفظ: "شطر الحسن".
وأما عزو المؤلف -رحمه الله- إلى البخاري فوهمٌ ولم أقف عليها مع طول بحث ثم وجدت ما يؤكد وهم المؤلف حيث قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث الإسراء: "قوله: (فلما خلصت إذا يوسف) زاد مسلم في رواية ثابت عن أنس: "فإذا هو قد أعطي شطر الحسن" فتح الباري (٦١٢/٧) ط دار الفكر ١٤١١هـ.

(٤) ص: الحلال.

(٥) لأبي الطيب المتنبي.

انظر: ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري المسمى: التبيان في شرح الديوان (٣٤٩/٢)، يتيمة الدهر (١٦٧/١)، الكشاف (٢٧٨/٣)، تفسير البيضاوي (٤٨٢/١)، البحر المحيط (٣٠٣/٥)، الدر المصون (٤٨٠/٦).

ومعناه: خف من الله واستر جمالك ببرقع؛ لأنك إن أظهرته حاضت الشواب في خدورهن عشقاً لك.

﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ من فرط الدهشة ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ [معاذ الله][1] كلمة البراءة والتنـزيه[2].

قيل[3]: حرف جر استعمل مصدراً واستُدل عليه بما قُرئ به منوناً[4]، وإليه

تنبيه: وقع البيت في شرح الديوان كالتالي: ""فإن لحت ذابت". قال الثعالبي في يتيمة الدهر: "ويقال: لما أُنكرت عليه "حاضت" غيَّره فجعله "ذابت"،وذِكْرُ البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك". اهـــ.

(١) ما بين المعقوفتين مكرر في ص.

(٢) قال الزمخشري (٢٨٩/٣): "(حاش) كلمة تفيد معنى التنــزيه في باب الاستثناء". وأنكر ذلك أبو حيان وقال: "وما ذكر... غير معروف عند النحويين": (٣٠٠/٥) وأجاب السمين الحلبي بقولـــه: "قولـــه: إن المعنى الذي ذكره الزمخشري لا يعرفه النحاة. لم ينكروه وإنما لم يذكروه في كتبهم لأنهم غالب فنهم في صناعة الألفاظ دون المعاني". الدر المصون (٤٨٢/٦).

وانظر: البسيط (٤٧٤/٢).

(٣) ق: وقيل.

(٤) قراءة أبي السمال: (حاشاً لله).

انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص(٦٣)، البحر المحيط (٣٠٣/٥).

واختار هذا القول الزمخشري (٢٧٩/٣).

ذهب سيبويه واستدل أيضاً على حرفيتها[1] بعدم وقوعها صلة لموصول[2]، وعن المبرد أنها فعل[3] واستدل عليه بقول النابغة:

.... وما أُحَاشِي مِنْ الأقوامِ منْ أَحدِ[4]

ولأنه يقال: حاشا لزيد وحرف الجر لا يدخل على مثله[5]. وأصل الكلمة حاشا بالألف وبه قرأ أبو عمرو في الوصل والباقون بحذفه[6] وهي لغة الحجاز، وعليه رسم المصاحف[7].

---

(١) ص: حرفتها.

(٢) انظر: الكتاب (٢/٣٠٩، ٣٥٠).

(٣) انظر: المقتضب (٤/٣٩١)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٢٩).

(٤) عجز بيت من قصيدة يمدح بها النعمان ويعتذر إليه، وصدره:

ولا أرَى فَاعِلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ ....

انظر: ديوانه ص(٢٠)، تفسير القرطبي (٩/١٨١)، الدر المصون (٦/٤٨٤).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٣٨)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٢٨)، البيان لابن الأنباري (٢/٣٩).

(٦) انظر: السبعة ص(٣٤٨)، التيسير ص(١٠٥).

(٧) انظر: التيسير (الموضع السابق)، المقنع لأبي عمرو الداني ص(١٥).

﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ لأن هذا الجمال غير معهود من البشر، ونصب الخبر بما لغة الحجاز إلحاقاً لها بليس لكونها لنفي الحال مثله(١) ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ لأنه لم يعهد مثله في الجمال بشرٌ، وقد تقرر في النفوس جمال الملائكة، ولذلك يشبه بها الصور الحسان كما يشبه بالشيطان الصورة القبيحة. ولا دلالة في هذا على أفضلية الملك(٢) عند الله(٣).

---

(١) وأما بنو تميم فلا يعملونها، فلا ينصبون الخبر بها.

قال سيبويه في الكتاب: "ومثل ذلك قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ في لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف". (١/٥٩).

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٠٧)، إعراب القرآن للنحاس (٢/١٣٩).

(٢) ق: الملائكة.

(٣) فيه إشارة إلى الرد على الزمخشري حيث ذكر في هذا الموضع تفضيل الملائكة على البشر.

انظر: الكشاف (٣/٢٨٠).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٤/٣٤٣) عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب: "بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحوا =

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ باحتْ بِسِرِها لما رأت المساعد.

دَعْ عَنْك تَعْنِيفي وَذُقْ طَعْمَ الهَوى فإن طَعِمْتَ فبعد[1] ذلك عَنِّفِ[2]

وأشارت[3] بما وضع للبعيد[4] لعلو شأنه وبعد مقامه عن التصور[5] ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ أقرت بما وقع لها مع علمها بأن لا لوم ولا عذل منهن. والاسْتِعْصَامُ: المبالغة في التحفظ ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ ﴾

البشر أكمل من حال الملائكة.

قال ابن القيم: وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه".

ولشيخ الإسلام رسالة مستقلة في هذا الموضوع. انظرها في الفتاوى (٤/٣٥٠-٣٩٢).

(١) كذا في الأصل، وباقي النسخ: فعند.

(٢) البيت لابن الفارض.

انظر: ديوانه ص(١٥٣)، روح المعاني (١٣/١١).

وفي حاشية الأصل وَ ص: وقال الآخر:

من لا مني في حبه من لم يذق طعم الهوى لم يدره

(٣) ق: وأشار.

(٤) أي: ذلك.

(٥) انظر: الكشاف (٣/٢٨١)، تفسير البيضاوي (١/٤٨٣).

الضمير للموصول[1] بحذف الجار كما في قولـه:

أمرتُكَ الخيرَ[2].

لا ليوسف لأن الكلام في المأمور به لا المأمور لتعينه[3]. وجعل[4] ﴿ مَآ ﴾ مصدرية أي: مُوجَب أمري[5] مع تكلفه[6] عائد إلى الأول.

﴿ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝٣٢ ﴾ الأذلاء، مِنْ: صَغِرَ -بالكسر-

---

(١) يعني: ﴿ مَآ ﴾.

(٢) سبق في سورة يونس ص (٦١٨) وتمامه:

أمرتُك الخيرَ فافعلْ ما أمرتَ بهِ فقدْ تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشبِ

والمعنى: لئن لم يفعل الذي آمر به.

قاله الزمخشري (٣/٢٨١)، والبيضاوي (١/٤٨٣)، وأبو حيان (٥/٣٠٥).

(٣) انظر: الكشف للقزويني (٤٤/ب).

(٤) كذا في الأصل، وباقي النسخ: وجعله.

(٥) جوزه الزمخشري (٣/٢٨١)، والبيضاوي (١/٤٨٣)، وأبو حيان (٥/٣٠٥)، وعليه فيكون الضمير عائداً إلى يوسف، والتقدير: ولئن لم يفعل أمري إياه.

(٦) كذا في ق، وباقي النسخ: تكلف.

يَصْغَرُ صَغَاراً[1]، والنون المؤكدة في ﴿ لَيَكُونًا ﴾ رسمت ألفاً إما إجراءً للوصل مجرى الوقف[2] أو حملاً على التنوين بجامع أن كلا منهما نون ساكنة وقعت طرفاً بعد فتحة[3].

(١) قال في المفردات (صغر) ص(٤٨٥): "يقال: صَغُرَ صِغَراً في ضد الكبير، وصَغِرَ صَغَراً وصَغَاراً في الذلة".

وانظر: لسان العرب (صغر) (٤٥٨/٤).

(٢) قال أبو عمرو الداني في المقنع ص(٤٣): "واحتمع أيضاً كتاب المصاحب على رسم النون الخفيفة ألفاً وجملة ذلك موضعان:

في يوسف ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ وفي العلق ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ آية (١٥)، وذلك على مراد الوقف". اهـ.

وقال الزجاج (١٠٨/٣): "القراءة الجيدة تخفيف ﴿ لَيَكُونًا ﴾ والوقوف عليها بالألف؛ لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف تقول: إضْرباً زيداً فإذا وقفت قلتَ: اضربا... إلخ".

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٤٨٣/١)، الدر المصون (٤٩٢/٦).

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ أسند الدعوة إليهن كأنهن قلن: أَطعْ مولاتك وإياك والصغارَ والسجنَ فالتجأ إلى مولاه وآثر السجن لملاحظة[1] رضاه، فإن المشاق تضمحل في جنبها، ولذلك ترى أهل الصلاح يلتذون بالعبادات وقيام الليل أكثر مما يلتذون بالمآكل والمعازف[2] والنوم على الحرير.

﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ حيلهن وخداعهن ﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ أميل إليهن[3]، مِنْ الصَّبْوَة، وفي المثل: لكل جوادٍ كَبْوَةٌ، ولكل حكيمٍ صَبْوَةٌ، ولكل صَارِمٍ نَبْوَةٌ[4].

---

(١) ق: ملاحظة.

(٢) ق: المشارب والمعازف.

(٣) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣١١/١)، والزجاج في معاني القرآن (١٠٨/٣).

(٤) ذكره أبوهلال العسكري في جمهرة الأمثال (٣٠٨/١) بلفظ: لكل كريم صبوة.

وذكره الميداني في مجمع الأمثال (١٠٣/٣) بلفظ: ولكل عالم هفوة.

وقال: "يقال: نبا السيف إذا تجافى عن الضريبة، وكبا الفرسُ: عثر، وهفوة العالم: زلته". اهـ.

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (صبى) (٣٣٢/٣): "صبا إلى الشيء يصبو إذا مال قلبه إليه... والاسم: الصَّبْوَة".

﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ بعضاً منهم، معدوداً من الجهال الذين لا يعلمون عظمة الله، ولذلك قيل: من عرف الله لم يعصه.

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ أجابه إلى سؤاله وهو الدخول في السجن والنجاة من كيدهن.

قيل: إنما ابتلي بالسجن حيث اختاره ولو سأل الله العافية لنجا من كيدهن مع عدم دخوله السجن[1].

رأى رسول الله ﷺ رجلاً يقول: "اللهم ارزقني الصبر" فقال: «**سألت البلاء فاسأل الله العافية**»[2].

---

(١) نقله البغوي (٤/٢٣٩)، والبيضاوي (١/٤٨٣)، والقرطبي (٩/١٨٤) مبهماً.

وفي هذا نظر لأن مثل هذا يحتاج إلى دليل صحيح، ثم إن يوسف -عليه السلام- قال: ﴿ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ في مقابلة ما تهددته به حيث توعدته إن لم يفعل الفاحشة ليسجنن فأخبر أن السجن -مع ما فيه من المشاق- أحب إليه من معصية الله تعالى، ولو كان فيما ذكره يوسف مخالفة لبينه الله تعالى لعباده حتى يجتنبوه والله أعلم.

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/٢٣١، ٢٣٥ رقم ٢٢٠٧٠ وَ ٢٢١٠٩)، والترمذي كتاب الدعوات باب (٩٩) (١٠/١٨٧ رقم ٣٥٢٤) عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- وقال: هذا حديث حسن. اهـ. وذكره الألباني في ضعيف سنن الترمذي رقم (٧٠٦).

﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ بأن عصمه عن ارتكاب المعصية ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لمن دعاه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ بمن يصلح للإجابة، وعنه ﷺ: «رب أشعث أغبر يطيل السفر يرفع يديه يقول: اللهم، ومأكله حرام ومطعمه حرام/ وغذي بالحرام أنى يستجاب له»[1].

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَـٰتِ ﴾ ظهر لهم، للعزيز ومن في داره من الخدم وامرأته ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ إلى زمانٍ ثم ينظر في أمره، وكان العزيز نسي شهادة الطفل واللواتي قطعن أيديهن[2]، كلا لم ينس لكن كان مطاوعاً[3] لها على عادة ملوك مصر، وقد نقل الجمهور أنه كان عنيناً[4]، هذا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب (٧٠٣/٢ رقم ٦٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- بلفظ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً... ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء...» الحديث.

(٢) لم تأت بعد شهاد اللاتي قطعن أيديهن، فإنهن يشهدن عند إخراج يوسف -عليه السلام- من السجن، فذكره هنا غير مناسب والله أعلم.

(٣) كذا في الأصل، وسائر النسخ: مطواعاً.

(٤) راجع ص (٩٣٧).

وقصد امرأة العزيز أنه إذا لبث في السجن برهة من الزمان يختار رضاها ويترك اللجاج والتورع فإنه صبي لا يقدر على تحمل ضيق السجن وهي تظهر أنه حبس لأنه مجرم وهذا نوع من المكر بعيد الغَوْر[1].

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ اتفق أن دخل ساعة دخوله من خدم الملك شخصان آخران: الشَّرَابي[2] والخباز ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ ﴾ هو الشرابي ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ ﴾ حكاية الماضي بالمستقبل ﴿ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ عنباً سماه خمراً باعتبار ما يؤول[3][4]، وقيل: الخمر هو العنب بلغة حِمْيَر[5][6].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٢٨٢).

(٢) المسؤول عن شراب الملك.

(٣) ص: ما يؤول إليه.

(٤) قاله الزجاج (٣/١٠٩)، وابن الأنباري، وعزاه ابن الجوزي لأكثر المفسرين. زاد المسير (٤/٢٢٣).

(٥) حمير: قبيلة عظيمة، مساكنهم في جنوب الجزيرة بأرض اليمن، ينسبون إلى حمير بن سبأ، وهم قبائل وأفخاذ متعددة.

انظر: الأنساب (٤/٢٣٤)، قلائد الجمان ص (٣٩).

(٦) روى الطبري (١٦/٩٧) عن الضحاك قال: هو بلغة أهل عُمَان.

وروى الكلبي عن أبي صالح قال: "أَزْد وعُمَان يسمون العنب الخمر". البسيط (٢/٤٨٧).

﴿ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ ﴾ الخباز ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ تأويلَ الرؤيا[1]. كان أهل السجن يعرضون الرؤيا عليه فيحسن تأويلها.

والأولى عدم التقييد بالرؤيا، إنا نراك من المحسنين فيما تأتي وتذر[2]. "كان إذا مرض أحدٌ من أهل السجن قام عليه وسعى في أمره جهده وإذا احتاج أحد جمع لـه"[3].

وعن قتادة: "كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فشرع يقول لهم: أبشروا واصبروا فإن لهذا آخراً، وفيه الثواب والأجر. فقالوا: بارك الله فيك من تكون يا فتى؟ ما أحسن وجهك وما ألطف خلقك لقد بورك لنا في

وقال الزجاج (١٠٩/٣): "وقال أهل اللغة: الخمر في لغة عمان اسم للعنب".

وانظر: لسان العرب (خمر) (٢٥٥/٤).

(١) رواه ابن جرير (٩٩/١٦) عن ابن إسحاق، وقاله البغوي (٢٤١/٤)، والزمخشري (٢٨٣/٣)، والبيضاوي (٤٨٣/١) وغيرهم.

(٢) انظر: الطبري (٩٨/١٦)، البسيط (٤٨٩/٢)، الكشاف (٢٨٣/٣)، زاد المسير (٢٢٤/٤).

(٣) رواه ابن جرير عن الضحاك (٩٨/١٦).

وانظر: تفسير البغوي (٢٤١/٤)، الكشاف (٢٩٣/٣).

جوارك. قال: أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحاق[1] بن خليل الله إبراهيم. فقال عامل السجن: لو استطعتُ خليت سبيلك"[2].

روي: "أن الفتيين قالا لـه: إنا نحبك، فقال: إياكما وحبي فوالله ما أحبني أحد إلا ودخل عليَّ من حبه البلاء[3] أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء، وأحبني أبي[4] فدخل[5] عليّ من حبه بلاء، وأحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء"[6].

وعن الشعبي[7]:"أنهما امتحناه فقال الشرابي: [إني][8] أراني في بستان فإذا به أنا

---

(١) راجع ص(٩٠٧) حيث بُيّن أن الصواب أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام.

(٢) رواه ابن جرير (٩٩/١٦) عن قتادة، وذكره الزمخشري (٢٨٣/٣) وغيره.

(٣) ق: الهم والبلاء.

(٤) ق: "بلاء" بدل كلمة "أبي" وهو خطأ.

(٥) كذا في ق، وسائر النسخ بدون الفاء.

(٦) رواه ابن جرير (٩٦/١٦) عن مجاهد، وذكره البغوي مبهماً (٢٤١/٤).

(٧) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني، ثم الشعبي، ولد في خلافة عمر -رضي الله عنه- لست سنين خلون منها، وقيل: غير ذلك، روى عن سعد وأبي موسى وجماعة، وعنه: أبو إسحاق ومجالد وغيرهما. قال: أدركت خمس مائة من أصحاب النبي ﷺ. توفي عام (١٠٤هـ).

انظر: طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦)، تذكرة الحفاظ (٧٤/١).

(٨) ساقطة من ص وَ ق.

بثلاثة عناقيد من العنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته، وقال الخباز: إني أراني فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تأكل منه"[1].

والضمير في ﴿تَأْوِيلِهِ﴾ راجع إلى ما قصا عليه.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ﴾ لما وصفاه بما يعرفان من الإحسان على أهل السجن وصف نفسه بما هو فوق ذلك، وهو الإخبار بالغيب بأنه يعلم ما يحمل إليهما من الطعام كل وقت، ويصف لهما ذلك ويقع الأمر على وفق وصفه، وإنما ذكر هذا القدر من الثناء على نفسه ليتوصل منه إلى الدعوة إلى التوحيد[2] -مع أنه ليس كلاماً أجنبياً

---

(١) ذكره الزمخشري (٢٨٣/٣)، ولم أقف عليه مسنداً.

وقد روى ابن جرير (٩٥/١٦-٩٦) عن ابن مسعود -ﷺ- والسدي أن صاحبي السجن قالا ذلك ليمتحنا يوسف -عليه السلام-.

وانظر: تفسير البغوي (٢٤٣/٤)، زاد المسير (٢٢٤/٤).

وليس في سياق الآيات ما يدل على أنهما قالا ذلك امتحاناً ليوسف -عليه السلام-، بل ظاهر الآيات أنهما رأيا ذلك حقاً.

وانظر جميع الآثار السابقة في الكشاف (٢٨٣/٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (١١٠/٣).

من السؤال؛ لأن الإخبار بالغيب يناسب تأويل[1] الرؤيا -وهذه طريقة الأخيار من الأنبياء والعلماء يقدمون الإرشاد والهداية بين يدي جواب الفتيا ينبهون بذلك السائل على أن الأولى والأخلق به ما ذُكر لـه لا ما يسأل عنه.

وفي حكاية الله ذلك إشارة إلى أن العالم إذا لم يُعلم منزلته في العلم فإذا وصف نفسه بما هو عليه في نفس الأمر وغرضه أن لا يضيع علمه لم يكن ذلك من تزكية النفس المنهي عنها[2].

﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ وحياً وإلهاماً ليس من الكهانة[3] والتَّنجيم[4] في شيء[5] ﴿ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ

---

(١) ص: تأويله.

(٢) ذكر جميع هذه الفوائد في الآية الزمخشري (٣/٢٨٤).

(٣) الكاهن: هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، قاله ابن الأثير في النهاية (كهن) (٤/٢١٤).

(٤) التنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الأحوال الأرضية.

انظر: لسان العرب (نجم) (١٢/٥٧٠)، تيسير العزيز الحميد ص(٣٨٧).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١١٠).

هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [دليل على أن إخباره بالمغيبات تعليم من الله بالوحي فإن الكهانة والتنجيم فعل أهل الضلال والنفوس الخبيثة](١).

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ ﴾ وصف نسبه الطاهر بعد ذكر حسبه(٢) تقوية لما هو بصدده من الدعوة إلى التوحيد فإن السامع إذا عرف أن طريقة المُرشد مسلك الأفاضل الأخيار يزداد وثوقه(٣).

﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ ما استقام لنا معشر الأنبياء الإشراك بالله أي شيء كان ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التوحيد ﴿ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ معشر الأنبياء ﴿ وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ المرسَل إليهم باتباعنا ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٢) الحَسَبُ: الكرم والشرف الثابت في الآباء، والشرف في الفعل والفعال الصالح.

انظر: لسان العرب (حسب) (٣١٠/١).

ومراد المؤلف -رحمه الله- بحسب يوسف -عليه السلام- ما ذكره لصاحبي السجن من إخبارهما بالمغيبات وأن ذلك وحي من الله تعالى لا عن طريق الكهانة والتنجيم.

(٣) قال الزمخشري (٢٨٥/٣): "وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله". اهـ.

يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ نعمة الله، بل يقابلونها بالكفر[1].

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾ يريد صاحبي الرؤيا، والإضافة فيه كالإضافة في كوكب الخرقاء[2] ....وسارق الليلة[3]، أو الصاحب بمعنى الساكن نحو: ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[4]

---

(١) ق: بالكفران.

(٢) والمراد أن الشيء قد يضاف إلى الشيء لأدنى ملابسة، ومنه قول الشاعر:

إذا كوكبُ الخَرْقاءِ لاحَ بَسُحْرةٍ ... سُهَيلٌ أذاعتْ غزْلَها في القرائبِ

"كوكب الخرقاء" فاعل بفعل محذوف يفسره لاح، و "سهيل" عطف بيان لكوكب الخرقاء، وجملة "أذاعت" جواب إذا، ومعنى أذاعت أي: فرقت. والمعنى: أنها إذا طلع سهيل -وهو زمن مجيء البرد- استغزلت قريباتها لأنها فرطت في الغزل في الصيف. قال ابن جني: "فأضاف سهيلاً إليها لجدها في عملها عند طلوعه". اهـ. المحتسب (٢/٢٢٨).

وانظر: المفصل ص(١١٢)، الخزانة (٣/١١٢).

(٣) أي: أن الإضافة للظرف فالمعنى: يا صاحبيَّ في السجن.

قال الزمخشري (٣/٢٨٥): "فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب، وإنما المصحوب غيره وهو يوسف -عليه السلام-". اهـ.

(٤) سورة الحشر، من الآية (٢٠).

و﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾[1] ﴿ ءَأَرۡبَابٞ [2] مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ كل شيء تحت حكمه وسلطانه. مَثَلٌ ضربه لهم في عبادة الله وعبادة الأصنام لأنهم كانوا يعبدون الأصنام[3].

﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ كما أن الحجر إذا سُمّي بالذهب لا حاصل لـه إلا

(١) سورة البقرة، من الآية (٣٩).
(٢) ذكر هذا الوجه الطبري (١٠٤/١٦)، والواحدي في البسيط (٤٩٢/٢)، والبغوي (٢٤٢/٤).

وانظر الوجهين في: الكشاف (٢٨٥/٣)، المحرر الوجيز (٢٤٥/٣)، تفسير البيضاوي (٤٨٤/١)، البحر المحيط (٣٠٩/٥)، الدر المصون (٤٩٧/٦-٤٩٨).

(٣) قاله الزمخشري (٢٨٥/٣).

قال الطيبي في فتوح الغيب ص(٤١٢): "فيه إشكال لأن الظاهر نفي استواء الأصنام وعبادتها بالله تعالى وبعبادته فأين المثل، لكن التقدير أسادات شتى تستعبد مملوكاً واحداً إلى عبادتهم خير من سيد واحد قهار؟ فوضع موضع الرب والسيد "الله" لكونه مقابلاً لقوله: "أرباب" كقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾ سورة الزمر، من الآية (٢٩)". اهـ.

ذلك الاسم. أزال ما أوهمه الكلام السابق من كون الأرباب لها معنى الربوبية [في الجملة][1] [والضمير في ﴿ تَعْبُدُونَ ﴾ لهما ولمن على دينهما على التغليب][2][3].

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ ﴾ في أمر العبادة[4] ﴿ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ بيان لما حكم به.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ المستقيم الذي لا عوج به[5]، أو الذي لا يزول ولا

---

(١) ساقطة من ص وَ ق.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٠٥)، تفسير البغوي (٤/٢٤٣)، الكشاف (٣/٢٨٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٨٤).

(٣) ما بين المعقوفتين قدمه في ق بعد قوله: إلا ذلك الاسم.

(٤) قاله الزمخشري (٣/٢٨٥)، والبيضاوي (١/٤٨٤)، والأولى حمل اللفظ على عمومه فالحكم لله تعالى في العبادة والأقدار والأرزاق وغير ذلك، وأما هذه الآلهة المزعومة فليس لها من الحكم شيء.

انظر: الوسيط (٢/٦١٣)، تفسير البغوي (٤/٢٤٣)، المحرر الوجيز (٣/٢٤٦)، زاد المسير (٤/٢٢٦).

(٥) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/٢٥٨)، والطبري (١٦/١٠٦)، والواحدي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي (المواضع السابقة).

وانظر: ما تقدم ص(٢٧١) براءة.

يختلف باختلاف الشرائع[1] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾/ ذلك فيقعون في الضلال.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ يريد الشرابي؛ لأنه الذي رأى عصر الخمر في كأس الملك ﴿ وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ ﴾ يريد الخباز ﴿ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ﴾ فلما قص [عليه][2] الرؤيا على الوجه المذكور قال الخباز: "ما رأيت شيئاً وإنما قلته امتحاناً فقال: ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[3]" أي: ما قلته كائن لا محالة سواء كنت كاذباً أو صادقاً، وإنما وَحَّد الأمر وإن كان الرؤيا أمرين لأنهما أرادا[4] استبانة عاقبة ما نزل بهما[5].

---

(١) قال الزمخشري (٢٨٦/٣): "الثابت الذي دلت عليه البراهين".

وانظر: البحر المحيط (٣٠٩/٥).

(٢) ساقط من ص و ق.

(٣) رواه ابن جرير (١٠٨/١٦، ١٠٩) عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- ومجاهد، والسدي، وقال به (١٠٧/١٦).

وراجع ما تقدم ص (٩٧٩).

(٤) ص: أراد.

(٥) قال أبو حيان (٣١٠/٥): وأفرد الأمر لأن المقصود إنما هو عاقبة أمرهما الذي أدخلا به السجن وهو اتهام الملك إياهما بِسَمِّهِ فرأيا ما رأيا، أو تحالما بذلك فقضيت وأمضيت تلك العاقبة من نجاة =

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾وإنما عبر عن معتقده بالظن؛ لأن التأويل كان بالاجتهاد(1)، وقيل: الظان الشرابي(2)، والأولى أن يكون الظن بمعنى اليقين من يوسف ليلائم(3) جزمه بالإخبار بالغيب(4).

أحدهما وهلاك الآخر. اهـ. مختصراً.

وانظر: الكشاف (٢٨٦/٣)، تفسير البيضاوي (٤٨٥/١).

(١) رواه ابن جرير (١١٠/١٦) عن قتادة.

(٢) ذكره الزمخشري (٢٨٦/٣)، وابن عطية (٢٤٧/٣)، والبيضاوي (٤٨٥/١).

(٣) ليلائم: مكررة في ق.

(٤) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- ومقاتل. زاد المسير (٢٢٧/٤).

واختاره الطبري (١٠٩/١٦)، والواحدي في الوسيط (٦١٤/٢)، والبغوي (٢٤٣/٢) وكثير من المفسرين.

وقال الزمخشري (٢٨٦/٣): "الظان يوسف إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي، أو يكون الظن بمعنى اليقين". اهـ.

وقد أجاب ابن جرير (١١١/١٦) عن قول قتادة بأن عبارة الرؤيا ظن من غير الأنبياء، أما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون؛ لأن ذلك لو جاز لم يؤمن مثل ذلك في كل أخبارها. ويوسف -عليه السلام- قطع بالأمر ثم أكده بقوله: ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ فلا يصح ذلك إلا وهو يعلم أن ما أخبرهما بحدوثه كائن لا محالة. اهـ. باختصار وتصرف.

﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ بأني محبوس ظلماً ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾ إسناد إلى السبب[1]؛ لأن النسيان حصل بوسوسته ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ البِضعُ ما بين الثلاث إلى التسع، من البَضْع وهو القطع[2]. قيل: الحكمة في ذلك الإنساء عتاب يوسف كيف لم يتكل على لطف الله ويستغن به عن الاستعانة بالكافر[3]، هلا سلك سبيل جده خليل الله لما جاءه

---

(١) ص: السب.

(٢) وقيل: البضع: ما بين الثلاث إلى العشر، وقيل: من أربع إلى تسع وقيل غير ذلك. وما ذكره المؤلف هو قول قطرب والأصمعي، واختاره الزجاج وجماعة.

انظر: معاني القرآن للفراء (٤٦/٢)، معاني القرآن للزجاج (١١٢/٣)، معاني القرآن للنحاس (٤٣٠/٣)، لسان العرب (بضع) (١٥/٨).

(٣) ظاهر كلام المؤلف -رحمه الله- أن النسيان مسند إلى الشرابي، والمعنى: أنسى الشيطان الشرابي أن يذكر يوسف لربه.

وهذا هو قول مجاهد والحسن والكلبي وابن إسحاق، واختاره الزمخشري والبيضاوي وأبو حيان، وصوبه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١١٢/١٥)، وابن كثير في تفسيره.

انظر: تفسير الطبري (١١٣/١٦)، البسيط (٤٩٦/٢)، الكشاف (٢٨٦/٣)، تفسير البيضاوي (٤٨٥/١)، تفسير ابن كثير (٣١٧/٤).

=

وذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة ومجاهد وجماعة إلى أن الضمير يعود إلى يوسف، والمعنى: أنسى الشيطانُ يوسف ذكر ربه، وذلك حين قال للشرابي: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ و لم يفزع إلى ربه تعالى، ولذلك عوقب بأن لبث في السجن بضع سنين. وقد اختار هذا القول ابن جرير والزجاج وغيرهما.

انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها)، معاني القرآن للزجاج (١١٢/٣).

هذا وإن بعض من ذهب إلى القول الأول كالزمخشري ومن تبعه كالمؤلف وغيره يلتقون مع أصحاب القول الثاني في أن ما أصاب يوسف حيث لبث في السجن بضع سنين كان عقاباً من الله تعالى؛ لأنه طلب العون من غيره حين قال: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾.

وقد رد هذا بعض أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:

وقيل: بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه، وهذا هو الصواب فإنه مطابق لقوله: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ قال تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه، بل كان ذاكراً لربه، وقد دعاهما إلى الإيمان بربه، وقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ..... ﴾ الآيات، وقال لهما قبل ذلك: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾ الآيات.

وليس في قوله: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ ما يناقض التوكل، بل قد قال يوسف ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ كما أن قول أبيه: ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ =

﴿ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ لم يناقض توكله بل قال: ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

وأيضاً فيوسف قد شهد الله لـه أنه من عباده المخلصين، والمخلص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله.

ولبثه في السجن كان كرامة من الله في حقه ليتم بذلك صبره وتقواه، فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال.

والمقصود أن يوسف لم يفعل ذنباً ذكره الله عنه، وهو سبحانه لا يذكر عن أحد من الأنبياء ذنباً إلا ذكر استغفاره منه، و لم يذكر عن يوسف استغفاراً من هذه الكلمة فعلم أنه لم يفعل ذنباً، ومما يبين أن الذي نسي هو الفتى قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ فهو دليل على أنه كان قد نسي فادكر. اهـ. باختصار. الفتاوى (١٥/١١٢-١١٨).

وانظر: البحر المحيط (٥/٣١٠).

قلت: ثم إنه لا دليل يجب المصير إليه يدل على ما ذُكر إلا ما يأتي:

١- ما رواه ابن جرير (١٦/١١٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- يرفعه: "لو لم يقل يوسف، يعني الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث، يعني حيث يبتغي الفرج من عند غير الله". وهذا حديث لا يصح. قال ابن كثير في تفسيره (٤/٣١٧): "وهذا الحديث ضعيف جداً".

٢- ما رواه ابن جرير (الموضع السابق) عن عكرمة والحسن وقتادة مرسلاً عن كل واحد منهما بمعنى حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- السابق، وهي مراسيل لا يحتج بها.

قال ابن كثير (الموضع السابق): "وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم". اهـ.

جبريل وهو في المنجنيق وقال لـه: "هل من حاجة يا خليل الله؟ فقال(١): أما إليك فلا، فقال: سل ربك، قال: علمه بحالي يغنيني عن سؤالي"(٢).

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ لما دنى فرجه قدّر

---

(١) كذا في الأصل، وسائر النسخ: قال.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره قال: ورُوي عن أبي بن كعب (٣٢٧/٥) ثم ساق الحديث. وأورده ابن عراق في تتريه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢٥٠/١)، ونقل عن ابن تيمية قوله: إنه موضوع.

وانظر: فيض القدير للمناوي (٢٩٩/٥)، كشف الخفاء (٤٢٧/١).

ولا شك أن التوكل لا يتعارض مع الدعاء، فإن اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء عبادة محبوبة إلى الله تعالى أمر بها عباده ورغبهم فيها ووعدهم عليها الأجر والثواب، ولم يزل عباد الله المخلصين من الأنبياء والمرسلين والصديقين يدعونه تعالى ويلجؤون إليه ويتضرعون بين يديه، ويعد هذا من مناقبهم وصفاتهم الحسنة، وهذا أفضلهم محمد ﷺ يستنصر الله تعالى على المشركين ويدعوه عليهم فيقول: «**اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف**» راجع ص(٥١٧) ويدعو لضعفة المؤمنين بالخلاص من المشركين فيقول: «**اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين**» ويدعو الله تعالى أن يترل النصر على عباده الموحدين يوم بدر. راجع ص(٢٩) فكيف يقال إن من تمام التوكل ترك الدعاء والإعراض عن سؤال الله تعالى. والله أعلم.

مُسَبِّبُ الأسباب أن رأى ملك مصر رؤيا هائلة عجيبة رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجافُ السمان، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعاً أخر يابسات قد أدركت وبلغت أوان الحصاد فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، وإنما استغنى عن بيان حال سنابل لما قص من حال البقرات[1]، وإنما جعل السمان صفة المميِّز دون العدد لأن المميِّز هو المقصود والوصف مكمل[2].

﴿ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ حذف المميِّز للعلم به[3]، وجعل الوصف للعدد دلالة على أن العجاف سبع ليس إلا وأن السمان لا تنحصر في السبع هذا طبق الواقع لقلة الشدة وكثرة الرخاء، والقول[4] بأن التمييز موضوع لبيان الجنس

(١) حال السنابل من حيث عددها وإذهاب اليابسات للخضر، فلم يُفصل ذلك استغناء بما قصه من حال البقرات.

انظر: الكشاف (٣/٢٨٩)، تفسير البيضاوي (١/٤٨٥).

(٢) المميِّز هو البقرات، والمراد أن السمان لم يؤت بها لتكون وصفاً للعدد (سبع) ولذا لم يقل: سماناً بالنصب، وإنما جعلت وصفاً للبقرات لأنها هي المقصود.

(٣) فلم يقل: سبع بقرات عجاف.

(٤) في حاشية الأصل: قائله القاضي.

والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده ولذلك لم يضف؛ فيه: إن ذلك إذا لم تكن قرينة ذكر البقرات[1]. وجمع[2] العجفاء على ﴿ عِجَافٌ ﴾ وإن لم يجمع فَعْلاء على فِعَال حملاً على ﴿ سِمَانٍ ﴾ لأنه نقيضه[3].

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٨٥).

وراجع حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/٣١١).

(١) ص: وذكر البقرات.

والمقصود أن العجاف هنا وقعت وصفاً لا تمييزاً فذهب البيضاوي في التوجيه إلى أن التمييز يؤتى به للبيان، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده، وخالفه المؤلف في هذا التوجيه قائلاً بأن عدم حصول بيان الجنس بالوصف إذا لم يكن الموصوف معلوماً، وهنا قد علم الموصوف بسبب تقدم ذكره.

(٢) ص: بحذف الواو.

(٣) قاله البيضاوي (١/٤٨٥).

أي أن الأصل أن تجمع عجفاء على عُجْف لأن فعلاء تُجمع على فُعْل كما أشار إليه ابن مالك بقوله:

فُعْل لنحو أحمر وحمراء

أي أن كل من أَفْعَل وفعلاء يجمعان على فُعْل، ولكن جمع في الآية على فِعَال حملاً لــه على نقيضه الذي هو: سمينة فإنه يجمع على فِعَال.

انظر: ألفية ابن مالك مع شرحه لابن عقيل (٢/٤٥٦).

﴿ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ ﴾ قد اشتد حبها ﴿ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ وسبعاً أخر يابسات، وإنما علم كونها سبعاً لانصباب الكلام إلى هذا العدد، وإنما حذفه لتكرره كما حذف البقرات من العجاف.

ولا يجوز عطف ﴿ أُخَرَ ﴾ على ﴿ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ ﴾ ليكون مجروراً مميزاً للسبع المذكور لأن لفظ ﴿ أُخَرَ ﴾ يقتضي المغايرة فيؤدي إلى التدافع[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ ﴾ عبِّروها، نادى الأشراف لزيادة معرفتهم وللوثوق بتأويلهم، وكأنه آثر لفظ الإفتاء للإشكال.

﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ اللام للتقوية؛ لأن الفعل يضعف بتقدم المعمول عليه كقولك: لزيد ضربت، ويجوز أن يكون الجار والمجرور خبر

(١) قال الزمخشري (٣/٢٨٩): "بيانه: أنك تقول: عندي سبعة رجال قيامٍ وقعودٍ بالجر فيصح، لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود، فلو قلت: عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد". اهـ.

والمراد بالتدافع هو التناقض لأن العطف يدل على أن اليابسات داخلة في جملة السبع، وكلمة ﴿ أُخَرَ ﴾ تدل على أنها مغايرة لها غير داخلة فيها وهذا تناقض، ومنشأ التناقض عطفه على السنبلات الذي هو تمييز للسبع أما إذا جعل عطفاً على ﴿ سَبْعَ ﴾ فيرتفع التناقض. والله أعلم.

كان[1] و ﴿ تَعۡبُرُونَ ﴾ خبراً آخر، أو حالاً، أو ضمن ﴿ تَعۡبُرُونَ ﴾ فعلاً يتعدى باللام كأنه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا[2].

وحقيقة: "عبرت الرؤيا" عبرت إلى المقصود منها وجاوزتها كما تقول: عبرت النهر إذا جاوزته[3]، [وعبرت][4] وعبّرت لغتان[5].

﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ ﴾ جمع ضِغْث، وهو قبضة حشيش مختلط رطبه باليابس، استعير للرؤيا التي لا يعرف وجهها ولا يوجد لها أصل تؤول إليه[6]. والأحلام جمع حلم وهو ما يراه النائم، وما رآه الملك وإن كان رؤيا واحدة إلا أنهم جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان أو يكون قد قص عليهم في تلك

---

(١) قال الزمخشري (٢٨٩/٣): "كما تقول: كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً منه". اهـ.

(٢) ذكر هذه الأوجه جميعاً الزمخشري (الموضع السابق)، الدر المصون (٦/٥٠٤).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١١٢)، تهذيب اللغة (عبر) (٢/٣٧٨).

(٤) ساقطة من ص.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١١٢)، لسان العرب (عبر) (٤/٥٢٩).

(٦) انظر: مجاز القرآن (١/٣١٢)، معاني القرآن للزجاج (الموضع السابق)، الكشاف (٣/٢٩٠).

الأيام منامات أخر[1].

﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي: الأحلام المذكورة لأنها نكرة أعيدت معرفة[2]. وحمله[3] على اعترافهم بأنهم ليسوا في علم التعبير بنحارير[4] فيه أن قولهم: ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ ينافيه لاقتضائه أن لهم علماً[5] رصيناً بما ليس من هذا القبيل.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا ﴾ الشرابي الذي نسي ما قاله يوسف من ذكره

(١) انظر: المرجع الأخير (الموضع نفسه).

(٢) انظر: فتوح الغيب ص(٤٢٢).

(٣) ق: وأما حمله.

(٤) في حاشية الأصل وَ ص: قائله الكشاف.

قال الزمخشري في الكشاف (٢٩١/٣): "إما أن يريدوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا: ليس لها عندنا تأويل، فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة، وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير". اهـ.

(٥) ص: علماء.

للملك ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ مدة من الزمان طويلة؛ جملة معترضة[1] ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ فأرسلوه فلما جاءه قال لـه: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ أيها البليغ في الصدق الراسخ فيه[2]، شاهَدَ ذلك منه في السجن لاسيما رؤياه ورؤيا رفيقه فإنه كان برهاناً جلياً ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ وهي رؤيا الملك ﴿ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بما تؤول به، وإنما لم يجزم بالرجوع لأنه بصدد الاخترام[3][4]. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ قدرك ويكون سبباً لنجاتك. لم يجزم بعلمهم فضله لأنه كان مسجوناً بعد ما رأوا منه الآيات الدالة على طهارة ذيله ونباهة شأنه فمن لم يؤمن بذلك فلا يبعد منه أن يجهل قدره بعد تأويل الرؤيا.

---

(١) قاله البيضاوي (١/٤٨٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١١٣).

(٣) ص: الاحترام.

(٤) الاخترام: الموت والهلاك.

والمعنى أنه من الجائز أن يدركه الموت قبل بلوغه إليهم.

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ خبر في معنى الأمر[1] وهو أبلغ من صريح الأمر، و ﴿ دَأَبًا ﴾ بسكون الهمز وحركته، مصدر دأب في العمل إذا لازم واعتاد[2]، وبالفتح قرأ حفص[3] ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ لئلا يتسوس، اعتراض منه قبل تمام تأويل الرؤيا نصحاً لهم كأنه قد وقع ما أخبرهم به[4] فهو يأمرهم بما فيه صلاحهم/ ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ فإنه يداس ويصفى.

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ في تلك السنين، إسناد الأكل إلى السنين مجاز ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ تحفظونه للبذر[5].

(١) انظر: البسيط (٢/٥٠٨)، الكشاف (٣/٢٩٢).

(٢) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢١٨)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٣٤).

(٣) وقرأ باقي السبعة وعاصم في رواية أبي بكر بالسكون.

انظر: السبعة ص(٣٤٩)، التيسير ص(١٠٥).

(٤) ص: ما أخبر به.

(٥) قاله القرطبي في الجامع (٩/٢٠٤)، والبيضاوي (١/٤٨٦)، وعبارات أكثر المفسرين: تدخرون، =

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ[1] بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ من الغوث أو الغيث[2] يقال: استغثتُه طلبتُ منه الغوثَ أو الغيثَ فأغاثني من الغوث وغاثني من الغيث، قال ذو الرمة[3]: "قاتل الله [أمة][4] بني فلان ما أفصحها، قلت: كيف

تخزنون، تحرزون ونحوها دون تقييد بالبذر.

انظر: تفسير الطبري (١٢٨/١٦)، الكشاف (٢٩٣/٣)، زاد المسير (٢٣٣/٤).

(١) من: لم تكتب في ص.

(٢) والغوث يقال في النصرة والإنقاذ من الكرب، والغيث في المطر.

انظر: معجم مقاييس اللغة (غوث) (٤٠٠/٤) (غيث) (٤٠٣/٤)، المفردات (غوث) ص(٦١٧).

قال ابن عطية (٢٥١/٣): "جائز أن يكون من الغيث وهو قول ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين أي: يمطرون، وجائز أن يكون من أغاثهم الله إذا فرج عنهم ومنه الغوث وهو الفرج". اهـ.

والقول بأنه من الغيث هو قول قتادة والضحاك -أيضا- و لم يذكر ابن جرير غيره (١٢٨/١٦)، وقال به البغوي (٢٤٧/٤)، وابن كثير (٣١٨/٤) وغيرهم.

وجوَّز الوجهين الواحدي في البسيط (٥١٢/٢)، والزمخشري (٢٩٣/٣)، والبيضاوي (٤٨٦/١).

ولعل الأقرب -والله أعلم- الأول لأنه هو الملائم للسياق ولتضمنه معنى الثاني.

(٣) غيلان بن عقبة بن بُهَيْش ويقال: بهيس، أبوالحارث والرُّمَّة: الحبل، حدث عن ابن عباس وروى عنه أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر النحوي، قال أبو عمرو بن العلاء: افتتح الشعراء بامرئ القيس وختموا بذي الرمة. اهـ توفي بأصبهان عام ١١٧هـ.

انظر: الشعر والشعراء (٥٢٤/١)، سير أعلام النبلاء (٢٦٧/٥).

(٤) ساقطة من ص.

كان المطر عندكم؟ قالت: غِثْنا[1] ما شئنا"[2].

﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ العنب والزيتون وسائر ما يعصر من الفواكه والحبوب لكثرتها وعموم الخصب، قرأ حمزة والكسائي ﴿تعصرون﴾ بالخطاب تغليباً على نمط ﴿ تَزْرَعُونَ ﴾ و ﴿ تَأْكُلُونَ ﴾[3].

بشارة بشرهم بها بعد تأويل الرؤيا علم ذلك بالوحي[4] لأن انتهاء الجدب بالخصب وإن كان معلوماً لكن لا على الوجه الذي أخبر به من عمومه وبلوغه

---

(١) أي: أصابنا الغيث.

انظر: المراجع الآتية.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (غيث) (٤٠٣/٤)، لسان العرب (غيث) (١٧٥/٢)، المزهر (١٥٣/١).

(٣) انظر: السبعة ص(٣٤٩)، الطبري (١٣٠/١٦)، التيسير ص(١٠٥).

(٤) روى ابن جرير (١٢٩/١٦) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ ﴾ قال: أخبرهم بشيء لم يسألوه عنه وكان الله قد علمه إياه".

وروى نحوه عن قتادة (١٢٨/١٦).

وقال ابن جرير: "وهذا خبر من يوسف -عليه السلام- للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقه". اهـ.

الغاية حتى يدخروا من تلك الأصناف، وفي تكرير ﴿ فِيهِ ﴾ وتقديمه ما يشد أعضاد كونه مسنداً إلى الوحي"[1].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ بعدما بلغه الرسول تأويل الرؤيا وأعجبه ذلك طلب مشاهدته ومشافهته.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ ﴾ وأخبره أن الملك طلبه ﴿ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ لم يقل: فقال إيماء إلى أنه قاله من غير تأمل ولا توقف حتى كأنه لم يتعاقب كلامه كلام الرسول، وفي[2] ذلك زيادة ثناء عليه بأن تلك المشقة العظيمة في تلك المدة المستطيلة لم تؤثر فيه بل كان رأيه وفكره على الاستقامة، ولذلك أثنى عليه سيد الرسل وقال: «لو لبثت ما لبث لأجبت الداعي»[3] يشير إلى علو همته وأنه من الصبر والاستقامة بمكان.

﴿ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ كان غرض الصديق

---

(١) حيث يدل على أنه يقع في هذا العام كل من الغيث والعصر.

انظر: روح المعاني (١٢/٣٨٥).

(٢) ق: بحذف الواو.

(٣) انظر: الحديث بتمامه ص(٩٥٤) وراجع تخريجه ص(٨١٢).

في ذلك غرضاً صحيحاً خاف كيد الحاسدين مرة أخرى، وفي الحديث «**لا يلدغ**[1] **مؤمن من جحر مرتين**»[2] فأراد أن يبرئ ساحته لينسد طريق المكر والتهمة على الحاسدين ويظهر ذلك للناس، لم يذكر امرأته[3] وإن كانت هي السبب الكلي تحاشياً عن ذكر سيدته بما فيه شين، أطلق النسوة وإن كن توابع[4].

﴿ **إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ كامل العلم وإن كان كيدهن عظيماً بعيد الغور.

﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ** ﴾ لما رجع الرسول وأخبر الملك بمقالة يوسف جمع

---

(١) ق: لا يلذغ.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (١٠٣/٧)، ومسلم، كتاب الزهد، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٢٢٩٥/٤ رقم ٦٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بلفظ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**».

(٣) ظاهر كلام المؤلف أنها امرأة الملك، وهذا وإن كان قال به بعض أهل العلم فإنه مخالف لما ذكره المؤلف أولاً ص(٩٣٥) من أنها امرأة قطفير الذي كان على خزائن مصر وكان الملك الريان بن الوليد، كما أن في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ** ﴾ ما يشير إلى أنها لم تكن امرأته وإلا لأضافها إليه وهو قد وصف في الآيات أنه الملك وهي امرأة العزيز. والله أعلم.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (١١٢/٣)، الكشاف (٢٩٥/٣).

النسوة وخاطبهن، والخَطْبُ: الأمر والشأن[1]، اشتهر في الأمر العظيم لأنه الذي يُسأل عن سببه ويقع التخاطب فيه ﴿ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ جعل مراودتهن أمراً لا إنكار فيه[2] ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ اعترفن بالمراودة وبرأن[3] ساحة يوسف عن الميل إلى قولهن ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ قط لا فيما دعونا إليه ولا في غيره. زادوا على الجواب ثناء عليه.

﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ ظهر وبان لأنه كان قبلُ مستوراً ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ اعتراف الخصم بأن غريمه على الحق وهو [على][4] الباطل لا يكون أبلغ منه في

---

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢١٨)، لسان العرب (خطب) (١/٣٦٠).

(٢) قال ابن الأنباري: "لأن الملك اتصل به أن بعض النسوة راود فجمعهن ليستعلم عين المراودة، ويحتمل أن يقال إنهن كلهن راودن فامرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة راودنه في طاعتها والانقياد لما تلتمسه منه". البسيط (٢/٥٢٠).

(٣) ق: وتبرأن.

(٤) ساقطة من ق.

الثناء وأمنع للشغب، ولم تكتف[1] بتصديقه في القصة المذكورة بل أدرجته في زمرة المتصفين بالصدق على الدوام الملازمين لـه.

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ كلام يوسف مع الرسول[2] لما عاد إليه أي: ذلك التثبت كان ليعلم الملك أنه لما جعلني أميناً في أهله لم يقع مني خيانة[3] وإن نسبوني إليها، الجار والمجرور حال من الفاعل أو المفعول على معنى أنا غائب عنه خفي عن عينه [أو غائب][4] عني خفي عن عيني[5].

---

(١) ق وَ ص: يكتف.

(٢) رواه عبدالرزاق في التفسير (٣٢٥/٢/١) وابن جرير عن قتادة، ورواه ابن جرير أيضاً (١٦/١٤٠-١٤١) عن ابن اسحاق ومجاهد وأبي صالح والضحاك وقال به، واختاره الفراء (٤٧/٢)، والزجاج (١١٥/٣) وجماعة.

وانظر: زاد المسير (٢٣٨/٤).

(٣) قال في البسيط (٥٢٣/٢): "والأكثرون على أن قوله ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ معناه ليعلم العزيز وهو وزير الملك أني لم أخنه في زوجته بالغيب". اهـ.

(٤) ساقط من ق.

(٥) انظر: الكشاف (٢٩٦/٣)، تفسير البيضاوي (٤٨٧/١).

ويجوز أن يكون القائل امرأة العزيز[1] أي: ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب بل ذكرت ما هو الواقع[2]، أو القائل يوسف والضمير لله[3] أي: ليعلم الله أني لم أخنه؛ لأن المعصية خيانة في الدين، لكن قوله: ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ على هذا الوجه ليس لـه ذلك الالتصاق.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝ ﴾ لا يفضي بكيدهم إلى ما توسلوا به إليه. والهداية لو كانت كانت لهم وإنما أوقعت على الكيد ثم نفيت

---

(١) ذكره ابن عطية (٣/٢٥٤)، وابن الجوزي (٤/٢٤٠) ونصره شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى (١٥/١٣٩)، وابن القيم، روضة المحبين ص(٢٢٧)، واستظهره أبو حيان (٥/٣١٦)، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٣٢٠): "﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة... وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله- فأفرده بتصنيف على حدة". اهـ.

(٢) انظر: روضة المحبين ص(٢٢٧).

(٣) قال ابن الجوزي: روي عن مجاهد (٤/٢٤٠).

مبالغة[1]. وفيه تعريض بامرأة العزيز إن كان هذا قول يوسف بأن كيدها لم ينتج شيئاً[2].

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ ﴾ لما ظهرت براءته وكان قصده في ذلك دفع وصمة الخيانة تواضع لله لئلا يكون مزكياً نفسه معجباً بذلك[3]. وجعله من قول امرأة العزيز بعيد كيف وقد وضح أنها كانت منبع الفساد؟[4].

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ أما في هذه الحادثة فلما وقع منه من الهم[5] ولا شك أنه فعل النفس، وأما في أحوالها كلها فإن جبلتها على ذلك، أو لم يرد نفسه بل أراد الجنس وأن هذا شأنها سواء كانت نفس نبي أو غيره[6] ولهذا استثنى بقوله:

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٨٧).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٢٩٦)، البيضاوي (الموضع السابق).

(٣) انظر: الطبري (١٦/١٤٢)، البسيط (٢/٥٢٤)، الكشاف (الموضع السابق).

(٤) لا يظهر ما فيه من البعد، بل الظاهر أنه هو المناسب للسياق.

وانظر: الأوجه التي ساقها ابن القيم في روضة المحبين (٢٢٧) لترجيح هذا القول.

(٥) وقد سبق أنه هم لا يؤاخذ عليه، بل يؤجر حين دفعه. والله أعلم.

راجع ص(٩٤٦).

(٦) انظر: الكشاف (٣/٢٩٧).

﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ إلا وقت رحمة ربي أو إلا نفساً رحمها ربي فعصمها[1]، وقيل: الاستثناء منقطع[2]، والمعنى: لكن[3] رحمة ربي هي التي تصرف السوء[4] إشارة إلى قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[5] و[6] اعترافاً به[7].

﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ ﴾ للذنوب بعد وقوعها ﴿ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ يرحم من يشاء بالعصمة.

---

(١) استظهره أبوحيان في البحر المحيط (٥/٣١٧).

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن (٢/٤٨)، ونسبه ابن عطية (٣/٢٥٤) للجمهور.

(٣) ص: ولكن.

(٤) جوَّز الأوجه الثلاثة الزمخشري (٣/٢٩٨) ،وابن عطية (٣/٢٥٤)، ولم يذكر العكبري في التبيان (٢/٧٣٥) إلا الوجهين الأولين.

(٥) سورة يوسف، من الآية (٢٤).

(٦) ص: أو.

(٧) لا أدري ما مقصود المؤلف -رحمه الله- بالمعترف به، فإن كان المقصود -كما هو الظاهر- هو السوء فإنه عجيب فإن الله تعالى ينفيه عن عبده ورسوله يوسف -عليه السلام- فكيف يقال: إن هذا اعتراف به!!.

ثم إنه قد سبق للمؤلف أن بين أن هم يوسف -عليه السلام- هم لا يؤاخذ عليه بل يؤجر عليه لعدم فعله. راجع ص (٩٤٦).

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ لا يشاركني فيه أحد لعظم أمانته وكمال ديانته ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ﴾ ذو مكانة ومنزلة رفيعة ﴿ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ حق أمين، أطلقه ليتناول كل شيء تحت يده من الأموال وغيرها.

روي أنه لما خرج من السجن دعا لأهله وقال: "اللهم أعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تغم عليهم الأخبار، وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء"[1]، ثم اغتسل ولبس ثياباً جديدة وتوجه فلما أراد الدخول على الملك فقال: "اللهم [إني][2] أسألك بخيرك من خيره/ وأعوذ بعزتك من شره، فلما دخل سلم عليه ودعا لـه بالعبرانية، فسأله، عنها، فقال: لسان آبائي"[3]، وقيل: "توفي العزيز في تلك الليالي فتزوج يوسف امرأته

(١) ذكره البغوي بصيغة التمريض (٤/٢٤٩).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) ذكره البغوي عن وهب بن منبه بسياق أطول (٤/٢٥٠)، وفيه ما يستغرب، وقد ذكر هذا والذي قبله الزمخشري (٣/٢٩٩)، وأبو حيان (٥/٣١٧).

ومثل هذه الأخبار لا تعلم صحتها بل هي مما نقل من أخبار بني إسرائيل، ولا يتوقف فهم كلام الله على شيء منها ولذا ساقها المؤلف بصيغة التمريض.

فوجدها عذراء"[1]، وكان عاقبة التقوى أن أورثه الله أرضهم وديارهم.

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ يريد أرض مصر، وكان غرضه في ذلك الإحسان على الناس ورعاية المحاويج والفقراء في أيام الشدة والغلاء[2].

﴿ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ شديد الحفظ من الضياع، كامل العلم بمصارف الخير ووجوه المكاسب، وهذا أيضاً إظهار الشرف والفضل لنفع الخلق لا للترفع وتزكية النفس[3]، وعن مجاهد: "أن الملك أسلم على يده"[4]، وإن كان كافراً فإنما تولى منه يوسف لمصالح الكافة كما تتولى القضاة العادلة من الأمراء الظلمة والملوك الفسقة[5].

---

(١) رواه ابن جرير (١٥١/١٦) عن ابن إسحاق، ورواه البغوي (٢٥٢/٤) عن ابن زيد.

(٢) قال الزجاج (١١٦/٣): "إنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض؛ لأن الأنبياء بعثوا لإقامة الحق والعدل ووضع الأشياء مواضعها، فعلم يوسف -عليه السلام- أنه لا أحد أقوم بذلك منه ولا أوضع لـه في مواضعها فسأل ذلك إرادة للصلاح". اهـ.

(٣) ذكره بنحوه ابن الأنباري. البسيط (٥٢٩/٢)، والزمخشري (٢٩٩/٣) وغيرهما.

(٤) رواه ابن جرير (١٥٢/٣)، والبغوي (٢٥٢/٤).

(٥) ذكره الزمخشري (٣٠٠/٣)، والبيضاوي (٤٨٨/١) بنحوه.

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: وكما سخرنا لـه قلب الملك حتى جعل أموره كلها بيده مكنا لـه في أرض مصر ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ أيّ مكان أراد أن يتخذه منزلاً اتخذه من غير مانع ولا مزاحم، روي أن الملك توَّجه وختَّمه وردَّاه بسيفه ووضع [لـه][1] سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت، فقال يوسف: أما السرير فأشد به ملكك و [أما][2] الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولباس أبائي، فقال: قد وضعته إجلالاً لك وإقراراً بفضلك، فجلس على السرير[3][4] وشاع أمره وحسنت سيرته وأحبه الخلق وباع الطعام أول سنة من سني القحط بالدراهم والدنانير، وفي السنة الثانية بالحلي

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) ساقطة من ص.

(٣) ص: فجلس في السرير.

(٤) ذكره بهذا السياق الزمخشري (٣/٣٠٠)، وقد رواه البغوي من طريق الثعلبي (٤/٢٥٢) من رواية إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بنحوه، وهذا إسناد ساقط جداً.

انظر: الكافي الشاف ص(٩٠).

والجواهر، ثم الدواب، ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم فإنه كان مشروعاً في شرعه، ثم قال للملك: "كيف رأيت وماذا ترى؟ قال: الأمر إليك والرأي ما رأيت، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أموالهم"[1].

﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

إما في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما على حسب ما اقتضته الحكمة[2] وجرت به المشيئة.

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ المعاصي، والمعنى: أن المؤمن المتقي يؤجر على حسناته في الدنيا والآخرة، ولكن بين الأجرين بَوْن بعيد، إشارة [إلى][3] أن ما ناله من ملك [الدنيا][4] نزر يسير بالنسبة إلى ما

---

(١) ذكره البغوي غير معزوٍ بصيغة التمريض (٤/٢٥٣)، ونقله الزمخشري (٣/٣٠١)، والبيضاوي (١/٤٨٨)، وأبو حيان (٥/٣١٨).

(٢) ق: ما اقتضت به الحكمة.

(٣) ساقطة من ص.

(٤) ساقطة من ق.

أعده(1) الله لـه من المنازل(2)، ولذلك لم يرض إلا بذلك وقال: ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(3).

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ أصاب أرض الشام ما أصاب أرض مصر من السنة فأرسل يعقوب بنيه للميرة واحتبس بنيامين شقيق يوسف يتسلى به(4).

﴿ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ لم يعرفوه؛ لأنه فارقهم في سن الحداثة، ولأنهم رأوه في أبهة الملك على سرير مُرصّع وعلى رأسه تاج مُكَلَّل، ورأوه من بعيد بين يديه الحجاب، ولم ينظروا إليه نظراً يملأ العين(5)، وإنما عرفهم [لعدم](6) تغير زيهم، ولأنه فارقهم وهم رجال(7)، وعن الحسن: "ما

(١) ق: إلى ما أوعده الله... إلخ.

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/٣١٨).

(٣) سورة يوسف، من الآية (١٠١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٥٣)، تفسير البغوي (٤/٢٥٤)، زاد المسير (٤/١٤٦).

(٥) انظر: المرجعين السابقين (الموضع نفسه)، الكشاف (٣/٣٠١).

(٦) ساقطة من ق.

(٧) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد. البغوي (٤/٢٥٤)، زاد المسير (٤/٢٤٧).

عرفهم إلا بعد أن تعرفوا لـه"[1] فإنه كان يتوسم في وجوه الواردين وكانت همته[2] مصروفة إلى أن يقف على حالهم وعلى حال أبيه المحزون.

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ هيأهم للسفر، وجهازُ السفر -بالفتح والكسر-: ما يحتاج إليه من الزاد والراحلة[3] ﴿ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ لما دخلوا عليه كلموه بالعبرانية قال لهم: "أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم[4]؟ قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا جهد جئنا ممتارين[5]، قال: كأنكم عيون تنظرون عورة هذه[6] البلاد. قالوا: معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صدِّيق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: كنا

---

(١) رواه البغوي (٤/٢٥٤)، وانظر: الكشاف (٣/٣٠٢)، زاد المسير (٤/٢٤٧).

(٢) ق: تمته.

(٣) قال في لسان العرب (جهز) (٥/٣٢٥): "جَهاز العروس والميت وجِهازهما: ما يحتاجان إليه، وكذلك جهاز المسافر، يفتح ويكسر".

(٤) ق: في أني أنكرتكم.

(٥) ص: ممتازين.

(٦) ق: هذا.

اثني عشر فهلك منا واحد[1]، فقال: فكم أنتم؟ قالوا عشرة، قال: فأين الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به عن أخيه الهالك. قال: من يشهد لكم؟ قالوا إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد. قال: فدعوا بعضكم رهناً وأتوني بأخيكم من أبيكم يحمل رسالة من أبيكم فاقترعوا بينهم فوقعت القرعة على شمعون فخلفوه عنده وكان قد أحسن إليهم وأكرم نزلهم[2]. قيل: كان لم يزد كل شخص على حمل فسألوه حملاً زائداً لذلك الأخ الذي يأتون به فأعطاهم[3].

﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ ﴾ ولا أبخس أحداً ﴿ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ ﴾ وكانوا عاينوا منه ذلك.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠ ﴾ لا تعودوا إلى هذه البلاد فإنكم كذبة خونة ﴿ وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾[4] إما نفي معطوف على

---

(١) ص: واحدا.

(٢) ذكره الواحدي في البسيط (٢/٥٣٤)، والبغوي (٤/٢٥٤)، وابن الجوزي (٤/٢٤٦) من رواية الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وذكره الزمخشري (٣/٣٠٢) مبهماً.

(٣) ذكره الواحدي (الموضع السابق)، والبغوي (٤/٢٥٥) دون ذكر سؤالهم.

(٤) ص: وَ ق: تقربوا.

محل الجزاء، أي: إن لم تأتوا به تجمعوا بين حرمان الكيل وعدم القرب، أو نهي[1].

﴿ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ سنخادعه وسنجتهد في تحصيله ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ذلك لا محالة لكمال قدرتنا على ذلك بحيث لا مجال للشبهة، كلام محقِّق بالوفاء بالعهد وإنجاز الوعد.

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾أمر غلمانه الكيالين أن يجعلوا بضاعة إخوته في رحالهم بحيث لا يعلمون ذلك، وقرأ حمزة والكسائي وحفص "فتيانه" والباقون "فتيته"[2] فالأول جمع الكثرة لفتى، والثاني جمع القلة[3].

﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ ﴾ وفتحوا الأحمال ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ لأنهم لا يستحلون أخذ البدلين[4]، أو لعلهم يعرفون حق

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٠٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٨٩)، البحر المحيط (٥/٣١٨).

(٢) انظر: السبعة ص(٣٤٩)، التيسير ص(١٠٥)، الإقناع (٢/٦٧٢)، البحر المحيط (٥/٣٢٠).

(٣) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٤٣٠)، الكشاف (٣/٣٠٢-٣٠٣).

(٤) نسبه ابن الجوزي للضحاك (٤/٢٥٠)، وجوزه الزجاج (٣/١١٧).

التكرم بردها مع البدل لعلهم يرجعون لذلك الإحسان وشكره[1].

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين/ ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ صريح في أن منع الكيل مشروط بعدم مجيئه إلى الملك معهم، قرأ حمزة والكسائي [بالياء][2] بإسناد الفعل إلى الأخ، والباقون بالنون للمتكلم[3] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ البتة لا يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾ حيث قلتم: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ[4]﴾[5] قد[6]

(١) انظر الوجهين في: معاني القرآن للفراء (٢/٤٨)، تفسير الطبري (١٦/١٥٧)، تفسير البغوي (٤/٢٥٥)، الكشاف (٣/٣٠٣)، زاد المسير (٤/٢٤٩).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) انظر: السبعة ص(٢٥٠)، التيسير ص(١٠٥)، النشر (٢/٢٩٥).

(٤) ص وَ ق: لحافظون. وهو خطأ.

(٥) سورة يوسف، من الآية (١١).

(٦) ق: وقد.

قلتم في يوسف ما تقولونه الآن في أخيه.

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَـٰفِظًا ﴾ منكم فأتوكل عليه، قرأ حمزة والكسائي وحفص على وزن فاعل[1]، وهو تمييز[2] كقولك: طاب زيد فارساً، وقيل: حال[3]، ومنعه أبو علي[4][5]، وقرأ الباقون ﴿حفظاً﴾[6]، وهو أبلغ وعليه الرسم[7]. ﴿ وَهُوَ أَرۡحَمُ

(١) انظر: السبعة ص(٣٥٠)، التيسير ص(١٠٥)، النشر (٢/٢٩٥-٢٩٦)، البحر المحيط (٥/٣٢٠).

(٢) جوزه الزجاج (٣/١١٨)، وهو قول أبي علي الفارسي في الحجة (٤/٤٣٩)، والزمخشري (٣/٣٠٣) والعكبري في التبيان (٢/٧٣٧)، وأبو حيان (٥/٣٢٠).

(٣) قال به الزجاج (٣/١١٨) وجوزه الزمخشري (٣/٣٠٣).

(٤) الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن محمد بن سليمان، أبوعلي الفارسي، أحد أعلام النحو والعربية، أخذ النحو عن الزجاج وابن السراج، وعنه ابن جني وجماعة. توفي عام (٣٧٧هـ) ببغداد.
انظر: معجم الأدباء (٢/٤١٣)، بغية الوعاة (١/٤٩٦).

(٥) انظر: الحجة (٤/٤٣٩-٤٤٠).
وقال أبو حيان (٥/٣٢٠): "وليس بجيد لأن فيه تقييد ﴿ خَيۡرٌ ﴾ بهذه الحال". اهـ.

(٦) ﴿حفظاً﴾ بكسر الحاء وإسقاط الألف، وهو منصوب على التمييز قاله الزجاج (٣/١١٨)، والعكبري في التبيان (٢/٧٣٧)، وأبو حيان (٥/٣٢٠)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/٥١٩). قال العكبري (الموضع السابق): "وهو تمييز لا غير". اهـ.

(٧) ذكره أبو عمرو الداني في المقنع ص(٨٦)، باب ذكر ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار من أول القرآن إلى آخره.

ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فأرجو أن لا يجمع عليَّ مصيبتين فيرده إليَّ لأتسلى [به][1] عن أخيه.

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ ﴾ ﴿ مَا ﴾ نافية[2]، والبغي تجاوز الحد، والمعنى: ما نتزيد[3] في وصف الملك الإحسان علينا والإكرام لنا، وكانوا قبل فتح المتاع أخبروه بأنه أكرمهم غاية الإكرام حتى لو كان رجلاً من آل يعقوب لما فعل معهم ما فعل[4]، أو البغي هو الطلب، والمعنى: ما نطلب وراء ما فعل معنا من الإحسان شيئاً[5]، أو ما نطلب بضاعة أخرى منك[6].

(١) ساقطة من ق.

(٢) ذكره الفراء في معاني القرآن (٢/٤٩)، والزجاج (٣/١١٨)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٣٣)، وجوزوا أن تكون استفهامية.

(٣) ق: ما نزيد.

(٤) ذكره الزمخشري (٣/٣٠٣-٣٠٤).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٨٩).

(٦) قاله الفراء في معاني القرآن (٢/٤٩).

﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴾ فهي كافية لنا، وعلى الوجهين الأولين جملة مستأنفة جارية مجرى الدليل[1] ﴿ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا ﴾ عطف على مقدر أي: ردت بضاعتنا إلينا فنستظهر بها ونمير بالرجوع إلى الملك ﴿ وَنَحۡفَظُ أَخَانَا ﴾ عما نخاف[2] عليه في الذهاب والإياب ﴿ وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ﴾ ما يحمله بعير باستصحاب أخينا "لأن يوسف كان في زمن الغلاء يقسط فلا[3] يزيد كل شخص على حمل"[4].

ويجوز على الأول[5] عطف الجمل على قوله: ﴿ مَا نَبۡغِيۖ ﴾ على معنى لا نزيد فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ كأنه قيل:

---

(١) قاله الزمخشري (٣/٣٠٤)، والبيضاوي (١/٤٨٩).

(٢) ق: يخاف.

(٣) "فلا" كتبت في ص: فلما في.

(٤) رواه ابن جرير (١٦/١٥٣) عن ابن إسحاق.

(٥) أي: على حمل البغي بمعنى التجاوز والتزيد.

وينبغي أن نمير أهلنا كما تقول: سعيت في حاجة زيد وينبغي لي أن[1] أسعى ويجب عليَّ أن لا أقصر[2].

﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ مكيل قليل إن لم يكن أخوهم معهم[3]، حثاً لأبيهم على إرسال أخيه، أو ذلك إشارة إلى ﴿ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ كأنه[4] قال أبوهم: من أين لكم العلم بأن الملك يسمح لكم بحمل بعير؟ فقالوا: ﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ لا يضايقنا فيه لوفور جوده وشدة عطفه على الغرباء الواردين من شقة بعيدة[5].

وقيل[6]: ذلك من كلام يعقوب يريد أن حمل بعير شيء نزر لا غناء لـه فلا

(١) ق: وينبغي إلى أن... إلخ.

(٢) ذكر الأوجه جميعاً الزمخشري (٣/٣٠٤).

(٣) قاله البغوي (٤/٢٥٧)، والزمخشري (٣/٣٠٤)، والبيضاوي (١/٤٨٩).

(٤) ص: وكأنه، ق: كان.

(٥) قاله الحسن ومقاتل -كما في البسيط (٢/٥٤٢)- والزجاج (٣/١١٩)، والزمخشري (٣/٣٠٤)، والبيضاوي (١/٤٨٩).

(٦) في حاشية جميع النسخ: قائله الكشاف.

وقد جوَّز الزمخشري هذا الوجه في الكشاف (٣/٣٠٤).

يقدر على فراق ابنه لذلك القدر، وَيَرُدُّهُ: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ ﴾ إذ لو كان ذلك من كلامه لم يكن لـ ﴿ قَالَ ﴾ وجهٌ فإنه ابتداء حكاية كلامه بعد تمام كلامه بنيه.

﴿ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ المَوْثِق والمِيْثَاق هو: العهد المؤكد بالأيمان(١)، أراد تحليفهم وتوكيد عهدهم(٢) ﴿ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ ﴾ جواب القسم ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ إلا أن تصابوا بالموت عن آخركم(٣) من قولهم: أحيط بفلان إذا هلك، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾(٤)، أو إلا أن تغلبوا وتمنعوا(٥) من

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (وثق) (٩/٢٦٦).

(٢) قال الزمخشري (٣/٣٠٥): "وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه؛ لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد". اهـ.

(٣) رواه ابن جرير (١٦/١٦٣) عن مجاهد، وقال به النحاس في معاني القرآن (٣/٤٤١).

(٤) سورة الكهف، من الآية (٤٢).

(٥) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/١/٣٢٥)، وابن جرير (١٦/١٦٤) عن قتادة، وبنحوه قال الزجاج (٣/١١٩).

وانظر القولين في: البسيط (٢/٥٤٣)، تفسير البغوي (٤/٢٥٧)، الكشاف (٣/٣٠٥)، زاد المسير =

الحياطة وهي الحفظ والمنع، ومنه الحائط[1]. والاستثناء من أعم الأحوال [أي][2] لتأتنني به على كل حالة [إلا حال][3] الإحاطة[4] [بكم][5][6]، أو من أعم العلل كأنه قال: لا تمتنعوا من الإتيان به لأمر إلا للإحاطة[7].

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ ﴾ عهدهم المؤكد باليمين ﴿ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا

(٢٥٣/٤).

واللفظ عام يشمل القولين معاً، وليس بينهما تعارض ولذا قال الفراء (٥٠/٢): "يقول: إلا أن يأتيكم من الله ما يعذركم". اهـ.

وقال أبو حيان (٣٢٢/٥): "وقوله: ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ لفظ عام لجميع وجوه الغلبة، والمعنى: تعمكم الغلبة من جميع الجهات حتى لا يكون حيلة ولا وجه تخلص". اهـ.

(١) انظر: لسان العرب (حوط) (٢٧٩/٧).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) ساقطة من ص.

(٤) ق: إحاطة.

(٥) ساقطة من ص وَ ق.

(٦) قاله العكبري في التبيان (٧٣٧/٢).

(٧) قاله الزمخشري (٣٠٥/٣)، وأبو حيان (٣٢٢/٥)، وذكر البيضاوي الوجهين (٤٩٠/١).

﴿نَقُولُ﴾ على ما قلنا من الميثاق ﴿وَكِيلٌ ۝٦٦﴾ حفيظ ورقيب، وهو المطالب بوفاء العهد والميثاق[1].

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ كانوا ذوي جمال وأبهة خاف عليهم إن دخلوا كوكبة واحدة أن يعانوا[2]، ولم[3] يقيد في المرة الأولى لأنهم ما كانوا قد اشتهروا[4]، وقيل: إنما احتاط على بنيامين[5]. وتأثير العين بقوة أودعها الله في بعض العيون[6]، وسيأتي أنه سبب نزول

---

(١) هنا كلمة زائدة في ق: "نقض".

(٢) رواه ابن جرير (١٦/١٦٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والضحاك ومحمد بن كعب والسدي وابن إسحاق، كما رواه هو وعبدالرزاق (١/٢/٣٢٥) عن قتادة، وبه قال أكثر المفسرين.

وانظر: تفسير البغوي (٤/٢٥٨)، زاد المسير (٤/٢٥٤)، الجامع للقرطبي (٩/٢٢٦)، الدر المنثور (٤/٥٥٧).

(٣) ق: بحذف الواو.

(٤) قاله الزمخشري (٣/٣٠٦)، والبيضاوي (١/٤٩٠).

(٥) جوزه البيضاوي (الموضع السابق).

(٦) وهذا على التغليب وإلا فإن بعض العميان قد يصيب بالعين، وقد يصيب الرجلُ بالعين دون أن =

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾[1][2].

﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ فائدته[3] دفع وسواس الشيطان بأن لو فعلت كذا ربما لم يقع[4] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ متفرد به يفعل ما

يرى المصابَ، وإنما بمجرد سماع صوته، ونحو ذلك.

وانظر: زاد المعاد (٤/١٦٢).

(١) سورة القلم، من الآية (٥١).

(٢) قال -رحمه الله- في (٣٢٨/أ) من نسخة الأصل: "وقيل: العين كان في بني أسد وكان يتجوع منهم رجل ثلاثة أيام فلا يمر به شيء يقول: لم أر كاليوم مثله إلا عانه، فأرادوا فعله برسول الله ﷺ فوقاه الله بعنايته". اهـ.

وانظر: الطبري (٢٩/٢٩)، أسباب النزول للواحدي ص(٤٦٣).

(٣) كذا في الأصل، وباقي النسخ: لكن فائدته.

(٤) ليست هذه هي فائدته فحسب، بل فائدته العمل بالأسباب؛ لأن الله تعالى أجرى سنته في هذا الكون بأن ربط الأسباب بالمسببات، فهو كسائر الأسباب التي يقوم بها الإنسان لتوقي المهالك. لا يفعلها لمجرد دفع وسواس الشيطان ولكن لأن هذه الأسباب تحميه وتبعده بإذن الله عن الهلكة، وهذا كله بإرادة الله ومشيئته فالهلاك والسلامة والفوز والخسار وغيرها كلها بيد الله يسلطها على من يشاء ويمنعها من يشاء وفق الأسباب التي جعلها لذلك. والله أعلم.

يشاء لو شاء إصابتكم بشيء لم[1] ينفع الحيل ولا الحذر ﴿ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ لا على غيره من الاستحفاظ بالإخوة والعهد والميثاق، فإن تلك الوسائل لا تنافي[2] التوكل[3] وذلك كلبس رسول الله ﷺ لأمتين يوم أحد[4] ﴿ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ

(١) ص وَ ق: لا.

(٢) ق وَ ص: ينافي.

(٣) فالتوكل: هو القيام بالأسباب مع صدق الاعتماد على الله تعالى وعدم الركون إلى خلقه.

انظر: منزلة التوكل، مدارج السالكين (٢/١١٢).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣/٤٤٩ رقم ١٥٧٦٠)، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب السلاح (٢/٩٣٨رقم ٢٨٦٠) عن السائب بن يزيد -رضي الله عنه-. ورواه أبوداود كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع (٢/٣٧ رقم ٢٥٩٠) عن السائب بن يزيد -رضي الله عنه- عن رجل قد سماه، والترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في الدروع (٦/١٨ رقم ١٦٩٢) من حديث الزبير بن العوام -رضي الله عنه- وقال: وفي الباب عن صفوان بن أمية والسائب بن يزيد، وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق. اهـ. كلهم بلفظ "درعين". والحديث صحح إسناده البوصيري في زوائد ابن ماجه (الموضع السابق)، والألباني. صحيح سنن ابن ماجه (٢/١٣١).

قال في النهاية: "اللأمة مهموزة: الدرع وقيل: السلاح، ولأمة الحرب: أداته". (٤/٢٢٠)

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الكاملون في الاتكال. حث[1] على ما آثره لنفسه ليقتدي به. قدم الجار في الفعلين للاختصاص، وجمع بين الواو العاطفة والفاء لقصد الجمع والسببية[2].

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم ﴾ من أبواب متفرقة ﴿ مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم ﴾ رأي يعقوب وتفرقهم ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ قط، أُخذوا بالسرقة وحصل لهم الشتات والتفرق ورجعوا إلى أبيهم بخبر أحزن من خبر يوسف[3] ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ ﴾ استثناء منقطع[4] أي: لكن حاجة في نفس يعقوب ﴿ قَضَىٰهَا ﴾ هي شفقته عليهم وإظهارها لهم[5] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو

---

(١) ق: حيث حث.

(٢) أي: أن توكله سبب لتوكلهم لأن الأنبياء يقتدى بهم.

انظر: تفسير البيضاوي (١/٤٩٠)، حاشية زاده على البيضاوي (٣/٩٢)، حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي (٥/٣٣٤).

(٣) هذا من قبيل المبالغة وإلا فلا يظهر أن الخبر الذي رجعوا به أحزن من خبر يوسف -عليه السلام-.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٤٨)، معاني القرآن للزجاج (٣/١١٩).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٤/٢٥٨)، الكشاف (٣/٣٠٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٠).

عِلْمٍ ﴾ ولذلك قال لهم: ﴿ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾[1] اعترافاً بأن الحذر لا يرد شيئاً من القدر ﴿ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ لتعليمنا إياه بالوحي إليه، امتنان عليه كقوله: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[2]، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨ ﴾ ما علمه يعقوب ويحسبون أن الحذر يدفع القدر كمن نفر من الطاعون إذا وقع بأرض أو لا يؤاكل من به جرب[3] ونحوه[4].

---

(١) سورة يوسف، من الآية (٦٧).

(٢) سورة النساء، من الآية (١١٣).

(٣) ص: حرب.

(٤) الحذر لا يدفع القدر، ولكننا مأمورون بفعل الأسباب التي وضعها الله تعالى ورتب عليها المسببات، ولو أننا أهملنا فعل الأسباب لكان الإنسان يطلب الولد دون زواج، والرزق دون سعي في الأرض، والري دون شرب، والشبع دون أكل وهكذا.

ومِنْ فعل الأسباب التي أمرنا بها عدم الدخول في أرض الطاعون فقد قال ﷺ: **«إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه»**. رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٢١/٧)، ومسلم، كتاب السلام، باب الطاعون (١٧٤٠/٤ رقم ٩٨) عن عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه-.

ومن فعل الأسباب التي أمرنا بها الفرار من المجذوم ونحوه ممن به مرض معدٍ، وهذا كما أنه دل عليه الشرع فهو مقتضى العقل الصحيح والتجربة المستمرة، وهذا كله لا يتعارض مع تقدير الله تعالى =

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ ﴾ روي أنهم دخلوا به على يوسف وقالوا: هذا أخونا قد جئناك به، فقال: أصبتم ستجدون ذلك عندي فأنزلهم/ وأكرمهم فلما أصبح أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة بقي أخوه منفرداً ليس لـه أخ يؤاكله فشرع يبكي وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسه(1) الملك معي، فقال يوسف: بقي أخوكم وحيداً فأجلسه على مائدته، ثم أنزل كل اثنين بيتاً وقال: هذا ليس لـه ثان فلينزل عندنا، فبات يوسف يشم رائحته إلى الصباح، فلما أصبح سأله عن أخيه الهالك وقال: أتحب أن أكون لك أخاً بدله؟ فقال: من يجد مثلك أخاً ولكن لم يلدك يعقوب، فبكى يوسف وقال: بل ولدني يعقوب وراحيل ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ يوسف وقام إليه وعانقه(2)

وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وحين قال يعقوب -عليه السلام- ﴿ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ ﴾ فمعناه أن هذا السبب الذي اتخذته لا يرد قدر الله إذا أراد وقوعه بسبب آخر، فقد يأخذ المريض الدواء ولكن لا يقوى على دفع الداء لاستحكامه أو نحو ذلك. والله أعلم.

(1) ص: أجلسه.

(2) ذكره البغوي (٤/٢٥٩)، والزمخشري (٣/٣٠٧)، والبيضاوي (١/٤٩٠)، ورواه الطبري بنحوه عن السدي وابن إسحاق (١٦/١٦٩).

﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ فلا تحزن، افتعال من البؤس.

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ فإن قلت: لماذا ذكر تجهيزهم أولاً بالواو وثانياً بالفاء؟

قلت: لم يتقدم هناك منه وعد فعطف القصة على القصة، وهنا كان قد تقدم أنهم [إذا][1] جاؤوا بأخيهم يحسن إليهم ويكرمهم.

﴿ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ هي المِشْرَبَةُ[2] التي كان يشرب فيها مرصعة بالجواهر، كانت صاعاً يكال[3] به[4]، ولعله إنما جعلها صـــاعاً في أيـــام القحط

ومثل هذه التفاصيل لم يقم عليها دليل صحيح، ويغني عنها ما جاء في ظاهر الآيات حيث "يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين فأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى لــه وعرَّفه أنه أخوه وقال ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ وأمره بكتمان ذلك عنهم". تفسير ابن كثير (٤/٣٢٥).

(١) ساقطة من ص.

(٢) المِشْرَبَةُ: إناء يُشرب فيه.

انظر: لسان العرب (شرب) (١/٤٩٠).

(٣) ق: يكتال.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٧٢)، البسيط (٢/٥٥١).

لئلا يقع التبديل بغيرها ويبخس الناس[1].

﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾[2] نادى منادٍ من الأَذَان وهو الإعلام، يقال: آذن أيْ: أعلم، وأذّن أكثر الإعلام[3]، ولذلك سُمي المنادي إلى الصلاة مؤذناً لكثرة وقوعه منه وتكرره.

﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠ ﴾ العير: القافلة لأنها تَعِيْر أي: تجيء وتذهب[4]، وقيل: [هي][5] قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير[6]، وكأنه

(١) روى البغوي عن عكرمة قال: "كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالاً لئلا يكال بغيرها وكان يشرب بها" (٢٦٠/٤)، وقال ابن الجوزي (٢٥٧/٤): "قال المفسرون: جعل يوسف ذلك الصاع مكيالاً لئلا يكال بغيره".

(٢) ق: مؤذن بينهم، وهو خطأ في الآية.

(٣) قاله الزجاج (١٢٠/٣)، والنحاس في معاني القرآن (٤٤٤/٣)، والزمخشري (٣٠٨/٣)، قال ابن الأنباري: "أذّن معناه أعلم إعلاماً بعد إعلام، لأن فعَّل يوجب تكرير الفعل، ويجوز أن يكون إعلاماً واحداً من قبل أن العرب تجعل فعَّل بمعنى أَفْعَل في كثير من المواضع". البسيط (٥٥٢/٢).
وانظر: الكتاب (٦٢/٤).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (عير) (١٩١/٤).

(٥) ساقطة من ق.

(٦) روى ابن جرير (١٧٤/١٦) عن مجاهد قال: "كانت العير حميراً".
وانظر: لسان العرب (عير) (٦٢٤/٤).

جمع عَيْر وأصله: عُيْر بضم العين كحُمر فعل به ما فعل ببِيْض[1] وعِيْن[2].

﴿ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ [لعله][3] مقول المؤذن[4]، أو قاله يوسف وأراد نفسه لما سرقوه من أبيه[5] وباعوه والحق أن يوسف حر لم يقع عليه اسم المال، ولا يصدق على فعلهم اسم السرقة بل إطلاق السرقة على وجدان الصاع في حملهم مجاز بحسب الصورة.

﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ فقدتموه، "الفَقْدُ: غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه"[6].

---

(١) قال الجوهري في الصحاح (١٠٦٦/٣): "جمع الأبيض بيض وأصله: بُيض بضم الباء، وإنما أبدلوا من الضمة كسرة لتصح الياء".

(٢) انظر: لسان العرب (عير) (٦٢٤/٤).

(٣) ساقطة من ق.

(٤) قاله الطبري (١٩٣/١٦).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٢٣/٣).

(٦) البيضاوي (٤٩١/١).

وانظر: المفردات (فقد) ص(٦٤١)، لسان العرب (فقد) (٣٣٧/٣).

﴿ قَالُوا۟ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ ﴾ هي السقاية المذكورة[1] ﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ ﴾ جُعْلاً لـه، وفيه دليل على مشروعية الجَعَالة[2] إن قيل[3]: شرع من قبلنا شرع لنا[4][5] ﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ۝٧٢ ﴾ ضامن ألتزم القيام به، وفيه دليل على جواز ضمان الجعل قبل تمام العمل[6].

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ ﴾ قسم فيه معنى التعجب[7] ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٧٢).

(٢) جَعَلَ يَجْعَلُ جَعَالَة وهي: جعل مال معلوم لمن يعمل لــه عملاً مباحاً.

انظر: معجم مقاييس اللغة (جعل) (١/٤٦٠)، منار السبيل (١/٤٥٦)، القاموس الفقهي (جعل) ص(٦٣).

(٣) ق: إذ قيل.

(٤) راجع المسألة في ص(٨٠٩) وقد سبق أن الراجح هو أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه.

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٢٦)، أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٠٩٦).

(٦) قاله البيضاوي (١/٤٩١).

(٧) قاله الزمخشري (٣/٣٠٨)، والبيضاوي (الموضع السابق).

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ استشهدوا بعلمهم على براءتهم لما ثبت عندهم من دلائل ديانتهم في كَرَّتَي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولأنهم دخلوا مصر وأفواه رواحلهم معكومة[1] لئلا تتناول[2] زرعاً في مسيرها[3]، ولأنهم ردوا البضاعة التي دسها الفتيان[4].

﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ يوماً من الدهر.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي: الصاع المسروق أو السارق منكم ﴿إِن

---

(١) قال في لسان العرب (عكم) (٤١٥/١٢): "عَكَمَ البعيرَ يَعْكِمُه عَكْماً: شَدَّ فاه، والعِكامُ: ما شُدَّ به، والجمع: عُكُمٌ".

وفي الكشاف (٣٠٨/٣)، وتفسير البيضاوي (٤٩١/١): مكعومة، وهو نفس معنى: معكومة.

انظر: لسان العرب (عكم) (٥٢٢/١٢).

(٢) ص وَ ق: يتناول.

(٣) رواه أبو صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، زاد المسير (٢٦٠/٤)، وذكره الواحدي في البسيط (٥٥٧/٢)، والبغوي (٢٦١/٤)، والزمخشري (٣٠٨/٣)، والبيضاوي (٤٩١/١) وغيرهم.

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن (٥١/٢)، والطبري (١٨١/١٦)، والزجاج في معاني القرآن (١٢١/٣).

وانظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها).

﴿كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ۝٧٤﴾ في نفي السرقة.

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ [كان][1] في شرع يعقوب استرقاق السارق سنة[2]، وقولهم[3]: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ تقرير للحكم بإعادته لإفادة حقيته[4] والاحتفاظ به كقول المجيب بعد تحقيق المسألة هذا مما لا مرية فيه، والشرطية[5] خبر المبتدأ تقديره: جزاؤه من وجد في رحله فهو الجزاء. وضع المظهر موضع المضمر مبالغة في عدم اللبس[6]، أو ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ خبر مبتدأ

---

(١) ساقطة من ص.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٨٢)، البسيط (٢/٥٥٧)، تفسير البغوي (٤/٢٦١)، الكشاف (٣/٣٠٩)، تفسير ابن كثير (٤/٣٢٦).

(٣) ق: وقوله.

(٤) ق: حقيقته.

(٥) ص وَ ق: بحذف الواو.

فقوله تعالى: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ وخبره ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ﴾.

(٦) قال الزمخشري (٣/٣٠٩) في بيان هذا الوجه: "والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، فوضع الجزاء موضع هو".

محذوف كأنه قيل: المسؤول عنه جزاؤه تحقيقاً للمراد بقولهم: ﴿ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ ثم أجابوا عن السؤال بقولهم[1]: من وجد في رحله فهو جزاؤه، وهذا كما [إذا][2] سئل عن جزاء صيد الحرم [تقول: جزاء صيد الحرم][3] من قتله متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم[4].

﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٥ ﴾أي: السارقين، أو كل ظالم نجزيه على قدر خيانته كما جزينا السارق.

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ لأنهم لو فتشوا وعاءه قبل الكل ربما أوهم أنه احتيال ومكيدة، ولذلك روي أنهم [لما][5] فتشوا الأحمال ولم يبق إلا

---

(١) ق: بقوله.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٤) انظر الأوجه في: معاني القرآن للزجاج (٣/١٢١)، إعراب القرآن للنحاس (٢/١٥٠)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٣٣)، الكشاف (٣/٣٠٩)، الدر المصون (٦/٥٢٩).

(٥) ساقطة من ص.

حمل بنيامين قال [يوسف](1): لا حاجة إلى تفتيش حمل هذا، فقال إخوة يوسف: لابد منه لتطيب(2) نفس يوسف ولا يبقى له ريبة ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ ﴾(3). وفي ﴿ ثُمَّ ﴾ دلالة على أنهم لبثوا زماناً بعد تفتيش الأحمال ولم يبادروا إلى حمله لإبعاد الظنون عن ارتكاب الحيلة في شأنه.

﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ ﴾ كان [صورته](4) صورة الكيد ولذلك بينه بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾ أي: ملك مصر فإنه كان في دينه ضرب السارق وأخذ ضعف ما أخذ دون الاسترقاق(5)، ومثله جائز للتوصل

---

(1) ساقطة من ق.

(2) ق: لتطييب.

(3) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/٣٢٥-٣٢٦)، والطبري (١٦/١٨٤-١٨٥)، والبغوي (٤/٢٦١-٢٦٢) عن قتادة، وزاد الطبري روايته عن السدي وابن جريج.

(4) ساقطة من ص وَ ق.

(5) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٨٨-١٨٩)، البسيط (٢/٥٦٢)، تفسير البغوي (٤/٢٦١)، الكشاف (٣/٣١٠)، زاد المسير (٤/٢٦١).

إلى الحق كقول إبراهيم -عليه السلام- لسارة: "إنها أختي"(١).

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: إلا أن يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم دين الملك، أو الاستثناء منقطع أي: لكن اقتضت مشيئته ذلك وإن لم يكن في دين الملك ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ بالعلم كما رفعنا درجات يوسف -عليه السلام-. قرأ الكوفيون بالتنوين والإضافة أبلغ مدحاً(٢).

---

(١) رواه البخاري كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته (٣٨/٣)، ومسلم كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ (١٨٤٠/٤ رقم ٢٣٧١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- ، وذلك حين أراد الجبار سارة فخاف إبراهيم -عليه السلام- إن علم أنها زوجته أن يقتله فقال: إنها أختي. على معنى أنها أختي في الله.

(٢) قرأ عاصم والكسائي وحمزة ﴿ دَرَجَٰتٍ ﴾ بالتنوين، وباقي السبعة بغير تنوين على الإضافة.

انظر: السبعة ص(٢٦٢)، التيسير ص(٨٦)، البحر المحيط (٣٢٨/٥).

وقال مكي في الكشف (٤٣٧/١): "وحجة من نون أنه أوقع الفعل على ﴿ مَّن ﴾ لأنه المرفوع في الحقيقة ليست الدرجات هي المرفوعة المقصود إليها بالرفع، إنما المرفوع صاحبها فهو كقوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ سورة البقرة، من الآية (٢٥٣).

وحجة من لم ينون أنه أوقع الفعل على "درجات"، وأضاف "الدرجات" إلى "من" لأن الدرجات إذا رفعت فصاحبها مرفوع إليها... فالقراءتان متقاربتان؛ لأن من رفعت درجاته فقد رفع، ومن رفع فقد رفعت درجاته". اهـ.

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: فوق كل فرد من العلماء عالم كامل العلم وهو الله تعالى[1]، إشارة إلى أن يوسف مع كونه راسخ القدم في العلم وقد بلغ من علمه أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾[2] لم يتوصل إلى تحصيل أخيه إلا بإعلام الله تعالى إياه بالوحي، وسقط بهذا قول من استدل به على أنه تعالى عالم بالذات لا بالعلم/ وإلا لكان فوقه تعالى ذو علم[3]، وقيل: الكلام في

---

(١) رواه ابن جرير (١٦/١٩١-١٩٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن.

(٢) سورة يوسف، من الآية (٣٧).

(٣) الذين قالوا إن الله عالم بالذات لا بالعلم هم المعتزلة، وإنما قالوا هذا القول هرباً من وصف الله تعالى بالصفات.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٤٤).

قال الرازي: "واعلم أن المعتزلة احتجوا بهذه الآية على أنه تعالى عالم بذاته لا بالعلم. فقالوا: لو كان عالماً بالعلم لكان ذا علم، ولو كان كذلك لحصل فوقه عليم، تمسكاً بعموم هذه الآية وهذا باطل". اهـ. التفسير الكبير (١٨/١٤٦).

وسقط استدلالهم؛ لأن الله تعالى كامل العلم فليس أحد فوقه تعالى في العلم، فقد أحاط بكل شيء =

الخلق[1] فسقط الاستدلال من أصله[2]، والمعنى على هذا أن يوسف قد فاق إخوته وإن كانوا علماء[3]، والوجه هو الأول لقوله[4]: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾[5].

* ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ﴾ بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يريدون يوسف. روي "أنهم لما أخرجوا السقاية من رحله نكّس إخوته رؤوسهم

علماً وهو بكل شيء عليم جل وتقدس.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٩٢).

(١) رواه ابن جرير (١٦/١٩٤) عن علي -رضي الله عنه- ونسبه في البسيط لأكثر المفسرين (٢/٥٦٤).

وليس بين القولين تعارض، والأظهر أن الآية شاملة للمعنيين وهذا هو ظاهر صنيع الطبري حيث قال: "يقول تعالى ذكره: وفوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهي ذلك إلى الله، وإنما عنى بذلك أن يوسف أعلم إخوته وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف حتى ينتهي ذلك إلى الله". اهـ (١٦/١٩١)، ثم ساق أقوال السلف التي سبق الإشارة إليها.

وانظر: زاد المسير (٤/٢٦٢)، تفسير ابن كثير (٤/٣٢٦).

(٢) أي: استدلال المعتزلة على أن الله عالم بالذات لا بالعلم.

انظر: التفسير الكبير (١٨/١٤٦)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٢).

(٣) انظر: البسيط (٢/٥٦٤)، زاد المسير (٤/٢٦٢).

(٤) ق: كقوله.

(٥) لأن الكيد مسند إلى الله تعالى فناسب أن تختم الآية ببيان كمال علمه وأنه فوق جميع العلماء.

حياء وقالوا: ماذا [قد](1) فعلت بنا؟ قد سوَّدت وجوهنا!! يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء. فقال بنيامين: بل بنو راحيل لم يزل لهم منكم بلاء، وضع في رحلي السقاية من وضع في رحلكم البضاعة"(2). وأما سرقة يوسف -عليه السلام- قيل(3) كان قد أخذ صنماً من أصنام جده -أي: أبي أمه(4)- فكسره وألقاه في الجيَف(5)، وقيل: كان في البيت دجاجة أو عناق فأعطاها لسائل(6)، وقيل: "كانت لإبراهيم مِنْطَقَة(7)

---

(1) ساقطة من ص وَ ق.

(2) انظر: البسيط (٥٦٤/٢)، الكشاف (٣١٠/٣)، التفسير الكبير (١٤٦/١٨).

(3) ص: قبل.

(4) ص: بحذف "أي"، و ق: جده أي من أمه.

(5) رواه عبدالرزاق في التفسير (٣٢٦/٢/١) وابن جرير عن قتادة، كما رواه ابن جرير (١٩٥/١٦) عن سعيد بن جبير، ورواه أيضاً عن ابن جريج غير أنه نسب الصنم لخاله.

وانظر: تفسير البغوي (٢٦٣/٤)، زاد المسير (٢٦٣/٤).

(6) رواه البغوي (الموضع السابق) عن سفيان بن عيينة بلفظ: دجاجة، وروى عن مجاهد قال: أخذ بيضة، وعن وهب: كان يُخبئ الطعام من المائدة للفقراء، وذكر ابن الجوزي (الموضع السابق) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من رواية عطاء نحو كلام وهب.

(7) المِنْطَقَةُ: هي كل ما يُشدُّ به الوسط.

انظر: لسان العرب (نطق) (٣٥٥/١٠).

يتوارثها أكابر أولاده فورثها إسحاق ثم بعد إسحاق وقعت إلى بنته وهي كانت أكبر من يعقوب وكانت حاضنة يوسف أراد يعقوب انتزاعه منها وكانت شديدة الحب لـه فاحتالت عليه بأن شَدَّت [المنطقة](١) على وسط يوسف تحت ثيابه ثم شرعت تفتش عنها وأظهرت أنها سُرقت ثم فتشت يوسف فاستخرجت من تحت ثيابه فصارت أحق به"(٢) لأن جزاء السرقة هو(٣) السارق في شرع يعقوب كما تقدم(٤).

﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ أي: تلك المقالة أو نسبة السرقة ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ أي: منزلة لأنكم سرقتم يوسف من أبيه؛ قاله في نفسه لأن قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ بدل من قولـه:

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) رواه ابن جرير (١٩٦/١٦) عن مجاهد، وبه قال محمد بن إسحاق كما في تفسير البغوي (٢٦٣/٤)، وابن كثير (٣٢٧/٤)، وفي المصادر كلها أن المنطقة كانت لإسحاق.

وانظر الأقوال الثلاثة في: الكشاف (٣١١/٣)، تفسير البيضاوي (٤٩٢/١).

(٣) ق: وهو.

(٤) راجع ص(١٠٣٤).

﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ ﴾ والهاء مفسَّرة بقوله: ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ على تأويل الكلمة أو الجملة[1] كما في قوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَاهِيمُ ﴾[2] وليس من التفسير [بالجملة][3] [على ما توهم][4][5].

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧ ﴾ أي أن الأمر ليس كما تقولون لا سرقت أنا ولا أخي.

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٢٣)، الكشاف (٣/٣١١).

(٢) سورة البقرة، من الآية (١٣٢).

(٣) ساقطة من ق.

(٤) ساقطة من ص وَ ق.

(٥) أجاب بهذا الجواب القزويني في الكشف (٤٩/أ).

وفي حاشية جميع النسخ: يرد على القاضي حيث رد قول الكشاف: قوله: ﴿ فَأَسَرَّهَا ﴾ إضمار على شريطة التفسير. فظن أن مراده التفسير بالجملة وهو ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ فاعترض بأن التفسير بالجملة من خواص ضمير الشأن، وقد أشير إلى مراد الكشاف وأسند بنظيره من القرآن الكريم. منه.

راجع الكشاف (٣/٣١١)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٢).

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ في السن أو في المقدار[1] استعطفوه عليه ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ إن أخا لـه قد هلك وهو عليه ثكلان[2] يستأنس به ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ إلينا وتمام الإنعام الإتمام، أو [قد][3] عم الورى إحسانك فنحن أحق بذلك وقد شرحنا لك حال أبينا[4].

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ من أن نأخذ غيره فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف "من"[5].

﴿ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ في شرعكم فكيف يجوز لكم خلافه؟ وكيف يسعكم مخالفة ما أفتيتم به؟ وقد أدمج فيه أن الله أمرني بأخذه فكيف يسعني مخالفته،

---

(١) انظر: المرجعين السابقين (الموضع نفسه)، زاد المسير (٣٦٥/٤).

(٢) ص: تكلان.

(٣) ساقطة من ص.

(٤) انظر: الكشاف (٣١١/٣)، تفسير البيضاوي (٤٩٢/١).

(٥) قاله الزجاج في معاني القرآن (١٢٤/٣)، والزمخشري (٣١٢/٣) وعبارة الزمخشري: "ومعنى ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ ﴾ نعوذ بالله من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من".

فلفظ الجلالة هو المفعول به أضيف إلى المصدر (معاذ).

لو فعلت ما تقولونه لكنت من الظالمين المتجاوزين ما أمر الله به[1].

﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ ﴾ حصل لهم اليأس الكلي من جوابه القاطع. قرأ ابن كثير في رواية البزي بإبدال الهمزة ألفاً بعد القلب [مكاناً][2] كما في "ناء"[3] فأعطى كل من الهمز[4] والياء صفة الآخر من الحركة والسكون لحلوله[5] محله[6].

﴿ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ﴾ امتازوا عن الخلق متناجين، مصدر بمعنى النَّجْوى وهو الكلام الذي يُسارّ به ولذلك لم يجمع[7]، وعن الأخفش: يقال للجماعة نَجِي

---

(١) قاله بنحوه الزمخشري (٣/٣١١)، والبيضاوي (١/٤٩٢).

(٢) زيادة من ص وَ ق.

وقراءة البزي: ﴿فلما استَايَسوا﴾.

انظر: السبعة ص(٣٥٠)، التيسير ص(١٠٥).

(٣) وأصلها: نأى، ثم قلبت إلى: ناء.

(٤) ص: الهمزة.

(٥) ص: لحلول.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤/٤٣٣ وما بعدها).

(٧) ﴿ نَجِيّٗا ﴾ حال من فاعل ﴿ خَلَصُواْ ﴾، وقد بيَّن المؤلف -رحمه الله- السبب في كون الحال أفردت وصاحبها جمع، فقال: لأنها مصدر.

انظر: لسان العرب (نجا) (١٥/٣٠٨).

كما يقال: صَدِيق[1] لأنه على وزن المصدر[2] والجمع أَنْجِيَةٌ[3] قال:

إذا ما القومُ كانوا أَنْجِيَة[4] ....

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ في السن وهو روبيل[5]، أو في الرأي وهو

(١) قال الأخفش في معاني القرآن (٢/٥٩٢): "وقال: ﴿ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ فجعل "النَجِيّ" للجماعة مثل قولك: هم لي صديق". اهـ.

(٢) هذا توجيه ثانٍ لكون الحال أفردت وهو أنها صفة على وزن: فعيل فتوحد لأنها على زنة المصادر كالصَّهيل ونحوه.

وانظر: الكشاف (٣/٣١٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٢)، الدر المصون (٦/٥٣٨).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٠)، لسان العرب (نجا) (١٥/٣٠٨).

(٤) الشعر لسُحَيْم بن وَثِيل اليَرْبُوعي وأوله: إني إذا ما القوم.... وتمامه:

.... واضطرب القومُ اضطراب الأَرْشِيَة

ضرب هذا المثل للقوم الذين نزل بهم الأمر العظيم فكانوا جماعات يتناجون واضطربوا مثل الأرشية، جمع الرشاء وهي الحبال التي يستقي بها.

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (الموضع السابق)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٢٤)، الصحاح (٦/٢٥٠٣)، لسان العرب (١٥/٣٠٨)، البحر المحيط (٥/٣٣١)، الدر المصون (٦/٥٣٩).

(٥) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/١/٣٢٧)، والطبري (١٦/٢٠٦)، والبغوي (٤/٢٦٥) عن قتادة، وزاد الطبري روايته عن ابن إسحاق، وزاد البغوي عن السدي والضحاك، ورجحه الطبري (١٦/٢٠٧).

شمعون[1] أو يهوذا[2] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا ﴾ عهداً مؤكداً ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ من جهته ﴿ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ ﴿ مَا ﴾ زائدة أي: من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم، أو مصدرية محل مدخولها الرفع على الابتداء وخبره الظرف، والمعنى: وقع من قبل تفريطكم في يوسف، أو النصب عطف على مفعول ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ ﴾ وهو ﴿ أَنَّ أَبَاكُمْ ﴾ كأنه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم وتفريطكم[3] من قبل في يوسف[4]، أو موصولة والمعنى: ومن قبل ما فرطتموه في يوسف أي قدمتموه في حقه من

(١) رواه الطبري، والبغوي (الموضعين السابقين) عن مجاهد، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٢١).

(٢) رواه البغوي (الموضع السابق) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والكلبي، وبه قال وهب ابن منبه ومقاتل بن سليمان.

انظر: البسيط (٢/٥٧٥)، زاد المسير (٤/٢٦٦).

(٣) ص: بحذف الواو.

(٤) ذكر هذه الأوجه الثلاثة الفراء في معاني القرآن (٢/٥٣)، والزجاج في معاني القرآن (٣/١٢٤)، وقال عن الأول: "أجود الأوجه". اهـ.، وذكرها أيضاً ابن الأنباري. انظر: البسيط (٢/٥٧٦).

الخيانة، ومحله الرفع أو النصب على الوجهين[1].

﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾ أرض مصر[2] ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾ أي في الرجوع إليه ويتجاوز[3] عني ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾ بالخروج منها إذ لا راد لحكمه ولا دافع لقضائه أو يحكم بخلاص أخي[4]، وقيل: أو بالمقاتلة مع أهل مصر[5]، وفيه بعدٌ[6] ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ ﴾ إذ من سواه يحتمل السهو

(١) ذكر الأوجه جميعاً الزمخشري (٣/٣١٣).

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٤٩٢)، التبيان للعكبري (٢/٧٤٢)، البحر المحيط (٥/٣٣١)، الدر المصون (٦/٥٣٩).

(٢) قال الزجاج (٣/١٢٥): "أي لن أبرح أرض مصر، وإلا فالناس كلهم على الأرض".

(٣) ص: بحذف الواو.

(٤) قال الطبري (١٦/٢٠٩): "أو يقضي لي ربي بالخروج منها وترك أخي بنيامين وإلا فإني غير خارج".

(٥) روى الطبري (الموضع السابق) عن أبي صالح في قوله: ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾ قال بالسيف.

وذكر هذا الوجه البيضاوي (١/٤٩٢-٤٩٣) وقريباً منه الزمخشري (٣/٣١٤).

(٦) إذ كيف يقوى شخص على مقاتلة بلد كامل.

وقد وقع في حاشية ص: قيل: لما أخذ يوسف أخاه قال روبيل: يا أيها العزيز أطلق أخانا أو =

والنسيان والغرض في أحكامه[1].

﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴾ سرقة لا ريب فيها. وقُرئ "سُرِّق"[2] أي: نُسب إلى السرقة، روي: "أن ابن سيرين رأى يوسف في

لأصيحن صيحة تضع الحوامل منها، وَقَفَّ شعرهُ حتى خرج من ثيابه، فقال يوسف لابن لـه: قم بجنبه والمس جسده، وكان بنو يعقوب إذا غضب أحد منهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل: من هذا؟ إن في هذه البلدة من ذرية يعقوب. هكذا قاله بعض المفسرين والله أعلم بصحته، كيف و لم يقل هذا إلا حين انفرادهم عن الناس.

وهذا الخبر ذكره البغوي (٢٦٤/٤)، والبيضاوي (٤٩٣/١) مبهماً بصيغة التمريض، وذكره القرطبي في الجامع (٢٤٢/٩) بسياق أطول وأغرب وفيه أن القائل: يهوذا.

(١) في هذا إشارة إلى نفي التعليل في أحكامه تعالى، وهو قول الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة وغيرهم، وقالوا: إن التعليل يستلزم الحاجة.

وهذا المذهب خلاف ما عليه السلف الصالح وأتباعهم الذين يثبتون الحكمة والتعليل في أفعاله تعالى.

انظر: مجموع الفتاوى (٣٧٧/٨)، شفاء العليل ص(١٨٦) وما بعدها.

(٢) روى النحاس في معاني القرآن (٤٥٢/٣) هذه القراءة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والكسائي، وكذا ذكرها ابن خالويه في شواذ القرآن ص(٦٥)، وزاد نسبتها لأبي ذر -وأظن صوابه: أبو رزين كما سيأتي-، ونسبها البغوي (٢٦٦/٤) لابن عباس والضحاك، وفي المحرر الوجيز (٢٧٠/٣)، والبحر المحيط (٣٣٢/٥) لابن عباس وأبي رزين والكسائي. وفيهما أن الضحاك قرأ: "سارق".

منامه فقال لـه يوسف: لم تقرأ يا ابن سيرين قوله تعالى: "إن ابنك سُرّق" على بناء المفعول؟ قال: لأنه لم يكن سارقاً. فقال لـه يوسف: افتح فاك ففتحه فبزق من ريقه في فم ابن سيرين فألهمه الله تأويل الرؤيا ببركة ذلك الريق"[1].

﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ تيقناه بإخراج الصواع من وعائه ولا شيء أبين من هذا[2] ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ ما غاب عنا هل سرق أم دُسَّ الصواع في رحله[3]؟، أو ما كنا عالمين بعواقب الأمور حين أعطيناك المواثيق أنك تصاب به كما أصبت بيوسف[4]،/ أو أنه سيسرق[5].

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ يريدون مصر، فإن القرية مجتمع

---

(١) لم أقف على هذه القصة.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣١٤).

(٣) رواه البغوي (٤/٢٦٦) عن عكرمة، وذكره ابن الجوزي (٤/٢٦٨) عن ابن إسحاق.

(٤) قاله ابن كيسان.

انظر: البسيط (٢/٥٧٩)، ابن الجوزي (٤/٢٦٨).

(٥) رواه الطبري (١٦/٢١١) عن عكرمة ومجاهد.

وقد ذكر الأوجه الثلاثة الزمخشري (٣/٣١٤)، والبيضاوي (١/٤٩٣) وغيرهما.

الناس للتوطن كبيرة كانت أو صغيرة ﴿ وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ ﴾ يشهد كل من أهل مصر والعير بذلك ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ تذييل بما فيه معنى القسم[1].

﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ ﴾ أي ليس الأمر كما تقولون بل زينت لكم أنفسكم أمراً ودبرتم ما دبرتم وإلا من أين علموا أن السارق يؤخذ جزاء لسرقته لولا تقولونه[2]؟.

فإن قلت: لم يكن لهم في ذلك تسويل ولا مكيدة فكيف يصح نسبتهم[3] إلى ذلك وهم عنه برءاء[4]؟.

قلت: بنى على ظنه لما رأى من الأَمَارة كقوله ﷺ لما سئل عن الصلاة

(١) قال البيضاوي (الموضع السابق): "تأكيد في محل القسم".

قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (٣٤٧/٥): "يعني ليس المراد إثبات صدقهم بما ذكر حتى يكون مصادرة لإثبات الشيء بنفسه، بل تأكيد صدقهم بما يفيد ذلك من الاسمية وإن واللام، ويحتمل أن يريد أن هنا قسماً مقدراً". اهـ.

(٢) قاله الزمخشري (٣١٥/٣)، والبيضاوي (الموضع السابق).

(٣) ص وَق: فكيف نسبهم.

(٤) ص: براء.

أقصرت أم نسيت؟: «كل ذلك لم يكن»[1]، وكان قد نسي لكن لما كان ظنه أنه لم يقع شيء من النسيان والقصر كان خبره صادقاً.

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي: أمري صبر جميل[2]، أو صبر جميل أجمل، والأول أوجه[3] ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ بيوسف وأخيه المتخلف[4] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ الذي دقَّت[5] حكمته في كل شيء.

---

(١) رواه البخاري، كتاب السهو في الصلاة، باب يكبر في سجدتي السهو (٦٦/٢)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة (٤٠٤/١ رقم٥٧٣)، واللفظ له عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٢٥/٣).

(٣) ذكر الوجهين البيضاوي (٤٩٣/١) فعلى الوجه الأول هو خبر، وعلى الثاني مبتدأ.
ولعل الأول أوجه لأنه حصر أمره وشأنه بالصبر الجميل فحاله أنه يصبر الصبر الجميل. والله أعلم.

(٤) حاشية في الأصل غير واضحة تماماً يغلب على الظن أنها: والأخ الكبير.
ومراد يعقوب -عليه السلام- بقوله: ﴿ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ الثلاثة كلهم: يوسف، وبنيامين والذي قال: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾ كما رواه الطبري (٢١٤/١٦) عن قتادة وقال به عامة المفسرين.
انظر: الوسيط (٦٢٧/٢)، تفسير البغوي (٢٦٧/٤)، المحرر الوجيز (٢٧١/٣)، الكشاف (٣١٥/٣)، تفسير البيضاوي (٤٩٣/١).

(٥) ق: وقت.

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ وأعرض عنهم من شدة الهمّ ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ أي: أسفي هذا أوانك أقبل[1]. والأسف: شدة الحزن[2]، وبين الأسف ويوسف شبه[3] الاشتقاق وإن كان العلم عبرياً[4]. وإنما أسف على يوسف وإن كان الرزء الأحدث أشد؛ لأن رزء يوسف كان قاعدة المصائب وفاتحة الأتراح، وأشار إلى أنه مع تقادم عهده غض طري[5]، ولأنه كان واثقاً بحياتهما دون حياته[6]، وفي الحديث: "لم تعط[7] أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون إلا هذه الأمة، ألا ترى[8]

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٢٥)، الكشاف (٣/٣١٥).

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/٣١٦)، والطبري (١٦/٢١٥).

وانظر: لسان العرب (أسف) (٩/٥).

(٣) ق: شبهته.

(٤) قال المؤلف -رحمه الله- ص(٨٩٦): "وهو اسم عبراني ولذلك منع الصرف، واشتقاقه من الأسف بعيد".

وقال الزمخشري (٣/٣١٥) عند الموضع أعلاه: "والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمل... إلخ".

(٥) قاله الزمخشري (٣/٣١٦)، والرازي في التفسير الكبير (١٨/١٥٤)، والبيضاوي (١/٤٩٣).

(٦) زاد ذكر هذه العلة الرازي والبيضاوي (الموضعين السابقين).

(٧) ص وَ ق: يعط.

(٨) ص وَ ق: يرى.

يعقوب لم يسترجع بل قال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾"[1].

﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾ لكثرة بكائه محقت العبرة [سواد][2] عينه[3]، قيل: كان قد عمي[4]، وقيل: ضعف بصره[5]. وفيه دليل على أن البكاء لدى المصائب لا يؤاخذ به، وقد صح بكاؤه ﷺ على ولده إبراهيم[6] وجعفر بن أبي طالب[7]، وسئل عنه فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٠ رقم ١٢٤١١)، وكتاب الدعاء باب الاسترجاع عند المصيبة ص(٣٧٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- دون آخره:"ألا ترى يعقوب..."، ورواه الطبري (١٦/٢١٧) عن سعيد بن جبير من قوله. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن خالد الطحان وهو ضعيف". اهـ. (٢/٣٣٠).

(٢) ساقطة من ق.

(٣) الكشاف (٣/٣١٧).

(٤) قاله مجاهد. زاد المسير (٤/٢٧٠)، ورواه البغوي (٤/٢٦٧) عن مقاتل.

(٥) انظر القولين في: الكشاف (٣/٣١٦)، الجامع للقرطبي (٩/٢٤٨)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٣).

(٦) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون» (٢/٨٥) عن أنس -ﷺ- قال: "دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سَيف القَيْن وكان ظئراً لإبراهيم فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان، فقال لـه عبدالرحمن بن عوف -ﷺ-: وأنت يا رسول الله فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

(٧) رواه البخاري كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام (٥/٨٧) عن أنس -ﷺ- أن رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب» وعيناه تذرفان... الحديث.

قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[1].

﴿ **فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴿٨٤﴾ ﴾ مكظوم مملوء من الغيظ لا يظهره لأحد، من كظم فاه إذا ستره؛ فعيل بمعنى مفعول، والكَظَمُ -بفتح الظاء-: مخرج النفس[2]، أو بمعنى الفاعل لقوله: ﴿ **وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ** ﴾[3] من كظم الشيء اجترعه[4].

﴿ **قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ** ﴾ لا تزال تذكره، حذف حرف

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: **«يعذب الميت ببكاء أهله عليه»** (٢/٨٠)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٢/٦٣٥ رقم ١١) عن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- في قصة وفاة ابن ابنته ﷺ ورضي عنها وفيه: فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع كأنها شَنٌّ ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: **«هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده...»** الحديث.

(٢) انظر: لسان العرب (كظم) (١٢/٥٢٠).

(٣) سورة آل عمران، من الآية (١٣٤).

(٤) انظر القولين في: البسيط (٢/٥٨٧)، المحرر الوجيز (٣/٢٧٢)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٣)، البحر المحيط (٥/٣٣٣)، ولم يذكر الزمخشري إلا الأول (٣/٤١٨)، وأما الثاني فهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٢١).

النفي لعدم اللبس إذ لو كان على ظاهره فسد المعنى ولوجب الإتيان باللام والنون(1) ونحوه:

فقلتُ يمينَ اللهِ أبرحُ قاعداً ولو قطَّعوا رأسِي لديك وأوصَالي(2)

﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ مصدر حرِض: -بالكسر(3)-: اشتد مرضه حتى أشفاه على الهلاك، وأَحْرَضَه الحبُّ: أفسده(4)، قال العَرْجِي(5):

(1) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٥٤٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٢٦)، تأويل مشكل القرآن ص(٢٢٥)، إعراب القرآن للنحاس (٢/٣٤٢)، الكشاف (٣/٣١٨).
قال السمين الحلبي: "ويدل على حذفها أنه لو كان مثبتاً لاقترن بلام الابتداء ونون التوكيد معاً عند البصريين، أو إحداهما عند الكوفيين". الدر المصون (٦/٥٤٦).

(2) البيت لامرئ القيس.
والمعنى: أنه يقسم أنه سيبقى عند محبوبته ولا يبرح عنها حتى ولو أُهلك بقطع رأسه وأوصاله، والشاهد منه أن الأصل: لا أبرح، ولكن حذف حرف النفي لأمن اللبس.
انظر: ديوانه ص(٣٢)، معاني القرآن للفراء (٢/٥٤)، الكتاب (٣/٥٠٤)، تأويل مشكل القرآن ص(٢٢٥)، تفسير الطبري (١٦/٢٢١)، الخصائص (٢/٢٨٤)، اللسان (يمن) (١٣/٤٦٣).

(3) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٥٤).

(4) انظر: مجاز القرآن (١/٣١٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٢٦)، لسان العرب (حرض) (٧/١٣٤)، الدر المصون (٦/٥٤٧).

(5) هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، كان ينزل بموضع قِبَل الطائف يقال له: العَرْج فنُسب إليه، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: هو أشعر بني أمية، وكان يهجو إبراهيم ابن هشام المخزومي فأخذه وحبسه وهو القائل في السجن:

أضَاعُوني وأيَّ فتى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسَدَادِ ثَغْرِ

=

إني امرءٌ لَجَّ بي حبٌّ فأَحْرَضَني[1] ....

وفي الحديث: «يمرض المؤمن حتى يحرضه المرض»[2].

﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ مرة واحدة.

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى ﴾ مرضي الشديد، من البثّ: وهو النشر والتفريق[3]؛ لأن المرض إذا قوي لا يقدر صاحبه على إخفائه[4] ﴿ وَحُزْنِىٓ إِلَى

انظر: الشعر والشعراء (٢/٥٧٤).

(١) وتمامه: حتى بَلِيتُ وحتى شَفَّني السَّقَمُ.

ومعناه: إني رجل قد تمادى به الحب وزاد حتى أذابني وأبلاني.

انظر: ديوانه ص(٥)، مجاز القرآن لأبي عبيدة وفيه: "حتى بكيت"، تفسير الطبري (١٦/٢٢٢)، لسان العرب (حرض) (٧/١٣٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات ص(٩٦) عن عمرو بن الشريد عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن يمرض حتى يحرضه المرض إلا غفر لـــه».

(٣) انظر: المفردات "بث" ص(١٠٨)، لسان العرب "بث" (٢/١١٤).

(٤) في حاشية الأصل وَ ص: فسروا البث بأشد الحزن فيقع ذكر الحزن بعده تكراراً بل حشواً. فسره بالمرض الشديد كما ذكره ابن الأثير في النهاية فاستقام الكلام. منه.

قال ابن الأثير في النهاية "بث" (١/٩٥): "البث في الأصل: أشد الحزن والمرضُ الشديد، كأنه من شدته يبثه صاحبُه". اهـــ.

﴿ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره فلا يخرج بذلك عن زمرة الصابرين.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ من فرط رحمته وإجابة المضطر إذا دعاه.

قيل: "كان رأى مَلَك الموت في منامه فسأله عن يوسف هل قبض روحه؟ فقال: لا، هو حي فاطلبه"(١)، وقيل: "كان علم من رؤيا يوسف أنه لابد وأن يخر لـه إخوته سجداً"(٢).

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ تعرفوا حالهما

و لم أقف على من فسر البث في الآية بالمرض قبل المؤلف بل عبارات المفسرين تدور حول: الهم، الحزن، أشد الحزن، الحاجة... ونحو ذلك.

ولعل المرض داخل في حاجات المرء التي قد يهتم لها ويحزن.

انظر: مجاز القرآن (١/٣١٧)، معاني القرآن للنحاس (٣/٤٥٥)، تفسير الطبري (١٦/٢٢٦)، الوسيط (٢/٦٢٨)، تفسير البغوي (٤/٢٦٨)، الكشاف (٣/٣١٩)، المحرر الوجيز (٣/٢٧٣)، الجامع للقرطبي (٩/٢٥١).

(١) ذكره الواحدي في البسيط (٢/٥٩٤) من رواية الكلبي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وذكره البغوي مبهماً بصيغة التمريض (٤/٢٧٠)، ونقله ابن الجوزي عن ابن السائب (٤/٢٧٥).

(٢) رواه الطبري (١٦/٢٢٧) عن ابن عباس -رضي الله عنها- من طريق العوفي بنحوه، وذكره الواحدي في البسيط (٢/٥٩٤)، والبغوي (٤/٢٧٠)، وابن الجوزي (٤/٢٧٥)، والزمخشري (٣/٣١٩).

وتطلبوا من الحِسِّ[1] يقال: أحس بالشيء إذا علمه بإحدى الحواس[2] ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ من فرجه[3]، في الأصل: نسيم الريح[4].

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧ ﴾ لأن اليأس من رحمته منشأه اعتقاد عدم قدرته على كل شيء، أو عدم علمه بالأشياء، أو عدم كرمه وجوده الفياض[5]، وقيل: كبيرة وليس بكفر؛ لأن اليأس ربما كان

---

(١) قال الطبري (٢٣٢/١٦): "وأصل التحسس التفعل من الحِسّ". اهـ.

(٢) انظر: المفردات "حس" ص(٢٣١)، لسان العرب (حسس) (٥٠/٦).

(٣) رواه الطبري (٢٣٣/١٦) عن السدي وابن إسحاق وابن زيد، وبه قال الزمخشري (٣١٩/٣)، والبيضاوي (٤٩٤/١). وقال بعض المفسرين: ﴿ رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ رحمة الله، وقال آخرون: فضل الله، وكلها عبارات متقاربة المعاني. والله أعلم.
انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص(٤٨٨)، تفسير الطبري (الموضع السابق)، زاد المسير (٢٧٦/٤).

(٤) قال في اللسان "روح" (٤٥٥/٢): "الريح: نسيم الهواء...".

(٥) قال الرازي في التفسير الكبير (١٥٩/١٨): "واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات، أو ليس بكريم، بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر". اهـ.

لاستبعاد الشيء لبعد أسبابه الظاهرة وإن كان الآيس معتقداً في الله كل كمال[1].

قرأ ابن كثير في رواية البزي بألف ثانية بعدها ياء مفتوحة في الكلمتين[2].

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ ﴾ أي: لما قال لهم أبوهم ما قال رجعوا رجعة أخرى إلى مصر، فلما دخلوا على العزيز ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ سوء الحال من جهات كثيرة ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ رديئة، من أزجيت الدابة: إذا سقتها[3]، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ﴾[4]، وقال الشاعر:

---

(١) انظر: روح المعاني (١٣/٦٤-٦٥).

(٢) قرأ البزي عن ابن كثير: "ولا تَايَسُوا، من روح الله إنه لا يَايَسُ من روح الله إلا القوم الكافرون" كقراءته ﴿ فلما استَايَسوا منه﴾ سورة يوسف، من الآية (٨٠).

وقوله: ﴿حتى إذا استَايَس الرسل ﴾ سورة يوسف، من الآية (١١٠).

انظر: السبعة ص(٣٥٠)، التيسير ص(١٠٥)، ص(١٠٤٤) من هذا البحث.

ومراد المؤلف من قوله: "بألف ثانية" أن ترتيبها الثاني بين الحروف.

(٣) انظر: لسان العرب (زجا) (١٤/٣٥٤).

(٤) سورة النور، من الآية (٤٣).

يزجي أَغَنَّ كأنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قلمٌ أصابَ مِنَ الدواةِ مِدادَها[1]

كأنها من الرداءة تدفع من مكان إلى آخر، ومن يد إلى أخرى[2]، وقيل: كانت دراهم زيوفاً[3]، وقيل: حب الصنوبر والحبة الخضراء[4]، وقيل سويق المُقْل[5] والأقط[6][7].

(١) لعدي بن الرِّقاع العاملي يصف ظبية وولدها.
انظر: ديوانه برواية ثعلب ص(٨٥)، الشعر والشعراء (٢/٦١٨)، لسان العرب (زجا) (١٤/٣٥٥) وفيها: تزجي.
والأغن: الذي في صوته غنة من الغزلان، والرَّوْق: القرن.
فهي تسوق وتدفع برفق ولدها الأغن الذي كأن طرف قرنه قلم أصاب المداد.
انظر: المراجع السابقة، لسان العرب (غنن) (١٣/٣١٥).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/٢٣٥)، الكشاف (٣/٣٢٠).
(٣) رواه ابن جرير (١٦/٢٣٥-٢٤٠) عن ابن عباس -رضي الله عنها- وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم، وبنحوه قال الفراء في معاني القرآن (٢/٥٥).
(٤) رواه ابن جرير (١٦/٢٣٧) عن أبي صالح، ورواه البغوي عن الكلبي ومقاتل بن حيان بلفظ: كانت الحبة الخضراء (٤/٢٧٢)، ونقله في البسيط (٢/٦٠٠) بذكر الصنوبر أيضاً.
(٥) قال في لسان العرب (مقل) (١١/٦٢٨): "المُقْل: حمل الدَّوْم، واحدته مُقلة، والدَّوْم شجرة تشبه النخلة".
(٦) الأَقط: ويقال: الإِقْط والأَقْط والأُقْط وهو: طعام يُتخذ من لبن يطبخ حتى ييبس ويستحجر.
انظَر: النهاية (أقط) (١/٥٧)، لسان العرب (٧/٢٥٧).
(٧) قال الحسن: كانت أقطاً. البسيط (٢/٦٠٠)، زاد المسير (٤/٢٧٧).

وقال الضحاك: كانت سويق المقل. زاد المسير (الموضع السابق)، ونقله البغوي مبهماً (٤/٢٧٢)، وقد ذكر الزمخشري هذه الأقوال جميعاً دون نسبة (٣/٣٢٠).

﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾ أتمه وإن كان الثمن ردياً ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ أرادوا بالصدقة المسامحة والمجاملة سموها صدقة ترقيقاً لقلبه، فإن الصدقة محرمة على الأنبياء[1]، والظاهر أنهم أرادوا بالصدقة إطلاق أخيهم[2] إلا أنهم لم يجترئوا على التصريح به مخافة أن يقول لم نأخذه إلا بفتواكم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ المحسنين الصدقة مأخوذة من الصدق فكل ما تقرب به الإنسان صدقة، ومنه قوله ﷺ: «الكلمة الطيبة

(١) وإلى هذا ذهب سعيد بن جبير كما رواه الطبري (١٦/٢٤١).

وقال سفيان بن عيينة بأن الصدقة لم تكن حراماً إلا على نبينا محمد ﷺ دون من سبقه من الأنبياء مستدلاً بظاهر الآية. رواه عنه الطبري (١٦/٢٤٢)، ونقله القرطبي في الجامع (٩/٢٥٤) عن مجاهد، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/١١٠٦).

والقول بتحريم الصدقة على الأنبياء عليهم السلام قبل نبينا محمد ﷺ قول يحتاج إلى دليل، وكونها محرمة على نبينا محمد ﷺ لا ينتهض دليلاً لتحريمها على سائر الأنبياء، وقوله ﷺ: **«إنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»** مما يشير إلى الخصوصية ، مع أنه سبق لنا ص(٩٣٣) أن جمهور العلماء على أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء، والمقصود أنه إذا دل دليل على تحريمها على العموم قيل به، وإلا فلا. والله أعلم.

(٢) رواه ابن جرير عن ابن جريج (١٦/٢٤٢)، وزاد البغوي (٤/٢٧٢) روايته عن الضحاك، وصدَّر البيضاوي الأقوال به (١/٤٩٤).

صدقة»[1] وتخصيصها بالعطية لثواب الآخرة عرف طارٍ[2].

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه (١٥/٤)، ومسلم كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٦٩٩/٢ رقم ٥٦) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٢) أي: عرف طارئ.

وقال البيضاوي (٤٩٤/١): "والتصدق التفضل مطلقاً، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر: «**هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته**»، لكنه اختص عرفاً بما يبتغى به ثواب من الله تعالى". اهـ.

والحديث الذي ذكره رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها (٤٧٨/١ رقم ٤) عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

ولعل مراد البيضاوي الجمع بين حديث عمر -رضي الله عنه- وبين ما رواه الطبري عن مجاهد (٢٤٣/١٦) "أنه سئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه: اللهم تصدق عليَّ؟ فقال: نعم إنما الصدقة لمن يبغي الثواب".

وذكر البغوي (٢٧٢/٤) معناه عن الحسن، فحمل -البيضاوي- الصدقة في أصلها على التفضل مطلقاً، ولكنها في العرف اختصت بما يُبتغى به ثواب من الله تعالى.

وكلام المؤلف -رحمه الله- أعلاه فيه زيادة قيد فهو يقول: إن تخصيص الصدقة بالعطية لثواب الآخرة عرف طارٍ.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ لما توسلوا إلى مطلوبهم بأمر الديانة وما فيه حث على طلب الآخرة أتاهم أيضاً في طريق الديانة، واستفهامه لم يكن عن نفس ما فعلوه؛ لأن الفعل الإرادي مسبوق بالعلم لا محالة، بل إنما كان عن قبحه بدليل قوله: ﴿ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ قبح ما فعلتموه؛ حثاً[1] على التوبة [عما فرط منهم[2] فإن التوبة][3] أول مقامات[4] السالك[5].

شأن النفوس الزكية ترك التشفي والتعرض إلى أهم الأشياء، وأدمج فيه أن هذا

(١) ق: حث.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٢٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٤).

(٣) ما بين المعقوفتين مكرر في ص.

(٤) ص: مقاسات.

(٥) قال ابن القيم في منزلة التوبة من مدارج السالكين (١/١٧٨): "ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات... فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة النور، من الآية (٣١)، وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم...".

الضر أولى بالكشف من الضر الذي شكوه، وقيل: إذا أنتم صبيان لا معرفة لكم[1]، ويَرُدُّه ﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[2] مباهين بالقوة الكاملة والحول التام. وفعلهم بأخيه التفرقة بينه وبين أخيه يوسف[3]، وكانوا يستضعفونه ويجفونه[4]، وقيل[5]: "كان قد كتب إليه يعقوب كتاباً: من يعقوب إسرائيل الله بن

---

(١) نقله الواحدي في البسيط (٢/٦٠٥)، وابن الجوزي (٤/٢٨٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقال البيضاوي (١/٤٩٤): "وإنما جهلهم لأن فعلهم كان فعل الجهال، أو لأنهم كانوا حينئذ صبياناً شياطين". اهـ.

وقد وقع في النسختين التي بحاشية الشهاب الخفاجي (٥/٣٥٣)، والتي بحاشية محي الدين شيخ زاده (٣/٩٨): "طياشين" بدل "شياطين" ولعله الأقرب. والله أعلم.

(٢) سورة يوسف، من الآية (١٤).

قاله القزويني في الكشف (٥٠/ب).

(٣) رواه ابن جرير (١٦/٢٤٣) عن ابن إسحاق، وقال به (١٦/٢٤٤).

وانظر: الوسيط (٢/٦٣٠).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٤/٢٧٣)، الكشاف (٣/٣٢١)، المحرر الوجيز (٣/٢٧٦)، زاد المسير (٤/٢٨٠)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٤).

(٥) ص وَ ق: بدون الواو.

إسحاق ذبيح الله[1] بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر، أما بعد: فإنا أهل بيت وكل بنا البلاء، أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به إلى النار فنجاه الله منها وجعلها عليه برداً وسلاماً، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إليّ فذهب به أخوته إلى البرية فأتوا بقميصه ملطخاً بدم وقالوا: أكله الذئب، وكان لـه أخ من أمه كنت أتسلى به فذهبوا به، ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وإنك حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإذا[2] وصل إليك كتابي رد عليّ ابني[3] وإلا دعوت عليك دعوة تدرك[4] السابع من ولدك. فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك أن خاطبهم بذلك الخطاب"[5].

---

(١) انظر: التعليق في نهاية الخبر.

(٢) ق: وإذا.

(٣) ص: ابن.

(٤) ص وَ ق: يدرك.

(٥) رواه الحكيم الترمذي وأبو الشيخ عن وهب بن منبه بنحوه. انظر: الدر المنثور (٤/٥٧٩).

وقال البغوي (٤/٢٧١): "ورُوي عن عبدالله بن زيد بن أبي فروة... ثم ساق الخبر". وذكره الزمخشري بتمامه (٣/٣٢١).

وأشار إلى الكتاب دون سياق لفظه الواحدي في البسيط (٢/٦٠٤)، وابن الجوزي (٤/٢٧٩)، =

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ ﴾ سؤال تحقيق وفيه [شائبة][1] تعجب[2] وتخييل[3] كأنهم من شدة التعجب لبعد حاله عما عهدوه [4] عليه لم يصدقوا بأنه هو مع كونهم موقنين بذلك ومثله يقع كثيراً، ولذلك صرح باسمه وأضاف إليه أخاه[5] ولم يكتف ببلى ليكون تعريفاً[6].

والبيضاوي (٤٩٤/١).

وفي حاشية الأصل وَ ص: هذا من موضوعات اليهود؛ لأن الحق أن الذبيح إسماعيل، وإنما أرادوا صرف النبوة عن رسول الله. منه.

وراجع ما تقدم ص(٩٠٧).

(١) ساقطة من ص وَ ق.

(٢) انظر: الكشاف (٣٢١/٣)، تفسير البيضاوي (٤٩٥/١).

(٣) قال القزويني في الكشف (٥٠/ب): "أي سألوا متعجبين من كونه يوسف محققين لذلك مخيلين لشدة التعجب أنه ليس إياه".

(٤) المثبت في النسخ: عاهدوه.

(٥) قال الزمخشري (٣٢٢/٣): "فإن قلت: قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه؟ على أن أخاه كان معلوماً لهم. قلت: لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه". اهـ.

وبنحوه قال البيضاوي (٤٩٥/١).

(٦) وقال ابن الأنباري: "إنما أظهر الاسم ولم يقل: أنا هو، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته فكأنه قال: أنا المظلوم المستحَلُّ منه المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني، ولهذا قال: ﴿ وَهَٰذَآ أَخِيۖ ﴾ وهم =

﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ ﴾[1] بلا ريب ولا شبهة، وقراءة ابن كثير بحذف الاستفهام[2] صريحة[3] في معرفتهم ومؤيدة كون الاستفهام ليس على أصله.

﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ ﴾ بالسلامة والاجتماع ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ ﴾ الله ﴿ وَيَصْبِرْ ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات[4] ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن من جمع بين

يعرفونه وإنما قصد: وهذا المظلوم كظلمي". اهـ. زاد المسير (٢٨١/٤).

ويظهر أن ما قاله المؤلف -رحمه الله- أقرب للصواب فهو الأليق بحال الأنبياء -عليهم السلام- الموافق لقوله بعد ذلك: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ والله أعلم.

(١) في ص وَ ق قدم ذكر الآية بعد قوله: ومثله يقع كثيراً ولذلك.

(٢) قرأ ابن كثير على الخبر ﴿إنك لأنت يوسف﴾، وقرأ باقي السبعة على الاستفهام، فقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر بإثبات الهمزتين وقرأ نافع وأبو عمرو بتسهيل الثانية.

انظر: السبعة ص(١٣٦، ٣٥١)، التيسير ص(٣٦، ١٠٦)، البحر المحيط (٣٣٧/٥).

(٣) ق: صريح.

(٤) وعلى أقدار الله المؤلمة كما وقع ليوسف -عليه السلام- حين أُلقي في الجب وحين أدخل السجن وفُرِّق بينه وبين أبيه عليهما السلام، وما ذكره المؤلف هو عبارة الزمخشري (٣٢٢/٣).

التقوى والصبر داخل في زمرة المحسنين لا ليدل على أن المحسن من[1] جمع بين التقوى والإحسان[2] إذ[3] لا يلزم من انتفاء علة معينة انتفاء الحكم.

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ اختارك بحسن السيرة والصورة ومحاسن الأخلاق وجعلك ملكاً وأحوجنا إليك ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ وإن الشأن أنا كنا آثمين، من خطِئ -بالكسر- إذا تعمد الذنب[4].

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾[5] من الثَّرْب وهو الشحم الذي يغشي الكرش[6]، ومعناه: إزالة الثرب فاستعير للتقريع الذي يذهب ماء الوجه ثم

---

(١) ق: "مع" بدل من .

(٢) كذا في النسخ ولعل الأقرب: من جمع بين التقوى والصبر.

(٣) ص: إذا.

(٤) راجع ص(٩٥٩).

(٥) في ص وَ ق زيادة: لا توبيخ من الثرب... إلخ.

(٦) انظر: لسان العرب (ثرب) (١/٢٣٥).

نفـي[1].

﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ متعلق [بالتثريب أو بمتعلق][2] الجار[3]، والمعنى: لا أثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فكيف بسائر الأيام؟ أو بقوله: ﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾[4]، والمعنى: أنكم بعدما عرفتم قبح ذنبكم واعترفتم بأنكم كنتم خاطئين فقد غفر الله لكـم لقولـه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ ﴾[5]، ولا ينافيه قولهم: ﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ ﴾[6] لأن العلم بوقوعه بخبر الصديق الصادق لا يمنع الطلب، على أنه لو استلزم كان من قبيل استغفار الأنبياء هضماً للنفس فالفرق

(١) انظر: الكشاف (٣٢٢/٣)، تفسير البيضاوي (٤٩٥/١).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٣) قال الزمخشري (٣٢٢/٣): "... أو بالمقدر في ﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾ من معنى الاستقرار...".

(٤) انظر الأوجه جميعاً في: الكشاف (الموضع السابق)، البيان لابن الأنباري (٤٥/٢)، تفسير البيضاوي (٤٩٥/١)، والوجه الأول هو قول الأخفش في معاني القرآن (٥٩٣/٢).

(٥) سورة طه، من الآية (٨٢).

(٦) سورة يوسف، من الآية (٩٧).

بين الدعاء والإخبار وهم"[1].

﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يغفر الذنوب جميعاً ويتفضل بما لا عين رأت. يوم فتح مكة أخذ رسول الله ﷺ بعضادتي الباب وقال لقريش: «ما ترونني فاعلاً بكم؟»[2]، قالوا: [أخ][3] كريم [وابن أخ كريم][4] وقد قدرت،

---

(١) في حاشية جميع النسخ: الواهم صاحب الانتصاف.
وصاحب الانتصاف هو ناصر الدين أحمد بن المنير المالكي وكتابه: "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال"، وقد استظهر أن ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ متعلق بـ ﴿ تَثْرِيبَ ﴾ قال رحمه الله: "وهو الأوجه ألا ترى إلى قولهم بعد ذلك: ﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾، وقوله: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ دل على أنهم كانوا بعد في عهدة الذنب ولو كان متعلقاً بـ ﴿ يَغْفِرُ ﴾ للزم أن يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذٍ بإخبار النبي الصديق". اهـ. (٣٢٢/٣) من الانتصاف بهامش الكشاف.
وما ساقة المؤلف -رحمه الله- من الأوجه في الرد هنا وقوله: "فالفرق بين الدعاء والإخبار وهم"، نقله عن القزويني في الكشف (٥١/أ).
وقد وقع في الأصل وَ ص حاشية أخرى هي: والأحسن أن يحمل استغفار يعقوب على ما يتعلق به لما فرَّقوا بينه وبين يوسف. منه.
وقد ذكر ذلك صاحب الانتصاف حيث يقول بعد كلامه السابق: "ويحتمل أن يقال: إنما أراد مغفرة ما يرجع إلى حقه دون حق أبيه، إذ الإثم كان مشتركاً بينهما. والله أعلم". (٣٢٢/٣).
(٢) ق: معكم.
(٣) ساقطة من ق.
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

فقـال: «أقول ما قال أخي يوسف: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾»[1].

ومن كرم يوسف وتواضعه، [أنه][2] لما عرَّف نفسه إخوته وكان يدعوهم إلى الطعام بكرة وعشياً أرسلوا إليه وقالوا: نحن نستحي منك لما فرط منا، فقال: إن أهل مصر كانوا يستكثرون عليَّ ما أنا فيه ويقولون: عبد ثمنه عشرون ديناراً فلما عرفوا أني أخوكم وأنني من نسل إبراهيم عظمت في عينهم[3].

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا ﴾ هو القميص الذي كان لإبراهيم الذي أخرجه جبريل من تعويذة حين أُلقي في الجب عرياناً وكان من حرير الجنة، لم يشم مبتلى رائحته إلا عوفي[4]، ولهذا قيده بالوصف. ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ

(١) رواه النسائي في الكبرى كتاب التفسير، سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾ (٦/٣٨٢ رقم ١١٢٩٨)، والبيهقي في الدلائل في فتح مكة (٥/٥٧-٥٨) عن أبي هريرة -ﷺ-، ورواه الواقدي في المغازي في فتح مكة (٢/٨٣٥) عن بَرَّة بنت أبي تِجْراة.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) ذكره الزمخشري (٣/٣٢٣)، والرازي في التفسير الكبير (١٨/١٦٤-١٦٥)، والبيضاوي (١/٤٩٥).

(٤) رواه الواحدي في البسيط (٢/٦١٢) عن أنس بن مالك -ﷺ- مرفوعاً بسند ضعيف؛ لأن فيه عباد بن كثير الثقفي قال عنه البخاري: تركوه، وقال ابن معين: ليس بشيء.

انظر: ميزان الاعتدال (٢/٣٧١)، تهذيب التهذيب (٥/١٠٠).

﴿ بَصِيرًا ﴾ يصير بصيراً[1]. الإتيان مجاز عن الصيرورة، أو يأت إليَّ بصيراً معافاً سالماً[2] ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣ ﴾ النساء والأولاد والموالي.

ورواه أبو الشيخ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- مرفوعاً وآخره: "وليس يقع شيء من الجنة على عاهة من عاهات الدنيا إلا أبرأها بإذن الله تعالى". الدر المنثور (٤/٥٨٠).

ورواه البغوي (٤/٢٧٥) عن مجاهد بتمامه، وذكره الزمخشري (٣/٣٢٣) مبهماً.

قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٢٧٨) بعد أن ساق نحوه: "وهذا كله يحتاج إلى سند، والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو منه بمنزلة قميص كل أحد، وهكذا تبين الغرابة في أنْ وَجَدَ ريحه من بعد، ولو كان من قمص الجنة لما كان في ذلك غرابة ولوجده كل أحد". اهـ. وهذا ما استظهره أبو حيان (٥/٣٣٩).

(١) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- والسدي كما في الوسيط (٢/ ٦٣٢)، وقاله الفراء في معاني القرآن (٢/٥٥) بلفظ: "يرجع بصيراً" وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١/٣١٨)، والطبري (١٦/٢٤٨) بلفظ: "يعد بصيراً".

(٢) قاله أبو حيان (٥/٣٣٩)، ومال إليه الطيبي في فتوح الغيب ص(٤٧١) والقزويني في الكشف ص(٥١/أ)، وذكر القولين البغوي (٤/٢٧٤)، والزمخشري (٣/٣٢٣) وغيرهما قال الزمخشري: "﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ يصير بصيراً كقولك: جاء البناء محكماً بمعنى: صار ويشهد له: ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾، أو يأتي إليّ وهو بصير، وينصره قوله: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: يأتيني أبي ويأتي آله جميعاً". اهـ.

فإن قلت: إذا كان الإتيان مجازاً عن الصيرورة فأين ذكر الأب وهو المقصود الأعظم؟.

قلت: علم إتيانه وثوقاً بحبه، مع أن أمر الإخوة بالإتيان به بشعر بنوع إجبار عليه فيجلّ عنه(١).

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ خرجت من مصر، من فَصَل فُصولاً لازم، لا من الفَصْل ليتعدى(٢) ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال لمن حضره من أحفاده وسائر أهله، لم يشم رائحته وهو في الجب على مقدار فراسخ وشمها من مسيرة ثمانين فرسخاً(٣) حين تعلقت إرادة من لا يسأل عما يفعل(٤).

(١) ذكره القزويني في الكشف (الموضع السابق).

(٢) يقال: فصل زيد من البلد إذا جاوزه وانفصل عنه، ويقال: فصل زيد الشيء إذا قطعه، فالأول لازم والثاني متعدٍ.

انظر: لسان العرب (فصل) (١١/٥٢٢)، البحر المحيط (٥/٣٣٩).

قال في اللسان (الموضع السابق): "ففَصَلَ يكون لازماً وواقعاً، وإذا كان واقعاً فمصدره الفَصْل، وإذا كان لازماً فمصدره الفُصُول". اهـ.

(٣) رواه ابن جرير (١٦/٢٥١) عن الحسن وابن جريج، ونقله الواحدي في البسيط (٢/٦١٥) عن قتادة.

(٤) ولعل هذا مما يقوي كلام ابن عطية السابق بأن القميص هو قميص يوسف الذي كان يلبسه لا أنه كان من قمص الجنة. والله أعلم. راجع ص(٩١٤).

﴿ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ تنسبون إليَّ الفَنَد[1] وهو: الخَرَفُ ونقصانُ الرأي لشدة الكبر والهرم، لا يقال[2]: عجوز مفندة[3] لأن نقصان الرأي في النساء ذاتي[4]، وأصل الفَنَد: الكذب[5] وكأنه سُمي الخرف[6] به لأنه لا يخلو عنه، وقد جاء في حديث أمِّ مَعْبَد[7] في وصفه ﷺ "لا عابسٌ ولا مُفَند"[8] على أصله.

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ متمكن فيه لم تخرج

(١) قاله الراغب في المفردات (فند) ص(٦٤٦).

(٢) ص: ولا يقال.

(٣) ص: منفدة.

(٤) قاله في الكشاف (٣/٣٢٤)، ولسان العرب (فند) (٣/٣٣٨).

(٥) انظر: لسان العرب (الموضع السابق).

(٦) ص: الخزف، وكذا في الموضع السابق قبل سطرين.

(٧) هي عاتكة بنت خالد الخزاعية الكعبية، وكنيتها: أم معبد، وهي التي نزل الرسول ﷺ وأبوبكر عليها في طريق الهجرة إلى المدينة.

انظر: أسد الغابة (٦/٣٩٦)، الإصابة (/٢٨١).

(٨) رواه الحاكم (٣/٩) عن هشام بن حبيش بن خويلد وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد في الطبقات (١/٢٣١) عن أبي معبد الخزاعي بلفظ: (لا عابث ولا مفند).

عنه[1] ولم يفارقك، وهذا هو التفنيد الذي خافه. ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ [هو][2] يهوذا فإنه [هو][3] الذي أتاه بالقميص ملطخاً فقال: [كما][4] أحزنته أنا أبشره[5] ﴿ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ لأن يوسف أمره بذلك فقال: ألقوه على وجه أبي[6]، وقيل: ألقاه يعقوب[7] ﴿ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ فرجع بصيراً يقال: ردَّه فارتد.

---

(١) ق: لم يخرج عنك.

(٢) ساقطة من ص.

(٣) ساقطة من ص وَ ق.

(٤) ساقطة من ص.

(٥) رواه ابن جرير (٢٥٩/١٦) عن السدي، ورواه عن مجاهد وابن جريج والضحاك بلفظ: يهوذا بن يعقوب، دون ذكر أنه أتاه بالقميص ملطخاً... إلخ، ورواه البغوي (٢٧٦/٤) عن ابن عباس - رضي الله عنهما-.
وانظر: البسيط (٦١٨/٢)، زاد المسير (٢٨٦/٤).

(٦) في حاشية الأصل وَ ص: الظاهر أنه قيَّد الإلقاء على الوجه ليصير بصيراً وليكون جزاء عن تلطيخ وجهه بالقميص الذي كان فيه الدم. منه.
وانظر: ما تقدم ص(٩٢٦).
والقول بأن الملقي هو البشير هو قول أكثر المفسرين.
انظر: تفسير الطبري (٢٦٠/١٦)، تفسير البغوي (٢٧٦/٤)، البحر المحيط (٣٤٠/٥).

(٧) جوَّزه الزمخشري (٣٢٤/٣)، والبيضاوي (٤٩٦/١).

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ يريد قوله: ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقيل: قولـه: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ﴾ آخر الكلام والمفعول محذوف أي: إني لأجد ريح يوسـف، وقولـه: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[2] ابتداء كلام[3].

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ وحق على الأنبياء إذا جاءهم تائب أن يطلبوا لـه المغفرة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[4].

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ قيل: أَخَّرَ الاستغفار إلى السحر[5]

---

(١) سورة يوسف، من الآية (٨٦).

(٢) وردت الآية في سائر النسخ (وأعلم من الله) وهو خطأ، والمثبت هو الصواب.

(٣) قاله الزمخشري (٣/٣٢٤).

(٤) سورة النساء، من الآية (٦٤).

(٥) رواه ابن جرير (١٦/٢٦١) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وإبراهيم التيمي وابن جريج، وبه قال ابن =

فإنه وقت الإجابة، وقيل: إلى ليلة الجمعة رواه الترمذي[1]، ويُؤيده لفظ ﴿ سَوْفَ ﴾ فإنه للتراخي في الاستقبال إذ لو كان إلى السحر كان استعمال السين وحده. وقيل: بل أَخَّرَه إلى أن يطلب من يوسف التجاوز عنهم[2] فإن حقوق

عباس -ﷺ- وقتادة والسدي، واختاره الزجاج (٣/١٢٩)، ونسبه البغوي (٤/٢٧٦) لأكثر المفسرين.

وانظر: الوسيط (٢/٦٣٤)، زاد المسير (٤/٢٨٧).

(١) كتاب الدعوات، باب في دعاء الحفظ (٩/٢١١ رقم ٤٥٦٥) عن ابن عباس -ﷺ- في حديث طويل وفيه: "**قال أخي يعقوب لبنيه: سأستغفر لكم ربي يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة**" قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. اهـ.

ورواه الطبري (١٦/٢٦٢)، والحاكم في المستدرك (١/٣١٦) وصححه على شرط الشيخين، وقال الذهبي: هذا حديث منكر شاذ أخاف لا يكون موضوعاً... إلخ.

وقد قال ابن كثير في تفسيره: "وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر". اهـ (٤/٣٣٤)، وقد قال بهذا القول ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية الكلبي وعكرمة.

انظر: البسيط (٢/٦١٩)، زاد المسير (٤/٢٨٧).

(٢) نقله البغوي (٤/٢٧٧) عن الشعبي، وذكره البيضاوي (١/٤٩٦)، وأبو حيان (٥/٣٤١) وغيرهما.

العباد لا تسقط[1] إلا به، وفيه بعدٌ كيف[2] وقد قال: ﴿ لَا تَثۡرِيبَ ﴾[3].

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ﴾ الكثير الغفران ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ البالغ الرحمة.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ لاقوه، يقال: دخلت على السلطان إذا لاقتيه ولو لم يكن في بيت.

روي أنه وجه إليه رواحل وأموالاً واستقبله هو والملك بأهل مصر[4]. وكان أولاده الذين دخلوا مصر معه اثنين وسبعين رجلاً وامرأة، وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعاً وسبعين رجلاً سوى الذراري[5] والهرمى[6].

---

(١) ص وَ ق: يسقط.

(٢) ص: وفيه بعد اليوم كيف... إلخ.

(٣) سورة يوسف، من الآية (٩٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/٢٦٥)، تفسير البغوي (٤/٢٧٧)، الكشاف (٣/٣٢٥)، الجامع للقرطبي (٩/٢٦٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٦).

(٥) ص: الذاري.

(٦) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري (٣/٣٢٥)، والبيضاوي (١/٤٩٦).

﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ ضمهما إليه واعتنقهما، وعن ابن إسحاق(1): أن أمه كانت تحيى(2). وقيل: خالته(3) كانت رابّة(4) لـه، فكانت أم التربية ولأن الخالة بمثابة

وقد روى ابن جرير (٢٧٦/١٦) عن عبدالله بن شداد قال: "اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنساناً... وخرجوا من مصر وهم ستمائة ألف ونيف"، وروى عن ابن مسعود أنهم دخلوا ثلاثة وستون إنساناً وخرجوا منها وهم ستمائة ألف، وعنه: وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

(١) محمد بن إسحاق بن يسار أبوبكر المدني، أحد الأعلام، كان جده يسار من سبي عين التمر، روى عن الأعرج ونافع وغيرهما، وعنه: حماد بن سلمة وحماد بن زيد وجماعة، إمام فاضل وهو صاحب السيرة المشهورة، مات عام ١٥١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/٧)، تهذيب التهذيب (٣٨/٩).

(٢) رواه ابن جرير (٢٦٧/١٦) عن ابن إسحاق ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ قال: "أباه وأمه"، وروى نحوه البغوي (٢٧٨/٤) عن الحسن، والعبارة التي ذكرها المؤلف هي عبارة الزمخشري في الكشاف (٣٢٥/٣)، قال ابن جرير (الموضع السابق): "وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحاق لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في: "أبوين"، إلا أن يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها فيسلم حينئذ لها". اهـ.
واختار هذا القول أبو حيان (٣٤١/٥)، وابن كثير (٣٣٥/٤) وغيرهما.

(٣) نقله الواحدي في البسيط (٦٢٠/٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وعامة المفسرين، ورواه ابن جرير عن السدي (٢٦٧/١٦)، ورواه أبو الشيخ عن وهب بن منبه.
انظر: الدر المنثور (٥٨٧/٤)، تفسير البغوي (٢٧٨/٤).

(٤) ص: واية.

الأم"[1]، كما أن العم صِنْوُ الأب"[2][3].

قيل: لما التقيا كان البادي بالسلام يعقوب، فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان[4]، فقال لـه يوسف: بكيت وجزعت عليّ حتى ذهب بصرك وقد علمت أن يوم القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى، ولكن لم أكن أعلم [على][5] أيِّ دين أنت فكنت أخاف أن يحال بيني وبينك[6].

---

(١) عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : «**الخالة بمنزلة الأم**» رواه البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان... إلخ (٣/١٦٨) في قصة اختصام علي وجعفر وزيد بن حارثة -رضي الله عنه- في ابنة حمزة -رضي الله عنها وعن أبيها-.

(٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله قال: «**عم الرجل صنو أبيه**» رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها (٢/٦٧٦ رقم ١١).
و"الصِّنْوُ: المثل". قاله ابن الأثير في النهاية (صنو) (٣/٥٧).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٢٥).

(٤) ص: الإخوان.

(٥) ساقطة من ص.

(٦) روى ابن جرير (١٦/٢٦٥) أوله عن فرقد السبخي بلفظ: يا ذاهب الأحزان عني، وذكر البغوي (٤/٢٧٧) أولـه مبهماً، وأما كلام يوسف وجواب يعقوب فرواه الواحدي في الوسيط (٢/٦٣٥) عن ابن عباس وفي إسناده: علي بن أحمد بن يوسف متهم بوضع الحديث. ميزان الاعتدال (٣/١١٢) ومحمد بن يزيد المستملي يسرق الحديث ويزيد فيه ويضع. ميزان الاعتدال =

﴿ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ من المكاره بأسرها ولذلك أطلق، والمشيئة قيد للدخول المكيف بالأمن الذي هو الغرض الأصلي كقوله تعالى: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾[1]، ولذلك قيل: معناه اسلموا وأمنوا[2]، والشرط المتوسط حذف جزاؤه بل لا يكاد يوجد لـه ذكر في مثله[3].

(٦٦/٤) والكلبي وهو كذاب، وقد ذكر الأثر البغوي (الموضع السابق) عن سفيان الثوري، وساقه بتمامه الزمخشري (٣٢٥/٣) وأبو حيان (٣٤١/٥).

ولا يخفى أن مثل هذه الروايات من الأخبار التي نقلت عن بني إسرائيل. والله أعلم.

(١) سورة البقرة، من الآية (٥٨).

(٢) قال الزمخشري (٣٢٥/٣) -وأسوق عبارته هنا لما فيها من مزيد البيان -: "فإن قلت: بم تعلقت المشيئة؟ قلت: بالدخول مكيفاً بالأمن؛ لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل لهم: اسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله، ونظيره قولك للغازي: ارجع سالماً غانماً إن شاء الله، فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقاً ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة مكيفاً بهما، والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال". اهـ.

وانظر: تفسير البيضاوي (٤٩٦/١).

(٣) انظر: الكشف للقزويني (٥١/ب).

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ الخرور مقدم على الرفع وإنما قدمه اهتماماً[1]، وجاز لهم السجود لكونه بمثابة التحية عندنا[2]، وقيل: سجدوا لله شكراً فالضمير لله[3] ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ [قد][4] تقدمت في صدر السورة[5] ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ طبق الواقع، ولم يجعلها من الأحلام الباطلة ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ لم يذكر الجب لأنه [لم يصل إلى النعمة إلا بعد السجن، وقبل

(١) قاله البيضاوي (١/٤٩٦).

(٢) رواه ابن جرير (١٦/٢٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما -في رواية العوفي- وابن إسحاق والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جريج، وقال به، واختاره الزجاج (٣/١٢٩)، والنحاس في معاني القرآن (٣/٤٥٨)، والواحدي في الوسيط (٢/٦٣٥)، والبغوي (٤/٢٨٠)، والزمخشري (٣/٣٢٦)، وغيرهم، ونسبه في البسيط (٢/٦٢٢) لعامة المفسرين.

(٣) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية عطاء. زاد المسير (٤/٢٩٠).

(٤) ساقطة من ق.

(٥) راجع ص (٨٩٩).

السجن][1] كان من الأرقاء وإن كان عند الله من صفوة الأنبياء، وقيل: لم يذكر الجب لئلا يكون تثريباً[2]، يقال: أحسن إليه وبه.

﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ أي: البادية كانوا أصحاب المواشي ينتجعون المراعي ويردون المياه[3].

﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ بإلقاء العداوة، من نَزَغَ الدابة إذا نخسها[4]، شبه به إضلال الشيطان ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ يوجده بالرفق بحيث يدق على الأفكار ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الكامل العلم

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

(٢) الظاهر أنه ليس بين الوجهين تعارض فقد يكون ذكر السجن ولم يذكر الجب لهذين السببين معاً، ولذلك ذكرهما جميعاً الواحدي في البسيط (٢/٦٢٤)، والبغوي (٤/٢٨٠)، وابن عطية (٣/٢٨٢)، وابن الجوزي (٤/٢٩١)، والرازي في التفسير الكبير (١٨/١٧١)، ولم يذكر الواحدي في الوسيط (٢/٦٣٥)، والبيضاوي (١/٤٩٦) إلا الوجه الثاني.

(٣) رواه ابن جرير (١٦/٢٧٥) عن ابن إسحاق وقتادة وابن جريج.

وانظر: تفسير البغوي (٤/٢٨١)، تفسير ابن كثير (٤/٣٣٦).

(٤) انظر: لسان العرب (نزغ) (٨/٤٥٤).

بأحوال الأشياء ومصالح العباد ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الذي يوجد الأشياء على وفق ما اقتضته الحكمة في كل عصر، دليل على كونه[1] لطيفاً.

روي أنه طاف بأبيه في الخزائن فلما دخل به خزانة الأوراق فقال: يا بني ما أعقَّك! عندك هذا الورق ولم تكتب إلى أبيك الشيخ؟ قال: كذا أمرني جبريل، قال يعقوب: أو ما تسأله لماذا؟ قال: أنت أبسط إليه مني، فقال يا جبريل لماذا؟ قال: كذا أمرني[2] ربي لقولك: إني أخاف أن يأكله الذئب، هلا خفتني[3].

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ بعضه، وهو ملك مصر ﴿ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾ بعض تأويلها[4] إذ لم يؤت إلا البعض من الكل، أو هو تأويل الرؤيا ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ نصب على الصفة كقولك: يا

---

(١) ص: على أنه كونه.

(٢) ص: أمر.

(٣) ذكره الزمخشري (٣/٣٢٦)، والرازي في التفسير الكبير (١٨/١٧٣)، والبيضاوي (١/٤٩٦).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٢٩)، الكشاف (٣/٣٢٧)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٧).

أخا زيد حسنَ الوجه[1] أو هو نداء ثانٍ[2].

والفطور لغة: الشق[3]، وعن/ ابن عباس: "ما كنت أعلم معناه[4] حتى تحاكم إليّ أعرابيان يتنازعان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها"[5].

(١) قال الزجاج في معاني القرآن (١٣٠/٣): "قوله -عز وجل-: ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ينتصب على وجهين: أحدهما: على الصفة لقوله: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾، والمعنى: يا رب قد آتيتني وهذا نداء مضاف في موضع نصب ويكون ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ صفة للأول... إلخ".

(٢) ذكر الوجهين الزجاج -كما سبق- والنحاس في إعراب القرآن (١٥٨/٢)، الزمخشري (٣٢٧/٣)، والبيضاوي (٤٩٧/١)، وأبو حيان (٣٤٣/٥) وغيرهم.

(٣) انظر: لسان العرب (فطر) (٥٥/٥).

(٤) ق: معناها.

(٥) رواه ابن جرير (٢٨٣/١١)، وتتمته: يقول: أنا ابتدأتها.

وروى ابن جرير عن السدي وقتادة في معنى قوله تعالى: ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ "خالق السماوات والأرض". وكذا قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١٨٧/١)، والزجاج في معاني القرآن (٢٣٣/٢) وغيرهما.

وزاد الزجاج: "فإن قال قائل: فقوله: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ ﴾ سورة الانفطار، آية (١) معناه =

﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ تتولاني فيهما لا شريك لك في شيء، وهذا عين التوحيد ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ في الرتبة والدرجة، وليس فيه ما يدل على [أنه](1) تمنى الموت؛ لأن الأمر لا يدل على الفور بل يسأل(2) أن يكون موته على الإسلام ملحقاً بآبائه الصالحين وسائر الرسل الكرام، كما أنَّ واحداً منا إذا قال: اللهم توفني مسلماً يريد ذلك ولا يخطر التمني بباله(3).

انشقت فكيف يكون الفَطْرُ في معنى الخلق، والانفطار في معنى الانشقاق؟ فإنهما يرجعان إلى شيء واحد؛ لأن معنى فطرهما: خلقهما خلقاً قاطعاً، والانفطار والفطور تقطع وتشقق". اهـ.

(1) ساقط من ق.

(2) ق: سأل.

(3) في حاشية الأصل وَ ص: رد على القاضي.

وقد ذهب القاضي البيضاوي (٤٩٧/١) إلى أن هذا من يوسف كان تمنياً للموت. وهذا القول رواه ابن جرير (٢٧٨/١٦-٢٧٩) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والسدي وقتادة.

وأما ما ذهب إليه المؤلف -رحمه الله- فهو قول ابن عباس رضي الله عنهما -في رواية عطاء- البسيط (٦٢٩/٢)، زاد المسير (٢٩٢/٤)، وهو ظاهر قول الضحاك كما رواه عنه ابن جرير (٢٨٠/١٦) وبه قال الزمخشري (٣٢٧/٣)، وابن عطية (٢٨٣/٣)، ورجحه أبو حيان (٣٤٣/٥).

روي أن يعقوب أقام مع يوسف أربعاً وعشرين سنة، ثم توفاه الله وأوصى[1] أن يدفن في الأرض المقدسة عند أبويه إبراهيم وإسحاق، فذهب يوسف بجنازته إلى هناك ودفنه، ثم عاد إلى مصر، وعاش ثلاثاً وعشرين سنة، ثم توفاه الله طيباً طاهراً، فاختصم أهل مصر في مدفنه كل طائفة تريد[2] أن يكون بقربهم لينالوا بركته، ثم اتفقوا على أن يجعلوه في تابوت من مَرْمَر ويجعلوه في النيل ليمر عليه الماء ويكونوا في ذلك سواء لا مزية لأحد على آخر، وكان هناك إلى أن خرج موسى ببني إسرائيل فأخرجه إلى الأرض المقدسة ودفنه عند أبائه الرسل الكرام عليهم من الله أفضل الصلوات والسلام[3].

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ حديث يوسف[4] كما قص عليك، مبتدأ ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ

(١) ص: وأوحى.

(٢) ق: يريد.

(٣) انظر: الوسيط (٢/٦٣٦)، تفسير البغوي (٤/٢٨١-٢٨٢)، الكشاف (٣/٣٢٦)، زاد المسير (٤/٢٩١-٢٩٢)، التفسير الكبير (١٨/١٧٣)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٧).

(٤) كلمة "يوسف" ساقطة من ص.

نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ خبران له[1] ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ غاية التهكم بمنكريه؛ لأن طريق العلم فيما يتعلق بالنقل إما السماع أو[2] المشاهدة، والسماع لا يقولون به لأنهم لا يوقنون[3] بكتاب فلم يبق إلا العيان ولا يظن به عاقل[4].

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [لما قص عليهم][5] ما سألوه على أحسن وجه وأبدع نظام وأفحمهم ولم يؤمنوا به أشار تعالى إلى أن إظهار الآيات والحرص على الإيمان منك لا ينفع أكثر الناس.

﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ على التبليغ حتى يكونوا بذلك محتجين ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ موعظة لكافة الخلق من غير تخصيص

---

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن (٣/١٣٠)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/١٥٩)، والزمخشري (٣/٣٢٧) وغيرهم.

(٢) ق: بالواو.

(٣) ص وَ ق: لا يؤمنون.

(٤) انظر: الكشاف (٣/٣٢٧).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ص.

بطائفة فلا يتصور أخذ الأجر عليه.

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ أي: كثير منها[1] ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾ على تلك الآيات الدالة على وحدانية الله وكمال صفاته ﴿ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ لا يتدبرون في شيء منها، فإذا لم يتفكروا فيما قصصت عليهم من أنباء الغيب ولم يؤمنوا فلا تحزن.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ أبلغ في الذم من الإعراض؛ لأن المعرض جهله بسيط وهؤلاء أداهم النظر الفاسد إلى الإشراك بعد التأمل في الآيات الدالة على التوحيد[2]. والقول بأن الآية في

(١) انظر: الطبري (١٦/٢٨٥)، المحرر الوجيز (٣/٢٨٥)، تفسير البيضاوي (١/٤٩٧).

(٢) فُسِّرَ إيمانهم المذكور في الآية بإقرارهم بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق الرازق ونحو ذلك، ثم يشركون معه غيره في عبادته من الأصنام والأوثان وغيرها.

وهذا ما قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم.

وقال عطاء: إيمانهم إخلاصهم الدعاء في الشدائد كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ سورة العنكبوت، من الآية (٦٥)، ويشركون في الرخاء بدعاء غير الله.

المنافقين[1] يَرُدُّهُ كونُ السورة مكية.

﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ يؤمن[2] أكثرهم بالله مع الإشراك فيأمنون مع ذلك أن يحيط بهم نوع من العذاب ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ بذلك الإتيان فما حالهم بعد ذلك؟ وما اعتذارهم؟.

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ أي: الإنباء عن الغيب بالوحي والتوحيد ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ استئناف لبيان السبيل، أو حال من الياء[3] ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾

وفي الآية أقوال أخرى متقاربة وليس بينها تعارض، فالجميع داخل في عموم الآية. قال الشيخ عبدالله أبا بطين بعد أن ساق القولين السابقين: "والآية تعم ذلك كله". اهـ. تأسيس التقديس ص(٢٥).

انظر: تفسير الطبري (١٦/٢٨٦-٢٨٩)، زاد المسير (٤/٢٩٤)، البحر المحيط (٥/٣٤٥).

(١) قاله الحسن.

انظر: زاد المسير (الموضع السابق)، ونقله البيضاوي (١/٤٩٧) مبهماً.

(٢) ق: أيؤمن.

(٣) ذكر الوجهين العكبري في التبيان (٢/٧٤٧)، والبيضاوي (١/٤٩٨)، وقالا بالأول، وهو ظاهر قول =

حال من فاعل ﴿ أَدْعُوٓا ﴾[1] أي: مستيقناً، أو متعلق به[2] أي: [مع][3] برهان واضح. ﴿ أَنَا۠ ﴾ توكيد للمستتر في الجار والمجرور إن جعل حالاً وإلا فمن المستتر في ﴿ أَدْعُوٓا ﴾. ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ عطف على المستتر على الوجهين[4] ﴿ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ ﴾ عما لا يليق به ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ به، تعريض بالخصم.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾ كما أوحي إليك، رد

أبي حيان في البحر المحيط (٣٤٦/٥) ورجحه السمين الحلبي في الدر المصون (٥٦١/٦).

(١) قاله العكبري في التبيان، والسمين الحلبي في الدر المصون (الموضعين السابقين)، وجوَّزه الزمخشري (٣٢٨/٣).

(٢) انظر: الكشاف (الموضع السابق)، البحر المحيط (٣٤٦/٥).

(٣) ساقطة من ص وَ ق.

(٤) قال الفراء في معاني القرآن (٥٥/٢): "أنا ومن اتبعني فهو يدعو على بصيرة كما أدعو". اهـ.

وانظر: الكشاف (٣٢٨/٣)، التبيان للعكبري (٧٤٧/٢)، البحر المحيط (٣٤٦/٥).

قال ابن القيم: "والتحقيق أن العطف يتضمن المعنيين فأتباعه هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله". اهـ الصواعق المرسلة (١٥٥/١).

لقولهم: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[1]، وقيل: نفي لاستنباء النساء؛ روي عن ابن عباس -ﷺ- والله أعلم بصحته[2]، قرأ حفص بالنون هنا وفي النحل والأنبياء[3]، والياء[4] على الالتفات، والنون أبلغ نصاً على المُوْحِي تصديقاً لـه.

---

(١) سورة الفرقان، من الآية (٢١).

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم". انظر: الدر المنثور (٥٩٥/٤).

(٢) قال الواحدي في البسيط (٦٣٧/٢): "قال ابن عباس: يريد ليس فيهم امرأة". وذكره الزمخشري (٣٢٩/٣)، وأبوحيان (٣٤٦/٥) و لم أقف على سنده. والله أعلم.

(٣) وقرأ باقي السبعة وأبو بكر عن عاصم (يُوحَى) بالياء وفتح الحاء إلا الموضع الثاني من الأنبياء، فإن حمزة والكسائي وافقا حفصاً فيه.

والآية التي في النحل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة النحل، الآية (٤٣).

وفي الأنبياء: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ... ﴾ الآية. سورة الأنبياء، من الآية (٧)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء، الآية (٢٥).

انظر: السبعة ص(٣٥١)، التيسير ص(١٠٦، ١٢٥)، الكشف لمكي (١٥/٢).

(٤) ص وَ ق: بحذف الواو.

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ سكان المدن؛ لأنهم ألين عَرِيْكَة وأحسن أخلاقاً، وفي الحديث: «الغلظ[1] والقسوة في الفدادين أهل الوبر»[2].

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ استفهام تقرير، قد ساروا وشاهدوا ما حلَّ بالأمم المكذبة فكان ذلك عبرة لهم لو اعتبروا ﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ أي: دار الحياة الآخرة أو النشأة الآخرة[3] خير من الحطام الفاني ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أفلا يستعملون عقولهم ليتعظوا. وقرأ[4] نافع وابن عامر وعاصم بالتاء خطاباً[5] بتقدير القول.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ المُغَيَّا[6] محذوف دل عليه الكلام أي: وما

(١) ص: الغلط.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) فيُقدر للصفة التي هي ﴿ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ موصوف كالحياة أو النشأة ونحوها.

انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٣٢)، الكشاف (٣/٣٢٩).

(٤) ص: قرأ. بحذف الواو.

(٥) وقرأ الباقون بالياء.

انظر: التيسير ص(١٠٦)، البحر المحيط (٥/٣٤٦).

(٦) المغيا: هو ما جعل بعد "حتى" غاية لـــه، فهو مغيا بهذه الغاية.

أرسلنا من قبلك إلا رجالاً جاهدوا في سبيلي وتراخى عليهم النصر[1]، وقرأ البزي بألف رابعة[2] بعدها ياء[3] مفتوحة[4] ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾ بتخفيف الذال قراءة الكوفيين[5]، والمعنى: ظن الرسل أن أنفسهم كذبتهم في تقدير النصر ولم[6] يكن لهم وعد بالنصر في تلك الواقعة من الله تعالى[7]، أو ظنوا أن من أطاعهم

---

(١) قاله الزمخشري (٣/٣٣٠).

وفي ص وَ ق: جاهدوا في سبيله.

(٢) أي: ترتيبها الرابعة بين حروف الكلمة.

(٣) ص: باء. وهو خطأ.

(٤) قرأ البزي عن ابن كثير ﴿حتى إذا استَايَس الرسل﴾.

راجع ص (١٠٥٩).

(٥) قراءة الكوفيين: ﴿ كُذِبُواْ ﴾ وهم عاصم وحمزة والكسائي.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿كُذِّبوا﴾ بتشديد الذال.

انظر: السبعة ص(٣٥١)، تفسير الطبري (١٦/٣٠٤)، التيسير ص(١٠٦)، البحر المحيط (٥/٣٤٧).

(٦) ق: بحذف الواو.

(٧) قاله الزمخشري (٣/٣٣٠)، وقاله الخطابي في توجيه قول ابن عباس الآتي. قال ابن حجر: ويؤيده قراءة مجاهد (وظنوا أنهم قد كذبوا) بفتح أوله مع التخفيف أي: غلطوا. اهـ. فتح الباري (٨/٣٦٨)، وقراءة مجاهد رواها عنه الطبري (١٦/٣١٠)، وقرأ بها أيضاً ابن عباس والضحاك. البحر المحيط (٥/٣٤٧).

علانية كذبوهم سراً[1]»، أو الظن مجاز عن الهواجس التي يذهب بها نور الإيمان وهذا تأويل قول ابن عباس على ما رواه عنه البخاري[2]، وإنكار عائشة -رضي الله عنها-[3] بناء على أن الظن على ظاهره، وعن ابن جبير: أن الظانَّ هم المُرْسَلُ

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٣٠)، تفسير البغوي (٤/٢٨٦)، البحر المحيط (٥/٣٤٧)، فتح الباري (٨/٣٦٩).

(٢) روى البخاري عن ابن أبي مليكة يقول: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾ خفيفة، ذهب بها هناك وتلا: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ سورة البقرة، من الآية (٢١٤) فلقيت عروة بن الزبير فذكرت لـه ذلك فقال: قالت عائشة: معاذ الله... والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم فكانت تقرؤها ﴿وظنوا أنهم قد كذّبوا﴾ مثقلة".

كتاب التفسير، سورة البقرة، باب ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ ...﴾ الآية (٥/١٥٩).

والتوجيه الذي ذكره المؤلف لرأي ابن عباس -رضي الله عنهما- هو قول الأزهري في تهذيب اللغة (كذب) (١٠/١٦٨)، والزمخشري (٣/٣٣٠).

وانظر: توجيهات أخرى في فتح الباري (٨/٣٦٧).

(٣) روى البخاري عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- قالت وهو يسألها عن قول الله تعالى: =

إليهم(١) لدلالة ذكر الرسل عليهم، والمعنى: أن المُرْسَل إليهم ظنوا أن الرسل قد أُخْلِفوا الوعدَ من الله أو هم قد أُخلِفوا الوعدَ من جهة الرسل(٢).

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ قال: قلت: أكذِبوا أم كذِّبوا؟ قالت عائشة: كذِّبوا، قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم فما هو بالظن؟ قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾؟ قالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذي آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذّبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك.

كتاب التفسير، سورة يوسف، باب قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ (٢١٨/٥).

وانظر: تفسير الطبري (٣٠٧/١٦)، والحاشية السابقة.

(١) رواه ابن جرير (٢٩٧/١٦) عنه قال: "﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ أن يسلم قومهم، وظن قوم الرسل أن الرسل قد كَذَبوا جاءهم نصرنا".

وروى نحو هذا القول عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بأسانيد متنوعة من طريق عمران بن الحارث، وسعيد بن جبير، وأبي الضحى، وعلي بن أبي طلحة، والعوفي، ورواه أيضاً عن ابن مسعود -ﷺ- والضحاك، وعبدالله بن الحارث، وابن زيد وغيرهم، واختاره ابن جرير (٢٩٦/١٦-٣٠٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن (٥٦/٢)، والزجاج (١٣٢/٣) ونسبه في البسيط (٦٤١/٢) لعامة المفسرين وأهل المعاني.

(٢) هذا الوجه هو ظاهر كلام من روى عنهم ابن جرير هذا القول إلا ابن زيد فإن كلامه محتمل للوجهين. راجع الحاشية السابقة.

﴿ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ﴾ أي: النبي والمؤمنين. قرأ ابن/ عامر وعاصم بإسقاط النون الثانية وفتح الياء ماضياً على بناء المفعول من: "نجاه"، والباقون بإثبات النون وسكون الياء صيغة المتكلم مضارع "أنجى"[1] وهو المختار للسياق [والسباق][2] ولكونه أبلغ[3].

﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ غيَّر الأسلوب ليدل وصف الإجرام على استحقاق حلول العذاب.

وانظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٤٤٢/٤)، الكشف لمكي (١٥/٢)، تفسير البغوي (٢٨٦/٤)، الكشاف (٣٣٠/٣)، البحر المحيط (٣٤٧/٥).

ولم يتعرض المؤلف -رحمه الله- لمعنى الآية على قراءة التشديد :"كذّبوا" وهي تُحمل على أوجه منها: أن الرسل أيقنوا أن قومهم قد كذبوهم.

أو أن الرسل من شدة البلاء ظنوا أن من آمن بهم من أتباعهم قد كذبهم.

وقد روى البخاري التوجيه الثاني عن عائشة -رضي الله عنها-. راجع ص(١٠٩٥) حاشية رقم: (٥) وحاشية (١) من هذه الصفحة.

وانظر: البسيط (٦٤٠/٢)، الكشف لمكي (١٥/٢).

(١) انظر: السبعة ص(٣٥٢)، تفسير الطبري (٣١١/١٦)، البحر المحيط (٣٤٨/٥)، النشر (٢٩٦/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٣) قال الله تعالى قبل هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا ... ﴾ وقال في هذه الآية: ﴿ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ ثم قال: ﴿ مَن نَّشَآءُ ﴾ وقال: ﴿ بَأْسُنَا ﴾.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾ أي: الأمم المكذبة[1]، أو يوسف وإخوته[2] ﴿ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ العقول السالمة عن شَوْب الوهم، وإلف الحس والركون إلى العادات ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب والشرائع ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه في الدين؛ لأنه القانون الذي يرجع إليه سائر الأدلة الشرعية فلا تستند الأحكام إلا إليه إما ابتداء أو بوسط[3] ﴿ وَهُدًى ﴾ أي من الضلال ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لكونه

---

(١) قال الزمخشري: "الضمير في ﴿ قَصَصِهِمْ ﴾ للرسل" (٣/٣٣١).
وقال البيضاوي: "في قصص الأنبياء وأممهم".(١/٤٩٩).

(٢) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- كما في البسيط (٢/٦٤٥)، وبه قال الطبري (١٦/٣١٢)، والواحدي في الوسيط (٢/٦٣٨)، والبغوي (٤/٢٨٧)، وابن الجوزي (٤/٢٩٧).
والظاهر أن الآية تعم القولين فالعبرة حاصلة في قصص الرسل مع أقوامهم وفي قصة يوسف وإخوته. قال ابن عطية (٣/٢٨٩): "الضمير في ﴿ قَصَصِهِمْ ﴾ عام ليوسف وأبويه وإخوته، وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة". اهـ.

(٣) ومن أمثلة ذلك ما رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود -ﷺ- قال: «لعن الله الواشمات =

سبباً للنجاة في الدارين، وإطلاق المصادر مبالغة.

﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [١١١] به لأنهم المنتفعون بأحكامه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الرسل.

والمستوشمات، والنامضات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؟ فقال عبدالله: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ؟ وهو في كتاب الله. فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته. فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله -عز وجل-: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواۚ ﴾ سورة الحشر، من الآية (٧)... الحديث".

كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة... إلخ (١٦٧٨/٣ رقم ١٢٠).

تفسير
سورة الرعد

سورة الرعد

عن قتادة مدنية[1] وعن عطاء مكية[2]، وآيها خمس وأربعون[3][4]

---

(١) روى ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة قال: "سورة الرعد مدنية إلا آية مكية: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ ﴾ آية (٣١)".

والقول بأنها مدنية كلها رواه عطاء الخرساني عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وبه قال جابر بن زيد وابن الزبير والكلبي.

انظر: المراجع في الحاشية التالية.

(٢) انظر: زاد المسير (٤/٢٩٩)، البحر المحيط (٥/٣٥٣).

وهذا القول رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وبه قال الحسن وسعيد بن جبير.

وانظر أيضاً: الدر المنثور (٤/٥٩٩).

(٣) هذا في العدِّ البصري، قال أبو عمرو الداني في البيان في عدِّ آي القرآن: "وهي أربعون وثلاث آيات في الكوفي، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس بصري، وسبع شامي". اهـ. (ص١٦٩).

وانظر: بصائر ذوي التمييز (١/٢٦٢).

(٤) إلى هنا بياض في ص.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓر ﴾ اسم السورة[1] أو طائفة من الحروف للإيقاظ.

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بالكتاب.

والمعنى: آي هذه السورة[2] الكاملة[3] العجيبة في بابها[4]؛ فـ ﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأ، ويجوز أن يكون[5] خبرَ ﴿ الٓمٓر ﴾ و ﴿ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ بدلاً عنه أو بياناً[6].

---

(١) وهذا القول هو ما رجحه المؤلف فيما سبق. راجع سورة يوسف ص(٨٨٩).

(٢) كذا في ق، وفي باقي النسخ: آي هذه السورة آيات السورة الكاملة ... إلخ.

(٣) ص للكاملة.

(٤) كذا جاءت العبارة، وفي الكشاف (٣٣٢/٣): "﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى آيات السورة، والمراد بالكتاب السورة، أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها". اهـ.

وانظر: تفسير البيضاوي (٥٠١/١).

(٥) أي: ﴿ تِلْكَ ﴾.

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٣/٢)، البيان لابن الأنباري (٤٧/٢)، الدر المصون (٥/٧).

﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ مبتدأ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ خبره[1]، أي: القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا السورة وحدها؛ إجمالٌ بعد التفصيل إشارة إلى أن كمال الكل مما لا يحيط به الوصف لئلا يتوهم خصوص السورة، أو الموصول في محل الجر عطفاً على ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ عطف العام على الخاص، وإن أريد بـ ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن كله فمن عطف الصفة[2] كـ (الحارث فالآيب)[3].

---

(١) قاله الفراء في معاني القرآن (٢/٥٧)، والزجاج في معاني القرآن (٣/١٣٥)، والنحاس في إعراب القرآن وابن الأنباري في البيان (الموضعين السابقين).

(٢) انظر الأوجه في المراجع السابقة (المواضع نفسها)، التبيان للعكبري (٢/٧٤٩).

(٣) ص: في الآيب.

قال سلمة بن ذهل التيمي:

يا لهفَ زَيَّابةَ للحارثِ الصَّابحِ فالغانمِ فالآيب

وزيَّابَة هي: أمُّ الشاعر سلمة، الحارث هو: الحارث بن همام الشيباني، شاعر جاهلي. الصابح فالغانم فالآيب: الذي يُصبح القوم فيغنم ويعود.

والمعنى: أنه يهجو الحارث لا تصافه بضد هذه الصفات، أو يتحسر لا تصافه بهذه الصفات التي هي محل استحسان القوم.

والشاهد منه أنه وسط حرف العطف بين الصفات.

=

والسنة والقياس منزل بوسط فلا يرد الحصر المستفاد من تعريف الخبر[(1)].

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ بكونه كلام الله المنزل لإخلالهم بالنظر أو لجحودهم[(2)] استكباراً.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ مبتدأ وخبر[(3)] بدليل قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾[(4)(5)] لأنه سيق لتقابل السفليات العلويات فيتوافقان أسلوباً،

انظر البيت في: الحماسة لأبي تمام (١/٤٧)، شرح الحماسة للمرزوقي (١/١٤٧)، البحر المحيط (٨/١٣٣).

(١) مراده بالخبر: ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ وتعريف الخبر يدل على الحصر والاختصاص، فكأنه قال: لا حقَّ إلا هذا المنزل عليك، وقد دل القرآن الكريم على وجوب العمل بالسنة والقياس الصحيح فهما من عند الله تعالى، بل السنة منزلة من عند الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ سورة النجم، الآيتين (٣-٤)، وعن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه** »، رواه أبوداود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٢/٦١٠ رقم ٤٦٠٤).

(٢) في ص زيادة: وهم.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٦٣).

(٤) سورة الرعد، من الآية (٣).

(٥) قاله الزمخشري (٣/٣٣٢).

قال الطيبي -في بيان كلام الزمخشري هذا-: "يريد أن قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ =

والجملة مقررة لقوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ كأنه قيل: كيف لا يكون كلام من هذه أفعاله هو الحق؟ وإنما عدل عن لفظ الرب إلى الاسم الجامع تقوية لذلك التقرير[1]، ويجوز أن يكون صفة والخبر ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[2].

﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ في محل النصب على الحال[3]، جمع عِماد كإهاب وأَهَب[4]، أو جمع عمود[5]. ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ صفة ﴿ عَمَدٍ ﴾[6]، أو استئناف[7] استشهاد برؤيتها

الآية معطوف على قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ وهو مبتدأ وخبر ليس إلا، فيحمل المعطوف عليه على ما هو المعطوف ليتوافقا لجامع شبه التضاد... إلخ" فتوح الغيب ص(٤٨٦).

(١) انظر: الكشف للقزويني (٥٢/ب).

(٢) جوَّزه الزمخشري (٣٣٢/٣)، والبيضاوي (٥٠٠/١) وغيرهما.

(٣) انظر: التبيان للعكبري (٧٤٩/٢)، البحر المحيط (٣٥٣/٥).

(٤) يقال: أَهَب وأُهُب.
انظر: المراجع في الحاشية التالية.

(٥) كأديم وأَدَم وأُدُم.
انظر: معاني القرآن للفراء (٢٩١/٣)، مجاز القرآن (٣٢٠/١)، البسيط (٦٥٣/٢)، لسان العرب (عمد) (٣٠٤/٣).

(٦) جوَّزه الزجاج (١٣٦/٣) ومكي في مشكل إعراب القرآن (٤٤٠/١)، وابن الأنباري في البيان (٤٧/٢)، وقال به العكبري في التبيان (٧٥٠/٢)، والبيضاوي (٥٠٠/١) وغيرهم. قال الزجاج: "المعنى بغير عمدٍ مرئية". اهـ. وقال الواحدي في البسيط (٦٥٤/٢): "وهذا التقدير على قول من قال إن للسماوات عمداً ولكن لا نراها، وهو قول ابن عباس في رواية". اهـ. وقد أخرج ابن جرير (٣٢٤/١٦) من طريق قتادة عن ابن عباس قال: "بعمد ولكن لا ترونها"، وروى مثله عن مجاهد.

(٧) قاله الزجاج (الموضع السابق)، والزمخشري (٣٣٢/٣)، والبيضاوي (٥٠٠/١)، وجوزه النحاس في إعراب القرآن (١٦٣/٢)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (٤٤٠/١).

=

كذلك، والمرئي وإن كان سماء الدنيا إلا أنه يعلم منه سائرها بالطريق الأولى[1].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ كناية عن إجراء الأحكام في الملك والملكوت، فإن الملك يجلس على سريره ثم يظهر أوامره[2] ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ لما أراد منهما من الحركة المستمرة، وفي ذكرهما إشارة إلى معنى الاستواء ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لوقت معين وهو ما يتم فيه دوره، أو الأمد الذي ضرب لكل منهما ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ

والمعنى: أن الله رفع السموات بغير عمد تمسكها ثم قال: وأنتم ترونها كذلك.

وبه قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية أبي صالح، ورواه الطبري (٣٢٥/١٦) عن إياس ابن معاوية وقتادة، واختاره ابن الجوزي (٣٠١/٤) -ونسبه للجمهور-، وأبو حيان(٣٥٣/٥)، وابن كثير (٣٥٢/٤)، وقال ابن عطية (٢٩١/٣): "وهذا هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ سورة الحج، من الآية (٦٥)". اهـ.

(١) في حاشية جميع النسخ: لأن السافل إذا استغنى عن العمود فالعالي فوقه أولى. منه.

(٢) وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير موجب، وتعطيل لصفة الاستواء على العرش التي ثبتت لله تعالى في كثير من النصوص.

ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ ﴾[1][2].

[﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ حالان من الضمير في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ على الوجه الأول[3]، لأن قوله: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ ﴾ من تتمته، وخبران على الثاني][4]، والأول أوجه لأن قوله: ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ هو الحكم الذي جعل دليلاً على ما قبله، وعلى الثاني يصير ذريعة

(١) سورة الانفطار، الآيتين (١-٢).

(٢) انظر القولين في: البسيط (٢/٦٥٦)، الجامع للقرطبي (٩/٢٧٩)، تفسير البيضاوي (١/٥٠٠)، والقول الثاني هو قول الطبري (١٦/٣٢٦)، وابن الجوزي (٤/٣٠١)، والقرطبي (الموضع السابق) وغيرهم.

(٣) الوجه الأول من أوجه إعراب قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ فلفظ الجلالة مبتدأ والموصول خبره، راجع ص(١١٠٦).

(٤) ما بين المعقوفتين متأخر في ق بعد قوله: "ذريعة لتحقيق الخبر". والتي ستأتي بعد قليل، ومراده بالثاني أي الوجه الثاني وهو كون لفظ الجلالة في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ مبتدأ والخبر ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ ﴾ وقولــه: ﴿ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ صفة المبتدأ. راجع ص(١١٠٧).
وانظر الوجهين اللذين ذكرهما المؤلف في: الكشف للقزويني (٥٢/ب)، روح المعاني (١٣/١٢٨).

لتحقيق[1] الخبر[2]. وإنما لم يعطف أحدهما[3] على الآخر [لاستقلال كل منهما بشأن][4] الأول عبارة عن أفعاله كالإماتة والإحياء والإيجاد والإعدام، والثاني عن أقواله كالإيحاء وإنزال الكتب.

﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾ [لكي][5] توقنوا بالإحياء بعد

---

(١) ص: لتحقق.

(٢) انظر: الكشف للقزويني (٥٢/ب).

وليس ما رجحه المؤلف بظاهر من جهة المعنى، لأن الاستواء على العرش ليس كناية عن إجراء الأحكام في الملك والملكوت كما ذكر ص(١١٠٨)، وإنما هو صفة من صفات الله تعالى كما دل عليها ظاهر النص لا تشبه صفات المخلوقين، وعليه فإن قوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ ﴾ استئناف للإخبار عنه تعالى.

وهو ما رجحه العكبري في التبيان (٢/٧٥٠)، وأبو حيان (٥/٣٥٤)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٧/١١).

(٣) ق: إحداهما.

(٤) ما بين المعقوفتين في ق متصل بقوله: لأن قوله: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ من تتمته وخبران على الثاني.

(٥) ساقطة من ق.

الممات؛ لأن هذه الأشياء أدلة قاطعة على أن موجدها لـه كمال القدرة على كل شيء.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ دحاها وبسطها طولاً وعرضاً ليتكامل[1] فيها المنافع، قدم العلويات لأن الكلام في الدلالة على كمال القدرة وهي أدل ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً شوامخ، من رسا القدم إذا ثبت[2] ﴿ وَأَنْهَٰرًا ﴾ مياهاً جارية ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ متعلق بـ ﴿ جَعَلَ ﴾[3]، وقوله: ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ مستأنف للبيان، أو متعلق بالثاني أي: جعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات[4]، أسود وأبيض حلواً وحامضاً[5]، أو في[6] بدء الفطرة خلقت زوجين زوجين

(١) ق وَ ص: لتتكامل.
(٢) انظر: مجاز القرآن (١/٣٢١)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٣٧).
(٣) في قوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾. قال السمين الحلبي: "على أنه من عطف المفردات، يعني: عُطف على معمول ﴿ جَعَلَ ﴾ الأولى تقديره: أنه جعل في الأرض كذا وكذا ومن كل الثمرات". (٧/١٢).
(٤) قاله البيضاوي (١/٥٠١)، وذكر العكبري في التبيان (٢/٧٥٠)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٧/١٢) الوجهين.
(٥) قال به ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٢٤)، والواحدي في الوسيط (٣/٤)، والبيضاوي (١/٥٠١).
(٦) ق: وفي.

ثم تكاثرت[1]. وفائدة الوصف بالاثنين[2] لئلا يُتوهم متعارَف الحساب[3].

﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ يجعل الليل مكان النهار بعد ذهابه[4]، وإنما عبر عنه بالغشيان مبالغة في الاستتار وعدم بقاء آثاره كالشيء الملفوف في لباس ساتر، وقرأ أبوبكر وحمزة والكسائي ﴿يغشّي﴾ مشدداً[5] وهو أبلغ.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾ أي في المذكور من قوله: ﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ إلى آخر الآية، أو في كل واحد من المذكورات آيات دالة[6] على كمال القدرة والحكمة باعتبار الكم[7] والكيفيات لمن تدبرها بعين الاعتبار.

---

(١) اختاره الزمخشري (٣/٣٣٢)، وأبو حيان (٥/٣٥٥).

(٢) ق: وفائدة الاثنين.

(٣) من أن الزوج يطلق على الاثنين.

وراجع ما تقدم ص(٧٤٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/٣٢٢)، معاني القرآن للزجاج (٢/٣٤٢).

(٥) انظر: السبعة ص(٣٥٦)، التيسير ص(٩١).

(٦) ق. دالات.

(٧) ص: لكم.

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ متلاصقة بعضها طيبة تخرج نباتها وبعضها خبيثة لا تخرج/ نباتاً ولا تمسك ماء، مع الاشتراك في الماهية واتحاد النوع، فذلك الاختلاف مستند إلى إرادة الصانع الحكيم ﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ أي: وفي تلك القطع المتجاورة بساتين وزرع ونخيل[1]، وقرأ نافع وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي بجرهما عطفاً على ﴿ أَعْنَٰبٍ ﴾[2]، وهو المختار لقرب المعطوف عليه، ولدلالته على اشتمال الجنات على هذه الأنواع، كما في قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٣٣).

وذهب جمع من المفسرين إلى أن المعنى: وفي الأرض بساتين وزرع ونخيل... إلخ.

انظر: تفسير الطبري (١٦/٣٣٣)، زاد المسير (٤/٣٠٣).

(٢) انظر: السبعة ص(٣٥٦)، تفسير الطبري (١٦/٣٣٤)، التيسير ص(١٠٧)، الكشف لمكي (٢/١٩).

وقرأ باقي السبعة بالرفع ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ عطفاً على ﴿ قِطَعٌ ﴾.

بِنَخْلٍ ﴾[1]، وقرأ الجُعفي[2] عن شعبة، واللؤلؤي[3] عن أبي عمرو "وجناتٍ"[4] بالجر[5] عطفاً على ﴿ زَوْجَيْنِ ﴾، والمعنى: جعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات وجناتٍ من أعناب[6]، وعلى هذا يجوز عطف ﴿وزرعٍ ونخيلٍ﴾ عليها.

---

(١) سورة الكهف، من الآية (٣٢).

(٢) الحسين بن علي الجعفي مولاهم الكوفي أبو عبدالله أحد الأعلام الزهاد، الحافظ المقرئ الحجة، حديثه في الكتب الستة، توفي عام ٢٠٣هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٦/٣٩٦)، معرفة القراء الكبار (١/١٦٤).

(٣) أحمد بن موسى بن أبي مريم اللؤلؤي الخزاعي أبو عبدالله، ويقال: أبو بكر، ويقال: أبو جعفر، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء وعاصم الجحدري، وروى عنه روح بن عبدالمؤمن ومحمد بن عمر بن الرومي وجماعة.
انظر: غاية النهاية (١/١٤٣).

(٤) ص وَ ق: بحذف الواو.

(٥) رواها عن الجعفي أبوالكرم في المصباح الزاهر (٢٩/ب)، ورواها الهذلي في الكامل عن الحسن من طريق عمرو بن عبيد (٢٠٧/أ)، وذكرها القرطبي في الجامع (٩/٢٨٢)، وأبو حيان (٥/٣٥٦) عن الحسن أيضاً.

(٦) قاله الزمخشري (٣/٣٣٣)، واختار أبو حيان (٥/٣٥٦) أنها منصوبة بإضمار فعل لبعد ما بين المتعاطفين -في القول الأول- والفصل بينهما بجمل كثيرة.

﴿ صِنْوَانٌ ﴾ نخلات تخرج من أصل واحد[1]، وفي الحديث: «عم المرء صنو أبيه»[2]، المثنى والجمع مشتركان صيغة، والفرق بالتنوين وعدمه[3] ﴿ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ متفرقات، والخلاف فيهما قراءة وإعراباً كـ ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾[4].

﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ رفع لما يتوهم من أن اختلاف الأوصاف مستند إلى الماء الذي هو منشأ حياة كل حي.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٣٢٢/١)، غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٤)، تفسير الطبري (٣٣٥/١٦)، وقال الواحدي في البسيط: "وهذا قول جميع أهل التفسير واللغة". (٦٦٠/٢).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٢٢/١): "وواحده صِنوٌ، والاثنان صنوانِ النون مجرورة في موضع الرفع والنصب والجر كنون الاثنين، فإذا جمعته قلت: صنوانٌ كثير، والإعراب في نونه يدخله النصب والرفع والجر و لم نجد جمعاً يجري مجراه غير قنوٌ وقنوانِ والجميع: قنوانٌ". اهـ.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ﴾ بالرفع، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالجر.

انظر: المراجع ص(١١١٣) حاشية (٢).

قرأه بالتذكير ابن عامر وعاصم أي: المذكور، والباقون بالتأنيث[1]، وهو[2] المختار إذ لا نكتة في العدول عن الظاهر ولقوله: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[3].

قرأه بالغيبة حمزة والكسائي مسنداً[4] إلى الضمير اسم الله، والنون[5] هو المختار لكونه أبلغ.

﴿ فِي الْأُكُلِ ﴾ بسكون الكاف، وضمه الكوفيون[6] وأبو عمرو[7] وابن

---

(١) انظر: السبعة ص(١٥٦)، تفسير الطبري (١٦/٣٤٠)، التيسير ص(١٠٧).

(٢) ص: بحذف الواو.

(٣) أي: أنها وردت مؤنثة في قوله: ﴿ بَعْضَهَا ﴾.

انظر: الكشف لمكي (٢/١٩).

(٤) ق: مسند.

(٥) قرأ حمزة والكسائي: ﴿يُفَضِّل﴾ بالياء، والباقون بالنون.

انظر: السبعة ص(١٥٦)، التيسير ص(١٠٧).

(٦) ص: وضمه قرأه الكوفيون.

(٧) ق: قراءة الكوفيين وأبي عمرو.

عامر[1]، هو المأكول، وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- تصف عمر بن الخطاب: "بعج[2] الأرض فقات أكلها"[3]، وتفسيره بالثمر[4] لا يستقيم في الزرع إلا تغليباً، وإنما خص الأكل بالذكر دون الشكل واللون والرائحة؛ لأنه العمدة في المنافع[5].

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤ ﴾ جعل الفاصلة ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ و [في][6] السابقة ﴿ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ لأن بدأ خلق الأرض وإرساء الجبال فيها وإجراء الأنهار منها وتكوير الليل على النهار مما يحتاج إلى تأمل وافر

---

(١) انظر: السبعة ص(١٩٠)، النشر (٢/٢١٦).

(٢) ق: يعج.

وفي حاشية الأصل وَ ص: بعج بتشديد العين آخره جيم أي: شقها. منه.

(٣) ذكر ابن الأثير في النهاية (بعج) (١/١٣٩)، وابن منظور في لسان العرب (بعج) (٢/٢١٤) أوله.

وقالا: أي شقها وأذلها، كنت به عن فتوحه. اهـ. و لم أقف على الأثر مسنداً. والله أعلم.

(٤) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٢٤): "أي: في الثمر".

وقال الزجاج في معاني القرآن: "﴿ ٱلْأُكُلِ ﴾ الثمر الذي يؤكل". (٣/١٣٨).

(٥) انظر: البحر المحيط (٥/٣٥٧).

(٦) ساقطة من ص.

بخلاف رؤية البساتين وإدراك اختلاف أنواعها شكلاً وطعماً[1].

* ﴿ وَإِن تَعْجَبْ ﴾ يا محمد من إنكارهم الإعادة[2] ﴿ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ محل تعجب وحقيق أن يتعجب منه؛ لأن من قدر على إنشاء هذه الأصول والفروع ولم يعي بخلقهن فبالحري أن يقدر على الإعادة، بل هو أهون وأيسر بأوائل العقول[3]، أو المعنى: يا من ينظر في هذه الآيات ويتعجب[4] من قدرة موجدها فازدد عجباً[5] من منكر الإعادة مع اعترافه بإيجادها من العدم[6].

﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ مقول قولهم أو بدل منه[7]،

---

(١) ذكره بنحوه أبو حيان (٥/٣٥٧)، والبقاعي في نظم الدرر (٢٨١/١٠).

(٢) ق: العادة.

(٣) قاله الزمخشري (٣/٣٣٣).

(٤) ص: وتتعجب.

(٥) ق: فزد واعجباً.

(٦) جوَّز هذا الوجه الطيبي في فتوح الغيب ص(٤٩٢).

(٧) انظر: الكشاف (٣/٣٣٣)، تفسير البيضاوي (١/٥٠١).

والعامل في "إذا" محذوف دل عليه: ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1]. وقرأ ابن عامر الأول بالإخبار، ونافع والكسائي الثاني، والباقون بالاستفهام فيهما وهو الأصل السالم عن المعارض[2].

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾ الكاملون في الكفر[3]. الموصول لتعريف الجنس أو العهد كما في ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4][5].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٣٨/٣)، الحجة لأبي علي الفارسي (١١/٥)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٥/٢)، مشكل إعراب القرآن (٤٤١/١)، الكشاف (٣٣٣/٣)، البيان لابن الأنباري (٤٨/٢).

قال الزجاج: "إذا منصوبة بمعنى: نبعث ويُجدَّد خلقنا..."

(٢) انظر: السبعة ص(٣٥٧)، التيسير ص(١٠٧).

وقولـــه: "هو الأصل السالم عن المعارض"؛ لأن من قرأ بالإخبار فإنه يقدر الاستفهام والأصل أن يكون الاستفهام مذكوراً لا مقدراً.

(٣) قاله الزمخشري (٣٣٣/٣).

(٤) سورة البقرة، من الآية (٥).

(٥) انظر: الكشف للقزويني (٥٣/أ) وعبارته: "قوله -أي الزمخشري-: أولئك هم الكاملون لأنه نظير ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ في كون الخبر معرفاً تعريف جنس أو عهد". اهـــ.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ ﴾ كناية عن إصرارهم[1]، فإن من كان مقمحاً بالأغلال لا يبرح عن مكانه، وقد ألمّ به من قال:

.... لهم عن الرُّشْدِ أَغْلالٌ وأَقْيادُ[2]

أو هو من جملة الوعيد[3]، وهذا أظهر لأنه جارٍ على الحقيقة ولكونه تأسيساً[4].

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ ﴾ الحصر لإخراج

(١) قاله الزمخشري (٣/٣٣٣)، والبيضاوي (١/٥٠١)، وغيرهما.

(٢) عجز بيت وأوله:

كيف الرشادُ وقد خُلفتُ في نفرٍ ....

ولم أقف على قائله.

انظر البيت في: الكشاف (٣/٣٣٣)، البحر المحيط (٥/٣٥٩)، فتوح الغيب ص(٤٩٣)، روح المعاني (١٣/١٥٠)، مشاهد الإنصاف للمزروقي ص(٣٢)، وفيه أول البيت:

ضلوا وإنَّ سبيلَ الغي مقصدهم ....

(٣) قاله الطبري (١٦/٣٥٠)، والبغوي (٤/٢٩٦)، والزمخشري (١/٣٣٤)، والبيضاوي (١/٥٠١) بعد أن ذكرا القول السابق، ونسبه ابن الجوزي (٤/٣٠٤) للأكثرين.

(٤) ولقوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝ ﴾ سورة غافر، الآيات (٧١-٧٢).

أهل الكبائر[1].

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ بالنقمة والعذاب في الدنيا[2] ﴿ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ الإيمان، متعلق بـ ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾[3] أو حال عن "السيئة"[4] [هو قولهم: ﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾[5]][6] ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ العقوبات النازلة بمكذبي الرسل، وكان الواجب عليهم الإسراع إلى الإيمان برسولهم مخافة أن

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٩/١٩)، تفسير البيضاوي (٥٠١/١).

والحصر هنا مستفاد من الضمير المنفصل ﴿ هُمْ ﴾.

(٢) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٤).

(٣) قال السمين الحلبي: "متعلق بالاستعجال ظرفاً لـه". الدر المصون (١٩/٧).

(٤) ذكر الوجهين العكبري في التبيان (٧٥٢/٢).

(٥) سورة الأنفال، من الآية (٣٢).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من سائر النسخ ليست موجودة في الأصل.

وقد روى تفسير استعجال الكفار بقولهم في هذه الآية ابن جرير عن قتادة (٣٥١/١٦)، وقال به (٣٥٠/١٦)، وكذا قاله الزجاج (١٣٩/٣)، وغيره من المفسرين.

يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، والمَثُلة العقوبة لأنها مثل المعاقَب عليه، ومنه سمي القصاص مثالاً[1].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ دعاهم إلى الإيمان بعد ما بيّن تكاملهم ورسوخ قدمهم في الكفر، وأنه يغفر ذنوبهم لو آمنوا مع ظلمهم[2]

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٥٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٤٠)، لسان العرب (مثل) (١١/٦١٥).

(٢) قال البيضاوي (١/٥٠٢): "﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ مع ظلمهم أنفسهم، ومحله النصب على الحال..."

وقال ابن جرير (١٦/٣٥٢): "يقول تعالى ذكره: وإن ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس، فتارك فضيحته بها في موقف القيامة وصافح لـه عن عقابه عليها عاجلاً وآجلاً ﴿ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ يقول: على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذني لهم بفعله". اهـ.

ولعل مما يقوي كلام ابن جرير ما رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال أناس لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «**أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام**» كتاب الإيمان، باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية (١/١١١ رقم ١٨٩).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦ ﴾ لمن أصر على الكفر أو لمن شاء[1]، وفي الحديث: «لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحداً العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد»[2].

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ لم يعتدّوا[3] بما أتى به من الآيات واقترحوا عليه ما حكاه الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ[4] لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ ﴾[5].

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ مبلغ فلا عليك بعد الإنذار ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٢) رواه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير (٤/٣٥٥)- والواحدي في الوسيط (٣/٦) عن سعيد بن المسيب مرفوعاً. وهو ضعيف لإرساله ولأن في إسناده علي بن زيد بن جدعان: لا يحتج به. ميزان الاعتدال (٣/١٢٧).

(٣) في الأصل: يعتقدوا، والمثبت من باقي النسخ ولعله الأقرب.

(٤) كذا في ق، وباقي النسخ: يكون.

(٥) سورة الإسراء، الآيات (٩٠-٩١).

﴿ هَادٍ ۝٧ ﴾ يقدر على هدايتهم إن شاء وهو الله تعالى لا غير[1]، أو ولكل قوم نبي داع إلى الله مثلك ولا عليهم[2] بعد الدعوة عتاب[3]، أو إنما[4] أنت نذير وهاد لكل قوم[5] لا كسائر الأنبياء، رداً لقولهم: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ ﴾ على أبلغ وجه

---

(١) رواه ابن جرير (٣٥٤/١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما -من طريق العوفي- وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك.

وانظر: تفسير البغوي (٢٩٧/٤)، زاد المسير (٣/٤-٧).

(٢) ق: عليه.

(٣) رواه عبدالرزاق في التفسير (٣٣٢/٢/١)، وابن جرير (٣٥٥/١٦) عن قتادة، وزاد ابن جرير روايته عن مجاهد وابن زيد، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٢٥).

وروى ابن جرير عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال: داع. (٣٥٧/١٦)، وهو بمعنى هذا القول. قال الزجاج (١٤٠/٣): "أي: نبي وداع إلى الله يدعوهم بما يعطى من الآيات".

(٤) ص: وإنما.

(٥) رواه ابن جرير (٥٤/١٦) عن أبي الضحى وعكرمة، واستظهره النحاس في إعراب القرآن (١٦٦/٢)، وابن الأنباري في البيان (٤٩/٢).

وإثباتاً لرسالته على الكافة لأنه بعث إلى الأحمر والأسود[1].

وقف ابن كثير على "هادي"، بالياء والباقون بحذفها[2] وعليه الرسم[3].

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ حملها، أو ما تحمله[4] واحداً كان أو متعدداً ذكراً[5] أو أنثى[6] ﴿ وَمَا تَغِيضُ ﴾ ما تنقصه ﴿ ٱلْأَرْحَامُ ﴾ من المدة ﴿ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ منها[7].

---

(١) عن جابر -ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي وذكر منهن: وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». راجع تخريج الحديث ص (٩).

(٢) انظر: السبعة ص(٣٦٠)، التيسير ص(١٠٨)، الإقناع (٢/٦٧٥).

(٣) انظر: المقنع لأبي عمرو الداني ص(٣٤).

(٤) ق: ما يحمله.

(٥) ق: ذكراً كان... إلخ.

(٦) فما في قوله: ﴿ مَا تَحْمِلُ ﴾ يجوز أن تكون مصدرية أو موصولة.

وقد ذكر هذين الوجهين الزمخشري (٣/٣٣٥-٣٣٦)، وابن عطية (٣/٢٩٨)، والبيضاوي (١/٥٠٢)، وأبو حيان (٥/٣٦٢).

(٧) رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل والحسن وابن قتيبة.

=

[أقصى][1] مدة الحمل عند أبي حنيفة -رحمه الله- سنتان، وأربع عند الشافعي، وخمس عن مالك[2]، وقد روي أن الضحاك.................... ولد لسنتين[3] وهرم بن حيان[4] لأربع[5]، أو من عدد الحمل[6]. قيل: نهاية ما

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٥)، تفسير الطبري (٣٦٣/١٦، وما بعدها)، معاني القرآن للزجاج (١٤٠/٣)، تفسير البغوي (٢٩٨/٤)، ونسبه في البسيط (٦٧٢/٢) لأكثر المفسرين.

(١) ساقطة من ق.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٣٣/٣)، تفسير البغوي (٢٩٨/٤)، أحكام القرآن لابن العربي (١١٠٩/٣)، الجامع للقرطبي (٢٨٦/٩).

(٣) رواه ابن جرير (٣٦٣/١٦) عن الضحاك نفسه.

والضحاك هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني المفسر من أوعية العلم، روى عن ابن عمر وأنس، واختلفوا في سماعه من ابن عباس، وروى عنه جويبر بن سعيد ومقاتل، توفي عام ١٠٢، وقيل غير ذلك.

انظر: البداية والنهاية (٢٢٣/٩)، طبقات المفسرين للداودي (٢٢٢/١).

(٤) هرم بن حيان العبدي البصري، أحد الثقات العابدين، حدث عن عمر وكان عاملاً لـه، وروى عنه الحسن البصري وغيره.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٣١/٧) حلية الأولياء (١١٩/٢).

(٥) ذكره البغوي (٢٩٨/٤)، والقرطبي (٢٨٨/٩) عن حماد بن سلمة.

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٨/٤).

(٦) انظر: الكشاف (٣٣٦/٣)، تفسير البيضاوي (٥٠٢/١)، البحر المحيط (٣٦١/٥).

عرف أربعة وإليه ذهب أبو حنيفة[1]، وعن الشافعي أن شيخاً باليمن أخبره أن امرأته ولدت بطوناً خمسة خمسة[2]/ ، وقيل: المراد نقصان دم الحيض وازدياده[3].

وغاض جاء متعدياً ولازماً، وكذلك ازداد[4].

أردف عدم إجابتهم إلى ما اقترحوه كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره للدلالة على أن ذلك لعلمه بأنهم معاندون، وإنما يُجاب المسترشد الطالب للحق.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ بقدر وحَدٍّ لا يتجاوزه كقوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[5].

---

(١) انظر: المبسوط (٣٠/٥٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/٥٠٢)، مغني المحتاج (٤/٥٠).

(٣) رواه ابن جرير (١٦/٣٦٠) عن مجاهد.

وانظر: تفسير البغوي (٤/٢٩٧)، زاد المسير (٤/٣٠٨).

(٤) قال أبو حيان: "سماع تعديتهما ولزومهما ثابت من كلام العرب". (٥/٣٦١).

وانظر: لسان العرب (غيض) (٧/٢٠١) (زيد) (٣/١٩٨).

(٥) سورة القمر، الآية (٤٩).

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ الغائب عن الحس والحاضر، تعميم بعد التخصيص ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ البالغ كبرياؤه وشأنه ﴿ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ عن كل ما لا يليق بحلال جبروته.

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ ﴾ في نفسه ﴿ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ أسمعه غيره ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ مختف غاية الاختفاء ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [ظاهر][1] غاية الظهور[2]، من السَّرب وهو الطريق[3]، وفي حديث ابن عمر: «إذا مات المؤمن يخلى[4] لـه سَربه حيث يشاء»[5].

فإن قلت: الاستواء يقتضي التعدد، فكان حق العبارة: ومن هو سارب

---

(١) ساقطة من ص.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٠).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٤١)، لسان العرب (سرب) (١/٤٦٢).

(٤) ص وَ ق: يحلى.

(٥) قال العجلوني في كشف الخفاء (١/٤٩٥): "أخرجه ابن أبي شيبة موقوفاً... والسرب بفتح أوله: الطريق".

و لم أقف عليه في المصنف لابن أبي شيبة والله أعلم.

بالنهار كما في قوله: ﴿ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾

قلت: هو معطوف على: ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ﴾، كأنه قيل: سواء منكم إنسان مستخف وآخر سارب[1]، وإنما لم يأت بمن الموصوفة كما في المعطوف عليه إشارة إلى كمال علمه بالخفايا والسرائر وذلك هو النكتة في زيادة ﴿ هُوَ ﴾ ولذلك[2] أيضاً [قدم][3] ﴿ أَسَرَّ ﴾ وأعمله [في][4] صريح القول وأتى في الجهر بالضمير مؤخراً[5]، أو معطوف على مستخف لكن ﴿ مَنْ ﴾ الموصوفة وإن كانت مفرداً فهي[6] متعدد معنى، كأنه قيل: سواء منكم اثنان هما مستخف وسارب، كقول الفرزدق[7][8]:

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٣٧)، تفسير البيضاوي (١/٥٠٢).

(٢) ق: وكذلك.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) ساقطة من ق.

(٥) انظر: الكشف للقزويني (٥٤/أ).

(٦) كذا في ق، وفي باقي النسخ بحذف: فهي.

(٧) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي أبو فراس الشاعر المشهور، كان أشعر أهل زمانه مع جرير والأخطل النصراني، مات في عام ١١٠هـ.

انظر: الشعر والشعراء (١/٤٧١)، معجم الأدباء (٥/٦٠١).

(٨) في حاشية الأصل وَ ص: يخاطب الذئب.

.... نكنْ مثلَ مَنْ يا ذئبُ يَصْطَحبانِ[1]

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ جمع مُعَقِّب والتاء للمبالغة[2]، أو معقبة بمعنى جماعة[3]، وأصل عقب فلاناً: جاء على أثره[4]، ومن أسمائه ﷺ: "العاقب"[5]؛ لأنه جاء بعد

أوله:

فقلتُ لــه لمَّا تكشَّرَ ضَاحِكاً　　　وقائمُ سَيْفِي مِنْ يَدِيْ بِمَكَانِ

تعال فإن عاهدتني لا تخونني　　　..................

(١) يصف ذئباً أتاه في مفازة.

انظر: ديوان الفرزدق (٣٢٩/٢)، الكتاب (٣١٦/٢)، الخصائص (٤٢٢/٢)، الكشاف (٣٣٧/٣)، الدر المصون (٢٤/٧).

(٢) قاله الأخفش في معاني القرآن (٤٩٦/٢) ونصه: "وأما المعقبات فإنما أنثت لكثرة ذلك منها نحو: النسَّابة والعلاَّمة ثم ذُكِّر؛ لأن المعنى مذكر فقال: ﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾". اهـ.

وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٧/٢).

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن (٦٠/٢)، والطبري (٣٦٩/١٦).

وانظر الوجهين في: تفسير البيضاوي (٥٠٣/١)، الدر المصون (٢٧/٧).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (عقب) (٧٧/٤).

(٥) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ.... الآية ﴾ (١٦٢/٤)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ (١٨٢٨/٤ رقم ١٢٤) عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- ولفظه عند البخاري: «لي خمسة أسماء: أنا =

الأنبياء"[1] فالتشديد للمبالغة، وقيل: من الافتعال أدغمت التاء في القاف نظيره ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾[2][3]. والاعْتِقَابُ: التناوب، وفي حديث أبي هريرة: "كان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً"[4].

﴿ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ أي: من جهاته كلها، وإنما خص

محمد وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». وزاد مسلم «والعاقب الذي ليس بعده نبي».

(١) انظر: النهاية (عقب) (٣/٢٦٨).

(٢) سورة التوبة، من الآية (٩٠).

(٣) هذا قول الزمخشري (٣/٣٣٧) ونص كلامه: "الأصل: معتقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ سورة التوبة، من الآية (٩٠) بمعنى: المعتذرون".

ولم يرتض هذا أبو حيان (٥/٣٦٣) وقال: "وهذا وهم فاحش، لا تدغم التاء في القاف ولا القاف في التاء لا من كلمة ولا من كلمتين، وقد نص التصريفيون على أن القاف والكاف يدغم كل منهما في الآخر ولا يدغمان في غيرهما، ولا يدغم غيرهما فيهما... إلخ".

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٨٢) عن أبي عثمان النهدي.

ورواه أحمد في الزهد ص(٢٢١) بلفظ "ابنه" بدلاً من خادمه.

وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/٢٠٦).

الجهتين بالذكر؛ لأن العدو أكثر ما يقصد منها ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ صلة ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾، أو المعنى يحفظونه من أجل أمر الله أو يراقبون أحواله[1]، وقيل: يحفظونه من بأس الله ونقمته بالاستغفار لقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2][3]. وما أبعد قول من فسر المعقبات بالجلاوِزة[4] والحرس حول السلطان يحفظونه من أمر الله[5].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/٣٧٠، ٣٧٥)، الكشاف (٣/٣٣٨).

(٢) سورة الشورى، من الآية (٥).

(٣) قاله البيضاوي (١/٥٠٣).

و(المعقبات) -كما هو ظاهر كلام المؤلف رحمه الله- هم الملائكة، رواه عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وبه قال مجاهد والحسن وقتادة وابن قتيبة والطبري والزجاج وجمهور المفسرين.

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٥)، تفسير الطبري (١٦/٣٦٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٤٢)، تفسير البغوي (٤/٣٠٠)، زاد المسير (٤/٣١١).

(٤) الجلاوزة: جمع جِلْوَاز وهو الشرطي.

انظر: لسان العرب (جلز) (٥/٣٢٢).

(٥) رواه ابن جرير (١٦/٣٧٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وعكرمة والضحاك.

وانظر: تفسير البغوي (٤/٣٠٠)، زاد المسير (٤/٣١١).

من شكرها بالكفران ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ فلا مكان لرده، وإذا انتفى مكان الرد ينتفي قطعاً.

﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ من ناصر أو من يلي أمرهم، وقد وقف ابن كثير على ﴿ وَالٍ ﴾ بالياء، وقد ذكر وجهه في ﴿ هَادٍ ﴾ [1].

أشار إلى أن الحافظ عنايته والمعقبات آثار سلطنته على دأب ما يتعارفه الناس وإلا فعلمه أشمل وحفظه أقوى وأكمل.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ إرادة خوف وطمع، مفعول لـه بتقدير المضاف [2]، والمعنى: أن عند لمعان البرق يُخاف من الصاعقة

---

(١) سورة الرعد، آية (٧)، راجع ص (١١٢٥)، وقد فات المؤلف بيان وجه القراءة هناك، قال مكي في الكشف (٢/٢١): "وحجة من وقف بالياء أنه إنما حذف الياء في الوصل لأجل التنوين، فإذا وقف وزال التنوين رجعت الياء، وهو الأصل... وحجة من وقف بغير ياء أنه أجرى الوقف مجرى الوصل، إذ حذف التنوين عارض في الوقف ولأنه اتبع الخط في ذلك... والحذف والإثبات لغتان للعرب والحذف أكثر".

(٢) قاله الزمخشري (٣/٣٣٨) والبيضاوي (١/٥٠٣)، وذهب العكبري في التبيان إلى أنه مفعول لأجله دون تقدير (٢/٧٥٤)، ومنعه الزمخشري (الموضع السابق) لعدم اتحاد الفاعل، يعني أن فاعل الإراءة هو الله تعالى غير فاعل الخوف والطمع وهو ضمير المخاطبين.

ويُطمع في الرحمة، وقيل: الخوف والطمع بمعنى الإخافة والإطماع[1]، أو نصباً على الحال من البرق، أو المخاطبين بتقدير ذو[2]، أو إطلاق[3] المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل[4].

﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝ ﴾ جمع[5] ثقيلة، وصف للسحاب[6] بالجمع؛ لأنه اسم الجمع والواحد سحابة[7].

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ سامعوه[8]؛ لأن الرعد صوت

قال السمين الحلبي: "يمكن أن يجاب عنه بأن المفعول في قوة الفاعل، فإن معنى ﴿ يُرِيكُمُ ﴾ يجعلكم رائين فتخافون وتطمعون". الدر المصون (٣١/٧).

(١) أي: إخافة وإطماعاً.

(٢) انظر الأوجه السابقة في: الكشاف (٣٣٩/٣)، تفسير البيضاوي (٥٠٣/١).

(٣) ق: وإطلاق.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٥) ق: جمعه.

(٦) ص: السحاب.

(٧) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٨/٢)، تفسير البيضاوي (٥٠٣/١).

(٨) قاله الزمخشري (٣٣٩/٣)، والبيضاوي (الموضع السابق).

وليس هذا القول بظاهر، لأنه مخالف لظاهر الآية التي أسندت التسبيح إلى الرعد، والصواب إجراء =

اصطكاك[1] أجرام السحاب، أو هو لما في الحديث: «أن الرعد ملك موكل بالسحاب، والبرق من لمعان مخاريق من نار بيده يسوق بها السحاب»[2] فباعتبار[3] صوته الهائل من الآيات الباهرة الدالة على كمال قدرته وعظم مخلوقاته. وعن الحسن: "هو خلق من خلق الله ليس بملك"[4].

الآية على ظاهرها وإسناد التسبيح إلى الرعد، وليس هذا بمستنكر وقد قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ سورة الإسراء، الآية ٤٤.

(١) ص: اصطكات.

(٢) رواه الإمام أحمد (١/٢٧٤ رقم ٢٤٨٣)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، سورة الرعد (٨/٢٧٧ رقم ٣١١٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب. اهـ. عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وفيه: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن الرعد والبرق. وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح. اهـ. شرح المسند (٤/١٦١).

وقد روى ابن جرير عن علي وابن عباس -رضي الله عنهم- أن البرق مخاريق بأيدي الملائكة يزجرون بها السحاب (١/٣٤٣).

وانظر: تفسير البغوي (١/٦٩)، الدر المنثور (٤/٦١٨ وما بعدها).

والمخاريق: "جمع مِخْرَاق، وهو في الأصل ثوب يُلف ويَضْرب به الصبيان بعضهم بعضاً، أراد أنه آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه". اهـ. النهاية (٢/٢٦).

(٣) ق: فاعتبار.

(٤) ذكره الزمخشري (٣/٣٤٠).

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ لكمال علمهم بعظيم سلطانه وعلو شأنه، وكل من كان أعلم بالله(1) كان [أتقى](2) وأخشى، وقيل: المجرور عائد إلى الرعد(3)؛ وليس بشيء.

﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ يهلكه أو يوقع فيه نقصاً بحرق شيء منه.

﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ ﴾ في شأنه من كمال العلم والقدرة على الإعادة حتى أوردوا ذلك في معرض التعجب ممن يحيي العظام وهي رميم، والجدال شدة الخصومة من الجدْل وهو: الفَتْل(4)، والجملة معطوفة على قوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ ﴾ (5) المعطوف على(6) ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾(7)(8)، والعدول من الفعلية إلى

---

(1) قوله: "بالله" غير موجود في ص.

(2) ساقطة من ص.

(3) ذكره ابن الجوزي (٤/٣١٤)، والبيضاوي (١/٥٠٣).

(٤) انظر: المفردات (جدل) ص(١٨٩)، لسان العرب (جدل) (١/١٠٣).

(5) سورة الرعد، من الآية (٧).

(6) ق: عليه.

(7) سورة الرعد، من الآية (٦).

(8) قاله القزويني في الكشف (٥٥/أ).

الاسمية للدلالة على أنهم ما ازدادوا بعد تلك الآيات التي تبهر الألباب إلا عناداً[1].

ويجوز أن يكون عطفاً[2] على قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ﴾[3] على معنى هو الذي يريكم هذه الآيات الدالة على كمال العلم والقدرة وأنتم تجادلون. التفتت[4] إلى الغيبة تبعيداً لهم عن شرف الخطاب، وأنهم من الإنسانية بمعزل، والوجه الأول أملأ فائدة[5].

وقيل[6]: الواو للحال، وذلك أن أربد أخا لبيد[7] وَفَدَ مع عامر بن

---

(١) المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٢) ص: عطف.

(٣) سورة الرعد، من الآية (١٢).

(٤) ق: والتفت.

(٥) قاله القزويني في الكشف (٥٥/أ).

(٦) قاله الزجاج في معاني القرآن (١٤٣/٣).

(٧) روى ابن جرير (٣٧٩/١٦) القصة مطولة عن ابن زيد وفيها أن اسمه أربد بن ربيعة وروى نحواً من ذلك عن ابن جريج (٣٩٣/١٦)، وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٢٧٧/١): "وأربد بن قيس الذي أتى النبي ﷺ غادراً هو أخو لبيد لأمه... إلخ".
وبهذا جزم الأستاذ محمود شاكر في تحقيق الطبري (الموضع السابق) وقال: "هو أربد بن قيس ابن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب".

الطفيل(1) على رسول الله ﷺ قاصدين قتله، فأخذ أربدُ يجادله ويقول: "أخبرني عن ربنا أَمِنْ نحاس أم من حديد؟" ودار أربد خلفه وقبض على سيفه(2)، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفنيهما بما شئت» فأصابته الصاعقة فأحرقته مكانه، وخرج عامر فنزل في بيت سلولية فأصابه طاعون فذهب خلف صاحبه إلى جهنم، وكان يقول: "غُدَّة كغدة البعير وموت في بيت سلولية"(3). لأن سلول أذل قبائل

(1) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، وهو ابن أخي أبي براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، كان من فرسان العرب بأساً وشدة، وكان مع القوم الذين قتلوا القراء الذين بعثهم رسول الله ﷺ قِبَل نجد، هلك سنة ١٠هـ كافراً.
انظر: الشعر والشعراء (١/٢٧٧)، فتح الباري (٨/١٤١) ط. دار الفكر.

(2) ذكر المؤلف -رحمه الله- أن أربد هو الذي جادل الرسول ﷺ وهو الذي دار خلفه ليقتله، وهذا وهم وهو خلاف ما ورد في المصادر، والذي ورد في روايات القصة أن أحدهما جادله والآخر دار خلفه ليقتله، وقد حددت بعض الروايات من قام بالمجادلة وهو عامر بن الطفيل.
انظر: المراجع في الحاشية التالية.

(3) في حاشية جميع النسخ: فركب فرسه ومات على ظهر الفرس فوقع إلى نار جهنم.
والقصة رواها الطبري عن ابن زيد (١٦/٣٧٩)، وابن جريج (١٦/٣٩٣)، وذكرها الواحدي في أسباب النزول ص(٢٧٨) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، كما رواها البيهقي في دلائل النبوة (٥/٣١٨) عن ابن إسحاق، وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير... =

العرب[1].

﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ قوي المكايدة والمكر لا يدافع[2]، وفي

وفي إسنادهما عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف. اهـ. (٤٢/٧).

وروى الحديث النسائي في الكبرى (٦/٣٧٠ رقم ١١٢٥٩)، وأبويعلى في مسنده (٦/٨٧ رقم ٣٣٤١) -دون تسمية أربد وعامر- من طريقين:

الأول: موافق لما عند النسائي، وهو من طريق ابن أبي سارة وهو ضعيف.

انظر: مجمع الزوائد (الموضع السابق).

الثاني: من طريق ديلم بن غزوان. قال محقق المسند: إسناده صحيح.

وانظر: تفسير البغوي (٤/٣٠٢)، تفسير ابن كثير (٤/٣٦٥)، الدر المنثور (٤/٦٢٥).

(١) في حاشية جميع النسخ: قال من يهجو سلول:

إلـــى الله أشكو أنّي بتُّ طاهراً ... فجاءَ سَلوليٌّ فبالَ علَى نَعْلِي

فقلتُ اقطعُوها باركَ اللهُ فيكم ... فإنّي كريمٌ غيرُ مدخلها رِجْلي.اهـ.

ولم أقف على قائلهما، وقد ذكرهما الطيبـــي في فتوح الغيب (٥٠٣)، والقزويني في الكشف (٥٥/أ).

وسلول بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ينسبون إلى أمهم: سلول بنت ذهل بن شيبان.

انظر: نهاية الأرب ص(٢٧٠)، معجم قبائل العرب (٢/٥٣٩).

(٢) قاله أبوعبيدة في مجاز القرآن (١/٣٢٥)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٢٦)، والزمخشري (٣/٣٤١).

الحديث: إن إبراهيم قال: كذبت ثلاث كذبات/ قال رسول الله ﷺ: «ما كذب كذبة إلا وهو يماحل بها عن الإسلام»(١) يمدحه بذلك، وأصل(٢) المَحْل: قحط المطر(٣). ويجوز أن يكون من حال بين الشيئين إذا دفع أحدهما عن الآخر، أو من حال يحول إذا قدر وقوي على الخصم(٤) كما في الحديث: «اللهم بك أصول وبك أحول»(٥) أو الحيلة(٦) على غير القياس، ويجوز أن يكون بمعنى الفَقَار مستعاراً(٧) للقوة كقوله ﷺ

(١) رواه الترمذي، كتاب التفسير، سورة الإسراء، (٢٩٧/٨ رقم ٣١٤٧) عن أبي سعيد الخدري - ﷺ- بلفظ: "ما حل بها عن دين الله" وقال الترمذي: هذا حديث حسن. اهـ.

وأصل الحديث في الصحيحين فقد رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ذرية من حملنا مع نوح (٢٢٥/٥)، ومسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٠/١ رقم ٣٣٢).

(٢) ق: أو أصل.

(٣) انظر: لسان العرب (محل) (٦١٧/١١).

(٤) قاله الزجاج في معاني القرآن (١٤٣/٣).

(٥) رواه الإمام أحمد (١٨٤/٣ رقم ١٢٩٣٢)، وأبوداود كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء (٤٨/٢ رقم ٢٦٣٢) عن أنس -ﷺ-.

(٦) رواه ابن جرير (٣٩٦/١٦) عن قتادة، واستبعد هذا القول ابن جرير (٣٩٧/١٦)، والأزهري (محل) (٩٥/٥) لأن الميم فيه أصلية وليست زائدة.

(٧) ق: مستعار. والفَقَار: جمع فِقْرة وفَقْرة وهي ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب.

انظر: لسان العرب (فقر) (٦١/٥).

ﷺ: «ساعِدُ الله أشدُّ، وَمُوسَاهُ أحدُّ»[1] رداً على المشركين في قطع أذن البحيرة[2].

﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾ جملة مستأنفة، و ﴿ ٱلۡحَقِّ ﴾ إن كان ضد الباطل فالمعنى أن الله هو الحقيق بأن يُدعى ويُعبد؛ لأنه الذي يسمع ويجيب فدعاء[3] غيره دعاء الباطل، وإن كان من أسمائه تعالى فأصل الكلام: له دعوته، فيدل على

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤٧٣/٣ رقم ١٥٩٢٩، ١٥٩٣٢)، والطبراني في الكبير (٢٧٩/١٩ رقم ٦١٤، ٦١٧، ٦٢١، ٦٢٢) من حديث أبي الأحوص مالك بن نضلة -ﷺ- في سياق أطول بنحوه.

وانظر: مجمع الزوائد (٣٢/٤)، وسيأتي معنى الحديث في الحاشية القادمة.

وقال في أساس البلاغة (محل) ص(٤٢٢): "وفرس قوي المحال وهو الفقار، الواحدة: محالة، والميم أصلية".

وهذا القول في معنى ﴿ ٱلۡمِحَالِ ﴾ ليس بظاهر إذ لم ينقل عن أحد من السلف مع حاجته للتأويل. والله أعلم.

وراجع هذه الأقوال في معنى الآية في الكشاف (٣٤١/٣-٣٤٢).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (سعد) (٣٦٧/٢): "أي لو أراد الله تحريمها بشق آذانها لخلقها كذلك، فإنه يقول لها كوني فتكون". اهـ.

(٣) ص: فدعاه.

اختصاص الدعاء [به][1][2]، وإنما وضع ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ موضع الضمير للدلالة على أنه الثابت وما عداه إنما يستفيد ثبوتاً بالعرض[3]. ثم إن كانت الآية في أربد وعامر فالجملتان دلتا على أن هلاكهما من حيث لم يشعرا به مِحالٌ من الله وإجابةٌ لدعوة رسوله، وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم[4].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي: الأصنام الذين يدعوهم الكفار ويعبدونهم، المفعول محذوف[5]. ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ ما مِنْ دفع ضر

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) جوز الزمخشري الوجهين (٣/٣٤٢-٣٤٣)

والأول هو قول كثير من المفسرين. انظر: تفسير الطبري (١٦/٣٩٨)، زاد المسير (٤/٣١٧).

وقال بالثاني الحسن -رحمه الله-. انظر: الكشاف، زاد المسير (الموضعين السابقين).

قال الزمخشري في بيان الوجه الثاني: "على معنى: دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب".

(٣) انظر: الكشف للقزويني (٥٥/أ).

(٤) انظر: الكشاف (٣/٣٤٣)، تفسير البيضاوي (١/٥٠٤).

(٥) انظر: المرجعين السابقين (الموضع نفسه).

أو جلب نفع؛ لأنها جمادات ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ شُبه الداعون للأصنام بمن بسط كفيه ناشراً أصابعه يريد اغتراف الماء في أنهما لا يحصلان على طائل؛ لأن الماء يتوصل إليه بالقبض لا بالبسط فالاستثناء من أعم الأحوال[1]، ووجه الشبه عقلي[2] اعتباري[3]. أو شبه حال آلهتهم حين التجائهم إليها في دفع ما أهمهم في عدم الشعور فضلاً عن الاستطاعة للاستجابة بما يمرئ من عطشان أحوج ما هو إليه يناديه عبارة وإشارة والمنادى لا إدراك[4] لـه ولا حراك[5]، وعلى الوجهين فيه شائبة تهكم[6].

﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ في ضياع، لا يجلب نفعاً

(١) انظر: الكشف للقزويني (٥٥/ب).

(٢) عرَّف عبدالقاهر الجرجاني الاعتباري بقوله: هو الشبه الذي يحصل بضرب من التأول. أسرار البلاغة ص(٩٢).

(٣) انظر: فتوح الغيب ص(٥٠٩).

(٤) ص: لادراك.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٩٩/١٦)، البسيط (٦٩٤/٢)، الكشاف (٣٤٢/٣)، تفسير البغوي (٣٠٦/٤)، زاد المسير (٣١٧/٤).

(٦) انظر: الكشف للقزويني (٥٥/ب).

سواء دعوا الأصنام أو الله أو الملائكة، تعميم وتأييس لهم من جميع الجهات[1].

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ ينقاد لما أراده طائعاً أو كارهاً[2]. أصل السجود الانحناء والانخفاض[3] قال:

وقلنَ له أَسْجِدْ لليلَى فأَسْجَدَا[4]

---

(١) قاله بنحوه الزمخشري (٣/٣٤٣)، وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال. اهـ. البسيط (٢/٦٩٦)، زاد المسير (٤/٣١٨).

وليس ما قاله المؤلف -رحمه الله- بظاهر لأن الكفار وإن كانوا لا يستفيدون من دعاء ربهم في الآخرة شيئاً، فإنهم يستفيدون منه في الدنيا في إجابة بعض ما يطلبون كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة العنكبوت، الآية (٦٥).

وقد استبعد الواحدي في البسيط (٢/٦٩٧) رواية جويبر من وجهين:

١- مخالفته لسياق الآية؛ لأن فيها ذكر دعاء الكافرين للأصنام، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ والذم لاحقٌ بذلك الدعاء، و لم يذكر دعاهم الله تعالى.

٢- أن جويبر ضعيف، قال الحافظ في التقريب: "ضعيف جداً". اهـ. ص (١٤٣).

(٢) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٤٤)، الكشاف (٣/٣٤٣).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (سجد) (٣/١٣٣) لسان العرب (سجد) (٣/٢٠٥).

(٤) البيت لأعرابي أسدي، و لم أقف عليه بتمامه.

وانظر الشطر في: مادة "سجد" من تهذيب اللغة (١٠/٥٦٩)، معجم مقاييس اللغة (٣/١٣٣)، أساس البلاغة ص(٢٠٣)، لسان العرب (٣/٢٠٥).

أي: طَأْطِأْ يأمرن البعير[1]، وفي الحديث: "كان كسرى يسجد للطايع[2]"[3] قال الأزهري[4]: [معناه][5] كان يخفض رأسه[6] وتخصيصه بوضع الجبهة عرف

(١) قال الزمخشري في أساس البلاغة (الموضع السابق): "وسجد البعير وأسجد: طأمن رأسه لراكبه".

(٢) كذا في النسخ، والذي وقفت عليه (الطالع). انظر: النهاية (سجد) (٢٤٢/٢) ولسان العرب (سجد) (٢٠٥/٣).

(٣) في حاشية الأصل وَ ص: الطايع السهم الذي يمر فوق الهدف كأنه كان عندهم بمنـــزلة الإصابة. منه.

وانظر: الحاشية رقم (٦) من هذه الصفحة.

والحديث لم أقف عليه إلا في كتب الغريب. راجع الحاشية السابقة.

(٤) محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري أبو منصور الإمام اللغوي، ولد عام ٢٨٢هـــ بهراة، كان إماماً صالحاً فقيهاً بارعاً في اللغة، وقد أسر أيام فتنة القرامطة فوقع عند عرب نشؤوا في البادية يتكلمون بطباعهم لا يكاد يوجد في منطقهم لحن، فاستفاد منهم ألفاظاً ونوادر أودعها كتابه: تهذيب اللغة، توفي عام ٣٧٠هـــ.

انظر: وفيات الأعيان (٣٤٤/٤)، بغية الوعاة (١٩/١).

(٥) ساقطة من ق.

(٦) تهذيب اللغة (طلع) (١٧٣/٢).

وقال في النهاية (سجد) (٣٤٢/٢): "الطالع هو السهم الذي يجاوز الهدف من أعلاه... والمعنى أنه كان يسلم لراميه ويستسلم".

طارٍ.

وقيل: المراد وضع الجبهة، والكافر يسجد حال الضرورة[1].

﴿ وَظِلَٰلُهُم ﴾ أيضاً يسجد[2] له ويتصرف[3] على مشيئته امتداداً وتقلصاً وفيئاً وزوالاً ﴿ بِٱلْغُدُوِّ ﴾ ضد الرواح، من أول النهار إلى وقت الزوال ﴿ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ جمع [الأصيل][4] من العصر إلى الغروب، والمراد[5] بهما الدوام، وإنما خص الوقتين لظهور الامتداد والتقلص فيهما[6].

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بعد إقامة الدلائل القاطعة على تفرده بأمر الملك والملكوت أمره بأن يسألهم عن ذلك ليلزمهم باعترافهم بذلك

---

(١) رواه ابن جرير (١٦/٤٠٣) عن قتادة وابن زيد، وقال به هو والفراء في معاني القرآن (٢/٦١)، والبغوي (٤/٣٠٦) وغيرهم.

(٢) ق: تسجد.

(٣) ق: وينصرف.

(٤) ساقطة من ص.

(٥) ق: فالمراد.

(٦) انظر: تفسير البيضاوي (١/٥٠٤)، البحر المحيط (٥/٣٦٩).

وأنهم لا يجدون سبيلاً إلى العدول عنه فيتركب عليهم الحجة ﴿ قُلِ ٱللَّهُۚ ﴾ حكاية لقولهم كأنه قيل: [قل][1]: ما أجابوك به من قولهم: الله إذ قلت لهم: من رب السماوات؟، أو تلقين لهم كأنه قيل: لقنهم الجواب فإنهم يذعنون له ثم ألزمهم بعد ذلك[2].

﴿ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ شروع في الإلزام، والهمزة داخلة على الفاء العاطفة[3] أي: أَبَعْدَ[4] أن علمتموه رب السماوات والأرض جعلتم مكانه أرباباً تعبدونها وكان مقتضى ذلك العلم التوحيد فكيف عميت بصائركم؟ ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ ﴾ فضلاً[5] عن إحداث ذلك في الغير.

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ المشرك والموجد، أو الجاهل

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) ذكر الوجهين الزمخشري (٣/٣٤٤).

(٣) انظر: الكشف للقزويني (٥٦/أ).

(٤) ق: بعد.

(٥) ص: افضلاً.

والعالم ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ ﴾(١) الكفر والإيمان، وإنما جمع الظلمات لاشتمال الكفر على الشبهات والشكوك والحق واضح أبلج، الاستفهام للإنكار أي: لا استواء، وفائدته: الحث على التأمل، وأن لا يرضى السامع بدخوله في زمرة العمي المستغرقين في الظلمات.

﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ أي: بل أجعلوا لله شركاء ﴿ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ ﴾ صفة لشركاء ﴿ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ خلق الله وخلق الشركاء فيكون لهم في ذلك شبهة يحتاج إلى إزالتها، ولما لم يكن لهم في ذلك شبهة فضلاً عن حجة كان الحكاية عنهم أدخل في الذم(٢)، وفيه تهكم فإنهم جعلوا ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً كمن بيده الأمر كله فنبه على مكان الاشتباه(٣) نافياً ناعياً عليهم.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ موجده ﴿ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ﴾ في الألوهية

---

(١) في حاشية الأصل وَ ص: قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿يستوي﴾ بياء الغيبة. منه.

وقراءة باقي السبعة ﴿ تَسْتَوِى ﴾.

انظر: السبعة ص(٣٥٨).

(٢) انظر: الكشف للقزويني (٥٦/أ).

(٣) المرجع السابق (الموضع نفسه).

﴿ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ كامل القهر والغلبة على الخلائق كلها فهو المستحق للعبادة لا غير.

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ من السحاب؛ لأن ما علاك سماء[1]، أو من حقيقة الفلك؛ لأنه المبدأ الأول[2].

﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴾ جمع وادٍ وهو مسيل الماء ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ [بمقدارها][3] من الصغر والكبر[4]، أو بالمقدار الذي علمه الله أنه نافع لكل ناحية[5]، وتنكير

---

(١) انظر: لسان العرب (سما) (٣٩٨/١٤)، وفيه: "ومن هذا قيل للسحاب سماء لأنها عالية... إلخ".

(٢) مراده بالمبدأ الأول: أي مبادي المطر منه.

قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي (٤٠٣/٥): "وكون مباديه منها لكونه بتأثير الأجرام الفلكية في البخار".

والوجهان ذكرهما البيضاوي (٥٠٥/١)، وانظر: التفسير الكبير (١٠٢/٢). والأول هو الصواب. والله أعلم.

(٣) ساقط من ص.

(٤) رواه ابن جرير (٤١٢/١٦-٤١٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة ومجاهد وعوف، وقال به هو (٤٠٩/١٦)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٢٧)، والواحدي في الوسيط (١٢/٣)، والبغوي (٣٠٨/٤) وغيرهم.

(٥) قاله الزمخشري (٣٤٥/٣). وذكر البيضاوي (٥٠٥/١) الوجهين.

الأودية؛ لأن المطر يقع بحسب العادة[1] بعض بقاع[2] الأرض دون بعض[3] ﴿ فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا ﴾ غثاءً ﴿ رَّابِيٗاۚ ﴾ عالياً على وجه الماء[4] ﴿ ومما توقدون عليه في النار ﴾ من المعادن ﴿ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ ﴾ تبتغون صوغ الحلي ﴿ أَوۡ مَتَٰعٖ ﴾ من أنواع الأواني وآلات الحرب والحرث ﴿ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾ مثل الذي على وجه الماء. وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ يُوقِدُونَ ﴾ بالياء[5]، وهو المختار؛ لأن الغرض إرشادهم لا المؤمنين[6].

---

(١) ص: العبادة.

(٢) هكذا وردت العبارة في سائر النسخ ولعل في الكلام سقطاً والله أعلم.

(٣) قاله الزمخشري بنحوه في الكشاف (٣/٣٤٥)، والبيضاوي (١/٥٠٥).

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٧)، تفسير الطبري (١٦/٤٠٩)، الكشاف (٣/٣٤٦).

(٥) وقرأ باقي السبعة بالتاء.

انظر: السبعة ص(٣٥٨)، التيسير ص(١٠٨).

(٦) في حاشية ص: فلا يحتاج إلى إضمار كما قال القاضي. منه.

وقد قال القاضي البيضاوي في تفسيره (١/٥٠٠): "وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس، وإضماره للعلم به". اهـ.

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ ﴾ يمثلهما ويبرزهما في صورة المحسوس إزاحة للشبهة. مثّل الحق وأهله بالماء المنـزل من السماء السائل في أودية، وانتفع الناس به أنواعاً من الانتفاع من صوغ الحلي واتخاذ الآلات والأواني التي تبقى مدداً متطاولة[1] / ، والباطل في سرعة زواله وانسلاخه عن المنفعة بالزبد الذي يرمي [به الماء][2] أو الفلزّ [3] فينعدم في الحال وينمحي أثره.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ ﴾ مجفوءاً مصدر جَفَأَ[4]، أي: مرمياً يرميه

---

(١) كذا في سائر النسخ، والعبارة فيها خلل ظاهر إذ صوغ الحلي واتخاذ الآلات ليس من الماء المترل من السماء، وقد قال في الكشاف: "فمثل الحق وأهله بالماء الذي يترله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة..." (٣/٣٤٥).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) الفِلِزُّ والفِلَزُّ والفُلُزُّ هو ما في الأرض من الجواهر المعدنية من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحوها.

انظر: النهاية (فلز) (٣/٤٧٠)، لسان العرب (فلز) (٥/٣٩٢).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٢)، الصحاح (جفأ) (١/٤١)، لسان العرب (جفأ) (١/٤٩).

السيل والفلز، نصبٌ على الحال[1] أصله: الجفه[2]، وفي حديث البراء يوم حنين: "انطلق جفاء من الناس إلى هذا الحي من هوازن"[3] يريد سراعهم وأوائلهم.

﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ من الماء في المنابع[4] والآبار والجَبُوب[5] وما ينشأ

---

(١) قاله الزجاج كما في لسان العرب (الموضع السابق)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/١٧٠)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٤٣)، وابن الأنباري في البيان (٢/٥١)، والعكبري في التبيان (٢/٧٥٦)، والبيضاوي (١/٥٠٥) وغيرهم.

(٢) لم أقف عليه. والله أعلم.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر (٣/٢٣٣)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة حنين (٣/١٤٠٠ رقم ٧٨) بلفظ: "ولكنه انطلق شبان أصحابه وأخفّاؤهم..." ورواه مسلم (الموضع السابق رقم ٧٩) بلفظ: "ولكنه انطلق أخفّاء من الناس..." وهي في اللفظين جمع خفيف.

قال النووي في شرح مسلم (١٢/١١٧): "ووقع هذا الحرف في رواية إبراهيم الحربي والهروي وغيرهم "جفاء" بجيم مضمومة وبالمد، وفسره بسرعانهم، قالوا: تشبيهاً بجفاء السيل وهو غثاؤه". وانظر: النهاية (جفأ) (١/٢٧٧).

(٤) كذا في ص، وفي الأصل وَ ق: المنافع. ولعل المثبت أعلاه هو الأقرب.

(٥) الجَبُوب: وجه الأرض أو الأرض الغليظة. وقيل غير ذلك.

منها من الثمار وأصناف الحبوب المدخرة والمعادن، ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أزمنة متطاولة[1].

وقيل: شبه القرآن المنزل بالماء، والقلوب بالأودية[2]، ووساوس الشيطان وهواجس النفس بالزبد الذي يعلو الماء، والحق الذي استفيد من القرآن واستنبط منه بالجواهر والذهب الخالص من الخبث، والباطل الذي يتولد من تلك الوساوس بالجفاء، وكما أن الأودية[3] تتفاوت في الصغر والكبر كذلك القلوب في

انظر: تهذيب اللغة (حب) (١٠/٥١٠)، والمحكم لابن سيده (حبب) (١٦٢/٧)، النهاية (حبب) (٢٣٤/١)، لسان العرب (حبب) (٢٥٠/١).

وأما إن كان مراد المؤلف بالجبوب جمع جب وهي البئر فإني لم أقف فيما بين يدي من كتب اللغة أن الجب تجمع على جبوب وإنما جمعها: جِباب وأجباب وجِبَبَة.

انظر: المراجع الماضية (المواضع نفسها).

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٠٨/١٦، ٤٠٩)، معاني القرآن للزجاج (١٤٥/٣-١٤٦)، البسيط (٧٠٩/٢)، الكشاف (٣٤٥/٣).

(٢) في الأصل: الأدوية، والمثبت أعلاه هو الصواب المناسب للسياق.

(٣) في الأصل: الأدوية، والمثبت أعلاه هو الصواب المناسب للسياق.

أخذ المعارف وإدراك لطائف التنـزيل بحسب الفطرة والاستعداد[1]، وقد ألمَّ بذلك المتنبي[2] في قوله:

ولكنْ يأَخذ الأذهانُ منها على قدْرِ القرائِحِ والفهومِ[3]

وكما أن الماء إذا كان كثيراً قويّ الجري يقذف بالزبد إلى الجوانب ويصفو

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣٠٨/٤) مبهماً، ونقله ابن عطية (٣٠٨/٣)، والقرطبي في الجامع (٣٠٥/٩، ٣٠٦) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- دون تفصيل، وذكر ابن الجوزي الوجهين (٣٢٢/٤).

وقد روى ابن جرير (٤١٠/١٦) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله...".

(٢) أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي أبو الطيب المتنبي، ولد عام ٣٠٣هـ شاعر زمانه، اتصل بسيف الدولة ومدحه ونال من عطائه، قتل عام ٣٥٤هـ.

انظر: يتيمة الدهر (١١٠/١)، سير أعلام النبلاء (١٩٩/١٦).

(٣) وفي يتيمة الدهر (٢٠٨/١):

ولكن تأخذ الأذهان منه   على قدر القرائح والعلوم

وفي ديوان المتنبي بشرح العكبري (١٢٠/٤):

ولكن تأخذ الآذان منه   على قدر القريحة والعلوم

كذلك القرآن إذا استنار القلوب بحفظه وتأمل دقائقه دفع الوساوس وهواجس النفس، وكذلك نسبة القلوب إلى الجواهر والمعادن والفلزات بعضها كالذهب وبعضها كالنحاس وبعضها كالحديد.

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ۝١٧ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ ﴾ للمؤمنين الذين استجابوا ﴿ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الاستجابة الحسنى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ ﴾ عطف على المجرور[1]، أي: الكفرة الذين لم يستجيبوا لـه، والمعنى: إنما ضرب المثل لهؤلاء الطائفتين[2].

وقيل: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ ﴾ خبر: ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وهو المثوبة والجنة، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ ﴾ مبتدأ خبره: ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ ﴾.

(٢) قاله الزمخشري (٣/٣٤٦)، والبيضاوي (١/٥٠٥)، واللام في قوله: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ ﴾ متعلقة بيضرب، ويكون قوله: ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ كلام مبتدأ لبيان ما أعد الله لغير المستجيبين.

جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ﴾ فيتم الكلام عند قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾[1] وهذا الوجه أحسن لأنه يقع ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ في مقابلة ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وفيه زيادة تحسير[2] لهم[3].

أوثر الإجمال في جزاء المستجيبين إيماء إلى أنه لا يدخل تحت الوصف بل تقصر[4] العبارة عن الإحاطة به[5].

و ﴿ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ هو المناقشة فيه[6]، وفي الحديث: «من نوقش في

---

(١) أي: إلى قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾.

وهذا هو قول أكثر المفسرين.

انظر: تفسير الطبري (١٦/٤١٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٤٦)، إعراب القرآن للنحاس (٢/١٧٠)، البحر المحيط (٥/٣٧٣).

(٢) ق: تخسير، و ص: تحير.

(٣) انظر: فتوح الغيب للطيبي ص(٥١٧)، الكشف للقزويني (٥٦/أ).

(٤) ق: يقصر، وَ ص: بقصر.

(٥) قاله بمعناه الطيبي في فتوح الغيب ص(٥١٧).

(٦) رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، زاد المسير (٤/٣٢٣).

وبه قال الزمخشري (٣/٣٤٦)، والبيضاوي (١/٥٠٥) وغيرهما.

الحساب هلك»[1].

﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ مرجعهم[2] ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ المقام والمستقر، والمخصوص محذوف.

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾

أي: أبعد ما ضرب المثل المذكور في أن حال من علم ما أنزل إليك هو الحق [واستجاب][3]

بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر كما أن حال الزبد وخبث الذهب بمعزل عن مشابهة الماء والإِبْرِيْز[4] يمكن خلجان الشبهة[5] ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه (٣٤/١)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب (٢٢٤٠/٤ رقم ٨٠) عن عائشة -رضي الله عنها- بلفظ مقارب جداً.

(٢) في ق زيادة: من أوى إلى كذا: رجع، وفي ص: رجع.

(٣) ساقطة من ص.

(٤) الإِبْرِيْزُ: الذهب الخالص.

انظر: لسان العرب (برز) (٣١١/٥).

(٥) قال في الكشاف (٣٤٦/٣): "دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ ﴾ لإنكار

=

﴿ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩﴾ المراجيح الذين لهم عقول خالصة ينظرون بها نظر الاستبصار.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الذي عاهدهم عليه [حين][1] قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[2]، أو في كتبه المنزلة من الأحكام والحدود[3].

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾ سواء كان مع الله أو مع أحد من خلقه.

أن تقع شبهة -بعد ما ضرب من المثل- في أن حال من علم ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستصبر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء، والخبث والإبريز". اهـ.

(١) ساقطة من ص.

(٢) سورة الأعراف، من الآية (١٧٢).

وهذا القول نقله الواحدي في البسيط (٢/٧١١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقال به في الوسيط أيضاً (٣/١٣)، وهو قول الزمخشري (٣/٣٤٧) وجماعة.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/٣١٠).

والظاهر العموم في كل ما أخذه الله على عباده.

قال ابن عطية (٣/٣٠٩): "وقوله: ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ اسم للجنس أي: بجميع عهود الله وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده، ويدخل في هذه الألفاظ التزام جميع الفروض وتجنب المعاصي". اهـ.

وبنحوه قال القرطبي (٩/٣٠٧)، وأبو حيان (٥/٣٧٥) وغيرهما.

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ من الأرحام وسائر الحقوق، ومنها الإحسان إلى كافة المؤمنين للأخوة الثابتة بالإيمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1]، وفي الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2]، وفيه[3]: «**إن من الصدقة أن تلقى أخاك المؤمن بوجه طَلق**»[4].

---

(١) سورة الحجرات، من الآية (١٠).

وانظر: الكشاف (٣/٣٤٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (١/٦٧ رقم ٧١) عن أنس -رضي الله عنه-.

(٣) ق: وفيه أيضاً.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر، باب استحباب طلاقة الوجه (٤/٢٠٦٦ رقم ١٤٤) عن أبي ذر -رضي الله عنه- بلفظ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»، ورواه الترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في طلاقة الوجه عن جابر -رضي الله عنه- بلفظ: «**كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق.... الحديث**». وقال: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. (٦/١٩٦ رقم ١٩٧١).

قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/١٧٧): "رُوي (طلق) على ثلاثة أوجه: إسكان اللام، وكسرها، و"طليق" بزيادة ياء، ومعناه: سهل منبسط". اهـ.

﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ ﴾ خصه بالذكر؛ لأنه لا مقام للعبد مع الله أشد منه، وإن شئت تأمل وقوفك بين يدي ذلك السلطان العظيم الشأن،وقد أخرج لك من عنقك كتاباً تلقاه منشوراً وقال لك: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤ ﴾[1] وفيه من القبائح ما لو اطلع عليه أدنى الخلق عندك لاستغرقت[2] في الخجل.

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ حبسوا أنفسهم على المكاره في المواطن كلها طلباً لمرضاة الله لا ليقال: ما أصبره وأحمله للنوازل! ولا لأن لا يعاب بالجزع أو يشمت به الأعداء[3]. العطف فيه وفي الذي قبله من عطف[4] الصفات.

﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أدوها على وجه الكمال ﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ بعضه ﴿ سِرًّا ﴾ في التطوع ﴿ وَعَلَانِيَةً ﴾ في الواجب إيثاراً للأفضل[5][6]، وقيل: سراً

(١) سورة الإسراء، الآية (١٤).

(٢) ص: لاستغفرت.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٤٧).

(٤) ق: من قبيل عطف... إلخ.

(٥) ص: إيثار الأفضل.

(٦) قاله الزمخشري (٣/٣٤٨).

لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به[1] ليقتدى به ولئلا يتهم بالبخل.

﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ يدفعونها بها، قال:

إنَّ العداوَةَ تستحيلُ مودةً بتدارك الهَفَواتِ بالحسنات[2]

وفي الحديث: «أتبع الحسنة السيئة تمحها»[3]، وعن الحسن: «إذا حُرموا أعطوا، وإذا ظُلموا عفوا، وإذا قُطعوا وصلوا»[4]. وعن ابن كيسان[5]: «إذا أذنبوا

---

(١) قاله البيضاوي (١/٥٠٦).

والظاهر -والله أعلم- أن الآية عامة فمتى كانت المصلحة في الإسرار بالصدقة أسر بها، ومتى كانت المصلحة في الإعلان أعلن بها.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/١٥٣ رقم ٢١٣٩٢)، والترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في معاشرة الناس (٦/٢٠٤ رقم ١٩٨٨)، والدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب في حسن الخلق (٢/٤١٥) عن أبي ذر -ﷺ- بلفظ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها». وقال الترمذي: حسن صحيح. اهـ.

ورواه الإمام أحمد (٥/٢٣٦ رقم ٢٢١١٢)، والترمذي (الموضع السابق) من حديث معاذ -ﷺ-.

(٤) رواه البغوي في تفسيره (٤/٣١٣)، وذكره الزمخشري (٣/٣٤٨)، وأبو حيان (٥/٣٧٧).

وبنحو هذا المعنى في الآية قال كثير من المفسرين.

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٧)، تفسير الطبري (١٦/٤٢٢)، زاد المسير (٤/٣٢٤).

(٥) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوي، أخذ النحو عن المبرد وثعلب، وكان =

تابوا»[1]. والأوجه الإطلاق[2].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ ﴾ خبر ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ ﴾ أو صفة ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3] والأول أوجه[4]. والمعنى: عاقبة[5] الدار وما ينبغي أن يكون

يحفظ المذهب البصري، والكوفي في النحو. توفي عام ٢٩٩هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: تاريخ بغداد (٢٣٥/١)، بغية الوعاة (١٨/١).

(١) ذكره الواحدي في البسيط (٧١٢/٢)، والزمخشري (٣٤٨/٣)، والبغوي (٣١٣/٤)، وابن الجوزي (٣٢٥/٤)، وأبو حيان (٣٧٧/٥).

(٢) اختاره القزويني في الكشف (٥٦/ب)، والألوسي في روح المعاني (٢٠٤/١٣).

(٣) أي أن قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ صفة لقوله: ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ويكون قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ ﴾ استئنافاً لبيان مآلهم.

وانظر القولين في: الكشاف (٣٤٧/٣)، تفسير البيضاوي (٥٠٦/١)، البحر المحيط (٣٧٥/٥)، الدر المصون (٤٣/٧).

(٤) قاله الزمخشري (٣٤٧/٣).

قال القزويني في الكشف (٥٦/أ): "قوله: "والأول أوجه" لرعاية التقابل بين الطائفتين، وحسن العطف في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ ﴾ سورة الرعد، من الآية (٢٥)، وجريهما على استئناف الوصف للعالم ومن هو كأعمى". اهـ.

وانظر: فتوح الغيب ص(٥١٨).

(٥) ص: عافية.

مآباً، والدار هي الدنيا[1].

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ بدل من ﴿ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[2]، أو مبتدأ خبره ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾[3]، و ﴿ عَدْنٍ ﴾ مصدر عَدَن: إذا أقام[4]، وسميت جنات عدن لأنها دار الإقامة لا ارتحال عنها[5].

﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ عطف على فاعل ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾؛ وساغ للفصل بالمفعول، أو نصب لأن الواو بمعنى مع[6]. والأنساب

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٤٨)، تفسير البيضاوي (١/٥٠٦).

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن (٣/١٤٧)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/١٧٠)، والزمخشري (٣/٣٤٩).

(٣) كذا قال العكبري في التبيان (٢٧٥٧)، والبيضاوي (١/٥٠٦)، وأبو حيان (٥/٣٧٧). ذكروا القول الأول وجوزوا الثاني.

(٤) ق: إذا قام.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٤٧).

(٦) انظر الوجهين في: معاني القرآن للزجاج (الموضع السابق)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٤٣)، البيان لابن الأنباري (٢/٥١)، التبيان للعكبري (٢/٧٥٧)، تفسير البيضاوي (١/٥٠٦)، البحر المحيط (٥/٣٧٨).

إذا تجردت عن العمل الصالح لا تفيد، وإذا قارنها أدنى عمل صالح نفعت[1]، ولذلك قال رسول الله ﷺ لأبي طالب لما حضرته الوفاة: «قل[2] لي كلمة واحدة أحاج لك بها عند الله»[3]، وبه يحصل[4] التوفيق بين قوله: «من بَطَّأَ به عملُه لم يُسْرِع به نسبُه»[5] وبين قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ[6] أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[7].

وقولـــه: "ساغ"، أي: ساغ العطف عليه دون التوكيد بالضمير المنفصل للفصل بالمفعول به، وهو الضمير في: ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾.

(١) في قولـــه: "أدنى عمل صالح نفعت" نظرٌ فقد تنفع وقد لا تنفع، وليس هناك ما يدل على الجزم بنفعها.

وانظر: روح المعاني (١٣/٢٠٥-٢٠٦).

(٢) ص: الوفاة بإيمان قل لي... إلخ وهي زيادة لا حاجة لها، وسيأتي بعد قليل إسقاطها من آية سورة الطور ولعله حصل انتقال نظر للناسخ في هذا الموضع.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ص: تحصيل.

(٥) رواه مسلم، كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٤/٢٠٧٤ رقم ٣٨) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٦) كلمة (بإيمان) لم تكتب في ص.

(٧) سورة الطور، من الآية (٢١).

﴿ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ من أبواب منازلهم للبشارة فوجاً فوجاً لزيادة الإكرام وتكميل السرور، أو من كل باب من أبواب التحف[1] التي لا عين رأت ولا أذن سمعت.

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ قائلين هذا القول[2] تهنئة بالسلامة الدائمة ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي: هذا بما صبرتم[3] واحتملتم من المشاق، أو متعلق بـ ﴿ عَلَيْكُم ﴾؛ لأنه ظرف مستقر فيتعلق بـ ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ معنى[4]، أو بـ ﴿ سَلَٰمٌ ﴾[5] والفصل بالجار والمجرور مغتفر[6]، كما في قوله:

---

(١) ذكر القولين البيضاوي في تفسيره (١/٥٠٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/٣٣٠)، معاني القرآن للأخفش (٢/٥٩٧)، غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٧)، تفسير الطبري (١٦/٤٢٤).

(٣) قاله الزمخشري (٣/٣٤٩)، وابن عطية (٣/٣١٠)، وأبو حيان (٥/٣٧٨) وغيرهم.

(٤) نقله الواحدي في البسيط (٢/٧١٥) عن النحويين.

وانظر: التبيان للعكبري (٢/٧٥٧)، والدر المصون (٧/٤٤).

(٥) جوَّزه الزمخشري (٣/٣٤٩).

(٦) قال القزويني في الكشف (٥٦/ب): "إن ﴿ عَلَيْكُم ﴾ نظراً إلى الأصل غير أجنبي فلذلك جاز =

.... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ[1]

﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ من كلام الملائكة، ويحتمل أن يكون ابتداء كلام[2] منه تعالى للترغيب.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ هؤلاء مقابلو[3] أولئك، المتصفون بأضداد ما وصفوا به.

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ من صلة الأرحام وسائر الحقوق ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بإلقاء الفتن والهَرْج[4].

أن يفصل به".

(١) عجز بيت لأبي الأسود الدؤلي -على الأشهر- وصدره:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثلَهُ ....

انظر: ديوانه ص (٤٠٤)، وذكره سيبويه في الكتاب ونسبه للأخطل (٣/٤١-٤٢). ونُسب لغيرهما.

راجع: معاني القرآن للفراء (١/٣٤)، تفسير الطبري (١/٥٦٩)، الخزانة (٣/٦١٩).

(٢) ق: الكلام.

(٣) في الأصل: مقابلون.

(٤) ص: والهجرج.

والهرج: القتل. انظر: معجم مقاييس اللغة (هرج) (٦/٤٩).

﴿ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ ﴾ الطرد والحرمان، واستعماله باللام لتضمين[1] معنى اللصوق[2] ﴿ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥ ﴾ سوء عاقبة الدار؛ لأنه في مقابلة ﴿ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ أو عذاب جهنم[3].

﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ لا غير، بيانٌ لموجب أَشَرِهم؛ كانوا في ضيق من العيش يسر لهم رحلة الشتاء [والصيف][4]، وآمنهم من خوف فكان اللائق بحالهم استدامة ذلك بالشكر.

﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله ورحمته[5] ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ في جنبه وبالقياس إلى نعيمها

---

(١) ق: لتضمينه.

(٢) في ق: الكلمة غير واضحة.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٥٠)، تفسير البيضاوي (١/٥٠٦).

قال أبو حيان (٥/٣٧٩): "﴿ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ أي: الدار السوء وهي النار، أو سوء عاقبة الدار، وتكون دار الدنيا". اهـ.

(٤) زيادة في ق.

(٥) انظر: الكشاف (٣/٣٥٠)، زاد المسير (٤/٣٢٦).

﴿ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ شيء نزر يتمتع به سريع الزوال كرائحة الورد والرياحين.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ بعد ما شاهدوا خوارق كانشقاق القمر والقرآن المعجز الباهر ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ أي: قل لهم لا قصور في الآيات التي جئت بها، ولكن الإضلال من الله فإذا شاء إضلال أحد لا سبيل إلى هدايته، وأنتم من ذلك القبيل ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ رجع عن العناد وعلم أن مدعي النبوة لابد له من أمر معجز للبشر عن الإتيان بمثله أيِّ نوعٍ كان لتشارك الآيات كلها في معنى الإعجاز.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بدل مِنْ: ﴿ مَنْ ﴾[1]، أو خبر مبتدأ محذوف[2]، أو الكلام[3] قد تم عند قوله: ﴿ مَنْ أَنَابَ ﴾ ثم ابتدأ بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ في

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن (١٤٧/٣)، والطبري (٤٣٢/١٦)، والنحاس في إعراب القرآن (١٧١/٢)، والزمخشري (٣٥١/٣)، وابن عطية (٣١١/٣) وغيرهم.

(٢) ذكر هذا الوجه والذي قبله البيضاوي (٥٠٧/١).

(٣) ق: إذ الكلام.

مقابلة ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1].

﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ بالقرآن أو بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[2]، وهذا الوجه يناسب الإنابة كما أن الوجه الأول شديد الملائمة لقوله[3]: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[4]، ويحتمل أن يكون الذكر بمعنى الدليل أي: تطمئن قلوبهم بدلائله الدالة على وحدانيته[5]؛ لأن الكلام مع الكفار الذين لم

---

(١) انظر: الأوجه جميعاً في الدر المصون (٧/٤٦).

(٢) سورة الزمر، من الآية (٢٣).

والوجهان ذكرهما الزمخشري (٣/٣٥١)، والبيضاوي (١/٥٠٧).

(٣) ق وَ ص: بقوله.

(٤) قاله القزويني في الكشف (٥٧/أ)، ومناسبة الوجه الأول ذكرها الطيبي في فتوح الغيب ص(٥٢٥).

(٥) قاله الزمخشري (٣/٣٥١)، والبيضاوي (١/٥٠٧).

ولعل الراجح أن المراد هنا هو القرآن لأمرين:

الأول: أن سياق الآيات يدل على ذلك فقد قال تعالى بعد ذلك: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ... وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ =

ينظروا في ملكوت السماوات والأرض بعين الاستبصار.

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾ أتى بحرف التنبيه إيقاظاً للكفرة المستغرقين في قلق الشبهات.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ بدل من ﴿ ٱلْقُلُوبُ ﴾ بتقدير المضاف[1] إما لأن القلوب المذكورة قلوب المؤمنين أو لادعاء أن قلوب هؤلاء الأجلاء كل القلوب؛ لأن الكفار أفئدتهم هواء، وعلى هذا قوله: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾ جملة اعتراضية، كأنه قيل: كيف لا؟ ولا

ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ .... ﴾ سورة الرعد، من الآيتين (٣٠-٣١).

الثاني: أنه شامل للقولين الآخرين: فليس بينه وبينها تعارض، ففي القرآن بيان رحمة الله وفضله وكرمه، وفيه الدلائل على وحدانيته -تعالى- ووجوب إفراده بالعبادة.

(١) جوَّزه الزمخشري (الموضع السابق)، وأبو حيان (٥/٣٨٠) وغيرهما.

قال الزمخشري: "ويجوز أن يكون بدلاً من القلوب على تقدير حذف المضاف أي: تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا". اهـ.

اطمئنان [للقلوب][1] إلاّ بذكره[2]، أو مبتدأ ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ خبره[3].

طوبى مصدر على وزن فُعْلى كزُلفى وبُشْرَى، من طاب، والواو أبدلت[4] من الياء لضمة ما قبلها[5]، وروى الإمام[6] أحمد أن رجلاً قال: يا رسول الله طوبى لمن رآك قال: «بلى، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني». قال رجل: وما طوبى؟

(١) زيادة من ص وَ ق وهي موافقة للمرجع الآتي.

(٢) لم يتبين لي صحة كون قولــه -تعالى-: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ جملة اعتراضية على هذا الوجه، وما ذكره المؤلف هنا ساق نحوه القزويني في الكشف (٥٧/أ) في معرض بيان وجه آخر فقال: "أن يتم الكلام عند قولــه: ﴿ مَنْ أَنَابَ ﴾ ثم قيل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم ﴾ في مقابلة ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ... ﴾، قولــه: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ جملة اعتراضية تفيد: كيف لا تطمئن قلوبهم به ولا اطمئنان للقلب بغيره، وقولــه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بدل من الأول، وفيه إشارة إلى أن ذكر الله أفضل الأعمال الصالحة بل هو كلها، و ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ خبر الأول... إلخ".

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن (٢/١٧١)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٤٣)، والزمخشري (٣/٣٥١)، وابن عطية (٣/٣١١)، والعكبري في التبيان (٢/٧٥٨)، والبيضــاوي (١/٥٠٧)، وأبو حيان (٥/٣٨٠).

(٤) ص: وأبدلت.

(٥) فهي فُعلى من الطيب.
قال الأزهري (طاب) (١٤/٣٩): "وطوبى كانت في الأصل طُيبــى فقلبت الياء واواً لانضمام الطاء".
وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٤٨)، معاني القرآن للنحاس (٣/٤٩٤)، الكشاف (٣/٣٥١)، زاد المسير (٤/٣٢٨).

(٦) ص: إمام.

قال: «شجرة في الجنة»[1]. وعن ابن عباس وأبي هريرة: "في كل دار منها

---

(١) رواه الإمام أحمد (٧١/٣ رقم ١١٦٩١)، وأبو يعلى (٥٢٠/٢ رقم ١٣٧٤) من حديث ابن لهيعة حدثنا درَّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد -رضي الله عنه-.

ورواه ابن جرير (٤٤٣/١٦) من قوله: "وما طوبى؟"... إلخ من حديث عمرو بن الحارث أن درَّاجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد -رضي الله عنه-.

وهذا الإسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة فإنه خلط بعد احتراق كتبه. انظر: التقريب ص(٣١٩).

ولضعف درَّاج فإنه متكلم فيه، وقد قال الحافظ في التقريب ص(٢٠١): "في حديثه عن أبي الهيثم ضعف". اهـ.

وانظر: الكلام على الحديث في المسند لأحمد ط. الرسالة (٢١١/١٨)، ومسند أبي يعلى (الموضع السابق).

وقد روى ابن جرير (٤٤٢/١٦-٤٤٣) حديثين آخرين عن رسول الله ﷺ فيهما أن طوبى شجرة في الجنة. قال محمود شاكر عن إسناد الأول: هذا إسناد جيد". اهـ.

وقد روى ابن جرير أيضاً هذا القول عن ابن عباس وأبي هريرة -رضي الله عنهم- وشهر بن حوشب وشمر بن عطية ومغيث بن سُمَيّ ووهب بن منبه وغيرهم. (٤٣٧/٦-٤٤١).

وهو قول عبيد بن عمير والكلبي وأبي صالح ومقاتل.

انظر: البسيط (٧٢٠/٢)، تفسير البغوي (٣١٦/٤)، زاد المسير (٣٢٨/٤).

غصن"[1].

﴿ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ مرجع وطيب عيش.

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ مثل ذلك الإرسال أرسلناك، أي: ليس إرسالك شأنه خفياً بل من كذبك إنما يكذبك عناداً وحسداً ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[2].

﴿ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ ﴾ كثيرة ﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ من الكتاب والحكمة فأنت آخر الرسل وأمتك آخر الأمم لا تدع[3] في الدين شبهة؛ لأنه لا نبي بعدك ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ البالغ الرحمة الذي أرسلك رحمة للعالمين، ولهذا المعنى التفت من التكلم إلى الغيبة مع

---

(١) لم أقف عليه، وقد رواه ابن جرير (١٦/٤٣٨) عن مغيث بن سُمَيّ، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن سيرين.

انظر: الدر المنثور (٤/٦٤٤).

(٢) سورة الأنعام، من الآية (٣٣).

(٣) ص: لا يدع.

رعاية خصوص هذا الاسم[1]، وكما تفرد المرْسَل من بين الرسل كذلك كتابه لا يضاهيه كتاب.

﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى ﴾ ذلك الموصوف بتلك الرحمة سيدي والمتصرف فيّ ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا يستحق أحد الألوهية سواه ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ عليه اعتمدت في أموري وإليه مرجع الخلق وهو المجازي.

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي: لو كان شيء من الكتب التي تقرأ سيرت به الجبال [عن][2] مقارِّها أو قطعت به الأرض قطعاً ومزقت[3] تمزيقاً ﴿ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ فتسمع وتجيب لكان ذلك هذا القرآن العربي المبين[4]؛ لكونه في الطبقة العليا في

---

(١) انظر: الكشف للقزويني (٥٧/ب).

(٢) ساقطة من ص.

(٣) ق: وتمزقت.

(٤) روى ابن جرير (١٦/٤٤٩) نحو هذا القول عن قتادة والضحاك وابن زيد، وقاله الفراء. معاني القرآن (٢/٦٣)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٢٧)، والزجاج (٣/١٤٨)، والنحاس في =

باب التذكير،وهذا تصريح بما أشير إليه في قوله: ﴿ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ من تعظيم القرآن[1]، وسيشيّد[2] أركانه بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾[3].

وقيل: معناه ولو أن قرآناً وقع به سير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم[4] الموتى لما آمنوا به لشدة عنتهم، متعلق[5] بقوله: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ بياناً لتصميمهم على الكفر بعد ظهور/ الآيات[6].

إعراب القرآن (٢/١٧٢)، والزمخشري (٣/٣٥٢)، ونسبه الواحدي في البسيط للأكثر (٢/٧٢٤).

(١) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(٢) ص: وسيشد.

(٣) سورة الرعد، من الآية (٣٧).

(٤) ص: وتكلم.

(٥) ص: متعلقة.

(٦) جواب ﴿ لَوْ ﴾ في هذه الآية إما أن يكون محذوفاً وللعلماء في تقديره طريقان:

الأول: وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ... لكان هذا القرآن، وقد سبق قريباً ذكر من قال بهذا القول.

=

وقيل: إن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: سيرّ بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبياً كما تزعم فلست أهون على الله منه، أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام ونتجر، ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز كما سخرت لسليمان، أو ابعث لنا رجلين أو ثلاثة من آبائنا منهم قصي بن كلاب[1] فنزلت[2]. ومعنى تقطيع الأرض على هذا

الثاني: وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ... لما آمنوا به، وهو قول الزجاج في معانـي القرآن (١٤٨/٣).

وإما أن يكون جوابها متقدماً وهو قوله: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴾، وهذا الوجه جوزه الفراء في معاني القرآن (٦٣/٢)، وسيذكره المؤلف قريباً.

وقد ساق الزمخشري (٣٥٢/٣)، والبيضاوي (٥٠٨/١) الأوجه الثلاثة.

(١) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، انتهت إليه سيادة قريش ورياستهم، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي، وكانت لـه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، بنى دار الندوة وجعل بابها إلى المسجد فكانت قريش تقضي أمورها فيها، مات بمكة ودفن بالحجون.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦٦/١)، السيرة لابن هشام (١٥٣/١)، وما بعدها، الأعلام (١٩٨/٥).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النـزول عن الزبير بن العوام -رضي الله عنه- بنحوه مطولاً ص(٢٨٠)، وذكره البغوي في تفسيره دون عزو (٣١٩/٤)، وروى ابن جرير (٤٤٩/١٦) عن قتادة والضحاك وابن زيد نحوه، وذكره الزمخشري في الكشاف (٣٥٢/٣).

قطعها بالسير[1].

وعن الفراء: أنه متعلق بما قبله، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآناً سيرت به الجبال[2][3]، فعلى هذا هي جملة حالية وجواب الشرط محذوف لدلالة السابق عليه وما بينهما اعتراض[4]،

﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ التأثير لا يشاركه أحد، وله القدرة على كل شيء، وإنما لم تقع الآيات المقترحة لعلمه بأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية.

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (الموضع السابق).

(٢) ص: الجبال أو قطعت به فعلى... إلخ.

(٣) معاني القرآن للفراء (٦٣/٢)، وقال الزمخشري (٣٥٢/٣): "وليس ببعيد من السداد". وقد قال الفراء في بيان هذا الوجه: " لم يأت بعده جواب للو، فإن شئت جعلت جوابها متقدماً: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ ولو أننا نزلنا عليهم الذي سألوا، وإن شئت كان جوابه متروكاً؛ لأن أمره معلوم... إلخ". وقال الطبري (٤٤٦/١٦) في بيان هذا القول: "... قالوا: هو من المؤخر الذي معناه التقديم، وجعلوا جواب ﴿ لَوْ ﴾ مقدماً قبلها، وذلك أن الكلام على معنى قيلهم: ولو أن هذا القرآن سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض لكفروا بالرحمن". اهـ.

(٤) انظر: الكشف للقزويني (٥٨/أ).

﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ألـم يعلـم، لغة نخع[1]، قال سُحَيْم[2]:

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٣٣٢/١)، غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٧)، تفسير الطبري (٤٥١/١٦)، معاني القرآن للزجاج (١٤٩/٣).

في حاشية الأصل وَ ص: النخع بفتح النون وسكون الخاء المعجمة: اسم قبيلة، وكذا زهدم. منه.

والظاهر أن مراده أن زهدم مثلها في الشكل بفتح أوله وسكون ثانيه؛ لأن زهدم -تأتي في البيت الذي سيذكره المؤلف- اسم فرس كما ذكر العلماء.

انظر: الحاشية القادمة.

وأما النخع فالذي وقفت عليه من ضبطها أنها بفتح النون والخاء كما في اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٣٠٤/٣)، وفتوح الغيب ص(٥٢٩)، والكشف للقزويني (٥٨/أ)، والقاموس المحيط (نخع) ص(٩٨٩)، ولب الألباب للسيوطي (٢٩٤/٢).

وقبيلة النخع هم بنو النخع واسمه: جَسْر بن عمرو من بني كهلان، كانت منازلهم بأرض اليمن، ثم انتقلوا إلى الكوفة بعد الإسلام وانتشر ذكرهم هناك.

انظر: الجمهرة لابن حزم (٤١٤)، التعريف في الأنساب ص(٢٠٤).

(٢) في ص زيادة: بن، وفي ق: بن وثيل.

سحيم بن وثيل الرياحي، قال ابن حجر: بالمثلثة مصغراً (وضبطه أحمد شاكر في الشعر والشعراء بفتح الواو وكسر الثاء)، شاعر مخضرم قيل: عاش في الجاهلية أربعين سنة، وفي الإسلام ستين سنة. =

أقولُ لهم بالشِّعْب إذ يَيْسِرُونَنِي ألم ييأَسُوا أَنِّي ابنُ فارس زَهْدَمِ[1]

أو لأن الآيس عن الشيء عالم بأنه لا يكون[2]. والاستفهام[3] للتقرير نحو: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[4].

انظر: الشعر والشعراء (٦٤٣/٢)، الإصابة (١١٠/٢)، ط. دار الفكر ١٤٠٩هـ.

(١) انظر: مجاز القرآن (٣٣٢/١)، تأويل مشكل القرآن ص(١٩٢)، تفسير الطبري (٤٥٠/١٦)، المحتسب (٣٥٧/١)، وفيها: "يأسرونني".

وانظر أيضاً: الكشاف (٣٥٣/٣)، أساس البلاغة (يأس) ص(٥١١)، لسان العرب (يأس) (٢٦٠/٦)، البحر المحيط (٣٨٢/٥)، وفيها: "ييسرونني".

فقوله: ييسرونني أي: يقتسمونني ويجعلونني أجزاء، وقوله: يأسرونني من الأسر، قال في اللسان (الموضع السابق): "وأما قوله: إذ ييسرونني فإنما ذكر ذلك لأنه كان وقع عليه سِباءٌ فضربوا عليه بالميسر يتحاسبون على قسمة فدائه، وزهدم اسم فرس". اهـ.

وقد وقع اختلاف في نسبة البيت فمنهم من ينسبه إلى سحيم، ومنهم من ينسبه إلى ولده: جابر بن سحيم، كما اختلفوا في نسبة الفرس أيضاً فقيل لسحيم، وقيل لأحد آبائه، قال محمود شاكر في حاشيته على الطبري (٤٥٠/١٦): "ولو صحت نسبة الشعر لسحيم لكان زهدم فرس أبيه وثيل، وهذا الشعر ينسب إلى جابر بن سحيم فإن صح ذلك صح أن زهدم فرس سحيم". اهـ.

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن (٦٤/٢)، والزجاج في معاني القرآن (١٤٩/٣) كلاهما بمعناه.

(٣) ص وَ ق: بحذف الواو.

(٤) سورة الزمر، من الآية (٣٦).

﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: علموا ذلك، ويجوز أن يتعلق بـ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾[1]، والمعنى: أو لم يقنط المؤمنون بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً عن إيمان هؤلاء المعاندين[2].

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ من سوء الأعمال ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية[3]، وفي الحديث: «من لم يغزُ ولم يجهز غازياً أصابه الله بقارعة»[4] [وأصله: الضرب بشدة[5]، ومنه ما قاله عبدالملك بن مروان[6] في وصف سيف

(١) أي قوله: ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

(٢) جوزه الزمخشري (٣/٣٥٣).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٢٢٨)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٤٩)، الكشاف (الموضع السابق).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو (٢/١٣ رقم ٢٥٠٣) وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب التغليظ في ترك الجهاد (٢/٩٢٣ رقم ٢٧٦٢) والدارمي، كتاب الجهاد، باب فيمن مات و لم يغزو (٢/٢٧٥ رقم ٢٤١٨) عن أبي أمامة -رضي الله عنه-، ورجاله ثقات.

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (قرع) (٥/٧٢).

(٦) عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد الخليفة الأموي، ولد عام ٢٦هـ، روى عن عثمان وأبي هريرة، وجماعة من الصحابة -رضي الله عنهم-، تملك بعد أبيه الشام ومصر، واستتب له =

الزبير:

.... بهنَّ فُلُولٌ][1] مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ[2]

﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ فيقلقون منها، وذلك أن رسول الله كان يرسل السرايا فتصيب أموال أهل مكة أو يخطف من حولها[3]، وقيل: أو تحل أنت يا محمد [بجيشك][4] قريباً من دراهم وذلك عام الحديبية[5]. ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ﴾ وهو فتح مكة[6].

أو لا يزال هؤلاء المشركون تصيبهم باقتراحهم داهية مهلكة كما أصابت أربد وصاحبه عامر بن الطفيل وكما أصابت المستهزئين، وعلى هذا ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ أنت يا محمد نزوله[7] بالمدينة وإقامته بها[8] ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ﴾ ظهور

الأمر بعد مقتل ابن الزبير عام ٧٢هـ. وتوفي في عام ٨٦هـ.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٢٢٣) سير أعلام النبلاء (٤/٢٤٦).

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٢) عجز بيت للنابغة تقدم ص(٣٤٤).

(٣) روى ابن جرير (١٦/٤٥٩-٤٦٠) عن قتادة عن الحسن قال: "أو تحل القارعة".

(٤) ساقط من ق.

(٥) رواه ابن جرير (١٦/٤٥٦-٤٥٩) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير كلهم دون ذكر الجيش وعامِ الحديبية، كما رواه هو وعبدالرزاق في التفسير (١/٢/٣٣٧) عن قتادة.

(٦) رواه ابن جرير (الموضع السابق) عن المذكورين آنفاً غير عكرمة وسعيد بن جبير.

(٧) ق: نزله.

(٨) انظر: الحاشية رقم (٧) من الصفحة السابقة.

أمرك، أو موتهم أو القيامة(١)، أو فتح مكة(٢)، وهذا أوجه لأن السورة مكية(٣).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٣١ ﴾ تذييل لتحقيق الموعود.

﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ تنفيساً لـه عما كان يقاسيه من عناد الكفرة، والإملاء: الإمهال(٤)، والمعنى: تركتهم ملاوة من الزمان(٥) في خفض العيش كإملاء البهيمة في المرعى [تأكل](٦).

﴿ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٣٢ ﴾ عقابي إياهم، أي: كان

---

(١) رواه ابن جرير (١٦/٤٦٠) عن الحسن.

وانظر: تفسير البغوي (٤/٣٢٠)، زاد المسير (٤/٣٣٢).

(٢) راجع الحاشية رقم (١) في هذه الصفحة.

(٣) راجع الخلاف في ذلك ص(١١٠٣)، وكيف يستقيم هذا مع قوله: "كما أصابت أربد وصاحبه عامر بن الطفيل"، وهي قصة مدنية؟ وسيأتي ص (١١٩٤) إشارة من المؤلف إلى أن السورة مدنية.

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/٣٣٣)، غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٢٨)، تفسير الطبري (١٦/٤٦١)، لسان العرب (ملا) (١٥/٢٩٠).

(٥) في لسان العرب (الموضع السابق): الملاوة مثلثة الميم وهي: مدة العيش.

وانظر: مجاز القرآن، تفسير الطبري (الموضعين السابقين).

(٦) ساقطة من ق وَ ص.

شديد فظيعاً.

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أفمن هذه أفعاله كشركائهم حتى يكفروا به وبآياته ويعرضوا عنه وعن الخضوع لكبريائه؟ كأنه قال: لا عجب في إنكارهم آياتك بعد ظهورها، إنما العجب كل العجب جعلهم القادر على إنزال تلك الآيات المجازي لهم على إعراضهم عن التدبر فيها كمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً [عن](١) أن يرجى منه جلب نفع أو دفع ضر، فالخبر محذوف(٢).

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ استئناف، ويجوز أن يقدر ما يقع خبر المبتدأ ويعطف عليه: ﴿ وَجَعَلُواْ ﴾، كأنه قيل: أفمن هو بهذه الصفات لم يوحدوه ولم يمجدوه وجعلوا لـه شركاء(٣).

﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ أمر تعجيز إذ لا أسماء لها، والقصد تحقيرها بأنها من

(١) ساقطة من ق.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٤)، معاني القرآن للأخفش (٢/٥٩٨)، تفسير الطبري (١٦/٤٦٢)، إعراب القرآن للنحاس (٢/١٧٢)، الكشاف (٣/٣٥٤).

(٣) جوزه الزمخشري في الكشاف (الموضع السابق).

الدناءة بحيث لا تستحق[1] أن تسمى وتذكر باسم.

﴿ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ بل أتنبئونه بشركاء[2] لا يعلمهم ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وهو العالم بما في السماوات والأرض ﴿ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون تحته طائل بل [هو][3] مجرد صوت فارغ كقوله: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾[4]، وهذا استدلال بديع في أسلوب غريب، فإنه هدم قاعدة الإشراك بقوله: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ ﴾ فإنه احتجاج من طرف الحق، ثم كرَّ عليه بالإبطال من طرف النقيض بأن من لا يجوز لـه شريك قد أشركوا به شركاء لا أسماء لها فضلاً عن المسمَّى، ثم بالغ في نفيها بأنْ نَفَى العلم بوجودها ليلزم منه نفي المعلوم على طريقة الكناية، وسلك في ذلك مسلك الإنكار توبيخاً لهم بأنهم يريدون أن ينبئوا عالم السر والخفيات بما لا يعلمه، وذلك محال آخر، ثم قال: ليس ما يقولونه كلاماً يلتفت

(١) ق وَ ص: يستحق.

(٢) ص: بشركائهم.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) سورة التوبة، من الآية (٣٠).

إليه ويتأمل، بل مجرد صوت"[1]، ثم أضرب عن ذلك كله وأشار إلى ما هو الملاك في ذلك الضلال بقوله: ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ ﴾ كيدهم للإسلام بشركهم"[2] ﴿ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سبيل الحق. قرأه الكوفيون بضم الصاد والباقون بالفتح[3]، والضم أوجه لمناسبة ﴿ زُيِّنَ ﴾، ولأن الكلام في ضلالهم لا إضلالهم ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ يوفقه لسلوك سبيل الرشاد، وقف عليه ابن كثير بالياء[4].

﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بالأسر والقتل وسائر الدواهي ثمرة ذلك الضلال ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ﴾ لشدته ودوامه ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٥٤)، فتوح الغيب ص(٥٣٤)، الكشف للقزويني (٥٩/أ).

(٢) كذا في ق، وفي الأصل وَ ص بدون الباء، وقد أثبت ما في ق لأنه الأقرب للسياق ولموافقته ما في الكشاف (٣/٣٥٥)، وتفسير البيضاوي (١/٥٠٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/٤٦٧)، السبعة ص(٣٥٩)، التيسير ص(١٠٨).

(٤) وبالتنوين في حالة الوصل، والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء.

انظر: السبعة ص (٣٦٠)، التيسير ص(١٠٨)، الإقناع (٢/٦٧٥)، إتحاف فضلاء البشر ص(٣٣٩).

وقد وقع في حاشية الأصل: وكذا في الوصل.

فإن كان المراد أن ابن كثير كذلك يصل بالياء فهو خلاف ما وقفت عليه في المراجع السابقة وغيرها. والله أعلم.

﴿ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ حافظ من عذابه[1]، أو ما لهم من جهته واق من رحمته فـ﴿ مِن ﴾ ابتدائية، وقد وقف ابن كثير عليه بالياء أيضاً[2].

* ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ مبتدأ وخبر على طريقة قولك: صفةُ زيدٍ/ أسمرُ طويل[3]، وعن سيبويه: فيما قصصنا عليكم مثل الجنة[4]، و﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ حال من المحذوف من ﴿ وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ ﴾[5]، وعن الزجاج: مثلُ الجنةِ جنةٌ تجري من تحتها الأنهار[6].

---

(١) ق: عذاب.

(٢) في حاشية الأصل: وكذلك الوصل.
وراجع ما تقدم حاشية رقم (٤) ص(١١٨٥).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٦٥/٢)، معاني القرآن للزجاج (١٤٩/٣-١٥٠)، تفسير الطبري (٤٦٩/١٦)، إعراب القرآن للنحاس (١٧٣/٢)، مشكل إعراب القرآن (٤٤٤/١).

(٤) انظر: الكتاب (١٤٣/١)، معاني القرآن للزجاج (١٤٩/٣)، إعراب القرآن للنحاس (الموضع السابق)، الكشاف (٣٥٥/٣)، والبيضاوي (٥٠٩/١) وغيرهم.

(٥) أي:وُعِدها المتقون.
انظر: التبيان للعكبري (٧٥٩/٢)، البيضاوي (الموضع السابق).

(٦) انظر: معاني القرآن (١٥٠/٣).

﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ لا ينقطع[1] ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ كذلك ليس كظل الدنيا ينسخها الشمس ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾ أي: الموصوفةُ عاقبةُ حال المتقين ومآلُ أمرهم ﴿ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ لم يصف النار لأنها ذكرت بالعرض بعد ذكر الجنة قصداً.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ لأنه مصدِّقٌ لكتابهم فيوقنون بأنه الكتاب الموصوف في كتابهم، أراد موقني أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى[2]، قيل: هم ثمانون رجلاً أربعون من نجران وثمانية من اليمن واثنان وثلاثون من الحبشة[3].

---

(١) في حاشية الأصل وَ ص: قرأه الكوفيون وابن عامر بضم الكاف. وقرأ باقي السبعة بسكونها.

انظر: السبعة ص(١٩٠)، النشر ص(٧٠).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٥٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (الموضع نفسه)، تفسير البيضاوي (١/٥٠٩).

وقد ذكر بعض المفسرين أن هؤلاء النصارى هم الذين نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ =

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ وهم الذين تحزبوا على عداوة رسول الله أحبار اليهود(1) ﴿ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ ﴾ ما يخالف شريعتهم أو ما حرفوه من نعت رسول الله ﷺ ويقرون بما فيه من القصص والوقائع(2) ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ ﴾ جواب للمنكرين لـه كأنه قال: إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون(3)؟

ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ ...﴾ سورة آل عمران، من الآية (١٩٩)، ورُوي نحوه عن عطاء.

انظر: تفسير البغوي (١٥٥/٢)، الكشاف (٦٨٢/١)، زاد المسير (٥٣٣/١)، تفسير البيضاوي (١٩٧/١).

(١) لم أقف على من خص الأحزاب هنا بأحبار اليهود فقط، وأكثر المفسرين على أنهم إما كفرة اليهود والنصارى الذين جحدوا ما جاء به الرسول ﷺ، أو كفار المشركين، فلعل المؤلف -رحمه الله- أتى بها على سبيل التمثيل. والله أعلم.

انظر: تفسير الطبري (٤٧٣/١٦)، تفسير البغوي (٣٢٣/٤)، الكشاف (٣٥٥/٣)، زاد المسير (٣٣٥/٤)، البحر المحيط (٣٨٦/٥).

(٢) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣٥٦/٣)، تفسير البيضاوي (٥٠٩/١)، البحر المحيط (٣٨٧/٥).

﴿ إِلَيْهِ أَدْعُواْ ﴾ إلى عبادته أدعو لا إلى شيء سواه ﴿ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ مرجعي لا إلى غيره وأنتم قائلون[1] بذلك فلا وجه لإنكاركم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾ ومثل ذلك الإنزال أنزلناه، أصل الكلام مثل هذا الإنزال الذي يشاهدونه مشتملاً على التوحيد، وإنما جيء بالمثل زيادة في تفخيمه[2] ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ سماه عربياً لكونه مستفاداً منه، تسمية للحال[3] باسم المحل؛ لأن الألفاظ قوالب المعاني وأوعيتها، أو الحكم بمعنى المُحْكَم المتقن كالذكر الحكيم.

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ ما كانوا[4] يقولون لـه: "نعبد ربك إن عبدت آلهتنا". سماها أهواء؛ لأن الباعث على عبادتها ليس سوى الأهواء وخطرات النفوس.

﴿ بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بأنها أباطيل ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ ناصر يمنعك من عقابه ﴿ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ يحفظك من شر أعدائك، وهذا ونظائره من باب الإلهاب والتهييج لـه، وحث للسامعين على الثبات والتصلب في

---

(١) ق: قائمون.

(٢) قاله القزويني في الكشف (٥٩/أ) تعقيباً على كلام الزمخشري.

(٣) ص: الحال.

(٤) ص وَ ق: كانوا، بحذف ما.

الدين[1] وإلا فرسول الله قبل النبوة كان بمعزل عن ذلك فكيف به بعد تلك البراهين والحجج القاطعة[2]؟.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ كانوا يستبعدون[3] أن يكون الرسول بشراً لـه[4] أزواج وذرية فرده الله بأن الرسول إنما أرسل للتبليغ وليس من لوازم ذلك مخالفة بني نوعه بل كونه مثلهم في ذلك أدعى إلى المتابعة.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ[5] إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بإرادته إذ لا

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٥٦).

(٢) في حاشية الأصل وَ ص: قراءة ابن كثير بالياء وقفاً ووصلاً.

وقد سبقت الإشارة عند قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ آية (٣٣) إلى أن ما ذكره العلماء عن ابن كثير في هذه المواضع أنه ينون في الوصل، ويقف بالياء..

راجع ص(١١٨٥) حاشية رقم (٤).

(٣) ص: يستعبدون.

(٤) ق: ويكون لــه.

(٥) كلمة (آية) غير مكتوبة في ص.

كائن[1] بدون مشيئته ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ لكل أمد[2] حكم يكتب فيه على العباد على وفق ما اقتضته الحكمة.

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ينسخ ما يشاء ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما اقتضت حكمته إثباته[3]، وقيل: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس من الطاعات والمعاصي؛ لأنهم مأمورون بكتابة كل حركة وسكون ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[4][5]، وقيل: يمحو سيئات التائبين ويثبت مكانها الحسنات لقوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾[6][7].

---

(١) ص: ولا كائن، وَ ق: بحذف الواو وإذ.

(٢) ق وَ ص: أمر.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/٤٨٥)، الكشاف (٣/٣٥٦)، تفسير البغوي (٤/٣٢٤).

(٤) سورة ق، الآية (١٨).

(٥) رواه أبو صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وبه قال الضحاك والكلبي والفراء.

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٦)، البسيط (٢/٧٥٣)، تفسير البغوي (٤/٣٢٥)، زاد المسير (٤/٣٣٨).

(٦) سورة الفرقان، من الآية (٧٠)، والفاء في أول الآية ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ غير مكتوبة في النسخ.

(٧) رواه البغوي (٤/٣٢٥) عن عكرمة.

وقرأ[1] بالتشديد نافع وابن عامر وحمزة والكسائي[2]، وهو المختار لكونه أبلغ وللوفاق في قولـه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[3].

﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ أصل كل كتاب[4] وهو اللوح المحفوظ[5] أو علمه الشامل[6]، فإن اللوح من الكتب أيضاً.

وانظر: زاد المسير (٤/٣٣٨).

(١) ق: وقرأه.

(٢) قرأ هؤلاء الأربعة -رحمهم الله- بفتح الثاء وتشديد الباء، وقرأ باقي السبعة بسكون الثاء وتخفيف الباء.
انظر: السبعة ص(٣٥٩)، تفسير الطبري (١٦/٤٩٢)، التيسير ص(١٠٩).

(٣) سورة إبراهيم، من الآية (٢٧).
وانظر: الحجة لابن خالويه ص(٢٠٢)، البسيط (٢/٧٥١).

(٤) رواه الطبري (١٦/٤٩٠) بنحوه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة والضحاك.
وقال الواحدي في البسيط: "والعرب تسمي كل شيء ضم إليه سائر ما يليه أماً، من ذلك أمُّ الرأس وهو الدماغ وأمُّ القرى مكة، وكل مدينة هي أمُّ ما حولها من القرى، وكذلك أمُّ الكتاب هو أصل لكل ما كتب على ابن آدم وكل ما يجري من الكائنات والحادثات". (٢/٧٥٥).
وانظر: تفسير البغوي (٤/٣٢٦)، الكشاف (٣/٣٥٧).

(٥) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- البسيط (٢/٧٥٥)، وهو قول كثير من المفسرين.
انظر: تفسير البغوي، الكشاف (الموضعين السابقين)، زاد المسير (٤/٣٣٨).

(٦) روى ابن جرير (١٦/٤٩١) عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن (أم الكتاب) فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه: كن كتاباً فكان كتاباً".

وانظر: روح المعاني (١٣/٢٤٥).

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب في الدنيا كالقتل والأسر، أتى بـ ﴿ إِن ﴾ دلالة على عدم لزوم ذلك، وأكده بـ ﴿ مَّا ﴾ إشارة إلى أنه كائن لا محالة[1].

﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل وقوعه ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ لا غير ﴿ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ للمجازاة فلا عليك من إعراضهم ولا يهمنك شأنهم.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ ﴾ أي: قد رأوا ذلك وهو من آيات النصر وعلو الإسلام فما لهم لا يعتبرون[2]؟ وهذا دليل على أن

---

(١) قال الزجاج في معاني القرآن (٣/١٥٠): " ﴿ إِن ﴾ أدخلت عليها ﴿ مَّا ﴾ لتوكيد الشرط، دخلت النون مؤكدة للفعل". اهـ.

(٢) فمعنى الآية على هذا القول: ظهور المسلمين وقهرهم الكفار وفتح بلادهم وكونها ديار إسلام بعد أن كانت ديار حرب.

وقد روى هذا القول عكرمة والعوفي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وبه قال الضحاك والحسن، واختاره الفراء والطبري والزجاج والزمخشري وابن عطية والبيضاوي وأبوحيان وغيرهم.

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٦)، تفسير الطبري (١٦/٤٩٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٥١)، الكشاف (٣/٣٥٧)، المحرر الوجيز (٣/٣١٩)، تفسير البيضاوي (١/٥١٠)، البحر =

السورة مدنية إذ لم يكن قبل ذلك فتح بلاد[1].

﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ ﴾ لا مغير ولا مبطل، في محل النصب على الحال[2]، وأصل التعقيب: أن تعمل[3] عملاً ثم تعود فيه[4]، وفي الحديث سئل أنس عن التعقيب في رمضان[5]، وهو أن يصلي النافلة[6] بعد التراويح[7].

المحيط (٥/٣٨٩).

(١) راجع الخلاف في مكان نزول السورة ص (١١٠٣).

وراجع ما ذكره المؤلف ص(١١٨٢).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٥٨)، تفسير البيضاوي (١/٥١٠)، البحر المحيط (٥/٣٩٠).

(٣) ص: نعمل.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٦)، مجاز القرآن (١/٣٣٤)، معاني القرآن للنحاس (٣/٥٠٦).

(٥) في ص وَ ق زيادة: فنهى عنه. وهذه الزيادة لم أقف عليها، والذي وقفت عليه ما رواه ابن أبي شيبة (٢/١٦٧ رقم٧٧٣٣) عن أنس -ﷺ- أنه قال عن التعقيب: لا بأس به، وأخرجه الخطابي في غريب الحديث (٢/٥١٢) من طريق ابن المبارك عن هارون بن موسى عن مكحول عن أنس "أنه سئل عن التعقيب في رمضان فأمرهم أن يصلوا في البيوت".

(٦) ق: نافلة.

(٧) انظر: غريب الحديث للخطابي (٢/٥١٢)، النهاية (عقب) (٣/٢٦٧).

﴿ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم بعذاب السرمد[1].

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ كما يمكر هؤلاء ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ إذ كل مكر مضمحل دون مكره لتفرده بالتأثير ومكر غيره تخيل باطل ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ من الخير والشر، وقد أعد لكل جزاء[2].

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: العاقبة المحمودة، وهذا كالتفسير لمكره[3]، فإنه أخفى أمر العاقبة عنهم فوقعوا في الضلال المؤدي إلى النار، وقرأ الكوفيون وابن عامر ﴿ ٱلْكُفَّٰرُ ﴾[4] وهو أبلغ لكونه نصاً في الإفراد

---

(١) السرمد: الدائم.

انظر: لسان العرب (سرمد) (٣/٢١٢).

(٢) ص وَ ق: جزاءه.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٥٨)، تفسير البيضاوي (١/٥١٠).

والصواب إثبات الآية على ظاهرها، وأن نسبة المكر إليه تعالى حقيقة على بابه.

وراجع ما تقدم ص (٨٧).

(٤) بالجمع، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر ﴿الكافر﴾ بالإفراد.

انظر: السبعة ص(٣٥٩)، تفسير الطبري (١٦/٤٩٩)، التيسير ص(١٠٩).

ولموافقة قراءة ابن مسعود: "الكافرون"[1].

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً ﴾ كافتهم، وقيل: رؤساء اليهود[2] فالموصول معهود ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ فإنه أيدني بمعجزات دالة على رسالتي وهي شهادة لا تحتمل الريب ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ علم القرآن وما أُلف عليه من النظم المعجز، وهم الكفار الذين علموا إعجاز القرآن ولم يشهدوا، تعريض بأن الخصم لو أنصف كان شاهداً[3].

---

(١) ذكرها عنه الطبري (١٦/٥٠٠)، وابن عطية (٣/٣١٩)، وأبو حيان (٥/٣٩٠).

وذكرها الواحدي في البسيط (٢/٧٦١)، والزمخشري (٣/٣٥٨)، والبيضاوي (١/٥١٠) دون نسبة.

(٢) نقل هذا القول البيضاوي (١/٥١٠).

(٣) لم أقف على من ذكر أن الآية في الكفار، وعبارة الزمخشري في الكشاف كالتالي: "﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر". اهـ. (٣/٣٥٨) قال ابن المنير في الانتصاف بحاشية الكشاف (الموضع السابق): "فيكون المراد حينئذ جنس المؤمنين". اهـ.

ورجح القول بأنها في عموم المؤمنين ابنُ العربي في أحكام القرآن (٣/١١١٤)، وقال: "لأن كل مؤمن يعلم الكتاب ويدرك وجه إعجازه يشهد للنبي ﷺ بالصدق". اهـ.

وقيل: هم علماء أهل الكتاب الذين آمنوا(١)، فإنهم يشهدون بأنه المنعوت في كتبهم، وعن الحسن: هو الله(٢) الذي عنده العلم بما في اللوح المحفوظ، والعطف

وقد ذكر القزويني في الكشف (٥٩/أ) قريباً من الكلام الذي ساقه المؤلف، حيث قال -رحمه الله- تعليقاً على كلام الزمخشري السابق: "أي كفى هذا العالم أيضاً شهيداً بيني وبينكم، ولا يلزم من كفايته في الشهادة أن يؤديها فمن أداها فهو شاهد أمين ومن لم يؤد فهو محتمل لها خائن، وفيه أبلغ تعريض بأنكم لو تنصفون فأنتم من الشهداء". اهـ.

قلت: والقول بأنها في الكفار ليس بظاهر لأمرين:

الأول: أنه لا يحصل المقصود من استشهادهم إلا إذا كانوا مؤدين للشهادة، والكفار ليسوا كذلك فلا فائدة من استشهادهم.

الثاني: أن الآية في معرض محاجتهم وردِّ تكذيبهم، فكيف يُستشهد بهم؟ وقد قال الله تعالى في مطلع الآية: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ ... الآية﴾. والله أعلم.

(١) قال قتادة: "أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق ويقرون به". رواه ابن جرير (١٦/٥٠٣).

وأخرج عبدالرزاق في التفسير (١/٢/٣٣٩)، وابن جرير (الموضع السابق) عنه قال: "كان منهم عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري".

وعن مجاهد قال: "هو عبدالله بن سلام". رواه ابن جرير (١٦/٥٠٣).

قال ابن كثير (٤/٣٩٤): "والصحيح في هذا أن ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم". اهـ. وبنحوه قال البغوي في تفسيره (٤/٣٢٨).

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/٢/٣٣٩)، ورواه البغوي عنه وعن مجاهد (٤/٣٢٨)، واختاره =

للإشارة إلى الاستقلال/ بالشهادة نظراً إلى كل وصف، فكأنه قال: من لـه الألوهية يشهد لي ومن لـه العلم بما في اللوح قد شهد بأن ضمن الكتاب المنزل إليّ من المعارف ما بهر العقول[1]، فيوافق الخاتمة فاتحة السورة.

الزجاج (٣/١٥١)، والنحاس في معاني القرآن (٣/٥٠٨).

(١) انظر: الكشف للقزويني (٥٩/ب).

تفسير
سورة إبراهيم

سورة إبراهيم - عليه السلام -

مكية[1]، وهي إحدى وخمسون آية[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر ﴾ أي: هذه السورة؛ اسم لها، أو المؤلف من الحروف[3]، مبتدأ خبره: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾ بدعائك إلى ما فيه من المعارف

---

(١) في قول الجمهور، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقتادة: هي مكية سوى آيتين هما قوله: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ... إلى قوله وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة إبراهيم، الآيتان (٢٨-٢٩).

انظر: زاد المسير (٤/٣٤٣)، الجامع للقرطبي (٩/٣٣٨)، الدر المنثور (٥/٣).

(٢) هذا في العدِّ البصري، قال أبو عمرو الداني: "وهي خمسون وآية في البصري، وآيتان في الكوفي، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الشامي". اهـ. البيان في عدِّ آي القرآن ص(١٧١).

وانظر: بصائر ذوي التمييز (١/٢٦٨).

(٣) سبق ذكره.

والأحكام ﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ استعارتان للضلال والهدى[1] ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ بتوفيقه وتيسيره[2]، من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب[3] ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ﴾ بدل من قوله: ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[4]. استعار النور للهدى أولاً لظهوره، ثم جعله جادة لا زيغ فيها موصلة[5][6]. ويحتمل الاستئناف كأنه قيل: إلى أي نور؟ فقيل: إلى صراط الله الذي لا شيء أظهر منه[7].

﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ قرأه[8] بالرفع نافع

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٥٣)، الكشاف (٣/٣٦٠).

(٢) في الأصل وَ ق: وتيسره، والمثبت هو الصواب الموافق لما في الكشاف.

انظر: الحاشية الآتية.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٦٠)، تفسير البيضاوي (١/٥١٢).

(٤) انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها)، التبيان للعكبري (٢/٧٦٢)، البحر المحيط (٥/٣٩٣).

(٥) ق: موصولة.

(٦) انظر: الكشف للقزويني (٦٠/أ).

(٧) جوزه الزمخشري (٣/٣٦٠)، والبيضاوي (١/٥١٢).

(٨) ق: قرأ.

وابن عامر[1] على أنه مبتدأ خبره الموصول، أو خبر مبتدأ محذوف والموصول صفته[2][3]، فالوقف على ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ تام[4]، والباقون بالجر على أنه بدل أو عطف بيان[5].

﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ الويل نقيض الوأل[6]

(١) أي: لفظ الجلالة، وقرأ باقي السبعة بالجر كما سيذكر المؤلف -رحمه الله-.

انظر: السبعة ص(٣٦٢)، التيسير ص(١٠٩)، النشر (٢/٢٩٨).

(٢) ق: صفة.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٥٤)، الكشف لمكي (٢/٢٥)، الكشاف (٣/٣٦٠)، التبيان للعكبري (٢/٧٦٢).

(٤) انظر: المكتفى لأبي عمرو الداني ص(٣٣٩).

وقد ذكر أبو عمرو تعريف الوقف التام في المكتفى ص(١٤٠)، فقال: "الوقف التام هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده؛ لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده وذلك عند تمام القصص وانقضائهن". اهـ.

وانظر: البرهان للزركشي (١/٣٥٠).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٧)، إعراب القرآن للنحاس (٢/١٧٧)، الكشف لمكي (٢/٢٥)، الكشاف (٣/٣٦٠).

(٦) كذا في ص، وفي ق الكلمة غير واضحة تماماً والأقرب أنها كالمثبت أعلاه، وأما في الأصل فرسمت: الؤل.

وهو النجاة[1]، ينصب نصب المصادر إلا أنه لا يشتق منه فعل[2]، والمعنى: حزنٌ وهلاكٌ لهم من عذاب يقعون فيه[3]، أو لهم هذه الكلمة عند ذلك، فإن الواقع في الهلاك ينادي بها[4].

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ يختارونها عليها، فإن المؤثر للشيء يطلب من نفسه أن يحبه[5] ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الناس عن سلوكها ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ يطلبون لها عيباً واعوجاجاً ليتوسلوا به

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (وأل) (١٥/٤٤٢) (ويل) (١٥/٤٥٤)، لسان العرب (وأل) (١١/٧١٥).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٦٠)، لسان العرب (ويل) (١١/٧٣٨).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٥/٢٩٧)، زاد المسير (١/١٠٦).

(٤) قال الزجاج في معاني القرآن (١/١٦٠): "الويل في اللغة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة".
وقال الزمخشري (٣/٣٦٠): "المعنى: أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون: يا ويلاه كقوله: ﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ سورة الفرقان، من الآية (١٣)".
هذا وفي معنى الويل أقوال أخرى أكثرها متقارب راجعها في تفسير الطبري (٢/٢٦٧)، الوسيط للواحدي (١/١٦٣)، زاد المسير (١/١٠٦)، الجامع للقرطبي (٢/٧-٨).

(٥) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

إلى الصد. الموصول[1] يحتمل الجر صفة للكافرين، ونصباً ورفعاً على [المدح][2]، أو على أنه مبتدأ خبره: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣ ﴾[3] وصف الضلال بالبعد على[4] الإسناد المجازي[5] [لأن البعد حال الضال، كقولك: جدَّ جدُّه، ويحتمل أن يكون صفة الضلال أي: ذي بعد][6] كأنه قيل: لـه بعد لا نهاية لغوره[7].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ الذين هو منهم ونشأ

---

(١) ص: والموصول.

(٢) ق: أو رفعاً.

وقوله: "على المدح" سهو والصواب: على الذم.

(٣) انظر: الأوجه الإعرابية في الكشاف (٣٦١/٣)، التبيان للعكبري (٧٦٣/٢)، البحر المحيط (٣٩٣/٥)، الدر المصون (٦٨/٧).

(٤) ق: عن.

(٥) هو المسمى بالمجاز العقلي وهو الذي تستعمل فيه الألفاظ في موضوعها الأصلي، ويكون المجاز في الإسناد إلى فاعلٍ يقضي العقل باستحالته.

انظر: دلائل الإعجاز ص(٢٩٣)، الطراز (٢٥٥/٣).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٧) ذكر الوجهين الزمخشري في الكشاف (٣٦١/٣).

بينهم ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ليبين لهم الأحكام ويفقهوا عنه ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾[1] ولا يرد بعثة رسول الله على الناس كافة؛ لأن الإنزال بلسان قومه أولى لأنهم أقرب الناس إليه[2]، ولو أنزل إليه بألسنة مختلفة كان في ذلك إعجاز ظاهر، ولكن كان يؤدي إلى إضاعة فضل الاجتهاد[3]، وقيل: نزلت الكتب كلها بالعربية وأداها كل نبي إلى قومه بلغتهم، وقد روي ذلك عن الضحاك[4]، وليس بشيء لأنه يلزم أن يكون التوراة نازلة على موسى ليفسرها بالعربية لقوم محمد[5]، ودفع ذلك برجوع

(١) سورة فصلت، من الآية (٤٤).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٦٢).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (١/٥١٢-٥١٣).

(٤) نقله عنه الزمخشري (٣/٣٦٣)، وأبو حيان (٥/٣٩٤)، قال الزمخشري: "وقيل: الضمير في ﴿ قَوْمِهِ ﴾ لمحمد ﷺ، ورووه عن الضحاك".

وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سفيان الثوري نحوه.

انظر: الدر المنثور (٥/٥).

(٥) انظر: الكشاف (٣/٣٦٢)، تفسير البيضاوي (١/٥١٣).

والمعنى: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ عائد على القوم، فإذا كانت الكتب نزلت بلغة قوم محمد ﷺ وهم العرب فالتبيين لهم؛ لأن الضمير عائد عليهم.

الضمير إلى كل قوم[1] بدليل السياق[2] لا يعتد به[3].

﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ بعد بيان الرسل والإرشاد إلى الطريق الموصل ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ هدايته ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلب على مشيئته ﴿ ٱلْحَكِيمُ ۝٤ ﴾ الذي لا يفعل إلا الحكمة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ لما بيّن أنه قد أرسل قبل رسول الله رسلاً بالكتب السماوية ذكر قصة موسى مع قومه بكثرة[4] عنادهم وتعنتهم تسلية لرسوله، وآياته: العصا وفلق البحر واليد البيضاء وسائر معجزاته[5] ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ

---

(١) قوم: مكررة في جميع النسخ، وهي أيضاً مكررة في الكشف للقزويني (٦٠/ب).

(٢) ذكره الطيبي في فتوح الغيب ص(٥٥٠)، حيث قال -بعد أن ذكر رد الزمخشري لقول الضحاك-: "وللضحاك أن يقول: الضمير لكل قوم كأنه قيل: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قوم محمد صلوات الله وسلامه عليه ليبين الرسول لقومه الذين أرسل إليهم لدلالة السياق". اهـ.

(٣) وأجاب القزويني في الكشف (٦٠/ب) عن قول الطيبي السابق فقال: "والجواب أنه لا يدفع الإيهام على خلاف مقتضى المقام". اهـ.

(٤) ق: لكثرة.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٥١٧/١٦)، تفسير البيضاوي (٥١٣/١).

﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ من شُبَه الضلال ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ إلى الهدى ﴿ أَنْ ﴾ مفسِّرة[1]؛ لأن في الإرسال معنى القول، أو مصدرية لأن الأفعال سواء في الدلالة على المصدر فالتقدير: بأن أخرج قومك[2].

﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ وقائعه مع مكذبي الأنبياء[3] كقوم نوح وعاد

وقال أبو حيان (٣٩٥/٥): "والجمهور على تفسير قوله: ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ أنها التسع التي أجراها الله على يد موسى -عليه السلام-". اهـ.

وما ذهب إليه المؤلف -رحمه الله- من القول بالعموم هو الأولى. والله أعلم.

(١) "أن" المفسرة هي المسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه.

انظر: أوضح المسالك (١٥٧/٤).

(٢) انظر الوجهين في: معاني القرآن للزجاج (١٥٥/٣)، إعراب القرآن للنحاس (١٧٨/٢)، مشكل إعراب القرآن (٤٤٦/١)، الكشاف (٣٦٣/٣)، تفسير البيضاوي (٥١٣/١)، البحر المحيط (٣٩٥/٥).

وقوله: "لأن الأفعال سواء في الدلالة على المصدر" أي الماضي والمضارع والأمر سواء في هذه الدلالة، وفي هذا إشارة إلى الخلاف بين النحويين في هذه المسألة حيث لم يجوز بعضهم أن تكون "أن" مصدرية إذا دخلت على الأمر والجمهور على جوازه.

(٣) قاله ابن زيد وابن السائب ومقاتل، واختاره الزمخشري (٣٦٣/٣).

وانظر: زاد المسير (٣٤٦/٤)، البحر المحيط (٣٩٥/٥).

وثمود، ومنه أيام العرب لوقائعها وحروبها، وعن ابن عباس: ﴿ بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ نعماؤه وبلاياه[1]، ولعل التخصيص فُهِمَ من الإضافة فإنه لا يضاف إليه تعالى إلا ماله شأن[2].

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ ﴾ كثير الصبر على بلائه دائم الشكر على نعمائه، وقيل: لكل مؤمن[3] كناية عن الإيمان، نظيره: "حي

---

(١) نقله عنه الزمخشري وأبو حيان في البحر المحيط (المواضع السابقة).

وهو قول الفراء في معاني القرآن (٢/٦٨)، والزجاج في معاني القرآن (٣/١٥٥)، والواحدي في البسيط (٣/٢٣).

قال الطيبي في فتوح الغيب ص(٥٥٢): "وأما دليل ابن عباس على قوله: "نعماؤه وبلاؤه" فهو قوله: ﴿ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾، وكذا جمع الأيام فإنها تقتضي اختلاف أنواعها، وقوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾ وقوله: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ كالتفصيل لهذا الإجمال". اهـ.

(٢) انظر: الكشف للقزويني (٦١/أ).

ومراده بالتخصيص أي: تخصيص الأيام بالوقائع مع أن الأيام في الأصل تطلق على النعم والنقم.

انظر: الوسيط (٣/٢٣)، البحر المحيط (٥/٣٩٥)، الكشف للقزويني (الموضع السابق).

(٣) ذكر القولين الزمخشري (٣/٣٦٣)، والبيضاوي (١/٥١٣)، وقالا بالأول.

مستوي القامة" في الكناية عن الإنسان[1].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ ظرف للنعمة لأنها بمعنى الإنعام، أي: إنعامه عليكم ذلك الوقت، ويجوز أن ينتصب بـ ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ إن لم يكن صلة للنعمة؛ وذلك إذا أريد بها العطية دون الإنعام، ويجوز أن يكون بدل اشتمال[2].

﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

---

(١) انظر: فتوح الغيب ص(٥٥٢)، الكشف للقزويني (٦١/أ).

(٢) انظر الأوجه الثلاثة في: الكشاف (٣/٣٦٤)، تفسير البيضاوي (١/٥١٣)، الدر المصون (٧/٧١).

قال في الكشاف: "﴿ إِذْ أَنجَىٰكُم ﴾ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام، أي: إنعامه علكيم ذلك الوقت.

فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب بعليكم؟

قلت: لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية، فإذا كان صلة لم يعمل فيه، وإذا كان غير صلة بمعنى: اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه، ويتبين الفرق بين الوجهين أنك إذا قلت: نعمة الله عليكم، فإن جعلته صلة لم يكن كلاماً حتى تقول: فائضة أو نحوها، وإلا كان كلاماً، ويجوز أن يكون ﴿ إِذْ ﴾ بدلاً من ﴿ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾ أي: اذكروا وقت إنجائكم، وهو بدل الاشتمال". اهـ.

﴿ نِسَآءَكُمۡۚ ﴾ طرح الواو في سورة البقرة[1]؛ لأنه جعل التذبيح بيان سوم سوء العذاب، وأثبتها هاهنا كأنه زاد على ذلك العذاب وصار جنساً آخر مستقلاً لغاية فضاعته[2].

﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦ ﴾ نعمة عظيمة فذلك إشارة إلى الإنجاء، أو نقمة[3] فظيعة إشارة إلى التذبيح[4].

﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ ﴾ من مقالة موسى، عطف على ﴿ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ﴾ كأنه قيل: وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله واذكروا حين تأذن ربكم[5].

ومعنى ﴿ تَأَذَّنَ ﴾: آذن، أي: أعلم[6]، مع ما في صيغة التفعّل من المبالغة

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩ ﴾ سورة البقرة، الآية (٤٩).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٩)، تفسير الطبري (١٦/٥٢٤)، معاني القرآن للنحاس (٣/٥١٦)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٤٦)، الكشاف (٣/٣٦٤).

(٣) ق: نعمة.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٩)، تفسير الطبري (١٦/٥٢٥)، الكشاف (٣/٣٦٤).

(٥) انظر: الكشاف (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (١/٥١٣).

(٦) قال الفراء في معاني القرآن (٢/٦٩): "معناه: أعلم ربكم، وربما قالت العرب في معنى أفْعلت: تفعَّلت فهذا من ذلك والله أعلم".

فكأنه قال: آذن إيذاناً لا يبقى معه[1] شائبة ريب[2].

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ يا بني[3] إسرائيل ما أنعمت من الإنجاء وغيره من النعم/ بالإيمان الخالص والعمل الصالح ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ لأضاعفن لكم ما أنعمت ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ لم يسند العذاب إلى ذاته كما أسند زيادة النعمة إشارة إلى غلبة [رحمته[4]. المعطوف و][5] المعطوف عليه مفعول قول مقدر، أو مفعول ﴿ تَأَذَّنَ ﴾؛ لأن فيه معنى[6] القول[7].

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ من الثقلين

وانظر: مجاز القرآن (١/٣٣٥)، تفسير الطبري (١٦/٥٢٦)، معاني القرآن للنحاس (٣/٥١٧).

(١) في الأصل: مع.

(٢) قال الزمخشري (٣/٣٦٤): "ولابد في تفعّل من زيادة معنى ليس في أفعل، كأنه قيل: وإذ آذن ربكم إيذاناً بليغاً تنتفي عنده الشكوك وتزاح الشبه". اهـ.

(٣) ق: بحذف حرف النداء.

(٤) انظر: البحر المحيط (٥/٣٩٦)، مدارج السالكين (١/١٢).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٦) ق: لأنه في معنى... إلخ.

(٧) انظر: تفسير البيضاوي (١/٥١٣).

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴾ عن شكركم ﴿ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ يستحق الحمد حُمِدَ أو لم يُحمد، أو يحمده الملائكة[1]، وفي الحديث: «حَمِدَ اللهُ نفسَه قبل حَمْد الحامدين»[2].

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ من كلام موسى[3]، أو ابتداء كلام من الله مع هذه الأمة[4] ﴿ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ اعتراض يفيد الترقي، كأنه قيل: ألم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لا يحصي عددهم إلا الله فدع التفصيل فإنه لا مطمع فيه[5]، أو ﴿ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ عطف على ﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ و ﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ اعتراض كأنه قيل: ألم يأتكم نبأ الجم الغفير[6]، وعن

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/٥١٤)، وراجع ص (٨٠٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) قاله الطبري (١٦/٥٢٩)، واستظهره أبو حيان (٥/٣٩٦).

(٤) انظر الوجهين في: تفسير البيضاوي (١/٥١٤)، البحر المحيط لأبي حيان (الموضع السابق).

(٥) انظر: الكشف للقزويني (٦١/أ).

(٦) انظر الوجهين في: الكشاف (٣/٣٦٥)، تفسير البيضاوي (١/٥١٤)، الكشف للقزويني (الموضع السابق).

ابن عباس: "بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون"[1]، وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول: "كذب النسّابون"[2]. وقد نفى الله علمها عن العباد[3].

﴿ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ عضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل كقوله: ﴿ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ ﴾[4][5]، أو أشاروا بأيديهم إلى ما نطقت به ألسنتهم من قولهم: ﴿ إِنَّا

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور لأبي عبيد وابن المنذر (١٠/٥)، وقد اعترض ابن عطية على هذا التحديد فقال: "وهذا الوقوف على عدتهم بعيد، ونفي العلم بها جملة أصح، وهو ظاهر القرآن". اهـ. المحرر الوجيز (٣٢٦/٣).

(٢) رواه ابن جرير (٥٣٠/١٦)، وزاد السيوطي نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. الدر المنثور (٩/٥).

(٣) قال الزمخشري (٣٦٥/٣) -بعد قول ابن مسعود السابق-: "يعني: أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد".

(٤) سورة آل عمران، من الآية (١١٩).

(٥) رواه عبدالرزاق في التفسير (٣٤١/٢/٢)، وابن جرير (٥٣١/١٦)، والحاكم في المستدرك (٣٥٠/٢) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ورواه ابن جرير (٥٣٣/١٦) عن ابن زيد، وقال به (٥٣٥/١٦)، وهو اختيار ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٣٠)، والنحاس في معاني القرآن (٥١٩/٣).

﴿كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ كأنهم قالوا: هذا جوابنا لكم ليس لكم عندنا غيره(١)، أو ردوا أيديهم في أفواه الرسل كأنهم قالوا: اسكتوا نحن مصرون فلا نفع في الإكثار(٢) كقولـه:

أنا لا أصغي وأنت تطيل(٣)

أو الضحك والاستهزاء مجازاً(٤)، وحمل الأيدي على نعم الأنبياء من الحكم

(١) هذا هو ظاهر معنى قول قتادة فيما رواه ابن جرير (٥٣٤/١٦)، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٣٤٩/٤). قال الزمخشري (٣٦٦/٣): "وهذا قول قوي".

(٢) رواه البغوي (٣٣٨/٤) عن مقاتل، ونقله ابن الجوزي (٣٤٩/٤) عن الحسن وذكره ابن جرير (٥٣٥/١٦) دون نسبة.

(٣) لم أقف على قائله ولا تمامه، وهو في الكشف للقزويني (٦١/ب)، وروح المعاني (٢٧٨/١٣) وأوله: فكم أنا.... إلخ.

وفي حاشية الأصل وَ ص: أو ردوها إلى أفواههم كما أن أحدنا إذا كذب إنساناً يضع يده إلى فم نفسه كأنه يقول للمخاطب: إياك وهذا الكلام فإنه محال. اهـ.

وهذا القول رواه أبو صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وبه قال الكلبي.

انظر: معاني القرآن للفراء (٦٩/٢)، الوسيط (٢٥/٣)، تفسير البغوي (٣٣٨/٤)، زاد المسير (٣٤٨/٤).

(٤) ذكره الزمخشري (٣٦٥/٣)، والبيضاوي (٥١٤/١)، وأبو حيان (٣٩٧/٥).

والشرائع التي هي أجل النعم[1] لا[2] يخفى بعده[3][4].

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ﴾ على زعمكم ﴿ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ﴾ موقع في القلق أو ذي ريبة، من أرابه أو من أراب الرجل[5].

---

(١) فيكون الضمير في قوله: ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ عائد على الأنبياء، والضمير في قوله: ﴿ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ عائد على الكفار.

قال الفراء في معاني القرآن (٢/٦٩-٧٠): "وقال بعضهم: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ يقول: ردوا ما لو قبلوه لكان نعماً وأيادي من الله ﴿ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ يقول: بأفواههم أي: بألسنتهم، وقد وجدنا من العرب من يجعل "في" موضع الباء فيقول: أدخلك الله بالجنة يريد في الجنة... إلخ".

وانظر: تفسير الطبري (١٦/٥٣٤)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٥٦)، معاني القرآن للنحاس (٣/٥١٩).

(٢) كذا في ص وَ ق، وفي الأصل: فلا.

(٣) استبعد القزويني في الكشف (٦١/ب) هذا القول من وجهين:

الأول: أن حمل الأيدي على معنى النعم قليل في الاستعمال والمعروف في ذلك: الأيادي.

الثاني: أن ذكر الرد والأفواه يلائم الجارحة.

وانظر: روح المعاني (١٣/٢٧٩).

(٤) انظر الأقوال جميعاً في: الكشاف (٣/٣٦٥-٣٦٦)، تفسير البيضاوي (١/٥١٤)، البحر المحيط (٥/٣٩٧).

(٥) وذلك أن ﴿ مُرِيبٍ ﴾ اسم فاعل من أراب، وأراب يحتمل أن يكون بمعنى أوقع غيره في الريبة =

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ لم ينكروا الشك لوقوعه بل نفوا أن يكون محل الشك لسطوع البراهين[1]، ولذلك وصفوه بأظهر الأدلة ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ صفة أو بدل[2].

﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ لم يسندوا الدعوة إلى أنفسهم[3] كما أسنده إليهم الكفرة إشارة إلى أن الداعي في الحقيقة هو الله ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[4].

﴿ لِيَغْفِرَ لَكُم ﴾ أي: يدعوكم إلى الإيمان للمغفرة[5] أو يدعوكم إلى المغفرة[6] لا لأن اللام بمعنى إلى، بل ليدل على أن الغاية غرض مقصودة فتفيد

فيكون متعدياً، ويحتمل أن يكون بمعنى صار ذا ريبة فيكون لازماً.

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٦٦).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (٢/٧٦٤)، تفسير البيضاوي (١/٥١٤)، ولم يذكر أبو حيان (٥/٣٩٨) إلا الأول، وهو ما رجحه السمين الحلبي في الدر المصون (٧/٧٤).

(٣) ق: لأنفسهم.

(٤) سورة يونس، من الآية (٢٥).

(٥) قاله الطبري (١٦/٥٣٧).

(٦) جوز الزمخشري (٣/٣٦٦)، والبيضاوي (١/٥١٤)، وأبو حيان (٥/٣٩٨) وجماعة الوجهين.

معنى الانتهاء مع الاختصاص[1].

﴿ مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ بعض ذنوبكم، وهي التي في أيام الكفر[2] لا التي بينهم وبين الله[3] لقوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[4]، أو ﴿ مِّن ﴾ بدلية[5] لقوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾[6]، أو تبعيضيه وإبقاء البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا[7] على الإيمان لا أنه يدل على عدم

---

(١) انظر: الكشف للقزويني (٦١/ب).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٣٢٨): "وسيبويه يأبى أن تكون -يعني من- زائدة ويراها للتبعيض. قال القاضي أبو محمد: وهو معنى صحيح، وذلك أن الوعد وقع بغفران الشرك وما معه من المعاصي وبقي ما يستأنفه أحدهم بعد إيمانه من المعاصي مسكوتاً عنه ليبقى معه في مشيئة الله تعالى، فالغفران إنما نفذ به الوعد في البعض فصح معنى ﴿ مِّن ﴾". اهـ.

(٣) ذكره الزمخشري (٣/٣٦٧)، وبه قال البيضاوي (١/٥١٤).

(٤) سورة الأنفال، من الآية (٣٨).

(٥) انظر: التفسير الكبير (١٩/٧٤)، الجامع للقرطبي (٩/٣٤٧).

(٦) سورة الفرقان، من الآية (٧٠).

(٧) ق: يتوكلوا.

مغفرة الجميع(١) إذ لا تنافي بين مغفرة البعض ومغفرة الجميع(٢).

---

(١) وفي حاشية الأصل وَ ص: رد على ابن الحاجب لأن دلالة من على نفي البعض من قبيل مفهوم اللقب، لم يقل به من قال بالمفهوم "كلمتين غير واضحتين". منه.

وانظر: الكشف للقزويني (٦٢/أ)، روح المعاني (١٣/٢٨٤).

ومفهوم اللقب هو: تقييد الحكم أو الخبر باسم.

والجمهور على أنه ليس بحجة، وذهب بعض الشافعية والحنابلة والظاهرية إلى حجتيه.

انظر: التمهيد لأبي الخطاب (٢/٢٠٢)، الإحكام للآمدي (٣/٩٥)، روضة الناظر (٢/٧٩٦).

(٢) انظر: الكشف للقزويني (٦١/ب).

والقول الأخير الذي ذكره المؤلف هو قول الزمخشري مع شرح القزويني.

قال الزمخشري (٣/٣٦٧): "فإن قلت: ما معنى التبعيض في قوله: ﴿ مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾؟.

قلت: ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله: ﴿ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ سورة نوح من الآيتين (٣-٤) ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ سورة الأحقاف، من الآية (٣١)، وقال في خطاب المؤمنين ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ .... يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ سورة الصف من الآيتين (١٠-١٢) وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء، وكأن ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد". اهـ.

وقال القزويني في بيانه: "حاصله أن ليس مغفرة بعض الذنوب للدلالة على أن بعضاً آخر لا يُغفر =

﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ﴾ إلى أمد عيَّنه وهو آخر أعماركم[1] ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ لا فضل لكم علينا فكيف تكونون رسلاً دوننا ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا ﴾ بدعواكم الباطلة ﴿ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ برهان قاطع يدل على صدق دعواكم، وهذا ديدن المعاند لا يرضى بالمعجزة ويشرع في الاقتراح تعنتاً.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ نحن وأنتم سواء في البشرية ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ ﴾ بالنبوة [والرسالة][2] تفضلاً، فكوننا بشراً مثلكم لا ينافي رسالتنا ﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ ﴾ ما صح لنا وما استقام ﴿ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ بإرادته ﴿ وَعَلَى

فإنه من قبيل دلالة مفهوم اللقب ولا اعتداد به، كيف وللتخصيص فائدة أخرى هي: التفرقة بين الخطابين، وهي التصريح هناك بمغفرة الكل وإبقاء البعض هاهنا على الاحتمال لئلا يتكلوا على الإيمان وحده". اهـ.

(١) قال البيضاوي (١/٥١٤): "﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ﴾ إلى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعماركم".

(٢) ساقط من ق.

ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ أمروا المؤمنين بالتوكل فدخلوا فيهم دخولاً أولياً، وهذا أبلغ من قوله: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا ﴾[1].

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أيُّ عذر لنا وما يحصل لنا في عدم التوكل ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ ﴾ طريقه الذي يوصل إليه.

فإن قلت: الطريق إليه تعالى واحدة وهي سبيل الأنبياء ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾[2] فكيف أتى بصيغة الجمع؟.

قلت: أصل الدين واحد والفروع مختلفة ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ ﴾[3] أو جمعوه للتعظيم[4].

---

(١) سورة يونس، من الآية (٨٥).

(٢) سورة يوسف، من الآية (١٠٨).

(٣) سورة المائدة، من الآية (٤٨).

(٤) أو يكون المراد بالسبل هي أنواع العبادات الموصلة إلى رضا الله تعالى وإلى جنته مثل الصلاة والصدقة والصوم والحج وطلب العلم والذكر ونحو ذلك.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فليثبت المتوكلون في توكلهم[1] أو ليزدادوا في التوكل[2] لأن من استوى يوماه فهو مغبون.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ منعوا الخلو من أحد الأمرين إما الإخراج أو العود إلى ملتهم، والرسل لم يكونوا على ملتهم يوماً فالعود أريد به الصيرورة من إطلاق المقيد على المطلق، أو غلب الأمة على الرسل[3]، كما في قصة شعيب[4]، وآثروا الظرف على "إلى" لدلالته على الاستقرار[5].

وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٤٥٤).

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٦٨)، تفسير البيضاوي (١/٥١٥)، البحر المحيط (٥/٤٠٠).

(٢) ساق المؤلف -رحمه الله- هذين التوجيهين لأن الأمر بالتوكل جاء للمتوكلين، ولأنه جاء بعد قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ سورة إبراهيم، من الآية (١١).

(٣) ذكر الجوابين الزجاج في معاني القرآن (٢/٣٥٥)، والنحاس في معاني القرآن (٣/٥٤)، وابن الأنباري كما في زاد المسير (٣/٢٣١)، والزمخشري (٣/٣٦٨)، وغيرهم.

(٤) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة الأعراف، الآية (٨٨).

(٥) انظر: الكشف للقزويني (٦٢/ب).

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ إلى الرسل[1] ﴿ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣ ﴾ مقول القول لأن الإيحاء نوع منه[2].

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ بعد إهلاكهم، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم: «من آذى جاره ورثه الله داره»[3] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى الموحى به، وهو إهلاك الظالمين ﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾ المخصوص بي وهو موقف الحساب[4]، وقيل: المقام[5]/ مقحم[6] ﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤ ﴾ [أي][7]: وعيدي.

(١) ق: أي الرسل.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٦٨)، تفسير البيضاوي (١/٥١٥).

(٣) لم أقف عليه فيما بين يدي من مراجع، وقد قال الحافظ في تخريج الكشاف: "لم أجده". اهـ. ص(٩٢).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/٣٣٧)، الكشاف (٣/٣٦٩).

(٥) في الأصل كرر لفظ: المقام.

(٦) انظر: الكشاف (٣/٣٦٩)، تفسير البيضاوي (١/٥١٥)، البحر المحيط (٥/٤٠١).

(٧) ساقطة من ص وَ ق.

﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ ﴾ أي: الرسل، من الفتاحة وهي الحكم[1] كقوله: ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾[2]، وقيل: الكفرة[3]، وقيل: الضمير

---

(١) بضم الفاء وفتحها كما في المفردات، (فتح) ص(٦٢١).

وانظر: أساس البلاغة (فتح) ص(٣٣٢)، لسان العرب (فتح) (٥٣٨/٢).

وقد قال بهذا القول الزمخشري (٣٦٩/٣) والبيضاوي (٥١٥/١)، وجوَّزه أبو حيان (٤٠١/٥).

وقيل: ﴿ ٱسۡتَفۡتَحُواْ ﴾ أي: استنصروا وكل نصر فتح، رواه ابن جرير (٥٤٣/١٦-٥٤٥) عن مجاهد وقتادة وقال به (٥٤٢/١٦)، وهو قول الزجاج (١٥٦/٣)، والواحدي في الوسيط (٢٦/٣)، والزمخشري (٣٦٩/٣)، والبيضاوي (٥١٥/١) وكثير من المفسرين.

ولا يخفى ما بين الوجهين من التقارب، ولذا جمع بينهما ابن عطية فقال: "والاستفتاح طلب الحكم، والفتاح: الحاكم، والمعنى، أن الرسل استفتحوا أي سألوا الله تعالى إنفاذ الحكم بنصرهم وتعذيب الكفرة... إلخ". المحرر الوجيز (٣٣٠/٣).

(٢) سورة الأعراف، من الآية (٨٩).

(٣) رواه ابن جرير (٥٤٥/١٦) عن ابن زيد، ورواه البغوي (٣٤٠/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومقاتل.

وقد روى ابن جرير في تفسيره (٥٤٤/١٦) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الضمير يعود إلى الرسل.

وانظر: زاد المسير (٣٥١/٤).

وأما حقيقة استفتاح الكفار فهو سؤال البلاء واستعجال العذاب كما جاء في قوله تعالى: =

للفريقين كل فريق سأل النصر على عدوه"[1].

﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أي: فتح للرسل وخاب كل متكبر عاتٍ[2]، يؤيد أن المستفتِح هم الكفار أو الفريقان[3].

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ من بين يديه[4]، قال:

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ سورة الأنفال، من الآية (٣٢)، وقوله: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ سورة ص، الآية (١٦).

انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها).

(١) ذكره البيضاوي (٥١٥/١)، وأبو حيان (٤٠١/٥) غير منسوب.

(٢) فيكون في الكلام إيجاز الحذف، قال البيضاوي في تفسيره (٥١٥/١): "أي: ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل جبارٍ عاتٍ متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح". اهـ.

وانظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٤٥٢/٥)، روح المعاني (٢٩١/١٣).

(٣) وذلك أنه إذا كان الكفار مستفتحون فقد حصل لهم خلاف ما أمّلوه ووقع ضد ما طلبوه فيكون ذلك أشد لخيبتهم وأعظم لخسارهم. قال البيضاوي في تفسيره (الموضع السابق): "ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع". اهـ.

وانظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٣٣٧/١) غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٣١)، تفسير الطبري (٥٤٦/١٦)، معاني =

عَسى الهمُّ [الذي][1] أَمْسيت فيهِ يكونُ وراءَهُ[2] فَرَجٌ قريبُ[3]

والوراء وإن كان مشتركاً[4] إلا أن الكافر...................

.....[واقف][5] على حرف جهنم لأنه مخلوق لها[6]، أو ذاك حاله يوم القيامة إذا

القرآن للزجاج (١٥٦/٣)، معاني القرآن للنحاس (٥٢٢/٣)، الكشاف (٣٦٩/٣).

(١) ساقط من ص.

(٢) ص: وراء.

(٣) لهدبة بن الخَشْرم العذري راوية الحطيئة.

انظر: الكتاب (١٥٩/٣)، خزانة الأدب (٣٢٨/٩)، الكشاف (٣٦٩/٣)، الدر المصون (٧٩/٧) كلهم بلفظ: عسى الكرب.

وقوله: "أمسيت" يجوز بفتح التاء وضمها.

انظر: فتوح الغيب ص(٥٦٥)، الكتاب "حاشية المحقق" (الموضع السابق).

(٤) كذا قال أبو عبيدة، وحكاه الأزهري عن أبي حاتم وأبي عبيد، وقال ثعلب والزجاج: إنها اسم لما توارى عنك سواء كان أمامك أو خلفك.

انظر: مجاز القرآن (٣٣٧/١)، معاني القرآن للزجاج (١٥٦/٣-١٥٧)، تهذيب اللغة (ورى) (٣٠٤/١٥)، لسان العرب (ورأ) (١٩٣/١).

(٥) ساقطة من ص.

(٦) انظر: الكشاف (٣٧٠/٣)، تفسير البيضاوي (٥١٥/١).

بعث[1].

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ عطف على مقدر تقديره: يُلقى فيها ويسقى من ماء صديد أشد العذاب عليه[2]، ولذلك أبهمه أولاً ثم بيَّنه بقوله: ﴿ صَدِيدٍ ﴾ والصديد: ما يسيل من جلود أهل النار[3] نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) قاله الزمخشري -أيضاً- في الكشاف (الموضع السابق).

وانظر: فتوح الغيب ص(٥٦٤).

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (الموضع السابق): "فإن قلت: علام عطف: ﴿ وَيُسْقَىٰ ﴾؟ قلت: على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يَلقى فيها ما يَلقى ويسقى من ماء صديد، كأنه أشد عذابها". اهـ.

وانظر: تفسير البيضاوي (٥١٥/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٤٧/١٦-٥٤٨)، الكشاف (الموضع السابق).

وقوله: الصديد ما يسيل من جلود أهل النار أي: من القيح والدم.

رواه ابن جرير (الموضع السابق) عن مجاهد والضحاك، وقاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٣٨/١)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٣١)، والزجاج في معاني القرآن (١٥٧/٣)، وغيرهم.

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ يتكلف جَرْعَهُ لشدة عطشه، والجَرْعُ: الشرب على العجلة[1] ﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ لا يقرب إساغته لغاية بشاعته فكيف بالإساغة[2]، يقال: شرابٌ سائغٌ إذا كان سلس الجريان سهل النزول في الحلق[3].

---

(١) انظر: النهاية (جرع) (١/٢٦١)، لسان العرب (جرع) (٨/٤٦).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٧٠)، تفسير البيضاوي (١/٥١٥).

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (سوغ) (٣/١١٦): "السين والواو والغين أصل يدل على سهولة الشيء واستمراره في الحلق خاصة ثم يحمل على ذلك، يقال: ساغ الشراب في الحلق سوغاً... إلخ".

وانظر: لسان العرب (سوغ) (٨/٤٣٥).

وقد ذهب الفراء والطبري وجماعة إلى أن قوله: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ أي: لا يكاد يزدرده من شدة كراهته وهو مسيغه لشدة عطشه، قال الطبري (١٦/٥٤٩): "والعرب تجعل (لا يكاد) فيما قد فُعل وفيما لم يُفعل، فأما ما قد فعل فمنه هذا لأن الله جل ثناؤه جعل لهم ذلك شراباً، وأما ما لم يفعل وقد دخلت فيه "كاد" فقوله: ﴿ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ سورة النور، من الآية (٤٠)، فهو لا يراها". اهـ.

وانظر: معاني القرآن للفراء (٢/٧١)، تفسير البسيط (١/٢٠٨-٢١٠)، تفسير البغوي (٤/٣٤١).

وظاهر هذا القول أنهم يحملون الإساغة على مجرد الإدخال إلى الجوف.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ كناية عن شدة عذابه وكثرة الآمه[1]، قيل: يأتيه من تحت كل شعرة ألم مستقل[2] ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ ليستريح مرة واحدة.

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾ وفيما[3] يستقبله[4]، لم يزل يترقى في ذلك. وهذا دليل على كذب بعض المتصوفة الجهلة الذين يقولون إذا اعتاد

---

(١) ما قاله المؤلف -رحمه الله- ليس بظاهر، فليس هذا مجرد كناية عن شدة العذاب بل هو على الحقيقة فإنه يأتيه الموت ولكنه لا يموت زيادة في عذابه وتعظيماً لعقوبته، وقد روى نحو هذا المعنى ابن جرير (١٦/٥٥١) عن مجاهد.

وقال -ابن جرير-: "وقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فإنه يقول: ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله ومن كل موضع من أعضاء جسده ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لأنه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح ولا يحيى لتعلق نفسه بالحناجر فلا ترجع إلى مكانها". اهـ.

(٢) رواه ابن جرير (الموضع السابق) عن إبراهيم التيمي في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ قال: "من تحت كل شعرة في جسده".

(٣) ص وَ ق: فيما بحذف الواو.

(٤) راجع ص (١٢٢٥).

بالعذاب لا يحس بالألم[1]. وعن فضيل بن عياض: "هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد"[2].

قيل[3]: هذه الآية منقطعة عن قصة الرسل وإنما هي في أهل مكة حين دعا عليهم رسول الله بالقحط فابتلوا بذلك حتى أكلوا الجيف فاستفتحوا، أي: طلبوا المطر -والفتح من أسمائه-[4] فخيب الله رجاءهم، وذكر أنه يسقيهم من صديد جهنم[5]. هذا وقد صح أنهم لما أُخذوا بالقحط جاء أبو سفيان وهو مشرك إلى رسول الله وقال: "يا محمد إنك تأمر بصلة الأرحام وقد ترى ما أصاب قومك فادع الله أن يسقيهم". فدعا رسول الله فسقوا[6]، وفيه قال أبو طالب:

---

(١) قال المؤلف -رحمه الله- ص(٣٢٩): "﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ براءة (٦٨)... رد لما يزعمه الملاحدة بأن الخلود في النار لا يستلزم العذاب لأنه يصير معتاداً به". اهـ.

(٢) ذكره الزمخشري (٣/٣٧٠-٣٧١)، وأبو حيان (٥/٤٠٣) عنه، وذكر القرطبي في الجامع (٩/٣٥٢) أوله.

(٣) ص: وقيل.

(٤) انظر: أساس البلاغة (فتح) ص(٣٣٢).

(٥) ذكره الزمخشري (٣/٣٧١) احتمالاً.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٥١٦)، البحر المحيط (٥/٤٠١).

(٦) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة الروم، (٦/١٩) عن ابن مسعود -ﷺ-.

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهِهِ ثِمالُ اليتامى عِصْمةٌ للأراملِ[1]

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾ صفتهم الغريبة العجيبة؛ مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه، أي: فيما يتلى عليكم، وقوله: ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ جملة مستأنفة لبيان حالهم الغريبة[2]، أو هذه الجملة هي الخبر أي: صفة الذين كفروا ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾[3]، أو ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ بدل كلٍ عن مثلهم[4] وهذا أبلغ معنى[5].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣١٣/١)، الحماسة البصرية (١١٨/١)، خزانة الأدب (٢٥٢/١).

والثمال: الغياث والملجأ والمطعم في الشدة. لسان العرب (ثمل) (٩٤/١١).

(٢) انظر: الكتاب (١٤٣/١)، معاني القرآن للأخفش (٥٩٨/٢)، تفسير الطبري (٥٥٢/١٦)، معاني القرآن للزجاج (١٥٧/٣)، إعراب القرآن للنحاس (١٨٠/٢)، مشكل إعراب القرآن (٤٤٧/١).

(٣) جوَّزه الزجاج في معاني القرآن (١٥٧/٣).

وانظر: التبيان للعكبري (٧٦٦/٢)، المراجع الآتية (المواضع نفسها).

(٤) ويكون التقدير: مثل الذين كفروا مثل أعمالهم كرماد... إلخ.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (١٨١/٢)، مشكل إعراب القرآن (٤٤٧/١)، الكشاف (٣٧١/٣)، البيان لابن الأنباري (٥٦/٢)، البحر المحيط (٤٠٥/٥)، الدر المصون (٨٢/٧).

(٥) وقال القزويني في الكشف (٦٢/أ): "وفيه تفخيم". اهـ.

والرَّمادُ معروف، وأصله[1] من الرَّمْد وهو الهلاك[2].

﴿ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾ قرأ نافع ﴿ الرياح ﴾ على إرادة الجنس من الجهات[3] ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ العصف: شدةُ هبوب الريح[4]، وصف به اليوم مبالغة كما في: نهارُهُ صائمٌ وليلُهُ قائمٌ[5]، بالغ في وصف الريح بالشدة حيث أسند فعل الاشتداد إليه، ثم وصفه بالعصف الذي هو شدة الهبوب ثم وصف به زمانه.

﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ إشارة إلى ما هم فيه[6] من الحسبان الباطل، كانوا يطعمون الجائع ويكسون العاري ويغيثون الملهوف ولا يدعون مفخرة إلا سابقوا إليها، ولكن حيث لم تكن مسبوقة بما هو الأساس وهو الإيمان والتوحيد كانت كالصلاة بلا

---

(١) ص وَ ق: أصله. بحذف الواو.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (رمد) (١٤/١٢٠)، لسان العرب (رمد) (٣/١٨٥).

(٣) انظر: السبعة ص(١٧٣)، التيسير ص(٦٦)، النشر (٢/٢٢٣).

(٤) راجع ص (٥٢٢).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٧٣)، مجاز القرآن (١/٣٣٩)، تفسير الطبري (١٦/٥٥٤)، الكشاف (٣/٣٧١).

(٦) ق: ما هم عليه.

وضوء ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ خطاب لسيد القوم، والمراد أمته[2] أو لمن يتأتى منه الرؤية ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالحكمة التي اقتضته مشيئته ليكون أظهر الدلائل على قدرته على الإعادة وعلى كل ممكن[3]، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ خالق ﴾ اسم فاعل[4]، والمختار [صيغة][5] الماضي لأن المعنى عليه

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

وانظر: الكشاف (٣/٣٧١).

(٢) قاله البيضاوي (١/٥١٦)، واكتفى الطبري (١٦/٥٥٦) بأوله فقال: "يقول عز ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد... إلخ".

(٣) وذلك لأن ما كان مستحيلاً عقلاً أو شرعاً فإنه تعالى لا يفعله، ولكن لا يقال: إنه تعالى لا يقدر عليه، مع أن التعبير الأعلم والأسلم هو التعبير القرآني: إن الله على كل شيء قدير.

(٤) مع الكسر للأرض لأنها معطوفة على السماوات وهي مضافة لقوله: ﴿خالق﴾، وعلى قراءة الجمهور بنصب الأرض لأنها مفعول به معطوف على السماوات.

انظر: السبعة ص(٣٦٢)، التيسير ص(١٠٩)، النشر (٢/٢٩٨).

(٥) ساقطة من ص.

وفاقاً[1] لسائر الآيات[2].

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ يعدمكم ويخلق

---

(١) ص وَ ق: ووفاقاً.

(٢) كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ سورة الأنعام، من الآية (٧٣)، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة النحل، الآية (٣)، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة العنكبوت، الآية (٤٤)، وقوله: ﴿ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ سورة الروم، من الآية (٨)، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ سورة الزمر، من الآية (٥)، وقوله: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ سورة الجاثية، من الآية (٢٢)، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ سورة التغابن، من الآية (٣).

وانظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم "خلق" ص(٢٤١).

وأما قولــه: "لأن المعنى عليه" فلعله يوضحه كلام مكي في الكشف (٢/٢٥)، حيث يقول: "... أتوا بلفظ الماضي؛ لأنه أمر قد كان وقد فرغ منه فالفعل أولى به من الاسم، لأن الاسم يشترك في لفظه الماضي والمستقبل والحال، وإنما يخلص للماضي بالدلائل، والفعل بلفظه يدل على الماضي، وانتصب الاسمان ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ بعده بالفعل، وهو الاختيار". اهــ.

مكانكم قوماً آخرين؛ لأن من قدر على خلق السماوات والأرض كان إعدامكم منه والإتيان بأمثالكم أهون شيء عنده ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠ ﴾ بعسير، أصلُ العِزْةِ: القوةُ والشدةُ[1].

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ يبرزون يوم القيامة للحساب والمجازاة[2]؛ عبَّر عنه بالماضي لتحقق وقوعه[3]، أو يبرزون لله في اعتقادهم فإنهم في الدنيا كانوا يخفون ما ارتكبوه من الفواحش ويظنون أن ذلك خافٍ على الله[4] خيالاً[5] فاسداً.

---

(١) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (عز) (٤/٣٨): "العين والزاء أصل صحيح واحد يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر".
وانظر: لسان العرب (عزز) (٥/٣٧٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/٥٥٧)، البسيط (١/٢١٨)، الكشاف (٣/٣٧٢)، تفسير البغوي (٤/٣٤٣)، التفسير الكبير (١٩/٨٥)، تفسير البيضاوي (١/٥١٦).

(٣) ذكره الواحدي في البسيط، والزمخشري في الكشاف، والرازي في التفسير الكبير، والبيضاوي في تفسيره (المواضع السابقة).
وقد ذكروا -ما عدا الواحدي- هذا التوجيه للتعبير بالماضي قبل ذكر القولين في معنى البروز -كما فعل الزمخشري والرازي- أو بعدها -كما فعل البيضاوي- أما المؤلف -رحمه الله- فذكره بعد القول الأول -وسيذكر القول الثاني بعد ذلك- وكلامه يوهم أن هذا التوجيه للقول الأول فقط، والظاهر -كما هو صنيع من قبله- أنه صالح للقولين. والله أعلم.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف، والرازي في التفسير الكبير، والبيضاوي في تفسيره (المواضع السابقة).

(٥) ق: خبالاً.

﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ ﴾ أي: الأتباع للرؤساء.

فإن قلت: لم رسمت الهمزة واواً في ﴿ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ ﴾ والـ﴿ شُفَعَٰٓؤُاْ ﴾[1] ونظائرهما؟.

[قلت][2]: لأن قياس تخفيفها في الوصل بالتسهيل[3]، والوقف بالروم[4] كالواو فرسمت عليه. قال أبو عمرو الداني[5] في المقنع[6]: رسمت على مراد الإيصال

---

(١) في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ الروم/١٣.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) التسهيل: صرف الهمزة عن حدها نطقاً. وهو أنواع عدة.
انظر: مرشد القارئ ص(٢٧٩)، القواعد والإشارات ص(٤٦).

(٤) الروم هو: تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها فتسمع لها صوتاً خفياً، أو هو: عبارة عن النطق ببعض الحركة.
انظر: التيسير ص(٥٤)، النشر (١٢١/٢)، وراجع ما تقدم ص (٩١٧).

(٥) عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، أبو عمرو الداني الأموي ولاءً القرطبي مولداً، الداني إقامة ووفاة، ولد عام ٣٧١هـ، ورحل إلى المشرق في طلب العلم ودخل مصر وغيرها، كان أحد الأئمة في القراءات وروايات القرآن وتفسيره ومعانيه وتجويده وله في ذلك تصانيف أفاد منها كثير ممن جاء بعده. توفي عام ٤٤٤هـ بدانية.
انظر: سير أعلام النبلاء (٧٧/١٨)، غاية النهاية (٥٠٣/١).

(٦) في حاشية الأصل وَ ص: المقنع كتاب لأبي عمرو -صاحب التيسير- في علم الرسم. منه.

والتسهيل[1]".

والقول بأنها رسمت على لفظ من يفخم الألف[2] قبل الهمزة فيميلها إلى الواو[3] ليس[4] بشيء؛ إذ لم يقرأ به أحد من القراء.

فإن قلت: فما وجه الألف بعدها؟

قلت: وجه الألف [بعدها][5] ما قاله أبو عمرو[6]: لما تطرفت الواو أشبهت

وكتاب المقنع في رسم المصاحف يعتبر إماماً في هذا الفن، اشتهر في الآفاق وأفاد منه كل من كتب في علم الرسم بعد أبي عمرو، والكتاب نشره لأول مرة بنصه العربي المستشرق أتو برتزل عام ١٩٣٢م، وهو الآن مطبوع ومتداول بتحقيق الأستاذ: محمد أحمد دهمان وصدرت الطبعة الأولى منه عام ١٣٥٩هـ، وبتحقيق محمد الصادق قمحاوي عام ١٣٩٩هـ.

(١) قال أبو عمرو الداني في المقنع ص(٥٥): "باب ذكر ما رسمت فيه الواو صورةً للهمزة على مراد الاتصال أو التسهيل". ثم ذكر فيه الضعفاء والشفعاء ونحوها.

(٢) ق وَ ص: بالألف.

(٣) قاله الزمخشري (٣/٣٧٢)، والرازي في التفسير الكبير (١٩/٨٦)، والبيضاوي (١/٥١٦)، وأبو حيان (٥/٤٠٦).

(٤) ص وَ ق: وليس بشيء.

(٥) ساقطة من ق.

(٦) يحتمل أن مراد المؤلف هنا: أبو عمرو الداني، أو أبو عمرو بن العلاء.

انظر: الحاشية التالية.

واو الجمع في "قالوا" فألحقت بها[1].

﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ مقلدين لكم معرضين عن الرسل ونصائحهم، جمع تابع كغائب وغَيَب[2]، أو مصدر نعت به[3] ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا ﴾ صارفون، من أَغْنَى شَرَّهُ: كفَّهُ[4].

﴿ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ ﴿ مِنْ ﴾ الأولى للتبيين والثانية/ للتبعيض، كأنه قيل: هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله[5]، وإنما

---

(١) قال أبو عمرو الداني في المقنع ص(٥٨-٥٩): "ورسمت الألف بعد الواو في هذه المواضع لأحد معنيين: إما تقويةً للهمزة لخفائها وهو قول الكسائي، وإما على تشبيه الواو التي هي صورة الهمزة في ذلك بواو الجمع من حيث وقعتا طرفاً فألحقت الألف بعدها كما ألحقت بعد تلك، وهو قول أبي عمرو بن العلاء، والقولان جيدان". اهـ.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٣٩/١)، والطبري في تفسيره (٥٥٧/١٦)، ونقله الواحدي في البسيط عن الفراء وجميع أهل اللغة (٢١٩/١)، ولم أقف عليه في مظانه من معاني القرآن للفراء.

(٣) ذكر الوجهين الزجاج في معاني القرآن (١٥٨/٣)، والزمخشري (٣٧٢/٣-٣٧٣).

(٤) قال في لسان العرب (غنا) (١٣٩/١٥): "يقال: أَغْنِ عنِّي شرَّكَ أي: اصْرِفْه وكُفَّهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ سورة الجاثية، من الآية (١٩)...."

(٥) لم يظهر لي وجه هذا التقدير، والأولى -والله أعلم- أن يقال: هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو =

قدم البيان على المبيَّن للاهتمام[1]، ويجوز أن يكونا للتبعيض[2]، والأُولى حال كأنه قيل: هل أنتم مغنون عنا [بعض شيء حال كونه بعض عذاب الله[3]، ويحتمل أن يكون الأولى مفعولاً والثانية مصدراً، أي: فهل أنتم مغنون عنا][4] بعض العذاب بعض إغناء[5].

﴿ قَالُواْ ﴾ أي: الرؤساء ﴿ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ للإيمان ﴿ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾ لكن ضللنا فأضللناكم ما اخترنا لكم إلا ما اخترنا لأنفسنا فلا عيب[6] ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ لا تتفاوت الحال لفوات وقت الاعتذار ﴿ مَا لَنَا

عذاب الله.

وانظر هذا التقدير في: تفسير البيضاوي (١/٥١٦).

(١) قاله القزويني في الكشف (٦٢/أ).

(٢) جوزه الزمخشري (٣/٣٧٣)، والبيضاوي (١/٥١٦).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (١/٥١٦).

(٦) ص وَ ق: عتب.

مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ من منجى، من حاص: إذا تأخر[1]، وفي معناه: جاص - بالجيم-[2]، ويجوز أن يكون كلام الفريقين الضعفاء والمستكبرين جميعاً[3]. والمحيص إما مكان أو مصدر[4].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (حيص) (١٢٤/٢)، لسان العرب (حيص) (١٩/٧).

(٢) قال الزجاج: "يقال: حاص عن الشيء يحيص، وجاص عنه يجيص في معنى واحد". اهـ. معاني القرآن (١٥٨/٣).

وقال الزمخشري (٣٧٤/٣): "حاص عنه وجاض بمعنى واحد". اهـ.

قال في لسان العرب (حيض) (١٣٢/٧): "جاض عن الشيء يَجيض جَيْضاً أي: مال وحاد عنه، والصاد لغة عن يعقوب". اهـ.

وانظر: معاني القرآن للزجاج (١١١/٢)، لسان العرب (جيص) (١١/٧).

(٣) جوَّزه الزمخشري (٣٧٤/٣)، والبيضاوي (٥١٧/١)، وهو ظاهر ما روي عن ابن زيد ومقاتل. تفسير البغوي (٣٤٤/٤)، زاد المسير (٣٥٦/٤)، تفسير ابن كثير (٤٠٨/٤).

والقول بأنها من كلام الرؤساء هو قول أكثر المفسرين.

انظر -مثلاً-: تفسير الطبري (٥٥٨/١٦)، تفسير أبي الليث السمرقندي (٢٤٠/٢)، التفسير الكبير (٨٦/١٩)، البحر المحيط (٤٠٧/٥).

(٤) إما مكان كالمبيت أي: ليس لنا محل ننجو فيه، أو مصدر كالمغيب أي: لا نجاة لنا.

انظر: الكشاف (٣٧٤/٣)، تفسير البيضاوي (٥١٧/١).

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فرغ منه؛ فريق في الجنة وفريق في السعير. يقوم بعد استقرار الفريقين خطيباً للأشقياء من الثقلين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ الذي لا خُلف فيه؛ من إضافة الموصوف إلى الصفة[1] ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ جعل بطلان وعده وكذبه فيما وعد به كالإخلاف منه لكونه سبباً[2] ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ تسلط وإجبار ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾ لكن دعوتكم، الاستثناء منقطع[3]؛ لأن تسويله ليس من جنس السلطان، أو هو على طريقة قوله:

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن (٢/٥٥-٥٦): "وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه كقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ ﴾ سورة الواقعة، الآية (٩٥). والحق هو اليقين، ومثله: أتيتك بارحة الأولى، وعام الأوَّل... إلخ".

(٢) وقال البيضاوي (١/٥١٧): "جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه". اهـ.

(٣) قاله الطبري (١٦/٥٦٠)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/١٨٢)، والواحدي في البسيط (١/٢٢٢)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٥٠)، وابن الأنباري في البيان (٢/٥٧)، والعكبري في التبيان (٢/٧٦٧)، واستظهره أبو حيان (٥/٤٠٨)، وجوَّزه البيضاوي (١/٥١٧).

.... تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وَجيعُ[1][2]

﴿ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ أسرعتم في إجابتي ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ كيف اغتررتم بقول العدو بعد تيقن[3] العداوة، وليس في الآية إلا أن الإنسان لـه اختيار في فعله ليس مجبراً كل الإجبار كما دل عليه قوله: ﴿ وَمَا

(١) عجز بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي وصدره:

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ ....

يقول: رب فرسان زحفت إليهم بفرسان مثلهم فلما حصل اللقاء جعل مكان التحية الضرب الموجع.

انظر: الكتاب (٣٢٣/٢)، الخصائص (٣٦٨/١).

(٢) قاله الزمخشري (٣٧٥/٣)، والبيضاوي (٥١٧/١)، ولم يورد الزمخشري البيت، وعليه فالاستثناء متصل وبيانه: أن دعاء الشيطان ليس من جنس السلطان على الحقيقة ولكنه أبرزه في صورته وجعله منه ادعاء.

انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاي (٤٥٩/٥)، روح المعاني (٣٠١/١٣). وجوَّز الرازي في التفسير الكبير (٨٨/١٩) أن يكون الاستثناء متصلاً على سبيل الحقيقة لا الادعاء، وعلله بأن القدرة على حمل الإنسان على عمل من الأعمال تارة يكون بالقهر والقسر، وتارة يكون بتقوية الداعية في قلبه بإلقاء الوساوس إليه فهذا نوع من أنواع التسلط.

(٣) ق: يقين.

﴿ كَانَ لِيَ عَلَيْكُم ﴾، وأما أنها تدل على أن الإنسان يستقل بخلق أفعاله فكلا(١).

﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ بمغيثكم(٢) من العذاب، أصله من الصراخ

---

(١) في كلام المؤلف -رحمه الله- رد على الزمخشري -ومن قال بقوله من المعتزلة- حيث قال في الكشاف (٣/٣٧٥): "وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين". اهـ.

وقوله هذا باطل مخالف لما عليه سلف الأمة من أن الإنسان له مشيئة لكنها لا تخرج عن مشيئة الله تعالى، وأن أعمال الإنسان -وإن كان الفاعل لها حقيقة- فإنها مخلوقة لله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة التكوير، الآية (٢٩). وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة الصافات، الاية (٩٦)، وقال: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ سورة الرعد، من الآية (١٦)، فسلف الأمة وسط بين القدرية المعتزلة الذين يزعمون أن الإنسان يخلق فعله وبين الجهمية الجبرية الذين يسلبون عنه الإرادة ويزعمون أنه كالريشة في مهب الريح وأنه مجبور على أفعاله.

انظر: السنة للخلال (٣/٥٢٦)، مقالات الإسلاميين (١/٢٩٨)، الفرق بين الفرق ص(٩٤)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٩٨، ١١٨، ١١٩)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص(٣٢٠)، القضاء والقدر د. عبدالرحمن المحمود ص(٢٩٩، ٣٧١).

(٢) رواه ابن جرير (١٦/٥٦٢-٥٦٥) عن قتادة ومجاهد والشعبي وابن زيد، وبنحوه عن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب.

وانظر: مجاز القرآن (١/٣٣٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٥٧)، تذكرة الأريب في تفسير =

[وهو الصوت](1)(2)، وفي الحديث: «كان يقوم بالليل إذا سمع الصَّارِخ»(3) يريد صوت الديك(4).

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ قرأه(5) حمزة بكسر الياء(6) على أن الإضافة إلى ياء

الغريب (١/٢٧٩)، عمدة الحفاظ (٢/٣٣٠).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من ص وَ ق.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (صرخ) (٣/٣٤٨)، لسان العرب (صرخ) (٣/٣٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب من نام عند السحر (٢/٤٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل (١/٥١١ رقم ١٣١) من حديث مسروق قال: "سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: كان يحب الدائم.

قال: قلت: أيّ حينٍ كان يصلي؟ فقالت: كان إذا سمع الصَّارخ قام فصلى".

(٤) قال النووي في شرح مسلم (٦/٢٣): "الصارخ هنا هو الديك باتفاق العلماء، قالوا: وسُمي بذلك لكثرة صياحه". اهـ.

وانظر: النهاية (صرخ) (٣/٢١).

(٥) ق: قرأ.

(٦) انظر: السبعة ص(٣٦٢)، التيسير ص(١٠٩).

وقرأ بها أيضاً: الأعمش ويحيى بن وثاب وحمران بن أعين.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٨٢)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٤٨)، البحر المحيط (٥/٤٠٨)، النشر (٢/٢٩٩).

ساكنة كياء غلامي، فلما سقط النون بالإضافة اجتمع الساكنان حركت الثانية لعدم إمكانه في الأولى بسبب الإعراب ولتمكن الإدغام(١)، وعند التقاء الساكنين إذا حُرِّك الساكن يحرك بالكسر قاعدة مطردة(٢)، وقد نقله(٣) من أهل العربية قُطْرُب(٤) والفراء(٥) وأبو عمرو بن العلاء(٦)، فمن قال: "إنها ضعيفة"(٧) فلضعف بصيرته،

(١) فأصل ﴿ بِمُصْرِخِيَّ ﴾: "مصرخين" جمع: مصرخ، أضيف إلى ياء المتكلم فصار: بمُصْرِخِيْنِي، وحذفت النون للإضافة فاجتمع ياء الجمع وياء الإضافة وحركت الثانية وأدغمتا.
انظر: مشكل إعراب القرآن (الموضع السابق)، البيان لابن الأنباري (٢/٥٧).

(٢) ذكر هذا التوجيه للقراءة الفراء في معاني القرآن (٢/٧٦).
وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٥٩)، الحجة لابن خالويه ص(٢٠٣).

(٣) أي تصويب القراءة والاحتجاج لها.

(٤) محمد بن المستنير، أبوعلي البصري النحوي اللغوي، أخذ النحو عن سيبويه، وهو الذي لقبه بقطرب، والقُطْرُب: دويبة تدب ولا تفتر، لقبه بذلك لبكوره في العلم وعدم فتوره، من كتبه "الاشتقاق" وَ "الأضداد". مات عام ٢٠٦هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٤/٣١٢)، بغية الوعاة (١/٢٤٢).
وقد ذهب قطرب إلى أن هذه الكلمة على لغة بني يربوع.
انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/٢٩)، الكشف لمكي (٢/٢٦)، البسيط (١/٢٢٦)، البحر المحيط (٥/٤٠٩)، الدر المصون (٧/٩٠).

(٥) راجع الحاشية رقم (٢).

(٦) انظر: البحر المحيط (٥/٤٠٩)، الدر المصون (٧/٩٠)، النشر (٢/٢٩٨).

(٧) القائل هو الزمخشري (٣/٣٧٥) وفي حاشية الأصل وَ ص: يرد على الكشاف.

ولو لم يوافق العربية(١) حيث تواتر عن صاحب الوحي أفصح خلق الله كان واجب القبول(٢)، والشعر الذي قال: "إنه مجهول"(٣) هو للأغلب

---

(١) كيف وقد تكلم به بعض العرب كما نقل ذلك قطرب، ووجهه الفراء كما ذكره أعلاه.

(٢) وذلك أن القراءة سنة متبعة تؤخذ بالتلقي والرواية، ولا تخضع للقياس، قال أبو عمرو الداني في جامع البيان: "وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها". اهـ. نقلاً من كتاب النشر (١/١٠-١١).

وانظر في توجيه هذه القراءة والاحتجاج لها وذكر من قواها :

الحجة لأبي علي الفارسي (٢٩/٥)، الحجة لابن خالويه ص(٢٠٣)، الكشف لمكي (٢٦/٢)، التيسير للداني ص(١٠٩)، البيان في إعراب القرآن لابن الأنباري (٥٧/٢)، البحر المحيط (٤٠٩/٥)، الدر المصون (٨٩/٧ وما بعدها)، النشر (٢٩٨/٢).

(٣) قال الزمخشري (٣٧٥/٣): "واستشهدوا لها ببيت مجهول:

قالَ لها: هل لكِ يَاتاَ فيِّ   قالتْ لـه: ما أنتَ بالمَرْضيِّ".

وقد سبق الزجاجُ الزمخشري في تضعيف القراءة وردِّ هذا البيت فقال: "وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف... إلخ".

وقال عن البيت: "وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعمل مثل هذا سهل، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله عز وجل". اهـ.

قلت: أما وقد عرف قائل هذا الشعر -كما سيذكره المؤلف- وكان لهذه القراءة وجه في العربية -حتى ولو لم يكن الأفشى والأشهر- فلا يجوز التجرؤ برد هذه القراءة والقول بضعفها مع ما ذُكر من أن القراءة سنة متبعة تؤخذ بالتلقي والرواية لا بمجرد القياس ونحوه.

ومعنى البيت: أنه يقول لامرأة هل لك رغبة فيَّ، و "تا" اسم إشارة، فقالت لـه: لست بالمرضي فأرغب فيك. والشاهد أن الياء في قوله: "فيِّ" جاءت مكسورة.

وانظر: المراجع حاشية (٢) من الصفحة التالية.

العجلي[1] مسطور في ديوانه[2].

﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ بإشراككم إياي من

وقد تصدى أبو حيان للزمخشري فنقض كلامه في تضعيف هذه القراءة والحكم على الشعر بأنه مجهول. البحر المحيط (٤٠٩/٥).

هذا وقد ضعف القراءة جماعة من المفسرين والنحاة فقال عنها الأخفش: "وهذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب ولا أهل النحو". اهـ. معاني القرآن (٥٩٩/٢)، وكذا ضعفها النحاس في إعراب القرآن (١٨٣/٢)، وقال: "لا ينبغي أن يحمل كتاب الله جل وعز على الشذوذ". اهـ.

(١) الأغلب بن جشم بن عمرو بن عبيدة بن حارثة العجلي الراجز المشهور، أسلم وشارك في معارك ضد فارس وقتل بنهاوند وعمره ٩٠ سنة، وهو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة، وقد ذكره رؤبة بن العجاج فقال:

إنّي أنا الأغْلبُ أضْحَى قد نُشِرْ

انظر: الشعر والشعراء (٦١٣/٢)، أسد الغابة (١٢٦/١)، الإصابة (٥٦/١).

(٢) في حاشية ص: ونقله الجعبري عن ديوانه.

وانظر: البيت منسوباً في الخزانة (٤٣٣/٢)، البحر المحيط (٤٠٩/٥)، الدر المصون (٩١/٧)، شعراء أمويون ص(١٦٩)، وغير منسوب في: معاني القرآن للفراء (٧٦/٢)، وصدره في المحتسب (٤٩/٢).

وأما ديوان الأغلب الذي ذكره المؤلف فلم أقف عليه، والظاهر أن الجعبري نقله في كتابه (كنز المعاني شرح حرز الأماني) والذي سبق أن قلنا أن المؤلف -رحمه الله- له حاشية عليه سماها: العبقري في حواشي الجعبري.

انظر: مؤلفاته في قسم الدراسة.

قبل هذا اليوم في الدنيا، ومعنى كفره بإشراكهم إياه: تبرؤه منه في ذلك اليوم، فعلى هذا ﴿ مَا ﴾ مصدرية[1] و﴿ مِن ﴾ يتعلق بـ ﴿ كَفَرْتُ ﴾[2]، أو موصول[3] بمعنى "من" وهو الله تعالى، إني كفرت بالذي أشركتمونيه معه في طاعتكم إياي حين دعوتكم على عبادة الأوثان وترك التوحيد من قبل إشراككم إذ أبيت السجود لآدم[4]. يقال: شركت زيداً وأشركنيه غيري، فيتعدى إلى المفعول

---

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن (٣/١٦٠)، والنحاس في معاني القرآن (٣/٥٢٥)، ورجحه الواحدي في البسيط (١/٢٢٨)، والزمخشري (٣/٣٧٦)، وأبو حيان (٥/٤٠٩).

(٢) والمعنى: إني كفرت من قبل بإشراككم بي.

انظر: التبيان للعكبري (٢/٧٦٨)، الدر المصون (٧/٩٧)، والأكثر على أنه إن كانت ﴿ مَا ﴾ مصدرية فـ ﴿ مِن ﴾ متعلقة بـ ﴿ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾.

انظر: المراجع في الحاشية السابقة.

وظاهر كلام المؤلف السابق يدل على ذلك حيث يقول: "ومعنى كفره بإشراكهم إياه: تبرؤه منه في ذلك اليوم". اهـ. فأسند التبرؤ والكفر إلى ذلك اليوم -يوم القيامة- فلم يبق إلا أن تكون ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ مسندة إلى الإشراك. والله أعلم.

(٣) وبه قال الفراء في معاني القرآن (٢/٧٦).

(٤) وقال الزمخشري (٣/٣٧٦): "وقيل: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بـ ﴿ كَفَرْتُ ﴾ و ﴿مَا﴾ موصولة أي: كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه، وهو الله -عز وجل-". اهـ.

الثاني بالهمزة(١).

﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ من كلامه(٢) سيقوله في ذلك اليوم تحسراً؛ حكاه الله ليكون إيقاظاً للناظرين في أمر الآخرة، أو هو مبتدأ كلام منه تعالى لذلك(٣).

﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ ﴾ بتوفيقه وإرادته، والمُدْخِل المَلَكُ الذي [بيده](٤) مفتاح [الجنة](٥) والإسناد إليه تعالى للتشريف(٦) ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

---

(١) انظر: الكشاف (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (١/٥١٧).

(٢) قاله الطبري (١٦/٥٦١)، والزمخشري في الكشاف (الموضع السابق) "احتمالاً"، ورجحه أبو حيان (٥/٤٠٩).

(٣) قاله الزمخشري (الموضع السابق)، ورجحه الرازي في التفسير الكبير (١٩/٩١).

(٤) ساقطة من ق.

(٥) ساقطة من الأصل.

(٦) في حاشية الأصل: لم يرد الإسناد في هذه الآية؛ بل حيث أُسند إليه في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ سورة الحج، من الآية (١٤، ٢٣)، سورة محمد، من الآية (١٢). منه.

تحية الملائكة عند ملاقاة المؤمنين[1] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[2].

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا ﴾ لمَّا بيَّن أحوال الأشقياء وأحوال السعداء أردفها بضرب المثل كشفاً عن حقيقتها[3] وإبرازاً للمعقول[4] في صورة المحسوس ﴿ كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ [أي: جعل كلمة طيبة][5] تفسير لقوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا ﴾ كما تقول: شرَّف الأميرُ زيداً كساه حلةً وحمله على فرس[6]، ويجوز أن

---

(١) رواه ابن جرير (٥٦٦/١٦) عن ابن جريج.
وانظر: الكشاف (٣٧٧/٣)، تفسير البيضاوي (٥١٧/١).
وقال المؤلف -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ ﴾ سورة يونس، من الآية (١٠): "أي: ما يحييهم به الملائكة أو الله سبحانه مصدر مضاف إلى المفعول، أو تحية بعضهم بعضاً فإلى الفاعل". اهـ. ص(٤٩٣).
وانظر: البسيط (٢٢٨/١)، مشكل إعراب القرآن (٤٥٠/١).

(٢) سورة الزمر، من الآية (٧٣).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٩٢/١٩).

(٤) ص: المفعول.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٦) قاله الزمخشري (٣٧٧/٣)، والبيضاوي (٥١٨/١).
قال الزمخشري: "﴿ كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ نصب بمضمر أي: جعل كلمة طيبة... إلخ".

ينتصب ﴿ مَثَلًا ﴾ و ﴿ كَلِمَةً ﴾ بـ ﴿ ضَرَبَ ﴾ على تضمين معنى التصيير أي: صيَّر كلمة طيبة مثلاً[1]، ثم قال: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف[2].

﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ في الأرض ضارب بعروقها فيها ﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ وأعلاها نحو السماء[3]، ويجوز أن يريد فروعها وهي الأغصان واكتفى بالجنس[4] فيتناول كل فرع على البدل لا الاستغراق[5]؛ لأن مثل غلام زيد

---

(١) جوزه الزمخشري والبيضاوي (الموضعين السابقين) وهو قول ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٣٣٤-٣٣٥).

(٢) والتقدير: هي كشجرة طيبة.

انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/٥٦٧)، البسيط (١/٢٢٩)، الكشاف (الموضع السابق)، تفسير البغوي (٤/٣٤٧)، تفسير البيضاوي (١/٥١٨).

(٤) انظر: الكشاف، تفسير البيضاوي (الموضعين السابقين).

(٥) في حاشية الأصل: قائله القاضي.

وقد قال القاضي البيضاوي في تفسيره (١/٥١٨): "ويجوز أن يريد: فروعها، أي: أفنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة". اهـ.

والظاهر -والله أعلم- ما ذهب إليه البيضاوي لأن المفرد المضاف إلى المعرفة -حيث لا عهد- يفيد =

لا يستغرق ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا ﴾[1] ثمرها ﴿ كُلَّ حِينٍۭ ﴾ كل وقت جرت عـادة الله بتكون الثمر فيه[2] ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ ﴾ بـإرادة خالقهـا ومُكوِّنهـا ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ فإن في ضربها تصويراً للمعقول[3] في صورة المحسوس تقريباً للمعاني إلى[4] الأفهام[5].

العموم الاستغراقي عند الأكثر فتناوله كل فرع في الآية على الاستغراق لا البدل. والله أعلم.

انظر: روضة الناظر (٢/٦٦٦)، حاشية زاده على تفسير البيضاوي (٣/١٣٤)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/٤٦٣).

(١) في حاشية الأصل وَ ص: قرأ الكوفيون وابن عامر بضم الكاف.

قلت: وقرأ الباقون بسكونها.

انظر: السبعة ص(١٩٠)، التيسير ص(٧٠)، النشر (٢/٢١٦).

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٧٧)، تفسير البيضاوي (١/٥١٨).

وذلك "أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أم قصرت". معاني القرآن للزجاج (٣/١٦١)، وقيده المؤلف -رحمه الله- بالوقت الذي جرت عادة الله بتكون الثمر فيه؛ لأن الآية تحدثت عن إخراج الثمر وهو في وقت محدد.

وللمفسرين في المراد بالحين أقوال متعددة انظرها في:

تفسير الطبري (١٦/٥٧٥)، البسيط (١/٢٣٠)، تفسير البغوي (٤/٣٤٧)، زاد المسير (٤/٣٥٩)، البحر المحيط (٥/٤١١).

(٣) ص: للمفعول.

(٤) ص: على.

(٥) انظر: التفسير الكبير (١٩/٩٥).

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ استؤصلت[1] وأُخذت برمَّتها، وأصلُ الجَثِّ: القطع[2] ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ ثبات؛ لكون عروقها على وجه الأرض تنجعف[3] بأدنى ريح.

والكلمة الطيبة: كلمة التوحيد[4]، وقيل: كل كلمة حسنة تورث ثواباً كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة[5]، وعن ابن عباس: "هي شهادة أن لا إله إلا الله"[6]، وهذا

---

(١) رواه ابن جرير (٥٨٦/١٦) عن قتادة، وقال به، وكذا قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٤٠/١)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٣٢)، والزجاج في معاني القرآن (١٦١/٣)، والزمخشري (٣٧٨/٣)، والبيضاوي (٥١٨/١)، وكثير من المفسرين.

(٢) قال في لسان العرب (جثث) (١٢٦/٢): "الجَثُّ: القطعُ، وقيل: قطع الشيء من أصله".
وانظر: معاني القرآن للزجاج (١٦١/٣)، معجم مقاييس اللغة (جث) (٤٢٥/١).

(٣) ص: تتجعف وَ ق: بتخفيف.
وفي حاشية الأصل وَ ص: جَعَف الشيءَ فانجعف أي: قَلَعَهُ فانْقَلَع. منه.
وانظر: معجم مقاييس اللغة (جعف) (٤٦٠/١)، لسان العرب (جعف) (٢٧/٩).

(٤) قاله الزمخشري (٣٧٧/٣).

(٥) ذكره الزمخشري (الموضع السابق).

(٦) رواه ابن جرير (٥٦٧/١٦) من طريق علي بن أبي طلحة، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٣٢)، ونسبه الواحدي في البسيط (٢٢٩/١) لعامة المفسرين.
وانظر: تفسير البغوي (٣٤٦/٤)، البحر المحيط (٤١٠/٥).
وهذا القول مطابق للقول الأول، فإن كلمة التوحيد هي شهادة أن لا إله إلا الله.
وانظر: تفسير السمرقندي (٢٤١/٢).

هو الوجه لأنها أصل الأعمال فينطبق[1]/ عليه قوله: ﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فالتنكير للتعظيم. والشجرة الطيبة كل شجرة لها ثمر طيب كالنخل والتين[2]، وعلى قول ابن عباس يُشبه أن تكون النخلة[3]؛ لأنها أفضل الأشجار على ما قال رسول الله ﷺ: «إنها مثل المؤمن»[4].

---

(١) فينطبق: مكررة في الأصل.

(٢) قاله الزمخشري (٣٧٨/٣).
وانظر: البحر المحيط (٤١١/٥).

(٣) رواه ابن جرير (٥٦٩/١٦-٥٧٠) عن أنس -ﷺ- موقوفاً ومرفوعاً، والمرفوع رواه أيضاً النسائي في الكبرى، كتاب التفسير، سورة إبراهيم، (٣٧١/٦ رقم ١١٢٦٢)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، سورة إبراهيم (٢٧٩/٨ رقم ٣١١٨)، والحاكم في المستدرك (٣٥٢/٢)، وصححه على شرط مسلم، ورجح الترمذي الموقوف على المرفوع.
كما رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، ومجاهد، وعكرمه، وقتادة، وابن زيد، ومسروق (٥٧٠/١٦-٥٧١)، وقال به جماعة من المفسرين منهم ابن جرير (٥٧٢/١٦)، والبغوي (٣٤٦/٤)، ونسبه الواحدي في البسيط (٢٢٩/١)، وابن عطية (٣٣٥/٣)، وأبو حيان (٤١٠/٥) لأكثر أهل التأويل.

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ ﴾ (٢٢٠/٥)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٢١٦٦/٤ رقم ٦٤) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- ولفظه: "كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يَتحاتُّ ورقها ولا ولا ولا، تؤتي أكلها كل حين» قال ابن =

والكلمة الخبيثة ما يكون معصية أو تؤدي إليها[1]، والشجرة الخبيثة الحَنْظَلَة[2]، وقيل: الشَّرْيان[3].

عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»، فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال: ما منعك أن تكلّم؟ قال: لم أركم تكلّمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا". هذا لفظ البخاري.

(١) وأعظمه الشرك بالله تعالى، وهذا القول نقله بنحوه الزمخشري (٣٧٨/٣)، والبيضاوي (٥١٨/١)، وأبو حيان (٤١١/٥) وغيرهم.

(٢) رواه عبدالرزاق في التفسير (٣٤٢/٢/٢)، وابن جرير (٥٨٣/١٦-٥٨٤) عن أنس -رضي الله عنه-، وزاد ابن جرير روايته عن مجاهد، ونسبه لأكثر أهل التأويل.
وانظر: زاد المسير (٣٦٠/٤)، البحر المحيط (٤١١/٥)، الحاشية التالية.

(٣) في حاشية الأصل وَ ص: هذا ما رواه ابن الأثير عن أنس، وفي الكشاف الشَّريان -بفتح الشين- والشَّرْيُ الحنظلة. منه.
وما تشير إليه الحاشية من كلام ابن الأثير هو ما ذكره في النهاية (شرا) (٤٦٩/٢) قال: "وفي حديث أنس في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قال: هو الشَّريان". اهـ.
وهذا الحديث هو ما سبقت الإشارة إليه في الحاشية السابقة فقد رواه الطبري عن أنس ولفظه: "عن أنس في قوله: ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قال: الشَّريان، قلت لأنس: ما الشَّريان؟ قال: الحنظل".
ثم ساق ابن الأثير كلام الزمخشري في تفسير الشريان والشري بنحو ما ذُكر في الحاشية لكنه ليس في الكشاف، و لم أقف عليه فيه، بل هو في الفائق في غريب الحديث (٢٣٩/٢)، وفيه: "... وأما الذي يتخذ منه القِسِيُّ فيقال لــه: الشِّريان، وقد يفتح".
وراجع: غريب الحديث للخطابي (٥١٣/٢).

وإنما أردف المثل الأول بقوله: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ ولم يؤخره عنهما إشارة إلى شرفه، وأنه المقصود بالذات، والثاني مذكور بالعرض.

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ وهي كلمة الشهادة[1]، فإن المؤمن يفتن في الدنيا -نعوذ بالله- كما فُتن أصحاب الأخدود[2]، وأنبياء بني إسرائيل نُشر بعضهم بمناشير الحديد ولم يصرفهم ذلك عن دينهم[3]، وكذلك في الآخرة إذا جاءهم فتّانا[4]

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٨٩/١٦)، البسيط (٢٣٦/١)، تفسير البغوي (٣٤٩/٤)، زاد المسير (٣٦١/٤).

(٢) "الأخدود: الشق في الأرض، وجمعه: الأخاديد". النهاية (خدد) (١٣/٢)، وقد ذكر الله تعالى قصتهم في سورة البروج في قوله: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ ... الآيات ﴾، كما جاء خبرهم في حديث صهيب -رضي الله عنه- الذي رواه مسلم في صحيحه كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٢٢٩٩/٤ رقم ٧٣).

(٣) عن خباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه فقال: **«لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرف ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حق يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله»**. رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (٢٣٨/٤).

(٤) ق: فتان.

القبر وسألوهم عن دينهم ثبتوا على ما كانوا عليه في الدنيا كما أخبر بذلك ﷺ تموتون كما تعيشون[1]، روى[2] البخاري عن البراء أن رسول الله[3] قال: «إن المؤمن إذا سئل عن ربه وعن دينه وعن نبيه وأجاب نادى منادٍ من السماء أن صدق[4] عبدي فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ[5] ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾»[6].

﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين لم يستدلوا بآيات الآفاق[7] والأنفس على وحدانيته، ويشبه أن يكون ذلك قول الكافر في القبر إذا سئل عن

(١) لم أقف عليه عن النبي ﷺ، ولا أدري هل مراده أن هذا هو ما أخبر به الرسول ﷺ فيكون حديثاً، أو هو جملة معترضة وما أخبر به الرسول ﷺ هو ما ذكره بعد من رواية البخاري. والله أعلم.

(٢) ق: وروى.

(٣) ق: عن رسول الله.

(٤) ق: أن قد صدق.

(٥) الذين: غير مكتوب في ص.

(٦) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة إبراهيم (٥/ ٢٢٠) بنحوه.

(٧) ص: بآيات الله الآفاق... إلخ.

ربه وعن دينه فيقول: لا أدري، فيقال: لا دريت ولا تليت[1]، ويضرب[2] بمِطْرَقَة فيصيح صيحة يسمعها كل ذي حياة سوى الثقلين ولو سمعوها لصعقوا من هيبتها[3].

---

(١) قال ثعلب: "تليت" أصله: تلوت، والمعنى: لا دريت ولا اتبعت من يدري، وإنما جيء بالياء لمواخاة: دريت، وقال ابن السكيت: قوله: "تليت" إتباع ولا معنى لها، وقال الأصمعي: أصلها: ائتليت بزيادة همزتين بوزن افتعلت من قولهم: ما ألوت أي: ما استطعت. وقيل غير ذلك. من فتح الباري (٢٣٩/٣) باختصار وتصرف.

(٢) ق: فيضرب.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١٠٢/٢) عن أنس -ﷺ- بنحوه.

وقد جاء في بعض ألفاظ حديث البراء بن عازب -ﷺ- الذي ذكره المؤلف سابقاً، وفيه أنه بعد سؤال الكافر وعدم جوابه "فيقولان: لا دريت. قال: وذلك قال الله: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾".

رواه ابن جرير (٦٠٣/١٦)، وقال به (٦٠٢/١٦) وهو ظاهر كلام كثير من المفسرين.

انظر: البسيط (٢٣٧/١)، تفسير البغوي (٣٥١/٤)، الجامع للقرطبي (٣٦٣/٩).

ولعل اللفظ يشمل هذا وغيره، فجزاء على ظلمهم يضلهم الله تعالى في هذه المواقف وغيرها جزاءً وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد.

﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ من الإسعاد والإشقاء، وفيه إيماء إلى أن المؤمن لا يتكل على ما هو فيه ولا يأمن من مكر الله.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ أيْ: شكر نعمة الله الذي كان واجباً عليهم أتوا بنقيضه فكأنهم بدَّلوه[1]، أو بدلوا نفس النعمة كفراً[2]، فإن الآية نزلت في مشركي مكة[3] حين منَّ الله عليهم بمحمد -ﷺ- فلم يقبلوا نعمته وآثروا الكفر عليها[4].

(١) قاله الزمخشري (٣/٣٨٠)، وابن عطية (٣/٣٣٧).

(٢) قاله الزمخشري أيضاً (الموضع السابق) ونصه: "ووجه آخر: وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفراً على أنهم لما كفروا سُلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلاً لهم الكفر بدل النعمة". اهـ.
وانظر: الوجهين في: تفسير البيضاوي (١/٥١٨)، البحر المحيط (٥/٤١٣)، الدر المصون (٧/١٠١-١٠٢).

(٣) قاله علي وابن عباس -رضي الله عنهم- ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وسعيد بن جبير وغيرهم.
انظر: تفسير عبدالرزاق (٢/٢/٣٤٣)، السنن الكبرى للنسائي (٦/٣٧٢ رقم ١١٢٦٧، ١١٢٦٨)، تفسير الطبري (١٣/١٤٦) (من هنا تبدأ الإحالة على طبعة دار المعرفة لتفسير الطبري)، البسيط (١/٢٣٧)، تفسير ابن كثير (٤/٤٢٦).

(٤) انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها)، تفسير البغوي (٤/٣٥٢)، الكشاف (٣/٣٨١).
قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن: "قد أجمع العلماء على أن نعمة الله المقصودة هنا هي: بعثة محمد ﷺ بالهدى ودين الحق". اهـ. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/٧٩).

﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ الذين شايعوهم على الكفر، والبَوَار: الهلاك[1]، وفي الحديث «نعوذ بالله من بوار الأَيِّم»[2] وهي [المرأة][3] التي لا زوج لها ولا يرغب فيها أحد[4][5].

---

(١) تهذيب اللغة (بار) (٢٦٦/١٥)، لسان العرب (بور) (٨٦/٤).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤٥٠/١٢ رقم ٦٩٣٢) عن أبي القاسم الحسين بن أحمد بن عثمان بن شيطا، حدثنا القاسم بن علي بن جعفر الدوري البزاز، حدثنا حاجب بن أركين، حدثنا عباد بن الوليد، حدثنا عباد بن زكريا، حدثنا هشام عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، ومن مخيلة العدو، ومن بوار الأيم، ومن فتنة الدجال»**.

وسنده حسن لولا عباد بن زكريا فإني لم أقف لـــه على ترجمة.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) انظر: النهاية (بور) (١٦١/١)، لسان العرب (بور) (٨٦/٤).

(٥) قال في لسان العرب (الموضع السابق): "والبوار: الكساد، وبارت السوق وبارت البياعات إذا كسدتْ تَبُورُ، ومن هذا قيل: "نعوذ بالله من بوار الأَيِّم" أي: كسادها وهو أن تبقى المرأة في بيتها لا يخطبها خاطب، من بارت السوق إذا كسدت..."

وانظر: النهاية (الموضع السابق).

وإنما سُمي الكساد بواراً لأنه يؤدي إلى الهلاك والفساد.

قال الراغب في المفردات (بور) ص(١٥٢): "البوار: فرط الكساد، ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد - كما قيل: كَسَدَ حتى فَسَدَ عُبِّر بالبوار عن الهلاك... إلخ".

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ عطف بيان[1] أو بدل[2]، والمضارعية حال منها، أو من الفاعل أيْ: داخلين فيها مقاسين حرها[3] ﴿ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ بئس المقر جهنم[4]، جعلها نفس القرار مبالغة.

وعن عمر وعلي: "هم[5] الأفجران من قريش بنو المغيرة[6] وبنو أمية[7]، أما

وانظر: عمدة الحفاظ (١/٢٤٢).

(١) قاله الزمخشري (٣/٣٨٠)، والبيضاوي (١/٥١٩).

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن (٣/١٦٢)، والنحاس في إعراب القرآن (٢/١٨٣)، ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/٤٥١)، وابن الأنباري في البيان (٢/٥٨).

وانظر الوجهين في: البحر المحيط (٥/٤١٣)، الدر المصون (٧/١٠٢).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (الموضع السابق)، تفسير البيضاوي (١/٥١٩).

(٤) انظر: الوسيط (٣/٣١)، التفسير الكبير (١٩/٩٧)، تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٥) من هنا الجزء (أ) من هذه اللوحة من نسخة (ص) غير واضح، وقد استبدلته في المقابلة بنسخة مكة المكرمة، وسأرمز لهذه النسخة بالحرف (ك).

(٦) بنو المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ومخزوم بطن من لؤي بن غالب من قريش منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة، وأسلم منهم جماعات من خيار الصحابة كخالد بن الوليد وسلمة بن هشام وغيرهم.

انظر: أسد الغابة (٢/٢٨٣)، نهاية العرب ص(٣٧١).

(٧) بطن من قريش، وهم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وإلى هذا البطن =

بنو المغيرة[1] كفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين"[2].

وقيل: هم متنصرة العرب جَبَلَةُ الأَيْهَم وأصحابه[3].

من قريش تنسب الدولة الأموية التي كان أول خلفائها معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-. وقد كان منهم جمع من الصحابة مثل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية وأبي سفيان صخر بن حرب بن أمية وغيرهم كثير.

انظر: نهاية الأرب ص(٨٥).

(١) في الأصل: أما بنو المغيرة وبنو أمية كفيتموهم... إلخ. وهو خطأ.

(٢) الأثر عن عمر -رضي الله عنه- رواه الطبري (١٤٦/١٣) وغيره.

وانظر: تفسير البغوي (٣٥٢/٤)، تفسير ابن كثير (٤٢٥/٤)، الدر المنثور (٤١/٥).

وأما الأثر عن علي -رضي الله عنه- فرواه الطبري (الموضع السابق)، والحاكم في المستدرك (٣٥٢/٢)، وقال: صحيح الإسناد. اهـ.

وانظر: تفسير ابن كثير، الدر المنثور (الموضعين السابقين).

وقد خالف هذا القول بعض المفسرين ولم يرتضوه، فقال الطاهر بن عاشور: "لا أحسبه إلا من وضع بعض المغرضين المضادين لبني أمية، وفي روايات عن علي -كرم الله وجهه- أنه قال: هم كفار قريش. (انظر: ص (١٢٥٩) حاشية (٣). ولا يريد عمر ولا علي -رضي الله عنهما- من أسلموا من بني أمية، فإن ذلك لا يقوله مسلم". اهـ. التحرير والتنوير (٢٢٩/١٣).

ومما لا شك فيه أنه على القول بصحة الأثرين فإنهما لا يتناولان من أسلم من بني أمية كأبي سفيان وولديه يزيد ومعاوية -رضي الله عنهم- فإنهم ممن ثبت إسلامهم بالطرق القطعية وحسن بلاؤهم وكان لهم مقام صدق في الإسلام والآية تتحدث عن الكفار. والله أعلم.

(٣) رواه ابن جرير (١٤٨/١٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق العوفي.

وفي حاشية الأصل وَ ك: فيه تغليب لأن جبلة مرتد، ارتد في زمن عمر ولحق بالروم. منه.

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ التوحيد(١) الموصل إليه، [والأنداد(٢) جمع ند -بالكسر- وهو مثل الشيء المضاد](٣)(٤)، وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء من الإضلال(٥)، والفتح هو المختار؛ لأن مجرد الضلال كافٍ

قال ابن عطية: "ولم يرد ابنُ عباس أنها فيه نزلت؛ لأن نزول الآية قبل قصته، وإنما أراد أنها تحصر من فعل (فعل) جبلة إلى يوم القيامة". اهـ. المحرر الوجيز (٣/٣٣٧).

وانظر: روح المعاني (١٣/٣١٦)، التحرير والتنوير (١٣/٢٣٠).

وجبلة هذا هو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، أبو المنذر الغساني، ملك نصارى العرب، أسلم ثم ارتد في خلافة عمر -ﷺ- ولحق بالروم، ثم هلك في خلافة معاوية -ﷺ-، وقد قيل: إنه ندم على ردته. والله أعلم.

انظر: البداية والنهاية (٨/٦٣)، الأعلام (٢/١١٢).

(١) ق: عن التوحيد.

(٢) ق: أنداد.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ق وَ ك.

(٤) قال ابن الأثير: "الأنداد جمع نِدّ بالكسر وهو: مِثل الشيء الذي يضادُّه في أموره ويُنادُّه، أي: يخالفه". النهاية (ند) (٥/٣٥).

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٦٢)، لسان العرب (ندد) (٣/٤٢٠).

(٥) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء ﴿لِيَضلوا﴾.

في الاستحقاق. والضلال والإضلال[1] جعلا غرضين مجازاً[2] كما في قوله: ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ﴾[3][4].

انظر: السبعة ص(٢٦٧)، التيسير ص(١٠٩)، المُوضَح (٢/٧١١).

(١) الضلال على قراءة الفتح، والإضلال على قراءة الضم.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٨٠)، تفسير البيضاوي (١/٥١٩)، فتوح الغيب ص(٥٨١).

(٣) سورة القصص، من الآية (٨).

(٤) والمعنى على هذا أن اللام من قوله: ﴿ لِّيُضِلُّواْ ﴾ هي لام العاقبة والصيرورة. وقد اختلف المفسرون في هذه اللام في القراءتين جميعاً فعلى قراءة الضم قيل: هي لام كي وقيل: لام العاقبة، وكذا قيل في قراءة الفتح.

قال الرازي في التفسير الكبير (١٩/٩٨): "اللام في قوله: ﴿ لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ ﴾ لام العاقبة؛ لأن عبادة الأوثان سبب يؤدي إلى الضلال ويحتمل أن تكون لام كي أي: الذين اتخذوا الوثن كي يُضلوا غيرهم، هذا إذا قرئ بالضم فإنه يحتمل الوجهين، وإذا قرا بالنصب فلا يحتمل إلا لام العاقبة لأنهم لم يريدوا ضلال أنفسهم". اهـ.

وقال ابن أبي مريم في المُوضَح في وجوه القراءات وعللها (١/٤٩٩): "وأما فتح الياء من قوله في إبراهيم: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيَضِلُّواْ ﴾ فاللام أيضاً لام العاقبة فإنهم لم يجعلوا لله أنداداً للضلال ولكن آلت عاقبتهم إلى الضلال باتخاذهم الأنداد فكأنهم اتخذوها للضلال، وقيل: اللام لام كي، والمعنى: جعلوا لله أنداداً عن علم منهم بأنه ضلال فقد فعلوا ذلك لِيَضلوا". اهـ.

وانظر: البحر المحيط (٥/٤١٤)، الدر المصون (٧/١٠٣).

﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا ﴾ بالشهوات، أمرُ تهديد وفي الإتيان به إيذان بأنهم منهمكون في تلك الشهوات [حتى][1] كأنهم مأمورون مِنْ آمرٍ لازمٍ إطاعتُه[2] ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۝ ﴾ فاستوفوا العاجل قبل فواته.

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أضافهم إلى نفسه تشريفاً لهم[3] ﴿ يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ كما أن الكفرة يتلذذون بالشهوات هؤلاء يستلذون بعبادته، ومفعول القول محذوف؛ لأن جوابه[4] يدل

والأقرب -والله أعلم- ما ذهب إليه ابن عطية من أنها لام كي على قراءة الضم، ولام العاقبة على قراءة الفتح.

انظر: المحرر الوجيز (٣/٣٣٨).

(١) ساقطة من ق وَ ك.

(٢) انظر: الكشاف (٣/٣٨٠)، تفسير البيضاوي (١/٥١٩).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٤) أي: جواب القول، قال الزمخشري: "المقول محذوف لأن جواب ﴿ قُل ﴾ يدل عليه، وتقديره: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أقيموا الصلاة وأنفقوا ﴿ يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا ﴾". اهـ. الكشاف (٣/٣٨١).

عليه، تقديره: قل لهم أقيموا وأنفقوا يقيموا وينفقوا[1]، ويجوز أن يكون اللام محذوفاً[2] لدلالة ﴿ قُل ﴾ عليه[3]، وما حكي عن المبرد من أن التقدير قل لهم أقيموا يقيموا[4] فلا يستقيم؛ لأن الشرط والجزاء متحدان في الفعل والفاعل[5]، ولأن الأمر المقدَّر للمواجهة و ﴿ يُقِيمُواْ ﴾ على لفظ الغيبة[6].

---

(١) نقله العكبري في التبيان (٢/٧٦٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/٤١٤) عن الأخفش، وبه قال الزمخشري (الموضع السابق).

(٢) ق وَ ك: محذوفة.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن (٣/١٦٢)، والكسائي كما في البحر المحيط (٥/٤١٤)، وجوَّزه البيضاوي (١/٥١٩) وجماعة، وعليه فمعمول القول هو: ﴿ يُقِيمُواْ ﴾ والتقدير: ليقيموا.
انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٨٤)، مشكل إعراب القرآن (١/٤٥١).

(٤) انظر: المقتضب (٢/٨٤). قال أبو حيان (٥/٤١٥): "فيقيموا المصرح به جواب أقيموا المحذوف".
وانظر: مشكل إعراب القرآن (الموضع السابق)، البيان لابن الأنباري (٢/٥٩).

(٥) ويشترط في الجزاء أن يكون مخالفاً للشرط "إما في الفعل أو الفاعل أو فيهما، فأما إذا كان مثله في الفعل والفاعل فهو خطأ كقولك: قم تقم، والتقدير على ما ذكر في هذا الوجه: إن يقيموا يقيموا". التبيان للعكبري (٢/٧٧٠).

(٦) أجاب بالوجهين العكبري في التبيان (الموضع السابق).

﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ مُسرِّين مُعلنين[1]، أو في وقتي سر وعلانية، أو إنفاق سر وعلانية[2]، السرُّ في الأصل: جوف الشيء، ثم أطلق على كل خفي قولاً كان أو غيره[3]، والمرادُ: الحث على الإنفاق لأنه لا يخلو عنهما، والأَوْلى في التطوع الإخفاء؛ لأنه أبعد عن الرياء، وفي الفرض الإعلان ليقتدى به[4].

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: من قبل أن

وانظر: تفسير البيضاوي (٥١٩/١)، فتوح الغيب ص(٥٨٢)، البحر المحيط (٤١٥/٥)، الدر المصون (١٠٥/٧).

(١) ق: ومعلنين.

(٢) فعلى الأول انتصب على الحال، والثاني على الظرف، والثالث على المصدر.
انظر: الكشاف (٣٨١/٣)، تفسير البيضاوي (٥١٩/١)، الدر المصون (١٠٧/٧).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (سر) (٦٨/٣)، النهاية (سرر) (٣٥٩/٢)، لسان العرب (سرر) (٣٥٧/٤)، عمدة الحفاظ (سرر) (١٩١/٢).

(٤) انظر: الكشاف (٣٨١/٣)، الجامع للقرطبي (٣٦٦/٩)، تفسير البيضاوي (٥١٩/١).
والذي يظهر -والله أعلم- أن الأصل أن تكون النفقة -واجبة كانت أو تطوعاً- سراً لأنه أبعد عن الرياء إلا إذا كانت ثمة مصلحة تدعو إلى إعلانها من إبعاد التهمة عن نفسه أو اقتداء الآخرين به -مع أمنه من الرياء- فيستحب إعلانها حينئذ. والله أعلم.

لا تقدروا على تدارك ما فاتكم لأنه إما أن يكون بصرف الأموال أو بمساعدة الأخلاء وكلاهما منتف في ذلك اليوم، أو معناه الحث على الإنفاق بتصوير يوم ينفع فيه هذا الإنفاق ولا ينفع فيه هذان الأمران المستمران بين الناس، أو عدم الانتفاع بهما كناية عن الانتفاع بمقابلهما وهو ما أنفق لوجه الله(1). قرأ ابن كثير وأبوعمرو فيهما بالفتح(2)، وهو أبلغ لكونه نصاً في الاستغراق(3).

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ مبتدأ وخبر(4). بيَّن نبذاً من أحوال السعداء والأشقياء ورغَّب ورهَّب، ثم عاد إلى دلائل التوحيد وبدأ بأظهرها(5) ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ مفعول "أخرج" يشمل كل ما انتفع به الإنسان، والجار والمجرور بيان لـه قدم عليه، أو حال [منه](6)، أو ﴿ مِنَ ﴾ التبعيضية مفعول و﴿ رِزْقًا ﴾ حال، أو مصدر

(1) انظر: الكشف للقزويني (63/أ).

(2) ﴿ لا بيعَ فيه ولا خلالَ ﴾.

انظر: السبعة ص(187)، التيسير ص(69)، الإقناع (2/610).

(3) انظر: الموضح (2/711)، تفسير البيضاوي (1/519).

(4) انظر: الكشاف (3/382)، البحر المحيط (5/416).

(5) ذكر قريباً منه الرازي في التفسير الكبير (19/99).

(6) ساقطةمن ق.

"أخرج"[1] لأنه في معنى رزق[2].

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ بإرادته حيث قصدتم ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ ﴾ تتصرفون فيها، وقيل: تسخيرها تعليم كيفية الانتفاع بها[3].

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ مستمرين على السير، من دأب في العمل[4] إذ جدَّ[5]، وفي ذلك منافع عظيمة لا تحصى من الإنارة وإصلاح

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) ذكر هذه الأوجه جميعاً الزمخشري (٣٨٢/٣)، والبيضاوي (٥١٩/١).

(٣) نقله البيضاوي مبهماً (الموضع السابق) قائلاً: "وقيل: تسخير هذه الأشياء... إلخ". والمراد الفلك والأنهار.
انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٤٧١/٥).

(٤) ق: دأب في الأمر.

(٥) في حاشية الأصل وَ ك: في ﴿ دَآئِبَيْنِ ﴾ تغليب لأنه أخف. منه.
والمراد أن الصيغة جاءت على التذكير مع أن الشمس مؤنثة لأنه أخف، ولأن التذكير هو الأصل. والله أعلم.
وانظر: مجاز القرآن (٣٤٢/١)، مشكل إعراب القرآن (٤٥١/١).
وراجع معنى دأب: ص (١٣٨).

الأبدان والثمار، بل لولا ذلك لم يتصور تَعَيُّش الحيوان ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ ﴾ للكسب والاستراحة.

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ ﴾ بعض الذي سألتموه[1] إذ لا يُحصِّل الإنسانُ[2] جميع ما يطلبه، ويجوز أن يكون السؤال بلسان الحال أي: أتاكم من كل [ذلك][3] ما احتجتم إليه ولم يمكن تعيشكم إلا به[4] فما موصولة أو موصوفة، أو مصدرية بمعنى المفعول[5]، ويجوز أن تكون نافية أي: آتاكم من كل شيءٍ غير سائليه[6]، وهو وجه حسن.

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٨٢).

(٢) ق: للإنسان.

(٣) ساقطة من ق.

(٤) قاله الزمخشري (٣/٣٨٢)، والبيضاوي (١/٥٢٠).

(٥) قاله العكبري في التبيان (٢/٧٧٠)، والبيضاوي في تفسيره (الموضع السابق)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٧/١٠٩).

(٦) سائر من وقفت على قوله من المفسرين يذكرون هذا الوجه في الآية على قراءة التنوين ﴿من كلٍ﴾ وهي قراءة ابن عباس والحسن والضحاك ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وعمرو بن فائد ويعقوب، و لم أقف على من قال إنه يجوز أن تكون ﴿ما﴾ نافية على قراءة الجمهور.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ الإحصاء: العدُّ والحفظ[1]، وفي الحديث: "كل القرآن أحصيت؟"[2] أي: حفظت[3]، وإذا كان الإحصاء غير مقدور فلا سبيل إلى شكرها، ولذلك قال ﷺ في مقام الحمد: «لا أحصي ثناء

انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٧٨)، تفسير الطبري (١٣/١٥٠)، معاني القرآن للنحاس (٣/٥٣٤)، المحتسب (١/٣٦٣)، تفسير البغوي (٤/٣٥٤)، الكشاف (٣/٣٨٢)، زاد المسير (٤/٣٦٥)، البحر المحيط (٥/٤١٦)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/٤٧٢).

وقد روى هذا القول -وهو أن "ما" نافيه- الطبري عن الضحاك وقتادة (الموضع السابق).

وانظر: معاني القرآن للنحاس، زاد المسير (الموضعين السابقين).

(١) انظر: لسان العرب (حصا) (١٤/١٨٤).

وقال الكلبي في الآية: لا تحفظوها، وقال أبو العالية: لا تطيقون عدها.

نقل القولين الواحدي في البسيط (٣/٣٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ (١/٥٦٣ رقم ٢٧٥) من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه جاءه رجل يقال لـه: نهيك بن سنان فقال: يا أبا عبدالرحمن كيف تقرأ هذا الحرف، ألفاً تجده أم ياء ﴿ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ ﴾ أو "من ماء غير ياسن" قال: فقال عبدالله: وكلَّ القرآن قد أحصيت غير هذا؟... الحديث.

(٣) انظر: النهاية (حصا) (١/٣٩٧).

عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1] وقال: [شعر]

إذا كان شُكْرِيْ نعمةَ الله نعمةً   عليَّ بها كيف السبيلُ إلى الشكرِ[2]

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ظلوم يضع الكفران موضع الشكر، كفار شديد الكفر يقابل تلك النعم بإغفال الشكر، وقيل: ظلوم يشكو في الشدة ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع[3]، والمراد الجنس[4] لقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ[5] ٱلشَّكُورُ ﴾[6].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ ذا أَمْن[7] -زاده الله أمناً وشرفاً -، أشار إلى ما في الذهن قبل الوجود بالفعل[8]، ونكّر في

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٣٥٢ رقم ٢٢٢) عائشة -رضي الله عنها-.

(٢) البيت للشاعر محمود الوراق.
انظر: ديوانه ص(١٢١).

(٣) نقله الزمخشري (٣/٣٨٢)، والبيضاوي (١/٥٢٠)، وأبو حيان (٥/٤١٧) مبهماً.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/١٦٤)، الكشاف (الموضع السابق).

(٥) إلى هنا انتهت المقابلة من نسخة ك وتبدأ المقابلة من جديد من نسخة ص.

(٦) سورة سبأ، من الآية (١٣).

(٧) انظر: الكشاف (٣/٣٨٢)، تفسير البيضاوي (١/٥٢٠).

(٨) وأشار إليه بالمعرفة قبل وجوده باعتبار ما يؤول إليه.
انظر: البحر المحيط (١/٥٥٤).

البقرة[1] مشيراً إلى الكائن أي: اجعل هذه البلدة بلداً آمناً، أو بالعكس[2]، إلا أن الأول أظهر لأن ما في هذه السورة سابق نزولاً فلا إشارة باللام إلا إلى ما في الذهن[3].

---

(١) في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ... الآية﴾ سورة البقرة، من الآية (١٢٦).

(٢) أي: أنه نكّره في سورة البقرة؛ لأنه لم يوجد بعد، وعرّفه في سورة إبراهيم بعد وجوده وبنائه.

وهذا الوجه هو ما ذكره كثير من المفسرين، ونقله الطيبي في فتوح الغيب ص(٥٨٧) عن الراغب الأصفهاني، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (١/٥٥٤)، والقزويني في الكشف (٦٣/ب)، والبقاعي في نظم الدرر (١٠/٤٢٤).

(٣) ما قاله المؤلف -رحمه الله- ليس بظاهر فإنه لا يلزم من ترتيب النزول على محمد ﷺ أن تكون القصة في أصلها مرتبة على هذا النحو، بل قد يذكر القرآن الكريم في موضع طرفاً من القصة، ثم يذكر بعد ذلك طرفاً آخر منها يكون قبل ما ذكر أولاً، وليس هناك ما يدل على التلازم بين ترتيب القصة وترتيب نزولها.

وهذه التوجيهات للآيتين هي على القول بأن الدعاء كان مرتين في وقتين، وقيل: الآيتان سواء، وهنا ذكر أبو حيان احتمالين:

الأول: أن يكون التقدير في آية التنكير: اجعل هذا البلد بلداً آمناً، ويكون بلداً النكرة توطئة لما يجيء بعده كما تقول: كان هذا اليوم يوماً حاراً، فتكون الإشارة إليه في الآيتين بعد كونه بلداً.

الثاني: أن لا يكون هناك محذوف، ولا يكون إذا ذاك بلد، بل دعى لـه بذلك وتكون المعرفة باعتبار ما يؤول إليه. البحر المحيط (١/٥٥٤).

وانظر: ملاك التأويل (١/٢٣٤).

فإن قلت: يلزم أن يكون دعوته الأولى غير مستجابة؟.

قلت: سأل أولاً أن يجعله[1] صالحاً للسكنى ذا أمن على وجه الاستمرار، كما هو شأن أكثر البلاد، وثانياً إزالة خوف يعرض سائر البلاد الآمنة أحياناً،وقيل: سأل[2] أولاً أمن الدنيا وثانياً أمن الآخرة[3].

أورد قصة إبراهيم بعد ذكر الإنسان بأنه ظلوم تذكيراً لهؤلاء الناظرين[4] ودعوة إلى التوحيد الذي دعا إبراهيم [آباءهم][5] إليه وزجراً لهم عما هم فيه، فإنهم يدَّعون أنهم على ملته.

﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ ﴾ بعدني وإياهم، يقال: جنب وأجنب وجنّب -بالتشديد- فالأولان لغة نجد، والثالثة لغة الحجاز[6].

---

(١) ق: ألا يجعله. وهو خطأ.

(٢) ق: أحياناً وسأل... إلخ.

(٣) ذكر الاعتراض والأجوبة عليه القزويني في الكشف (٦٣/ب).
وانظر: روح المعاني (١٣/٢٣٧).

(٤) ق: النافرين.

(٥) ساقطة من ق.

(٦) قاله الفراء في معاني القرآن (٢/٧٨)، ونقله الواحدي في البسيط (١/٢٤٤) عن الكسائي.
وانظر أيضاً: مجاز القرآن (١/٣٤٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/١٦٤)، الكشاف (٣/٣٨٣).

﴿ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ عن عبادتها. أراد بنيه من غير واسطة[1] إذ عبادة قريش للأصنام لم يخالف فيه أحد، ولقوله: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، وقوله ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾[3]، وما حكي عن سفيان بن عيينة[4] أن أحداً من أولاد إسماعيل لم يعبد الأصنام[5] محمول على أولاد صلبه.

---

(١) انظر: البسيط (١/٢٤٥)، تفسير البغوي (٤/٣٥٤)، الكشاف (٣/٣٨٣)، المحرر الوجيز (٣/٣٤١)، الجامع للقرطبي (٩/٢٤١)، تفسير البيضاوي (١/٥٢٠).

(٢) سورة البقرة، من الآية (١٢٤).

(٣) سورة البقرة، من الآية (١٢٦).

وانظر: الكشف للقزويني (٦٣/ب).

(٤) سفيان بن عيينة بن ميمون، مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك، الإمام العلامة الحافظ، أبو محمد الهلالي الكوفي، ولد عام ١٠٧هـ، وطلب العلم في صغره ولقي الأئمة وحمل عنهم علماً جماً، عُمّر دهراً، وازدحم عليه الخلق، وانتهى إليه علو الإسناد ورُحل إليه من البلاد، توفي عام ١٩٨هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ (١/٢٦٢)، تهذيب التهذيب (٤/١١٧).

(٥) رواه ابن أبي حاتم.

انظر: الدر المنثور (٥/٤٦).

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أسند الإضلال إليهن باعتبار السببية[1] ﴿ فَمَن تَبِعَنِى ﴾ على التوحيد ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ متصل بي، وهو حنيف مثلي، كما في الحديث: « من غشنا فليس منا »[2]؛ لأن فعله ليس من جنس أفعالهم ﴿ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ بالتوبة وتوفيق الإنابة، وفيه دليل على أن الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء[3].

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ بعض ذريتي، هو إسماعيل[4] حين تركه مع أمه بالحرم، وقيل: إسماعيل وذريته فإن إسكانه متضمن لإسكانهم[5] ﴿ بِوَادٍ

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٦٤)، معاني القرآن للنحاس (٣/٣٥٣)، الكشاف (٣/٣٨٣)، المحرر الوجيز (٣/٣٤١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «من غشنا فليس منا» (١/٩٩ رقم ١٦٤) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٣) كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ سورة النساء، من الآية (٤٨، ١١٦).

(٤) رواه ابن جرير (١٣/١٥٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وبه قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٣٤١).

(٥) قاله الزمخشري (٣/٣٨٥)، والرازي في التفسير الكبير (١٩/١٠٧)، والبيضاوي (١/٥٢٠)، وأبو حيان (٥/٤٢٠) وغيرهم.

﴿غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ أراد وادي مكة إذ لم يكن هناك زرع ولا ماء، وأراد بالبيت مكانه إذ لم يكن هناك بناء [وإنما بناه][1] بعد ما نشأ إسماعيل[2]، وإنما وصفه بالمحرم لأنه حرم التعرض لـه والتهاون به[3]، وجعل ما حوله [حرماً][4] لمكانه لا يختلى خلاه ولا يعضد شجره، أو لأنه حرم على الطوفان فلم يستول عليه، أو لأنه لم يزل ممنعاً[5] يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه أن يجتنب منه[6].

وسبب إسكانه ذريته أن هاجر كانت جارية لسارة، وكانت سارة عقيماً لا تلد فوهبت هاجرَ لإبراهيم عسى أن يرزقه الله منها ولداً، فلما ولدت إسماعيل

---

(١) ساقط من ص.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥٥/١٣)، البسيط (٢٤٨/١)، المحرر الوجيز (٣٤١/٣)، زاد المسير (٣٦٦/٤).

(٣) رواه ابن جرير (١٥٤/١٣) عن قتادة، وبنحوه قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣٦٦/٤).

(٤) ساقط من ق.

(٥) ق: ممتنعاً.

(٦) انظر الأوجه جميعاً في: الكشاف (٣٨٥/٣)، التفسير الكبير (١٠٧/١٩)، تفسير البيضاوي (٥٢٠/١)، البحر المحيط (٤٢١/٥).

غلبت عليها الغيرةُ فلم تقدر على رؤيتهما[1]، فناشدت إبراهيم أن يخرجهما من عندها، فأمره الله أن يسكنهما بذلك الحرم الشريف، فركب إبراهيم البراق وحملهما حتى وضعهما في موضع زمزم، ثم تولى فقالت لـه هاجر: تذهب وتدعنا في هذا الوادي الذي لا ماء به ولا زاد، قال: بلى، قالت: آللهُ أمرك بهذا؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إذن لا يضيعنا[2].

﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الجار متعلق بمحذوف مؤخر[3] أي: ما

---

(١) ص: رؤيتها.

(٢) ساق المؤلف -رحمه الله- قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالمعنى، وأصلها في البخاري كتاب الأنبياء (١١٣/٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وانظر: تفسير الطبري (١٥٢/١٣)، تفسير البغوي (٣٥٥/٤)، الدر المنثور (٤٦/٥).

(٣) قاله القزويني في الكشف (٦٣/أ)، وقدره بقوله: "أي: ليقيموا أسكنتهم هذا الإسكان".

واستدل على ذلك بقوله: "ومن الدليل على أنه غير متعلق بالمذكورتخلل ﴿ رَبَّنَا ﴾ ثانياً بين الفعل ومتعلقه".

وذهب الزمخشري (٣٨٥/٣)، والبيضاوي (٥٢٠/١) إلى أن اللام متعلقة بقوله ﴿ أَسْكَنتُ ﴾ المذكور في الآية.

وانظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤٧٦/٥)، روح المعاني (٣٤٤/١٣).

أسكنتهم بهذا الوادي البَلْقَع[1] من كل مُرْتَفَق ومُرْتَزَق[2] إلا إيثاراً لشرف الجوار، وأشار إلى ذلك بقوله: ﴿ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[3]، ثم صرح بأن الغرض الأصلي هو تعمير ذلك المكان بأنواع[4]/ العبادة من إقامة الصلاة والطواف والعكوف، ثم بعد تقديم الوسيلة دعا بقوله: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ مِن ﴾ تبعيضيه[5]، ويجوز أن يكون ابتدائية[6] كما في قوله: ﴿ رَبِّ إِنِّى

(١) البلقع: الأرض القَفْر التي لا شيء بها، يقال: أرض بلقع وديار بلقع، ويقال: بلاقع.
انظر: الصحاح (بلقع) (١١٨٨/٣)، لسان العرب (بلقع) (٢١/٨).

(٢) الارتفاق: الانتفاع، قال في أساس البلاغة (رفق) ص(١٧١): "ارتفقت به: انتفعت". والمرتزق من الرزق.
قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (٤٧٦/١): "وهما يحتملان المكان والمصدرية".

(٣) انظر: الكشف للقزويني (٦٣/أ).

(٤) بأنواع: مكررة في الأصل.

(٥) قاله الزجاج في معاني القرآن (١٦٥/٣)، والزمخشري (٣٨٥/٣)، وابن عطية (٣٤٢/٣)، واستظهره أبو حيان (٤٢١/٥)، وهو معنى ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد، وسعيد بن جبير.
انظر: تفسير الطبري (١٥٥/١٣)، تفسير البغوي (٣٥٧/٤)، الدر المنثور (٤٧/٥).

(٦) جوزه الزمخشري (٣٨٥/٣)، والبيضاوي (٥٢١/١).

﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾[1] كأنه قيل: أفئدة أناس، وقرأ ابن عامر في رواية هشام ﴿أفئيدة﴾ بياء مكسورة بعد الهمزة فصلاً بين الشديدتين[2].

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تسرع نحوهم، من هَوَى يَهْوِي هُوِيًّا، وفي حديث البراق "انطلق يهوي"[3] أي: يسرع[4]، وإذا ضم الهاء في مصدره مع تشديد الياء معناه الهبوط، وإذا فتح مع تشديد الياء الصعود، وقيل بالعكس فيهما[5].

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بأن يجلب إليهم من سائر البلاد لكونه وادياً غير ذي زرع، فأجاب الله دعاءه فجعله حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء إلى

---

(١) سورة مريم، من الآية (٤).
وانظر: الكشف للقزويني (٦٤/أ).

(٢) في حاشية الأصل وَ ص: لأن الهمزة والدال من الحروف الشديدة. منه.
وانظر: التيسير ص(١٠٩)، البحر المحيط (٤٢١/٥)، النشر (٢٩٩/٢).
والحروف الشديدة ثمانية، مجموعة في قولك: أجد قط بكت.
قال ابن الجزري: "والشدة امتناع الصوت أن يجري في الحروف، وهو من صفات القوة". اهـ. النشر (٢٠٢/١).
وقراءة هشام عن ابن عامر هي على الإشباع، وقد ذكر ابن الجزري أنها لغة لبعض العرب يقولون: الدراهيم، الصياريف. والله أعلم. النشر (٢٢٩/٢).

(٣) لم أقف عليه، وقد ذكره ابن الأثير في النهاية (هوا) (٢٨٤/٥).

(٤) انظر: النهاية (الموضع السابق).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٦٥/٣)، الصحاح (هوى) (٢٥٣٨/٦)، النهاية (هوا) (٢٨٤/٥)، لسان العرب (هوا) (٣٧٠/١٥).

آخر الدهر، بل يجتمع فيه من أنواع الثمار الصيفية والخريفية ما لا يوجد في ريف من الأرياف[1].

﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧ ﴾ تلك النعمة، لأن النعمة إذا جاءت من حيث لا يحتسب كانت أدعى إلى الشكر.

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ﴾ علماً لا تفاوت فيه ولا احتجاب، أشار إلى أن باطنه موافق لظاهره وسره مطابق لعلنه، وأن فائدة السؤال إظهار العبودية والتلذذ بالتذلل وإلا فشهادة الحال بالافتقار إليه كافية، ولذلك سلك في مقام التوكل خلاف ما يسلك هنا[2] رُوي أنه لما وضعه نمرود في المنجنيق

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٨٦).

(٢) ما قاله المؤلف -رحمه الله- غير سديد بل شهادة الحال بالافتقار لا تغني عن التعبد لله تعالى بالسؤال والدعاء، وهو -الدعاء- سبب من الأسباب التي جعلها الله تعالى لتحصيل المطلوبات، والأسباب لا تنافي التوكل بل هي منه، وعليه فإن من كان متوكلاً على الله تعالى حق توكله فإلحاحه بالدعاء لا ينافي التوكل بل يزيده، وهذا إمام المتوكلين محمد ﷺ كان في حياته كلها مظهراً ذله وافتقاره إلى ربه تعالى، ومع ذلك كان من أكثر الناس سؤالاً لربه تعالى ودعاءً لـه في سرائه وضرائه، كيف وقد أمر الله تعالى بالدعاء ورغب فيه وأخبر أنه من أفضل الطاعات وأجل =

وألقاه في النار فكان في الهواء متوجهاً إلى النار لحقه جبريل فقال: «هل من حاجة خليل الله؟» فقال: «أما إليك فلا» فقال: «سل ربك» قال: «علمه بحالي يغنيني عن سؤالي»[1].

﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ (٣٨) ﴾ لأن علمه بالأشياء[2] عياني، فالنسبة في الكل على السواء.

القربات التي لا يجوز أن تصرف إلا لـه تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ سورة غافر، من الآية (٦٠)، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ سورة البقرة، من الآية (١٨٦).

ومجرد الاكتفاء بظهور الافتقار عن الدعاء لله تعالى سار عليه بعض غلاة المتصوفة كما قال السهروردي:

ويمنعني الشكوى إلى النـــاس أنني ... عليلٌ ومَنْ أشكوى إليه عليلُ

ويمنعني الشكـــوى إلى اللهِ أنّـــه ... عليمٌ بما أشكـــوه قبل أقولُ

وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٧١٢)، الجواب الكافي ص(٢٦)، وانظر الأبيات في: روح المعاني (١٣/٣٤٨).

(١) هذا الحديث لا يصح. وقد سبق الحديث عنه.

(٢) في الأصل: في الأشياء.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ ﴾ مع الكبر(١)، في موضع الحال(٢)، أي:وأنا كبير السن على خلاف المتعارف، قيل(٣): ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحاق [وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة(٤) وقيل: ولد إسماعيل وهو ابن أربع وستين سنة وإسحاق](٥) لتسعين سنة(٦).

وإنما ذكر حال الكبر اعترافاً بكمال النعمة؛ لأن المنة بهبة الولد في سن اليأس أعظم(٧).

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (٣/٣٨٧).

(٢) انظر: الكشاف (الموضع السابق)، التبيان للعكبري (٢/٧٧٢)، الدر المصون (٧/١١٦).

(٣) ق: وقيل.

(٤) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما-.

انظر: الوسيط (٣/٣٤)، تفسير البغوي (٤/٣٥٧)، زاد المسير (٤/٣٦٨)، الكشاف (٣/٣٨٧)، تفسير البيضاوي (١/٥٢١).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

(٦) ذكر هذا القول الزمخشري (٣/٣٨٧)، والرازي في التفسير الكبير (١٩/١٠٩)، وأبو حيان (٥/٤٢٢) دون عزو.

(٧) قاله الزمخشري (الموضع السابق).

فإن قلت: قوله: ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن[1] ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ هو إسكانه إسماعيل قبل بناء البيت بلا خلاف، وقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ دل على أن [هذا][2] الكلام بعد ولادة إسحاق؟[3].

قلت: إن الله تعالى حكى عنه جملاً من كلامه من أحايين كثيرة متفرقة لاشتراكها فيما سيق لـه الكلام من كونه على الإيمان والعمل الصالح مريداً ذلك لذريته ومن تبعه[4].

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ من إضافة اسم الفاعل إلى المفعول، وقد ذكر سيبويه فعيلاً من أبنية المبالغة العاملة عمل فعلها مثل ضرَّابٌ أخاه ورحيمٌ أباه[5]، ومعنى سماع الدعاء الإجابة لها والاعتداد بها كما في قول المصلي:

---

(١) من: ساقطة من جميع النسخ.

(٢) ساقطة من ق.

(٣) أي أن بين الدعوتين مدة طويلة وقد جاءتا في الآيات في سياق واحد.

(٤) انظر: البحر المحيط (٤٢٢/٥)، الكشف للقزويني (٦٤/أ).

(٥) انظر: الكتاب (١١٠/١، ١١٤-١١٥).

وقد خالف أكثر النحويين سيبويه في هذه المسألة فلم يعملوا فعيلاً عمل الفعل.

انظر تفصيل المسألة في: المقتضب (١١٤/٢)، شرح المفصل لابن يعيش (٧٢/٦)، المغني لابن هشام (٤٣٥/٢)، خزانة الأدب (١٥٥/٨).

سمع الله لمن حمده[1].

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ معدلاً لها مواظباً عليها[2] ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ ﴾وبعض ذريتي، لأنه قد علم من قوله: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلاً ﴾[3] أن من ذريته من هو كافر.

﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: عبادتي[4] لقوله: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٨٨)، تفسير البيضاوي (١/٥٢١)، تفسير ابن كثير (٤/٤٣٢).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "وأما قول إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ فالمراد بالسمع هنا السمع الخاص وهو سمع الإجابة والقبول لا السمع العام؛ لأنه سميع لكل مسموع، وإذا كان كذلك فالدعاء هنا يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب، وسمع الرب تبارك وتعالى لـه إثابته على الثناء وإجابته للطلب فهو سميع لهذا وهذا". اهـ. بدائع الفوائد (٣/٤).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٣) سورة البقرة، من الآية (١٢٦).

(٤) نقله الواحدي في الوسيط (٣/٣٤) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، و لم يذكر غيره.

وبه قال الطبري (١٣/١٥٦)، والبغوي (٤/٣٥٨)، والزمخشري (٣/٣٨٨) -واستدل بالآية التي سيذكرها المؤلف- والقرطبي في الجامع (٩/٣٧٥).

تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1]، ثم قال: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[2]، أو هو كلمة التوحيد لقوله ﷺ: «دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفات: لا إله إلا الله»[3]، أو هو بعثة محمد لما في الحديث أنه قال: «سأخبركم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى»[4][5].

---

(١) سورة مريم، من الآية (٤٨).

(٢) سورة مريم، من الآية (٤٩)، وقد وردت الآية في النسخ "ولما" وهو خطأ.

(٣) رواه مالك في الموطأ كتاب الحج، باب جامع الحج (٤٢٢/١) عن طلحة بن عبيدالله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه**»، ولكنه مرسل وله شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة (٢١٩/٩ رقم ٣٥٧٩) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. اهـ. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط (زاد المعاد ٢٣٦/٢) عن حديث طلحة هذا: ورجاله ثقات لكنه مرسل ويتقوى بما أخرجه الترمذي... وفيه محمد بن أبي حميد ليس بالقوي لكن سنده حسن في الشواهد وهذا منها، فالحديث حسن.

(٤) رواه أحمد (١٢٧/٤ رقم ١٧١٩٠، ١٧١٩١)، والطبري (٨٣/٣)، والحاكم (٦٠٠/٢)، والبيهقي في الدلائل (٨٠/١) عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه-.

والحديث صححه الحاكم وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٣/٨): "رواه أحمد والطبراني والبزار، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان". اهـ. وصححه الشيخ أحمد شاكر. انظر: كلامه في تعليقه على تفسير الطبري (٨٣/١-٨٥).

(٥) لم أقف على من ذكر القولين الأخيرين.

=

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى ﴾ ما فرط مني[1] ﴿ وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ كان ذلك قبل النهي[2]، وقدَّم مغفرة نفسه ليكون دعاؤه لهما بعد المغفرة أقرب [إلى الإجابة ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كافة ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝ ﴾ يثبت، شبه ثبوته بقيام الشَّخْص على رِجْله كما][3]

ولم يذكر المؤلف -رحمه الله- قولاً ذكره كثير من المفسرين في الآية وهو أن المقصود في الآية: استجب دعائي. فالمراد: دعاء المسألة، وبه قال السمرقندي في تفسيره (٢/٢٤٦)، وابن كثير (٤/٤٣٣)، وبدأ به البيضاوي (١/٥٢١)، والذي يظهر -والله أعلم- أن هذه الأقوال جميعاً داخلة في الآية وهي كلها راجعة إلى قولين:

الأول: دعاء العبادة، الثاني: دعاء المسألة، والقول الثاني الذي ذكره المؤلف راجع إلى دعاء العبادة، والقول الثالث راجع إلى دعاء المسألة، والآية يراد بها هذان النوعان من الدعاء جميعاً، وقبول دعاء العبادة يكون بالإثابة عليها، وقبول دعاء المسألة بإعطاء السائل ما سأل.

انظر في نوعي الدعاء: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/٦٩)، بدائع الفوائد (٣/٢)، الدرر السنية (٩/٤).

(١) ص: منا.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝ ﴾ سورة التوبة، آية (١١٤).
وإلى هذا القول ذهب الطبري (١٣/١٥٦)، والزجاج (٣/١٦٥)، والزمخشري (٣/٣٨٨)، وابن جزي في التسهيل (٢/٢٦٠)، وابن كثير (٤/٤٣٣) وغيرهم.
وراجع ما سبق ص(٤٣٣).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

في قولهم: قامتْ الحربُ على الساق وتَرجَّلت الشمس إذا أشرقت وثبت ضوؤها كأنها قامت على الرِّجل[١]، أو أهله[٢] وأسند[٣] الفعل إليه مجازاً[٤].

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ﴾ أراد تثبته على ما هو عليه كما في نظائره ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[٥] ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٦] كناية عن الإيذان بأنه عالم بما يفعله الظالمون لا تخفى عليه خافية[٧] أو الخطاب لمن [لم][٨] يعرف صفات الله وشمول علمه[٩].
وعن سفيان بن عيينة: فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم، فقيل لـه: من قاله؟ قال:

---

(١) قاله الزمخشري (٣/٣٨٩).
(٢) قاله الطبري (١٣/١٥٦)، وابن عطية (٣/٣٤٣)، وجوَّزه الزمخشري (الموضع السابق)، والبيضاوي (١/٥٢١).
(٣) في الأصل: أو أسند، وقد وقع نحو هذا الاختلاف بين نسخ تفسير البيضاوي.
انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/٤٨٠).
(٤) أي: أسند الفعل إلى الحساب مجازاً. ذكره الزمخشري والبيضاوي (الموضعين السابقين).
(٥) سورة القصص، من الآية (٨٨).
(٦) سورة يونس، من الآية (١٠٥).
(٧) قاله الزمخشري (٣/٣٨٩)، والبيضاوي (١/٥٢١).
(٨) ساقطة من ق.
(٩) وقال به -أيضاً- الزمخشري (٣/٣٨٩)، والبيضاوي (١/٥٢١)، ورجحه أبو حيان (٥/٤٢٤) ولا يظهر بين القولين تعارض فالآية خطاب للنبي ﷺ لتثبيته وتقويته على الحق، وخطاب لمن يظن الله غافلاً عن ظلم الظالمين. والله أعلم.

إنما قال [من][1] علمه. يريد نفسه[2].

﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ ﴾ شُخُوصُ البصرِ: ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر وانزعاجه، ومنه الشخص لكل جسم مرتفع[3].

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين إلى الداعي[4]، أو من هَطَع إذا أقبل على الشيء ببصره لا يقلعه عنه[5]، أو من أَهْطَع البعيرُ إذا مدَّ عنقه وصوَّبَ رأسه[6].

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) ذكره بهذا السياق الزمخشري (٣/٣٨٩)، وذكره الواحدي في البسيط (١/٢٥٢)، والرازي في التفسير الكبير (١٩/١١١) دون آخره.

ورواه الواحدي في الوسيط (٣/٣٥) عن ميمون بن مهران عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣٦٩) عنه -ﷺ-، ورواه ابن جرير (١٣/١٥٦) من قول ميمون بن مهران.

(٣) انظر: لسان العرب (شخص) (٧/٤٥).

(٤) رواه عبدالرزاق في التفسير (١/٢/٣٤٣)، وابن جرير (١٣/١٥٧) عن قتادة.

وبه قال أبوعبيدة في مجاز القرآن (١/٣٤٢)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٣٣)، والزجاج في معاني القرآن (٣/١٦٦)، ورجحه الطبري (الموضع السابق)، والزمخشري (٣/٣٨٩) وغيرهم.

(٥) رواه الطبري (الموضع السابق) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وأبي الضحى، والضحاك، ومجاهد.

قال الراغب في المفردات (هطع) ص(٨٤٣): "هَطَع الرجل ببصره إذا صوبه". اهـ.

ونقل النحاس في معاني القرآن (٣/٥٣٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٣٤٤)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٧/١٢٠) عن أبي عبيدة أن الإهطاع قد يكون الوجهين جميعاً: الإسراع وإدامة النظر. وإلى هذا ذهب الواحدي في البسيط (١/٢٥٥).

(٦) قال الراغب في المفردات (الموضع السابق): "وبعير مُهْطِع إذا صوب عنقه". اهـ.

=

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ رافعي رؤوسهم[1]، وفي صفة ركوعه ﷺ: "كان إذا ركع لا يُقْنِع رأسه"[2] أي: لا يرفعه[3]، وحديث تعليمه الدعاء: "لا تُقْنِع يديك"[4]، وأصل الكلمة من القُنُوع وهو

وانظر: لسان العرب (هطع) (٣٧٢/٨).

(١) رواه ابن جرير (١٥٧/١٣-١٥٨) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد وقتادة والضحاك وسعيد بن جبير والحسن، وقال به، وكذا قال به أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٤٣/١)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٣٣)، والزجاج (١٦٦/٣)، والنحاس في معاني القرآن (٥٣٨/٣)، والواحدي في البسيط (٢٥٦/١)، والزمخشري (٣٨٩/٣) وأكثر المفسرين.

(٢) رواه أحمد (٤٢٤/٥ رقم ٢٣٦٤٧)، والنسائي، كتاب التطبيق، باب الاعتدال في الركوع (١٨٧/٢ رقم ١٠٣٩)، والدارمي، كتاب الصلاة، باب التجافي في الركوع (٣٤١/١ رقم ١٣٠٧) كلهم عن أبي حميد الساعدي -رضي الله عنه- في صفة ركوعه ﷺ وفيه: فلم يصوِّب (أو ينصب) رأسه ولم يُقْنِعْه.

(٣) انظر: النهاية (قنع) (١١٣/٤).

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي وقفت عليه هو قوله ﷺ: «**الصلاة مثنى مثنى، تشهَّدُ في كل ركعتين وتخشع وتضرع وتمسكن، ثم تُقْنِعُ يديك، يقول: ترفعها...**» الحديث. رواه الإمام أحمد (٢١١/١ رقم ١٧٩٩)، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التخشع في الصلاة (٥٣/٢ رقم ٣٨٥) عن الفضل بن عباس -رضي الله عنه-.

ورواه الإمام أحمد (١٦٧/٤ رقم ١٧٥٥٨)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة النهار (٤١٣/١ رقم ١٢٩٦)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في =

السؤال[1]؛ لأن السائل يرفع رأسه أو يديه لدى السؤال، وعدم ارتداد الطرف كناية عن غاية الخوف، فإن من به شدة الخوف/ تجمد[2] عينه.

﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ خالية عن الفهم والإدراك لتوجه القوى الدراكة إلى دفع الخطر والخطب[3]، وقيل: خالية عن الخير[4]، وليس بوجه، والهواء

صلاة الليل والنهار مثنى (٤١٩/١ رقم ١٣٢٥)، والبيهقي في السنن، كتاب الصلاة، باب صلاة الليل والنهار مثنى (٤٨٨/٢) عن المطلب بن أبي وادعة -ﷺ-.

قال المباركفوري: "قال ابن حجر المكي: إسناده حسن. قلت: مدار هذا الحديث على عبدالله بن نافع بن العمياء، وهو مجهول على ما قال الحافظ، وقال البخاري: لم يصح حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات". اهـ. تحفة الأحوذي (٣٩٤/٢)، وانظر: التاريخ الكبير للبخاري (٢١٣/٥)، تقريب التهذيب ص(٣٢٦).

(١) انظر: لسان العرب (قنع) (٢٩٧/٨).

(٢) ق: يجمد.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن (١٦٦/٣)، وروى النحاس في معاني القرآن (٥٤٠/٣) عن مرة الهمداني قال: "مُتَخَرِّقَة لا تعي شيئاً، يعني من الخوف". وقد رواه ابن جرير الطبري (١٥٨/١٣) عن مرة من طرق عدة بلفظ: "ومتخرقة لا تعي شيئاً من الخير".

وانظر: البسيط (٢٥٩/١)، تفسير البغوي (٣٥٩/٤)، زاد المسير (٣٧١/٤)، تفسير البيضاوي (٥٢٢/١).

(٤) رواه ابن جرير (١٥٨/١٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق العوفي، ورواه عن مرة الهمداني =

بالمد: كل شيء خالٍ، قال حسان يهجو أبا سفيان(1):

.... فأنت مجوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ(2)

ومجاهد وابن زيد وأبي صالح، وقال به (١٣/١٥٩)، ونقله الواحدي في البسيط (١/٢٥٩) عن الأخفش - ولم أقف عليه في معاني القرآن- وعزاه النحاس في معاني القرآن (٣/٥٤٠)، والزمخشري في الكشاف (٣/٣٩١) لابن جريج، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٣٣).

(١) هو المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام، أسلم يوم الفتح، كان قبل إسلامه قد هجا رسول الله ﷺ فكان حسان -رضي الله عنه- يرد عليه وينافح عن رسول الله ﷺ بشعره ومنه هذه القصيدة، وقد استظهر القزويني في الكشف (٦٤/ب) أن المراد هنا في قصيدة حسان هو أبو سفيان بن حرب -رضي الله عنه-، وهذا وهم، بل المراد هو أبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله ﷺ الذي سبقت ترجمته.

وانظر: أسد الغابة (٥/١٤٤)، الإصابة (٧/٨٦).

(٢) في حاشية الأصل وَ ص: أول البيت: ألا أبلغ أبا سفيان عني.

وانظر البيت في: ديوان حسان ص(٧٥)، مجاز القرآن (١/٣٤٤)، تفسير الطبري (١٣/١٥٩)، معاني القرآن للنحاس (٣/٥٤١)، البسيط (١/٢٥٨)، الكشاف (٣/٣٩٠)، زاد المسير (٤/٣٧١)، لسان العرب (جوف) (٩/٣٥).

والمُجَوَّف: الجبان الذي لا قلب لــه كأنه خالي الجوف من القلب.

والنَّخْب: الجبن وضعف القلب، والنَّخِبُ: الجبان كأنه مُنْتَزَعُ الفؤاد.

انظر: تهذيب اللغة (جاف) (١١/٢٠٩)، الصحاح (نخب) (١/٢٢٣)، لسان العرب (نخب) (١/٧٥٢) =

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ يا محمد ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ مفعول ثان لأنذر[1]، وهو يوم القيامة[2] ﴿ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ بالشرك ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أَخِّر العذابَ عنا ورُدَّنا إلى الدنيا وأمهلنا زماناً قليلاً[3] ﴿ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾ في أوامرهم ونواهيهم، جزم على الجواب، وقيل: هذا قولهم عند الموت[4] إذا حضرتهم الملائكة بدون البشرى، وهذا كقول المؤمن المقصر ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5][6].

(جوف) (٩/٣٥) (هوا) (١٥/٣٧٠).

(١) قاله مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن (٤٥٢/١)، والواحدي في البسيط (٢٦٠/١)، والزمخشري (٣٩١/٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣٤٥/٣)، وابن الأنباري في البيان (٦١/٢)، والعكبري في التبيان (٧٧٣/٢)، وقالوا -عدا الزمخشري-: لا يجوز أن يكون منصوباً على الظرف لأنه لم يؤمر بالإنذار في ذلك اليوم.

(٢) قاله الطبري (١٥٩/١٣)، والواحدي في الوسيط (٣٦/٣)، والبغوي (٣٥٩/٤)، والزمخشري (الموضع السابق)، وابن عطية (الموضع السابق)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٧٢/٤)، والبيضاوي (٥٢٢/١)، وأبو حيان (٤٢٤/٥)، وأكثر المفسرين.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (الموضع السابق).

(٤) قاله الزمخشري (٣٩١/٣)، والبيضاوي (الموضع السابق).

(٥) سورة المنافقون، من الآية (١٠).

(٦) روى ابن جرير (٧٦/٢٨) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والضحاك أنها في المؤمنين، وقال به. وانظر: زاد المسير (٢٧٨/٨)، البحر المحيط (٢٧٠/٨)، تفسير ابن كثير (١٥٩/٤).

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ ﴾ على إرادة القول[1]، والمعنى: أنكم أقسمتم جهد أيمانكم لا يبعث الله من يموت[2].

﴿ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ ابتداء كلام منه تعالى، أي: ما لكم زوال وانتقال من الحال التي أنتم فيها[3] كقوله: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[4] بعد

---

(١) أي: فيقال لهم توبيخاً: أو لم تكونوا أقسمتم... إلخ.

انظر: البحر المحيط (٤٢٤/٥)، روح المعاني (٣٥٩/١٣).

(٢) ذكره الواحدي في البسيط (٢٦١/١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، ورواه ابن جرير (١٥٩/١٣) عن مجاهد، وبه قال أكثر المفسرين كالطبري (الموضع السابق)، والبغوي (٣٦٠/٤)، والواحدي. الوسيط (٣٦/٣)، وابن عطية. المحرر الوجيز (٣٤٥/٣)، وابن الجوزي. زاد المسير (٣٧٢/٤)، وأبو حيان (٤٢٥/٥).

وذهب الزمخشري (٣٩٢/٣)، والبيضاوي (٥٢٢/١) إلى أن المعنى أنكم لا تزالون بالموت والفناء. قال أبو حيان (٤٢٥/٥) عن هذا القول: "ليس بجيد لأنهم مقرون بالموت والفناء". اهـ.

(٣) نقله الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (٤٨٤/٥)، والألوسي في روح المعاني (٣٥٩/١٣) مبهماً، و لم أقف على من قال به.

(٤) سورة المؤمنون، من الآية (١٠٨).

قولهم: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1]، وقيل: هو من كلامهم أيضاً[2] ولعلهم أقسموا على ذلك غروراً وبطراً، أو شبه حالهم بحال من أيقن بالخلود مؤكداً[3] بالقسم، حيث شيدوا البنيان وطال بهم الزمان[4].

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ كعاد وثمود، والأصل[5] في السكنى تعديته بفي كقولك قرَّ في الدار، وأقام فيها ولما[6] نقل إلى

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (١٠٧).

(٢) فيكون هو جواب القسم فهم أقسموا في الدنيا أنهم لا ينتقلون منها إلى الآخرة، كقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ النحل/٣٨، وهذا هو ما عليه جمهور المفسرين.

انظر: المراجع في الحاشية رقم (٢) من الصفحة السابقة.

(٣) في الأصل وَ ص: بالخلو ومؤكداً، و ق: بالخلود ومؤكداً، ولعل الأقرب المثبت أعلاه.

(٤) ذكر الوجهين الزمخشري (٣/٣٩١)، والبيضاوي (١/٥٢٢).

وعلى الوجه الثاني فلا قسم، وإنما هو بلسان الحال فقط.

انظر: فتوح الغيب ص (٦٠٣).

(٥) ص: بحذف الواو.

(٦) ص: بحذف الواو.

سكون خاص تصرف [فيه][1] فقيل: سكن الدار كما قيل: تَبَوَّأَها وأَوْطَنهـا[2].

﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ كيف أنزلنا بهم العذاب واستأصلناهم، شاهدتم آثار ذلك أو بلغكم تواتراً بحيث لم يبق لكم اشتباه، فاعل ﴿ تَبَيَّنَ ﴾ مضمون ﴿ كَيْفَ فَعَلْنَا ﴾ لتجرده عن الاستفهام.

﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ فيما قصصنا من أحوالهم الغريبة وقبائحهم الشنيعة وما أنزلنا عليهم من العذاب الفظيع في مواضع شتى.

﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ ﴾ أي: مكرهم الذي استفرغوا فيه جهدهم[3]، كما تقول لخصمك: قد فعلتَ فعلك فقد حان لي أن أفعل فعلي ﴿ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ جزاؤه وما يستحقون عليه من العذاب[4] ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ وما كان مكرهم وإن عظم تزول منه

---

(١) ساقطة من ق.

(٢) قاله الزمخشري (٣/٣٩٢)، والبيضاوي (١/٥٢٢).

(٣) انظر: الكشاف (الموضع السابق).

(٤) قاله أبو علي الفارسي في الحجة (٥/٣١)، والبغوي (٤/٣٦٠)، وابن عطية (٣/٣٤٦)، وجوَّزه الزمخشري (٣/٣٩٢)، والبيضاوي (١/٥٢٢)، والعكبري في التبيان (٢/٧٧٣).

الجبال[1]، يريد أن ثبات أمر محمد ممثل بالجبال الراسية فلا يزعزعه مكر هؤلاء، واللام لام الجحود[2] مثل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾[3][4]، وقرأ

(١) ق: الجبال منه.

(٢) هي لام تأتي بعد كونٍ منفي فينصب بعدها المضارع بأنْ المضمرة، وهي حرف مبني على الكسر لا محل لها من الإعراب.

انظر: أوضح المسالك (٤/١٧٠)، الجنى الداني ص(١٥٧).

(٣) سورة الأنفال، من الآية (٣٣).

(٤) هذا القول في الآية هو معنى ما رواه ابن جرير (١٣/١٦٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والحسن، -ورجحه ابن جرير-، وهو قول الفراء في معاني القرآن (٢/٧٩)، والزجاج في معاني القرآن (٣/١٦٦)، وأبي علي الفارسي في الحجة (٥/٣١-٣٣)، ونقله الواحدي في البسيط (١/٢٦١) عن ابن الأنباري، كلهم أن المعنى: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

وانظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٥٤٣)، الكشف لمكي (٢/٢٨)، التبيان للعكبري (٢/٧٧٤)، البحر المحيط (٥/٤٢٦).

وذهب الزمخشري (٣/٣٩٢)، والبيضاوي (١/٥٢٢)، وجوزه ابن عطية (٣/٣٤٦) إلى أن المراد تعظيم مكرهم وبيان شدته، وأنه يزيل الجبال.

الكسائي بفتح اللام[1]، فـ ﴿إن﴾ هي المخففة واللام الفارقة، والمعنى: إن مكرهم مِنْ عظمه يوهم أن يزيل ما هو كالجبال وهو شريعته ومعجزاته[2].

وقيل: إن نمرود لما ركب النسور وصعد إلى السماء فلما توسط الجو خافَ على نفسه الخبيثة فاستنزلها فظنت الجبالُ أنه قهرٌ إلهي فزالت عن مواضعها خوفاً ورعباً[3].

---

(١) قرأ الكسائي ﴿لَتزولُ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية.

انظر: السبعة ص(٣٦٣)، التيسير ص(١١٠)، الإقناع (٦٧٨/٢).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٧٩/٢)، الحجة لأبي علي الفارسي (٣٢/٥)، إعراب القرآن للنحاس (١٨٧/٢)، الكشف لمكي (٢٧/٢)، الموضح (٧١٣/٢)، البيان لابن الأنباري (٦١/٢).

(٣) رواه ابن جرير (١٣/١٦٠-١٦١) عن علي -رضي الله عنه- ومجاهد وسعيد بن جبير بسياق أطول.

وانظر: الدر المنثور (٥٤/٥).

وفي حاشية الأصل وَ ص: قصة نمرود ذكرها الجعبري، والظاهر أنها موضوعة. منه.

والجعبري هو: برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٤٢هـ) له العديد من المؤلفات المخطوطة المتصلة بالقرآن وعلومه.

انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم (١٧٢/٤)، الجعبري وجهوده في علم القراءات ص(١٣٣).

وأما قصة نمرود فقد ضعفها -أيضاً- واستبعدها ابن عطية (٣٤٦/٣)، والرازي في التفسير الكبير (١١٤/١٩)، وأبوحيان (٤٢٦/٥).

=

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ أخبر[1] في أماكن شتى أنه لا يخلف الميعاد وإذا لم يخلف مواعده[2] مع سائر خلقه فكيف يخلفه مع أشرف عباده المرسلين[3]؟ قدّم المفعول الثاني اهتماماً[4] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يغالب ﴿ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ من أعدائه.

قال ابن عطية: "وذلك عندي لا يصح عن علي -رضي الله عنه-، وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف، وبعيد أن يغرر أحد بنفسه في مثل هذا". اهـ. واستبعدها الزجاج من جهة السياق فقال: "ولا أرى لنمرود هاهنا ذكراً". اهـ. معاني القرآن (٣/١٦٧).

ولو صحت القصة فإن غايتها أن تكون من الإسرائيليات التي لا يجوز تفسير القرآن بها، مع ما فيها من مخالفة العقل ومقتضى الطبيعة والله أعلم.

(١) ص: خبر.

(٢) ص: من مواعده.

(٣) انظر: الكشاف (٣/٣٩٣).

(٤) قال سيبويه: "إنما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهمْ به أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمانهم ويعنيانهم". اهـ. الكتاب (١/٣٤).

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ انتصاب ﴿ يَوْمَ ﴾ على البدل من ﴿ يَوْمَ ﴾[1]، أو ظرف للانتقام[2]. التَّبَدُّل[3] يكون في الذات وفي الصفات[4]، وما في الآية يحتمل[5] الأمرين[6]، عن ابن عباس -ﷺ-: أن الأرض هي تلك الأرض

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ سورة إبراهيم، من الآية (٤٤).

(٢) ذكر الوجهين الزمخشري (٣/٣٩٣)، وذكر الثاني الزجاج في معاني القرآن (٣/١٦٩)، والعكبري في التبيان (٢/٧٧٤) في أقوال أخرى.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٥٢٣)، الدر المصون (٧/١٢٩).

(٣) ص وَ ق: التبديل.

(٤) قال الزمخشري (٣/٣٩٣): "التبديل: التغيير، وقد يكون في الذوات كقولك: بدلت الدراهم دنانير، ومنه: ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ سورة النساء، من الآية (٥٦) و ﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴾ سورة سبأ، من الآية (١٦)، وفي الأوصاف كقولك: بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ سورة الفرقان، من الآية (٧٠)". اهـ.

وانظر: عمدة الحفاظ (١/١٦٧).

(٥) ص: كذلك يحتمل.

(٦) قاله البيضاوي (١/٥٢٣).

وإنما تبدل أوصافها"[1] فتُسيَّر جبالها وتُفجَّر بحارها فتسوى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها، وعن ابن مسعود وأنس -رضي الله عنهما-: "يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطأ عليها خطأ"[2][3]، وروى البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله: «يحشر الناس على أرض بيضاء كقُرْصَةِ النَّقِيِّ لا مَعْلَم فيها لأحد»[4]، وروى مسلم عن عائشة -

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٧)، وعزاه للبيهقي في البعث.

وذكره الواحدي في الوسيط (٣/٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣٧٥).

(٢) في الأصل وَ ق: خطأة.

(٣) الأثر عن ابن مسعود -ﷺ- رواه الطبري (١٣/١٦٤)، والطبراني في الكبير (٩/٢٣٢)، والحاكم (٤/٥٧٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

والأثر عن أنس -ﷺ- رواه الطبري (الموضع السابق).

وذكر الأثرين ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣٧٦)، وابن كثير في تفسيره (٤/٤٣٩)، وقال: "وهكذا روي عن علي وابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر أنها تبدل يوم القيامة بأرض من فضة". اهـ.

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٧/١٩٤)، ومسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة (٤/٢١٥٠ رقم =

رضي الله عنها- أنها سألت رسول الله ﷺ أين[1] يكون الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط»[2]، وعن علي -رضي الله عنه-: «تبدل الأرض أرضاً من فضة والسماء سماء من ذهب»[3].

والظاهر أن التبدل في الصفات كما قاله ابن عباس[4] لما روى أبو هريرة أن

---

٢٨) بنحوه، وفي البخاري قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد.

وقرصة النقي: الرغيف المصنوع من الدقيق النقي من الغش والنخال، وقوله: لا معلم فيها لأحد: يريد أنها مستوية ليس فيها شيء من العلامات التي تدل على سكنى أو بناء أو نحو ذلك.

انظر: فتح الباري (١١/٣٧٥).

(١) ص: أن.

(٢) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور (٤/٢١٥٠ رقم ٢٩) ولفظه: "أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله -عز وجل-: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فأين يكون الناس... الحديث".

(٣) رواه ابن جرير (١٣/١٦٥) بلفظ: "الأرض من فضة والجنة من ذهب".

وذكره البغوي (٤/٣٦٢)، وابن كثير (٤/٤٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/٥٧) كلهم بلفظ المؤلف.

(٤) ونقله النحاس في معاني القرآن (٣/٥٤٥) عن الحسن، وبه قال الزجاج في معاني القرآن (٣/١٦٩).

=

رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝﴾[1] قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها»[2]. ويؤيده ما قاله ثعلب[3] والمبرد[4] من أن التبديل تغيير الصفة

وذهب علي وابن مسعود وأنس وابن عباس -ﷺ- في رواية العوفي وعطاء - إلى أن التبديل هو تبديل الذات، وبه قال مجاهد وكعب والقرظي وعكرمة وسعيد بن جبير، واختاره الطبري (١٦٥/١٣)، والسمرقندي (٢٤٩/٢)، والبغوي (٣٦٢/٤)، والقرطبي في الجامع (٣٨٣/٩)، ونسبه الواحدي في الوسيط (٣٧/٣) لأكثر المفسرين، ولعل هذا القول هو الأرجح لظاهر الآية وللأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك، ولسلامته عن المعارض الذي يجب المصير إليه.

وانظر الخلاف في هذه المسألة مع أدلة كل فريق في: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص(٢١٥)، فتح الباري (٣٧٥/١١).

(١) سورة الزلزلة، الآية (٤).

(٢) ق: الجرم.

رواه أحمد (٣٧٤/٢ رقم ٨٨٥٤)، والترمذي، كتاب القيامة، باب الأرض تحدث أخبارها يوم القيامة (١٤٤/٧)، وقال: حسن غريب. اهـ. ورواه الحاكم، كتاب التفسير (٢٥٦/٢) وصححه، والبغوي في التفسير (٥٠٢/٨)، وشرح السنة (١١٦/١٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (٤٢/١٧): إسناده حسن. اهـ.

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، صنف العديد من الكتب في القراءات واللغة والنحو، مات عام ٢٩١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥/١٤)، بغية الوعاة (٣٩٦/١).

(٤) محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الأزدي أبوالعباس البصري، أخذ النحو عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، كان آية في النحو واللغة، صنف العديد من الكتب منها: الكامل في اللغة =

مع بقاء الجوهر، والإبدال تنحية الجوهر[1] وإحداث آخر[2].

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ﴾ من الأجداث ﴿ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ذكر هذين الوصفين من إصابة المَحَزِّ[3] بمكان كما في قوله: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[4] كأنه قيل: الأمر كله لـه وهو غلاب لا يُغالب[5].

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾ مُجَمَّعين من

والأدب، مات عام ٢٨٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥٧٦)، بغية الوعاة (١/٢٦٩).

(١) ق: الجرم

(٢) ذكره في تهذيب اللغة (بدل) (١٤/١٣٢)، ولسان العرب (بدل) (١١/٤٨)، وزاد المبرد فقال: "وقد جعلت العرب بدلت بمعنى أبدلت، وهو قول الله -ﷻ-: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ سورة الفرقان، من الآية (٧٠) قال: ألا ترى أن الله قد أزال السيئات وجعل مكانها حسنات".

(٣) الحزُّ: القطع، والمَحَزُّ: موضعه.

انظر: لسان العرب (حزز) (٥/٣٣٤).

(٤) سورة غافر، من الآية (١٦).

(٥) انظر: الكشاف (٣/٣٩٤)، تفسير البيضاوي (١/٥٢٣).

القِرَان وهو الجمع، ومنه: قَرَن بالحج أي: جمع بينه وبين العمرة، والقرَن -بفتح الراء-: الحبل الذي يجمع به بين الشيئين[1]، والأصْفَادُ جمع الصَّفَد وهو القيد[2]/ و[3] في الحديث: "نهى عن[4] صلاة الصَّافِد"[5] وهو أن يقرن بين رجليه كأنهما في قيد[6]، وذلك لاشتراكهم في العقائد[7]، بل الأصفاد هي تلك الأعمال

(١) انظر: تهذيب اللغة (قرن) (٨٨/٩)، لسان العرب (قرن) (٣٣٦/١٣).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٣٤٥/١)، معاني القرآن للزجاج (١٧٠/٣).

قال في لسان العرب (صفد) (٢٥٦/٣): "الصِّفاد والصِّفاد: حبل يوثق به أو غل وهو الصِّفْد والصَّفَد والجمع: الأصْفاد".

(٣) الواو مكرر في الأصل.

(٤) ص: على.

(٥) لم أقف عليه، وقد ذكره ابن الأثير في النهاية (صفد) (٣٥/٣).

(٦) قاله ابن الأثير في النهاية (الموضع السابق) وابن منظور في اللسان (صفد) (٢٥٦/٣).

(٧) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣٧٧/٤): "في معنى ﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم يقرنون مع الشياطين، قاله ابن عباس.

والثاني: أن أيديهم وأرجلهم قرنت إلى رقابهم، قاله ابن زيد.

والثالث: يقرن بعضهم إلى بعض، قال ابن قتيبة". اهـ.

والمعاصي[1]، كما أن المؤمنين يُحشرون غُرّاً محجلين من آثار الوضوء[2].

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ قمصانهم، جمع سِرْبال[3]، والقطران: صمغ

والقول الثالث: هو الأقرب لمراد المؤلف -رحمه الله- وبه قال البغوي (٣٦٣/٤).

وانظر: تفسير الطبري (١٦٧/١٣)، غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٣٤)، الكشاف (٣٩٤/٣)، البحر المحيط (٤٢٨/٥).

(١) لم أقف على من ذكره من المفسرين وليس هو بظاهر، بل الصواب أن هذه الأصفاد حقيقية على ظاهر الآية كما هو قول المفسرين.

انظر: المراجع في الحاشية السابقة، إلا أن يكون مراد المؤلف -رحمه الله- أن هذه الأعمال والمعاصي سبب للأصفاد فهذا وجه صحيح لا شك فيه.

(٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرّاً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»**. رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء والغُرُّ المحجلون من آثار الوضوء (٢٣٥/١ فتح الباري)، ورواه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (٢١٦/١ رقم ٣٤)، واللفظ للبخاري.

(٣) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٤٥/١)، وابن قتيبة في غريب القرآن ص(٢٣٤)، والطبري في تفسيره (١٦٧/١٣)، والنحاس في معاني القرآن (٥٤٦/٣)، وقال الزجاج في معاني القرآن (١٧٠/٣): "السربال: كل ما لبس". اهـ.

الأبْهل(١) يطبخ ويلطخ به جلد الإبل الجُرْب [فتحرق الجَرَب](٢) وهو أسود اللون منتن الرائحة(٣)، والغرض منه تغليظ العذاب لاشتماله على قبح اللون ونتن الرائحة وسرعة اشتغال النار فيه(٤)، وقرأ يعقوب "قَطِرٍ آنٍ"(٥) على أنهما كلمتان(٦)، القطر:

(١) الأبهل: حمل شجرة العَرْعَر.

انظر: الصحاح (بهل) (١٦٤٣/٤)، لسان العرب (بهل) (٧٣/١١).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ق.

والجَرَب: داء معدٍ يصيب الإبل، وهو عبارة عن قروح وبثور تظهر على الجلد.

انظر: لسان العرب (جرب) (٢٥٩/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (قطر) (١٠٥/٤).

(٤) قال في الكشاف (٣٩٤/٣): "... لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين (قطران الدنيا، وقطران الآخر) كالتفاوت بين النارين". اهـ.

(٥) قال ابن جرير (١٦٨/١٣): "بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء". وقال أبو حيان (٤٢٨/٥) والسمين الحلبي في الدر المصون (١٣٣/٧): "بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء".

(٦) ذكرها عن يعقوب البغويُ (٣٦٣/٤)، والقرطبي في الجامع (٣٨٥/٩)، والبيضاوي (٥٢٤/١)، وقد رواها الفراء في معاني القرآن (٨٢/٢) عن ابن عباس من طريق الكلبي، ورواها ابن جرير (الموضع السابق) عن عكرمة. وقد ذكر القراءة ابن جنى في المحتسب (٣٦٦/١) وعدَّ من قرأ بها فقال:

=

النحاس، والآني: هو المتناهي في الحرارة[1].

﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝ ﴾ أشرف الأعضاء كقوله: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ[2] عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾[3] وقوله: ﴿ تَطَّلِعُ عَلَى

"ومن ذلك قراءة ابن عباس، وأبي هريرة، وعلقمة، وسعيد بن جبير، وابن سيرين، والحسن، وسنان بن سلمة بن المحبّق، وعمرو بن عبيد، والكلبي، وأبي صالح، وعيسى الهمداني، وقتادة، والربيع بن أنس، وعمرو بن فائد: "من قطرٍ آن". اهـ. وعدهم ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٤٨/٣) فنقص بعضهم وزاد: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعكرمة، وعدهم أبو حيان في البحر المحيط (الموضع السابق) فنقص بعضهم -أيضاً- وزاد: زيد بن علي.

وانظر: شواذ القرآن لابن خالويه ص(٧٠)، الدر المصون (الموضع السابق)، روح المعاني (٣٧٢/١٣).

ويعقوب هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله الحضرمي مولاهم البصري أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة في زمانه، قرأ القرآن على أبي المنذر سلاّم بن سُليم ومهدي بن ميمون وجماعة، وقرأ عليه روح بن عبدالمؤمن ورويس والدوري وغيرهم، توفي عام ٢٠٥هـ.

انظر: معرفة القراء الكبار (١٥٧/١)، غاية النهاية (٣٨٦/٢).

(١) انظر: المراجع في الحاشية السابقة، غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٣٤)، معاني القرآن للزجاج (١٧٠/٣)، والكشاف (٣٩٥/٣).

(٢) في النار: ساقطة من ق.

(٣) سورة القمر، من الآية (٤٨).

ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾[1]، فإن القلب أشرف الأعضاء الباطنة[2].

قيل[3]: إن قوله: ﴿ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾[4]﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ﴾ أحوال من مفعول ﴿ تَرَى ﴾[5] روعي فيها الترقي بأن

(١) سورة الهمزة، الآية (٧).

(٢) قاله الزمخشري (٣/٣٩٥).

(٣) في حاشية ق: قائله صاحب الكشاف.

وهو وهمٌ فإن صاحب الكشاف لم يذكر ذلك، وإنما الذي ذكره الطيبي في فتوح الغيب ص(٦٠٧) قال رحمه الله: "فإن قلت: ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ و ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ و ﴿ وَتَغْشَىٰ ﴾ ثلاثتها أحوال من ضمير ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ فلم خولف بينها؟

قلت: ليؤذن بالترقي فإن كونهم ﴿ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ دون أن تكون ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ فجيء بها جملة اسمية، وغشيان أكرم الأعضاء واستعلاء أقوى العناصر عليها فوق الكل فجدّد بالمضارع الدال على استحضار تلك الحال الفظيعة في مشاهدة السامع، وإنما قلت: فجدّد لأن إتيان ﴿ تَرَى ﴾ لذلك". اهـ.

(٤) ص: وسرابيلهم.

(٥) في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ ومفعول ﴿ تَرَى ﴾ =

جعلت الثانية جملة اسمية، والثالثة مضارعية للاستحضار المقصود، والظاهر[1] أن ﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ استئناف[2] و ﴿ تَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ﴾ عطف [عليه][3] إفادةً للاستمرارين[4] لأن جعل المضارع المثبت حالاً مع الواو لا يرضاه البلغاء[5].

هو : ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

وممن ذهب إلى أن هذه الجمل أحوال العكبري في التبيان (٢/٧٧٥).

وانظر: الدر المصون (٧/١٣٢-١٣٣).

(١) قال القزويني في التعقيب على كلام الطيبي السابق: "والظاهر أن الثانيين -يقصد: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ﴾- منقطعان من حكم الرؤية، لأن الأول في بيان حالهم من الموقف إلى أن يكب بهم في النار، والأخيرين لبيان حالهم بعد دخولها، وكأن الأول حرّك من السامع أن يقول: وإذا كان هذا شأنهم في الموقف فكيف بهم وهم في جهنم خالدون؟ فأجيب بقوله: سرابيلهم من قطران، وأوثر الفعل المضارع في الثانية لاستحضار الحال وتجدد الغشيان حالاً فحالاً". اهـ. الكشف (٦٥/أ).

(٢) رجحه السمين الحلبي في الدر المصون (٧/١٣٢).

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) أي: في قوله: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ لأنها جملة اسمية مفيدة للدوام والاستمرار، وفي قوله: ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ لأنها جملة فعلية فعلها مضارع فتفيد الاستمرار على وجه التجدد والحدوث.

(٥) قال العكبري: "﴿ وَتَغْشَىٰ ﴾ حال أيضاً". التبيان (٢/٧٧٥)، وبه قال الطيبي -كما سبق- انظر: فتوح الغيب ص(٦٠٧).

=

﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ أي: كل نفس مؤمنة وكافرة[1]؛ لأنه إذا جازى على الإجرام والعصيان فعلى الطاعة والإيمان أولى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾ لا يشغله شأن عن شأن.

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ إشـارة إلى قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ

قال السمين الحلبي بعد أن نقل كلام العكبري: "يعني أنها معطوفة على الحال، ولا يعني أنها حال والواو للحال؛ لأنه مضارع مثبت". الدر المصون (١٣٣/٧).

(١) قاله الطبري (١٦٨/١٣)، وابن عطية (٣٤٨/٣)، والرازي في التفسير الكبير (١١٨/١٩)، وجوَّزه الزمخشري (٣٩٥/٣)، والبيضاوي (٥٢٤/١).

وذهب الواحدي في البسيط (٢٧٤/١) إلى أن المراد النفس الكافرة لأن قوله: ﴿ لِيَجْزِيَ ﴾ متعلق بقولـه: ﴿ تَغْشَىٰ ﴾ قال: "أي تغشى النار وجوههم ليقع لهم الجزاء من الله بما كسبوا".

وقال بهذا القول الزمخشري والبيضاوي (الموضعين السابقين).

ولعل ما ذهب إليه المؤلف -رحمه الله- هو الظاهر لأن ﴿ كُلَّ ﴾ من ألفاظ العموم، وقد فعل الله تعالى بهؤلاء الكفار هذا العذاب ليجزي كل نفس ما تستحق من ثواب وعقاب.

غَـٰفِلًا ﴾[1][2]، أو إلى القرآن[3]، أو إلى جميع ما في السورة من التذكير والعظة[4]

---

(١) سورة إبراهيم، من الآية (٤٢).

(٢) قال الزمخشري (٣/٣٩٥): "يعني: هذا ما وصفه من قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ إلى قوله: ﴿ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾". اهـ.

وانظر: تفسير البيضاوي (١/٥٢٤).

(٣) رواه ابن جرير (١٣/١٦٩) عن ابن زيد، وقال به.

وهو قول الواحدي في الوسيط (٣/٣٧)، والبغوي (٤/٣٦٣)، وابن عطية (٣/٣٤٨)، وابن كثير (٤/٤٤١).

(٤) ذكره الرازي في التفسير الكبير (١٩/١١٨)، والبيضاوي (١/٥٢٤)، ورجحه الطيبي. فتوح الغيب ص(٦٠٨)، والقزويني. الكشف (٦٥/أ)، وأقرب هذه الأقوال القول الثاني؛ لأن القرآن كله تذكرة وإنذار وبلاغ كما قال تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ سورة الأنعام، من الآية (١٩)، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ سورة يونس، الآية (٥٧)، وقال: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة ص، الآية (٢٩).

وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٤١).

ليكون كالفذلكة[1] ويكون خاتمة السورة على منوال الفاتحة[2] ﴿ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ عطف على محذوف أي: لينصحوا به ولينذروا[3] بهذا البلاغ[4] ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ لأنهم إذا أنذروا وخافوا ما أنذروا به دعاهم ذلك إلى النظر الموصل إلى التوحيد؛ لأن الخشية أمُّ الخير كله[5] ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ﴾ ذوو العقول

(١) ق: الفدلكة.

قال في المعجم الوسيط (فذلك) (٦٧٨/٢): "فَذْلَكَ الحساب: أنهاه وفرغ منه، وهي منحوتة من قولهم: فذلك كذا وكذا، إذا أجمل حسابه، الفذلكة مجمل ما فصل وخلاصته". اهـ.

(٢) قاله القزويني في الكشف (٦٥/أ).

(٣) ق: بحذف الواو "لينذروا".

(٤) قاله الزمخشري (٣٩٥/٣)، والبيضاوي (٥٢٤/١).

وفي وجه العطف هنا في قوله: ﴿ وَلِيُنذَرُوا۟ ﴾ تسعة أقوال، استوفاها السمين الحلبي في الدر المصون (١٣٤/٧).

(٥) قاله الزمخشري (الموضع السابق).

وقولـه: "دعاهم ذلك إلى النظر الموصل إلى التوحيد... إلخ" جرىً على مذهب أهل الكلام الذين يقولون إن أول واجب على المكلف هو النظر أو الشك، والذي عليه السلف أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله. قال ابن أبي العز الحنفي: "... ولهذا كان الصحيح أن أول =

الخالصة العالمون بالله وبصفاته إذ ربما يعرض لهم نوع ذهول فيتذكرون بهذا البلاغ.

ذكر للبلاغ[1] ثلاثَ فوائد هي الحكمة في إنزال الكتب: تكميلَ الرسل المرسل إليهم، واستكمال القوة النظرية التي غايتها التوحيد، وإصلاح القوة العملية بالتدرع بلباس التقوى[2] حشرنا الله في زمرة المتقين بحق محمد وآله الطيبين[3][4].

واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان". اهـ. شرح الطحاوية ص(٢٣).

(١) ق: البلاغ.

(٢) قاله البيضاوي (٥٢٤/١).

قال الشهاب الخفاجي: "تكميل الرسل عليهم الصلاة والسلام بالإنذار، واستكمالهم من قوله: ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓاْ... إلخ ﴾، والاستصلاح من قوله: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ ﴾ ". حاشيته على تفسير البيضاوي (٤٩٢/٥).

(٣) ق: وآله أجمعين.

(٤) التوسل بالنبي ﷺ يأتي على ثلاثة معان:

الأول: التوسل بالإيمان به وطاعته.

الثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا يكون في حياته ويكون يوم القيامة.

وهذان النوعان جائزان لا خلاف فيهما إلا ما كان من إنكار بعض المبتدعة لبعض شفاعته في القيامة.

الثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على تعالى بذاته أو السؤال بذاته.

=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة.... وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه: إنه لا يجوز، ونهوا عنه حيث قالوا: لا يسأل بمخلوق، ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك". الفتاوى (١/٢٠٢).

وقال: "فقد تبين أن قول القائل "أسألك بكذا" نوعان: فإن الباء قد تكون للقسم، وقد تكون للسبب، فقد تكون قسماً به على الله، وقد تكون سؤالاً بسببه.

فأما الأول: فالقسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوق فكيف على الخالق؟

وأما الثاني: وهو السؤال بالمعظم كالسؤال بحق الأنبياء فهذا فيه نزاع... فنقول: قول السائل لله تعالى: "أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم أو بجاه فلان أو بحرمة فلان" يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه، وهذا صحيح... ويقتضي أيضاً أن من اتبعهم واقتدى بهم فيما سُنَّ لــه الاقتداء بهم فيه كان سعيداً، ومن أطاع أمرهم الذي بلّغوه عن الله كان سعيداً، ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك، بل جاههم ينفعه أيضاً إذا اتبعهم وأطاعهم فيما أمروا به عن الله أو تأسى بهم فيما سنوه للمؤمنين وينفعه أيضاً إذا دعوا لــه وشفعوا فيه.

فأما إذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعة، ولا منه سبب يقتضي الإجابة، لم يكن متشفعاً بجاههم و لم يكن سؤاله بجاههم نافعاً لــه عند الله، بل يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سبباً لنفعه.. إلخ". الفتاوى (١/٢١٠-٢١٢).

وانظر: كتاب الاستغاثة (١/٢٨٧)، الدر السنية (٢/١٦٠).

فهرس المصادر والمراجع

١. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، ت: إبراهيم عطوه عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر.

٢. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن الدمياطي، وضع حواشيه: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٤١٩هـ.

٣. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ.

٤. الإجماع، ابن المنذر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٥. أحكام القرآن، أبوبكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، ت: عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٦. أحكام القرآن، أبوبكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت.

٧. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، ت: لجنة بإشراف الناشر، دار الحديث - القاهرة، ط الثانية ١٤١٣هـ.

٨. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تعليق عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، ط الثانية ١٤٠٢هـ.

٩. أحوال العامة في حكم المماليك، حياة ناصر الحجي، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع - الكويت، ط الأولى ١٩٨٤م.

١٠. إحياء علوم الدين، أبوحامد محمد بن محمد الغزالي، دار القلم، بيروت، ط الأولى.

١١. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، للإمام الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى النووي، المكتبة الإسلامية - استانبول، ط الرابعة ١٣٧٥هـ.

١٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

١٣. أساس البلاغة، جار الله أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٤. أسباب نزول القرآن، أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠٩هـ.

١٦. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د: محمد بن محمد أبوشهبة، مكتبة السنة - القاهرة، ط الرابعة ١٤٠٨هـ.

١٧. أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.

١٨. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب - بيروت.

٢٠. إظهار العصر لأسرار أهل العصر، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: محمد سالم العوفي، ط الأولى، دار هجر للطباعة والنشر.

٢١. إعراب القرآن، أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ت د: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني - بغداد.

٢٢. أعلام الموقعين عن رب العالمين، أبوعبدالله محمد بن قيم الجوزية، ت: طه عبدالرؤوف، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣م.

٢٣. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، ط السابعة ١٩٨٦م.

٢٤. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٢٥. الأغاني، أبوالفرج الأصبهاني، دار إحياء التراث العربي.

٢٦. الإقناع في القراءات السبع، أبوجعفر أحمد بن علي بن أحمد ابن الباذش، ت: عبدالمجيد قطامش، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٧. الأم، للإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تخريج وتعليق محمود مطرجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.

٢٨. إنباء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٩. الأنساب، عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني، ت: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، الناشر محمد أمين دمج - بيروت، ط الثانية ١٤٠٠هـ.

٣٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبوسعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٣١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبومحمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط السادسة ١٣٩٤هـ.

٣٢. أيام العرب في الجاهلية، محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٨هـ.

٣٣. الإيضاح في شرح المفصل، أبوعمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، ت. د: موسى بناي العليلي.

٣٤. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت د: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني ، ط الخامسة ١٤٠٠هـ.

٣٥. الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، أبوعبيد القاسم بن سلام، ت: محمد ناصر الدين الألباني، مطبعة المدني، مصر.

٣٦. الإيمان، أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ت: محمد ناصر الدين الألباني، مطبعة المدني، مصر.

٣٧. الاستغاثة في الرد على البكري، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، دراسة وتحقيق عبدالله بن دجين السهلي، دار الوطن - الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.

٣٨. الاستقامة، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ت: د. ناصر العقل، طبع شركة العبكان - الرياض، توزيع مكتبة الرشد، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٤٠. الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ناصر الدين أحمد بن المنير المالكي (بهامش الكشاف).

٤١. بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبوالليث السمرقندي، ت. د: محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٤٢. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبدالموجود - وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.

٤٣. بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، - القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٤٤. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبوبكر الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٤٥. بدائع الفوائد، أبوعبدالله محمد بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي - بيروت.

٤٦. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمرو بن كثير، مكتبة المعارف - بيروت، ط الخامسة ١٤٠٤هـ.

٤٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

٤٨. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث - القاهرة.

٤٩. البسيط، أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: د. إبراهيم بن علي الحسن، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سورة الأنفال والتوبة ويونس).

٥٠. البسيط، أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: د. عبدالرحمن هوساوي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، (سورة إبراهيم والحجر والنحل والإسراء).

٥١. البسيط، أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: د. عبدالله إبراهيم الريس، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، (سورة هود ويوسف والرعد).

٥٢. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المكتبة العلمية - بيروت.

٥٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٥٤. البيان في عدّ آي القرآن، أبوعمرو الداني الأندلسي، ت: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٥٥. البيان في غريب إعراب القرآن، أبوالبركات ابن الأنباري، ت د: طه عبدالحميد طه، راجعه: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٤٠٠هـ.

٥٦. تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين، دار إحياء الكتب العربية ١٣٤٤هـ.

٥٧. تأويل مشكل القرآن، أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية - المدينة المنورة - ط الثالثة ١٤٠١هـ.

٥٨. تاريخ الثقات، للإمام الحافظ أحمد بن عبدالله بن صالح أبي الحسن العجلي، بترتيب الحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي، وتضمينات الحافظ ابن حجر العسقلاني، ونقد أصوله، وخرج أحاديث وعلق عليه د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٥٩. تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ترجمة: عدنان محمد سلمان، مراجعة: محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٠. تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، ت: إحسان حقي، دار النفائس - بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ.

٦١. التاريخ الكبير، للحافظ أبي عبدالله محمد إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٢. تاريخ المماليك البحرية، د. علي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثالثة، ١٩٦٧م.

٦٣. تاريخ المماليك، عادل زيتون، منشورات جامعة دمشق، ط الرابعة ١٤١١ - ١٤١٢هـ.

٦٤. تاريخ مكة، لأبي الوليد الأزرقي، إشراف سعيد عبدالفتاح، ت: هشام عبدالعزيز عطا - المكتبة التجارية - مكة المكرمة، ط الأولى ١٤١٦هـ.

٦٥. التبيان في إعراب القرآن، أبوالبقاء عبدالله بن الحسين العكبري، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٦٦. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، أبوالحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري، ت: زهير عبدالمحسن سلطان، دار الشئون الثقافية العامة - بغداد، ط الأولى ١٩٩٢هـ.

٦٧. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، دار الفكر، ط الثالثة

١٣٩٩هـ.

٦٨. التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، إبراهيم بك حليم، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ط الأولى ١٣٢٣هـ.

٦٩. تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس، عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، ت: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٧٠. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار)، زين الدين عبدالرحيم العراقي، دار القلم، بيروت، ط الأولى (بذيل إحياء علوم الدين).

٧١. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المكتبة القيمة – القاهرة.

٧٢. تصحيفات المحدثين، أبوأحمد الحسن بن عبدالله العسكري، ت: محمود أحمد الميرة، المطبعة العربية الحديثة، ط الأولى ١٤٠٢هـ.

٧٣. التطريف في التصحيف، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: د. علي حسين البواب، دار الفائز. ط الأولى ١٤٠٩هـ.

٧٤. التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، أحمد بن محمد بن إبراهيم القرطبي، ت: د. سعد عبدالمقصود ظلام، دار المنار.

٧٥. التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.

٧٦. التعليق المغني على الدارقطني، أبوالطيب محمد آبادي، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة ١٤١٣هـ (بهامش سنن الدارقطني).

٧٧. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مكتبة العلوم والحكم.

٧٨. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، راجعه: أحمد محمد شاكر، ونسخة أخرى: دار المعرفة – بيروت .

(الإحالة عليها من الآية ٢٨ من سورة إبراهيم إلى آخر القرآن).

٧٩. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٤هـ.

٨٠. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمرو بن كثير، ت: عبدالعزيز غنيم - وآخرون، دار الشعب - القاهرة.

٨١. تفسير القرآن، أبوالمظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبدالجبار المروزي، ت: أبوتميم ياسر بن إبراهيم، أبوبلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٨٢. تفسير القرآن، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد - الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.

٨٣. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٨٤. تفسير غريب القرآن، أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٨هـ.

٨٥. تلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ت: شعبان محمد إسماعيل، الناشر مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٨٦. التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد أبوالخطاب الكلوذاني، ت. د: مفيد محمد أبوعمشة، جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٨٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ت: سعيد أحمد أعراب، ومحمد الفلاح، مطابع فضالة المغرب، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٨٨. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، أبوالحسن علي بن محمد ابن عراق الكناني، ت: عبدالوهاب عبداللطيف، وعبدالله محمد الصديق، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الثانية ١٤٠١هـ.

٨٩. تهذيب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند، ط الأولى ١٣٢٥هـ.

٩٠. تهذيب اللغة، أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: عبدالسلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩١. تهذيب سنن أبي داود ابن قيم الجوزية (بهامش عون المعبود).

٩٢. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، دمشق ط الأولى.

٩٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت: محمد زهري النجار، طبع ونشر الرئاسة العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ١٤١٠هـ.

٩٤. التيسير في القراءات السبع، أبوعمرو عثمان بن سعيد الداني، صححه أوتويرتزل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ.

٩٥. ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي، ولأبي حاتم السجستاني ولابن السكيت، نشر د: أوغت هفر طبعة عام ١٩١٢م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٦. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، صلاح الدين أبوسعيد بن خليل العلائي، ت: حمدي عبدالمجيد السلفي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية - بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

٩٧. الجامع لأحكام القرآن، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٨. الجرح والتعديل، الإمام الحافظ أبومحمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٧٢هـ.

٩٩. الجعبري وجهوده في علم القراءات، عثمان الحميضي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين بالرياض.

١٠٠. جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

١٠١. الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، ت: طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ١٣٩٦٠هـ.

١٠٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة - الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.

١٠٣. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام شمس الدين أبوعبدالله بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ضبطه وعلق عليه وقدم له د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون - بيروت، ط الأولى.

١٠٤. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للعلامة شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار القلم - بيروت، ط الأولى ١٩٨٣م.

١٠٥. حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النحدي، ط السابعة ١٤١٧هـ.

١٠٦. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، ت: عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.

١٠٧. حاشية رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين المعروف بابن عابدين، المكتبة التجارية مكة المكرمة.

١٠٨. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي.

١٠٩. الحاوي للفتاوي، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتاب العربي - بيروت.

١١٠. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ت د: عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت،

ط الثالثة ١٣٩٩هـ.

١١١. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط الأولى ١٣٨٧هـ.

١١٢. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، عبدالرحمن السعدي، دار ابن القيم، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

١١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط الثالثة ١٤٠٠هـ.

١١٤. الحماسة لأبي تمام، ت: عبدالله عبدالرحيم عسيلان، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ.

١١٥. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، دار إحياء التراث العربي -بيروت ط الأولى.

١١٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي، ت: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي - بالقاهرة.

١١٧. الخصائص، أبوالفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

١١٨. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، محمد أمين زكي بك، ترجمة: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٩م.

١١٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

١٢٠. الدر المنثور في التفسير المأثور، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ.

١٢١. دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك، قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهر، ط الثانية ١٩٨٣م.

١٢٢. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طبع شركة المدينة للطباعة والنشر، ط الثانية ١٣٨٨هـ.

١٢٣. درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، أحمد بن علي المقريزي، ت: عدنان درويش، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق-سوريا، ١٩٩٥م.

١٢٤. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند.

١٢٥. الدعاء، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دراسة وتحقيق: عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.

١٢٦. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، توثيق وتخريج د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

١٢٧. ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه أبوسعيد السكري، ت: محمد حسن آل ياسين، ط الأولى ١٤٠٢هـ.

١٢٨. ديوان ابن الفارض، دار صادر - بيروت.

١٢٩. ديوان ابن نباتة المصري، جمال الدين بن نباتة المصري، مطبعة التمدن - بمصر، ط الأولى ١٣٢٣هـ.

١٣٠. ديوان الأعشى الكبير، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

١٣١. ديوان الخنساء، شرحه: أبوالعباس ثعلب أحمد بن يحيى الشيباني، ت د: أنور أبوسويلم، نشر بدعم من جامعة مؤتة، دار عمار - الأردن، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

١٣٢. ديوان المتنبي، بشرح العكبري، المسمى: التبيان في شرح الديوان، ت: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية ١٣٨٦هـ.

١٣٣. ديوان النابغة الذبياني، ت: أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، ط الثالثة.

١٣٤. ديوان امرئ القيس وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري، ت. د: أنور أبوسويلم، د. محمد علي الشوابكة، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، ط الأولى ١٤٢١هـ.

١٣٥. ديوان امرئ القيس، ت: أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، ط الخامسة.

١٣٦. ديوان حسان بن ثابت، ت: د. سيد حنفي حسين، دار المعارف.

١٣٧. ديوان رؤبة بن العجاج (ضمن مجموع أشعار العرب)، تصحيح وترتيب: وليم ابن الورد، مكتبة ابن قتيبة.

١٣٨. ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي، عن ثعلب أحمد بن يحيى الشيباني، ت. د: نوري القيسي، د. حاتم الضامن، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ.

١٣٩. ديوان محمود الوراق، جمع ودراسة وتحقيق: د. وليد القصاب، ط الأولى ١٤١٢هـ.

١٤٠. الربذة صور للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية، د. سعد الراشد، جامعة الملك سعود بالرياض.

١٤١. الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، لابن ناصر الدين الدمشقي، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، دمشق، ط الثالثة ١٤١١هـ.

١٤٢. الرد على الجهمية، محمد بن إسحاق بن مندة، ت: علي الفقيهي، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٤٣. الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبوالفضل شهاب الدين محمود الألوسي، ت: محمد حسين العرب، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ.

١٤٥. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

١٤٦. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبدالله بن قدامة المقدسي، ت د: عبدالكريم النملة، مكتبة الرشد - الرياض، ط الثانية ١٤١٤هـ.

١٤٧. الروضة الندية شرح الدرر البهية، صديق حسن خان، دار التراث العربي، القاهرة.

١٤٨. زاد المسير في علم التفسير، أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.

١٤٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، للعلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بان قيم الجوزية، ت: شعيب الأرنؤوط و عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط السابعة ١٤٠٥هـ.

١٥٠. الزهد، للإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، راجع النسخة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

١٥١. السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ت: د. شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط الثالثة.

١٥٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ.

١٥٣. السنة، أبوبكر أحمد بن محمد الخلال، ت: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط الثانية ١٤١٥هـ.

١٥٤. السنة، عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل، ت: محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

١٥٥. سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني دراسة وفهرسة: كمال يوسف الحوت، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

١٥٦. سنن ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه، ورقم كتبه، وأبوابه وأحاديث، وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث.

١٥٧. سنن الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تعليق وإشراف عزت عبيد الدعاس، المكتبة الإسلامية - استانبول.

١٥٨. سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة ١٤١٣هـ.

١٥٩. سنن الدارمي، للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ت: فواز أحمد زمزلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث - القاهرة، دار الكتاب العربي - بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

١٦٠. السنن الكبرى، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر.

١٦١. السنن الكبرى، للإمام أبي عبالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: د. عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

١٦٢. سنن النسائي شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه عبدالفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط الرابعة ١٤١٤هـ.

١٦٣. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الرابعة ١٤٠٦هـ.

١٦٤. السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السقا وآخرون دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

١٦٥. السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، ت: فهيم محمد شلتوت، راجعه: محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، ١٩٦٦م.

١٦٦. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشيخ محمد بن علي الشوكاني، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

١٦٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبوالفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، المكتب التجاري - بيروت.

١٦٨. شرح أبيات سيبويه، أبوجعفر أحمد بن محمد النحاس، ت: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

١٦٩. شرح أبيات سيبويه، أبومحمد يوسف المرزبان السيرافي، ت: محمد الريح هاشم، دار الجيل - بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ.

١٧٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة – الرياض.

١٧١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني.

١٧٢. شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت – دمشق، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

١٧٣. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الحنفي، ت: عبدالله التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤١٣هـ.

١٧٤. شرح الفقه الأكبر، الملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٧٥. شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرح وتحقيق د. محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

١٧٦. الشرح الكبير على متن المقنع، عبدالرحمن بن أبي عمر محمد بن قدامة المقدسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

١٧٧. شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، محمد بن أحمد المعروف بابن النجار، ت: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ.

١٧٨. الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد صالح العثيمين، ت: سليمان أبا الخيل، خالد المشيقح، مؤسسة آسام، ط الأولى ١٤١٧هـ.

١٧٩. شرح المنهاج للبيضاوي في علم الأصول، محمود الأصفهاني، ت: د. عبدالكريم النملة، مكتبة الرشد – الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.

١٨٠. شرح المواقف للزنجاني، ت: د. أحمد المهدي، نشر مكتبة الأزهر، ١٣٩٦هـ.

١٨١. شرح النووي على صحيح مسلم، شرح أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

١٨٢. شرح جوهرة التوحيد للباجوري، نسقه وخرج أحاديثه: محمد أديب الكيلاني، عبدالكريم تتان، عام ١٣٩٢هـ.

١٨٣. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، نشره: أحمد أمين، عبدالسلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

١٨٤. شرح ديوان جرير، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.

١٨٥. شرح ديوان كعب بن زهير، صنعه أبوسعيد السكري، دار القومية للطباعة - القاهرة، ١٣٨٥هـ.

١٨٦. شرح ديوان لبيد، ت: إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط الثانية ١٩٨٤م.

١٨٧. شرح شواهد المغني، جلال الدين السيوطي، ت: محمد محمود تركزي الشنقيطي، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.

١٨٨. الشرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية، شرف خان البدليسي، ترجمة: ملا جميل بندي، مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٧٢هـ.

١٨٩. الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، دراسة وتحقيق د. عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض، ط الثانية ١٤٢٠هـ.

١٩٠. شعر طيء وأخبارها، د. وفاء فهمي السنديوني، دار العلوم للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

١٩١. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، ط الثانية ١٤١٨هـ.

١٩٢. شعراء أمويون، د. نوري القيسي، عالم الكتب، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

١٩٣. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام العلامة محمد بن أبي بكر شمس الدين أبي بكر بن قيم الجوزية، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨هـ.

١٩٤. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، "بهامش وفيات الأعيان" طاش كبرى زاده.
١٩٥. الشمائل المحمدية، أبوعيسى محمد بن سورة الترمذي، ت: محمد عفيف الزغبي، دار العلم - جدة، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
١٩٦. الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ.
١٩٧. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط الرابعة ١٤١٠هـ.
١٩٨. صحيح ابن خزيمة، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ط الأولى ١٣٩١هـ.
١٩٩. صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٣٨٨هـ.
٢٠٠. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٢٠١. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية - استانبول.
٢٠٢. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط الثانية ١٤١٢هـ.
٢٠٣. صورة الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع للسخاوي، يحيى محمود ساعاتي، دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض، ١٤١٢هـ.
٢٠٤. الضعفاء الكبير، للحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المكي، ت: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
٢٠٥. الضعفاء والمتروكين، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: بوران الضناوي، وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٠٦. الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان.

٢٠٧. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبدالقادر التميمي الغزي، ت: عبدالفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي – الرياض، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٠٨. طبقات الشافعية، جمال الدين عبدالرحيم الأسنوي، ت: عبدالله الجبوري، دار العلوم – الرياض.

٢٠٩. الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار الفكر، دار صادر – بيروت.

٢١٠. طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢١١. الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢١٢. العذب الفائض شرح عمدة الفارض، للشيخ إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم الفرضي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الأولى ١٣٧٢هـ.

٢١٣. العصر المماليكي في مصر والشام، سعيد عبدالفتاح، دار النهضة العربية – القاهرة، ط الأولى ١٩٦٥م.

٢١٤. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، ت: د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع، دار العاصمة ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٢١٥. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، أبوالمعالي الجويني، ت: أحمد حجازي السقا، ط الأولى ١٣٩٨، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٢١٦. العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ صالح الفوزان، دار السلام، الرياض.

٢١٧. العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه سعد بن فوزان الصميل، دار ابن الجوزي – الرياض، ط الرابعة ١٤١٧هـ.

٢١٨. علم الفلك والكون، د. عواد الزحلف، دار المنهاج - الأردن، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٢١٩. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف بن عبدالدايم المعروف بالسمين الحلبي، ت: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.

٢٢٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل - بيروت، ط الخامسة ١٤٠١هـ.

٢٢١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبوالطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ت: عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبدالمحسن بالمدينة المنورة، ط الثانية ١٣٨٨هـ.

٢٢٢. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.

٢٢٣. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ط الثانية ١٤٠٢هـ.

٢٢٤. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ط الثانية ١٤٠٢هـ.

٢٢٥. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبوالخير محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره ج: برجستراسز، مكتبة المتنبي - القاهرة.

٢٢٦. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد السفاريني، مؤسسة قرطبة.

٢٢٧. غريب الحديث، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، توثيق وتخريج د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٢٨. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٢٩. غريب الحديث، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، ت: سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، دار المدني - جدة، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٣٠. غريب الحديث، للإمام أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، ت عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، تخريج عبدالقيوم عبد رب النبي، دار الفكر بدمشق، ١٤٠٢هـ.

٢٣١. الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار المعرفة - بيروت، ط الثانية.

٢٣٢. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد بن عبدالرزاق الدويش، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، - الرياض، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبالباقي، أخرجه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت.

٢٣٤. الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي، زين الدين عبدالرؤوف المناوي، ت: أحمد مجتبى بن نذير عالم السلفي، دار العاصمة - الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٣٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٣٦. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ت: الوليد الفريان، دار الصميعي، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٢٣٧. فتوح الغيب عن قناع الريب، للطيبي، ت: طاهر محمود، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية، من سورة يونس إلى نهاية سورة إبراهيم.

٢٣٨. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، ت: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط الخامسة ١٤٠٢هـ.

٢٣٩. الفروسية، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: أبي عبيدة مشهور بن حسن بن سلمان، دار الأندلس - حائل، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٢٤٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٤١. فضائل القرآن، أبوعبيد القاسم بن سلام، ت: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٤٢. فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تأليف فضل الله الجيلاني، دار المطبعة السلفية - القاهرة، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

٢٤٣. فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط الرابعة والعشرون، ١٤٢٠هـ.

٢٤٤. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

٢٤٥. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط التاسعة ١٤٠٠هـ.

٢٤٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي - دار المعرفة - بيروت.

٢٤٧. القاموس الإسلامي، وضع: أحمد عطية، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ط الأولى، ١٣٨٦هـ.

٢٤٨. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبوحبيب، دار الفكر، ط الأولى ١٤٠٢هـ.

٢٤٩. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٥٠. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، عبدالرحمن المحمود، دار الوطن، ط الثانية ١٤١٨هـ.

٢٥١. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت - دار الرفاعي - الرياض، ط الثانية ١٤٠٢هـ.

٢٥٢. القواعد والإشارات في أصول القراءات، أحمد بن عمر بن أبي الرضا الحموي، ت: عبدالكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط١ الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٥٣. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد صالح العثيمين، ت: سليمان أبا الخيل، خالد المشيقح، دار ابن الجوزي، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٢٥٤. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٥٥. الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت (بذيل تفسير الكشاف).

٢٥٦. الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، للإمام أبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، ت د. محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، ط الثالثة ١٤١٦هـ.

٢٥٧. الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لأبي محمد موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق، ط الخامسة ١٤٠٨هـ.

٢٥٨. الكامل في التاريخ، للإمام أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الخامسة ١٤٠٥هـ.

٢٥٩. الكامل في اللغة والأدب، أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد، ت: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ.

٢٦٠. كتاب الأسماء والصفات، للإمام أبي بكر بن أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦١. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: د. عبدالعزيز إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد – الرياض، ط السادسة ٤١٨هـ.

٢٦٢. كتاب الصلاة وحكم تاركها، ابن قيم الجوزية، ت: تيسير زعيتر، المكتب الإسلامي، دمشق، ط الأولى ١٤٠١هـ.

٢٦٣. كتاب سيبويه، أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل –

بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٦٤. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٢٦٥. كشاف القناع عن متن الإقناع، للشيخ منصور بن يونس البهوتي، راجعه وعلق عليه الشيخ هلال مصيلحي مصطفى هلال، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٦٦. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تصحيح وتعليق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثالثة ١٤٠٣هـ.

٢٦٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى ين عبدالله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٦٨. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الخامسة ١٤١٨هـ.

٢٦٩. لب الألباب في تحرير الأنساب، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: محمد أحمد عبدالعزيز، أشرف أحمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٧٠. اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير، دار صادر - بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٧١. اللباب في علوم الكتاب، أبوحفص عمر بن علي الدمشقي، ت: عادل أحمد عبدالموجود - وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ.

٢٧٢. لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، تقي الدين محمد بن فهد المكي، طبع ضمن تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٧٣. لسان العرب، أبوالفضل جمال الدين محمد ابن منظور، دار صادر - بيروت.

٢٧٤. لسان الميزان، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، ط الأولى.

٢٧٥. لغة تميم دراسة تاريخية وصفية. د. ضاحي عبدالباقي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية -

القاهرة ١٤٠٥هـ.

٢٧٦. اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، مطابع الهيئة العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٧٧. المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت.

٢٧٨. مجاز القرآن، أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمي، محمد فؤاد سَزْكين، مكتبة الخانجي - القاهرة.

٢٧٩. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الجيل - بيروت، ١٤١٦هـ.

٢٨٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٨١. المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محي الدين النووي، دار الفكر.

٢٨٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد عبدالحليم ابن تيمة، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، إدارة المساحة العسكرية - القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٢٨٣. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد، أشرف عليه عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، دار العاصمة - الرياض، ط الثانية ١٤٠٩هـ.

٢٨٤. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر - بيروت، ط الثانية ١٣٩٨هـ.

٢٨٥. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبوالفتح عثمان بن جني، ت: علي النجدي ناصف - وآخرون، دار سزكين، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٨٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.

٢٨٧. المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد الرازي، ت: د. طه جابر فياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

٢٨٨. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، ت: محمد علي النجار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الأولى ١٣٩٣هـ.

٢٨٩. المحلى، للإمام أبي محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الفكر.

٢٩٠. محمد الفاتح، د. سالم الرشيدي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط الأولى ١٣٧٥هـ.

٢٩١. مختصر الشمائل المحمدية، أبوعيسى محمد بن سورة الترمذي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية - عمان، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٩٢. مختصر الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، اختصره محمد بن الموصلي، دار الندوة - بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٩٣. مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه، عني بنشره ج. برجشتراسر، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م.

٢٩٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام العلامة محمد بن أبي بكر شمس الدين أبي عبدالله بن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٢هـ.

٢٩٥. المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبدالرحمن بن قاسم، دار الفكر - بيروت ١٤٠٦هـ.

٢٩٦. المرض والكفارات، أبوبكر عبدالله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا، ت: عبدالوكيل الندوي، الدار السلفية - الهند، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٩٧. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، ت: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبوالفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار التراث - القاهرة، ط الثالثة.

٢٩٨. المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، إشراف د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة - بيروت.

٢٩٩. مسند أبي يعلى الموصلي، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي، ت: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية - دمشق، بيروت، ط الثانية ١٤١٢هـ.

٣٠٠. المسند، أبوبكر عبدالله بن الزبير الحميدي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٠١. المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، شرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف - مصر، ١٣٩٥هـ.

٣٠٢. المسودة في أصول الفقه، مجد الدين أبوالبركات عبدالسلام بن الخضر، شهاب الدين عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام أبوالعباس أحمد عبدالحليم، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني - القاهرة.

٣٠٣. مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، محمد عليان المرزوقي، دار المعرفة، بيروت، (بذيل الكشاف).

٣٠٤. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث - دمشق، ط الثانية.

٣٠٥. المصاحف، أبوبكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٠٦. المصنف، أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٣٠٧. معالم التنزيل، أبومحمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٠٨. معالم السنن، للإمام أبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية - بيروت، ط الثانية ١٤٠١هـ.

٣٠٩. معاني القرآن الكريم، أبوجعفر النحاس، ت: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط الأولى

١٤٠٩هـ.

٣١٠. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري، ت: د عبدالجليل عبده شلبي، خرج أحاديثه: علي جمال الدين محمد، دار الوليد - جدة، الأولى ١٤١٤هـ.

٣١١. معاني القرآن، أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: محمد على النجار، دار السرور - بيروت، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣١٢. معاني القرآن، سعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش، ت: عبدالأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب - بيروت.

٣١٣. معاني القراءات، أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: عيد درويش، عوض القوزي، مطابع دار المعارف، ط الأولى ١٤١٢هـ.

٣١٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبوالفضل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٣١٥. معجم الأدباء، لأبي عبدالله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٣١٦. معجم الأمثال العربية، رياض عبدالحميد مراد، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٧هـ.

٣١٧. معجم البلدان، أبوعبدالله ياقوت الحموي، دار صادر - بيروت، ط الثانية.

٣١٨. معجم الشيوخ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٣١٩. المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب - لبنان.

٣٢٠. المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، دار الثقافة الجديدة - القاهرة، ط الثالثة ١٩٧٩م.

٣٢١. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ.

٣٢٢. المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبدالمجيد

السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٣٢٣. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٢٤. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان - بيروت، ط الثانية ١٩٩٦م.

٣٢٥. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى عبدالكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ.

٣٢٦. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر، ط الأولى ١٤٠٢هـ.

٣٢٧. معجم المناهي اللفظية، بكر بن عبدالله أبوزيد، دار العاصمة - الرياض، ط الثالثة ١٤١٧هـ.

٣٢٨. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، سهيل صابان، مراجعة: عبدالرازق محمد بركات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض ١٤٢١هـ.

٣٢٩. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط السابعة ١٤١٤هـ.

٣٣٠. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبدالله بن عبدالعزيز البكري، ت: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١هـ.

٣٣١. معجم مصنفات القرآن الكريم، د. علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي - الرياض، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٣٢. معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

٣٣٣. معجم مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد بن فارس، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت.

٣٣٤. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبي، ت: بشار عواد معروف،

شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٣٥. المغازي، محمد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي، ت د. مارسدن جونس، عالم الكتب - بيروت.

٣٣٦. مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، محمد بن محمد الخطيب الشربيني، ت: علي محمد معوض، عادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٣٣٧. المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

٣٣٨. مفتاح العلوم، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٣٩. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

٣٤٠. المفضليات، المفضل الضبي، ت: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام هارون، دار المعارف، ط السادسة.

٣٤١. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية - صيدا، ١٤١١هـ.

٣٤٢. المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، ت: عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب - بيروت.

٣٤٣. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، أبوعمرو عثمان بن سعيد الداني، ت: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٤٤. المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبوعمرو عثمان بن سعيد الداني، ت: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

٣٤٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ت: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٤٦. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبدالكريم ابن أبي بكر الشهرستاني، ت: عبدالعزيز محمد الوكيل، دار الفكر - بيروت.

٣٤٧. المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، محمد بن أبي السرور البكري الصديقي، ت: ليلى الصباغ، دار البشائر - دمشق، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٣٤٨. منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، دار الهداية - الرياض، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

٣٤٩. منهاج السنة النبوية، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٥٠. الموافقات في أصول الشريعة، أبوإسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: محمد عبدالله دراز، عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٣٥١. مورد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة، يوسف بن تغرى بردى، ت: نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٧م.

٣٥٢. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ط التاسعة ١٩٩٩م.

٣٥٣. الموسوعة الفلسفية، د. عبدالمنعم الحفني، دار ابن زيدون - بيروت، ط الأولى.

٣٥٤. موسوعة المعرفة الحديثة، المشرف العام: بولاند بيروتي.

٣٥٥. موسوعة بهجة المعرفة (موسوعة علمية مصورة) إشراف الصادق النيهوم وآخرون، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، تنفيذ دار المختار، سويسرا.

٣٥٦. الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي بن محمد الشيرازي المعروف بابن أبي مريم، ت: د. عمر حمدان الكبيسي، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٣٥٧. الموضوعات، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي. دار الفكر، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٣٥٨. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، دار

الحديث، القاهرة.

٣٥٩. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد - الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٣٦٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة - بيروت.

٣٦١. النبوات، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ت: محمد عبدالرحمن عوض، دار الريان للتراث - مصر، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٦٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغرى بردى، ت: الأستاذ فهيم محمد شلتوت وآخرون، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ.

٣٦٣. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، الخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي، ت: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب - مصر، ١٩٧٣م.

٣٦٤. نسب قريش، أبوعبدالله المصعب بن عبدالله الزبيري، ت: ليفي بروفنسال، دار المعارف - القاهرة، ط الثالثة.

٣٦٥. النشر في القراءات العشر، أبوالخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تصحيح ومراجعة علي محمد الصبّاغ، دار الكتاب العربي.

٣٦٦. نصب الراية لأحاديث الهداية، جمال الدين أبومحمد عبدالله بن يوسف الزيلعي، المكتب الإسلامي - بيروت، دمشق، ط الأولى ١٣٩٣هـ.

٣٦٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبوالحسن إبراهيم عمر البقاعي، توزيع مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط الأولى ١٣٩٥هـ.

٣٦٨. نظم العقيان في أعيان الأعيان، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، حرَّره: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

٣٦٩. نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد، للإمام عثمان بن

سعيد الدارمي. تحقيق وتعليق وتخريج: منصور بن عبدالعزيز السماري، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط الأولى ١٤١٩هـ.

٣٧٠. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٧١. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، أبوعبدالله فخر الدين الرازي، ت: د. إبراهيم السامرائي، د. محمد بركات أبوعلي، دار الفكر - عمان ١٩٨٥.

٣٧٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجدالدين أبوالسعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت.

٣٧٣. نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، محمد عبدالله الوهيبي، دار المسلم، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ.

٣٧٤. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٧٣م.

٣٧٥. وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، ت: بشار عواد معروف، عصام الحرستاني، أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة.

٣٧٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ت: عادل أحمد عبدالموجود - وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٣٧٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر - بيروت.

٣٧٨. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبومنصور عبدالملك الثعالبي، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر - بيروت - ط الثانية ١٣٩٢هـ.

المخطوطات:

١. أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار، محمد اللكنوي مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٨٧٥/ف).

٢. حاشية الكشاف للتفتازاني، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٦٢٢٦).

٣. عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، برهان الدين إبراهيم البقاعي، توجد مصورته في مكتبة جامعة الإمام برقم (١٠٨٣٢).

٤. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للطيبي، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٦٢٢٥) مصورة من الخزانة العامة بالرباط (١٨٤).

٥. الكامل للهذلي، نسخة رواق المغاربة بالأزهر الشريف رقم (٣٦٩).

٦. الكشف عن مشكلات الكشاف، عمر بن عبدالرحمن القزويني، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٧٤٣٧). نسخة غير مرقمة، وقد رقمتها ابتداءً من آخر سورة الأعراف.

٧. الكوثر الجاري على رياض البخاري، أحمد بن إسماعيل الكوراني، مكتبة الحرم المكي برقم (١١٨٣).

كتب أجنبية:

مدرس الفاتح ملا كوراني وتفسيره، د. ثاقب يلدز (اللغة التركية).

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
تفسير سورة الأنفال	٥-١٨٦
تفسير سورة التوبة	١٨٧-٤٦٤
تفسير سورة يونس	٤٦٥-٦٧٠
تفسير سورة هود	٦٧١-٨٨٦
تفسير سورة يوسف	٨٨٧-١١٠٠
تفسير سورة الرعد	١١٠١-١١٩٨
تفسير سورة إبراهيم	١١٩٩-١٣١٦
فهرس المصادر والمراجع	١٣١٧-١٣٥٢
فهرس الموضوعات	١٣٥٣